ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵡⵉⵙⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵜ ⴰ ⵜⵉⵏⵙⵏⴰⵏⵉⵏ ⵜⵉⵣⵔⴼⵉⵏⵉ
ⵙⴼⵔ - ⵀⵎⵙ
Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Dhar El Mehraz -Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز – فاس

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان

تكوين التعابير والأشكال الرمزية

تخصص: اللغة العربية

إجابة الدَّعوة لإِصابَة الدُّعوة
"شرح القصِيدة المدنِيَّة في مدحِ مهدِيِّ الأمَّة"
لأمحمَّد أطفِيَّش ت:1332 المجلَّد الأوَّل تحقيق ودراسة

قسم النص المحقق

الجزء الأول

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إنجاز الطالب:
✍ عبد الوهاب بافلح
ر.و.ط : 6053211280

إشراف الأستاذ الدكتور:
✍ عبد الرحيم الرحموني

الموسم الجامعي

2019-2018

[1و] إِجَابَةُ الدَّعْوَة لِإِصَابَةِ الدُّعْوَة[1]

تأليف: أَمْحَمَّدْ أَطْفِيَّشْ

(1) قال قطرب: الدُّعوة بالضم في الطعام خاصة. لسان العرب (دعا).

[1ظ] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

الحَمْدُ للهِ خَالِقِ السَّبْعِ الطَّرَائِقِ، مُفِيضِ النِّعَمِ عَلَى الخَلَائِقِ. والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ سَلِيقَتُه أَفْضَلُ السَّلَائِقِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الذِينَ إِلَى العِبَادَةِ تَجَرَّدُوا عَن العَلَائِقِ.

لِشَارِحِ هَذَا النَّظْمِ نَاظِمُهُ الْفَانِي دَعَا فَشَرَحْتُ أَوَّلًا لَسْتُ بِالثَّانِي (1)

01 تَيَمَّمَ نَجْدًا فِي تَلَهُّفِهِ الجَانِي يَؤُمُّ رَسُولَ الله لِلْإِنْسِ وَالْجَانِ

قَصَدَ مَرْتَبَةً عَالِيَةً مُرْتَفِعَةً فِي الدِّينِ وَالآخِرَةِ، فِي زَمَانِ تَنَدُّمِهِ وتَحَسُّرِهِ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ مِن التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ اللهِ ونَهْيِهِ، المفْسِدُ المتَعَدِّي عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ فِي حَالِ قَصْدِهِ المرْتَبَةَ، يَقْصِدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، الذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى الإِنْسِ كُلِّهِم، وَأَوْلَادِ الجَانِّ كُلِّهِمْ.

و"التَّيَمُّمُ": القَصْدُ. و"النَّجْدُ": المكَانُ المرْتَفِعُ، أَوْهَمَ بِهِ مَنَازِلَ بَنِي تَمِيمٍ المسَمَّى بِنَجْدٍ، وَرَشَّحَهُ بِالتَّيَمُّمِ، بَلْ سَيَأْتِي أَنَّ المدِينَةَ مِنْ نَجْدٍ.

وَ"الجَانِي": اسْمُ فَاعِلِ "جَنَى" بِمَعْنَى أَفْسَدَ وَتَعَدَّى، فَأَثْبَتَ يَاءَهُ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ لِلإِشْبَاعِ، بِخِلَافِ يَاءِ الإِشْبَاعِ فَجَرَتْ عَادَةُ الكُتَّابِ أَنْ لَا يَكْتُبُوهَا، كَيَاءِ "الجَانِ" آخِرَ البَيْتِ فَإِنَّهَا لِلْإِشْبَاعِ، وخَفَّفَ نُونَهُ لِلضَّرُورَةِ، وَهُوَ إِبْلِيسُ، فَيُقَدَّرُ مَضَافٌ؛ أَيْ: وَأَوْلَادِ الجَانِ. أَوْ سَمَّى الجِنَّ بِاسْمِ الجَدِّ لَهُمْ، كَمَا تُسَمَّى قَبَائِلٌ بِاسْمِ جَدِّهَا كَعَادٍ وَثَمُود. أَوْ هُوَ الجِنّ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّسَبِ، كَ: لَابِنٍ لِصَاحِبِ اللَّبَنِ، فَالجَانُّ جِنْسُ أَصْحَابِ الجَانِّ الذِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَهَكَذَا يُقَالُ لِعَامِلِ الفَخَّارِ أَوْ بَائِعِهِ فَخَّارٌ، بِاتِّفَاقِ لَفْظَيْ المنْسُوبِ وَالمنْسُوبِ إِلَيْهِ.

وَبَينَ "الجَانِي" وَ"الجَانِ" المخَفَّف جِنَاسٌ تَامٌ. وَ"الجَانِي": فَاعِلُ تَيَمَّمَ. وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ "لِلإِنْسِ" بِمَعْنَى "إِلَى" مُتَعَلِّقٌ بِـ "رَسُولِ". وَالهَاءُ فِي "تَلَهُّفِهِ" عَائِدَةٌ إِلَى "الجَانِي" بَعَدَهَا؛ لِأَنَّهُ في نِيَّةِ التَّقدِيمِ.

وَهَكَذَا السَّبْكُ: تَيَمَّمَ الجَانِي نَجْدًا فِي تَلَهُّفِهِ، آمًّا رَسُولَ اللهِ [2و] إِلَى الإِنْسِ وَالجَانِّ. فَـ"يَؤُمُّ": حَالٌ وَمَعْنَاهُ يَقْصِدُ، وَهَكَذَا أَخْتَصِرُ وَلَا أُطِيلُ.

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بن مَالِك بن النَّضْرِ بن كِنَانَةَ**

(1) كتَبَ المؤلف هذا البيت على الهامِشِ، وهو الذي ذكر صدره في [1و] وهو من نفسِ بحرِ القصِيدة ورَوِيِّها، يَذكُرُ فِيهِ سببَ إقدامه على شرح هذه القصيدة، وهو الظَّفرُ بالدُّعاءِ الذِي ضمَّنه النَّاظم قصيدتهُ في آخِرِها، ويقرُّ بأنَّهُ أوَّلُ من يقوم بشرحِها، فلم يطَّلِعْ على شرحٍ لها قبلُ.

ابْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ وَمَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنِي اللهُ فِي خَيْرِهِمَا. فَأُخْرِجْتُ مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ، فَلَمْ يُصِبْنِي شَيْءٌ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَخَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَسبًا، وَخَيْرُكُمْ أَبًا))[1].

ولُقِّبَ عبد المطَّلِبِ؛ لِأَنَّ المطَّلِب جَاءَ بِهِ مِن المدِينَةِ وَهُوَ طِفْلٌ، فَيَمُرُّ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: عَبْدٌ لِي. واسمُ عَبْدِ المطَّلِبِ شَيْبَةُ الحَمْدِ؛ لأَنَّهُ وُلِدَ وَفِيهِ شَعْرَةٌ بَيْضَاء. وَقِيلَ: اسْمُهُ عَامِرٌ وَيُكَنَّى أبَا الحَارِثِ، وَقِيلَ: أَبَا النَّطْحَاءِ[2]. وبَسَطْتُ الكلامَ على ذَلِكَ النَّسَبِ في "شَرْحِ لَامِيَّة ابْنِ النَّظْرِ[3]"[4]. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَى باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

02 فَيَا أَيُّهَا الْعَانِي تَيَقَّظْ مِنَ الْهَوَى وَبَادِرْ فَذُو التَّأْخِيرِ ذَاكَ هُوَ الْعَانِي

إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ للهِ رَسُولًا إِلَى الجِنِّ وَالإِنْسِ، فَاخْرُجْ مِنْ هَوَاكَ أَيُّهَا الأَسِيرُ إِلَى مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ، وَأَسْرِعْ إِلَيْهِ.

وَإِنْ قُلْتَ مَنْ هُوَ ذَلِكَ العَانِي؟ فَأَنَا أَقُولُ: صَاحِبُ التَّأْخِيرِ عَنِ الجنَّةِ، وَمَقَامَاتِ الخَيْرِ، البَعِيدُ عَنْهَا هُوَ العَانِي. أَوْ بَادِر لأَنَّ ذَا التَّأْخِيرِ ذَاكَ هُوَ العَانِي؛ فَالفَاءُ الأُولَى فِي جَوَابِ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ، وَالثَّانِيةُ كَذَلِكَ أَوْ لِلتَّعلِيلِ.

وَ"العَانِي": الأَسِيرُ؛ أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالذّنُوبِ وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهَا. وَسُمِّيَ الأَسِيرُ عَانِيًا؛ لِأَنَّهُ عَارِضٌ وَحَادِثٌ فِيمَنْ أَسَرُوهُ.

وشَبَّهَ الهَوَى بِالنَّومِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: تَيَقَّظْ؛ إِذْ كُلٌّ مِنَ النَّائِمِ وَصَاحِبِ الهَوَى لَا يَدْفَعُ الضُّرَّ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يَجْلُبُ النَّفْعَ.

---

(1) دلائل النبوة، البيهَقِي، 174/1.

(2) ينظر: أنساب الأشراف، البلاذري، 64/1-65.

(3) ابن النَّظر: أحمد بن سليمان بن عبد الله بن النضر (هكذا ضبط في معجم الأعلام) ت:690هـ من أهل سمائِل، قتله خردلة بن سماعة النَّبهاني، من مؤلَّفاتِهِ: الوصِيد في ذمِّ التَّقليد، ومنظومة الدَّعائِم في العقِيدة والفقه، قِيل فِيه: أشعر العلماءِ وأعلم الشُّعراءِ. معجم أعلام الإباضية، ص54.

(4) شرح لاميَّة ابن النَّظر في الولاية والبراءة المعروفة بـ: كشف الغمَّة، مخطوط من تأليف المؤلِّف، في جزئَيْنِ من (581و، 596و) على التَّرْتِيبِ، نسخته موجودة بمكتبة القطبِ ببني يَزقن، بالرَّمزِ: أث1ج1، أث1ج2 على الترتِيبِ. قام بتألِفيه بطلبٍ من العالم نور الدِّين فيْصَل بن حمُّود العماني، نقَلَ النَّاسِخُ في أوَّلِ النُّسخةِ نصَّ الرِّسالة التي طلب منه فيها شرح اللاميَّةِ مؤرَّخَةً بـ: 15 ربيع الآخِر 1300هـ. فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، ص114.

وَ"التَّأخِيرُ": فِعْلُ اللهِ؛ يُؤَخِّرُهُ عَزَّ وَعَلَا عَنِ الجَنَّةِ وَمَقَامَاتِ الخَيْرِ؛ لأَنَّهُ أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالمعَاصِي، أَوْ فِعْلُهُ هُوَ؛ أَيْ: يُؤَخِّرُ نَفْسَهُ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ.

وَ"ذَاكَ": لِلْبَعِيدِ، وَالمرَادُ بِالبُعْدِ سُوءُ المرتَبَة. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

03 فَحَتَّامَ لاَ تَلْوِي العِنَانَ مُقَارِنًا لِمَا دَلَّ مِنْ نَهْيٍ وَأَمْرٍ بِقُرْءَانِ

إِلَى أَيِّ وَقْتٍ لَا تَرُدُّ عِنَانَ فَرَسِكَ، الذِي هُوَ الهَوَى، عَمَّا يُسْرِعُ إِلَيْهِ بِكَ، حَالَ كَوْنِكَ، أَوْ كَوْنِ العِنَانِ مُقَارِنًا مُصَاحِبًا لِمَا دَلَّكَ عَلَى الرُّشْدِ مِنْ نَهْيٍ أَوْ أَمْر كَائِنَيْنَ بِقُرْآن.

الفَاءُ عَاطِفَةٌ، أَوْ فِي جَوَابِ شَرْطٍ؛ أَيْ: إِنْ تَكَاسَلْتَ فَإِلَى مَاذَا، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَيْ: حَتَّى مَاذَا تَبْقَى، أَوْ بِـ:"لَا" النَّافِيَّةِ، فَقَدَّمَهُ عَلَيْهَا لِلضَّرُورَةِ، لِأَنَّ مَعْمُولَ الحَرْفِ لَا يَسْبِقُهُ.

وَإِنَّمَا كُتِبَتْ "حَتَّى" بِالأَلِفِ لَا بِصُورَةِ يَاءٍ، لِدُخُولِهَا عَلَى مَا الاسْتِفْهَامِيَّة مُجَرَّدَةً عَنْ "ذَا"، وَكَذَا "إِلَى" وَ"عَلَى"، تَقُولُ: إِلَامَ وَعَلَامَ. وَ"مِنْ نَهْيٍ": بَيَانٌ لِـ"مَا" أَوْ لِلمُسْتَكِنِ فِي "دَلَّ"؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الدَّالَ هُوَ النَّهْيُ وَالأَمْرُ. وَبِـ"قُرْءَانِ": نَعْتٌ لَهُمَا؛ أَيْ: ثَابِتَيْنِ بِقُرْءَانٍ.

[2ظ] وَمَعْنَى مُقَارَنَةِ الإِنْسَانِ أَو العِنَانِ، للأَمْرِ وَالنَّهْيِ الدَّالَّيْنِ عَلَى الرَّشَادِ، مُتَابَعَةُ الأَمْرِ بِالِامْتِثَالِ وَالنَّهْيِ بِالِانْتِهَاءِ. وَمَعْمُولُ "دَلَّ" مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: دَلَّ عَلَى الرَّشَادِ.

وَقَدَّمَ النَّهْيَ لأَنَّ التَّخَلِّي قَبْلَ التَّحَلِّي، وَلِأَنَّهُ أَنْسَبُ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الهَوَى وَالأَسْرِ. وَلَوْ كَانَ الأَسْرُ وَالهَوَى أَيْضًا يَكُونَانِ بِمُخَالَفَةِ الأَمْرِ.

وَشَبَّهَ الهَوَى بِالفَرَسِ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ العِنَانِ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُر الهَوَى أَيْضًا. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

04 وَفِي دَائِمِ الأَوْقَاتِ تَتْبَعُ ذَا الْهَوَى وَنَفْسُكَ لاَ تهوَى سِوَى فِعْلِ عِصْيَانِ

وتَتْبَعُ هَذَا الهَوَى فِي الوَقْتِ دَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَنَفْسُكَ لَا تُحِبُّ إِلَّا فِعْلَ عِصْيَانٍ للهِ ﷻ.

وَ"دَائِمِ": نَعْتٌ لِمَحْذُوفٍ كَمَا رَأَيْتَ، وَالمقْصُودُ الاسْتِمْرَارُ، فَاعْتبر مِنْهُ حِصَّةَ مَا مَضَى، فَكَانَتْ إِضَافَتُهُ مَحْضَة، فَقَدّرْت المنْعُوتَ مَعْرِفَةً، وَإِنْ لَمْ يُعْتَبَر ذَلِكَ قدّرت نَكِرَة هَكَذَا: وَفِي وَقْتِ دَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَالإِضَافَةُ لِلتَّبْعِيضِ. وَ"دَائِم الأَوْقَاتِ" هُوَ نَفْسُهُ زَمَانُهُ المتَطَاوِلُ، وَهُوَ بَعْضٌ مِنْ جُمْلَةِ الزَّمَانِ.

وَيَجُوزُأَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِلِلمَوْصُوفِ؛ أَيْ: وَفِي الأَوْقَاتِ الدَّائِمَةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ وَأُضِيفَ أُفْرِدَ،فَذُكِرَ عَلَى إِرَادَةِ الجِنْسِ، فَهُوَبِمَعْنَى الجَمْعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَفِي دَوَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَيَتَعَلَّقُ بِـ"تَتْبَعُ" وَقُدِّمَ لِلضَّرُورَةِ.

وَ"ذَا": اسْمُ إِشَارَةٍ لِلهَوَى، وَأَشَارَ إِلَيْهِ إِشَارَةَ القُرْبِ لِلتَّهْوِينِ. وَ"الهَوَى": تَابِعٌ لِـ"ذَا". وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

05 إِذَا دُعِيَتْ لِلشَّرِّ قَرَّتْ وَأَثْبَتَتْ وَإِنْ دُعِيَتْ لِلْخَيْرِ فَرَّتْ كَغِرْبَانِ

إِذَا دَعَا الشَّيْطَانُ أَوْ غَيْرُهُ النَّفْسَ إِلَى الشَّرِّ، أَوْ مِنْ أَجْلِ الشَّرِّ، ثَبَتَتْ لَهُ، وَأَثْبَتَتْ لَهُ مَا يُحِبُّ مِنَ الشَّرِّ، وَهُوَ عِصْيَانُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا. وَإِنْ دَعَاهَا مَلَكُ الإِلْهَامِ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ آيَةٌ أَوْ حَدِيثٌ أَوْ وَعْظٌ، أَوْ أَثَرٌ إِلَى الخَيْرِ أَوْ مِنْ أَجْلِ الخَيْرِ، وَهُوَ طَاعَةُ اللهِ وَاجْتِنَابُ الحَرَامِ، فَرَّتْ عَنْ ذَلِكَ الخَيْرِ كَفِرَارِ الغِرْبَانِ، وَهِيَ أَبْعَدُ طَائِرٍ وَأَوْحَشُهُ عَنِ النَّاسِ.

ذَكَرَ الشَّرَّ بِإِذَا لِكَثْرَتِهِ، فَكَانَ بِصِيغَةٍ لَا تُشْعِرُ بِالشَّكِّ، بَلْ تَنْبَنِي عَلَى رَسْمِ التَّحَقُّقِ، بِخِلَافِ الخَيْرِ فَكَانَ بِإِن الشَّكِّيَّةِ. وَالدِّينُ وَالقُرْآنُ وَالحَدِيثُ وَالآثَارُ وَالوَعْظُ مَبْسُوطَةٌ، لَكِنْ قَدْ لَا يَتَعَرَّضُ لِلإِنْسَانِ قِرَاءَةُ القُرْآنِ مَثَلًا، أَو اسْتِمَاعُهُ.

[3و] وَمَفْعُولُ "أَثْبَتَتْ" مَحْذُوفٌ كَمَا رَأَيْتَ؛ أَيْ: أَثْبَتَتْ مَا دُعِيَتْ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ، أَوْ أَثْبَتَتْ نَفْسَهَا لَهُ، أَوْ لَا مَفْعُولَ لَهُ، بِمَعْنَى صَارَتْ ذَاتَ ثَبَاتٍ. وَلَعَلَّ النُّسْخَةَ: أَذْعَنَتْ.

وَ"غِرْبَان": بِكَسْرِ الغَينِ جَمْعُ غُرَابٍ وَهُوَ بِمُعْجَمَةٍ، وَكَذَا "العِنَانُ": بِمُهْمَلَةٍ بِمَعْنَى الزِّمَامِ لِلْفَرَسِ، هُوَ بِالكَسْرِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

06 لَقَدْ أَسْرَفَتْ فِي كُلِّ بَغْيٍ وَأَشْرَفَتْ عَلَى مَهْبِطٍ لاَ يُسْتَقَالُ وَغِيرَانِ

وَاللهِ لَقَدْ أَكْثَرَتِ النَّفسُ الوُقُوعَ فِي كُلِّ مُجَاوَزَةِ الحُدُودِ، حُدُودِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَاسْتَعْلَتْ بِجَانِبِ مَوْضِعٍ مُسْتَفِلٍ مُهْلِكٍ، لَا يُرَدُّ مِنْهُ مَنْ وَقَعَ فِيهِ، وَعَلَى هَوَاتٍ أَيْضًا فِي ذَلِكَ المهْبِطِ.

وَ"أَسْرَفَتْ": أَوَّلًا بِالسِّينِ المهْمَلَةِ، وَبَعْدَ الرَّاءِ فَاءٌ. وَ"أَشْرَفَتْ" ثَانِيًا آخِرَ الشَّطْرِ الأَوَّلِ هُوَ بِالشِّينِ المعْجَمَةِ وَبَعْدَ الرَّاءِ فَاءٌ أَيْضًا مِنْ قَوْلِكَ: أَشْرَفَ عَلَيْهِ، بِمَعْنَى عَلَا عَلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ.

وَ"المهْبِطُ": نَارُ الآخِرَةِ. وَ"الغِيرَانُ": أَجْبَابُهَا وَآبَارُهَا وَأَوْدِيَتُهَا. جَعَلَ مُقَارَفَةَ الذُّنُوبِ إِشْرَافًا عَلَى النَّارِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُ النَّارِ، أَوْ جَعَلَهَا إِشْرَافًا عَلَى الخِذْلَانِ، إِذْ هِيَ سَبَبُهُ. وسَمَّى الخِذْلَانَ مَهْبِطًا لمضَرَّتِه، وَلِأَنَّه مُوجِبُ مَهَاوِي النَّارِ.

وَ"مَهْبِطٌ": بِفَتْحِ الميمِ وَكَسْرِ البَاءِ اسْمٌ لِمَكَانِ الهُبُوطِ. وَ"الغِيرَانُ" بِكَسْرِ الغينِ جَمْعُ غَارٍ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

07 وَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ تَطْمَئِنُّ لِإِحْسَانِ

وَنَفْسُكَ نَفْسٌ أَمَّارَةٌ بِالمعَاصِي كَثِيرَةُ اللَّومِ، أَوْ عَظِيمَتُهُ، لِمَنْ نَهَاهَا عَنِ السُّوءِ، فَلَا تَسْكُنُ لِإِحْسَانٍ، وَهُوَ الطَّاعَةُ، بَلْ تَضْطَرِبُ عَنْهُ.

فـ"أَمَّارَةٌ": خبَرٌ لمَحْذُوف كمَا رَأَيْتَ، وَهُوَ مُبَالَغَةُ تَكْثِيرٍ أَوْ تَعْظِيمٍ، وَمَنْ أَجَازَ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ فِي مَعْنَيَيْهِ مَعًا، أَوْ مَعَانِيهِ أَجَازَ قَصْدَ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ مَعًا، وَكَذَا فِي لَوَّامَةٍ، وَالأَوْلَى مُبَالَغَةُ التَّعْظِيمِ هَكَذَا، فَيَشْملُ مَا كَانَ بِإِكْثَارٍ وَمَا بِتَشْدِيدٍ فِي الفِعْلِ، فَلَا يَكُونُ اسْتِعْمَالًا لَهُ فِي مَعْنَيَيْهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ "أَمَّارَة": مُبْتَدَءًا خَبَرُهُ: "لَوَّامَةٌ" أَوْ خَبَرُهُ مَا بَعْدَ الفَاءِ، عَلَى قَوْلِ جَوَازِ زِيَادَةِ الفَاءِ فِي الخَبَرِ مُطْلَقًا، أَوْ خَبَرُهَا "إِذَا" وَشَرْطُهَا وَجَوابُهَا. وَ"اللَّوْمُ": العِتَابُ وَعَدَمُ القبُولِ.

[3ظ] وَالمرَادُ بِالبَيْتِ وَالأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ وَالآتِيَةِ نَفْسُهُ، جَرَّدَ مِنْ نَفْسِهِ إِنْسَانًا يُخَاطِبُهُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

08 إِذَا أَزْمَعَتْ شَرًّا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا إِلَى الْخَيْرِ إِخْوَانُ الرِّضَاءِ بِإِتْقَانِ

إِذَا قَصَدَتْ مَعْصِيَةً بِتَصْمِيمٍ وَعَزْمٍ شَدِيدٍ، فَلَيْسَ الشَّأْنُ يُؤَثِّرُ فِيهَا وَعْظُ إِخْوَانِ الرِّضَا وَزَجْرُهُمْ لَهَا عَنْهَا، بِإِتْقَانِ الرَّدِّ، فَإِنْ أَثَّرُوا فِيهَا فَبَعْضَ تَأْثِيرٍ، لَا كَامِل، لِشِدَّةِ حُبْتِهَا.

وَزَمْعُ الشَّيْءِ: القَطْعُ بِهِ. وَ"لَيْسَ" هُنَا لِلاسْتِقْبَالِ لَا لِلْحَالِ، بِدَلِيلِ وُقُوعِهَا جَوَابًا لِـ"إِذَا".

وَأَرَادَ بِالإِخْوَانِ: الإِخْوَانَ فِي الدِّينِ، بِدَلِيلِ إِضَافَتِهِمْ لِلرِّضَاءِ؛ أَيْ: إِخْوَانُ قُبُولِ أَمْرِ اللهِ وَالتَّأَثُّرِ بِهِ، وَهُوَ بِالمدِّ لُغَةٌ، وَالقَصْرُ أَفْصَحُ، كَذَا قِيلَ.

وَالوَاضِحُ أَنَّ المدَّ عَلَى مَعْنَى المفَاعَلَةِ مِنْ رَاضَى بِوَزْنِ فَاعَلَ، بِأَلِفٍ وَفَتْحِ العَيْنِ، فَالمعْنَى: الإِخْوَانُ الذِينَ تَرَاضَوْا بَعْضٌ بِبَعْضٍ، أَوْ تَرَاضَوا مَعِي فَبَعْضٌ رَضِيَ بِبَعْضٍ وَوَافَقَهُ. وَ"الإِتْقَانُ": الضَّبْطُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

09 وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ فِي بَابِهَا انْثَنَى أَبُو مُرَّةٍ يثْنِيهِ غَايَةَ إِمْكَانِ

وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ عَلَى الأُذنِ أَو العَيْنِ أَو القَلْبِ، عَطَفَ إِبْلِيسُ عَلَيْهِ بِالرَّدِّ عَنْهَا لَهُ رَدًّا عَظِيمًا، بَالِغًا غَايَةَ إِمْكَانٍ.

وَأَرَادَ بِفِعْلِ الخَيْرِ مَا يَشْملُ قَوْلَ الخَيْرِ، فَالمرَادُ بِفِعْلِ الخَيْرِ العِبَادَةُ، وَالأُذُنُ وَالعَيْنُ مِنْ أَبْوَابِهَا، إِذَا سَمِعَتْ مَنْ فَعَلَ كَذَا أَوْ قَالَهُ، أَوْ رَأَتْ فِي الكِتَابِ مَنْ فَعَلَ كَذَا أَوْ قَالَهُ أَوْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِهَا قَوْلُ طَاعَةٍ أَوْ فِعْلُ طَاعَةٍ، أَوْ يَجِبُ فِعْلُ كَذَا أَوْ قَوْلُهُ أَوْ يُسْتَحَبُّ، لَمْ يتْرُكْهَا إِبْلِيسُ تَفْعَلُ أَوْ تَقُولُ.

شَبَّهَ حُضُورَ فِعْلِ الخَيْرِ بِالخُطُورِ أَو السَّمْعِ أَو الرُّؤْيَةِ، بِمُرُورِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ يَخْطُرُ أَوْ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ فَيَغِيبُ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا فِي الحَافِظَةِ فَسَمَّاهُ مُرُورًا.

وَ"فِي": عَلَى ظَاهِرِهَا، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا أَوْ رَأَيْتَهُ، فَقَدْ تَحْصُلُ صُورَتُهُ فِي الأُذُنِ وَالبَصَرِ بِوَاسِطَةِ القَلْبِ وَبِالعَكْسِ، أَوْ بِمَعْنَى البَاءِ الإِلْصَاقِيَّةِ.

وَ"انْثَنَى": عَطَفَ. وَأَبُو مُرَّةَ: كُنْيَةُ إِبْلِيسَ، ولَكِنَّ المرَادَ بِهِ مُطْلَقُ الشَّيْطَانِ، تَسْمِيَةً لِلْمَأْمُورِ باسْمِ الآمِرِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ هُوَ الآمِرُ لِلشَّيَاطِينِ بِالصَّرْفِ عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ.

وَلَيْسَ إِبْلِيسُ يَصِلُ الخَلْقَ كُلَّهُمْ بِنَفْسِهِ، بَل الأَكْثَرُ غَيْرُهُ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَسْنَدَ الانْثِنَاءَ وَالثَّنْيَ إِلَى إِبْلِيسَ، وَالمرَادُ شَيَاطِينُهُ، إِسْنَادًا لِمَا لِلْمَأْمُورِ إِلَى الآمِرِ.

وَجَرَّ "مُرَّةَ" بِالكَسْرِ وَنَوَّنَهُ، مَعَ أَنَّهُ جُزْءُ عَلَمٍ يَسْتَحِقُّ مَنْعَ الصَّرْفِ؛ لِلتَّأْنِيثِ وَحِصَّتِهِ فِي العَلَمِيَّةِ لِلضَّرُورَةِ. وَبَعْضٌ يَصْرِفُهُ؛ [4و] لِأَنَّهُ جُزْءُ عَلَمٍ لاَ عَلَمٌ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَمًا ثُمَّ جُعِلَ جُزْءَ عَلَمٍ فَإِنَّهُ يُمْنَعُ الصَّرْفَ، كَمَا فِي هَذَا اللَّفْظِ، إِذَا قُلْنَا إِنَّ مُرَّةَ مِنْ أَوْلَادِهِ.

وَ"غَايَة": مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِيثْنِيهِ ثَنْيًا عَظِيمًا جِدًّا. وَمُتَعلّقُ "انْثَنى" مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: انْثَنَى عَلَيْهِ؛ أَيْ: عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ، أَو انْثَنَى عَلَيْهَا؛ أَيْ: عَلَى النَّفسِ. وَكَذَا مَعْمُولُ "يَثْنِيهِ"؛ أَيْ: يَثْنِي فِعْلَ الخَيْرِ عَنْهَا؛ أَيْ: يَصْرِفُهُ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

10 إِلَى اللهِ أَشْكُو مَا أُلاَقِيهِ مِنْهُمَا وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللهِ أُظْهِرُ أَحْزَانِي

أَشْكُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، لَا إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ مَا أُلَاقِيهِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ أَبِي مُرَّةَ.

وَلَيْسَ الشَّأْنُ أُظْهِرُ أَحْزَانِي لِغَيْرِ اللهِ. فَالهَاءُ فِي "مِنْهُمَا" عَائِدٌ إِلَى النَّفْسِ وَأَبِي مُرَّةَ. وَالضَّمِيرُ فِي "لَيْسَ" لِلشَّأْنِ. وَ"أَحْزَانِي": جَمْعُ حُزْنٍ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

11 فَقَدْ عَدَلاَ بِي عَنْ رَشَادِيَ وَالْهُدَى وَقَدْ نَزَلاَ بِي فِي حَضِيضٍ تَوَلَّانِي

لِأَنَّهُمَا أَمَالَانِي عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَأَنْزَلَانِي فِي هُوَّةٍ تَوَلَّتْنِي.

وَالفَاءُ تَعْلِيلٌ لِأَشْكُو، وَالبَاءُ فِي "عَدَلَا بِي" وَ"نَزَلَا بِي": لِلتَّعْدِيَةِ؛ أَيْ: أَعْدَلَانِي وَأَنْزَلَانِي.

وَ"الرَّشَادُ" وَ"الهُدَى": مُتَابَعَةُ دِينِ اللهِ؛ فَإِنَّهَا رَشَادٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صَلَاحٌ لَا سَفَهٌ، وَهُدًى مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَخْلِيصٌ عَن الهَلَاكِ.

وَ"الحَضِيضُ": الهُوَّةُ. وَأَلِفُ "تَوَلَّانِي" بَدَلٌ مِنْ لَامِ الكَلِمَةِ، لَا ضَمِيرٌ، وَفِي "تَوَلَّى" ضَمِيرٌ عَائِدٌ لِلْحَضِيضِ، وَلَوْ كَانَ ضَمِيرَ تَثْنِيَةٍ لَقَالَ تَوَلَّيَانِي. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

12 هُمَا لَعِبَا بِي مِثْلَ مَا لَعِبَ الطِّلَاَ بِعَطْفَيْ صَبُوءٍ ذِي انْعِطَافٍ وَصِبْيَانِ

هُمَا تَصَرَّفَا بِي فِي سَفَهٍ، كَمَا تَصَرَّفَ الخَمْرُ بِجَنْبَي رَجُلٍ مَائِلٍ مَيْلًا عَظِيمًا، صَاحِبِ انْعِطَافٍ إِلَى كُلِّ مَا أَمْكَنَهُ، وَكَلَعِبِ صِبْيَانٍ بِكُورَةٍ وَنَحْوِهَا.

فَهُوَ مُنْهَمِكٌ فِي المعَاصِي مُتَكَثِّرٌ مِنْهَا، لَا يَحْذَرُ مِنْهَا شَيْئًا، كَمَا أَنَّ السَّكْرَانَ بِالخَمْرِ يَهْذِي بِمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَحْذَرُ. وَكَمَا أَنَّ الصِّبْيَانَ يَعْمَلُونَ وَيَقُولُونَ مَا يَشَاءُونَ بِلَا حَذَرٍ.

وَ"الطِّلَاَ": بِكَسْرِ الطَّاءِ الخَمْرُ، وَهُوَ مَمْدُودٌ قُصِرَ لِلضَّرُورَةِ. وَ"العَطْفُ": الجَنْبُ، وَالسَّكْرانُ يَمِيلَ بِجَنْبَيْهِ. وَ"صَبُوءٍ": بِفَتْحِ الصَّادِ، مُبَالَغَةٌ فِي الميْلِ. وَ"صِبْيَانُ": مَعْطُوفٌ عَلَى مَصْدَرِ لَعِبَ، عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ [4ظ]؛ أَيْ: وَلَعِبِ صِبْيَانٍ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

13 هُمَا اسْتَخْدَمَا الأَعْضاءَ مِنّيَ بِالذي يُرِيدَانِ مِنْ كَيْدِي وَذُلّي وَطُغْيَانِ

يَصْرِفَانِ أَعْضَائِي بِكُلِّ مَا يُرِيدَانِ مِنْ إِهْلَاكِي وَذُلِّي وَمُجَاوَزَتِي حُدُودَ اللهِ. وَ"مِنّيَ": بِفَتْحِ اليَاءِ، حَالٌ مِنَ الأَعْضَاءِ. وَ"بِالذِي": يَتَعَلَّقُ بِـ "يَسْتَخْدِمَانِ" وَالبَاءُ عَلَى أَصْلِهَا أَوْ بِمَعْنَى فِي، أَوْ لِلسَّبَبِيَّةِ أَوْ لِلتَّعْلِيلِ. وَرَابِطُ الصِّلَةِ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: يُرِيدَانِهِ. وَ"مِنْ كَيْدِي" إلخ، بَيَانٌ لِلَّذِي أَوْ لِرَابِطِهِ.

وَ"الكَيْدُ": الإِهْلَاكُ بِالحِيلَةِ، وَهَلَاكُ الآخِرَةِ الذَّهَابُ إِلَى النَّارِ، وَهَلَاكُ الدُّنْيَا الخُرُوجُ عَن الدِّينِ، وَكِلَاهُمَا شَبِيهٌ بِالموْتِ لِعَدَمِ التَّحَرُّزِ عَنِ السُّوءِ، وَعَدَمِ جَلْبِ نَافِعٍ.

والذُّلُّ بِمُخَالَفَةِ الدِّينِ فإنَّ العَاصِي ذَلِيلٌ، وَلَوْ تَصَوَّرَ بِالعِزِّ، وَمَغْلُوبٌ وَلَوْ تَصَوَّرَ بِالغَلَبَة. وَالذُّلُّ أَيْضًا فِي الموْتِ وَالقَبْرِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَيُرِيدُ النَّاظِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي اللَّفْظَيْنِ لِأَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ صَالِحَانِ لِلكَثْرَةِ، وَمَعَانِي كُلٍّ مِنْهُمَا مُتَّحِدَةُ المفْهُومِ، فَصَحَّ إِرَادَتُهَا كُلَّهَا مَرَّةً. و"الطُّغْيَانُ": المبَالَغَةُ فِي المعْصِيَةِ. وَلَا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

14 لِسَانِيَ فِي لَغْوٍ خِصَامٍ وَغَيْبَةٍ وَمَيْنٍ عَلَى الإِطلاَقِ فِي كُلِّ أَزْمَانِ

لِسَانِي مَسْتَغْرِقٌ فِي مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ لِانْتِفَاءِ نَفْعٍ دُنْيَوِيٍّ مُبَاحٍ، وَنَفْعٍ دِينِي، مُسْتَغْرِقٌ فِي خِصَامٍ لأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ بِلَا نَفْعٍ مُبَاحٍ، وَلأَمْرٍ دِينِيٍّ بِلَا قَصْدٍ لِوَجْهِ اللهِ، بَل لِلتَّرَفُّعِ. وَفِي ذِكْرِ المؤْمِنِ الموَفِّي بِالدِّينِ، وَالمُوَحِّدِ الذِي لَا يُدْرَى حَالُهُ، وَالعَاصِي لَا لِأَجْلِ عِصْيَانِهِ، بِمَا يَكْرَهُونَ مِمَّا هُوَ فِيهِمْ. وَفِي كَذِبٍ عَلَى الإِطْلَاقِ فِي كُلِّ أَزْمَانٍ، لَا أَخُصُّ كَذِبًا مِنَ الكَذِبِ، وَلَا زَمَانًا مِنَ الأَزْمَانِ.

وَ"فِي لَغْوٍ": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا، لَا وُجُوبًا، لِكَوْنِهِ كَوْنًا خَاصًّا؛ أَيْ: مُسْتَغْرِقٌ أَوْ رَاسِخٌ أَوْ ثَابِتٌ، بِمَعْنَى رَاسِخٌ غَيْرُ مُتَزَلْزِلٍ، لَا ثَابِتٌ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الحُصُولِ، لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ هَضْمِ نَفْسِهِ فِي هَذَا البَيْتِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، وَمَقَامِ التَّضَرُّعِ إِلَى رَبِّهِ، لَعَلَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَرْحَمُهُ.

وَ"خِصَامٍ" وَمَا بَعْدَهُ: بَدَلٌ مِنْ "لَغْوٍ"، بَدَلٌ مُطَابِقٌ فَ"لَغْو" مُنَوَّنٌ.

وَ"عَلَى الإِطْلَاقِ": نَعْتُ مَيْنٍ، وَ"فِي كُلِّ أَزْمَانٍ": مُتَعَلِّقٌ بِـ"لَغْوٍ"، وَفُصِلَ بِالإِبْدَالِ لِلضَّرُورَةِ. أَوْ تَنَازَعَهُ "خِصَامٍ" وَ"غَيْبَةٍ" وَ"مَيْنٍ" وَعَمِلَ فِيهِ "مَيْنٍ" فَيُقَدَّرُ: خِصَامٍ فِيهَا وَغَيْبَةٍ [5و] فِيهَا؛ أَيْ: فِي كُلِّ أَزْمَانٍ. أَوْ عَلقَ بِـ"خِصَامٍ"، وَيُقَدَّرُ: فِيهَا لِغَيْبَةٍ، وَلِمَيْنٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا لِلضَّرُورَةِ، أَوْ بِـ"غَيْبَةٍ"، فَيُقَدَّرُ: لِخِصَامٍ عَلَى الأَصْلِ، وَلِمَيْنٍ لِلضَّرُورَةِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

15 وَأُحْسِنُ أَقْوالِي إِذَا كُنتُ نَاطِقًا بِمَا لَيْسَ يعْنِي مِنْ مَقَالَةِ إِنْسَانِ

أُحْسِنُ تَلَفُّظَاتِي، إِذَا كُنْتُ مُتَلَفِّظًا، تَلَفُّظِي بِمَا لَيْسَ يَعْنِينِي مِنْ تَلَفُّظِ إِنْسَانٍ، أَيِّ إِنْسَانٍ، كَانَ مِمَّا لَيْسَ فِي نَفْسِهِ ذَنْبًا، لَكِنْ لَا نَفْعَ فِيهِ دِينِيٌّ وَلَا دُنْيَوِيٌّ.

وَ"أَقْوَالِي": بِمَعْنَى تَلَفُّظَاتِي، اسْتِعْمَالٌ لِلْمُقَيَّدِ فِي المطْلَقِ، عَلَى أَنَّ القَوْلَ يَخْتَصُّ بِالموْضُوعِ، وَاللَّفْظَ لَهُ وَلِلْمُهْمَلِ. وَ"إِذَا": ظَرْفٌ خَارِجٌ عَنِ الصَّدْرِ وَالشَّرْطِ مُتَعَلِّقٌ بِأَقْوَالِي، وَفَائِدَتُهُ تَعْمِيمُ أَوْقَاتِ النُّطْقِ. وَ"بِمَا": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا خَبَرُ المبْتَدَأ؛ أَيْ: تَلَفُّظِي بِمَا لَيْسَ يَعْنِي. وَجَمَعَ القَوْلَ، مَعَ أَنَّهُ مَصْدَرٌ يَصْلُحُ لِمَعْنَى الجَمْعِ بِلَا جَمْعٍ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنْواعِ القَوْلِ.

وَمَعْنَى "يعْنِي": يَعْرِضُ؛ أَيْ: لَيْسَ يَعْرِضُ لِفَائِدَةٍ، بَلْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَقَامِ العِبَادَةِ وَالعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ، فَأَقْصِدُهُ أَنَا وَأَتَعَرَّضُ لَهُ، لَا هُوَ إِيَّايَ. وَ"مَقَالَةُ": مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ بِمَعْنَى القَوْلِ.

وَقَد اخْتَلَفُوا فِي إِلْحَاقِ التَّاءِ فِي المصَادِرِ الميمِيَّة وَأَسْمَاءِ المكَانِ وَأَسْمَاءِ الزَّمَانِ الميمِيَّةِ، فَقِيلَ: بِالقِيَاسِ لِكَثْرَةِ الوُرُودِ، وَقِيلَ: لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ. أَمَّا مَقَالَةٌ فَقَدْ وَرَدَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِإِنْسَانٍ نَفْسَهُ، أَظْهَرَ وَنَكَّرَ لِتَحْقِيرِ نَفْسِهِ هَضْمًا، وَتَضَرُّعًا إِلَى غَفَّارِ الذُّنُوبِ، وَسَتَّارِ العُيُوبِ وَكَاشِفِ الكُرُوبِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

16 وَعَيْنِيَ كَمْ أَبْدَى لَهَا الدَّهْرُ عِبْرَةً فَلَمْ تَنْزَجِرْ إِذْ خَوْفُ رَبِّيَ أَعْيَانِي

وَعَيْنِي كَمْ مَرَّةً أَظْهَرَ لَهَا اللهُ فِي الزَّمَانِ مَا تَنْتَقِلُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَى تَوْبَةٍ، وَمِنْ قَسْوَةٍ إِلَى خُشُوعٍ، وَمِنْ كَسَلٍ إِلَى نَشَاطٍ فِي العِبَادَةِ، وَهُوَ زَوَاجِرُ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَكَلَامُ العُلَمَاءِ وَحَوَادِثُ الدَّهْرِ، وَنِقْمَاتٌ مِنَ العُصَاةِ مُشَاهَدَة وَمَسْمُوعَة، فَلَمْ أَنْزَجِرْ وَلَمْ أَعْتَبِرْ وَقْتَ خَوْفِ رَبِّي أَعْجَزَنِي [5ظ] أَنْ أَنَالَهُ وَأَرْسَخَ فِيهِ.

وَأَرَادَ بِالعَيْنِ جِنْسَهَا مِنْهُ، فَشَمِلَت العَيْنَيْنِ، أَوْ أَرَادَ الوَاحِدَةَ هَكَذَا، مُشِيرًا إِلَى أَنَّ الوَاحِدَةَ تَكْفِي فِي الِاعْتِبَارِ، فَكَيْفَ اثْنَتَانِ. وَتَمْيِيزُ "كَمْ" الخَبَرِيَّةِ مَحْذُوفٌ مَجْرُورٌ؛ أَيْ: كَمْ مَرَّة، فَكَمْ: ظَرْفُ زَمَانٍ لِإِضَافَتِهِ إِلَى مَا جُعِلَ اسْمًا لِلزَّمَانِ، وَهُوَ مَرَّةٌ وَأَصْلُهُ المرَّةُ، وَاحِدَةٌ مِنَ المرُورِ.

وَ"أَبْدَى": أَظْهَرَ. وَ"الدَّهْرُ": فَاعِلٌ، وَإِسْنَادُ الإِبْدَاءِ إِلَيْهِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ مِنَ الإِسْنَادِ إِلَى الزَّمَانِ، كَقَوْلِكَ: صَامَ يَوْمُ زَيْدٍ، بِرَفْعِ يَوْمِ. أَوْ يُقَدَّرُ مُضَافٌ؛ أَيْ: خَالِقُ الدَّهْرِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: ((**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللهُ**))[1] إِنَّ فَاعِلَ مَا تَسْنِدُونَ إِلَى الدَّهْرِ هُوَ اللهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾[2].

وَ"العِبْرَةُ": أَصْلُهُ التَّجَاوُزُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَأَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى الشَّيْءِ المتَجَاوَزِ عَلَيْهِ. وَالعِبْرَةُ زَاجِرَةٌ إِلَّا أَنَّ نَفْسَهُ لَمْ تَنْزَجِرْ لَهَا.

وَإِسْنَادُ الانْزِجَارِ إِلَى العَيْنِ عَلَى طَرِيقِ السَّلْبِ تَجَوُّزٌ فِي الإِسْنَادِ، وَحَقِيقَتُهُ لِصَاحِبِ النَّظْمِ، وَذَلِكَ مِنَ الإِسْنَادِ إِلَى الآلَةِ، وَإِلَى البَعْضِ الذِي لَهُ مَزِيَّةٌ فِي شَأْنِ هَذَا الإِسْنَادِ.

وَ"إِذْ": ظَرْفٌ وَهِيَ التِي شهرَ كَوْنُهَا لِلتَّعْلِيلِ، وَإِنَّمَا التَّعْلِيلُ مِنْ عَرَضٍ، لَا بِوَضْعِهَا لَهُ؛ فَمَعْنَى: أَكْرِمْ زَيْدًا إِذْ أَكْرَمَكَ، أَكْرِمْهُ وَقْتَ اِتِّصَافِهِ بِالإِكْرَامِ، وَالِاتِّصَافُ مُمْتَدٌّ إِلَى وَقْتِ التَّكَلُّمِ وَمَا بَعْدَهُ. وَفِي ذِكْرِ الوَقْتِ مُضَافًا لِلإِكْرَامِ تَلْوِيحٌ بِأَنَّ العِلَّةَ إِكْرَامُهُ إِيَّاكَ. وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾[3]؛

(1) صحيح مسلم، حديث (5).

(2) سورة يس: 19.

(3) سورة البقرة: 54.

أَيْ: اذْكُرْ وَقْتَ قَوْلِ مُوسَى لِقَوْلِهِ. وَلَا يُقَالُ فِي هَذِهِ تَعْلِيلٌ، وَلَكِن مَا بَعْدَهَا المرادُ بِالذِّكْرِ. فَفِي البَيْتِ: خَوْفُ اللهِ أَعْيَاهُ فِي وَقْتٍ لَمْ يَنْزَجِرْ، وَإِعْيَاءُ خَوْفِ اللهِ إِيَّاهُ عِلَّةُ عَدَمِ الِانْزِجَارِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

17 وَأُذْنِيَ لاَ تَصْغَى لِخَيْرٍ كَأَنَّمَا لَهَا الوَقْرُ عنْ ذِكْرٍ شَرِيفٍ وَقُرْآنِ

وَأُذْنِي لَا تَسْتَمِعُ لِخَيْرٍ، وَهُوَ المَوَاعِظُ وَالزَّوَاجِرُ، وَإِنْ سَمِعَتْ فَلَا اسْتِمَاعَ، بَلْ سَمِعَتْ دُونَ أَنْ تَعْمَلَ إِلَى السَّمْعِ. فَهِيَ كَالأُذُنِ الثَّقِيلَةِ السَّمْعِ فِي قِلَّةِ السَّمْعِ، إِذْ كَانَتْ لَا تَقْصِدُ السَّمْعَ، فَكَأَنَّمَا ثَقُلَ سَمْعُهَا عَنْ كَلَامٍ عَظِيمٍ يُسَمَّى ذِكْرًا، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَذْكُورٌ عِنْدَ الملَائِكَةِ وَالمؤْمِنِينَ، أَوْ أَنَّهُ مُذَكِّرٌ لِسَامِعِهِ. وَيُسَمَّى قُرْآنًا لِأَنَّهُ قُرِنَتْ آيَاتُهُ أَوْ جُمِعَتْ بَعْضٌ بِبَعْضٍ، آيَةُ المؤْمِنِينَ بَعْدَهَا آيَةُ الكَافِرِ، وَآيَةُ الكَافِرِينَ بَعْدَهَا آيَةُ المؤْمِنِينَ. وَالمرَادُ بِالأُذُنِ: جِنْسُ الأُذُنِ الصَّادِقِ فِيهِ، فَشَمِلَ الأُذُنَيْنِ مَعًا.

وَ"لَا تَصْغَى": لَا تَسْتَمِعُ، وَ"الوَقْرُ": ثِقَلُ السَّمْعِ، وَ"عَنْ ذِكْرٍ": مُتَعَلِّقٌ بِالوَقْرِ. وَالذِّكْرُ الشَّرِيفُ وَالقُرْآنُ: كِتَابُ اللهِ المعْهُودُ وَإِنَّمَا نَكَّرَهُمَا لِلتَّعْظِيمِ.

[6و] وَذَكَرَهُ بِاسْمَيْنِ لِاخْتِلَافِ مَفْهُومَيْهِمَا، وَلَوْ اتَّحَدَا لَمَا صَدَقَ؛ كَقَوْلِكَ: جَاءَ زَيْدٌ الشَّاعِرُ وَالكَاتِبُ؛ أَيْ: الجَامِعُ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالكِتَابَةِ. أَوْ أَرَادَ أَنَّ أُذُنَهُ لَا تَسْتَمِعُ لِخَيْرٍ سَمَاعَ قُبُولٍ وَتَأَثُّرٍ، وَإِن اسْتَمَعَ فَغَيْرُ اسْتِمَاعِ قُبُولٍ وَتَأَثُّرٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

18 وَلِي قَدَمٌ لَوْ قُدِّمَتْ لِظُلَامَةٍ لَطَارَتْ كَنَسْرٍ ذِي قُوَا وَكَعُقْبَانِ

وَلِي عَمَلٌ صَالِحٌ، لَوْ أُحْضِرَ مِنْ أَجْلِ ظُلَامَةٍ ظَلَمْتُهَا غَيْرِ[ي] لِيُجَازَى بِهَا عَنْ ظُلَامَتِهِ لَطَاشَ وَلَمْ يَفِ بِهَا، كَمَا يَطِيشُ مِنَ الأَرْضِ مَثَلًا بِالطَّيَرَانِ، نَسْرٌ صَاحِبُ قُوَاتٍ عَلَى الطَّيَرَانِ، وَكَمَا يَطِيرُ عُقَابٌ ذِي قُوَاتٍ كَذَلِكَ.

وَ"القَدَمُ": مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِاسْمِ آلَتِهِ، فَإِنَّ القَدَمَ آلَةٌ فِي الجُمْلَةِ لِلعَمَلِ، وَ"القَدَمُ": السَّبْقُ، وَ"القَدَمُ": مَا قَدَّمْتَهُ أَمَامَكَ، وَعَمَلُ الإِنْسَانِ سَابِقٌ عَنْ يَوْمِ الحِسَابِ، وَمُقَدَّمٌ لَهُ. وَ"الظُّلَامَةُ": المظْلِمَةُ مِنْ جُمْلَةِ الظُّلْمِ كَقُلَامَةٍ وَقُمَامَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَخَصُّ مِنَ المظْلِمَةِ وَالظُّلْمِ، وَأَنَّها المظْلِمَةُ بِقَيْدِ كَوْنِهَا تُطْلَبُ مِنَ الظَّالم.

وَ"قُوَا": بِضَمِّ القَافِ وَتَخْفِيفِ الوَاوِ بَعْدَهَا أَلِفٌ لَا بِصُورَةِ يَاءٍ؛ لِأَنَّها فِي ثُلَاثِيٍّ عَنْ وَاوٍ، وَهُوَ جَمْعُ قُوَّةٍ بِوَاوٍ مُشَدَّدَةٍ، كَعُرْوَةٍ وَعُرًا، لَمَّا فُتِحَت الأُولَى قُلِبَت الثَّانِيةُ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهَا بَعْدَ فَتْحٍ.

وَ"عُقْبَانٍ": بِالضَّمِّ جَمْعُ عُقَابٍ، وَكُلٌّ مِنَ النَّسْرِ وَالعُقَابِ طَائِرٌ مَعْرُوفٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

19 ولَو أَنَّنِي يَوْمًا أُنَادِي لِقُرْبَةٍ لَكُنْتُ كَذِي عَجْزٍ لِمَانِعِ قُرْبَانِ

وَلَوْ ثَبَتَ نِدَائِي النَّاسَ يَوْمًا، إِلَى شَيْءٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ، لَكُنْتُ فِي عَدَمِ فِعْلِي مَا أَدْعُو إِلَيْهِ، مَعَ قُدْرَتِي عَلَيْهِ، كَمَنْ عَجَزَ عَنْهُ لِمَانِعٍ صَحِيحٍ يَمْنَعُهُ عَنْهُ. يَصِفُ نَفْسَهُ هَضْمًا لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ.

وَالمصْدَرُ مِنْ خَبَرِ أَنَّ: فَاعِلٌ لِـ"ثَبَتَ" مَحْذُوفًا، وَمَفْعُولُ "أُنَادِي" مُلْغًى لِعَدَمِ الغَرَضِ فِي أَنَّهُ فُلَانٌ أَوْ كُلُّ إِنْسَانٍ. وَإِنْ قُدِّرَ كَمَا قَدَّرْتُ، وَأُرِيدَتْ حَقِيقَتُهُ لاَ اسْتِغْرَاقَ النَّاسِ لَصَحَّ.

وَاللَّامُ: بِمَعْنَى "إِلَى" أَوْ لِلتَّعْلِيلِ أَوْ لِلتَّعْدِيَةِ، كَأَنَّ النِّدَاءَ نَفْع لِقُرْبَةٍ. وَالقُرْبَةُ: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ وَيَجُوزُ بَقَاؤُهُ عَلَى المصْدَرِيَّةِ؛ أَيْ: لِتَقَرُّبٍ. وَلَامُ "لِمَانِعٍ": لِلتَّعْلِيلِ مُتَعَلِّقٌ بِـ"عَجْزٍ"، وَ"قُرْبَانِ": مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ أَو التَّقَرُّبُ. [6ظ] وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

20 وَلاَ عُضْوَ إِلاَّ قَدْ أَصَرَّ عَلَى الذِي يُعَانِيهِ مِنْ فِعْلٍ قَبِيحٍ بِعُنْوَانِ

لَا عُضْوَ مِنْ أَعْضَائِي إِلَّا مُتَحَقِّقُ الإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ الذِي يُعَالِجُهُ، حَالَ كَوْنِهِ فِعْلًا قَبِيحًا مِنْ يَدٍ أَوْ رِجْلٍ أَوْ عَيْنٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ لِسَانٍ، فَإِنَّ كَلَامَ اللِّسَانِ فِعْلٌ لَهُ، مُقْتَرِنًا فِي إِصْرَارِهِ بِعُنْوَانٍ يَدُلُّ أَنَّهُ مُصِرٌّ.

فَمُطْلَقُ الفَحْشَاءِ وَالمنْكَرِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الاعْتِنَاءِ بِأَمْرِ الصَّلَاةِ. وَقَسْوَةُ القَلْبِ الظَّاهِرَةُ فِي عَدَمِ التَّأَثُّرِ بِالوَعْظِ، وَفِي قِلَّةِ نَفْعِ الخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَى أَكْلِ الحَرَامِ. وَعَدَمُ تَأَثُّرِ التَّلَامِيذِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تَعْلِيمِي إِيَّاهُمْ غَيْرُ مُخْلَصٍ، وَضَرْبِي مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ، وَقَبْضُ الحَرَامِ، بِهَا يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ كَتْبَهَا مَا تَكْتُبُ رِيَاءً بِكُتُبِهَا. وَذَهَابِي بِرِجْلِي إِلَى حَيْثُ لَا يَجُوزُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَبْسَهَا الزِّينَةَ رِيَاءٌ. أَو "العُنْوَانُ" مُشَاهَدَةُ تَكَرُّرِ المعَاصِي مِنْ أَعْضَائِهِ.

وَنَعْتُ "عُضْو" مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: مِنْ أَعْضَائِي يَدُلُّ لَهُ أَنَّ المقَامَ مَقَامُ هَضْمِ نَفْسِهِ، وَلَا يَهْضِمُهَا بِسُوءِ أَعْضَاءِ غَيْرِهِ. وَالإِصْرَارُ عَلَى الشَّيْءِ: المدَاوَمَةُ عَلَيْهِ، وَ"يُعَانِي": يُقَاسِي وَيُعَالِجُ، وَهَذَا أَنَّ الذَّنْبَ وَلَوْ كَانَ سَهْلًا بِالطَّبْعِ، مُشْتَهىً إِلَى النَّفْسِ، إِلَّا أَنَّهُ بِاعْتِبَارِ عَظَمَةِ حَقِّ اللهِ، وَعِظَمِ العِقَابِ عَلَيْهِ، وَالزَّجْرِ

عَنْهُ وَقُبْحِهِ، هُوَ كَالشَّيْءِ الذِي يَصْعُبُ تَنَاوُلُهُ. وَ"مِنْ": لِلْبَيَانِ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَال "الذِي" أَو الهَاءِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

21 إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فالْقَلْبُ غَافِلٌ فَأَمَّا عَنِ الدُّنْيَا فَلَسْتُ بِغَفْلاَنِ

إِذَا صَلَّيْتُ قَدْ صَلَّيْتُ، بَلْ إِذَا تَلَبَّسْتُ بِالصَّلَاةِ قَدْ تَلَبَّسْتُ بِهَا، فَقَلْبِي غَافِلٌ عَمَّا يَقُولُ اللِّسَانُ وَتَفْعَلُ الأَعْضَاءُ. وَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ يُحْضِرَ قَلْبِي، حَالَ القِيَامِ، الِانْتِصَابَ فِي خِدْمَةِ سَيِّدِي جَلَّ وَعَزَّ، وَفِي حَالِ الرُّكُوعِ الخُضُوعَ، وَفِي حَالِ السُّجُودِ مَزِيدَهُ، وَيُحْضِرَ عِنْدَ كُلِّ لَفْظٍ مَعْنَاهُ، وَيَعْزِمَ عَلَى التَّأَثُّرِ بِهِ.

وَإِنْ قُلْتَ: فَمَا حَالُكَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا؟ فَإِنِّي أَقُولُ: قَدْ تَحَقَّقَ انْتِفَاءُ غَفْلَتِي عَنْهَا انْتِفَاءً عَظِيمًا، كَمَا تَحَقَّقَ وُقُوعُ أُمُورٍ فِي الوُجُودِ كَحَرَكَةِ المتَحَرِّكِ وَسُكُونِ السَّاكِنِ، وَتَنَفُّسِ المتَنَفِّسِ، وَكَلَامِ المتَكَلِّمِ. وَهَكَذَا بَعْدَمَا قُلْتُ: إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فَالقَلْبُ غَافِلٌ.

وَ"أَنَا": فَاعِلٌ لِمَحْذُوفٍ مُقَدَّر بِدُونِ "قَدْ"؛ لِأَنَّ قَدْ لَا تَلِي إِذَا. وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الِاشْتِغَالِ فِي المرْفُوعِ كَبَابِ الاشْتِغَالِ فِي المنْصُوبِ؛ نَحْو: زَيْدًا أَكْرَمَهُ اللهُ. وَكِلَاهُمَا [7و] مِنْ بَابِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيّ، وَمَزِيدُ حُسْنِهِ أَنَّهُ تَوْكِيدٌ بِلَا تَكْرِيرٍ فِي اللَّفْظِ لِوُجُوبِ الحَذْفِ.

وَ"ال" فِي "القَلْبِ" لِلْعَهْدِ الذِّهْنِيّ؛ وَهُوَ قَلْبُ النَّاظِمِ المعْهُودِ بِقَوْلِهِ: "أَنَا"، وَقَوْلِهِ: "صَلَّيْتُ" فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تَقُولَ عِوَضٌ عَن الضَّمِيرِ.

وَنَسِيتُ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ إِنَّ المرَادَ بِقَوْلِهِ: "صَلَّيْتُ": تَلَبَّسْتُ بِهَا، لَا فَرَغْتُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الدُّخُولُ فِيهَا وَالتَّلَبُّسُ بِهَا بَعْدَهُ سَبَبًا لِإِتْمَامِهَا وَمَلْزُومًا لَهُ فِي الجُمْلَةِ ذكرَ بَدَلَ الدُّخُولِ وَالتَّلَبُّسِ بِهَا مَا وُضِعَ لِلفَرَاغِ مِنْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: صَلَّيْتُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ذَمُّ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ غَافِلٌ؛ فَإِنَّ التَّقْدِيرَ: غَافِلٌ عَنْ أَقْوَالِي وَأَفْعَالِي فِيهَا. وَإِنَّمَا تُذَمُّ الغَفْلَةُ عَنْهَا فِيهَا لَا بَعْدَهَا.

وَالفَاءُ فِي قَوْلِهِ: "فَأَمَّا" فِي جَوَابِ شَرْطٍ وَتَفْصِيلُهَا تَحَقَّقَ بِقَوْلِهِ: إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فَالقَلْبُ غَافِلٌ، فَإِنَّهُ مُعَادِلٌ لِقَوْلِهِ إِنَّهُ عَنِ الدُّنْيَا لَيْسَ بِغَافِلٍ. وَالوَاوُ هُنَا أَوْلَى مِنَ الفَاءِ.

وَ"أَمَّا": لِلتَّوْكِيدِ، كَمَا أَنَّهُ عَلَّقَ صِحَّةَ انْتِفَاءِ غَفْلَتِهِ عَنِ الدُّنْيَا بِوُقُوعِ أُمُورٍ فِي الخَارِجِ، فَكَمَا أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَخْلُو مِنْ حَوَادِثَ، بَعْدَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّطْرِ الأَوَّلِ مِنَ البَيْتِ، كَذَلِكَ تَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا يَغْفَلُ عَن الدُّنْيَا.

وَ"عَنِ الدُّنْيَا": مُتَعَلِّقٌ بِـ"غَفْلَان". وَفِي "غَفْلَانِ": مُبَالَغَةٌ لَيْسَتْ فِي غَافِلٍ، وَلَكِنَّ هَذِهِ المبَالَغَةَ رَاجِعَةٌ إِلَى النَّفي؛ أَي: انْتَفَتْ انْتِفَاءً بَلِيغًا غَفْلَتِي عَن الدُّنْيَا. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

22 وَإِنْ صُمْتُ لَمْ أَتْرُكْ حَرَامًا وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ظَمَأِي طُولَ النَّهَارِ وَحِرْمَانِي

وَإِنْ صُمْتُ فِي رَمَضَانَ أَوْ غَيْرِهِ لَمْ أَتْرُكْ حَرَامًا مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَو اعْتِقَادٍ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى عَطَشِي وَحِرْمَانِي مِنَ الطَّعَامِ شَيْئًا مِنْ وَرَعٍ وَمَزِيدِ عِبَادَةٍ فِي طُولِ النَّهَارِ.

وَلَمْ يَذْكُرْ مَعْمُولَ "صَلَّيْتُ" وَ"صُمْتُ" لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الغَرَضِ بِهِ؛ إِذْ لَيْسَ المرَادُ صَلَّيْتُ الصَّلَاةَ كُلَّهَا، أَوْ صَلَاةَ كَذَا، أَو الفَرْضَ أَو النَّفْلَ، أَوْ صُمْتُ الصَّوْمَ كُلَّهُ أَوْ صَوْمَ كَذَا أَو الفَرْضَ أَو النَّفْلَ. بَلْ أَرَادَ إِذَا أَوْقَعْتُ الصَّلَاةَ، بَل التَّلَبُّسَ فِيهَا أَو التَّلَبُّسَ بِالصَّوْمِ هَكَذَا.

وَمَفْعُولُ "أَزِدْ" مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: لَمْ أَزِدْ وَرَعًا وَعِبَادَةً عَلَى زَمَانِ غَيْرِ صَوْمِي، وَعَلَى ظَمَأِي.

وَ"الظَّمَأُ": العَطَشُ؛ وَالمرَادُ بِطُولِ النَّهَارِ: مُدَّتُهُ، وَلَوْ فِي أَقْصَرِ أَوْقَاتِ الشِّتَاءِ. وَالحِرْمَانُ: المنْعُ؛ وَالمرَادُ مَنْعُهُ مِنَ الطَّعَامِ، فَهُوَ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: ظَمَأِي. وَ"حِرْمَانِي": مَعْطُوفٌ عَلَى ظَمَأِي، وَ"طُولَ": ظَرْفُ زَمَانٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

وَهَذَا البَيْتُ وَالذِي قَبْلَهُ تَمْثِيلٌ لِلإِصْرَارِ [7ظ] فِي البَيْتِ قَبْلَهُمَا. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

23 وَيَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاهٍ مُشِينَةٍ وَإِنْ ظَهَرَتْ لِلْخِلِّ كَانَ هُوَ الشَّانِي

يَا هَلَاكَ قَلْبِي مِنْ أُمُورٍ عِظَامٍ مُقَبَّحَةٍ لِي، هِيَ أَفْعَالٌ لِي مُحَرَّمَةٌ شَرْعًا، خَفِيَّة وَإِنْ أُظْهِرَتْ لِلصَّاحِبِ الخَلِيلِ لِي كَانَ هُوَ المبْغِضَ لِي، الكَامِلَ فِي البُغْضِ، فَكَيْفَ غَيْرُهُ، فَمَا يَكُونُ غَيْرُهُ إِلَّا أَكْمَلَ مِنْهُ فِي البُغْضِ.

وَنَادَى الوَيْحَ لِيَحْضُرَ، لِأَنَّ ذَلِكَ الوَقْتَ وَقْتٌ يَحِقُّ أَنْ يَحْضُرَ فِيهِ، هَذَا وَجْهُ اللَّفْظِ، وَأَمَّا المرَادُ فَالتَّحَسُّرُ وَالتَّضَجُّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ "يَا" تَنْبِيهًا وَأَنْ يَكُونَ نِدَاءً لِمَحْذُوفٍ؛ أَيْ: يَا خِلِّي وَيْحَ قَلْبِي، فَيَكُونُ وَيْحَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا لِمَحْذُوفٍ وُجُوبًا، لَيْسَ مِنْ لَفْظِهِ، لِأَنَّهُ لَا فِعْلَ مِنْ لَفْظِهِ. فَالتَّقْدِيرُ: هَلَكَ قَلْبِي هَلَاكًا، وَلَمَّا نَابَ لَفْظُ "وَيْحَ" عَنْ عَامِلِهِ أُضِيفَ إِلَى فَاعِلِ عَامِلِهِ، وَهُوَ قَلْبِي.

وَيُطْلَقُ الوَيْحُ بِمَعْنَى التَّرحُّمِ، فَيُقَدَّرُ: رَحِمَ اللهُ قَلْبِي رَحْمَةً، حَذَفَ رَحِمَ وَنَابَ عَنْهُ وَيْحُ، وَأُضِيفَ لِلْمَفْعُولِ.

وَ"دَوَاهٍ": بِالنَّقْصِ كَجوَارٍ، وَلَوْلَا التَّنْوِينُ لَثَبَتَت اليَاءُ، فَيُقَالُ: الدَّوَاهِي، وَدَوَاهِي أَفْعَالٍ، وَدَوَاهِي زَمَانٍ، وَيُقَالُ: دَوَاهِي وَقْفًا، عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقِفُ بِرَدِّ يَاءِ المنْقُوصِ.

وَالمفْرَدُ: دَاهِيَةٌ بِالتَّاءِ وَلَوْ فِي المذَكَّرِ؛ لِأَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ، كَرَاوِيَةٍ لِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ، وَذَلِكَ اسْمُ فَاعِلٍ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ الاسْمِيَّةُ.

وَ"مُشِينَةٍ": بِضَمِّ الميمِ اسْمُ فَاعِلِ "أَشَانَ". وَحُذِفَ نَعْتٌ ثَانٍ؛ أَيْ: مِنْ دَوَاهٍ مُشِينَةٍ قَدْ خَفِيَتْ.

"وَإِنْ أَظْهَرَهَا اللهُ لِخَلِيلِي كَانَ هُوَ الشَّانِي"؛ المبْغِضُ، وَأَصْلُ يَائِهِ الهَمْزَةُ لَمَّا تَطَرَّفَتْ ءَاخِرًا بَعْدَ كَسْرَةٍ جَازَ قَلْبُهَا يَاءً. وَمَعْمُوَلَا شَانِي وَمُشِينَة مَحْذُوفَانِ؛ أَيْ: مُشِينَةٍ لِي وَالشَّانِي لِي.

وَوَجْهُ الحَصْرِ أَنَّهُ فَرْضُ الكَلَامِ فِي أَنَّهَا أُظْهِرَتْ لِلخِلِّ، وَمُرَادُهُ أَنَّهُ أُظْهِرَتْ لَهُ خَاصَّةً. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

24 إِذَا هَمَّ أَزْمَانَ الْعِبَادَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا إِلاَّ بِضُعْفٍ وَأَزْمَانِ

إِذَا هَمَّ قَلْبِي فِي أَوْقَاتِ العِبَادَةِ، مِنْ فَرْضٍ أَوْ نَفْلٍ بِالعِبَادَةِ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهَا إِلَّا بِكَسَلٍ وَأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا.

وَأَسْنَدَ الهَمَّ؛ أَيْ: الإِرَادَةَ وَالعَزْمَ إِلَى القَلْبِ، لِأَنَّهُ الذِي يَسْتَخْدِمُ الجَوَارِحَ. وَ"أَزْمَانَ": هُنَا وَفِيمَا مَضَى وَنَحْوِهِمَا جَمْعُ زَمَنٍ بِدُونِ أَلِفٍ، وَأَمَّا زَمَانُ بِالأَلِفِ فَجَمْعُهُ أَزْمِنَةٌ.

وَ"أَزْمَانَ العِبَادَةِ": أَوْقَاتُ الفَرْضِ وَالنَّفْلِ المحْدُودَةُ مِنَ الشَّرْعِ، وَالأَوْقَاتُ التِي يُرِيدُهَا هُوَ لِلنَّفْلِ، وَهِيَ مُطْلَقُ أَوْقَاتٍ أَرَادَ النَّفْلَ فِيهَا.

وَأَسْنَدَ الفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ القَلْبِ؛ لِأَنَّ القَلْبَ هُوَ السَّبَبُ الآمِر. فَذَلِكَ مَجَازٌ فِي الإِسْنَادِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِفِعْلِهِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ دُونَ الجَوَارِحِ، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَمَلٍ مَا فِي العِبَادَةِ، فَتَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ العَمَلِ وَحْدَهُ، لَا عَلَى عَمَلِ الجَوَارِحِ المصْحُوبِ لَهُ فَيَكُونُ الإِسْنَادُ [8و] حَقِيقَةً. وَفِعْلُ القَلْبِ نِيَّتُهُ وَاعْتِقَادُهُ، وَاسْتِحْضَارُ مَعَانِي مَا يَقُولُ اللِّسَانُ وَتَعْمَلُ الجَوَارِحُ. وَأَيْضًا القَلْبُ مِنْ جُمْلَةِ البَدَنِ، إِذَا رَكَعَ الجَسَدُ أَوْ سَجَدَ أَوْ قَامَ أَوْ عَمِلَ عَمَلًا فَقَدْ عَمِلَ فِيهِ القَلْبُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَمَّى فِعْلَ البَدَنِ فِعْلًا لَهُ، وَاشْتَقَّ مِنْهُ "يَفْعَلُ" عَلَى طَرِيقِ المجَازِ المرْسَلِ التَّبَعِيِّ، لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ أَوْ الكُلِّيَةِ وَالبَعْضِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ بَعْضُ البَدَنِ، أَوْ لِأَنَّ فِعْلَهُ بَعْضُ مُطْلَقِ الفِعْلِ.

وَاللَّامُ فِي "لِيَفْعَلَهَا" لَامُ تَأْكِيدِ النَّفْيِ، فَإِنَّ النَّفْيَ بِـ"لَمْ"، وَاللَّامُ تَأْكِيدٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ.

وَ"أَزْمَانِ": بِفَتْحِ الهَمْزَةِ جَمْعُ زِمْنٍ بِكَسْرِ الزَّايِ، الذِي هُوَ جَمْعُ زِمْنَةٍ، فَهُوَ جَمْعُ الجَمْعِ فَهُوَ تِسْعَةُ أَمْرَاضٍ أَوْ سِتَّةٌ أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَو اثْنَا عَشَرَ، وَهَكَذَا مِن الأَضْعَافِ. وَبِنَاءً عَلَى أَنَّ أَقَلَّ الجَمْعِ ثَلَاثَةٌ وَهُوَ الصَّحِيحُ، أَو اثْنَانِ، وَلَا يُحْرَجُ عَلَيْهِ إِلَّا لِدَلِيلٍ، وَالمرَادُ هُنَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّه؛ لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ هَضْمِ نَفْسِهِ. وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ مُفْرَدَ هَذَا الجَمْعِ جَمْعٌ، فَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَو اثْنَانِ.

وَأَرَادَ بِالضُّعْفِ مُطْلَقَ الضُّعْفِ، الكَسَل المصْحُوبُ مِنْ أَوَّلِ العِبَادَةِ إِلَى آخِر، وَعَدَمُ الرَّغْبَةِ وَالجِدِّ. وَبِالأَزْمَانِ: الحَوَادِثُ فِيهَا مِمَّا يُبْطِلُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مِنَ الرِّيَاءِ وَحُدُوثِ الخَوَاطِرِ فِيهَا، وَلَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالصَّلَاةِ.

ويَجُوزُ كَسْرُ هَمْزَةِ "أَزْمَانِ" آخِرَ البَيْتِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ أَزْمَنَةٍ بِمَعْنَى أَمْرَضَةٍ، كَأَنَّهُ يَقُولُ وَإِدْخَالُ المرَضِ فِيهَا، وَهُوَ مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا، فَيَكُونُ الجِنَاسُ غَيْرَ تَامٍّ. وَالبَاءُ لِلمُصَاحَبَةِ أَوْ لِلإِلْصَاقِ عَلَى الأَصْلِ، إِلَّا أَنَّهُ مَجَازِيٌّ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

25 وَإِنْ وَقَعَتْ تِلْكَ الْعِبَادَةُ شَابَهَا شَوَائِبُ مِنْ عُجْبٍ وَجَهْلٍ وَنُقْصَانِ

وَإِنْ وَقَعَتْ تِلْكَ العِبَادَةُ الموْصُوفَةُبِضُعْفٍ وَأَزْمَانٍ، خَالَطَهَا مُخَالِطَاتٌ هُنَّ عُجْبٌ وَسَهْوٌوَنُقْصَانٌ.

وَعَبَّرَ بِصِيغَةِ الشَّكِّ زِيَادَةً فِي ذَمِّ نَفْسِهِ هَضْمًا، كَأَنَّهَا قَدْ تَقَعُ وَقَدْ لَا تَقَعُ، وَلَوْ كَانَتْ فَرْضًا. بِخِلَافِ الاهْتِمَامِ بِهَا فَعَبَّرَ فِيهِ بِـ "إِذَا" التِي لَا تَعْرِضُ لِلشَّكِّ، وَكَأَنَّهُ اهْتَمَّ بِهَا، فَقَدْ أَفْعَلُهَا، وَقَدْ لَا أَفْعَلُهَا.

وَلَا يُنَافِي صِيغَةَ الشَّكِّ قَوْلُهُ: لَمْ يَكُنْ [8ظ] لِيَفْعَلَهَا إِلَّا بِضُعْفٍ وَأَزْمَانٍ، وَلَا يَتَكَرَّرُ مَعَهُ لِأَنَّ قَوْلَهُ: لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا إِلخ لَيْسَ صَرِيحًا فِي وُقُوعِهَا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا، عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ يَفْعَلُهَا إِلَّا بِضُعْفٍ وَأَزْمَانٍ.

كَمَا عَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ بِـ "إِذَا" لِكَثْرَتِهَا، إِذْ تَكَرَّرَ فَرْضُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، مَعَ مَا يَنْضَمُّ إِلَى الفَرْضِ فَلَا بُدَّ مِنْ وُقُوعٍ مِنْهَا، وَفِي الصَّوْمِ بِـ "إِنْ" لِقِلَّتِهِ، فَكَأَنَّهُ شَيْءٌ مَشْكُوكٌ فِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَشَابَهَا: كَلِمَتَانِ، شَابَ: فِعْلٌ مَاضٍ، وَأَلِفُهُ عَنْ وَاوٍ بِمَعْنَى خَالَطَ وَكَدرَ، وَهَا: فعل ماضٍ[1].

(1) هذا خطأ من المؤلِّفِ، ف "ها" مفعول به كما هو معروف.

وَشَوَائِبُ: جَمْعُ شَائِبٍ؛ أَيْ: أَمْرٌ شَائِبٌ أَوْ جَمْعُ خِصْلَةٍ شَائِبَةٍ، وَهُوَ بِالهَمْزَةِ تَحْتَ صُورَةِ يَاءٍ بِلَا نَقْطٍ، أَوْ مَعَ نَقْطٍ، وَكَذَا قَائِلٌ وَبَائِعٌ.

وَإِنْ كُتِبَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَنَحْوُهُ بِيَاءٍ مَنْقُوطَةٍ بِدُونِ هَمْزَةٍ جَازَ، وَتُقْرَأُ هَمْزَةً، وَإِنَّمَا جَازَ لِأَنَّهُ يَجُوزُ تَسْهِيلُ هَذِهِ الهَمْزَةِ إِلَى اليَاءِ.

وَ"مِنْ عُجْبٍ" إِلخ: بَيَانٌ لِشَوَائِبَ، فَهُوَ نَعْتُهُ، وَالعُجْبُ هُنَا اسْتِعْظَامُ العِبَادَةِ. وَالمصَنِّفُ أَفَادَ أَنَّ كُلًّا مِنَ العُجْبِ وَالنُّقْصَانِ تَصِيرُ بِهِ العِبَادَةُ غَيْرَ مُخْلَصَةٍ. وَذَلِكَ النَّقْصُ هُوَ غَيْرُ المفْسِدِ مِثْلَ تَعْظِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَسْبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَغَسْلَةٍ وَاحِدَةٍ لِكُلِّ عُضْوٍ فِي الوُضُوءِ غَيْرِ المَمْسُوحِ، وَعَدَمِ التَّرتِيلِ فِي الصَّلَاةِ. وَأَمَّا الجَهْلُ فَمِنْهُ مُفْسِدٌ كَجَهْلِ فَرْضِ الوُضُوءِ، فَيُصَلِّي بِدُونِهِ، وَجَهْلِ مَا يُفْسِدُهُ فَلَا يُحَاذِرُهُ، وَكَالكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَغَيْرُ مُفْسِدٍ كَجَهْلِ كَرَاهَةِ شَيْءٍ فِي الوُضُوءِ أَو الصَّلَاةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَكَذَا النُّقْصَانُ مِنْهُ غَيْرُ المفْسِدِ كَمَا رَأَيْتَ، وَالمفْسِدُ كَتَرْكِ الفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَالبَيْتُ شَامِلٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

26 وإِنْ هِيَ قَدْ تمَّتْ فَلَسْتُ بِآمِنٍ عَلَيْهَا مِنَ الإِبْطَالِ بِالمنِّ فِي الثَّانِي

وَإِنْ تَمَّت العِبَادَةُ وَتَحَقَّقَتْ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ، وَهُوَ وَقْتُ فِعْلِهَا أَدَاءً أَوْ إِعَادَةً أَوْ قَضَاءً، أَوْ كَانَتْ لَا وَقْتَ لَهُ يحدُّ أَوْ نَفْلًا كَذَلِكَ، فَإِنِّي تَحْقِيقًا غَيْرُ آمِنٍ عَلَيْهَا مِنَ الإِبْطَالِ لَهَا مِنِّي، بِنَحْوِ المنِّ فِي الزَّمَانِ الثَّانِي، وَهُوَ مَا بَعْدَ فِعْلِهَا. وَ"هِيَ": فَاعِلٌ لِمَحْذُوفٍ مُجَرَّدٌ مِنْ "قَدْ" كَمَا مَرَّ.

وَأَفَادَ أَنَّ المنَّ يُبْطِلُ العَمَلَ؛ أَيْ: يُبْطِلُ ثَوَابَهَا، وَلَوْ كَانَ لَا يُطَالَبُ بِالإِعَادَةِ أَو القَضَاءِ. وَمَعْنَى تَمَامِهَا أَنَّهَا لَمْ يَدْخُلْهَا مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُفْسِدُ ثَوَابَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَخَافُ أَنْ يُحْدِثَ مَا يُبْطِلُ ثَوَابَهَا كَرِيَاءٍ وَمَنٍّ، وَإِنَّمَا قدّرت بِنَحْوِ [9و] المنِّ لِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالصَّدَقَةِ وَنَفْعِ العِبَادِ، وَلَيْسَت العِبَادَةُ مَحْصُورَةً فِيهِمَا. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

27 وقَائِلَةٍ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي وَمَا قَدْ أُقَاسِي مِنْ لَهِيبٍ تَجَلاَّنِي

28 رُوَيْدَكَ لاَ تَقْنطْ وإِنْ كَبُرَ الخَطَا وَلاَ تَيْأَسًا مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَيْحَانِ

29 مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ وَالتَّصَبُّرِ نُصْرَةٌ وَلاَ فَرَجٌ إِلاَّ بِشِدَّةِ كَرْبَانِ

30 فَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جهَنَّمٍ فَلمَّا دَنَا مِنْهَا أُعِيدَ لِرِضْوَانِ

مَا تَقَدَّمَ مَفْهُومٌ، وَرُبَّ امْرَأَةٍ قَائِلَةٍ: رُوَيْدَكَ إِلَيَّ لِرِضْوَانٍ حِينَ رَأَتْ مَا أَصَابَنِي مِنَ التَّحَسُّرِ الشَّدِيدِ لِذُنُوبِي، وَمِنْ نُحُولِ جِسْمِي، وَرَأَتْ مَا قَدْ أَتَصَبَّرُ لَهُ وَأَتَحَمَّلُهُ مِنْ حَرِيقٍ فِي قَلْبِي دَاخَلَنِي بِتَغْيِيرٍ. وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ الحَرِيقِ القَلْبِي، مَا فِي لِسَانِي مِنَ التَّحَسُّرِ، وَفِي جَسَدِي مِنَ التَّغَيُّرِ.

وَقَوْلُهُ: "وَقَائِلَةٍ" إلخ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وقَـائِلَـةٍ مَـا بَـالُ وَجْهِـكَ قـدْ نَضَـــتْ محَـاسِـــنُـهُ والجِسْـــمُ بَـادٍ شُـــحُوبُـهُ

قال:

فَقُلْـتُ لَهَـا: هَـاتِي مِنَ النَّـاسِ وَاحِـدًا صَـــفَـا وَقْتُـهُ وَالنَّـائِبَـاتُ تَـنُوبُـهُ[1]

كَمَا قَالَ النَّاظِمُ بَعْدَ هَذَا: "فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيتِ خَيْرًا" إلخ. وَمَقُولُ المرْأَةِ لَهُ: "رُوَيْدَكَ لَا تَقْنُطْ"؛ أَيْ: أَمْهِلْ لِنَفْسِكَ وَاسْتَبْقِ لَهَا. لَا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لَكَ بِتَوْفِيقِكَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الخَطَأِ، وَلَوْ كَبُرَ خَطَؤُكَ. وَلَا تَيْأَسْ مِنْ نَيْلِ رَوْحِ الجَنَّةِ وَرَيْحَانِهَا، لِأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا، بَلْ يُسْرَيْنِ كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ.

وَلِأَنَّ عِلَاجَ الصَّبْرِ مُوجِبُ نُصْرَةٍ، فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى التَّوْبَةِ وَمَرَارَةِ الطَّاعَةِ، نُصِرْتَ عَلَى أَعْدَائِكَ الشَّيَاطِين وَنَفْسِكَ وَالهَوَى. قَالَ ﷺ: ((**النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ**))[2] وَلِأَنَّهُ لَا فَرَجَ إِلَّا بِشِدَّةِ الكَرْبِ. كَمَا قِيلَ: اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي[3].

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَـلَا تَـجْـزَعَـا إِنْ أَظْـلَـمَ الـدَّهْـرُ مَـرَّةً فَـإِنَّ اعْتِكَـارَ اللَّيْـلِ يُوذِنُ بِـالْفَجْرِ[4]

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ كَثُرَ مِنَ المكَلَّفِينَ مَنْ يَعْمَلُ أَعْمَالَ أَهْلِ النَّارِ الأَشْقِيَاءِ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا، بِمُوجِبِهَا مِنَ الأَعْمَالِ، أَعَادَهُ اللهُ إِلَى الجَنَّةِ بِمُوجِبِهَا مِنَ التَّوبَةِ وَالتَّقْوَى وَالعَمَلِ الصَّالِحِ. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ شِبْرٌ فَيُدْرِكُهُ الْقَضَاءُ فَيَرْجِعُ عَنْهَا**))[5].

---

(1) البيتان من الطويل، المستطرف في كل فنٍّ مستظرف، الأبشِيهِي، 57/2، دون ذكر صاحب البيتين.

(2) المعجم الكبِير، الطبراني، حديث (11243).

(3) قيل إن ذلك حدِيث عن رسول الله، (الفردوس، الديلمِي، حدِيث (1731)) وهو موضوع حسب الألبانِي، ضعيف الجامع حدِيث (862).

(4) البيت من الطوِيل، ربيع الأبرار، الزمخشَرِي، 245/4، دون ذكر صاحب البيتِ وبرواية مختلفة، وفِي المستطرف بنفس الرِّواية 72/2، دون ذكر صاحب البيت أيضا.

(5) ورد بلفظ قريب المعجم الكبِير، الطبرانِي حديث (872).

وَ"قَائِلَةٍ": مَجْرُورٌ بِرُبَّ مَحْذُوفةٍ بَعْدَ وَاوِ العَطْفِ، وَخَبَرُ مَجْرُورِهَا [9ظ] مَحْذُوفٌ يُقَدَّرُ بَعْدَ قَوْلِهِ: لِرِضْوَانِ. وَ"لَمَّا": ظَرْفٌ مَبْنِيٌّ لِلُزُومِ الإِضَافَةِ إِلَى الجُمْلَةِ مُتَعَلِّقٌ بِقَائِلَةٍ. وَ"أُقَاسِي": أُصَابِرُ وَأَتَحَمَّلُ. وَ"لِهيبُ": شِدَّةُ الحَرَارَةِ فِي القَلْبِ، سَمَّاهَا بِاسْمِ لَهِيبِ النَّارِ. وَ"تَجَلَّانِي": جُمْلَةُ نَعْتٍ لَهُ، وَهُوَ إِمَّا عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ؛ أَيْ: ارْتَفَعَ عَلَيَّ، أَوْ ضَمَّنَهُ مَعْنَى عَلَا المتَعَدِّي، يُقَالُ: عَلَاهُ يَعْلُوهُ.

وَقَوْلُهُ: "رُوَيْدَكَ إِلَى قَوْلِهِ: لِرِضْوانِ": مَحْكِيٌّ بِالقَوْلِ. وَ"رُوَيْدَكَ": تَصْغِيرُ إِرْوَادٍ بِحَذْفِ مَا زِيدَ وَهُوَ الهَمْزَةُ وَالأَلِفُ. وَهُوَ مَفْعُولٌ مَطْلَقٌ؛ أَيْ: أَمْهِلْ نَفْسَكَ إِمْهَالًا، وَأَرْوِدْهَا إِرْوَادًا حذفَ العَامِلِ، وَصغّرَ إِرْوَادًا وَأُضِيفَ لِلْكَافِ.

وَ"لَا تَقْنُطْ": بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ "رُوَيْدَكَ" لِنِيَابَتِهِ عَنْ أَرْوِدْ، أَوْ مِنْ أَرْوِدْ، فَإِنَّ تَرْكَ القُنُوطِ مُلَابِسٌ لِلإِمْهَالِ بِغَيْرِ الكُلِّيَّة وَالجُزْئِيَّة، وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فِي الإِرْوَادِ كَانَ بَدَلَ بَعْضٍ.

وَوَاوُ إِرْوَادٍ وَأَرْوِدْ صَحَّتْ شُذُوذًا، وَالمرَادُ القُنُوطُ مِن الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَالتَّقْوَى فَلَا يَتَكَرَّرُ مَعَ قَوْلِهِ: "وَلَا تَيْأَسًا". وَالوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ؛ أَيْ: إِنْ لَمْ يَكْبُرْ الخَطَا وَإِنْ كَبُرَ الخَطَا.

وَ"الخَطَا": ضِدُّ الإِصَابَةِ، وَأَلِفُهُ بَدَلٌ مِنَ الهَمْزَةِ لِجَوازِ قَلْبِهَا فِي الآخِرِ أَلِفًا بَعْدَ فَتْحٍ، وَوَاوًا بَعْدَ ضَمٍّ، وَيَاءً بَعْدَ كَسْرٍ. أَوْ هُوَ لُغَةُ مَنْ يَقُولُ: الخَطَاءُ بِالمدِّ، فَقَصَرَهُ لِلضَّرُورَةِ.

وَأَلِفُ "تَيْأَسًا" فِي الخَطِّ صُورَةٌ لِنُونِ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ، كُتِبَتْ أَلِفًا مَعَ أَنَّهَا تُقْرَأُ نُونًا؛ لِأَنَّهَا تُقْلَبُ أَلِفًا وَقْفًا، كَمَا كُتِبَتْ فِي "لَنَسْفَعًا"، وَ"لَيَكُونًا".

وَالرَّوْحُ: بِفَتْحِ الرَّاءِ الرَّاحَةُ وَعَدَمُ الشَّقَاءِ وَذَلِكَ بِالجَنَّةِ. وَرَيْحَانُ: بِفَتْحِهَا هُوَ الرِّزْقُ فِي الجَنَّةِ.

وَمَعَ العُسْرِ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ وَنَحْوِهِمَا يُسْرٌ مَقْرُونٌ بِتَمَامِهِ، أَوْ هُوَ فِي ضِمْنِهِ بِأَنْ يَسْتَوْجِبَهُ. فَإِذَا كَانَ مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ، فَكَذَلِكَ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَالتَّقْوَى إِذَا تَعَسَّرَتْ رُجِيَ اليُسْرُ وَهُوَ وُجُودُهُنَّ، وَذَلِكَ تَمْثِيلٌ أَوْ كِنَايَةٌ. وَ"التَّصَبُّر": عِلَاجُ الصَّبْرِ، وَالمرَادُ عَاقِبَةُ التَّصَبُّرِ نُصْرَةٌ عَظِيمَةٌ، أَو التَّصَبُّر مُعْقِبُ نُصْرَةٍ فَحَذَفَ المضَافَ، أَوْ هُوَ نَفْسُ النُّصْرَةِ مُبَالَغَةً.

وَ"الكَرْبَانِ": بِفَتْحِ الكَافِ أَوْ ضَمِّهَا، مُفْرَدٌ بِمَعْنَى الكَرْب الشَّدِيد؛ لِزِيَادَةِ الأَلِفِ وَالنُّونِ. وَالبَاءُ: بِمَعْنَى: مَعَ، وَالمعِيَّةُ مَعِيَّةُ تَعَاقُبٍ؛ أَيْ: وَلَا فَرَجَ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةِ الكَرْبِ الشَّدِيدِ؛ أَيْ: إِذَا ازْدَادَ شِدَّةُ الكَرْبِ الشَّدِيدِ وَتَنَاهَتْ جَاء الفَرَجُ.

وَالفَاءُ فِي جَوَابِ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ كَمَا مَرَّ، أَوْ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: "لَا تَيْأَسًا"؛ أَيْ: لَا تَاسَا لِأَنَّهُ كَمْ إِنْسَانٍ عَامِلٍ إِلخ.

وَ"عَامِلٍ": [10و] مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَخَبَرُ المبْتَدَأِ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جَهنَّمَ مَوْجُودٌ، أَوْ يُرْفَعُ "عَامِلٌ" عَلَى أَنَّهُ الخَبَرُ.

وَ"جَهَنَّم": عَلَمٌ مُؤَنَّثٌ صَرَفَهُ لِلضَّرُورَةِ، وَلَوْ قَالَ: جَهَنَّمَا بِفَتْحِ الميمِ وَمَدِّهَا إِشْبَاعًا لِلْوَقْفِ عَلَى أَنَّهُ وَقْفُ آخِرِ الشَّطْرِ الأَوَّلِ مِنَ البَيْتِ لَجَازَ.

وَجَعَلَ فِعْلَ الكَبَائِرِ ذُنُوًّا مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُهَا. وَجَعَلَ التَّوْبَةَ رَدًّا إِلَى الجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُهَا.

وَالمرَادُ بِالإِعَادَةِ الإِيقَاعُ المطْلَقُ فِي مَوْضِعٍ، لَا بِخُصُوصِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ بَعْدَ الكَوْنِ فِيهِ، فَذَلِكَ فِي البَيْتِ مَجَازٌ مَرْسَلٌ تَبَعِيٌّ بِجَامِعِ الإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ أَوْ أَحَدِهِمَا.

وَ"الرِّضْوَانُ": الجَنَّةُ، لِأَنَّهَا لِمَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرْضَاهَا، فَالتَّقْدِيرُ: لِذَاتِ رِضْوَانٍ أَوْ لِمُوجِبِ رِضْوَانٍ، وَهُوَ التَّوْبَةُ أَوْ مُبَالَغَةٌ. وَاللَّامُ: بِمَعْنَى إِلَى. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

31 فقُلْتُ لهَا جُوزِيتِ خَيْرًا عَلَى التِي مَنَحْتِ مِنَ التَّقْوَى وَصِحَّةِ إِيمَانِ

32 وَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى وَمَا حِيلَتِي فِي أَنْ تُصَحَّحَ أَبْدَانِي

فَقُلْتُ لَهَا: جَازَاكِ اللهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، عَلَى النَّصِيحَةِ التِي أَعْطَيْتِنِيهَا، مِنْ إِيجَابِكِ مُلَازَمَةَ التَّقْوَى وَصِحَّةَ الإِيمَانِ. فَإِنَّ قَوْلَهَا: فَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ إِلخ تُشِيرُ بِهِ إِلَى أَنْ يُلَازِمَ التَّقْوَى، وَيُلَازِمَ صِحَّةَ إِيمَانِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ أَيِسَ فَسُدَ إِيمَانُهُ. أَوْ أَرَادَ بِالإِيمَانِ الطَّاعَةَ. وَإِذَا كَانَت النُّسْخَةُ: "مِنَ البُشْرَى" فَلَيْسَ "التِي" وَاقِعَةً عَلَى النَّصِيحَةِ، بَلْ عَلَى خَصْلَةٍ بَيَّنَهَا بِقَوْلِهِ: مِنَ البُشْرَى وَصِحَّةِ إِيمَانِ.

وَقُلْتُ لَهَا أَيْضًا: "هَلْ سَبِيلٌ يُوجَدُ لِلنَّجَاةِ مِن الرَّدَى؟" يُرِيدُ سَبِيلًا مُعَيَّنَةً، لِأَنَّ نَهْيَهَا إِيَّاهُ عَنِ الإِيَاسِ، وَأَمْرَهَا إِيَّاهُ بِالرَّجَاءِ، وَذِكْر اليُسْرِ إِجْمَالٌ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: عَيِّنِي لِي سَبِيلًا أَنْجُو بِهِ مِن الرَّدَى؛ أَي: الهَلَاكِ الأُخْرَوِيِّ.

وَقُلْتُ لَهَا أَيْضًا: مَا حِيلَةٌ يَجِبُ أَنْ أَسْعَى لَهَا، حَتَّى تُنْسَبَ إِلَيَّ وَتُضَافَ لِي فِي أَنْ يُصَحِّحَ اللهُ أَعْضَائِي وَأَبْعَاضِي بِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَالسَّعَادَةِ قَبْلَهَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُضْرَبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَفِي النَّارِ، ضَرْبًا يَهْدِمُ أَبْدَانَهُمْ ثُمَّ تَعُودُ.

وَ"عَلَى": لِلتَّعْلِيلِ. وَ"التِي": نَعْتٌ لِلنَّصِيحَةِ أَو الخَصْلَةِ. وَ"مَنَحْتِ": أَعْطَيْتِ، وَالرَّابِطُ مَحْذُوفٌ مَعَ المفْعُولِ الآخَرِ؛ أَيْ: مَنَحْتِنِيهَا. وَ"مِنَ التَّقْوَى" أَوْ "مِنَ البُشْرَى": بَيَانٌ "لِلتِي" فَإِنَّ إِيجَابَ التَّقْوَى نَصِيحَةٌ. وَكَذَا إِنْ قَدَرَ عَلَى الخَصْلَةِ المنْصُوحِ بِهَا التِي مَنَحَتْ، وَهُوَ التَّقوَى أَو الخَصْلَةِ التِي مَنَحَتْ وَهُوَ الفَرَجُ [10ظ] الذِي يَظْهَرُ مِنَ القَلْبِ عَلَى البَشرَةِ؛ أَيْ: الجِلْدَةِ.

وَ"التَّقْوَى": الحَذَرُ، حَذَرُ النَّارِ أَوْ حَذَرُ مَا يُوجِبُهَا، وَبِحَذَرِهِ يَتَحَصَّلُ الحَذَرُ مِنْهَا، وَالتَّاءُ عَنِ الوَاوِ، وَالوَاوُ آخِرَةٌ عَنِ اليَاءِ، وَالأَلِفُ بَعْدَهَا لِلتَّأْنِيثِ وَالأَصْلُ: وقْيَا، دَخَلَ الإِعْلَالُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ.

وَ"مِنْ": زَائِدٌ. وَ"سَبِيلُ": مُبْتَدَأٌ. وَ"لِلنَّجَاةِ": خَبَرٌ، أَوْ نَعْتٌ وَالخَبَرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: مَوْجُودَةٌ أَوْ تَسْهُلُ. وَ"مِنَ الرَّدَى": مُتَعَلِّقٌ بِالنَّجَاةِ.

وَالمضَيَّقُ عَلَيْهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حِيلَةٍ يَحْتَالُهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ لَهُ حِيلَةً، وَلَكِنْ أَخْبِرِينِي مَا الحِيلَةُ النَّافِعَةُ التِي أَمِيلُ إِلَيْهَا مِنْ سَائِرِ الحِيَلِ الممْكِنَةِ.

وَ"مَا": اسْتِفْهَامِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ نَكِرَةٌ، خَبَرُهُ مَعْرِفَةٌ هُوَ مَا بَعْدَهَا عِنْدَ سِيبَوِيهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ بِالعَكْسِ.

وَ"فِي": مُتَعَلِّقٌ بِـ"حِيلَتِي" لِأَنَّ المعْنَى: مَا احْتِيَالِي؟ وَهُوَ مِنَ التَّحَوُّلِ فَإِنَّ المضْطَرَّ يَتَحَوَّلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ لِيَتَخَلَّصَ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

33 فَقَالَتْ: فَطِبْ نَفْسًا وَقُمْ مُتَوَجِّهًا لِطَيْبَةَ تَسْلَمْ مِنْ بَوَارٍ وخُسْرَانِ

أَيْ: فَقَالَتْ: إِنْ صَدَقْتَ فِي طَلَبِ النَّجَاةِ فَلْتَطِبْ نَفْسُكَ، وَقُمْ مُرِيدًا لِلتَّوجُّهِ إِلَى طَيْبَةَ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنْجُ مِنْ هَلَاكِ الآخِرَةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَمِنْ ضَيَاعِ البَدَنِ عَنِ الخَيْرِ إِلَى النَّارِ وَضَيَاعِ مَا عَسَاهُ أَنْ تَكُونَ قَدْ عَمِلْتَهُ.

فَالفَاءُ الثَّانِيَةُ فِي جَوَابِ شَرْطٍ كَمَا مَرَّ. وَ"نَفْسًا": تَمْيِيزٌ مُحَوَّلٌ عَنِ الفَاعِلِ. وَ"مُتَوَجِّهًا": حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، لِأَنَّهُ فِي حَالِ التَّلَبُّسِ بِالقِيَامِ، غَيْرُ مُتَوَجِّهٍ لِأَنَّهُ يَقُومُ أَوَّلًا ثُمَّ يَجْهَزُ لِلسَّفَرِ ثُمَّ يُسَافِرُ، وَإِنْ قَصَدَ تَوَجُّهَ القَلْبِ فَحَالٌ مُقَارِنَةٌ. وَاللَّامُ بِمَعْنَى إِلَى. وَهُنَا فَصْلَانِ: الأَوَّلُ فِي أَسْمَائِهَا، وَالثَّانِي فِي بَدْءِ شَأْنِهَا.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [أَسْمَاءُ المدِينَةِ][1]

وَطَيْبَةُ اسْمٌ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَمِنْ أَسْمَائِهَا: طَابَةٌ وَطَيِّبَةٍ كَسَيِّدَةٍ وَطَائِبَةٌ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ كُلُّهُنَّ مَفْتُوحُ الطَّاءِ، وَالخَامِسُ مُطَيَّبَةٌ بِفَتْحِهَا أَيْضًا. وَقِيلَ: الذِي فِي البَيْتِ مَكْسُورٌ وَصُحِّحَ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ طَابَ يَطِيبُ. وَصَحَّ حَدِيثٌ: ((**إِنَّ اللهَ سَمَّى المدِينَةَ طَابَة**))[2].

وَفِي حَدِيثٍ:((**كَانُوا يُسَمُّونَ المدِينَةَ يَثْرِب، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ طَيْبَةَ**))[3]. وَفِي حَدِيثٍ: ((**هِيَ المدِينَةُ وَطَيْبَةُ وَطَابَةُ**))[4]. وَرُوِيَ: طَائِبَةٌ بَدَلَ طَيْبَةَ. وَعَنْ وَهْب بنِ مُنَبِّه: "وَاللهِ إِنَّ اسْمَهَا[5] فِي كِتَابِ اللهِ، يَعْنِي التَّوْرَاةَ، طِيبَةُ وَطَابَةُ". وَنُقِلَ عَنِ التَّوْرَاةِ أَيْضًا طَابَةٌ[6]، وَالطَّيِّبَةُ وَالمطَيَّبَةُ، وَذَلِكَ لِطِيبِ رَائِحَتِهَا وَأُمُورِهَا [11و] كُلِّهَا، وَلِطَهَارَتِهَا مِنَ الشِّرْكِ وَحُلُولِ الطَّيِّبِ ﷺ، وَلِكَوْنِهَا تَنْفِي خُبْثَهَا وَتَنْصَعُ طِيبَهَا[7].

وَقَالَ الإِشْبِيلِيُّ[8]: لِتُرْبَةِ المدِينَةِ نَفْحَةٌ لَيْسَ كَمَا عُهِدَ، بَلْ هُوَ عَجَبٌ مِنَ الأَعَاجِيبِ[9].

وَيُقَالُ: إِنَّ لِجُدُرِهَا وَأَرْضِهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً.

---

(1) تبيَّن من مقارنة نصوص هذا الفصل معَ المطبوع من كتب تاريخ المدِينة المنوَّرة، أنَّ المؤلِّف ينقلُ كثيرا مِن كلامه ومن الأقوالِ التي يذكرُها مباشرة من كتاب خلاصة الوفا في أخبارِ دار المصطفَى، للإمام علِي بن عبد الله السَّمهودِي، ولم أتحصَّل إلَّا على نسخة قديمة مطبوعة من الكتابِ سنة: 1392هـ- 1972 دونَ تحقِيق، على نفقَةِ المكتبة العلميَّة لصاحبها الشيخ محمَّد سلطان النَّمنكاني. ولكنْ للكتابِ أصلٌ سمَّاهُ مؤلِّفهُ: وفاء الوفا بأخبارِ دار المصطَفَى، وقد عنِيَ بتحقيقِهِ وإخراجِ نصوصه د.قاسِم السَّامرَّائِي، وطبعتهُ مؤسَّسَة الفرقانِ للتُّراث الإسلامِي سنة: 1422هـ-2001م. وبالاستعانةِ بِمطبوعِ خلاصة الوفا وبأصلِه المحقَّقِ تحقِيقا علمِيّاً، استطعت أن أحقِّقَ ما وردَ منه في الكتابِ مِن نصوصٍ، والتعرُّفِ على الأعلامِ المبهمةِ الواردةِ فِيهِ بألقابها، وخاصَّة أنَّ هذه الألقابَ عادةً ما تكون مشتركة بين أكثرَ مِن علَمٍ. فأنظرُ ما ذكره المحقِّقُ وأتثبَّتُ منه فإن ظهرَ أنَّ تعرِيفَ العلَمِ يتطابقُ مع النَّصِّ المنقولِ أثبت ما قاله المحقِّقُ وإلاَّ عدلت إلى غيرِهِ بما أراهُ الأصوبُ.

ولا بدَّ أنّ ننوّهَ بالعمل العلمِيّ الذي قام به د.قاسم السَّامرَّائِي في تحقيقِ نصوص الكتابِ، بِجمع النُّسخِ المتوفِّرة منهُ ومقارنتِها، وتعرِيفِ الأعلامِ الواردة فِيه، فقد اختصَرَ جهدا كبِيرا.

ولهذا الكتابِ قصَّة فقد احترقَ أصلهُ مع ما احترق من مكتبة مؤلِّفِه، ولذا اضطرَّ إلى كتابةِ خلاصةٍ له. (يُنظَر مقدِّمة قاسِم السامرَّائِي محقق وفاء الوفا).

(2) صحيح مسلم، حدِيث (1385).

(3) مسند الطيالسي، حدِيث (798).

(4) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 162/1.

(5) في خلاصة الوفا: أسماءها.

(6) في خلاصة الوفا: طائِب.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص11، ووفاء الوفا، 45/1.

(8) الإشبِيلي: ذكر د.قاسم السَّامرائي في تحقيق كتاب وفاء الوفا بأنَّهُ المعروف بابن الخرَّاط الأندلُسِي، أبو محمَّد عبد الحقّ بن عبد الرحمن توفِّيَ ببجايَة سنة 581هـ، من مؤلَّفاتِهِ: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحاوي في اللغة. ينظر ترجمته: معجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 92/5.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص11

وَمِن أَسْمَائِهَا: طِبَابَا، بِكَسْرِ الطَّاءِ المهْمَلَةِ بِمَعْنَى القِطْعَةُ الطَّيِّبَةُ[1] مِنَ الأَرْضِ، أَوْ بِظَاءٍ مُعْجَمَةٍ مَكْسُورَةٍ مِنْ ظَبَّ وَظَبْظَبَ، إِذَا حُمَّ، لِمَا كَانَ بِهَا مِنَ الحُمَّى[2].

وَلَفْظُ المطَيِّبَةُ، بِكَسْرِ اليَاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ، وَبِفَتْحِهَا بِمَعْنَى المقَدَّسَةُ، لِتَنَزُّهِهَا عَن الشِّرْكِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: أَثْرِب، بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَإِسْكَانِ الثَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، وَيَثْرِب وَكِلَاهُمَا اسْمٌ لِمَنْ سَكَنَهَا أَوَّلًا، سُمِّيَتْ بِهِ أَرْضُ المدِينَةِ كُلِّهَا عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ[3]، أَو المدِينَةُ فَقَطْ عِنْدَ ابنِ عَبَّاس، أَوْ نَاحِيَةٌ مِنْهَا عِنْدَ محمَّدِ بنِ الحَسَنِ المعْرُوف بِابنِ زَبَالَةَ[4]، أَحَدِ أَصْحَابِ مَالِك، وَكَانَتْ يَثْرِبُ أُمَّ قُرَى المدِينَةِ، وَهِيَ بَيْنَ طَرَفِ قَنَاةٍ إِلَى طَرَفِ الجرْفِ مِنْ جِهَةِ المشْرِقِ إِلَى المغْرِبِ، وَمَا بَيْنَ المالِ الذِي يُقَالُ لَهُ البرْنِي[5] إِلَى زِبَالَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ إِلَى جِهَةِ القِبْلَةِ[6].

وَالجِهَةُ المسَمَّاةُ يَثْرِبُ مَشْهُورَةٌ بِهَذَا الاسْمِ شَامِيَّ المدِينَةِ، بِهَا نَخِيلٌ غَرْبِيَّ مَشْهَدِ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ، وَشَرْقِيَّ الموْضِعِ المعْرُوفِ بِالبِرْكَةِ، مَصْرِف عَيْنِ الأَزْرَقِ. وَرُبَّمَا قَالُوا أَثَارِبٌ، وَبِهِ عَبَّرَ ابنُ فَرحُونَ[7] فِي "مَنْسِكِهِ"[8] وَكَانَتْ مَنَازِلَ بَنِي حَارِثَةَ[9] وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾[10] الآيَة. وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الأَحْزَابِ، وَيَوْمَ أُحُدٍ، قُرْبَ مَنَازِلِ بَنِي حَارِثَةَ مِنَ الأَوْسِ،

---

(1) فِي خلاصة الوفا: المستطيلة.

(2) (م، س)، ص11.

(3) أبو عبيدة معمر بن المثَنَّى.

(4) محمد بن الحسن بن زَبالة: فقيه وإخباري، من أصحاب مالك بن أنس، توفي في حدود سنة 200هـ، من آثاره: أخبار المدينة، أصله مفقود. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 219/3.

(5) فِي خلاصة الوفا: البرقي. وفي وفا الوفا: البرني. وفي الدرة الثمينة: البرناوِي، ص35.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص06.

(7) إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، المدني، المالكي (أبو الوفاء، برهان الدين)، ولد بالمدينة، ونشأ بها، ومات سنة 799هـ، تفقه، وصنف، وجمع، وولي قضاء المدينة. من تآليفه: شرح مختصر ابن الحاجب سماه تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات في ثمانية أسفار، والديباج المذهب في أعيان المذهب. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 48/1.

وما عبَّر عنهُ هنا بمنسكِه هو كتابٌ له، عنوانه الكامِل: إرشاد السَّالِك إلى أفعال المناسِكِ.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص06.

(9) بنو حارِثَة بن عامر بن مجمع بن عطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. نهاية الأرب، النويرِي، 329/2.

(10) سورة الأحزاب: 13.

وَبَنِي سَلِمَةَ[1] مِنَ الخَزْرَجِ وَكَانَ الفَرِيقَانِ مَعَهُ ﷺ وَلِذَلِكَ خَافُوا عَلَى ذَرَارِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَزَلَ فِيهِمَا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[2]. قَالَ عُقَلَاؤُهُمْ: مَا كَرِهْنَا نُزُولَهَا لَتَوَلِّي اللهِ إِيَّانَا[3].

وَقِيلَ القَائِلُ لِبَنِي حَارِثَةَ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا [11ظ] أَوْسُ بنُ قَيْظِيّ[4] وَمَنْ مَعَهُ[5].

وَقَالَ عُمَرُ بنُ شَبَّةَ النَّمِيرِي[6]: قَالَ أَبُو غَسَّان[7]: وَكَانَ فِي المدِينَةِ سُوقٌ بِزبَالَةَ فِي النَّاحِيَةِ التِي تُدْعَى يَثْرِبَ، وَذَلِكَ فِي الجَاهِلِيَّةِ[8].

وَإِطْلَاقُهُ عَلَى المدِينَةِ مَعَ ذَلِكَ صَحِيحٌ ثَابِتٌ، إِمَّا وَضْعًا لَهَا أَيْضًا أَوْ مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ البَعْضِ عَلَى الكُلِّ، أَو المشْتَهِرِ[9] مِنْ بَابِ عَكْسِهِ[10]، أَوْ لِلْجِوَارِ.

وَرَوَى ابْنُ شَبَّةَ نَهْيَهُ ﷺ عَنْ تَسْمِيَةِ المدِينَةِ يَثْرِبَ، وَأَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى[11] مَرْفُوعًا: ((**مَنْ سَمَّى المدِينَةَ يَثْرِبَ، فَلْيَسْتَغْفِرْ هِيَ طَابَةُ**)) وَرِجَالُهُ ثِقَاةٌ عِنْدَهُمْ. وَفِي رِوَايَةٍ: ((**فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ ثَلَاثًا**))[12].

ويُرْوَى مَرْفُوعًا: ((**فَلْيَقُلْ طَابَة، طَابَة، عَشْرَ مَرَّاتٍ**))[13] وَيُرْوَى اثْنَيْ عَشَرَ. وَمَا فِي الآيَةِ[14] عَن المنَافِقِينَ.

---

(1) بنو سلِمة بن سعد بن عليّ بن راشِد بن ساردة بن تَزيد بن جشم بن الخزرج، وسَلِمة رهط معاذ بن جبل الصَّحابِي. نهاية الأرب، النويرِي، 330/2.

(2) سورة آل عمران: 122.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص07.

(4) فِي خلاصة الوفا: أوس بن قيظِي، وكذا في أسد الغابة، بن عمرو بن زيد بن جُشَم، شهد أحُدا. أسد الغابة، ابن الأثِير، ص89.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07. ينظر: الكشف والبيان، الثعلَبِي، 19/8.

(6) عمر بن شبة بن عبيدة البصري، النميري، (أبو زيد) أديب، نحوي، لغوي، إخباري، فقيه، نشأ بالبصرة، وتوفي بسر من رأى سنة 262هـ، من تصانيفه الكثيرة: كتاب النحو، الاستعانة بالشعر وما جاء من اللغات، طبقات الشعراء، أخبار المنصور، تاريخ المدينة. سير أعلام النبلاء، 369/12، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 559/2.

(7) قال قاسم السامرائي: هو محمد بن يحي الكناني من أصحاب مالِك. وفاء الوفا، 64/1.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07، وتاريخ المدينة، ابن شبَّة، 305/1-306.

(9) كلمة لم أتبيَّنها في الأصل، والمثبت من خلاصة الوفا.

(10) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(11) أبو يعلى الموصِلي صاحب المسنَدِ.

(12) مسند أحمد حدِيث (18519) ومسند أبي يعلَى حدِيث (1688)، وورد بمعناهُ: تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 165/1.

(13) لم أقف على أصله في كتب الحدِيثِ.

(14) يعني الآية: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا۟﴾ [سورة الأحزاب:13].

وَقَالَ عِيسَى بنُ دِينَار المالِكِيُّ[1]: مَنْ سَمَّاهَا يَثْرِبَ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَة[2].

وَكُرِهَ إِمَّا لِأَنَّهُ مِنَ الثَّرْبِ، وَهُوَ الفَسَادُ، أَوْ مِنَ التَّثْرِيبِ، وَهُوَ المؤَاخَذَةُ بِالذَّنْبِ وَالتَّوبِيخُ عَلَيْهِ، أَوْ لِكَوْنِهِ اسْمَ كَافِرٍ[3].

وَفِي حَدِيثِ الهِجْرَةِ أَنَّهُ أُرِيَ ﷺ أَرْضَ الهِجْرَةِ ذَاتَ نَخْلٍ وَسِبَاخٍ، وَقَالَ: ((**فَإِذَا هِيَ المدِينَةُ يَثْرِب**))[4] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**وَلَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ**))[5] وَيُجَابُ بِأَنَّ هَذَا قَبْلَ النَّهْيِ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: أَرْضُ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾[7] قَالَ جَمَاعَةٌ: المرَادُ المدِينَةُ أَرْضُ الهِجْرَةِ[8] لِحَدِيثِ: ((**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى**))[9] لِغَلَبَتِهَا الجَمِيعَ فَضْلًا، وَتَسَلُّطِهَا عَلَيْهَا، وَافْتِتَاحِهَا بِأَيْدِي أَهْلِهَا، غَنِمُوا الأَرْضَ وَأَكَلُوا أَمْوَالَهَا[10].

وَمِنْ أَسْمَاءِهَا: دَارُ الإِيمَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَالذِينَ تَبَوَّءُو اَلدَّارَ وَالإِيمَنَ** ﴾[11] قَالَ عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[12] وَعَبْدُ اللهِ بنِ جَعْفَر[13]: سَمَّى اللهُ المدِينَةَ الدَّارَ وَالإِيمَانَ[14]؛ أَيْ: لِأَنَّهَا مَظْهَرُ الإِيمَانِ وَمَصِيرُهُ[15].

---

(1) عِيسَى بن دِينار: من أهل طليطلة بالأندلس، وبها توفي سنة 212هـ، سمع من ابن القاسِم، وله تأليف في الفقه يسمى: كتاب الهدية كتب به إلى بعض الأمراء: عشرة أجزاء. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون 64/2.

(2) المنهاج، النووِي، ص859.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(4) صحيح مسلم حديث (2272).

(5) مسند أبو داود الطيالِسِي حدِيث (460).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(7) سورة النساء: 97.

(8) الكشف والبيان، الثعلَبِي، 372/3.

(9) البخارِي حديث (1871).

(10) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(11) سورة الحشر: 9.

(12) عثمان بن عبد الرحمن: التيمى القرشي أخو معاذ بن عبد الرحمن من أهل المدينة. الثقات، ابن حبَّان، 199/7. التاريخ الكبير، البخارِي، 237/6.

(13) عبد الله بن جعفر: بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو جَعْفَرٍ، مَوْلِدُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، بَايَعَ هُوَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، مُخْتَلَفٌ فِي وَفَاتِهِ، تُوُفِّيَ بِالمدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ عَامَ الْجَحَّافِ. معرفة الصحابة، أبو نعيم. 1605/3.

(14) تاريخ ابن أبي خيثمة، 349/1.

(15) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

وَعَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ: أَنَّ مَلَكَ الإيمَانِ قَالَ: أَنَا أَسْكُنُ المدِينَةَ، فَقَالَ الحَيَاءُ: وَأَنَا مَعَكَ[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البَارَّةُ، بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالبَرَّة بِالتَّشْدِيدِ أَيْضًا؛ لِكَثْرَةِ بِرِّهَا لِأَهْلِهَا، خُصُوصًا وَلِجَمِيعِ العَالم عُمُومًا، إِذْ بِهَا مَنْبَعُ الفَيْضِ وَالبَرَكَاتِ[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البَحْرَةُ بِفَتْحٍ [12و] فَسُكُونٍ، وَالبُحَيْرَةُ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَإِسْكَانٍ، وَالبَحِيرَةُ، وَالبَحْرُ بِفَتْحٍ فَإِسْكَانٍ وَتَرْكِ التَّاءِ، وَالأَرْبَعَةُ مِنْ مَعْنَى الاتِّسَاعِ؛ لِكَوْنِهَا بِمُتَّسَعٍ مِنَ الأَرْضِ[3].

قَالَ سَعْدٌ: لَقَد اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ، بِضَمٍّ فَفَتْحٍ يَعْنِي المدِينَةَ[4].

وَيُرْوَى البَحْرَةَ بِفَتْحٍ فَإِسْكَانٍ، وَقِيلَ: كُلُّ قَرْيَةٍ بَحْرَةٍ[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البِلَاطُ، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْه[6]: لِكَثْرَتِهِ بِهَا أَو اشْتِمَالِهَا عَلَى مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِهِ[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البَلَدُ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾[8] قِيلَ: المدِينَةُ وَقِيلَ: مَكَّةُ، وَالبَلَدُ لُغَةً: صَدْرُ القُرَى[9].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: بَيْتُ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[10]؛ أَيْ: مِنَ المدِينَةِ، لِاخْتِصَاصِهَا بِهِ اخْتِصَاصَ البَيْتِ بِسَاكِنِهِ. وَقِيلَ: مِنْ بَيْتِهِ بِهَا[11].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: تَنْدَدْ؛ بِمُثَنَّاةٍ فَوْقِيَّةٍ وَنُونٍ سَاكِنَةٍ وَدَالٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ دَالٍ، وَكِلْتَاهُمَا مُهْمَلَةٌ[12].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: تَنْذَر بِالرَّاءِ آخِرًا بَدَلَ الدَّالِ، وَنَيْدَر كَذَلِكَ لَكِنْ بِمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ[13] بَعْدَ النُّونِ، وَيَنْدَدُ مِنَ النَّدِّ وَهُوَ الطِّيبُ المعْرُوفُ، أَو التَّلُ المرْتَفِعُ، قِيلَ: أَوْ مِنَ النَّادِ وَهُوَ الرِّزْقُ.

---

(1) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، 132/5.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

(3) (م، س)، ص08.

(4) صحيح البخاري حدِيث (4290). وَسعد هوَ ابنُ عبادة.

(5) مشارق الأنوار، القاضِي عياض، 115/1.

(6) ابن خالويه: الحسين بن أحمد، أصله من همذان، من علماء النحو واللغة، ت:370هـ. معجم الأدباء، ياقوت، 1031/3.

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

(8) سورة البلد: 1.

(9) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08، وفيه: البلد لغة الصدر والقرية.

(10) سورة الأنفال: 5.

(11) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

(12) (م، س)، ص08.

(13) (م، س)، ص08، وفيه تندر بدال مهملة.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَاصِمَةُ؛ لِعِصْمَتِهَا المهَاجِرِينَ مِنَ المشْرِكِينَ، وَلِأَنَّهَا الدِّرْعُ الحَصْينَةُ أَوْ بِمَعْنَى المعْصُومَةُ، لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَذْرَاءُ بِمُهْمَلَةٍ وَمُعْجَمَةٍ، نُقِلَ عَن التَّوْرَاةِ، لِصُعُوبَتِهَا وَامْتِنَاعِهَا عَلَى الأَعْدَاءِ، حَتَّى تَسَلَّمَهَا مَالِكُهَا الحَقِيقِيُّ ﷺ[2].

وَعَن الدَّرَاوَرْدِي[3]: بَلَغَنِي أَنَّ لِلْمَدِينةِ فِي التَّوْرَاةِ أَرْبَعِينَ اسْمًا[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَرَّاءُ؛ لِعَدَمِ ارْتِفَاعِهَا لِلسَّمَاءِ، يُقَالُ جَارِيَةٌ عَذْرَاءٌ وَعَرَّاءٌ، تَشْبِيهًا بِالنَّاقَةِ العَرَّاءِ التِي لَا سِنَامَ لَهَا، أَوْ صَغُرَ سِنَامُهَا كَذَلِكَ الجَارِيَةُ لَا ثَدْيَ لَهَا أَوْ صَغُرَ[5]، وَأَبْنِيَةُ المدِينَةِ غَيْرُ مُرْتَفِعَةٍ إِلَى جِهَةِ السَّمَاءِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الجَابِرَةُ لِجَبْرِهَا الكَسِيرَ، وَإِغْنَائِهَا الفَقِيرَ، وَتُجْبِرُ عَلَى الإِذْعَانِ لِمُطَالَعَةِ بَرَكَاتِهَا وَإِجْبَارِهَا البِلَادَ عَلَى الإِسْلَامِ[6]، مِنْ جَبَرَ [12ظ] الثُّلَاثِيِّ بِمَعْنَى أَجْبَرَ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: جِبَارٌ بِكَسْرِ الجِيمِ، وَجَبَارٌ بِفَتْحِهَا كَحَذَامِ[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الجَبَّارَةُ نُقِلَ عَنِ التَّوْرَاةِ[8].

جَزِيرَةٌ: لِقَوْلِ بَعْضٍ إِنَّهَا المرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**أَخْرِجُوا المشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**))[9].

رُوِيَ: ((**أَنَّهُ ﷺ الْتَفَتَ إِلَى المدِينَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ المشْرِكِينَ**))[10].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الحَبِيبَةُ لِحُبِّهِ ﷺ لَهَا وَدُعَائِهِ بِهِ[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص11.

(2) (م، س)، ص11.

(3) عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قِيل من دارابجرد موضع بفارس كان جده منها، وقِيلَ: من دَرَاوَرْد قرية بخراسان، مولى جهينة المديني مات سنة 186هـ، سمع عمرو بن يحيى وعمرو بن أبي عمرو. التاريخ الكبير، البخارِي، 25/6، وسير أَعلام النبلاء، الذهبِي، 366/8.

(4) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص34.

(5) (م، س)، ص11.

(6) (م، س)، ص9.

(7) (م، س)، ص9، وذكره بالفتحِ فقط.

(8) (م، س)، ص9.

(9) صحيح البخاري، حدِيث (4431).

(10) مسند أبي يعلَى، حدِيث (6709). وفِيه: من الشِّرك، بدل من المشرِكِين.

(11) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الحَرَمُ لِتَحْرِيمِهَا[1]، وَفِي الحَدِيثِ: ((**المدِينَةُ حَرَمٌ آمِنٌ**))[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: حَرَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ الذِي حَرَّمَهَا[3]، وَفِي الحَدِيثِ: ((**مَنْ أَخَافَ أَهْلَ حَرَمِي أَخَافَهُ اللهُ**))[4].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: ((**حَرَمُ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةُ، وَحَرَمِي المدِينَةُ**)) رَوَاهُ الطَّبَرَانِي بِرِجَالٍ وُثِّقُوا[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: حَسَنَةٌ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾[6] وَهِيَ المدِينَةُ، وَقِيلَ: اسْمُهَا الِاشْتِمَالِهَا عَلَى الحُسْنِ الحِسِّي وَالمعْنَوِي[7]، وَفِيهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ اسْمَهَا لَمُنِعَ الصَّرْفَ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الخَيِّرَةُ بِالتَّشْدِيدِ، وَالخَيْرَةُ بِإِسْكَانٍ؛ أَيْ: كَثِيرَةِ الخَيْرِ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الدَّارُ؛ لِأَمْنِهَا وَالاسْتِقْرَارِ بِهَا[9].

وَمِنْ أَسْمَاءِ المدِينَةِ: دَارُ الأَبْرَارِ وَدَارُ الأَخْيَارِ؛ لِأَنَّهَا دَارُ المخْتَارِ وَالمهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَتَنْفِي شِرَارَهَا، وَمَنْ أَقَامَ بِهَا مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ لَهُ فِي الحَقِيقَةِ بِدَارٍ، وَرُبَّمَا نُقِلَ مِنْهَا بَعْدَ الإِقْبَارِ[10].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: دَارُ الإِيمَانِ كَمَا فِي الحَدِيثِ[11]: ((**المدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ**))[12] كَمَا فِي الحَدِيثِ: ((**الإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى المدِينَةِ**))[13].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

(2) السنن الكبرَى، البيهَقِي حدِيث (9959).

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

(4) المعجم الكبِير، الطبراني حديث (6631)، لم يرد فيه إلَّا بلفظ ((أهل المدينة)).

(5) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، 333/3.

(6) سورة النحل: 41.

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

(8) (م، س)، ص9.

(9) (م، س)، ص9.

(10) (م، س)، ص09.

(11) (م، س)، ص09.

(12) المعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618).

(13) صحيح البخارِي حديث (1876).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: دَارُ السُّنَّةِ وَدَارُ السَّلَامَةِ وَدَارُ الفَتْحِ وَدَارُ الهِجْرَةِ، كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْف: إِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَةِ، وَرُوِيَ السَّلَامَةِ[1]، وَقَدْ فُتِحَتْ مِنْهَا سَائِرُ الأَمْصَارِ وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ المخْتَارِ، وَمِنْهَا انْتَشَرَت السُّنَّةُ فِي الأَقْطَارِ[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الدِّرْعُ الحَصِينَةُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَفِيَّةٍ**)) فَأُوِّلَت الدِّرْعُ الحَصِينَةُ المدِينَةُ[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: ذَاتُ الحُجَرِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَيْهَا.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: ذَاتُ الحِرَارِ؛ لِكَثْرَتِهَا بِهَا[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: ذَاتُ النَّخْلِ؛ لِوَصْفِهَا بِذَلِكَ وَبِمَا قَبْلُهُ فِي قِصَّةِ خُنَافِر مَعَ [13و] رَئِيِّهِ[5].

وَفِي سَجْعِ أَبِي عَامِر: فَلْيَلْتَحِقْ بِيَثْرِبَ ذَاتِ النَّخْلِ[6].

وَفِي الحَدِيثِ: ((**أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِي ذَاتَ نَخْلٍ وَحَرَّةٍ**))[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: السّلقةُ نَقَلَهُ الأَقْشَهْرِي[8] عَنِ التَّوْرَاةِ؛ وَهُوَ بِفَتْحِ اللَّامِ أَوْ كَسْرِهَا أَوْ إِسْكَانِهَا، أَو السَّلَقُ بِفَتْحِهَا: القَاعُ الصَّفْصَفُ، وَالمسْلَاقُ: البَلِيغُ، وَرُبَّمَا قِيلَ لِلْمَرْأَةِ السَّلِيطَةِ سَلِقَةً بِالكَسْرِ، وَسَلَقْتُ البَيْضَ سَلْقًا: أَغْلَيْتُهُ بِالنَّارِ؛ فَسُمِّيَتْ بِهِ لاتِّسَاعِهَا وَتَبَاعُدِ جِبَالِهَا، أَوْ لِتَسَلُّطِهَا عَلَى البِلَادِ فَتْحًا، أَوْ لِحُمَّاهَا وَشِدَّةِ حَرِّهَا[9].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: سَيِّدَةُ البُلْدَانِ؛ لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَر عَنْهُ ﷺ: ((**أَنَّهُ قَالَ لِلْمَدِينَةِ: يَا طَيْبَةَ، يَا سَيِّدَةَ الْبُلْدَانِ**))[10].

---

(1) صحيح البخارِي حديث (3928).

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص10، وليس فِيهِ: دار الهجرة.

(3) مسند أحمد، حدِيث (14787).

(4) (م، س)، ص10.

(5) ينظر القصَّة فِي: الأمالي، أبو علي القالي، 169/1.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10، وفِيه: سجع عمران، وينظر قصَّة عمرو بن عامر بن حارثة فِي مجمع الأمثال، الميداني، 275/1.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10، لم أقف على لفظِ الحدِيث.

(8) محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري، نسبة إلى آق شهر بقونية، رحل إلى مصر ثم المغرب، ت: 731هـ، من آثارِهِ "الروضة الفردوسية والحضرة القدسِيّة" فيه أسماءُ مَن دفِنَ بالبقِيعِ. معجم المؤلِّفِين، رِضَا كحالة 235/8.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10.

(10) كنز العمال، المتقِي الهندِي حديث (34941).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الشَّافِيَةُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**تُرَابُهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**))[1]، ولِمَا صَحَّ فِي ثِمَارِهَا.

وَذَكَرَ ابنُ مَهْدِي[2] الاسْتِشْفَاءَ بِتَعْلِيقِ أَسْمَائِهَا عَلَى المحْمُومِ. وَسَيَأْتِي أَنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ فَتُشْفِي مِنْ دَائِهَا[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَرُوسُ كَصَبُورٍ؛ لِانْخِفَاضِ مَوَاضِعَ مِنْهَا وَمَسَايِلِ أَوْدِيَةٍ فِيهَا، أَوْ لِأَنَّهَا مِنْ نَجْدٍ، وَنَجْدٌ كُلُّهَا عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ طُولًا، وَالمدِينَةُ مُعْتَرِضَةٌ عَنْهَا نَاحِيَةً[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الغَرَّاءُ؛ وَالغُرَّةُ: بَيَاضٌ فِي مُقَدَّمِ الوَجْهِ، وَخِيَارُ الشَّيْءِ وَوَجْهُ الإِنْسَانِ، وَالغُرَّةُ البَيْضَاءُ؛ وَالأَغَرُّ: الذِي أَخَذَت اللِّحْيَةُ وَجْهَهُ إِلَّا القَلِيلَ، وَالرَّجُلُ الكَرِيمُ، وَاليَوْمُ الشَّدِيدُ الحَرِّ، ونَبْتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، وَالسَّيِّدَةُ الكَبِيرَةُ. وَقَدْ سَادَت المدِينَةُ عَلَى القُرَى، وَطَابَ رِيحُهَا فِي الوَرَى، وَكَرُمَ أَهْلُهَا، وَكَثُرَ غَرْسُهَا، وَابْيَضَّ نُورُهَا، وَسَطَعَ نُورُهَا[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: غَلَبَةُ؛ بِفَتْحِ الغَيْنَ وَاللَّامِ، لِظُهُورِهَا عَلَى البِلَادِ، وَكَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ تُدْعَى غَلَبَةً، نَزَلَتْ يَهُودُ بِهَا عَلَى العَمَالِقَةِ فَغَلَبَتْهُمَ عَلَيْهَا، وَنَزَلَتْ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ عَلَى يَهُودَ فَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الفَاضِحَةُ، إِذْ لَا يُضْمِرُ بِهَا أَحَدٌ عَقِيدَةً فَاسِدَةً أَوْ غَيْرَهَا إِلَّا ظَهَرَ مَا أَضْمَرَهُ، وَافْتُضِحَ بِهِ وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي تَنْفِي خُبْثَهَا[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: القَاصِمَةُ [13ظ] بِالقَافِ لِقَصْمِهَا كُلَّ جَبَّارٍ عَنَاهَا وَمُتَمَرِّدٍ أَتَاهَا، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قُبَّةُ الإِسْلَامِ، لِمَا مَرَّ فِي الحَدِيثِ[9].

---

(1) لم أجده في غير خلاصة الوفا، السمهودِي ص10.

(2) ابن مهدِي: ذكره السمهودي في خلاصة الوفا بـ: ابن مُسدِي، وهو محمد بن يوسف الأزدِي توفي بمكة سنة 663هـ، له: إعلام الناسِك بأعلام المناسِكِ. ينظر معجم المؤلِّفِين، رضَا كحالة 790/3.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10.

(4) (م، س)، ص11.

(5) (م، س)، ص11-12.

(6) (م، س)، ص12.

(7) (م، س)، ص12.

(8) (م، س)، ص12.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي ص12، والحدِيث: ((المدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ)).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: القَرْيَةُ لِمَا مَرَّ فِي الحَدِيثِ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللَّهَ قَدْ طَهَّرَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**))[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قَرْيَةُ الأَنْصَارِ، جَمْعُ نَاصِر، وَهُم الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، سَمَّاهُم اللهُ وَرَسُولُهُ بِهِ لِإِيوَائِهِمْ وَنَصْرِهِمْ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ**﴾[2]. قِيلَ لأنس بنِ مَالِك: أَرَأَيْتُمْ اسْمَ الأَنْصَارِ أَكُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُم اللهُ بِهِ؟ قَالَ: بَلْ سَمَّانَا اللهُ بِهِ، وَالقَرْيَةُ؛ بِفَتْحِ القَافِ وَكَسْرِهَا مَا يَجْمَعُ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ، مِنْ قَرَيْتُ الماءَ فِي الحَوْضِ إِذَا جَمَعْتُهُ، وَقِيلَ: المصْرُ الجَامِعُ[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قَرْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ مِنْ حَدِيثِ الدَّجَّالِ: ((**ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ المدِينَةَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُ فِيهَا، فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ**))[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قَلْبُ الإِيمَانِ، أَوْرَدَهُ ابنُ الجَوْزِي فِي حَدِيثِ ((**المدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلَامِ**))[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المؤْمِنَةُ؛ لِتَصْدِيقِهَا بِاللهِ حَقِيقَةً، لِخَلْقِهِ قَابِلِيَّةَ ذَلِكَ فِيهَا، كَمَا فِي تَسبِيحِ الحَصَى، أَوْ مَجَازًا؛ لِاتِّصَافِ أَهْلِهَا بِهِ، وَانْتِشَارِهِ مِنْهَا، وَاشْتَمَالِهَا عَلَى أَوْصَافِ المؤْمِنِ، أَوْ لِإِدْخَالِهَا أَهْلَهَا فِي الأَمْنِ مِنَ الأَعْدَاءِ وَالطَّاعُونِ وَالدَّجَّالِ. وَفِي خَبَر: ((**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تُرْبَتَهَا لَمُؤْمِنَةٌ**))[6]. وَفِي آخَر: ((**إِنَّهَا لَمَكْتُوبَةٌ فِي التَّوْرَاةِ مُؤْمِنَةٌ**))[7].

وَمِن أَسْمَائِهَا: المبَارَكَةُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بَارَكَ بِدُعَائِهِ ﷺ لَهَا، وَحُلُولِهِ فِيهَا[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مُبَوَّأُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي حَدِيثِ: ((**المدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلَامِ**))[9].

وَالتَّبَوُّءُ: التَّمَكُّنُ وَالاسْتِقْرَارُ؛ لِأَنَّها مَحَلُّ تَمَكُّنِ هَذَيْنِ الحُكْمَيْنِ وَاسْتِقْرَارِهِمَا[10].

---

(1) مسنَد أبِي يَعلَى، حدِيث (6714).

(2) سورة الأنفال: 72.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي ص12.

(4) مسند أحمد، حدِيث (21929) والمعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618).

(5) الحدِيثُ سبقَ تخريجه: المعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618)، والوفا بتعرِيفِ فضائِلِ المصطَفَى، ابن الجوزِي 201/1.

(6) إرشاد السَّارِي إلى شرح صحيح البخارِي، القسطلاني، 333/3.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

(8) (م، س)، ص13.

(9) سبَقَ تخرِيجُهُ المعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618).

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مُبَيِّنُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، رَوَاهُ ابنُ الجَوْزِي وَغَيْرُهُ[1]، بَدَلَ الذِي قَبْلَهُ فِي الحَدِيثِ المتَقَدِّمِ، لِأَنَّهَا مَحَلُّ بَيَانِها[2] فَهُوَ بِفَتْحِ اليَاءِ المثَنَّاةِ المشَدَّدَةِ اسْمُ مَكَانٍ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المجْبُورَةُ وَرَدَ بِهِ الحَدِيثُ[3] وَنُقِلَ عَن الكُتُبِ المتَقَدِّمَةِ، لِجَبْرِهَا بِخُلَاصَةِ الوُجُودِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَبِحَتِّهِ عَلَى سُكْنَاهَا وَبِنَقْلِ حُمَّاهَا وَتَكَرُّرِ دُعَائِهِ لَهَا[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحَبَّةُ، وَنُقِلَ عَن الكُتُبِ المتَقَدِّمَةِ[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: [14و] المحَبَّبَةُ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْبُوبَةُ، نُقِلَ عَنِ الكُتُبِ المتَقَدِّمَةِ، وَهِذِهِ الثَّلَاثَةُ مَعَ الحَبِيبَةِ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ[7]، وَحُبُّهُ ﷺ لها ودعاؤه مَعْلُومٌ، وَحُبُّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ[8].

وَمِنْ أَسْمَاءِهَا: المحْبُورَةُ، مِنَ الحَبْرِ وَهُوَ السُّرُورُ، أَوْ مِنَ الحَبْرَةِ بِمَعْنَى النِّعْمَةُ أَوْ المبَالَغَةُ فِيهَا[9] وَصْفٌ بِجَمِيلٍ، وَالمحْبَارُ مِنَ الأَرْضِ السَّرِيعَةُ النَّبَاتِ الكَثِيرَةُ الخَيْرَاتِ[10].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحَرَّمَةُ لِتَحْرِيمِهَا[11].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْرُوسَةُ[12] لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**المدِينَةَ مُشْتَبِكَةٌ بِالملَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ يَحْرُسُهَا**))[13].

---

(1) الوفا بتعريف فضائل المصطَفَى، ابن الجوزِي، ص171، وفيه: ((المدينَةُ قُبَّةُ الإِسْلاَمِ وَقَلْبُ الإِيْمَانِ، وَمَا بَيْنَ الحَلاَلِ والحَرَامِ))، الكتاب بصيغة الشاملة، لم أحصل على الكتاب ورقيا أو مصورا لتوثيق المعلومة بدقة.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

(3) وهو حدِيث: ((للمدينة عشرَة أسماء...)) سبق تخريجه، تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 162/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

(5) (م، س)، ص13.

(6) (م، س)، ص13.

(7) فِي خلاصة الوفا: من مادة واحدة.

(8) (م، س)، ص13.

(9) فِي خلاصة الوفا: فيما وصف بجميل.

(10) (م، س)، ص13.

(11) (م، س)، ص13.

(12) وفاء الوفا، السمهودِي، 84/1.

(13) مسند أحمد بن حنبل، حديث (8373).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْفُوفَةُ: حُفَّتْ بِالبَرَكَاتِ وَمَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ، وَعَنْهُ ﷺ: ((**المدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالملَائِكَةِ**))[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْفُوظَةُ يَحْفَظُهَا مِنَ الطَّاعُونِ وَالدَّجَّالِ وَغَيْرِهِمَا، وَفِي خَبَرٍ: ((القُرَى المحْفُوظَةُ أَرْبَعٌ)) وَذَكَرَ المدِينَةَ مِنْهَا[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المخْتَارَةُ، لِأَنَّ اللهَ ﷻ اخْتَارَهَا لِلْمُخْتَارِ مِنْ خَلْقِهِ[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مَدْخَلُ صِدْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ** ﴾[4] الآية، قِيلَ: مُدْخَلُ صِدْقٍ المدِينَةُ، وَمُخْرَجُ صِدْقٍ: مَكَّةُ، وَسُلْطَانًا نَصِيرًا: الأَنْصَارُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ زَيْد بنِ أَسْلَم[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المدِينَةُ، كَمَا ذُكِرَ فِي القُرْآنِ، وَنُقِلَ عَن التَّوْرَاةِ، مِنْ مَدَنَ بِالمكَانِ أَقَامَ بِهِ، وَالزَّائِدُ اليَاءُ، أَوْ مِنْ دَانَ إِذَا أَطَاعَ؛ إِذْ يُطَاعُ السُّلْطَانُ بِالمدِينَةِ لِسُكْنَاهُ بِهَا، وَهِيَ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ تَجَاوَزَ حَدَّ القُرَى، وَلَمْ تَبْلُغْ حَدَّ الأَمْصَارِ. وَقِيلَ: يُقَالُ لِكُلِّ مِصْرٍ، وَهُوَ عَلَمٌ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ بِحَيْثُ لَا يَتَبَادَرُ غَيْرُهَا، إِذَا أُطْلِقَ وَذَلِكَ بِـ: "الـ". وَالنَّسَبُ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ مَدَنِيٌّ؛ بِفَتْحِ الدَّالِ وَإِسْقَاطِ اليَاءِ بَعْدَهَا، وَقِيلَ بِإِثْبَاتِهَا وَكَسْرِ الدَّالِ، إِلَّا مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ فَالفَتْحُ وَالإِسْقَاطُ لِلْفَرْقِ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**وَمَنْ أَحْدَثَ فِي مَدِينَتِي هَذِهِ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا**)) الحَدِيث[7]، فَأَضَافَهَا لِنَفْسِهِ لِسُكْنَاهُ بِهَا، وَلَهُ وَلِخُلَفَائِهِ دَانَتْ الأُمَمُ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المرْحُومَةُ نُقِلَ عَنِ التَّورَاةِ لِأَنَّهَا رُحِمَتْ بِالمبْعُوثِ ﷺ رَحْمَةً، وَبِهَا تَنْزِلُ الرَّحَمَاتُ[9].

---

(1) مسند أحمد بن حنبل، حديث (10265).

(2) الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمِي، حديث (4689).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(4) سورة الإسراء: 80.

(5) فِي الأصل: زيد بن سلم، شهد بدرا. أسد الغابة، ابن الأثِير، ص423.
خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14، وينظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص58، والدر المنثور، السيوطِي، 428/5.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(7) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (795).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(9) (م، س)، ص14.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المرْزُوقَةُ لِمَا ذَكَرْتُ، أَوْ لِأَنَّ أَهْلَهَا مَرْزُوقُونَ، وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَهَا اللهُ خَيْرًا مِنْهُ[1].

ومِنْ أَسْمَائِهَا: المسْجِدُ الأَقْصَى نَقَلَهُ التَّادلِي[2] عَنْ صَاحِبِ "المطَالِعِ"[3]، وَلَعَلَّهُ [14ظ] لِكَوْنِهِ آخِرَ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ[4]، أَوْ مَسْجِدَ أَقْصَاهُمْ فِي الفَضْلِ وَأَعْلَاهُمْ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المسْكِينَةُ نُقِلَ عَنْهُ ﷺ وَعَنِ التَّوْرَاةِ، وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِلْمَدِينَةِ: يَا طَيْبَةُ يَا طَابَةُ يَا مِسْكِينَةُ، لَا تَقْبَلِي الْكُنُوزَ اِرْفَعِي أَجَاجِيرَكِ عَلَى أَجَاجِيرِ الْقُرَى**))[5] وَالأَجَاجِيرُ: السُّطُوحُ، وَالمسْكَنَةُ: الخُضُوعُ وَالخُشُوعِ، جَعَلَهُ اللهُ فِيهَا، وَهِيَ مَسْكَنُ الخَاضِعِينَ الخَاشِعِينَ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المسْلِمَةُ، خَلَقَ اللهُ فِيهَا الانْقِيَادَ وَالِانْقِطَاعَ لَهُ، أَوْ لِانْقِيَادِ أَهْلِهَا وَفَتْحِهَا بِالقُرْآنِ[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مَضْجَعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمَضْجَعِي فِي الْأَرْضِ**))[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المقَرُّ بِفَتْحِ الميمِ وَالقَافِ[9].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المكَّتَانِ، قَالَ سَعْدُ بنُ أَبِي سَرْحٍ[10] فِي حِصَارِ عُثْمَانَ:

وَأَنْصَـــارُنَـا بِـالـــــمكَّتَيْنِ قَلِيـلُ[11]

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(2) أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي، فقيه إمام في أصول الفقه، مشارك في الأدب والحديث، له شرح على رسالة بن أبي زيد، وله شرح عمدة الأحكام في الحديث، رحل إلى المدينة النبوية فاستوطنها. وولي نيابة القضاء بها. توفِّيَ بالمدينة في سنة 741هـ. الديباج المذهَّب، ابن فرحون، 255/1.

(3) كتاب مطالع الأنوار على صِحاح الآثارِ، لإبراهيم بن يوسف الوهراني المعروف بابن قرقول ت:569هـ.
ينظر فِيه، 82/4، وفيه: مسجد الأقصَى.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14، وفيه: مسجد الأقصَى.

(5) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 163/1.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15، وفيه: أحاجيرك.

(7) (م، س)، ص15.

(8) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (470).

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15.

(10) صاحب البيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أخو عثمان من الرضاعة، يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، فأجاره عثمان، ولَّاهُ عثمان مصر سنة 25، ففتح الله على يديه إفريقية، توفِّيَ بعسقلان وقيل بإفريقية سنة 36هـ، وقيل غير ذلك. الإصابة، ابن حجر، 175/6. وأسد الغابة، ابن الأثِير، ص677. وينظر: الروض الأنف، السهيلي، 230/7.

(11) عجز من البيتِ صدرُهُ:

أَرَى الْأَمْـــرَ لَا يَـــزْدَادُ إِلَّا تَـــفَـــاقُـــمًـــا

تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكِر، 23/29.

وَقَالَ نَصْرُ بنُ حَجَّاج[1] بَعْدَ نَفْيِهِ مِنَ المدِينَةِ:

فَـأَصْـــبَحْـتُ مَنْفِيًّـا عَلَى غَيْرِ ريبَـةٍ وَقَـدْ كَـانَ لِي بِـالـــــمكَّتَيْنِ مُقَـام[2]

أَرَادَ المدِينَةَ، لِأَنَّهَا جَمَعَتْ أَهْلَ مَكَّةَ، وَهُم المهَاجِرُونَ إِلَى الأَنْصَارِ أَوْ تَغْلِيبًا، أَو المرَادُ: مَكَّةُ وَالمدِينَةُ[3]. وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: المكْتَبَيْنِ[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المكِينَةُ لِتَمَكُّنِهَا فِي المنْزِلَةِ[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مُهَاجَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[6] لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**المدِينَةُ مُهَاجَرِي**))[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الموَفِّيَةُ بِتَشْدِيدِ الفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا، لِتَوْفِيَتِهَا حَقَّ الوَافِدِينَ حِسًّا وَمَعْنىً، وَأَهْلُهَا مُوَفُّونَ بِالعَهْدِ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: النَّاجِيَةُ؛ لِنَجَاتِهَا مِنَ العُتَاةِ وَالطَّاعُونِ وَالدَّجَّالِ، وَلِإِسْرَاعِهَا فِي الخَيْرَاتِ فَحَازَتْ أَشْرَفَ المخْلُوقَاتِ أَو لِارْتِفَاعِ شَأْنِهَا[9]، وَالنَّجْوَةُ مِنَ الأَرْضِ: مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: نَبْلَى، نُقِلَ عَنْ كرَاع[10]، مِنَ النُّبْلِ وَهُوَ الفَضْلُ وَالنَّجَابَةُ[11].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: النَّحْرُ، مِنْ نَحْرِ الظَّهِيرَةِ لِشِدَّةِ حَرِّهَا أَوْ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الأَصْلِ، وَهِيَ أَصْلُ بِلَادِ الإِسْلَامِ[12].

---

(1) نصر بن حجاج السلمي من أولاد الصحابة، وله مع عمر بن الخطَّاب قصة. الإصابة، ابن حجر، 146/11.

(2) البيت من الطويل، في قصيدة قالها نصر بن حجاج لعمر بن الخطاب، بعد عام من نفيِهِ من المدينة إلى البصرة. ينظر تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 2/ 763.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15.

(4) مناقب عمر، ابن الجوزِي، ص86.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15.

(6) وفاء الوفا، السمهودِي، 88/1.

(7) المعجَم الكبِير، الطبراني، حديث (470).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص16.

(9) (م، س)، ص16.

(10) علي بن الحسن الهنائي، المعروف بكُرَاع النَّمل، ويعرف بالدوسي (أبو الحسن) لغوي، من أهل مصر، وكان كوفيا، وأخذ عن البصريين، من تصانيفه: المنضد، أمثلة الغريب على أوزان الأفعال، المصحف، المنظم، والمنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 429/2.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص16، وفِيه: نبلاء.

(12) (م، س)، ص16.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الهَدْرَاءُ، نَقَلَهُ ابنُ النَّجَّارِ[1] عَنِ التَّوْرَاةِ فَإِنْ كَانَت الدَّالُ مُعْجَمَةً وَهُوَ الرِّوايَةُ، فَذَلِكَ لِشِدَّةِ حَرِّهَا، يُقَالُ: يَوْمٌ هَاذِرٌ شَدِيدُ الحَرِّ، أَوْ لِكَثْرَةِ مِيَاهِهَا وَأَصْوَاتِ سَوَانِيهَا، يُقَالُ: هَدَرَ إِذَا أَكْثَرَ، وَإِنْ كَانَتْ مُهْمَلَةً فَهُوَ مِنْ هَدْرِ الحَمَامِ إِذَا صَوَّتَ، وَالماءُ انْصَبَّ، وَأَرْضٌ هَادِرَةٌ كَثِيرَةُ النَّبَاتِ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثاني: في بَدْءِ شَأْنِها [15و] وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا[3]

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ مكَّةَ بَلَدٌ عَظَّمَهُ اللهُ وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ، خَلَقَ مَكَّةَ وَحَفَّهَا بِالملاَئِكَةِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِأَلْفِ عَامٍ، وَوَصَلَهَا بِالمدِينَةِ وَوَصَلَ المدِينَةَ بِبَيْتِ المقْدِسِ، ثُمَّ خَلَقَ الأَرْضَ كُلَّهَا بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ خَلْقًا**))[4] وَهُوَ حَدِيثٌ وَاهٍ.

وَعَنْ عَلِيٍّ: ((**كَانَت الأَرْضُ مَاءً فَبَعَثَ اللهُ رِيحًا، فَمَسَحَتْ الماءَ مَسْحًا، فَظَهَرَتْ عَلَى الأَرْضِ زُبْدَةٌ، فَقَسَّمَهَا أَرْبَعَ قِطَعٍ خَلَقَ مِنْ قِطْعَةٍ مَكَّةَ وَالثَّانِيَةِ المدِينَةَ وَالثَّالِثَةِ بَيْتَ المقْدِسِ وَالرَّابِعَةِ الكُوفَةَ**))[5] وَهُوَ أَثَرٌ وَاهٍ أَيْضًا.

وَفِي كَبِيرِ الطَّبَرَانِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ المدِينَةِ وَهِي بَطْحَاءُ، قَبْلَ أَنْ تَعْمُرَ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، أَيْ بِنَاءٌ، وَلَا بَشَرٌ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إِنِّي مُشْتَرِطٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا، وَسَائِقٌ إِلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، لَا تَعْصِي وَلَا تَعْلِي وَلَا تَكَبَّرِي، فَإِنْ فَعَلْتِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ كَالْجَزُورِ لَا يُمْنَعُ مِنْ أَكْلِهِ**))[6]

---

(1) ابن النجار: محمد بن محمود بن حسن البغدادي الشافعي، محدث، حافظ، مؤرخ، أديب، نحوي شاعر، مقرئ، ولد ببغداد، وسمع من ذاكر بن كامل وابن الجوزي، رحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر، من تصانيفه: تاريخ بغداد، الأزهار في أنواع الأشعار، توفي ببغداد سنة:643هـ. طبقات النسَّابين، بكر أبو زيد، ص128 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 706/3 مع مصادر ترجمته.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص16، ولم أجده في المطبوع من الدرة الثمينة لابن النجار.

(3) نفس الأمرِ يقع مع هذا الفصلِ فأغلب مادَّته نقلها المؤلِّف من خلاصة الوفا.

(4) فضائل القدس، ابن الجوزِي، ص72.

(5) (م، س)، ص73.

(6) المعجم الكبِير، الطبراني حدِيث (4234).

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِجَبَلِ طُورِ سِينَاءَ تَشَظَّى سِتَّةَ أَشْظَاظٍ**، وَفِي رِوَايَةٍ: **شَظَايَا، فَنَزَلَتْ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةٌ: حِرَا وَثَبِيرُ وَثَوْرُ، وَفِي المدِينَةِ أُحُدٌ وَعِير وَوَرِقَانَ**)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((**وَرَضْوَى**)) بَدَلَ عِيرٍ، وَرَضْوى يَنْبُعُ مِنْ عَمَلِ المدِينَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: ((**عِيرٌ وَثَوْرٌ وَرَضْوَى**))[1] وَفِيهِ حِكْمَةٌ لِتَحْدِيدِ الحَرَمِ[2] بِثَوْرٍ وَعِيرٍ.

وَمِنْ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ: ((**أَنَّهُ مَرَّ بِأَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَقَالَ: صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ**))[3] وَقِيلَ: ((**قَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ، وَإِلَيْهَا المهَاجَرُ**))[4].

ويُروَى: ((**اسْكِنْتُ أَقَلَّ الْأَرْضِ مَطَرًا، وَهِيَ بَيْنَ عَيْنَي السَّمَاءِ، عَيْنِ الشَّامِ وَعَيْنِ الْيَمَنِ**))[5] فاتَّخِذُوا الغَنَمَ عَلَى خَمْسِ لَيَالٍ مِنَ المدِينَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: ((**فَأَقِلُّوا مِنَ الماشِيَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالزَّرْعِ وَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الْجَمَاجِمِ**))[6] يَعْنِي النَّخْلَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: ((**تُوشِكُ المدِينَةُ أَنْ تُمْطِرَ مَطَرًا لَا يُكِنُّ أَهْلَهَا مِنْهُ الْبُيُوتُ وَلَا يُكِنُّهُمْ إِلَّا مَظَالُّ الشَّعْرِ**))[7]. وَفِي رِوَايَةٍ: ((**أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةٍ لَا يُكِنُّ أَهْلَهَا بَيْتٌ مِنْ مَدَرٍ**))[8].

وَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**لَيَعُودَنَّ هَذَا** [15ظ] **الأَمْرُ إِلَى المدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ إِيمَانٌ إِلَّا بِهَا**))[9].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**كَيْفَ بِكِ يَا عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ بِالمدِينَةِ، وَكَانَتْ كَالرُّمَّانَةِ المحْشُوَّةِ؟ قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ يَأْكُلُونَ يَا نَبِيءَ اللهِ؟ قَالَ يُطْعِمُهُم اللهُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَمِنْ جَنَّاتِ عَدْنٍ**))[10] وَعَنْهُ ﷺ: ((**وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَبْلُغَ بُنْيَانُهُمْ يَهِيقَا**))[11].

---

(1) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ابن الضياء، ص93. الكتاب بصيغة الشاملة، لم أعثر عليه مصورا أو ورقيا.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص69.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (7142).

(4) الحدِيث فِي السنن الصغرى، النسائي، حدِيث (450).

(5) تاريخ مدينة دِمشق، ابن عساكِر، 190/1، ومعرفة السنن والآثار، البيهقِي حدِيث (7267).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص69.

(7) معرفة السنن والآثار، البيهَقِي، حدِيث (7268).

(8) معرفة السُّنَن والآثار، البيْهَقِي حدِيث (7272).

(9)معرفة علوم الحدِيث، الحاكِم، ص532.

(10) جامع الأحادِيث، السَّيوطِي، حدِيث (15876).

(11) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص70. وفيه هيفا.

يهيق: قال الفيروز أبادِي: موضع بقرب المدينة، ولم أرَ من تعرض لذكرِه ممن صنَّفَ في أسماءِ الأماكن. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص441.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْلُغَ الْبِنَاءُ شَجَرَةَ ذِي الْحُلَيْفَةِ**))[1] وَعَنْهُ ﷺ: ((**أَرَأَيْتَكَ شَرَفَ السَّيَّالَةِ وَشَرفَ الرَّوْحَاءِ، فَإِنَّهُ مَنَازِلُ أَهْلِ الأُرْدُن إِذَا حِيزَ النَّاسُ إِلَى المدِينَةِ**))[2].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**تَبْلُغُ المسَاكِنُ إِهَابَ**)) أَوْ ((**يهَابَ**))[3] بِكَسْرِ المثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**أَنَّهُ خَرَجَ حَتَّى بِئْرِ أَهَابٍ، قَالَ: يُوشِكُ الْبُنْيَانُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا المكَانَ**)) وَبِيرُ إِهَابَ: بِالحَرَّةِ الغَرْبِيَّةِ قَدْ بَلَغَتْهَا المسَاكِنُ قَبْلَ خَرَابِ المدِينَةِ[4].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إِذَا بَلَغَ البِنَاءُ سَلْعًا**[5] **فَارْتَحِلْ إِلَى الشَّامِ، وَلَمَّا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعًا قَدِمْتُ الشَّامَ**))[6].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**سَيَبْلُغُ البِنَاءُ سَلْعًا، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمُرُّ السَّفْرُ عَلَى بَعْضِ أَقْطَارِهَا فَيَقُولُ: قَدْ كَانَتْ هَذِهِ عَامِرَةً مِنْ طُولِ الزَّمَانِ وعَفْوِ الْأَثَرِ**))[7].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَسِيرَنَّ الرَاكِبُ فِي جَنْبِ وَادِي المدِينَةِ، فَلَيَقُولَنَّ: لَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ حَاضِرَةٌ مِنَ المؤْمِنِينَ**))[8].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**آخِرُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْإِسْلَامِ خَرَابًا المدِينَةُ**))[9].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**عُمْرَانُ بَيْتِ المقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الملْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الملْحَمَةِ فَتْحُ القسطنطينيّة، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**))[10].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**الملْحَمَةُ الكُبْرَى وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ**))[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص70.

(2) (م، س)، ص70.

(3) الحدِيث فِي صحيح مسلم، حدِيث (43).

(4) مسند أحمد، حدِيث (21914).

(5) سَلع: جُبَيْل بسوق المدينة، وقال الأزهرِي: موضع بقرب المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص183.

(6) دلائل النبوة، البيهَقِي، 401/6.

(7) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (5597).

(8) مسند أحمد، حدِيث (14678).

(9) سنن الترمِذِي، حدِيث (3919).

(10) سنن أبِي داود، حدِيث (4294).

(11) سنن أبِي داود، حدِيث (4295).

وَفِي الحَدِيثِ: ((**لَيَتْرُكَنَّ المدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، مُذَلَّلَةً ثِمَارُهَا لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي،** يُرِيدُ عَوَافِي الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ، **وآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ مِنْهَا رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يَرِدَانِ المدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحُوشًا،** وَيُرْوَى: **وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا**))[1] وَهُمَا آخِرُ مَنْ مَاتَ، وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ يَسْحَبُهُمَا الملَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمَا؛ أَيْ: لِأَنَّهُمَا مَاتَا مُشْرِكَيْنِ.

وَكَذَا: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى مَنْ أَشْرَكَ**)).

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَتْرُكَنَّ المدِينَةَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ، حَتَّى يَدْخُلَ الْكَلْبُ وَالذِّئْبُ فَيُعْدِي عَلَى بَعْضِ سَوَارِي المسْجِدِ، أَوِ المنْبَرِ**))[2]؛ **أَيْ:** يَبُولُ.

وَعَنْهُ [16و] ﷺ: ((**المدِينَةُ يَتْرُكُهَا أَهْلُهَا وَهِيَ مُرْطِبَةٌ، قَالُوا: فَمَنْ يَأْكُلُهَا؟ قَالَ: السِّبَاعُ وَالْعَافِي**))[3].

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا فَأَقْبَلَ عَلَى المدِينَةِ، وَقَالَ: ((**وَيْلَ أُمِّهَا قَرْيَةٌ يَدَعُهَا أَهْلُهَا كَأَيْنَعِ مَا يَكُونُ**))[4] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**وَيْلَ أُمِّكِ قَرْيَةٌ يَدَعُكِ أَهْلُكِ وَأَنْتِ خَيْرُ مَا تَكُونِينَ**))[5].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**لَيَخْرُجَنَّ أَهْلُ المدِينَةِ خَيْرَ مَا كَانَتْ نِصْفًا زَهْوًا وَنِصْفًا رطْبًا**)) قِيلَ: مَنْ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: أَمْرِءُ السُّوءِ[6].

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابنُ عُمَر فَقَالَ: لِمَ تَرُدُّ عَلَيَّ، فَوَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ فِي بَيْتٍ حِينَ قَالَ النَّبِيءُ ﷺ: ((**يَخْرُجُ مِنْهَا أَهْلُهَا خَيْرَ مَا كَانَتْ**)) فَقَالَ ابْنُ عُمَر: أَجَلْ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْهُ إِنَّمَا قَالَ: ((**أَعْمَرَ مَا كَانَتْ**)) وَلَوْ قَالَ: خَيْرَ مَا كَانَتْ، لَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: صَدَقْتَ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ[7].

قَالَ عِيَاضٌ: ذَلِكَ التَّرْكُ جَرَى فِي العَصْرِ الأَوَّلِ لِبَعْضِ الفِتَنِ التِي جَرَتْ بِهَا، رَحَلَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا وَبَقِيَتْ ثِمَارُهَا لِلعَوَافِي ثُمَّ تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا، وَإِنَّ قَوْمًا رَأَوْا مَا أَنْذَرَ بِهِ ﷺ مِنْ تَعَدِّي الكِلَابِ عَلَى

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (1874)، وصحيح مسلم، حدِيث (499).

(2) موطَّأ مالِك، حدِيث (3310)، وفِيه: فَيُغَذِّي، وما في النسخة خطأ نقل من خلاصة الوفا.

(3) مسند أحمد حدِيث (14557)، وفِيه: العائِف، بدل العافِي.

(4) مسند أحمد حدِيث (18976).

(5) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 274/1.

(6) (م، س) 274/1. وفيه: أمراء السوء.

(7) (م، س)، 277/1.

سَوَارِي مَسْجِدِهَا، وَاخْتَارَ النَّوَوِيُّ أَنَّ هَذَا آخِرَ الزَّمَانِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا يَدُلُّ لَهُ رِوَايَةٌ: ((**ثُمَّ لَيُحْشَرُ رَاعِيَانِ**)) و ((**إِنَّهُمَا آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ**))[1].

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ: ((**لَيَخْرُجَنَّ أَهْلُ المدِينَةِ مِنَ المدِينَةِ ثُمَّ لَيَعُودُنَّ إِلَيْهَا، ثُمَّ لَيَخْرُجُنَّ مِنْهَا ثُمَّ لَا يَعُودُونَ**))[2] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**يَخْرُجُ أَهْلُ المدِينَةِ مِنْهَا ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا فَيَعْمُرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ وَتُبْنَى، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا فَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهَا أَبَدًا**))[3] فَالتَّرْكُ الثَّانِي لَمْ يَقَعْ، وَهَذَا مُرَادُ النَّوَوِيِّ[4].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((**آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، وَرجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَقُولَانِ: أَيْنَ النَّاسُ؟ فَيَأْتِيَانِ المدِينةَ فَلَا يَرَيَانِ إِلَّا الثَّعَالِبَ، فَيَنْزِلُ إِلَيْهِمَا مَلَكَانِ فَيَسْحَبَانِهِمَا عَلَى وُجُوهِهِمَا حَتَّى يُلْحِقَاهُمَا بِالنَّاسِ**))[5] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**آخِرُ النَّاسِ مَحْشَرًا رَجُلَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَفْقِدَانِ النَّاسَ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: قَدْ فَقَدْنَا النَّاسَ مُنْذُ حِينٍ، ثمَّ يَقُولُ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى المدِينَةِ، فَيَنْطَلِقَانِ فَلَا يَجِدَانِ بِهَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِ قُرَيْشٍ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ[6]، فَيَنْطَلِقَانِ فَلَا يَرَيَانِ إِلَّا السِّبَاعَ وَالثَّعَالِبَ، فَيتَوَجَّهَانِ نَحْوَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ**))[7] فَهَذَا مُبَيِّنٌ لِكَوْنِ ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَمَّا كَانَا آخِرَ النَّاسِ مَوْتًا كَانَا آخِرَهُمْ حَشْرًا[8].

وَرُوِيَ أَنَّهُمَا كَانَا يَنْزِلَانِ بِجَبَلِ وَرِقَانَ[9]، وَيؤَيِّدُ مَا ذَكَرهُ النَّوَوِيُّ مَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ [16ظ]: ((**لَتَدَعُنَّهَا مُذَلَّلَةً أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِي، أَتَدْرُونَ مَا الْعَوَافِي؟ السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ**))[10] وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَجِيءَ الثَّعْلَبُ فَيَرْبضَ عَلَى مِنْبَرِي، لَا يُنَهْنِهُهُ أَحَدٌ**))[11].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَجِيئَنَّ الثَّعْلَبُ حَتَّى يَقِيلَ فِي ظِلَالِ المنْبَرِ ثُمَّ يَرُوحَ، لَا يُنَهْنِهُهُ أَحَدٌ**))[12].

---

(1) المنهاج، النووي، ص862.

(2) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 280/1.

(3) (م، س)، 283/1.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص72.

(5) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 278/1.

(6) بقيع الغرقد: أصل البقيع في اللغة: كل ما كان فيه أروم الشجر من ضروب شتَّى، والغرقد كبار العوسَج، وهو مقبرة أهل المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص61.

(7) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 282/1.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73.

(9) جبل وَرِقَان: جبل أسود إلى الحمرة، بين العرج والرُّويثة على يمين المصعد من مكة إلى المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص428.

(10) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 281/1.

(11) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 279/1.

(12) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 278/1.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَغْشَيَنَّ أَهْلَ المدِينَةِ أَمْرٌ يُفْزِعُهُمْ حَتَّى يَتْرُكُوهَا وَهِيَ مُذَلَّلَةٌ، وحَتَّى تَبُولَ السَّنَانِيرُ عَلَى قَطَائِفِ الْخَزِّ، مَا يُرَوِّعُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَخْرِقَ الثَّعَالِبُ فِي أَسْوَاقِهَا مَا يُرَوِّعُهَا شَيْءٌ**))[1].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى مَسْجِدِي هَذَا الْكِلَابُ وَالذِّيابُ والضِّبَاعُ فَيَمُرُّ الرَّجلُ بِبَابِهِ، فَيُرِيدُ أَنْ يُصَلِّي فِيهِ فَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ**))[2].

فَهَذَا لَمْ يَقَع اتِّفَاقًا، وَأَمَّا التَّرْكُ الأَوَّلُ، الذِي ذَكَرَهُ عِيَاضٌ، فَلَعَلَّهُ المشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ يُخْرِجُهُمْ أَمْرِءُ السُّوءِ[3].

وَقَوْلهُ: ((**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَكُونَنَّ بِالمدِينَةِ مَلْحَمَةٌ يُقَالُ لَهَا الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ حَالِقَةَ الشَّعْرِ، وَلَكِنْ حَالِقَة الدِّينِ، فَاخْرُجُوا مِنَ المدِينَةِ وَلَوْ عَلَى قَدْرِ بَرِيدٍ**))[4].

وَقَوْلهُ: ((**اللَّهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي سَنَةَ سِتِّينَ وَلَا إِمْرَةَ الصِّبْيَانِ**))[5] يُشِيرُ إِلَى وِلَايَةِ يَزِيد، وَكَانَتْ سَنَةَ سِتِّينَ، وَإِلَى كَائِنَةِ الحَرَّةِ، وَهِيَ السَّبَبُ فِي تَرْكِ المدِينَةِ، كَمَا ذَكَرَهُ عِيَاضٌ وَالقُرْطُبِيُّ[6]: فَلَمَّا انْتَهَى حَالُ المدِينَةِ كَمَالًا وَحُسْنًا، تَنَاقَصَ أَمْرُهَا إِلَى أَنْ أَقْفَرَتْ جِهَاتُهَا وَتَوَالَت الفِتَنُ فِيهَا، فَخَافَ أَهْلُهَا فَارْتَحَلُوا عَنْهَا، وَوَجَّهَ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ المرِّي فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَنَزَلَ بِالمدِينَةِ، فَقَاتَلَ أَهْلَهَا فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَهُمْ بِحَرَّةَ المدِينَةِ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَاسْتَبَاحَ المدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَسُمِّيَتْ وَقْعَةَ الحَرَّةِ لِذَلِكَ، وَيُقَالُ: حَرَّةُ زَهْرَةٍ، وَكَانَت الوَقْعَةُ تُعْرَفُ بِوَقْعَةِ وَاقِم: مَوْضِعٌ عَلَى مِيلٍ مِنَ المسْجِدِ النَّبَوِيِّ، قُتِلَ فِيهِ بَقَايَا المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَخِيَارُ التَّابِعِينَ، وَهُمْ أَلْفٌ وَسَبْعُ مِئَة، وَقُتِلَ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ عَشَرَةُ آلَافٍ سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَقُتِلَ مِنْ حَمَلَةِ القُرْآنِ سَبْعُ مِئَةِ رَجُلٍ، وَجَالَت الخُيُولُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَالَتْ وَرَاثَتْ بَيْنَ القَبْرِ وَالمنْبَرِ أَدَامَ اللهُ تَشْرِيفَهُمَا، وَأُكْرِهَ النَّاسُ أَنْ يُبَايِعُوا لِيَزِيدَ، عَلَى أَنَّهُم عَبِيدٌ لَهُ إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ، وَذَكَرَ لَهُ يَزِيدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ زَمْعَةَ البَيْعَةَ عَلَى

---

(1) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 282/1.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73.

(3) (م، س)، ص73.

(4) أي: قول أبِي هريرة، تاريخ المدينة، ابن شَبَّة، 280/1، وخلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73.

(5) أي: قول أبِي هريرة، خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73، والمصنف، ابن أبِي شيبَةَ، حدِيث (37235) و(37251) و(37627) وفتح البارِي، ابن حجر، 10/13.

(6) القرطبي، المفسِّر، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، المالكي (أبو عبد الله) توفي بمنية بني خصيب بمصر سنة 671هـ، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن والتذكرة فِي أحوال الموتَى والآخِرة. طبقات المفسّرِين، السيوطِي، ص92، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 52/3.

حُكْمِ القُرْآنِ وَالسُّنَةِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَذَكَرَ أَهْلُ الخَبَرِ أَنَّهَا خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَبَقِيَتْ ثِمَارُهَا لِلعَوَافِي، وَفِي حَالِ خَلَائِهَا بَالَت الكِلَابُ [17و] عَلَى سَوَارِي المسْجِدِ[1].

وَسَبَبُ أَمْرِ يَزِيد بِذَلِكَ أَنَّهُ وَلِيَ عُثْمَانُ بنُ محمَّدَ بنِ أَبي سُفْيَانَ المدِينَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَ وَفْدًا مِنْهَا، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالُوا: قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينٌ، يَشْرِبُ الخَمْرَ وَيَزْعَفُ[2] بِالطَّنَابِيرِ وَيَلْعَبُ بِالكِلَابِ، وَإِنَّا نُشْهِدُكُمْ أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ[3].

مَعَ إِحْسَانِهِ جائِزَتَهُمْ، فَخَلُعُوهُ عِنْدَ المنْبَرِ وَبَايَعُوا عَبْدَ اللهِ بنَ حَنْظَلَةَ الغَسِيل[4] عَلَى الأَنْصَارِ، وَعَبْدَ اللهِ بنَ مُطِيع عَلَى قُرَيْشٍ، وَأَخْرَجُوا عَامِلَهُ عُثْمَانَ، وَقَالَ ابنُ حَنْظَلَةَ: مَا خَرَجْنَا عَلَيْهِ حَتَّى خِفْنَا أَنْ نُرْمَى بِالحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ[5].

وَذَكَرَ الوَاقِدِي: إِنَّ ابنَ مِينَاء كَانَ عَامِلًا عَلَى صُورَى[6] فِي المدِينَةِ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ صَوَاف[7] كَثِيرَةٌ، حَتَّى كَانَ مُعَاوِيةُ يَجِدُ بِالمدِينَةِ وَأَعْرَاضِهَا مِئَةَ أَلْفِ وِسْقٍ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ وِسْقٍ، وَيَحْصُدَ مِئَةَ أَلَفِ وِسْقٍ حِنْطَةً، فَأَقْبَلَ ابنُ مِينَاء بِسَرْحٍ[8] مِنَ الحَرَّةِ يُرِيدُ الأَمْوَالَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَنِي الحَارِثِ مَنَعُوهُ، فَأَعْلَمَ أَمِيرَ المدينةِ عُثْمَانَ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِي الحَارِثِ فَأَجَابُوهُ، فَغَدَا[9] ابنُ مِينَاء فَدَبُّوهُ[10]، فَرَجَعَ إِلَى الأَمِيرِ فَقَالَ: اجْمَعْ لَهُمْ، وَبَعَثَ مَعَهُ بَعْضَ جُنْدِهِ، فَرَفدَتْ قُرَيْشٌ إِلَى الأَنْصَارِ وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى يَزِيدَ بِذَلِكَ، وَحَرَّضَهُ عَلَى أَهْلِ المدِينَةِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَبْعَثَنَّ لَهُم الجُيُوشَ وَلَأُوطِيَنَّهُم الخَيْلَ، فَبَعَثَ مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفٍ، وَقَالَ لَهُ: ادْعُ القَوْمَ ثَلَاثًا فَإِنْ

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73– 74. من: وقوله: ((اللَّهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي...)) إلى بالت على سوارِي المسجد، كلُّه كلام القرطبِي، نقله المؤلِّف من خلاصة الوفا، وينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبِي، 1186/3.

(2) لعلَّه يعزِف، كما في خلاصة الوفا.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص74، نقلا عن ابن الجوزِي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 7/6.

(4) عبد الله بن حنظلة: ولد بعد مقتل أبيه حنظلة غسِيل الملائكة، في غزوة أحد، قتل يوم الحرة، وكان أمِير الأنصارِ يومئذ، سنة 63هـ. الإصابة، ابن حجر، 109/6.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص74، نقلا عن ابن الجوزِي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 19/6.

(6) في خلاصة الوفا: صوافِي، ولم أجد رواية هذا اللفظِ في الكتب الأخرى التي ذكرت الحادِثَة.

(7) صوافي: جمع صافية، وهي الأملاك والأرض التي جَلا عنها أهلُها، أو ماتوا ولا وارِثَ لها، واحدُها صَافِيَة. النهاية في غريب الحديث، ابن الجزرِي، 40/3.

(8) في خلاصة الوفا: بشرج، وفي وفاء الوفا: بسرح، وفِي المحن: بشرج.

(9) في خلاصة الوفا: فعدا.

(10) في خلاصة الوفا: فذبُّوه.

هُمْ أَجَابُوكَ، وَإِلَّا فَقَاتِلْهُمْ، فَإِذَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِم، فَأَبِحْهَا ثَلَاثًا لِلْجُنْدِ، وَأَجْهِزْ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَاقْتُلْ مُدَبِّرَهُمْ وَإِيَّاكَ أَنْ تُبْقِيَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لَكَ فَامْضِ إِلَى ابنِ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا قَرُبُوا، تَشَاوَرَ أَهْلُ المدِينَةِ فِي خَنْدَقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَكُّوا[1] المدِينَةَ بِالبُنْيَانِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ، وَعَمِلُوا فِي الخَنْدَقِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَلَمَّا وَصَلَ القَوْمُ عَسْكَرُوا بِالجرْفِ، وَبَعَثُوا رِجَالاً أَحْدَقُوا بِالمدِينَةِ فَلَمْ يَجِدُوا مَدْخَلًا وَالنَّاسُ عَلَى أَفْوَاهِ الخَنَادِقِ يَرْمُونَ بِالنَّبْلِ، وَحُبِسَ مُسْلِم بِنَاحِيَةِ وَاقِمَ، فَرَأَى أَمْرًا مَهُولًا، فَاسْتَعَانَ بِمَرْوَانَ وَكَانَ أَهْلُ المدِينَةِ قَدْ أَخْرَجُوهُ وَغَيْرَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَلَقِيَ مُسْلِمًا فِي طَرِيقِهِ، فَرَجَعَ مَعَهُ إِلَى المدِينَةِ، فَكَلَّمَ مَرْوَانُ رَجُلًا مِنْ بَنِي حارِثَةَ وَرَغَّبَهُ فِي الصَّنِيعِ، وَقَالَ: تَفْتَحُ لَنَا طَرِيقًا فَأَكْتُبُ بِذَلِكَ إِلَى يَزِيدَ فَيُحْسِنْ جَائِزَتَكَ، فَفَتَحَ لَهُمْ طَرِيقًا مِنْ قِبَلِهِمْ حَتَّى أَدْخَلَ لَهُ الرِّجَالَ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ[2].

قَالَ محمَّدُ بنُ عُبَيْدٍ[3]: حَضَرْتُ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّمَا أُتِينَا مِنْ قَومِنَا [17ظ] بَنِي حَارِثَةَ[4].

وَعَن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الآيةِ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةٍ: ﴿ **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا** ﴾[5] يَعْنِي إِدْخَالَ بَنِي حَارِثَةَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى أَهْلِ المدِينَةِ فِي وَقْعَةِ الحَرَّةِ، وَكَانَت الوَقْعَةُ سَنَة ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ[6].

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بنِ أَسْمَاء[7]: سَمِعْتُ أَشْيَاخَ المدِينَةِ يُحَدِّثُونَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا احْتضرَ دَعَا يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لَكَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ يَوْمًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَارْمِهِمْ بِمُسْلِم بنِ عُقْبَةَ[8] فَإِنِّي عَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ، فَلَمَّا وُلِّيَ يَزِيدُ وَفَدَ عَلَيْهِ ابنُ حَنْظَلَةَ وَجَمَاعَةٌ وَأَكْرَمَهُمْ، فَرَجَعَ فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى يَزِيد، وَدَعَاهُمْ إِلَى خَلْعِهِ فَأَجَابُوهُ فَبَلَغَهُ، فَجَهَّزَ مُسْلِم بن عُقْبَةَ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَهْلُ المدِينَةِ بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمَّا نَشَبَ القِتَالُ سَمِعُوا فِي جَوْفِ المدِينَةِ التَّكْبِيرَ مِنَ الشَّامِيينَ الذِينَ أَدْخَلَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ، فَتَرَكَ أَهْلُ المدِينَةِ القِتَالَ

---

(1) في خلاصة الوفا: شكوا.

(2) (م، س)، ص75، والمحن، أبو العرب، ص142.

(3) في خلاصة الوفا: محمود بن لبيد، وكذا في وفاء الوفا، قال البخاري: له صحبة، الإصابة، ابن حجر، 67/10.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76.

(5) سورة الأحزاب: 14.

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76.

(7) جُوَيْرِيَةُ بنُ أَسْمَاءَ بنِ عُبَيْدٍ الضُّبَعِيُّ: المحدِّث الثِّقة، حدَّث عن نافع العمرِي، وابن شهاب الزُّهرِي، وعن رفيقه مالِك بن أنَس، ت: 173هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 317/7.

(8) في الأصلِ زيادة عبارة: "أَهْلَ المدِينَةِ" في غيرِ محلها.

وَدَخَلُوا خَوْفًا عَلَى أَهْلِيهِمْ وَكَانَت الهَزِيمَةُ، وَبَايَعَ مُسْلِم النَّاس عَلَى أَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِيَزِيدَ، يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ[1].

وَسَبَوا الذُّرِيَّة وَاسْتَبَاحُوا الفُرُوجَ، وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ لِأُولَئِكَ الأَوْلَادِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي حَمَلْنَ أَوْلَادُ الحَرَّةِ[2].

قَالَ هِشَامُ بنُ حَسَّان: وَلَدَتْ بَعْدَ الحَرَّةِ أَلْفُ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ[3]، وَمِمَّنْ قُتِلَ مِنَ الصَّحَابَةِ يَوْمَئِذٍ صَبْرًا عَبْدُ اللهِ بنُ حَنْظَلَةَ الغَسِيلِ، مَعَ ثَمَانِيَةٍ مِنْ بَنِيهِ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ حَاكِي وُضُوءِ النَّبِيءِ ﷺ، وَمَعْقِلُ بنُ سِنَانٍ الأَشْجَعِي، وَكَانَ شَهِدَ فَتْحَ مَكَّة، وَكَانَ مَعَهُ رَايَةُ قَوْمِهِ، وَفِيهِ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ:

أَلَا تِلْكُمُ الْأَنْصَـــارُ تَـبْـكِـي سُـــرَاتَـهَـا وَأَشْـــجَع تَبْكِي مَعْقِـلَ بنَ سِـــنَـان[4]

وَعَنْ سَعِيدِ بنِ المسَيِّبِ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي لَيَالِي الحَرَّةِ مَا فِي المسْجِدِ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَيَدْخُلُونَ زُمَرًا، يَقُولُونَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ المجْنُونِ، وَلَا يَأْتِي وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا سَمِعْتُ أَذَانًا مِنَ القَبْرِ، ثُمَّ أُقِيمَت الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمْتُ فَصَلَّيْتُ، وَمَا فِي المسْجِدِ أَحَدٌ غَيْرِي[5].

وَسُمِّيَ مسلم بنُ عقبة مُسْرِفًا، لِإِسْرَافِهِ فِي قَتْلِ أَهْلِ المدِينَةِ، وَمُجْرِمًا لِعِظَمِ إِجْرَامِهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ أَتَى لِعَلِيّ بن الحَسَنِ، مَعَ غَيْظِهِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ ارْتَعَدَ وَقَامَ لَهُ، وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَقَالَ: سَلْنِي حَوَائِجَكَ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ فِي أَحَدٍ مِمَّنْ قُدِّمَ للسَّيْفِ إِلَّا شَفَّعَهُ فِيهِ وَانْصَرَفَ، فَقِيلَ لِعَلِيّ: رَأَيْنَاكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ، فَمَا الذِي قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَلْنَ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَأَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِيَنِي خَيْرَهُ، وَتَكْفِيَنِي شَرَّهُ، وَقِيلَ لِمُسْلِمَ: رَأَيْنَاكَ تَسُبُّ هَذَا الغُلَامَ وَسَلَفَهُ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ إِلَيْكَ رَفَعْتَ مَنْزِلَتَهُ، قَالَ: مَا [18و] كَانَ ذَلِكَ رَأْيًا مِنِّي، وَلَقَدْ أُمْلِئَ قَلْبِي مِنْهُ رُعْبًا[6].

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76.

(2) (م، س)، ص76.

(3) المنتظم، ابن الجوزِي، 15/6.

(4) البيت من الطويل، خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، 359/59.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص77.

(6) (م، س)، ص77.

وَلَمَّا سَارَ مِنَ المدينَةِ لِقِتَالِ ابنِ الزُّبَيْرِ أَهْلَكَهُ اللهُ فِي الطَّرِيقِ، ابْتَلَاهُ بِالماءِ الأَصْفَرِ فِي بَطْنِهِ فَمَاتَ بِقَدِيد، وَقِيلَ: بِهَرْشَى[1] بَعْدَ الوَقْعَةِ بِثَلَاثٍ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لِحَصِينَ بنِ نَمِيرٍ[2]: أَمِيرُ المؤْمِنِينَ وَلَّاكَ بَعْدِي فَأَسْرِعِ السَّيْرَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَمَرَهُ[3] أَنْ يَنْصِبَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ المجَانِيقَ عَلَى مَكَّةَ، وَمَضَى الجَيْشُ لِمَكَّةَ، وَجَعَلَ يَرْمِي الكَعْبَةَ بِالمنْجَنِيقِ وَأَخَذَ رَجُلٌ قَبَسًا فِي رَأْسِ رُمْحٍ فَطَارَ بِهِ الرِّيحُ، فَاحْتَرَقَ البَيْتُ فَجَاءَهُمْ نَعْيُ يَزِيدَ لِهِلَالِ رَبِيعٍ الأَخِيرِ، وَكَانَ بَيْنَ الحَرَّةِ وَبَيْنَ مَوْتِهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ أَوْ دُونَهَا، وَكَانَ رَمْيُ الكَعْبَةِ مِنْ أَشْنَعِ مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ يَزِيدَ[4].

وذَكَرَ الوَاقِدِي: أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ خَرَجَ سَفرًا مِنْ أَسْفَارِهِ، فلَمَّا مَرَّ بِحَرَّةِ زَهْرَةَ وَقَف، وَاسْتَرْجَعَ فَسِيءَ بِذَلِكَ مَنْ مَعَهُ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ سَفَرِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الذِي رَأَيْتَ؟ فَقَالَ النَّبيءُ ﷺ: ((**أَمَا إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ سَفَرِكُمْ هَذَا**، قَالُوا: فَمَا هُوَ؟ قَالَ: **يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْحرَّةِ خِيَارُ أُمَّتِي بَعْدَ أَصْحَابِي**))[5].

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ بِيَدِهِ، فَقَالَ: ((**يُقْتَلُ بِهَذِهِ الْحرَّةِ خِيَارُ أُمَّتِي**))[6].

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ فِي حَرَّة شَرْقِيَّ المدِينَةِ مَقْتَلَةٌ، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ضِيَاءً[7].

وَيُقَالُ لِلْحَرَّةِ حَرَّةُ وَاقِم، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنُ بنُ سَعِيد بنِ زَيْد[8]:

فَإِنْ يَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّة وَاقِم ... فَنَحْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قُتِلْ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَدْرٍ أَذِلَّةً ... وَأُبْنا بِأَسْلَابٍ لَنَا مِنْكُمُ نَفَلْ
فَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا عَائِدُ الْبَيْتِ سَالِمًا ... فَكُلُّ الذِي قَدْ نَالَنَا مِنْكُمُ جَلَلْ[9]

وَاللهُ أَعْلَمُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

---

(1) هرشا: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرَى منها البحر. معجم البلدان، الحموِي، 397/5.

(2) حصين بن نمير بن نائل: السكوني من أهل حمص، كان أمِيرا على جند حمص، وكان على الجيشِ الذين قاتلوا ابن الزبير بمكة. تاريخ دمشق، ابن عساكر، 382/14، وتهذيب التهذيب، ابن حجر، 392/2.

(3) في الأصل: ومُرْه.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص77-78.

(5) ينظر: دلائل النبوة، البيهقِي، 473/6.

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص78.

(7) (م، س)، ص78، وفيه: صنعاً بدل ضِياءً.

(8) عبد الرحمن بنُ سعيد بن زيد: لا بقية له وكان شاعِرا. نسب قريش، الزبيرِي، ص 366.

(9) الأبيات من الطويل، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص151، وخلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص78.

34 فَكَمْ آيِسٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قَدْ غَدَا إِلَيْهَا فَحَطَّتْ عَنْهُ أَنْوَاعَ عُدْوَانِ

لِأَنَّهُ نَاسٌ كَثِيرُونَ مُشْرِفُونَ عَلَى الإِيَاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، سَارُوا إِلَيْهَا، وَحَطَّتْ عَنْهُمْ، بِسَبَبِ سَيْرِهِمْ إِلَيْهَا، أَنْوَاعَ المعَاصِي، التِي هِيَ مُحَارَبَةٌ للهِ.

فَالفَاءُ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: "تَسْلَمْ"، أَوْ لِقَوْلِهِ: "قُمْ". وَ"كَمْ": لِلتَّكْثِيرِ، وَأَفْرَدَ ضَمِيرَهَا فِي "غَدَا" وَ"عَنْهُ" نَظَرًا لِلَفْظِهَا.

وَ"آيِس": بِتَصْحِيحِ اليَاءِ بَعْدَ الأَلِفِ، لَا بِقَلْبِهَا هَمْزَةً لِأَنَّهَا صَحَّتْ فِي الفِعْلِ.

وَمَعْنَى آيِسَ: مُشْرِفٌ عَلَى الإِيَاسِ لَا آيِسٌ حَقِيقَةً، لِأَنَّ الآيِسَ حَقِيقَةً لَا يُغْفَرُ لَهُ وَلَا [18ظ] يَسْعَى فِيمَا تُحَطُّ عَنْهُ بِهِ الذُّنُوبُ.

فَ"آيِسٍ": مَجَازٌ مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ؛ لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ المعْقُولِ، بِأَنْ سَمَّى القُرْبَ لِلإِيَاسِ إِيَاسًا، فَاشْتَقَّ مِنْ لَفْظِ الإِيَاسِ، بِمَعْنَى القُرْبِ مِنَ القُنُوطِ، آيِسًا بِمَعْنَى قَرِيبًا مِنْهُ.

أَوْ مَجَازٌ مُرسَلٌ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ وَالمسَبِّبِيَّة أَوْ إِحْدَاهُمَا، أَو اللَّازِمِيَّةِ وَالملْزُومِيَّةِ، أَوْ إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى مُرِيدُ الإِيَاسِ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الشَّيْءِ سَبَبٌ لَهُ وَمَلْزُومٌ لَهُ. أَوْ حَقِيقَةٌ فَيُقَدَّرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: قَدْ غَدَا بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنَ الإِيَاسِ، أَوْ قَدْ غَدَا تَائِبًا، أَوْ ضَمَّنَ غَدَا مَعْنَى تَابَ بِلَا حَذْفٍ وَتَقْدِيرٍ.

وَ"رَحْمَةُ اللهِ": إِنْعَامُهُ، حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ مَجَازٌ لُغَوِي؛ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ رِقَّةِ القَلْبِ الإِحْسَانُ، وَلَا يُوصَفُ اللهُ بِالْقَلْبِ، وَلَا بِالرِّقَّةِ وَلَا بِصِفَةِ خَلْقٍ، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِنْعَامِ.

وَ"غَدَا": مَجَازٌ مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ أَوْ أَحَدِهِمَا؛ فَإِنَّ الغَد[1] حَقِيقَة لِلسَّيْرِ بَعْدَ الفَجْرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِمَعْنَى مُطْلَقِ السَّيْرِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَالفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ.

وَحَطُّ الذُّنُوبِ: مَحْوُهَا مِنَ الصَّحيفةِ، ومِنْ لازِمِ هذا انْتِفَاءُ العِقَابِ عَلَيْهَا. أَوْ يُقَدَّرُ مُضَافٌ؛ أَيْ: حُطَّ عَنْهُ، بِسَبَبِ السَّيْرِ إِلَى طَيْبَةَ، عِقَابُ أَنْواعِ العُدْوَانِ، وَهَذَا أَوْلَى لاطِّرَادِهِ، بِخِلَافِ مَحْوِهَا مِنَ الصَّحِيفَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِكُلِّ سَعِيدٍ.

أَوْ حَطُّهَا كِنَايَةٌ عَن انْتِفَاءِ المؤَاخَذَةِ، وَلَا يَلْزَمُ فِي الكِنَايَةِ وُجُودُ المعْنَى المؤْضُوع لَهُ اللَّفْظُ، فَشَمِلَ مَنْ مُحِيَتْ مِنْ صَحِيفَتِهِ وَمَنْ لَمْ تُمْحَ مِنْ صَحِيفَتِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُعَاقَبْ بِهَا. أَو الحَطُّ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ فِي تَرْكِ العِقَابِ عَلَى الذَّنْبِ.

---

(1) خطأ صوابه: الغدو.

وَ"أَنْوَاعُ العُدْوَانِ": الكَبَائِرُ؛ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً أَصَرَّ عَلَيْهَا، فَقَدْ حَارَبَ اللهَ وَعَادَاهُ.

وَ"عُدْوَانِ": مَجَازٌ اسْتِعَارِيٌّ، شَبَّهَ الكَبِيرَةَ، وَمِنْهَا الصَّغِيرَةُ المصَرُّ عَلَيْهَا بِالمحَارَبَةِ، لِجَامِعِ المخَالَفَةِ وَالسَّعْيِ فِي مَا لَا يَرْضَى المحَارَبُ. وَهُنَا فَصْلَانِ.

[الفصل] الأَوَّل: فِي فَضْلِ المدِينَةِ

وَهُوَ ظَاهِرٌ بِالحِسِّ وَبِالنَّقْلِ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ فِيهَا بِعَشْرِ مِئَةِ حَسَنَةٍ، وَيُرْوَى بِمِئَةِ أَلْفٍ.

وَنَقَلَ عِيَاضٌ وَأَبُو الوَلِيدِ البَاجِي قَبْلَهُ، وَغَيْرُهُمَا الإِجْمَاعَ عَلَى تَفْضِيلِ قَبْرِهِ ﷺ عَلَى كُلِّ بُقْعَةٍ حَتَّى الكَعْبَةِ[1]، وَذَكَرَ السُّبْكِي[2] وَابْنُ عَقِيلٍ[3] أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ العَرْشِ، وَصَرَّحَ الفَاكِهَانِي[4] أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَوَاتِ، وَقَالَ: بَل الظَّاهِرُ المتَعَيّنُ تَفْضِيلُ جَمِيعِ الأَرْضِ عَلَى السَّمَوَاتِ لِحُلُولِهِ ﷺ بِهَا، وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِ الأَكْثَرِينَ لِخَلْقِ الأَنْبِيَاءِ مِنْهَا [19و] وَدَفْنِهِمْ فِيهَا[5].

وَقَالَ الجُمْهُورُ بِتَفْضِيلِ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ؛ أَيْ: سِوَى قَبْرِهِ ﷺ، وَأَجْمَعُوا بَعْدُ عَلَى تَفْضِيلِ مَكَّة وَالمدِينَةِ عَلَى سَائِرِ البِلَادِ[6].

ثُمَّ إِنَّ المدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَبَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَأَكْثَرِ المدَنِيِّينَ، كَمَا قَالَ عِيَاضٌ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَد، وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الكَعْبَةَ أَفْضَلُ مِنَ المدِينَةِ سِوَى قَبْرِهِ ﷺ[7].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص18، نقلا عن ابن عساكر، إتحاف الزائرِ، ص36.

(2) علي بن عبد الكافِي بن علي، تقِيّ الدِّين، قاضِي القُضاةِ، محدِّث فقيه، ولد بسبك بالمنوفية بمصرَ، أخذ العلم بالقاهرة على يد علماءَ، تفقه على يده جماعة من العلماءِ كالإسنوِي عبد الرَّحيم بن الحسَن، وابن النَّقِيبِ محمد بن أبِي بكر، من تصانِيفه: الدر النظِيم فِي تفسِير القرآن العظِيمِ، وشفاء السَّقام في زيارة خيْرِ الأنامِ، ت:756هـ. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 47/3.

(3) ابن عقيل الحنبلِي: علي بن مُحَمَّد بن عقيل، الفقيه البغدادي، حدث عنه أبو بكر السمعاني، وأبو طاهر السِّلَفِي، ت:513هـ. طبقات الحنابلة، ابن أبِي يعلَى، 259/2، وسِيَر أعلام النبلاء، الذهبِي، 443/19.

(4) الفاكهاني: عمر بن علي الإسكندراني الفاكهاني ولد سنة: 654هـ وتوفي سنة:731هـ له باع في الحديث والأصول والعربية والأدب، من تصانيفه: شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه المالكي سماه التحرير والتحبير، شرح الأربعين النووية وسماه المنهج المبين في شرح الأربعين، الإشارة في النحو، التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة، واللمعة في وقفة الجمعة. معجم المؤلفِين، رضا كحالة، 567/2، والديباج، ابن فرحون، 80/2.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص18، ونسب القولَ إلى التاج الفاكهي.

(6) (م، س)، ص18، ونسب الإجماع إلى النَّوَوِي.

(7) (م، س)، ص18، وينظر: إكمال المعلم، القاضِي عياض، 264/4.

قال ابنُ عَبْدِ السَّلَامِ[1]: مَعْنَى التَّفْضِيلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمدِينَةِ أَنَّ ثَوَابَ العَمَلِ فِي إِحْدَاهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي الأُخْرَى[2]، وَمِمَّا جَاءَ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الحَسَنَةَ فِي مَكَّةَ بِمِئَةِ أَلْفٍ وَفِي المدِينَةِ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، وَفِي بَيْتِ المقْدِسِ بِأَلْفٍ.

وَكَذَا التَّفْضِيلِ فِي الأَزْمَانِ، وَقَبْرُهُ ﷺ لَا يُمْكِنُ العَمَلُ فِيهِ فَيُشْكِلُ قَوْلُ عِيَاض إِنَّهُ أَفْضَلُ إِجْمَاعًا[3]. قُلْتُ: الفَضْلُ بِقُرْبِ الجِوَارِ، فَيَعْظُمُ الثَّوَابُ بِالقُرْبِ مِنْهُ فِي العَمَلِ.

ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْضًا قَالَ: إِنَّ التَّفْضِيلَ لِلْمُجَاوَرَةِ، وَلِذَا حُرِّمَ عَلَى المحْدِثِ مَسُّ جِلْدِ المصْحَفِ لَا بِكَثْرَةِ الثَّوَابِ، وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ جِلْدُ المصْحَفِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ لِتَعَذُّرِ العَمَلِ فِيهِ[4].

وَقَالَ السُّبْكِي: قَدْ يَكُونُ التَّفْضِيلُ لِكَثْرَةِ الثَّوَابِ، وَقَدْ يَكُونُ لِأَمْرٍ آخَرَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ، فَإِنَّ القَبْرَ الشَّرِيفَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحَمَاتِ وَالرِّضْوَانِ وَالملَائِكَةِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ العُقُولُ، وَكَذَا لَهُ ﷺ وَلِقَبْرِهِ عِنْدَ اللهِ مِنَ المحَبَّةِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ العُقُولُ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ الأَمْكِنَةِ.

وَأَيْضًا فَبِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُدْفَنُ فِي الموْضِعِ الذِي خُلِقَ مِنْهُ. وَأَيْضًا قَدْ تَكُونُ الأَعْمَالُ مُضَاعَفَةً فِيهِ بِاعْتِبَارِ حَيَاتِهِ ﷺ فِيهِ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُ مُضَاعَفَةٌ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَالرَّحَمَاتُ النَّازِلَاتُ بِذَلِكَ المحَلِّ يَعُمُّ فَيْضُهَا الأُمَّةَ، وَهِيَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ لِدَوامِ تَرَقِّيَاتِهِ ﷺ فَهُوَ مَنْبَعُ الخَيْرَاتِ[5].

وَالكَعْبَةُ عِنْدَ مَنْ مَنَعَ الصَّلَاةَ فِيهَا، أَوْ كَرِهَ الصَّلَاةَ فِيهَا، لَا يَصِحُّ القَوْلُ بِتَفْضِيلِ المسْجِدِ حَوْلَهَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ العَمَلِ جَزْمًا، وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾[6] الآية حَاصِلٌ بِالمجِيءِ إِلَى قَبْرِهِ ﷺ وَزِيَارَتِهِ وَسُؤَالِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُ، وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى اللهِ، وَالمجَاوَرَةُ عِنْدَهُ مِنْ أَفْضَلِ القُرُبَاتِ، وَعِنْدَهُ [19ظ] تُجَابُ الدَّعَوَاتُ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ، وَهُوَ السَّبَبُ فِي هَذِهِ

(1) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي فقيه، مشارك في الأصول والعربية والتفسير، ولد بدمشق وتفقه على فخر الدين بن عساكر، سمع كثيرا، ودرس وأفتى، توفي بالقاهرة سنة660هـ وقيل: 669هـ، من مصنفاته: القواعد الكبرى في أصول الفقه، الغاية في اختصار النهاية في فروع الفقه الشافعي. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 162/2. طبقات الشَّافعيَّة، ابن قاضي شهبة، 137/2.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص18.

(3) (م، س)، ص18.

(4) (م، س)، ص18.

(5) (م، س)، ص19.

(6) سورة النساء: 64.

الخَيْرَاتِ، وَأَيْضًا فَهُوَ مِنْ أَعْلَى رِيَاضِ الجَنَّةِ وَفِي الحَدِيثِ: ((**لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**))[1].

وَفِي "مُسْتَدْرَكِ" الحَاكِمِ وَقَالَ: صَحِيحٌ وَلَهُ شَوَاهِدٌ صَحِيحَةٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: ((**قَبْرُ مَنْ هَذَا؟**)) فَقَالُوا: قَبْرُ الحَبَشِيّ فُلَانٌ يَا رَسُولَ اللهِ، **فَقَالَ**: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى التُّرْبَةِ التِي مِنْهَا خُلِقَ**))[2].

وَذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِي عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّدًا ﷺ أَمَرَ جبرِيلَ فَأَتَاهُ بِالقَبْضَةِ البَيْضَاءِ، التِي هِيَ مَوْضِعُ قَبْرِهِ ﷺ فَعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ، ثُمَّ غُمِسَتْ فِي أَنْهَارِ الجَنَّةِ، وَطِيفَ بِهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَعَرَفت الملَائِكَةُ مُحَمَّدًا وَفَضْلَهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ عليه السلام[3].

وَقَالَ الحَكِيمُ التِّرْمَذِي فِي حَدِيث: ((**إِذَا قُضِيَ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جُعِلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةٌ**))[4] إِنَّمَا صَارَ أَجَلُهُ هُنَالِكَ لِأَنَّهُ خُلِق مِنْ تِلْكَ البُقْعَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ** ﴾[5] وَإِنَّمَا يُعَادُ المرْءُ حَيْثُ بُدِئَ[6].

وَعَنْ يزيد الجريري[7]: سَمِعْتُ ابْنَ سِيرِينَ يَقُولُ: لَوْ حَلَفْتُ حَلْفَتُ صَادِقًا بَارًّا غَيْرَ شَاكٍّ وَلَا مُسْتَثْنٍ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ نَبِيَّهُ ﷺ وَلَا أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَر إِلاَّ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى تِلْكَ الطِّينَةِ[8].

وَجَاءَ أَنَّ عِزْرِيلَ لَمَّا قَبَضَ القَبْضَةَ مِنَ الأَرْضِ، وَطِئَ إِبْلِيسُ الأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ وَصَارَ بَعْضُهَا بَيْنَهُمَا، فَمِنَ التُّرْبَةِ التِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا قَدَمُهُ الأَنْبِيَاءُ وَالأَوْلِيَاءُ، وَكَانَتْ دُرَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ القَبْضَةِ، مَوْضِعِ رَحْمَةِ اللهِ[9].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (2796).

(2) المستدرك، الحاكِم حدِيث (1356).

(3) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي، 3/1. الكتاب بصيغة الشاملة ولم أحصل عليه ورقيا أو مصورا.

(4) سنن الترمذي، حديث (2146).

(5) سورة طه: 55.

(6) نوادر الأصول، الترمذِي، 213/1.

(7) كذلك ذكر في خلاصة الوفا، وفي نوادر الأصول: عن إبراهيم بن يزيد الجوزِي، ولم أقف على ترجمة له.

(8) نوادر الأصول، الترمذِي، 215/1.

(9) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص20.

وَعَن ابْنِ عَبَّاس: أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُرَّةِ الأَرْضِ بِمَكَّةَ، يَعْنِي الكَعْبَةَ[1].

وَقِيلَ: لَمَّا خَاطَبَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِيتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا ﴾[2] الآية أَجَابَ مَوْضِعُ الكَعْبَةِ مِنَ الأَرْضِ، وَمِن السَّمَاءِ مَا يُحَادِيهَا، فَالمجِيبُ مِنَ الأَرْضِ دُرَّتُهُ ﷺ وَمِن الكَعْبَةِ دُحِيَت الأَرْضُ، وَلَمْ يَكُنْ مَدْفَنُهُ بِهَا ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تَمَوَّجَ الماءُ رَمى الزَّبَدَ إِلَى النَّوَاحِي فَوَقَعَتْ جَوْهَرَتُهُ ﷺ إِلَى مَا يُحَادِي تُرْبَتَهُ بِالمدِينَةِ، وَقَرَّتْ بِهَا كَمَا قَالَهُ بَعْضُ المحَقِّقِينَ، فَاسْتَحَقَّ هَذَا المحَلُّ الشَّرَفَ بِاسْتِقْرَارِ ذَلِكَ فِيهِ، كَمَا أَنَّ السَّبَبَ فِي تَفْضِيلِ الكَعْبَةِ وُجُودُهُ بِهَا أَوَّلًا[3]، وَذَلِكَ كُلُّهُ جُزْءٌ مِنْ كَوْنِهِ خُلِقَتِ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِهِ.

وَقَالَ ابنُ الجَوْزِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيءُ ﷺ اخْتَلَفُوا [20و] فِي دَفْنِهِ فَقَالَ عَلِيّ: لَيْسَ فِي الأَرْضِ بُقْعَةٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ بُقْعَةٍ قُبِضَ فِيهَا نَفَسُ نَبِيئِهِ ﷺ[4].

فَهَذَا أَصْلُ الإِجْمَاعِ عَلَى تَفْضِيلِهِ لِرُجُوعِ البَاقِينَ إِلَيْهِ، وَلِقَوْلِ أَبِي بَكْر ﷺ حِينَئِذٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**لَا يُقْبَضُ النَّبِيءُ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ**))[5].

وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى رَبِّهِ، لِأَنَّ حُبَّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ، وَمَا كَانَ أَحَبّ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ كَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلُ[6].

وَفِيهِ: إِنَّ الحَدِيثَ إِنْ كَانَ فِي أَحَبِّ الأَمْكِنَةِ إِلَى نَبِيئِنَا ﷺ صَحَّ الِاسْتِدْلَالُ، وَإِنْ أُرِيدَ جِنْسُ الأَنْبِئَاءِ فَكُلُّ مَوْضِعٍ مَاتَ فِيهِ نَبِيءٌ، كَانَ مِنْ جُمْلَةِ المَوَاضِعِ المحْبُوبَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ بَيَانُ أَفْضَلِهَا عَلَى الإِطْلَاقِ.

وَصَحَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**))؛ أَيْ: بَلْ أَشَدُّ أَوْ وَأَشَدُّ، كَمَا رُوِيَ بِهِ، وَأُجِيبَت الدَّعْوَةُ، حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ دَابَّتَهُ إِذَا رَآهَا مِنْ حُبِّهَا[7]، وَقَالَ: ((**مَا عَلَى الأَرْضِ بُقْعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْرِي بِهَا مِنْهَا**))[8].

---

(1)خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص20.

(2) سورة فصلت: 11.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص20.

(4) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي، 40/2. الكتاب بصيغة الشاملة، لم أجده ورقيا أو مصوَّرا.

(5) أبو يعلَى في مسنده رقم (45).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص21.

(7) صحيح البخارِي رقم (1790).

(8) الموطّأ، مالك بن أنَس، حدِيث (932).

وَرَوَى الحَاكِمُ فِي "المسْتَدْرَكِ": ((**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ البِقَاعِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ البِقَاعِ إِلَيْكَ**))[1]؛ أَيْ: فِي مَوْضِعٍ تُصَيِّرُهُ كَذَلِكَ عَلَى طبقِ الأَزَلِ، فَيَجْتَمِعُ فِيهِ الحُبَّانِ، وَالحُبُّ مِنَ اللهِ إِنَالَةُ الخَيْرِ وَالتَّعْظِيمُ لِلْمَحْبُوبِ، فَيَتَجَدَّدُ بَعْدُ إِنْ لَمْ يَكُنْ، وَضَعَّفَهُ ابنُ عَبْدِ البَرّ، وَإِنْ سَلِمَتْ صِحَّتُهُ فَالمرَادُ أَحَبّ إِلَيْكَ بَعْدَ مَكَّةَ لِحَدِيثِ: ((**إِنَّ مَكَّةَ خَيْرُ بِلَادِ اللهِ**))[2] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ**))[3] وَلِزِيَادَةِ المضَاعَفَةِ لِمَسْجِدِ مَكَّةَ[4].

وَاعْتُرِضَ بِأَنَّ مَا ذُكِرَ لَا يَقْتَضِي صَرْفَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ؛ إِذ القَصْدُ بِهِ الدُّعَاءُ لِدَارِ هِجْرَتِهِ بِأَنْ يُصَيِّرَهَا اللهُ كَذَلِكَ، وَفِيمَا قَدَّمْنَا غُنْيَةٌ عَنْ صِحَّتِهِ، وَحَدِيث: ((**إِنَّ مَكَّةَ**...)) إِلخ مَحْمُولٌ عَلَى بَدْءِ الأَمْرِ قَبْلَ ثُبُوتِ الفَضْلِ لِلمَدِينَةِ، وَإِظْهَارِ الدِّينِ وَافْتِتَاحِ البِلَادِ مِنْهَا، حَتَّى مَكَّةُ، فَقَدْ أَنَالَها وَأَنَالَ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهَا مِنَ البِلَادِ؛ فَبِظَهْرِ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَصَيْرُورَتِهَا أَحَبّ مُطْلَقًا بَعْدُ، وَلِهَذَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَى نَبِيئِهِ ﷺ الإِقَامَةَ بِهَا، وَحَثَّ هُوَ عَلَى الإِقَامَةِ بِهَا، وَالاِقْتِدَاءِ بِهِ فِي سُكْنَاهَا، وَالموْتِ بِهَا، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ أَفْضَلُ[5].

وَيُبْحَثُ بِأَنَّ حَدِيثَ: ((**إِنَّ مَكَّةَ خَيْرُ بِلادِ اللهِ**)) إِخْبَارٌ عَلَى الإِطْلَاقِ بِلَا قَيْدٍ وَلَا نَسْخٍ؛ إِذ الخَبَرُ لَا يَقْبَلُ النَّسْخَ. وَيُجَابُ بِأَنَّ المرَادَ: إِنَّهَا زَادَتْ عَلَى سَائِرِ البِلَادِ فِي نَفْعِ الله بِهَا وَنَفْعِهَا وَنَفْعِ أَهْلِهَا، فَيُقْبَلُ التَّقْيِيدُ بِأَنَّ ذَلِكَ بَعْدَ المدِينةِ، وَيُعْتَرَضُ بِأَنَّهُ جَاءَ فِيهِمَا مَعًا أَنَّهَا أَحَبُّ، فَلَعَلَّهُمَا سَوَاءٌ.

وَفِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ: ((**إِنَّ مَكَّةَ خَيْرُ بِلادِ اللهِ**)) أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالحَزْوَرَةِ[6] [20ظ] وَهُوَ مَوْضِعٌ، وَيُقَالُ لَهُ: عَزْوَرَة، وَقَدْ كَانَ ﷺ فِي سَفَرِ الهِجْرَةِ فِي اسْتِخْفَاءٍ لَا يَقْتَضِي تَأَخُّرَ هَذَا القَوْلِ عَنْ سَفَرِ الهِجْرَةِ؛ لِأَنَّ خُرُوجَهُ ﷺ لِلْغَارِ كَانَ لَيْلًا، بَعْدَ أَنْ دَرَّ التُّرَابَ عَلى رُؤُوسِ مَنْ كَانَ يَرْصُدُهُ، وَقَرَأَ أَوَائِلَ "يس" يَسْتَتِرُ بِهَا، فَلَمْ يَرَوْهُ، وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ حِبَّانَ: ((**فَرَكِبَا**، يَعْنِيهِ وَأَبَا بَكْرٍ، **حَتَّى أَتَيَا الْغَارَ، وَهُوَ بِثَوْرٍ، فَتَوَارَيَا فِيهِ**))[7].

---

(1) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4261).

(2) صحيح ابن حبان حدِيث (3708).

(3) (م، س) حدِيث (3708).

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص21.

(5) (م، س)، ص21.

(6) الحزورة: كانت سوق مكة، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. معجم البلدان، الحموِي، 255/2.

(7) صحيح ابن حبَّان رقم (6279).

وَأَمَّا مَزِيدُ المضَاعَفَةِ، فَأَسْبَابُ التَّفْضِيلِ لَا تَنْحَصِرُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ بِمِنىً لِلْمُتَوَجِّهِ بِعَرَفَةَ، أَفْضَلُ مِنْهَا بِمسْجِدِ مَكَّةَ، وَإِن انْتَفَتْ عَنْهَا المضَاعَفَةُ؛ إِذْ فِي الاتِّبَاعِ مَا يَرْبُو عَلَيْهَا، وَمَذْهَبُ شُمُولِ المضَاعَفَةِ لِلنَّفْلِ مَعَ تَفْضِيلِهِ بِالمنْزِلِ، وَلِذَا قَالَ عُمَر ﷺ بِمَزِيدِ المضَاعَفَةِ لِمَسْجِدِ مَكَّةَ، مَعَ قَوْلِهِ بِتَفْضِيلِ المدِينَةِ، وَلَمْ يُصِبْ وَاحِدٌ مِنْ قَوْلِهِ بِمَزِيدِ المضَاعَفَةِ تَفْضِيلَهِ مَكَّةَ؛ إِذْ غَايَتُهُ أَنَّ لِلمَفْضُولِ مَزِيَّةً لَيْسَتْ لِلفَاضِلِ، مَعَ أَنَّ دُعَاءَهُ ﷺ لِمَزِيدِ تَضْعِيفِ البَرَكَةِ بِالمدِينَةِ شَامِلٌ لِلأُمُورِ الدِّينِيَّةِ أَيْضًا، وَقَدْ يُبَارِكُ فِي العَدَدِ القَلِيلِ فَيَرْبُو نَفْعُهُ عَلَى الكَثِيرِ، وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى تَفْضِيلِ المدِينَةِ[1].

وَإِنْ أُرِيدَ مِنْ حَدِيثِ المضَاعَفَةِ لِمَكَّةَ الكَعْبَةُ فَقَطْ، فَالجَوَابُ أَنَّ الكَلَامَ فِيمَا عَدَاهَا، فَلَا يُرَدُّ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِهَا، وَلَا مَا بِمَكَّةَ مِنْ مَوَاضِعِ النُّسُكِ لِتَعَلُّقِهِ بِهَا، وَلِذَا قَالَ عُمَر لِعَبْدِ اللهِ المخْزُومِيّ: أَنْتَ القَائِلُ: لَمَكَّةُ خَيْرٌ مِنَ المدِينَةِ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ: هِيَ حَرَمُ اللهِ وَأَمْنُهُ، وَفِيهَا بَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَر: لَا أَقُولُ فِي حَرَمَ اللهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا، ثُمَّ كَرَّرَ عُمَر قَوْلَهُ الأَوَّلَ فَأَعَادَ جَوَابَهُ، فَأَعَادَ لَهُ: لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ اللهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا، فَأُشِيرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَانْصَرَف[2].

وَقَدْ عُوِّضَت المدِينَةُ عَن العُمْرةِ صَلَاةً فِي مَسْجِدِ قُبَاء، وَعَن الحَجِّ. وَالمدِينَةُ وَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ مِنْ مَكَّةَ، عَلَى القَوْلِ بِهِ، فَقَدْ كَانَتْ سَبَبًا لِإِعْزَازِ الدِّينِ وَإِظْهَارِهِ، وَنُزُولِ أَكْثَرِ الفَرَائِضِ، وَإِكْمَالِ الدِّينِ حَتَّى كَثُرَ تَرَدُّدُ جِبْرِيلَ عليه السلام بِهَا، ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِهَا ﷺ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ لِمَالِك: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ المقَامُ هُنَا؛ أَيْ: بِالمدِينَةِ أَوْ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: هَهُنَا، وَكَيْفَ لاَ أَخْتَارُ المدِينَةَ وَمَا بِهَا طَرِيقٌ إِلَّا سَلَكَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجِبْرِيلُ عليه السلام يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّ العَالمينَ فِي أَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ[3].

وَقَدْ ثَبَتَ تَفْضِيلُ الموْتِ بِالمدِينَةِ فَثَبَتَ تَفْضِيلُ سُكْنَاهَا؛ لِأَنَّ سُكْنَاهَا طَرِيقُ الموْتِ بِهَا. وَرَوَى الطَّبَرَانِي وَغَيْرُهُ حَدِيثَ: ((**المدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ**))[4].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص22.

(2) (م، س)، ص22.

(3) (م، س)، ص22-23.

(4) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (4450).

[21و] ورَوَى الجَنَدِي[1]: ((**أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ**))[2] وَفِي سَنَدِهِ محمَّد بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّدَاد، ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ، وَقَالَ: كَانَ يُخْطِئُ، وَقَالَ ابنُ عَدِيّ[3]: رِوَايَتُهُ لَيْسَتْ مَحْفُوظَةً، وَقَالَ أَبُو حَاتِم: لَيْسَ بِقَوِيٍّ[4]، وَقِيلَ: لَا بَأْسَ بِهِ.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى. يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ المدِينَةُ، تَنْفِي الْخَبَثَ، أَوْ تَنْفِي النَّاسَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**))[5]؛ أَيْ: أَمَرَنِي اللهُ بِالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، إِنْ كَانَ قَالَهُ بِمَكَّةَ، وَبِسُكْنَاهَا إِنْ كَانَ قَالَهُ بِالمدِينَةِ[6].

إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الهِجْرَةَ مَعَ قَوْلِهِ بِالمدِينَةِ، يُرِيدُ الإِخْبَارَ بِأَنِّي هَجَرْتُ إِلَيْهَا بِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ القَاضِي عَبْدُ الوَهَّابِ[7]: لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ تَأْكُلُ القُرَى إِلَّا رُجُوح فَضْلِهَا عَلَيْها وَزِيَادَتهَا عَلَى غَيْرِهَا[8].

وَقَالَ ابنُ المنَيِّرِ[9] جَدُّ الدَّمَامِينِي[10]: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المرَادُ بِذَلِكَ غَلَبَةُ فَضْلِهَا عَلَى فَضْلِ غَيْرِهَا؛ أَيْ: إِنَّ الفَضَائِلَ تَضْمَحِلُّ فِي فَضَائِلِهَا، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ تَسْمِيَةِ مَكَّةَ أُمِّ القُرَى؛ لِأَنَّ الأُمُومَةَ لَا

---

(1) في خلاصة الوفا الجنيدي.

المفضل بن محمد بن إبراهيم الشعبي مؤرخ ومحدث، يمني الأصل، حدَّثَ بمكة، وتوفي بها. من تآليفه: فضائل المدينة، وفضائل مكة ت: 308هـ. سير أعلام النبلاء، 257/14، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 904/3.

(2) فضائل المدينة، الجَنَدِي، حدِيث (12).

(3) ابنُ عَدِيّ: عبدُ الله بن عَدِيّ بن عبد الله الجرجاني، ويعرف أيضا بابن القطان، محدث، حافظ، ناقد، فقيه،

توفي بجرجان سنة 365هـ، مِن تصانيفه: الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث، الإنتصار على مختصر المزني في فروع الفقه. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 154/16 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 257/3.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23، وينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، 400/7، والجرح والتعديل، ابن أبِي حاتم، 315/7، ولم أجده في الثقات لابن حبَّان.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1871).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23.

(7) عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (أبو محمد) فقيه، أديب، شاعر، ولد ببغداد، وتوفي بمصر سنة 422هـ، من تصانيفه: التلقين في فروع الفقه المالكي. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 344/2.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23، نقلا من فتح البارِي، ابن حجر، 87/4.

(9) علي بن محمد بن منصور، الإسكندري (أبو الحسن، زين الدين بن المنَيّر)، محدث، توفي سنة 695هـ، من آثاره: شرح الجامع الصحيح للبخاري، والمتوارى عن تراجم البخاري. الوافي، الصفدي، 90/22، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 527/2.

يذكر المؤلِّف الأخوَينِ ابن المنيّر دون تحدِيد المقصودِ، وبالعودة إلى المصادر التي نقل منها النص يتبين المقصود منهما. فمثلا هذا النَّصّ الذِي نقله ورد في فتح البارِي، وقال: قَالَ بن المنِيرِ فِي الْحَاشِيَةِ. فتبين أنَّه زين الدين.

(10) كرَّرَ المؤلف عبارة "جد الدمامِيني" مرَّتينِ، في المرة الثانية قال: "جديد الدمامِينِي" ولم أفهم المقصود منها، برغم أنَّهُ ذكرها مرة لزين الدين ومرَّة لناصر الدِّينِ.

يَتَمَحَّى مَعَهَا مَا هِيَ بِهِ أُمٌّ، لَكِنْ يَكُونُ لَهَا حَقُّ الأُمُومَةِ[1]، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ احْتِمَالًا ؛لِأَنَّهُ كَنَّى بِالْأَكْلِ عَنِ الغَلَبَةِ، وَالآكِلُ غَالِبٌ عَلَى المأْكُولِ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ غَلَبَتُهَا فِي الفَضْلِ، أَوْ غَلَبَةُ أَهْلِهَا عَلَى القُرَى، وَالأَقْرَبُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا، إِذْ هُوَ أَبْلَغُ فِي الغَرَضِ المسُوقِ لَهُ ذَلِكَ[2].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ وَالمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ**))[3] وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِذَمِّ الخُرُوجِ مِنْهَا مُطْلَقًا، وَهُوَ عَامٌّ أَبَدًا، كَمَا نَقَلَهُ الطَّبَرِي[4] عَنْ قَوْمٍ وَقَالَ: إِنَّهُ ظَاهِرُ اللَّفْظِ[5].

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ: ((**إِنَّ الإيمان لَيَأْزِرُ إلى المدِينَةِ كَمَا تَأْزِرُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**))[6]؛ أَيْ: يَنْقَبِضُ وَيَنْضَمُّ وَيَلْتَجِئُ مَعَ أَنَّهَا أَصْلُ انْتِشَارِهِ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ الأَزْمَانِ لِحُبِّهِ فِي سَاكِنِهَا ﷺ[7].

وَلِلجَنَدِي فِي حَدِيثِ: ((**يُوشِكُ الْإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى المدِينَةِ**))[8]؛ أَيْ: يَرْجِعُ إِلَيْهَا أَخِيرًا كَمَا ابْتَدَأَ مِنْهَا، وَلِذَا رُوِيَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُحَازَ الْإِيمَانُ إِلَى المدِينَةِ، كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ الدِّمَنُ[9].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَعُودَنَّ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى المدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ إِيمَانٌ إِلَّا بِهَا**))[10].

=والدماميني هوَ: محمد بن أبي بكر بن عمر الاسكندري، المالكي، ويعرف بابن الدماميني (بدر الدين) ناثر، ناظم، نحوي، استوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق، ومنها حج وعاد إلى مصر، فولي فيها قضاء المالكية، وتوفي في بكلبرجا من الهند سنة 827هـ، من تصانيفه: شرح مغني اللبيب، جواهر البحور في العروض، الفواكه البدرية من نظمه، شرح لامية العجم للطغرائي، ومختصر حياة الحيوان للدميري. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 170/3.

(1) فتح الباري، ابن حجر، 87/4، عن ابن المنير في حاشِيَته.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (487).

(4) الطَّبَري: أبو العبَّاس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محبُّ الدِّين الطَّبَري، ت:694، حافظ فقيه شافعي، متفنن، من أهل مكة مولدا ووفاة. وكان شيخ الحرم فيها. من تصانيفه: القرَى لقاصد أم القرى. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، 206/2.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24.

(6) صحيح البخارِي حدِيث (1876) وصحيح مسلم، حدِيث (233). وفِيهما يأرِزُ بدل يأزِرُ.

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24.

(8) فضائل المدينة، الجندِي، حدِيث (18).

(9) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24، وفِي مصنف عبد الرزاق حديث مثله: ((لَيَنْحَازَنَّ الْإِيمَانُ إِلَيْهَا كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ الدِّمَنُ)). حدِيث (17163).

(10) معرفة علوم الحدِيث، الحاكِم، ص532.

وَعَنِ العَبَّاسِ ﷺ : ((**خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المدِينَةِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ بَرَّأَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ الشِّرْكِ**))[1].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ طَهَّرَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**))[2].

[21ظ] الفصل الثَّاني: فِي الإِقَامَةِ بِهَا وَوَعِيدِ المحْدِثِ بِهَا وَمُؤْوِيهِ وَالمخِيفِ لِأَهْلِهَا

قَالَ ﷺ: ((**سَيَأْتِي قَوْمٌ يَبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**))[3] وَمَعْنَى يَبِسُّونَ: بِضَمِّ المـوَحَّدَةِ وَكَسْرِهَا، يَسُوقُونَ دَوَابَّهُمْ مُسْرِعِينَ[4].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[5].

وَرَوَى مُسْلِم عَنْ [أَبِي] سَعِيدٍ مَوْلَى المهْرِي: أَنَّهُ جَاءَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدَرِي ليالِي الحرّة فَاسْتَشَارَهُ فِي الجَلَاءِ مِنَ المدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ وَأَخْبَرَهُ أَن لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جُهْدِ المدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا آمرُكَ بِذَلِكَ، إِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**لَا يَصْبِر**)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((**لَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[6] وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تَفْعَلْ، الْزَم المدِينَةَ إِلخ الحَدِيث المذْكُور[7].

وَذَكَرَ مُسْلِم وَغَيْرُهُ أَنَّ مَوْلَاةً أَتَتْ ابنَ عُمَر زَمَانَ الفِتْنَةِ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: إِنّي أَرَدْتُ الخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: اقْعُدِي لِكَاعٍ، إِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ((**لاَ يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[8] وَأَوْ: بِمَعْنَى الوَاوِ، كَمَا رَوَاهُ البَزَّارُ عَنْ عُمَر، وَالمفَضَّلُ الجَنَدِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِالوَاوِ: ((**لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى**

---

(1) الحدِيث في مسند أبِي يعلَى، حدِيث (6709).

(2) الحديث في مسند أبي يعلى، حديث (6714)، والمعجم الأوسط، الطبراني، حديث (576) فضائل المدينة، الجندِي، حدِيث (18).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (1875).

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24.

(5) صحيح مسلم، حدِيث (483).

(6) صحيح مسلم، حدِيث (477)، وفيه: ((شفيعا أو شهيدا)).

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص25.

(8) الحديث في صحيح مسلم، حدِيث (482)، وفيهما: ((شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

لَأُوَاءِ المدِينَةِ وَحَرِّهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا))[1] أَوْ لِلتَّقْسِيمِ بِأَنْ يَكُونَ شَفِيعًا لِلمُذْنِبِينَ، شَهِيدًا لِلْمُطِيعِينَ، أَوْ شَهِيدًا لِمَنْ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ، شَفِيعًا لِمَنْ مَاتَ بَعْدَهُ. وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ وَالشَّهَادَةِ خَاصَّةٌ تَزِيدُ عَلَى العَامَّةِ، وَفِي تِلْكَ الأَحَادِيثِ البُشْرَى لِلصَّابِرِ فِيهَا بِالموْتِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَكفَى بِذَلِكَ مَزِيَّةً، فَمَنْ مَاتَ بِهَا بُشِّرَ بِذَلِكَ[2].

وَعَنْهُ ﷺ: **((مَنْ مَاتَ بِالمدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** وَعَنْهُ ﷺ: **((مَن اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يمُوتُ بِهَا))** وَيُرْوَى: **((فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا))**[3].

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ وَابنُ حِبَّان: **((مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ، فَلْيَمُتْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَمُتْ بِهَا أَشْفَعُ لَهُ وَأَشْهَدُ لَهُ))**[4] وَيُرْوَى: **((فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ بِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[5] **((وَإِنِّي أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ))**[6].

وَرَوَى أَبُو دَرٍّ الهَرَوِيّ فِي "سُنَنِهِ" عَن ابنِ عُمَر: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **((أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ البَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، أَنْتَظِرُ أَهْلَ** [22و] **مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الحَرَمَيْنِ))**[7].

وَعَنْهُ ﷺ: **((أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ المدِينَةِ، ثُمَّ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ أَهْلُ الطَّائِفِ))**[8].

وَذَكَرَ مَالِكٌ فِي المَوطَّأِ: **((أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ كَانَ جَالِسًا، وَقَبْرٌ يُحْفَرُ بِالمدِينَةِ، فَاطَّلَعَ رَجُلٌ فِي الْقَبْرِ، فَقَالَ: بِئْسَ مَضْجَعُ المؤْمِنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي لَمْ أُرِدْ هَذَا، إِنَّمَا أَرَدْتُ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَعْنِي أَرَدْتُ بِئْسَ المَوْتُ بِلَا قَتْلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ**

---

(1) فضائل المدينة، الجندِي، حدِيث (33) ومسند البزار، حدِيث (1124) وكلاهما بأو، وليسَ بالواو.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص25.

(3)لم أجد هذه الروايات إلا في خلاصة الوفا، ومثيلها في الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي، 200/1.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص25، لم أجد هذه الرواية إلا في خلاصة الوفا، ولم أجدها في صحيح ابن حبان، ولا في دلائل النبوة للبيهَقي.

(5) (م، س)، ص26، لم أجد هذه الرواية إلا في خلاصة الوفا.

(6) صحيح ابن حبان، حدِيث (6899).

(7) سنن الترمذِي، حدِيث (3692).

(8) المعجم الأوسَط، الطَّبراني، حدِيث (1827).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا مِثْلَ لِلْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا عَلَى الأَرْضِ بُقْعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ يَكُونَ قَبْرِي بِهَا مِنْهَا))؛ أَيْ: مِنَ المدِينَةِ ثَلَاثًا[1].

وَرَوَى أَحْمَدُ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ قَالَ: **((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مَنَايَانَا بمكَّةَ حَتَّى تُخْرِجَنَا مِنْهَا))**[2].

وَصَحَّ أَنَّ عُمَر ﷺ قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ"[3] وَرُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجَلِّ دُعَائِهِ[4].

وَرَوَى الطَّبَرَانِي فِي الكَبِيرِ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ كَانَ لَهُ بِالمدِينَةِ أَصْلٌ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا أَصْلٌ، فَلْيَجْعَلْ بِهَا أَصْلًا، فَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بِهَا أَصْلٌ كَالْخَارِجِ مِنْهَا، المجْتازِ إِلَى غَيْرِهَا))**[5] وَفِي رِوَايَةٍ: **((فَلْيَجْعَلْ لهُ بِهَا أَصْلًا وَلَوْ قَصرَةً))** ؛أَيْ:شَجَرَةً[6]، وَهُوَ بِفَتْحِ القَافِ وَالصَّادِ.

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((لَا تَتَّخِذُوا الْأَمْوَالَ بِمَكَّةَ وَاتَّخِذُوهَا بِدَارِ هِجْرَتِكُمْ، فَإِنَّ المرْءَ مَعَ مَالِهِ))**[7].

وَعَن ابنِ عُمَر عَنْهُ ﷺ: **((لَا تَتَّخِذُوا مِنْ وَرَاءِ الرَّوْحَاء مَالًا، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَلَا تُنْكِحُوا بَنَاتِكُمْ طُلَقَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ))**[8].

وَرَوَى مُسْلِم عَقِبَ قَولِهِ: **((إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ))** **((أَلَا إِنَّ المدِينَةَ كَالْكِيرِ يُخْرِجُ الخَبَثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي المدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))**[9] وَيُرْوَى تَنْفِي النَّاسَ، وَيُرْوَى تَنْفِي الرِّجَالَ؛ أَيْ: شِرَارَهُمْ أَوْ خُبْثَهُمْ، وَيُرْوَى خُبْثَ الرِّجَالِ، وَيُرْوَى خُبْثَ

---

(1) الموطأ، مالك بن أنَس، حدِيث (932).

(2) مسند أحمد، حدِيث (6067).

(3) الموطأ، مالك بن أنس، حدِيث (989).

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص26.

(5) المعجم الكبِير، الطبراني، حَدِيث (6027).

(6) التاريخ الكبِير، ابن أبي خيثمة، حدِيث (1767).

(7) السنن الكُبرَى، البيْهَقِي، حَدِيث (17790) عن عمر بن الخطَّاب دون أن يرفعهُ.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص26-27، وفِيه: ((لا تتخذوا من وراء الرق حاملا)) وهو غلط كما أشار إليه المحقِّقُ، والحديث في كنز العمال، المتقِي الهندِي، حَدِيث (46290).

(9) سبَقَ تخرِيجُهُ، صحيح مسلم، حدِيث (487).

أَهْلِهَا[1].

وَرَوَى البُخَارِي أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْفِضَّةِ**))[2].

وَذَكَرَ مُسْلِم وَالبُخَارِي قِصَّةَ الأَعْرَابِي القَائِلِ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي فَأَبَى ﷺ، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ فَقَالَ ﷺ: ((**المدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَتَنْصَعُ طَيِّبَهَا**))[3] وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ المرَادَ إِبْعَادُهَا أَهْلَ الخَبَثِ، وَلَا يَخْتَصُّ بِزَمَانِهِ ﷺ، لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي المدِينَةُ شِرَارَهَا**))[4]؛ أَيْ: حِينَ ظُهُورِ الدَّجَّالِ، حِينَ تَرْجِفُ المدِينَةُ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مُنَافِقُوهَا[5].

[22ظ] وَجَاءَ فِي حَدِيثِ أَحْمَد: أَنَّ ذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي المدِينَةُ الخَبَثَ[6].

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ إِذْ خَرَجَ مِنْهَا لِمَنْ مَعَهُ: أَتَخْشَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتِ المدِينَةُ[7]، وَقَدْ أَبْعَدَ اللهُ عَنْهَا أَرْبَابَ الخُبْثِ الكَامِلِ وَهُم الكُفَّارُ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَقَدْ يَكُونُ إِبْعَادُهُ إِنْ مَاتَ بِهَا بِنَقْلِ الملَائِكَةِ لَهُ، فَقَوْلُهُ: "تَنْفِي خَبَثَهَا" وَ"تَنْفِي الذُّنُوبَ" بِمَعْنَى تَنْفِي أَهْلَ ذَلِكَ، وَالمرَادُ إِبْعَادُ أَهْلِ الخُبْثِ الكَامِلِ فَقَطْ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ لِعَدَمِ قبُولِهِم لِلشَّفَاعَةِ، أَو المرَادُ فِيمَا عَدَا قِصَّةِ الأَعْرَابِيّ وَالدَّجَّالِ؛ لِأَنَّهَا تُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنْ شَرِّهِمَا وَظُلُمَاتِ ذُنُوبِهَا بِمَا فِيهَا مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالمشَقَّاتِ وَمُضَاعَفَةِ المثُوبَاتِ وَالرَّحَمَاتِ؛ إِذ الحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، أَو المرَادُ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خُبْثٌ مَيَّزَتْهُ عَن القُلُوبِ الصَّادِقَةِ، وَأَظْهَرَتْ مَا يَخْفَى مِنْ عَقِيدَتِهِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ بِهَا، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ ﷺ عِنْدَ رُجُوعِ المنَافِقِينَ فِي غزوة أُحد: ((**المدِينَةُ كَالْكِيرِ...**)) إِلخ ، وَالذِي يَظْهَرُ أَنَّهَا تَنْفِي خُبْثَهَا بِالمعَانِي الأَرْبَعَةِ، وَتَنْصَعُ: تُخَلِّصُ[8].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالملَائِكَةِ وَالنَّاسِ**

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص27.
(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4050).
(3) صحيح البخارِي، حدِيث (1883) وصحيح مسلِم حدِيث (489).
(4) صحيح مسلِم حدِيث (487).
(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص27.
(6) مسنَد أحمَد، حدِيث (14112).
(7) الموطّأ، مالك بن أنَس، حدِيث (9).
(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص27-28.

أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))[1] وَالصَّرْفُ: الفَرْضُ، وَالعَدْلُ: النَّفْلُ، وَقِيلَ بِالعَكْسِ، وَقِيلَ الصَّرْفُ: التَّوْبَةُ، وَالعَدْلُ: الفَرْضُ[2].

قَالَ بَعْضُ المحَقِّقِينَ: إِنَّ الصَّغِيرَةَ فِي المدِينَةِ كَالكَبِيرَةِ فِي غَيْرِهَا، لِعِظَمِ الحَضْرَةِ النَّبوِيَّةِ[3].

وَذَكَرَ البُخَارِي عَنْهُ ﷺ: **((لَا يَكِيدُ أَهْلَ المدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ، كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي الماءِ))**[4] وَانْمَاع: صَارَ مَائِعًا.

وَرَوَى مُسْلِم أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((مَنْ أَرَادَ هَذِهِ الْبَلْدَة بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، كَمَا يُذِيبُ المِلْحَ فِي الماءِ))**[5].

وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ لَهُ: **((لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ هَذِهِ المدِينَة بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ وَذَوْبَ المِلْحِ فِي الماءِ))**[6] وَذَلِكَ فِي الآخِرةِ لِقَوْلِهِ فِي النَّارِ، وَأَجَازَ عِيَاض أَنْ يُرَادَ مَنْ أَرَادَهَا فِي حَيَاةِ النَّبِيءِ ﷺ بِسُوءٍ اضْمَحَلَّ كَمَا يَضْمَحِلُّ الرَّصَاصُ فِي النَّارِ، فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ[7]، وَيُؤَيِّدُهُ أَوْ ذَوْب المِلْحِ فِي الماءِ، أَو المرَادُ مَنْ كَادَهَا اغْتِيَالًا وَطَلَبًا لِغِرَّتِهَا فَيَضْمَحِلُّ كَيْدُهُ وَلَا يَتِمُّ أَمْرُهُ بِخِلَافِ مَنْ أَتَاهَا جَهَارًا، أَو المرَادُ مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ مُطْلَقًا اضْمَحَلَّ فِي الدُّنْيَا كَمَا عُوجِلَ مُسْلِم بْنُ عُقْبَةَ، وَكَذَا مُرْسِلُهُ عَقِبَ إِغْزَائِهَا، وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ إِذْ لَيْسَ فِي اللَّفظِ مَا يَقْتَضِي التَّخْصِيصَ بِزَمَانٍ، إِلاَّ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لِمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ كَمَا أَرَادَهُ، بَل الوَعِيدُ بِإِهْلَاكِهِ سَرِيعًا كَمَا شُوهِدَ مِنْ شَأْنِها وَيُضَافُ لِذَلِكَ [23و] الإِذَابَةُ فِي النَّارِ[8].

وَرَوَى الجَنَدِيُّ أَنَّه ﷺ قَالَ: **((أَيُّمَا جَبَّار أَرَادَ المدِينَةَ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي الماءِ))**[9].

وَرَوَى البَزَّارُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((اللَّهُمَّ اكْفِهِمْ مَنْ دَهَمَهُمْ بِبَأْسٍ، يَعْنِي أَهْلَ المدِينَةِ، وَلاَ يُرِيدُهَا أَحَدٌ**

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (6755) وصحيح مسلِم حدِيث (463).

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص28، وفيه: العدل: الفدية.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص28.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1877).

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (492).

(6) صحيح مسلِم، حدِيث (460).

(7) إكمال المعلِم، القاضِي عياض، 250/4.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص28-29.

(9) فضائل المدينة، الجَنَدِي، حدِيث (26).

بِسُوءٍ إِلاَّ أَذَابَهُ اللَّهُ، كَمَا يَذُوبُ الملْحُ فِي الماءِ))[1] وَدَهَمَهُمْ: غَشِيَهُمْ بِسُرْعَةٍ، وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ[2].

وَذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ عَنْ سَعِيد بنِ المسَيِّبِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَشْرَفَ عَلَى المدِينَةِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ صُفْرَةُ إِبطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي وَأَهْلَ بَلَدِي بِسُوءٍ فَعَجِّلْ هَلَاكَهُ))**[3].

وَذَكَرَ الطَّبَرَانِي فِي "الأَوْسَطِ" أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ المدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخِفْهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالملَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))**[4].

وَفِي رِوَايَةٍ لِغَيْرِهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((وَمَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))**[5].

وَعَنْهُ ﷺ: **((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ ظَالِمًا لَهُمْ أَخَافَهُ اللهُ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ))**[6].

وَرَوَى ابنُ حِبَّان وَأَحْمَد قَبْلَهُ عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ: **((أَنَّ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ الْفِتْنَةِ قَدِمَ المدِينَةَ، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُ جَابِرٍ، فَقِيلَ لِجَابِر: لَوْ تَنَحَّيْتَ عَنْهُ، فَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ فَنَكِبَ، فَقَالَ: تَعِسَ مَنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ابْنَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا: يَا أَبَتِ كَيْفَ أَخَافَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيَّ))**[7]؛ أَيْ: أَخَافَ قَلْبِي، أَوْ عَلَيْهِ كَعِقَابِ مَنْ أَخَافَ قَلْبِي.

وَلَعَلَّ ذَلِكَ الأَمِيرُ بِشْرُ بنُ أَرْطَأَةَ[8]، كَمَا قَالَهُ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ اللهِ[9]، لِمَا رَوَى ابنُ عَبْدِ البِرِّ مِنْ إِرْسَالِ مُعَاوِيَةَ لَهُ إِلَى المدِينَةِ فِي جَيْشٍ بَعْدَ تَحْكِيمِ الحَكَمَيْنِ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي مَسْلَمَةَ: مَا لَكُمْ

---

(1) مسند البزار، حدِيث (1132).

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص29.

(3) (م، س)، ص29. نصوص ابن زبالة من كتابِهِ "تاريخ المدينة" وأصل الكتابِ مفقود.

(4) المعجم الأوسَط، الطَّبرانِي، حدِيث (3589).

(5) المعجم الكبِير، الطَّبرانِي، حدِيث (6637).

(6) التاريخ الكبِير، ابن أبِي خيثمة، حدِيث (1333) والسنن لكبرَى، النسائِي، حدِيث (4266).

(7) مسند أحمد، حدِيث (14818) ولم أجِدْهُ فِي صحيح ابن حبَّان.

(8) بُسْر بن أبِي أرطأة، ويقال: بُسْر بْن أرطاة، أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ العامري أتى الشام واليمن، ومات بالمدينة، وقد خرف، مات في ولاية عَبْد الملك بن مروان. تاريخ بغداد، البغدادي، 579/1.

(9) علي بن عبد الله بن أحمد، الشافعي، المعروف بالسمهودي (نور الدين، أبو الحسن) مؤرخ، فقيه، ت: 911هـ، ولد بمسمهود في مصر، ونشأ بها، وتوفي بالمدينة. من آثاره: وفاء الوفا وخلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى، اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 463/2.

عِنْدِي أَمَانٌ وَلَا بَيْعَةٌ حَتَّى تَأْتُونِي بِجَابِر[1].

وَرُوِيَ: أَنَّ أَهْلَ المدِينَةِ فَرُّوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى دَخَلُوا حَرَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ[2].

وَفِي الكَبِيرِ لِلطَّبَرَانِي عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ آذَى أَهْلَ المدِينَةِ ءَاذَاهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والملَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ))**[3].

وَذَكَرَ ابنُ النَّجَّارِ عَنْ مَعْقِل [بن] يَسَارِ المزَنِي عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي، وَفِيهَا مَبْعَثِي، حَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، مَنْ حَفِظَهُمْ كُنْتُ لهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ** [23ظ] **لَمْ يَحْفَظْهُمْ سُقِيَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))** قِيلَ لِلمُزَنِي: وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ[4].

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِي بِلَفْظِ: **((المدِينَةُ مُهَاجِرِي وَمَضْجَعِي فِي الْأَرْضِ، حَقٌّ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يُكْرِمُوا جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ سَقَاهُ اللهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))** قُلْنَا: يَا أَبَا يَسَارٍ وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَال[5]: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ[6].

وَفِي "فَوَائِدِ القَاضِي أَبِي الحَسَنِ الهَاشِمِي"[7] عَنْ خَارِجَةَ بنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيءِ ﷺ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَخْرَجِي وَعَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي فِيهَا، مَنْ حَفِظَ وَصِيَّتِي كُنْتُ لهُ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا أَوْرَدَهُ اللهُ حَوْضَ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا حَوْضُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: حَوْضٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ))**[8].

وَلِابْنِ زَبَالَة حَدِيثٌ: **((إِنَّ اللهَ جَعَلَ المدِينَةَ مُهَاجَرِي وَبِهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَبْعَثِي، فَحَقٌّ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، فَمَنْ حَفِظَ فِيهِم حرْمَتِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ**

---

(1) الاستيعاب، ابن عبد البر، 162/1، وفيه: بسر بن أرطأة.

(2) (م، س)، 161/1.

(3) المعجم الكبير، حدِيث (6631) وفيه: ((من أخاف أهل المدينة أخافه الله)) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص30.

(4) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النَّجَّار ص77.

(5) في الأصْلِ: قلنا.

(6) سبق تخريجه المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (470).

(7) قالَ د.قاسم السامرائِي هو عَلِيّ بن أَحْمد بن جَعْفَر الْهَاشِمِي الْجَعْفَرِي القوصي نزيل أخميم، تفقه بالشيخ ابْن دَقِيق الْعِيد، ت: 701هـ. وفاء الوفا، السمهودِي، 124/1، وينظر ترجمته فِي الدرر الكامنة، ابن حجر، 11/3.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص30.

ضَيَّعَ فِيهِمْ حُرْمَتِي أَوْرَدَهُ اللهُ حَوْضَ الْخَبَالِ، وَكُنْتُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَبِهَا وَفَاتِي وَمِنْهَا مَحْشَرِي، وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَحْفَظُوا جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، وَمَنْ حَفِظَ فِيهِمْ حُرْمَتِي كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[2].

قَالَ عِيَاض فِي "مَدَارِكِهِ": قَالَ محمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ[3]: سَمِعْتُ مَالِكا يَقُولُ دَخَلْتُ عَلَى المهْدِيِّ[4] فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقُلْتُ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ، وَالعَطْفِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجِيرَانِهِ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمِنْهَا مَبْعَثِي وَبِهَا قَبْرِي وَأَهْلُهَا جِيرَانِي وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي، فَمَنْ حَفِظَهُم فِيَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ وَصِيَّتِي فِي جِيرَانِي سَقَاهُ اللهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))**[5].

وَقَالَ مُصْعَب[6]: لَمَّا قَدِمَ المهْدِيُّ المدِينَةَ اسْتَقْبَلَهُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ أَشْرَافِهَا عَلَى أَمْيَالٍ، فَلَمَّا بَصَرَ بِمَالِكٍ انْحَرَفَ المهدِيّ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَسَايَرَهُ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ إِنَّكَ تَدْخُلُ الآنَ المدِينَةَ فَتَمُرُّ بِقَوْمٍ عَنْ يَمِينِكَ وَيَسَارِكَ، وَهُمْ أَوْلَادُ المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِم فَإِنَّهُ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ قَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ، وَلَا خَيْرٌ مِن المدينَةِ، قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ فَقَالَ: لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ قَبْرُ نَبِيءٍ اليَوْمَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ غَيْرُ قَبْرِ محمَّدٍ ﷺ وَمَنْ كَانَ قَبْرُ محمَّدٍ ﷺ [24و] عِنْدَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ فَضْلُهُمْ، فَفَعَلَ المهْدِيُّ مَا أَمَرَهُ بِهِ[7].

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّفْضِيلِ بِمُجَاوَرَةِ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ، وَقَدْ قَال: **((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ))**[8] وَلَمْ يَخُصَّ جَارًا دُونَ جَارٍ. وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الفَضْلَ لَمْ يرْتَبْ فِي تَفْضِيلِ سُكْنَى المدِينَةِ عَلَى مَكَّةَ، مَعَ تَسْلِيمِ مَزِيدِ المضَاعَفَةِ لِمَكَّةَ، فَتِلْكَ لَهَا مَزِيدُ العَدَدِ وَلِهَذِهِ تضَاعَفُ البَرَكَة وَالمدَد، وَلِتِلْكَ جِوَارُ بَيْتِ

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص30، العبارة الأخيرة: "وَكُنْتُ عَلَيْهِ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ليست في خلاصة الوفا ولا في وفاء الوفا.

(2) (م، س)، ص30.

(3) زيادة كلمة "يقول" وليست في محلها.

(4) قال د.قاسم السامرائي: هو الخليفة المهدِيّ بن المنصور العباسِي، ت:169هـ. وفاء الوفا، السمهودِي، 124/1. ولم أجد ما يثبت ذلك، وفي الخبر الثاني تصريح بأنه الخليفة المهدِي، وقد نقل السمهودِي الخبرين من ترتيب المدارك للقاضي عياض من جزئين مختلفين.

(5) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القَاضِي عياض، 36/1.

(6) ربما هو مصعب الزبيرِي، ولم أجد من نقل هذا النص إلَّا من عند القاضي عياض في ترتيب المدارك، كسبل الهدى والرشاد، الشَّامِي، 448/3، ولم يذكروا لقب مصعب.

(7) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القَاضِي عياض، 102/2.

(8) صحيح البخارِي حدِيث (6015).

اللهِ، وَلِهَذِهِ جِوارُ حَبِيبِ اللهِ وَأَكْرَمِ الخَلْقِ عَلَى اللهِ[1].

وَقَالَ أَبُو بَكْر بنُ حَمَّاد أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي ابنَ حَنْبَل، أَيْنَ تَرَى السُّكْنَى أَفْضَلُ؟ مَكَّةُ أَو المدِينَةُ؟ قَالَ: المدِينَةُ لِمَنْ صَبَرَ عَلَيْهَا، وَفِي رِوَايَةٍ: المدِينَةُ لِمَنْ قَوِيَ عَلَيْهَا. قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ بِهَا خَيْرَ المرْسَلِينَ. وَاخْتِيَارُ سُكْنَى المدِينَةِ هُوَ المعْرُوفُ مِنْ حَالِ السَّلَفِ[2].

وَكَانَ الشَّعْبيُّ يَكْرَهُ المقَامَ بِمَكَّةَ، وَيَقُولُ: هِيَ دَارٌ أَعْرَابِيَّةٌ، هَاجَرَ مِنْهَا رُسولُ اللهِ ﷺ[3].

وذَكَرَ بَعْضٌ: لَأَنْ أَنْزِلَ دَوْرَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَنْزِلَ مَكَّةَ. وَدَوْرَانُ: جَبَلٌ عِنْدَ طَرَفِ قدِيد[4].

وَفِي "مُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ": "كَانَ الصَّحَابةُ يَحُجُّونَ ثُمَّ يَرْجِعُونَ، وَيَعْتَمِرُونَ ثُمَّ يَرجِعُونَ إِلَى المدِينَةِ وَلَا يُجَاوِرُونَ"[5].

وَلَمْ يَقُل السَّلَفُ بِكَرَاهَةِ المجَاوَرَةِ بِالمدِينَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي كَرَاهَةِ الجِوَارِ بِالمدِينَةِ، وَاقْتَضَى كَلَامُ النَّوَوِي حِكَايَةَ الخِلَافِ فِيهِمَا لِعِلَّةِ خَوْفِ الملَلِ، وقِلَّةِ الحُرْمَةِ لِلأُنسِ وَخَوْفِ مُلَابَسَة الذُّنُوبِ. قَالَ: وَالمخْتَارُ اسْتِحْبَابُ المجَاوَرَةِ بِهِمَا، إِلَّا أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ الوُقُوعُ فِيمَا ذكر[6].

وَفِي "الأَوْسَطِ لِلطَّبَرَانِي" حَدِيثُ: ((**مَنْ غَابَ عَنِ المدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ جَاءَهَا وَقَلْبُهُ مُشَرَّبٌ جَفْوَةً**))[7]. وَاللهُ أَعْلَمُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

35 تَنَوَّرْ بِهَا وَاقْصِدْ بِذُلٍّ فَإِنَّهَا تُقِيلُ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ حَرِّ نِيرَانِ

انْظُرْ إِلَيْهَا وَاقْصِدْهَا مُلْتَبِسًا بِخُضُوعٍ لَهَا، لِأَجْلِ نَبِيءِ اللهِ فِيهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّها تُقِيلُ أَصْحَابَ الذُّنُوبِ مِنِ حَرِّ النَّارِ، بَل اقْرُبْ مِنْهَا حَتَّى تَرَى نَارَ أَهْلِهَا التِي يُشْعِلُونَ لِمَصَالِحِهِمْ لِتَدْخُلَهَا.

وَاقْصِدْهَا مُتَذَلِّلًا لِأَنَّهَا تُبْعِدُ المذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ، إِذَا تَابُوا وَقَصَدُوهَا تَبَرُّكًا بِمَنْ فِيهَا وَمِنْبرِهِ وَالرَّوْضةِ وَمَآثِرِهِ ﷺ.

فَـ"تَنَوَّرْ بِهَا": تَبَصَّرْ بِهَا، أَو انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَرَى نَارَ قَوْمٍ أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ المسَافَةِ، وَمِنْ شَأْنِ قُرْبِهَا أَنْ يَرَى نَارَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المرَادُ: اسْتَضِئْ بِهَا فَيَكُونَ تَوْرِيَةً، فَإِنَّ هَذَا مَعْنًى بَعِيدٌ فِي عُرْفِهِمْ لِهَذَا اللَّفْظِ، وَالقَرِيبُ مَا مَرَّ.

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص31.

(2) (م، س)، ص31. لم أجد ممن نقل النص غير السمهودِي في خلاصة الوفا، ولم ينقله في وفاء الوفا، لذلك لم أتعرف الأعلام الواردة في النص.

(3) (م، س)، ص31.

(4) (م، س)، ص32.

(5) مصنف عبد الرزاق، حدِيث (8845).

(6) المنهاج، النووي، ص858.

(7) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (876).

و"بِذُلٍّ": حَالٌ [24ظ] وَالبَاءُ لِلصُّحْبَةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا؛ أَيْ: مُقْتَرِنًا بِذُلٍّ، أَوْ مُصْطَحِبًا بِهِ، أَوْ وُجُوبًا؛ أَيْ: ثَابِتًا مَعَ ذُلٍّ. وَالفَاءُ لِلتَّعْلِيلِ.

وَ"تُقِيلُ": بِمَعْنَى تُسَامِحُ أَوْ تُبْعِدُ، وَذَلِكَ مِنَ الإِسْنَادِ إِلَى المحَلِّ، لِأَنَّهُ مَحَلُّ السَّبَبِ، وَالحَقِيقَةُ أَنَّ اللهَ يُقِيلُ مَنْ فِيهَا بِسَبَبِ تَوبَتِهِمْ.

وَ"بَنِي": بِمَعْنَى أَصْحَاب؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الابْنِ مُلَازَمَةَ الأَبِ وَالأُمِّ؛ فَأَصْحَابُ الزَّلَّاتِ فِي مُلَازَمَتِهِمْ إِيَّاهَا كَالأَوْلَادِ فِي مُلَازَمَتِهِمْ الآبَاءَ وَالأُمَّهَاتِ. فَأَعَارَ بَنِي لِأَصْحَابِ، وَالقَرِينَةُ: الزَّلَّاتُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَبَّهَهُمْ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ بِمَنَ وَلَدَتْهُ الزَّلَّاتُ، لَوْ كَانَ فَهَذَا تَخْيِيلٌ. وَشَبَّهَ الزَّلَّاتِ بِالأُمَّهَاتِ وَرَمَزَ إِلَى ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ الأَبْنَاءِ.

وَجَمَعَ النَّارَ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ شَقِيٍّ جُزْءًا مِنَ النَّارِ هُوَ نَارٌ، بَلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ نِيرَانٌ، فَإِنَّ النَّارَ الْوَاحِدَةَ لَهَا أَجْزَاءٌ كُلُّ جُزْءٍ هُوَ نَارٌ، وَأَيْضًا تَتَّقِدُ مِنْهُ نِيرَانٌ مُتَعَاقِبَةٌ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

36 وَإِنْ لم تَكُنْ أَهْلًا لِلَثْمِ تُرَابِهَا فَمِنْ شَأْنِهَا الإِغْضَاءُ عَنْ كُلِّ كَسْلَانِ

إِنْ دَخَلْتَهَا وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الاِجْتِهادِ الأَقْصَى الشَّبِيهِ فِي الشِّدَّةِ بِتَقْبِيلِ التُّرابِ، أو الاِجْتِهادِ الأَقْصَى المتَوَلِّدِ مِنهُ أَنْ تُقَبِّلَ تُرَابَها، لمزِيدِ الحُبِّ أَقَالَتْ زَلَّاتِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِها الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ كَسْلَانٍ عَنِ الطَّاعَةِ الْقَوِيَّةِ مُقْتَصِرٍ علَى الضَّعيفَةِ.

و"اللَّثْمُ": التَّقْبِيلُ. و"الْإِغْضَاءُ": الصَّفْحُ؛ وذَلِكَ أَنَّ الدِّرْهَمَ فِيهَا بعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، والرَّكْعَة بعَشْرَةِ آلَافِ رَكْعَةٍ، وهَكَذا. والفَاءُ داخِلَةٌ علَى عِلَّةِ الْجَوَابِ المقَدَّرِ كَمَا رأَيْتَ. ولَا يَخْفَى أَنَّهُ حيْثُ يُضَاعَفُ الأَجْرُ يَعْظُمُ عِقَابُ الذَّنْبِ، وكذَا الزَّمانُ. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

37 وَإِنْ لم تَكُنْ حَصَّلْتَ زَادًا مِنَ التَّقْوَى فَزَادُ التُّقَى يَفِي بِأَفْضَلِ أَوْطَانِ

وَإِنْ لم تَكُنْ حَصَّلْتَ زَادًا مِنَ التَّقْوَى، قَبْلَ دُخُولِ المدِينَةِ ولَا بَعْدَهَا، فَلَا بَأْسَ علَيْكَ لِأَنَّهُ بِالمدَاوَمَةِ والإِلْحَاحِ فِيهَا يكُونُ لَكَ زَادٌ وَافِيًا. "فَابْقَ فِيهَا مُلِحًّا، أَوْ إِن اخْتَرَمَكَ الموْتُ كُفِيتَ الموْتَ بقَصْدِكَ إِلَيْها تَائِبًا، وقَدْ تَنَصَّلْتَ مِنْ تِبَاعَةِ الخَلْقِ"[1].

فقَولُهُ: "زادُ التُّقَى" عِلَّةٌ نَابَتْ عَنِ الْجَوَابِ. و"يَفِي": مضارِعٌ مِنَ الوَفَاءِ أيْ: زادُ التُّقَى يكُونُ وَافِيًا بأَفْضَلِ الأَوْطَانِ. وشَبَّه بعضَ التَّقْوَى بطَعَامِ المسَافِرِ وشَرَابِهِ، وأَعَارَ لفْظَ "زَاد" لِجَامِعِ التَّوَصُّلِ إِلَى مُرَادٍ. و"مِن": لِلتَّبعِيضِ، ويَجُوزُ أن يَكُونَ لِلْبَيَان، وعَلَى كُلِّ حَالٍ يكُونُ قولُه: "مِنَ التُّقَى" قَرِينَةً.

(1) العبارة أضافها المؤلّف على الهامِشِ.

وَإِضَافَةُ "زَاد" لِلتُّقَى بِمَعْنَى "مِن" التَّبْعِيضِيَّة أو البَيَانِيَّة، أو إِضافَةُ مُشَبَّهٍ لِلْمُشَبَّهِ بِهِ؛ أَيْ: فَالتُّقَى الذِي هُوَ كَالزَّادِ.

و"أَفْضَلِ أَوْطَانِ": المدِينَةُ أُظْهِر فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ؛ لِيَصِفَهَا بِأَنَّهَا أَفْضَلُ الأَوْطَانِ، ومُقْتَضَى الظَّاهِرِ أنْ يقُولَ: يَفِي [25و] بِهَا.

وتَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي أَفْضَلِ الأَوْطَانِ، هُوَ مَكَّةُ أَمِ المدِينةُ. والنَّاظِمُ جَرَى عَلَى أَنَّ المدِينَةَ أَفْضَلُ.

وهُنَا فُصُولٌ: الْأَوَّلُ: فِي الدُّعَاءِ لَهَا ولِأَهْلِهَا وَعِصْمَتِهَا والثَّانِي فِي تُرَابِهَا وَثَمَرِهَا، والثَّالِثُ: فِي أَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ، والرَّابِعُ: فِي مَنَازِلِ الْأَوْسِ والْخَزْرَجِ وحُرُوبِهِم.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ: [فِي الدُّعاءِ لَهَا وَلِأَهْلِهَا وَعِصْمَتِهَا]

رَوَى البُخَارِي ومُسْلِم عنْهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**))[1]. ورَوَى رَزِينُ[2] والْجَنَدِي: ((**وَأَشَدُّ**)) بِالْوَاوِ[3]. وَقَدْ تَكَرَّرَ دُعَاؤُهُ ﷺ بِتَحْبِيبِ المدِينَة، والظَّاهِرُ أنَّ الْإِجَابَةَ حَصَلَتْ بِالْأَوَّلِ، وَالتَّكْرِيرُ لِطَلَبِ المزِيدِ[4] أَو لِلتَّحْصِيلِ، وَلَا يَدْرِي بِالْحُصُولِ، فَيَحْصُلُ لَهُ المزِيدُ وَالثَّوَابُ.

((**وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ جُدُرَاتِها**[5])) وفِي رِوَايَةٍ: ((**دَوْحَاتِهَا**)) أيْ: كِبَارَ شَجَرِهَا. وفِي رِوَايَةٍ: ((**دَرَجَاتِهَا**)) أَيْ: طُرُقَهَا المرْتَفِعَةَ. ((**أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ**)) أَيْ: أَعْجَلَهَا. ((**وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّة حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا**)) كَمَا ذَكَرَ الْبُخَارِيّ[6].

وفِي رِوَايَةٍ لابْنِ زَبَالَةَ: ((**تَبَاشُرًا بِالمدِينَةِ**)) وفي أُخْرَى: ((**كَانَ إِذَا أَقْبَلَ مِنْ مَكَّةَ وَكَانَ بِالْأُثَابَةِ**[7] **طَرَحَ رِدَاءَهُ عَنْ مِنْكَبِهِ، وقَالَ: هَذَا رَوَاحُ طَيْبَةَ**))[8].

وَذَكَرَ المحَامِلِي[9]: ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ فَأَقْبَلَ عَلَى المدِينَةِ**

---

(1) صحيح البخاري، حدِيث (1889).

(2) رزين بن معاوية بن عمار أبو الحسن السرقسطي، جاور بمكة أعواماً وحدث بها عن عيسى بن أبي ذر الهروي، له تآليف منها: كتاب جمع فيه ما في الصحاح الخمسة والموطأ وكتاب في أخبار مكة، ت: 535 هـ. الديباج المذَهَّب، ابن فرحون، 366/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 713/1.

(3) فضائل المدينة، الجَنَدِي، ص20.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص32.

(5) في خلاصة الوفا: جدرانها، وفي صحيح البخارِي: جدرات.

(6) صحيح البخاري حدِيث (1886).

(7) صوابه: الأُثايَة، كما في وفاء الوفا، وقال ابن الجزرِي: الموضع المعروف بطريق الجحفة إلى مكَّة، وَبَعضُهُم يَكسِرُ همزَتَهَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزرِي، 24/1.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص32، وفيه: ((هَذِهِ أَرْوَاحُ طَيْبَةَ)).

(9) الْحُسَيْن بن إِسْمَاعِيل المحَامِلِيّ (نسبة إلى المحامل التي يحمل فيها الناس على الجمال إلى مكة) ت:330هـ، روى عَنهُ دعْلج وَالدَّارَقُطْنِيّ وَغيرهما، كَانَ فَاضلا ديّنا، ولي قَضَاء الْكُوفَة سِتِّينَ سنة. الوافي بالوفيات، الصفدِي، 211/12، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 258/15.

يَسِيرُ أَتَمَّ السَّيْر، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا))[1].

وفي الصَّحِيحَيْنِ: ((**اللَّهُمَّ [اجْعَلْ] بِالمدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ**))[2].

وَفِيهِمَا أَيْضًا: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مِكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ**))[3] وهَذِهِ البَرَكَةُ دُنْيَوِيَّةٌ وأُخْرَوِيَّةٌ، ومَحْسُوسٌ عِندَ مَنْ سَكَنَهَا أَنَّهُ يكْفِي فِيهَا المدُّ مَا لَا يَكْفِي فِي غَيْرِهَا، فَبِسُكْنَاهَا يَزِيدُ فِي الْإِيمَانِ[4].

وذَكَرَ مُسْلِم عَنهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ**))[5] وذكَرَ مُسْلِم أيْضًا عنهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي تَمْرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لمكَّةَ، وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَا لمكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ**))[6].

وذَكَرَ مُسْلِم وَالتِّرمِذِي: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرَةِ جَاؤُوا بِهِ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فَإِذَا أَخَذَهُ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا** [25ظ] **وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا**))[7] إلخ وَهُوَ يَقْتَضِي تَكْرَارَ الدُّعَاءِ بِتَكْرِيرِ مَجِيءِ أَوَّلِ الثَّمَرَ[8].

وذَكَرَ الطَّبَرَانِي فِي "الْأَوْسَطِ" عَن ابْنِ عُمَر: أَنَّهُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا**))[9] الحَدِيث. وكَذَا ذَكَرَ فِي "الْكَبِيرِ" عَن ابْنِ عَبَّاس[10].

وذَكَرَ التِّرْمِذِي، وقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ: عَن عَلِيّ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِحَرَّةِ السُّقْيَا، التِي كَانَتْ لِسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**ايتُونِي بِوضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ، دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ**

---

(1) الدعاء، المحاملِي، ص200، وفيه:((...فأشرفَ على المدينة يُسرِعُ السَّيْر...)).

(2) صحيح البخاري، حدِيث (1885) وصحيح مسلم حدِيث (466). وفيه: ((**اللَّهُمَّ اجْعَلْ**)).

(3) صحيح البخاري، حدِيث (2130) وصحيح مسلم حدِيث (465).

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص33.

(5) صحيح مسلم حدِيث (475).

(6) صحيح مسلم حدِيث (473).

(7) صحيح مسلم حدِيث (473) وسنن الترمذِي حدِيث (3454).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص33.

(9) المعجم الأوسَط، الطبرانِي حدِيث (4098).

(10) المعجم الكبِير، الطبرانِي حدِيث (12553).

البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ))[1] وكَذَا رَوَاهُ ابْنُ شَبَّةَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا تَوَضَّأَ كَبَّرَ[2]. وفِيهِ أَنَّ المدْعُوَّ بِهِ لِأَهْلِ المدِينَةِ أَضْعَافُ مَا لِأَهْلِ مَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ[3].

ولابْنِ زَبَالَة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ خرَجَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ المدِينَةِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ورَفَعَ يَديْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى بَياضَ مَا تَحْتَ منْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ نَبِيئُكَ وَخَلِيلُكَ دَعاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا نَبِيئُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المدِينَةِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ وَقَلِيلِهِمْ وَكَثِيرِهِمْ ضِعْفَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا وَهَاهُنَا، حَتَّى أَشَارَ إِلَى نَوَاحِي الأَرْضِ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ فَأَذِبْهُ كَمَا يَذُوبُ الملْحُ فِي الماءِ))**[4].

وَذَكَرَ أَحْمَدُ: عَن أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبيءَ ﷺ صَلَّى بأَرْضِ سَعْدٍ بِأَرْضِ الحَرَّةِ مِن بيوت السّقْيا، ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلكَ وَعَبْدكَ وَنَبِيئكَ، دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المدِينَةِ مِثْلَيْ مَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لمكَّةَ، نَدْعُوكَ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ وَثِمَارِهِم. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، وَاجْعَلْ مَا بِهَا مِنْ وَبَاءٍ بِخُمّ))**[5].

وذَكَرَ الْجَنَدِي عنهُ ﷺ: **((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا وَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ))**[6].

وذَكَرَ ابْنُ زَبَالَةَ مِنْ حَدِيثِ قُدُومِهِ ﷺ ووَعْكِ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ جَلَسَ علَى المنْبَرِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ انْقُلْ عَنَّا الْوَبَاءَ، وَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: أتيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِالْحُمَّى، فَإِذَا بِعَجُوزٍ سَوْدَاءَ مُلَبَّبَةٍ فِي يَدِ الذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ: هَذِهِ الحُمَّى فَمَا تَرَى فِيهَا؟ فَقُلْتُ: [26و] اجْعَلُوهَا بِخُمّ))**[7].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّهُ: ﷺ أَمَرَ عائِشَةَ بِالذَّهَابِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ومَوْلَيَيْهِ، فَرَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْهُ فَكَرِهَ إِلَى[8] ذَلِكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَقِيعِ الْخَيْلِ[9]، وهُوَ سُوقُ المدِينَةِ، فَقَامَ فِيهِ ووَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللهِ فَقَالَ: **((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ وَأَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأَهْلِ المدِينَةِ فِي سُوقِهِمْ، وَبَارِكْ**

---

(1) سنن الترمذِي، حدِيث (3914).

(2) ذكره ابن شبَّة في كتاب: أخبار مكة، كما في وفاء الوفا، 133/1.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص34.

(4) (م، س)، ص34.

(5) مسند أحمد، حدِيث (22630).

(6) فضائل المدينة، الجندِي، ص20.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص35.

(8) إلى زائدة.

(9) بقيع الخيل: موضع بالمدينة عند دار زيد بن ثابت دفن به عامة قتلى أحد. معجم البلدان، الحموِي 413/2.

لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِم، اللَّهُمَّ انْقُلْ مَا كَانَ بِالمدِينَةِ مِنْ حُمَّى إِلَى مَهْيَعَة))[1].

وَذَكَرَ مُسْلِم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا، قَدِمْنَا المدِينَةَ وَهِيَ غَرِيبَةٌ فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ واشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يشْتَكِي أَصْحَابُهُ فِيهَا، قَالَ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ وَأَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**))[2].

وَذَكَرَ الْبُخَارِي أَنَّهُ لمّا قَدِم رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَال رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْـــــــــرِئٍ مُصَـــــبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالـــــــمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِـــرَاكِ نَعْلِـهِ[3]

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ ويَقُولُ:

أَلَا لَيْـتَ شِـــعْرِي هَـلْ أَبِيتَنَّ لَيْـلَـةً ... بِـوَادٍ وَحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَـلِـيـلُ[4]

وَهَلْ أَرِدَنَّ يَوْمًا مِيَاهَ مجَـــــــــــنَّـــــةٍ ... وَهَـلْ يَبْـدُوَنَّ لِي شَـــامـةٌ وَطفِيـلُ[5]

اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ [وعقبة بن ربيعة][6] وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ وَأَشَدَّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحفَةِ**)) قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَى[7] أَرْضِ اللهِ، وَكَانَ بُطْحَانُ[8] يَجْرِي مَاءً مُتَغَيِّرَ الرِّيحِ ضَعِيفًا[9].

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق: أَنَّهُ لمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ، قَدِمَهَا وَهِيَ أَوْبَى أَرْضِ اللهِ مِن الْحُمَّى، فأَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْهَا بَلَاءٌ وسَقَمٌ، وصَرَفَهُ اللهُ عَنْ نَبِيئِهِ ﷺ. قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعَامِرُ بنُ فهَيْرَةَ وبِلَال مَوْلَيَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ مَعَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَأَصَابَتْهُم الْحُمَّى، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِم أَعُودُهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ، وَبِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ مِنْ شِدَّة الْوَعْكِ، فدَنَوْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فقُلْتُ: كَيْفَ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص35.

(2) صحيح مسلِم، حدِيث (480).

(3) البيت من الرَّجز، لِحَكيم بن الْحَارِث، قاله يوم الوقِيطِ يوم تجمعت قَيْس وتيم اللَّه ابنا ثَعْلَبَة بْن عُكابة ليغيروا على بني تميم، وقد قُتل في ذلك اليوم. جمل من أنساب الأشراف، البلاذرِي، 133/12، ومصَبَّحٌ: أي مَأْتيٌّ بالموت صباحاً لكونه فيهم وقتئذ، ويوم الصَّباح يوم الغارة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور (صبح).

(4) البيتان من الطوِيل.

الإِذْخِرُ: حشيش طَيِّب الرِّيح واحدتها إِذْخِرَة، الجليلُ: نبت ضعيف يحشى به خَصاص البيوت واحدته جليلة. لسان العرب، ابن منظور (ذخر) و(جلل).

(5) مَجَنَّة: موضع بأَسفل مكة على أَميال وكان يُقام بها للعرب سُوق. شامة وطفيل: جبلان مُشْرِفانِ، وقيل عينان. لسان العرب، ابن منظور (مجن) و(شيم).

(6) في صحيح البخارِي وخلاصة الوفا: عتبة.

(7) في خلاصة الوفا وصحيح البخارِي: أوبأ.

(8) بطحان: واد بالمدينة. معجم البلدان، الحموِي، 446/1.

(9) صحيح البخارِي، حدِيث (1889).

تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟[1] فقَالَ: كُلُّ امْرِئٍ الْبَيْتَ. فقُلْتُ: وَاللهِ مَا يَدْرِي أَبِي مَا يَقُولُ. ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَى عَامِر بنِ فُهَيْرَةَ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُك؟ فَقَال:

لَقَـدْ وَجَـدْتُ الـــــمَوْتَ قَبْـلَ ذَوْقِـهِ إِنَّ الـجـبَـانَ حَـتْـفُـهُ مِـنْ فَـوْقِـهِ[2]

كُـلُّ امْـرِئٍ مُـجـاهِـدٌ بِـطَـوْقِـهِ [26ظ] كَـالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْـدَهُ بِرَوْقِـهِ[3]

قَالَتْ: فَقُلْتُ مَا يَدْرِي عَامِر مَا يَقُولُ، وَكَانَ بِلَال إِذَا تَرَكَتْهُ الْحُمَّى اضْطَجَعَ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ وذَكَرَ مَا سَبَقَ[4].

وذَكَرَ ابْنُ زَبَالَةَ: أَنَّهُ لمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينةَ وَعَكَ أَصْحابُهُ، فَخَرَجَ يَعودُ أبَا بَكْرٍ فوَجَدَهُ يهْجُرُ[5]، فقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: لقَدْ لَقِيتُ الموْتَ، البَيْت. فخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَدَخَل عَلَى بِلَال فَوَجَدَهُ يَهْجُرُ ويَقُولُ: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَل الْبَيْتَيْن. وَدَخَلَ عَلَى أَبِي أَحْمد بنِ جَحْشٍ فَوَجَدَهُ مُوعكًا، وَلَمَّا جَلَسَ إِلَيهِ قالَ:

وَاحَبَّذَ مَكَّةُ مِنْ وَادِي

أَرْضٌ بِهَا يَكْثُرُ عُوَّادِي

أَرْضٌ تُضْرَبُ بِهَا أَوْتَادِي

أَرْضٌ بِهَا أَهْلِي وَأَوْلَادِي

أَرْضٌ بِهَا أَمْشِي بِلَا هَادِي [6]

فَخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا أَنْ يُنْقَلَ الوَبَاءُ مِنَ المدِينَةِ، فَيَجْعَلَهُ بِخُمٍّ[7]. وخُمٌّ كَمَا سَيَأْتِي قُرْبَ الْجُحْفَة، وهِيَ مَهْيَعَة، وإِنَّمَا دَعَا ﷺ بنَقْلِ الحُمَّى إِلَى الْجُحْفَة[8] إِلَيْها لِأَنَّهَا كَانَتْ دَارَ شِرْكٍ، ولَمْ تَزَلْ مِن يَومَئِذٍ أَكْثَرَ بِلادِ اللهِ حُمَّى[9].

قالَ بعضُهُم: وإِنَّهُ لَيُتَّقَى شُربُ الماءِ مِنْ عَيْنِهَا التِي يُقالُ لَهَا عَيْنُ خُمّ، فقَلَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا إِلَّا

---

(1) عبارة: فَقَالَ: كيف تجدك؟ عبارة زائدة.

(2) البيتان من الرَّجز، نسبَهما الهروِي لعمرو بن أمامة، وقال: معناه أنَّ حذره وجبنه ليس بدافع عنه المنية إذا نزل به قدر الله. الأمثال، ابن سلَّام، ص316.

(3) الطَّوق: مصدر من الطاقة، أي بقدر طاقتِهِ، والرَّوق: القَرْن من كلّ ذي قَرن. لسان العرب (طوق) (روق).

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص36، والخبر في سيرة ابن هشام، 588/1-589.

(5) الهُجر: الهذيان. مقاييس اللغة (هجر).

(6) من مشطور الرَّجز، وفاء الوفا، السمهودِي، 138/1. وجمل من أنساب الأشراف، 227/1. وينظَر: الإصابة، 11/12، وقد ذكرَ أنّهُ من الهزج، زِيدتْ فِيه تفعِيلة في أوَّلِهِ "أرضٌ" فأصبحَ مخزوما (لا يعتدُّ بالتَّفعِيلة الزّائدة) والخزم عند العروضيين هو زيادة ما دون خمسة أحرف أول البيت من أي بحر من الأبحر، وقد يقع في أول الشطر الثاني، وهو أيضا غير لازم. ينظر: تيسير علم العروض والقوافي، ذ.محمد بن عبدالعزيز الدباغ، ص41.

(7) خمّ: اسم موضع غدير بين مكة والمدينة بالجحفة. معجم البلدان، الحموِي، 389/2.

(8) إِلَى الْجُحْفَة، عبارة زائدة.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص37. هذا الخبرُ لم أقفْ عليهِ في كتب السِّيَر.

حُمَّ فِي الحَالِ[1].

وذَكَرَ البَيْهَقِيّ عنْ هِشَام بنِ عُرْوَةَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: أَنَّهُ كَانَ المَوْلُودُ يُولَدُ بِالْجُحْفَةِ فَلَا يَبْلُغُ الْحُلمَ، حَتَّى تَصْرَعَهُ الْحُمَّى[2].

وذَكَرَ البَيْهَقِيّ: أَنَّهُ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ وهِيَ أَوْبَى أَرْضِ اللهِ، ووَادِيهَا بُطْحَانَ نَجْلٌ[3]يَجْرِي وعَلَيْهِ الْأَثْلُ[4]. ومَعْنَى نَجْلٌ: آسِن مُتَغَيِّرٌ. وكَانَ وَبَاهَا مَعْرُوفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وكَانُوا إِذَا كَانَ الْوَادِي وَبِيًّا فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ قِيلَ لَهُ: انْهَقْ نَهِيقَ الْحِمَارِ، فإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لم يَضُرَّهُ وَبَاءُ ذَلِكَ الْوَادِي[5].

وفِي خَبَرِ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ الدَّاخِلَ كَانَ يُعَشِّرُ بِهَا؛ أَيْ: يَنْهَقُ كَالْحِمَارِ عَشْرَةَ أَصْوَاتٍ فِي طَلْقٍ، وإِلَّا مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْها، حَتَّى قَدِمَ عُرْوَةُ بنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِي وَلَمْ يُعَشِّرْ، فَتَرَكَ النَّاسُ. وتَحْوِيلُ هَذَا الْوَبَاءِ مِنْ أَعْظَمِ المعْجِزَاتِ[6].

وَذَكَرَ البُخَارِي مِنْ حَدِيث أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِن المدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ مَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلَهَا أَنَّ وَبَاءَ المدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَة**))[7].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ: ((**أَنَّهُ أَصْبَحَ رَسولُ ﷺ يَوْمًا فجَاءَهُ إِنْسَانٌ كَأَنَّهُ قَدِمَ مِن نَاحِيَةِ طَرِيقِ مَكَّةَ، فقَالَ لهُ النَّبيءُ ﷺ: هَلْ لَقِيتَ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا امْرَأَةً سَوْدَاءَ عرْيَانَةً ثَائِرَةَ الشَّعْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تِلْكَ الْحُمَّى وَلَنْ تَعُودَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا**))[8].

وذَكَرَ ابْنُ زَبَالَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**أَصَحُّ المدِينَةِ مِنَ الحُمَّى مَا بَيْنَ حَرَّة قُرَيْظَةَ وَالْعربص**))[9].

وأَنَّهُ ﷺ [27و] قَالَ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ وَانْقُلْ وَبَاهَا إِلَى مَهْيَعَةَ، [وَمَا بَقِيَ مِنْهُ فاجْعَلْهُ تَحْتَ ذَنَبِ مِشْعَطٍ[10]][11]**))[12].

---

(1) (م، س)، ص37.

(2) (م، س)، ص37، ودلائل النبوة، البيهَقِي، 568/2.

(3) استَنْجلَ الموضع، أَيْ: كثُر به النَّجْل وهو الماء يظهر من الأَرض. لسان العرب (نجل).

(4) الأَثْل: نبتٌ طُوَال في السماء مستطيل الخشب وخشبه جيد يحمل من القرى فتبنى عليه بيوت المدر. لسان العرب (أثل).

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 567/2.

(6) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 269/1.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (7038).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص37.

(9) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ في متون الحدِيث. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص37. وفيه: ((...والعريض)). والعُرِيض: وادٍ بالمدِينة. ينظر: المغانم المطابة، ص260.

(10) مشعط: جبل أو موضع بالمدينة. المغانم المطابة، ص382.

(11) زيادة لم أقفْ عليها في متونِ الحدِيث.

(12) السنن الكبرى، النسائِي، حدِيث (7477).

وذكرَ أَيْضًا عنهُ ﷺ قال: ((**إِنْ كَانَ الْوَبَاءُ فِي شَيْءٍ مِنَ المدِينَةِ فَهُوَ فِي ظِلِّ مِشْعَط**))[1].

وهُوَ بِوَزْنِ مِرْفَق[2]، موْضِعٌ لِبَنِي جديلة[3] غَرْبِيَّ مَسْجِدِهِم قُرْبَ الْبَقِيعِ. وهَذَا يُوذِنُ بِبَقَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْحُمَّى كَمَا هُوَ اليَوْمَ وقَبْلَ الْيَوْمِ، فالذِي نُقِلَ سُلْطَانُهَا، وأُعِيدَ الْخَفِيفُ مِنْهَا لِلتَّكْفِيرِ، لِرِوَايَةِ أَحْمَدَ وغَيْرِهِ عَنْ جَابِرِ بنِ عبْدِ اللهِ: ((**اسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أُمُّ مِلْدَمٍ، فَأَمَرَ بِهَا إِلَى أَهْلِ قُبَاء، فَلَقوا مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَأَتَوْهُ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا شِئْتُمْ، إِنْ شِئْتُمْ دَعَوْتُ اللهَ لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ تَكُنْ لَكُمْ طَهُورًا، قَالُوا: أَوَ تَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَدَعْهَا**))[4]. وفي رِوَايَةٍ: ((**وَإِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُمُوهَا وَأَسْقَطت بَقِيَّةَ ذُنُوبِكُمْ**))[5].

ورَوَى أَحْمَد أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ بِالشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي وَرَحْمَةٌ لَهُمْ وَرِجْزٌ عَلَى الْكُفَّارِ**))[6].

وَأَنَّ الموجُودَ مِنْهَا الْيَوْمَ لَيْسَ حُمَّى الْوَبَاءِ، بَلْ رَحْمَةُ رَبِّنَا وَدَعْوَةُ نَبِيئِنَا، لما رَوَى أَحْمَد أَنَّهُ؛ أَي: الطَّاعُونُ: ((**رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيئِكُمْ**))[7] رَوَاهُ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَة[8].

ورَوَى أَبُو قِلَابَةَ[9]: ((**أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ ﷻ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتَهُ بِسنَةٍ، فَأُعْطِيَهَا، وَأَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضهمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمَنَعَهُ فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: فَحُمّىً إِذًا أَوْ طَاعُونًا**))[10] كَرَّرَهُ ثَلَاثًا؛ أَيْ: فَحُمَّى لِلْمَوْضِعِ الذِي عُصِمَ مِنَ الطَّاعونِ، فَتَضْعُفَ الْأَبْدَانُ عَنْ إِذَاقَةِ بَعْضِهِمْ بَأْسَ بَعْضٍ وَتُطَهِّرُهُم، وتَكُونَ حَظَّهُمْ مِنَ النَّارِ، وطَاعُونًا لِلْمَوْضِعِ الذِي لم يُعْصَمْ مِنْهُ. والْأَخِيرُ هُوَ الرَّاجِحُ عِنْدَ صاحِبِ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ"[11].

وفِي الصَّحِيحَيْنِ وغَيْرِهِمَا: ((**عَلَى أَنْقَابِ المدِينَةِ مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا**

---

(1) المغانم المطابة، الفيروزأبادِي، ص382.

(2) أيْ: مشعط بوزن مرفق.

(3) في خلاصة الوفا: هذيلة، وقال المحقِّق إنَّها حذَيْلة بالمهملة، وهُم في الأنصار، بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج، وهم رهط أُبَيّ بن كعب، وحُذَيْلة، أُمُّهم بنت مالك بن زيد. مختلف القبائل ومؤتلفها، ابن حبِيب، ص42.

(4) مسنَد أحمَد، حدِيث (14393).

(5) المعجَم الكبِير، الطبراني، حدِيث (6113).

(6) مسنَد أحمَد، حدِيث (20767) وفيه: ((ورجسٌ على الكافِر))، وخلاصة الوفا، السمهودِي، ص38 وفيه: ((ورجزٌ على الكافِرِين)).

(7) مسنَد أحمَد، حدِيث (17755).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص38.

(9) أبو قِلابَة عبد الله بنُ زَيْد: الجَرْمِي البَصرِي، قدم الشَّام، حدَّثَ عن ثابت بن الضَّحَّاك وعن أنَس، وحدَّثَ عنه ثابت البنَّاني وقتادة، ت:104هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 474/4.

(10) مسنَد أحمَد، حدِيث (22136).

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

الدَّجَّالُ))[1].

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِي" وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ **((المدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ فَيَجِدُ الملَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ))**[2].

وَقَوْلُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ إِمَّا لِلتَّبَرُّكِ، لِلْجَزْمِ بِذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الْأَحَادِيثِ، وَإِمَّا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِالاسْتِجَابَةِ. وقَرَنَ الدَّجَّالَ بِالطَّاعونِ معَ كَوْنِهِ شَهَادَةً ورَحْمَةً، لما ثَبَتَ مِنْ تَفْسِيرِهِ بِأَنَّهُ وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ، فَقَدْ مُنِعَ مِنْهَا مَرَدَةُ الْجِنِّ، كمَا مُنِعَ مَرَدَةُ الْإِنْسِ، وأَيْضًا الطَّاعُونُ شِبْهُ[3] أَشْيَاء تَقَعُ مِنَ الْأُمَّة، فَفِيهِ نَوْعُ مُؤاخَذَةٍ، وقَدْ عُوِّضَتِ المدِينَةُ عنْهُ بِالْحُمَّى. وقِيلَ: المعْنَى لَا يَدْخُلُهَا مِنَ الطَّاعونِ مِثْلَ مَا يَقَعُ بِغَيْرِهَا، كَطَاعونِ عَمْوَاس، وَهُوَ مَرْدُودٌ، فَلَمْ [27ظ] تَزَلْ مَحْفُوظَةً فِي سَائِرِ الْأَعْصَارِ مُطْلَقًا، كمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وتَبِعَهُ جَمْعٌ جَمٌّ مِنَ الْعُلَمَاءِ آخِرُهُم النَّوَوِي[4].

وهذَا الْقَائِلُ فَسَّرَ الطَّاعونَ بِالموْتِ الْعَامِّ الفَاشِي، وَالصَّوابُ المرَادُ بِهِ ما يَكُونُ مِنْ طَعْنِ الْجِنِّ، فيَهِيجُ بِهِ الدَّمُ فِي الْبَدَنِ. فقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِي وغَيْرُهُ حَدِيثَ: ذُكِرَ لرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَعْضِ الْأَرْيَافِ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ المدِينَةِ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أَصَابَهُ الْوَبَاءُ، فَفَزِعَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَطْلُعَ عَلَيْنَا نِقَابُهَا))**[5] يعْنِي طُرُق المدِينَةِ. فَالمرَادُ بِالْوَبَاءِ هنا: الطَّاعُونُ المعْرُوفُ بِعَلَامَتِهِ، وَإِلَّا فَمَوْتُ الْوَاحِدِ لَا يُفْزِعُ، ولَا يُسَمَّى مَوْتًا عَامًّا[6].

وَفِي "صَحِيحِ البُخَارِي" قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَد: "قَدِمْتُ المدِينَةَ وَهُمْ يَمُوتُونَ بِهَا مَوْتًا ذَرِيعًا"[7] فَهَذَا وَقَعَ بِالمدِينَةِ لَكِنَّهُ غَيْرُ الطَّاعونِ[8].

ورَوَى أَحْمَد وابْنُ شَبَّةَ حَدِيثَ: **((مَكَّةُ والمدِينَةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالملَائِكَةِ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ))**[9] كَذَا هُوَ: "لَا يَدْخُلُهَا" بِالْإِفْرَادِ، فَيُحْتَمَلُ عَوْدُهُ لِلْمَدِينَةِ فَقَطْ، وإِنْ ثَبَتَ عَدَمُ دُخُولِ الدَّجَّالِ مَكَّةَ، فقَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ عَنِ الطَّاعونِ الْعَامِّ سنَةَ تِسعٍ وأَربَعِينَ وسَبْعِ مِئَةٍ أَنَّهُ

---

(1) صحيح البُخارِي، حدِيث (1880) وصحيح مسلِم، حدِيث (485).

(2) صحيح البُخارِي، حدِيث (7473).

(3) في خلاصة الوفا: سببه.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

(5) المعجَم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (401).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (2643).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

(9) مسند أحمد، حدِيث (10265). وفي كتاب أخبار مكة لابن شبَّة، لم أقفْ عليهِ.

دخَلَهَا، بِخِلَافِ المدِينَةِ فلَمْ يُنْقَلْ ذَلكَ فيهَا، أَوْ أَنَّهُ لَيْسَ كمَا ظَنَّ نَاقِلُهُ مِنْ كَوْنِهِ طَاعونًا[1].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: ((**لَيْسَ بَلَدًا إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمدِينَةَ لَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ صَافُّونَ يَحْرُسُونَهَا، فَيَنْزِلُ السَّبْخَةَ ثُمَّ تَرْجُفُ المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجفَاتٍ بسَبَبِ الزَّلْزَلَةِ التِي تَقَعُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**))[2].

وفِي رِوَايَةٍ: ((**فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجَرْفِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَة**))[3].

وفِي "الْبُخَارِي" عنْهُ ﷺ: ((**لَا يَدْخُلُ المدِينَةَ رُعْبُ المسِيحِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**))[4].

وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: ((**يَأْتِي المسِيحُ مِنْ قِبَلِ المشْرِقِ وَهِمَّتُهُ المدِينَةُ حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الملَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ المشْرِقِ، وَهُنَاكَ يَهْلِكُ**))[5].

وذَكَرَ الْبُخَارِي ومُسْلِمٌ عنْهُ ﷺ: ((**قِصَّةَ خُرُوجِ الرَّجُلِ الذِي هُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ مِنَ المدِينَةِ إِذَا نَزَلَ بَعْضَ سِبَاخِهَا فَيَقُولُ لهُ: أَشْهَدُ إِنَّكَ الدَّجَّالُ الذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ الحدِيثَ بطولِهِ**))[6] فاخْتَصَّتْ بِذَلِكَ الرَّجُلِ لكَوْنِهَا حَضْرَةَ المبْعُوثِ بِالْحَقِّ ﷺ[7].

ورَوَى أَحْمَد أَنَّه: ((**أَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَلَقٍ مِنْ أَفْلَاقِ الْحَرَّةِ وَنَحْنُ مَعَهُ فَقَالَ: نِعْمَ الْأَرْضُ المدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا فَإِذَا كَانَ ذلِكَ رَجَفَت المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ وَأَكْثَرُهُمْ** [28و] **يَعْنِي مَنْ يَخْرُجُ، النِّسَاءُ وَذَلِكَ يَوْم التَّخْلِيصِ، ذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي المدِينَةُ الْخَبَثَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ**[8]**، يَكُونُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجٌ**[9] **وَسَيْفٌ مُحَلًّى فَيَضْرِبُ قُبَّتَهُ بِهَذَا الضَّرْبِ الذِي بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ**))[10] الحدِيثَ بِطُولِهِ.

وذَكَرَ الطَّبَرَانِي عنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((**يَا أَهْلَ المدِينَةِ، اذْكُرُوا يَوْمَ الْخَلَاصِ، قَالُوا: وَمَا يَوْمُ**

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص40.

(2) صحيح مسلِم، حدِيث (123) وصحيح البخارِي، حدِيث (1881).

(3) صحيح مسلِم، حدِيث (123).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (7126).

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (486).

(6) صحيح مسلِم، حدِيث (112) وصحيح البخارِي، حدِيث (1882).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص40.

(8) في الأصل الحدِيث، وهو سهوٌ.

(9) ساج: الطَّيْلَسانُ الضخم الغليظ. لسان العرب (سوج).

(10) مسند أحمد، حدِيث (14112) وفيه: ((فَتُضْرَبُ رَقَبَتُهُ بِهَذَا الضَّرْبِ)).

الْخَلَاصِ؟ قَالَ: يُقْبِلُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَنْزِلَ بِذُبَابٍ[1] فَلَا يَبْقَى بِالمدِينَةِ مُشْرِكٌ وَلَا مُشْرِكَةٌ، وَلَا كَافِرٌ وَلَا كَافِرَةٌ، وَلَا مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَيَخْلُصُ المؤْمِنُونَ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ))[2].

وقولهُ بِذُبَاب: مَعْناهُ بِمَا يُقَابِلُهُ مِنَ السُّيُول[3].

وفي رِوَايَةٍ لِلطَّبَرَانِي عَنهُ ﷺ: **((يَنْزِلُ الدَّجَّالُ حَذْوَ المدِينَةِ، فَأَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ النِّسَاءُ وَالإِمَاءُ))**[4].

وَلِأَحْمَدَ والْحَاكِمِ: **((يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا فَيَنْظُرُ المدِينَةَ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ ثُمَّ يَأْتِي المدِينَةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصْلِتًا سيْفَهُ فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجرْفِ[5] فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ؛ أَيْ: فُسْطَاطَهُ[6]))**[7].

ورَوَى أَحْمَدُ أَنَّهُ ﷺ قالَ: **((يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبخَةِ بِمَرِّ قَنَاة))**[8] أَيْ: بِمَمَرِّهَا[9].

وذَكَرَ ابنُ مَاجَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((يَنْزِلُ عنْدَ الطَّرِيقِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبْخَةِ))**[10] وذَكَرَ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار: **((أَنَّهُ ﷺ رَكِبَ إِلَى مُجْتَمَعِ السُّيُولِ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْزِلِ الدَّجَّالِ مِنَ المدِينَةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَنْزِلُهُ[11]، يُرِيدُ المدِينَةَ، لَا يَسْتَطِيعُهَا، يَجِدُهَا مُتَمَنْطِقَةً بِالملَائِكَةِ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مَلَكٌ شَاهِرٌ سِلَاحَهُ، لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ، فَيُزَلْزَلُ بِالمدِينَةِ وَبِأَصْحَابِ الدَّجَّالِ زَلْزَلَةً لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَتَّبِعُهُ النِّسَاءُ، فَلَا يَعْجِزُ الرَّجَلَ يُمْسِكُ سَفِيهَتَهُ))**[12].

ورَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ الْجَسَّاسَةِ[13]: هُوَ المسِيحُ تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ طَيْبَةَ، قال رَسولُ اللهِ ﷺ: **((وَطَيْبَةُ المدِينَةُ مَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا إِلَّا ومَلَكٌ مُصَلِّتٌ سَيْفَهُ**

---

(1) ذُباب: جبل بالمدينة. معجم البلدان، الحموِي، 3/3.

(2) المعجم الأوسَط، الطبرانِي حدِيث (2165).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص41.

(4) المعجم الأوسَط، الطبرانِي حدِيث (5465).

(5) سبْخَة الجُرْفِ: السبخة هي الأرض المالِحة. والجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشَّام. معجم البلدان، الحموِي، 128/2.

(6) فسطاط: ضرب من الْأَبْنِيَة فِي السّفر دون السُّرادق. الفائق في غريب الحديث، الزمخشرِي، 116/3.

(7) مسند أحمد، حدِيث (18975) والمستدرك، الحاكِم، حدِيث (8631).

(8) مسند أحمد، حدِيث (5353).

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص41.

(10) سنن ابن ماجة، حدِيث (4077). وفيه: ((الظريب الأحمر)).

(11) في خلاصة الوفا: هذا منزله.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص41.

(13) الجساسة كما في الحدِيثِ: امْرَأَةٌ تَجُرُّ شَعَرَ جِلْدِهَا وَرَأْسِهَا.

يَمْنَعُهُ، وَبِمَكَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ))[1]. واللهُ أَعْلَمُ.

الفَصْلُ الثَّاني: [فِي تُرَابِهَا وَثَمَرِهَا]

رَوَى ابنُ النَّجَّارِ[2] وابنُ الْجَوْزِي فِي "الوَفَاءِ"[3] حَدِيثَ: **((غُبَارُ المدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ الجُذَامِ))**[4].

وفِي "جَامِعِ الْأُصُولِ"[5] لِرَزِين، وابْنِ الْأَثِيرِ وبَيَّضَا: أَنَّهُ لما رَجَعَ رَسولُ الله ﷺ مِنْ تَبُوك تَلَقَّاهُ رِجَالٌ مِنَ المخَلَّفِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ فَأَثَارُوا غُبَارًا فَخَمَّرَ، أَوْ فَغَطَّى، بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْفَهُ فَأَزَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ [28ظ] اللِّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ، وقَالَ: **((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ))** وَأُرَاهُ ذَكَرَ: **وَمِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ**[6].

ورَوَى رَزين عَن ابْنِ عُمَر مِثْلَ ذَلِكَ، وَزَادَ **((فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، فَأَمَاطَهُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَجْوَةَ المدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ، وَغُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ))**[7].

وذَكَرَ زَبَالَةَ[8] عَن ابْنِ صَيْفِيّ[9] عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تُرْبَتَهَا لمؤْمِنَةٌ، وَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ))**[10].

ولابْنِ زَبَالَةَ عنْ سَلمَةَ[11]: بَلَغَنِي أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((غُبَارُ المدِينَةِ يُطْفِئُ الْجُذَامَ))**[12]. قالَ صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ": وقَدْ شَاهَدْنَا مَنِ اسْتَشْفَى بِهِ مِنَ الْجُذَامِ، وقَدْ كَانَ أَضَرَّ بِهِ، فَنَفَعَهُ جِدًّا[13].

---

(1) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (2164).

(2) سبق تعريفه.

(3) عنوان الكتاب كاملا: الوفا بتعريف فضائل المصطفى، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت:597هـ. تحصَّلته منه على نسخة الكترونِيَّة، لم أقف عليه مطبوعا.

(4) الوفا بتعرِيف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي 201/1 (الكتاب بصيغة الشاملة لم أقفْ عليهِ ورقِيّا ولا مصورا) والدرة الثمينة، ابن النجار ص62، وفيه: ((من الجزام)). ضعفه الألبانِي، ضعِيف الجامع، حدِيث (3904).

(5) عنوان الكتاب كاملا: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لـ: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، ت:606هـ. جمع فيه بين كتاب رزين وما لم يذكره من الكتب الستة (البخاري...) فهذَّبَ هذا الكتاب ورتَّبَ أبوابَه وأضاف إليه ما أسقطه من الأصول، إلى غير ذلك. كشف الظنون، حاجي خليفة، 535/1.

(6) جامع الأصول، ابن الأثِير، حدِيث (6962) وبيَّضا أي: لم يذكرا السَّند.

(7) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ فِي متون الحدِيث. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

(8) أي: ابن زبالة.

(9) في خلاصة الوفا: صَيْفيّ، بن أبِي عامر.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

(11) في وفاء الوفا: أبي سلمة.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

(13) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

وروَى يَحْيَى بنُ جَعْفَر الْعَلَوِيّ[1] وابْنُ النَّجَّارِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ زَبَالَةَ: أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ أَتَى بَلْحَارِثَ فَإِذَا هُمْ رَوْبَى[2]، فقالَ: **((يَا بَنِي الْحَارِثِ مَا لَكُمْ روبَى؟ فَقَالُوا يَا رَسُول اللهِ أَصَابَتْنَا هَذِهِ الْحُمَّى، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ[3] صُعَيْب؟ قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ مَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ مِنْ تُرَابِهِ فَتُجِفُّونَهُ فِي مَاءٍ، ثُمَّ يَثْفَلُ عَلَيْهِ أَحَدُكُمْ وَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، تُرَابُ أَرْضِنَا بِرِيقِ بَعْضِنَا، شِفَاءٌ لمرِيضِنَا بِإِذْنِ رَبّنا، فَفَعَلُوا فَتَرَكَتْهُمْ الْحُمَّى))**[4].

قَالَ طَاهِرُ بنُ يَحْيَى الْعَلَوِي[5] عَقِبَ رِوَايَتِهِ لذَلِكَ عن أَبِيهِ: صُعَيْب وَادِي بُطْحَان دُونَ الماجِشُونِيَّة، [وهِيَ الْحَدِيقَة المعْرُوفَةُ بالماشُونِيَّة][6]، فِيهِ حُفْرَةٌ مِمَّا يَأْخُذُ النَّاسُ مِنْهُ، إِذَا وَبِيَ إِنْسَانٌ أَخَذَ مِنْهُ[7].

قَالَ ابْنُ النَّجَّار: وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ الْحُفْرَةَ الْيَوْمَ وَالنَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْهَا، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَدْ جَرَّبوهُ ووَجَدُوهُ صَحِيحًا[8].

وهِيَ حُفْرَةٌ مَوْجُودَةٌ تُؤْثَرُ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ، يَنْقُلُونَ تُرَابَهَا لِلتَّدَاوِي[9]. وكَذَا مَصْرَعُ حمْزَةَ، يُؤْخَذُ مِنْهُ لِلصُّدَاعِ.

وذَكَرَ المجْدُ[10] أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ جَرَّبُوا أَتْرَابَ تِلْكَ الْحُفْرَةِ لِلْحُمَّى، فوَجَدُوهُ صَحِيحًا، قَالَ: وَأَنَا سَقَيْتُهُ غُلَامًا لِي مَرِيضًا، مِنْ نَحْوِ سَنَةٍ تُوَاظِبُهُ الْحُمَّى، فَانْقَطَعَتْ عَنْه مِنْ يَوْمِهِ[11].

---

(1) يحي بن الحسَن بن جعفر الحجَّة العبيدلي العقيقي، نسابة، من كتبِه: أخبار المدينة، ت:277هـ. الذريعة إلى تصانيف الشِّيعة، آقا برزك الطهراني، 349/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 90/4.

(2) رَوْبَى: الذين أَثْخَنَهُم السفَرُ والوَجَعُ فاسْتَثْقَلُوا نوماً. لسان العرب (روب).

(3) صوابه: من.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42– 43، والدرة الثمينة، ابن النَّجَّار، ص63.

(5) طَاهِر بن يحيَ العلوِي: يروي عن أبيه. وعنه ابناه يعقوب وأبو بكر بن المقري، مات سنة 314هـ. تاريخ الإسلام، الذهبي، 281/7، والتحفة اللطيفة، السخاوي، 257/2.

(6) فِي خلاصة الوفا: المدشونيَّة. والعبارة ليست في الدّرة الثمينة، ولم أقفْ على موضعٍ بهذا الاسم.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43، والدرة الثمينة، ابن النَّجَّار، ص63.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43، والدرة الثمينة، ابن النَّجَّار، ص63.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43.

(10) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادِي صاحب القاموس المحِيط، والمغانم المطابة في معالم طابة، ت: 817هـ. بغية الوعاة، السيوطِي، 273/1 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 776/3.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43.

نصوص مجد الدين الفيروز أبادي ينقلها المؤلِّف من المغانم المطابة، والكتاب لم أقفْ منهُ مطبوعاً إلَّا علَى قسم المواضِع.

وذَكَر هُوَ وَالمطَرِيّ[1] أَنَّ تُرَابَها يُجْعَلُ فِي الماءِ ويُغْتَسَلُ بِهِ مِنَ الحُمَّى[2]. ويَنْبَغِي كَمَا قالَ صَاحِبُ "الْخُلَاصَةِ" أَنْ يُفْعَلَ أَوَّلًا مَا وَرَدَ، ثُمَّ يُجْمَعُ بَيْنَ الشُّرْبِ وَالْغُسْلِ[3].

وذَكَرَ البُخَارِي: ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَه فِي الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا، وَقَالَ بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ** [29و] **أَرْضِنَا بِرِيقِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**))[4].

وفِي رِوَايَةٍ يقولُ: ((**بِرِيقِهِ ثُمَّ قَالَ بِهِ فِي التُّرَابِ**))[5].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ: ((**أَنَّ رَجُلًا أُتِيَ به رَسُول الله ﷺ وَبِرِجْلِهِ قَرْحَةٌ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَ الْحَصِيرِ، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ التِي تَلِي الْإِبْهَامَ عَلَى التُّرَابِ، بَعْدَمَا مَسَّهَا بِرِيقِهِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ رِيقُ بَعْضِنَا بِتُرْبَةِ أَرْضِنَا يَشْفِي سَقِيمَنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلَى الْقَرْحَةِ، وَكَأَنَّمَا حُلَّ مِنْ عِقَالٍ**))[6].

وذكرَ أَيْضًا مَرْفُوعًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ عَجْوَاتٍ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ مِنَ الْعَالِيَة، لم يَضُرَّهُ يَوْمَئِذٍ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**))[7].

وذَكَرَ مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ**))[8].

وذَكَرَ أَحْمَدُ أَنَّهُ قالَ ﷺ: ((**مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ مَا بَيْنَ لَابَتَي المدِينَةِ على الرِّيقِ لم يَضُرَّهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ، قَالَ فُلَيْح: وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَإِنْ أَكَلَهَا حِينَ يُمْسِي لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصْبِحَ**))[9] .

وفي الصَّحِيحينِ: ((**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لم يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ، وَلَا سِحْرٌ**))[10].

---

(1) في الأصل: المطرزي، وهو خطأ.

محمد المطري جمال الدين، أبو عبد الله المدني، مؤرخ، من المؤذنين بالمسجد النبوي، توفي بالمدينة سنة 741 هـ، من آثاره: إتحاف الزائر، والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 62/3.

(2) المغانم المطابة، الفيروزأبادِي، ص218، والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، المطري، ص137.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (5745)، وصحيح مسلم، حدِيث (54).

(5) سنن أبي داود، حديث (3895).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي ، ص43-44.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي ، ص44.

(8) صحيح مسلِم، حدِيث (154).

(9) مسنَد أحمد، حدِيث (1442).

(10) صحيح مسلِم، حدِيث (157) وصحيح البخارِي، حدِيث (5769).

وذَكَرَ مسْلِم أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً – أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ – أَوَّلَ الْبُكْرَةِ**))[1].

وَذَكَرَ البُخَارِي[2]أَنَّه ﷺ قالَ مِنْ حَدِيثِ: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّ الْكَمْأَةَ دَوَاءُ الْعَيْنِ، وَأَنَّ الْعَجْوَةَ مِنْ فَاكِهَةِ الْجَنَّةِ**))[3].

وذَكَرَ الطَّبَرَانِي وغَيْرُهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**الْكَمْأَةُ مِنَ المنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ**))[4] صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدِهِ إِلى سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص: ((**مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي فَقَالَ: إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ، ايتِ الْحارِث بنَ كلدة أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ المدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ ثُمَّ لِيَلُدَّكَ بِهِنَّ**)) أَيْ: يَسْقِكَ، يُقَالُ: لَدَّهُ إِذَا سَقَاهُ الدَّواءَ فِي أَحَدِ جَانِبَي الْفَمِ[5].

وذَكَرَ ابنُ عَدِيّ[6] فِي "الْكَامِل" أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**يَنْفَعُ مِنَ الدَّوَاءِ[7] أَنْ يَأْخُذَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ المدِينَةِ كُلَّ يَوْمٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ**))[8].

وذَكَرَ الخَطَّابِيّ عنْ عَائِشَةَ [29ظ] رَضِيَ اللهُ عَنْها: "أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ لِلدُّوَامِ وَالدُّوَارِ[9] مَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ فِي رَأْسِهِ فَيدُومُهُ" وَمِنْهُ تَدْوِيمُ الطَّائِرِ، وهُوَ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي طَيَرَانِهِ[10].

وَتَخْصِيصُ الْعَجْوَةِ دونَ غَيْرِهَا، وعَدَدُ السَّبْعِ مِمَّا لَا يُعْلَمُ حِكْمَتُهُ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ واعْتِقَادُ فَضْلِهِ وبَرَكَتِهِ، وقَدْ أَطْبَقَ النَّاسُ علَى التَّبرُّكِ بِالْعَجْوَةِ، وهُوَ النَّوعُ المعْرُوفُ، الذِي يَأْثرُهُ الْخَلَفُ عن السَّلَفِ في المدِينَةِ، ولَا يرْتابونَ في تَسْمِيَتِهِ بذَلِكَ، ومَا خَالَفَ ذلِكَ بَاطِلٌ، والعَجْوَةُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ أَكْبَرُ مِنَ الصَّيْحَانِي، يَضْرِبُ إِلَى السَّوادِ، وهُوَ مِمَّا غَرَسَهُ النَّبِيءُ ﷺ بِيَدِهِ في المدِينَةِ، وذَكَرَ الْبَزَّارُ هذا أَيْضًا[11].

وذَكَرَ ابنُ حِبَّان عنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: ((**كَانَ أَحَبُّ التَّمْرِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ**

---

(1) صحيح مسلِم، حدِيث (156).

(2) في خلاصة الوفا: ولأحمد برجال الصحيح في حدِيث.

(3) مسنَد أحمد، حدِيث (22972). ولم أجده في صحيح البخارِي.

(4) المعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (3406).

(5) سنن أبِي داود، حدِيث (3875).

(6) سبقت ترجمته.

(7) في خلاصة الوفا: الدوام، وفي الكامل لابن عدي: الجُذَام.

(8) الكامل في الضَّعفاء، ابن عدِيّ 407/7.

(9) أسقط المؤلِّف من القول عبارة: كانت تأمر للدوام والدوار بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الرِّيق.

(10) غريب الحدِيث، الخطابِي 577/2-578، وفِيه: الدوام كالدوار وهو ما يأخذ الإنسان في رأسه فيدار به.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص45.

الْعَجْوَةُ))[1].

وذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((خَيْرُ تَمْرِكُمُ الْبَرْنِيُّ يُخْرِجُ الدَّاءَ وَلَا دَاءَ فِيهِ))**[2] ورَوَاهُ ابنُ شَبَّةَ[3] والْحَاكِمُ[4] خِطَابًا لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي ثِمَارِهِمْ[5].

وذَكَرَ الطَّبَرَانِيّ في "الصَّغِيرِ": **((أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثِّمَارِ وَضَعَها عَلَى عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا أَطْعَمتنَا أَوَّلَهُ فَأَطْعِمْنَا آخِرَهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ لِلْمَوْلُودِ مِنْ أَهْلِهِ))**[6].

وفي الكَبِيرِ: **((كَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرِ قَبلَهَا وَجَعَلَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ))**[7].

وفِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ": إذا أُتِيَ بالْباكُورَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَبلَهَا ووَضَعَهَا عَلَى عَيْنِهِ الْيُمْنَى ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ: **((اللَّهُمَّ كَمَا بَلَّغْتَنَا أَوَّلَهَا فَبَلِّغْنَا آخِرَهَا ثُمَّ يُعْطِيهَا أَصْغَرَ الْوِلْدَانِ))** الْحَدِيث[8].

وذَكَرَ البَزَّارُ عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((يَا عَائِشَةُ إِذَا جَاءَ الرُّطَبُ فَهَنِّئِينِي))**[9].

وذَكَرَ فِي "الفلَانِيَّات"[10]: **((أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى الرُّطَبِ فِي أَيَّامِ الرُّطَب، وَعَلَى التَّمْرِ إِذَا لم يَكُنْ رُطَبٌ، وَيَخْتِمَ بِهِنَّ، وَيَجْعَلهُنَّ وِتْرًا: ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا))**[11].

وفي "فَضْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ" لابْنِ المؤَيِّد الْحَمَوِي[12]، عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ: كُنتُ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ يَوْمًا في بَعْضِ حِيطَانِ المدينةِ، ويَدُ عَلِيٍّ في يَدِهِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِنَخْلٍ فَصَاحَ النَّخلُ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ، وهَذَا عَلِيٌّ سَيْفُ اللهِ، فَالْتَفَتَ النَّبيءُ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ فقالَ: سَمِّهِ الصَّيْحَانِي، فَسُمِّيَ مِنْ ذَلكَ اليَوْمِ

---

(1) المغنِي عن حمل الأسفار، العراقِي، ص856، والطب النبوِي، أبو نعيم، حديث (845). ولم أجده عن ابن حبان إلا في خلاصة الوفا.

(2) ورد بلفظ قرِيبٍ في مسند أحمد، حديث (15559).

(3) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 586/2، وفيه: ((وأنفعه لكم)) بدل ((يخرج الداء ولا داء فيه)).

(4) المستدرك، الحاكم، حدِيث (7450).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص45.

(6) المعجم الكبير، الطبرانِي، حدِيث (11222).

(7) المعجم الصغير، الطبرانِي، حدِيث (791). كذلك وجدت الحدِيثيْنِ مختلفا التخرِيج.

(8) نوادِر الأصول، الحكِيم الترمذِي، حديث (596).

(9) البحر الزَّخَّار، البزّار، حدِيث (6953).

(10) فِي خلاصة الوفا: الغيلانيَّات، وهو كتاب الفوائِد للبزَّاز ت:354هـ.

(11) الغيلانيَّات، أبو بكر محمد بن عبد الله البزَّاز، حدِيث (983).

(12) محمد بن المؤيد بن محمد بن حمويه الحموي، صوفي، سكن سفح قاسيون بدمشق، وعاد إلى خراسان وتوفي بها سنة:650هـ، من تصانيفه: بحر المعاني، سفينة الأبرار في لجج الأسرار. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 746/3.

تمرُهُ الصَّيْحانِي، أَو المرَادُ كُلُّ ذَلكَ الْحَائِطِ[1]. وفي المدِينَةِ مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِالصَّيْحَانِي[2]، واللهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثَّالِث: [فِي أَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ]

أَسْنَدَ [30و] الْكَلبِيّ عَن ابْنِ عَبَّاس: أَنَّهُ لمّا خَرَجَ النَّاسُ مِن السَّفِينَةِ نَزَلُوا طَرَفَ بَابِلَ، وكَانُوا ثَمَانِينَ نَفْسًا، فَسُمِّيَ الموْضِعُ سُوقَ الثَّمَانِين، وقِيلَ: سُمِّيَت الْقَرْيَةُ الثَّمانِينَ، فمَكَثُوا حَتَّى كَثُرُوا وصَارَ مَلِكهُم نُمْرُوذُ بنُ كَنْعَانَ بنِ حَام[3]. ولَا أَظُنُّ ذلِكَ يصِحُّ مِن ابنِ عَبَّاس، فَإِنَّ بَيْنَ حَامَ ونُمْرُوذَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا إِنْ نُسِبَ كَنْعَانُ إِلَى حَام لِكَوْنِهِ جَدًّا مِنْ أَجْدَادِهِ.

فلَمَّا كَفَرُوا بُلْبِلُوا فَتَفَرَّقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَلَى اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ لِسَانًا، ففَهَّمَ اللهُ العَرَبِيَّةَ مِنْهُم عمليق وطَسم ابْنَيْ لوذ بنِ سام، وعَادا وعَبِيل ابْنَيْ عَوص بنِ إِرَمَ بنِ سَامَ، وثَمُودَ وجديسَ ابْنَيْ جاثِق بنِ إِرَمَ بنِ سامَ، وقَنْطورَ بنِ غابِر بنِ شالِخ بنِ أَرفخشد بنِ سَام، فنَزَلَتْ عَبِيلُ يَثْرِبَ، ويثْرِب ابن4 عَبِيل ثُمَّ أُخْرِجُوا مِنْهَا، فنَزَلُوا الجُحْفَةَ، فجَاءَهُم بِسَيْلٍ أَجْحَفَهُمْ، فَبِهِ سُمِّيَتْ جُحْفةً، فرَثَاهُمْ رَجُلٌ مِنْهُم فَقَالَ:

عَيْنِي جُودِي عَلَى عَبِيلٍ وَهَلْ يُرْ ... جِعُ مَنْ فَاتَ بَعْضُهَا بِانْسِجَامِ[5]

عَمَّرُوا يَثْرِبًا وَلَيْسَ بِهَا شُفْـ ... ـرٌ وَلَا صَارِخٌ وَلَا ذُو سَنَامِ[6]

غَرَّسُوا لِينَهَا بِمَجْرَى مَعِينٍ ... ثُمَّ حَفُّوا النَّخِيلَ بِالآجَامِ[7]

وقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ سَكَنَها يثْرِبُ بنُ قَانِيَة بنِ مَهلاييلَ بنِ إِرَمَ بنِ عَبيل بنِ عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وقيلَ: أَوَّلُ مَنْ عمَّرَ بها الدُّورَ والآطامَ وزَرَعَ وغَرَسَ العماليقُ بن عملاق بن أرفخشد بن سام وأَخَذوا ما بَيْنَ البَحْرَيْن وعُمَانَ والْحِجَازَ إِلَى الشَّامِ ومِصرَ، ومِنْهُم الْجَبَابِرَة والفَرَاعِنَة بهما[8]، ومَلِكُهُم بِالحِجَاز الأَرْقَمُ، وكانَ بالمدينةِ مِنْهُم بنُو هَف وبنُو مطْرويل، وكَانتْ جرهُم بمكَّةَ، يَعنِي قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ، وقنطورا

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص46.

(2) (م، س)، ص46.

(3) (م، س)، ص154.

4 في خلاصة الوفا: اسم.

(5) الأبيات من الخفِيف.

"عيني" الياء زائدة، وبحذفها يستقِيم الوزن.

(6) شفر: تطلق على العين، وهنا أي أحد، والصارخ: المغيث، وذو السنام: الإبل.

(7) في الرَّوض المعطار: الفسيل بدل النَّخِيل، والأُجُمُ الحِصْن والجمع آجامٌ.

الأبيات الثلاثة نقلها المؤلف من خلاصة الوفا، ص154، وهي في: الروض المعطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ص617، ونور القبس، اليغمري، ص262.

(8) فوق بهما: حاء صغيرة.

وطسم وجديش بِاليَمَامةِ[1]. وعَنْ زَيْد بنِ أَسْلم: أنَّ ضَبُعًا زَوِيَتْ وأَوْلَادَهَا في حِجَاجِ عَيْنِ رَجُلٍ؛ أَيْ: عَظْمِ العَيْنِ الذِي يَنْبُتُ علَيْهِ الحَاجِبُ، وكَانَتْ تمْضِي أَرْبَعُ مِئَةِ سَنَةٍ ومَا يُسْمَعُ بِجَنَازَةٍ.

ولِأَبِي المنْذِرِ الشَّرْقِي[2]: سَمِعتُ حَديثَ تَأْسِيسِ المدينَةِ مِنْ سُلَيْمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَنْظَلَةَ الغَسِيلِ وبعْضَهُ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْش عن أَبِي عُبَيدةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يَاسِر، قَالَا: بلَغَنَا أنَّ مُوسَى عليه السلام لما حَجَّ حَجَّ مَعَهُ أُنَاسٌ مِنْ بني إِسْرائيلَ، فأَتَوْا علَى المدِينَةِ في انصِرافِهِم فرَأَوْا موْضِعَها صِفَةَ بَلَدِ نَبِيءٍ يجِدُون وَصْفَهُ في التَّوْراةِ بأَنَّه خَاتِمُ النَّبِيئِينَ، فاشتَوَرَتْ طائِفَةٌ منْهُم علَى أَنْ يتَخَلَّفوا بِهِ، فنَزَلُوا في مَوْضِعِ سوقِ بني قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ تأَلَّفَ إِلَيْهِم ناسٌ مِنَ العَرَبِ، فرَجَعوا إلى دِينِهِم، فكانوا أَوَّلَ مَنْ سَكَنَ مَوْضِعَ المدينةِ. ويُذْكَر أَنَّ قومًا ما مِنَ العَمَالِقَة سَكَنُوا قَبْلَهُم[3].

ولابْنِ شَبَّةَ بسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ، إِلَّا أنَّ فيه مَنْ لم يُسَمَّ، عَنْ جابِر مرفوعًا إِلَيْهِ ﷺ: [30ظ] أَقْبَلَ موسَى وهارونُ حاجَّيْن، فمَرَّا بالمدينةِ فخافَا مِن يَهُودَ، فخرَجَا مستَخْفِيَيْنِ، فنَزَلَا أُحُدًا، فغَشِيَ هارونَ الموتُ، فَقَامَ مُوسَى فحفَرَ لهُ وَلَحَدَ[4]، ثُمَّ قالَ: يا أخي إِنَّكَ تموتُ، فَقامَ هارونُ فدَخَلَ في لَحْدِهِ، فقُبِضَ، فَحَثَا عليْهِ موسَى التُّرابَ. وهُوَ دَالٌّ على كَوْنِهِم بالمدِينةِ زمانَ مُوسَى[5].

ووُجِدَ قَبْرٌ بالحمى[6] مَكْتُوبٌ عَلَيهِ: أنَا رَسولُ رَسُولِ الله سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ عليهم السلام إِلَى أَهْلِ يَثْرِبَ. وفِي رِوايَةٍ: رَسولُ رَسولِ اللهِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عليه السلام، إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ عَرِينَةٍ[7].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ عن مَشْيَخَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، قالُوا: كَانَ سَاكِنُها في سالِفِ الزَّمانِ صغلَ وفالحَ[8]، فغَزَاهُم دَاوُدُ عليه السلام وأَخَذَ مِنْهُم مِئَةَ أَلْفِ عَذْرَاءَ، وسَلَّطَ اللهُ علَيْهِم الدُّودَ فِي أَعْنَاقِهِم فهَلَكُوا. فقُبُورُهُم هذِهِ التِي فِي السَّهْلِ والْجَبَلِ، وهِيَ التِي بنَاحِيَةِ [الجرْف][9]. وبَقِيَت امْرَأَةٌ مِنهُم تُعْرَف بِزهرَة، وكانَت تَسْكُنُ بِهَا، فاكْتَرَتْ مِن رَجُل، وأرادَتْ الخرُوجَ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ البِلادِ، فلَمَّا دَنَتْ لِتَرْكَبَ غَشِيَها الدُّودُ،

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص154-155.

(2) قال قاسم السامرائِي: المعروف أن أبا المنذر لقب هشام بن محمد بن السائب الكلبِي، والشرقِي: هو الشرقي بن القطامِي واسمه أبو المثنى الوليد بن الحصين الكلبِي وكان أحد النسابين الرواة للأخبارِ والأنسابِ والدواوِين وألف في أخبار العشاق، فلعلَّ الجملة كانت: عن أبِي المنذِرِ عن الشَّرقِي. وفاء الوفا، السمهودِي، 293/1.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص155.

(4) لحد القبرَ يَلْحَدُه لَحْداً وأَلْحَدَه عَمِلَ له لحْداً. لسان العرب (لحد).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156، وفِي تاريخ المدينة المنورة، ابن شبَّة، 85/1.

(6) فِي خلاصة الوفا: الجماء. وهي: جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف، سمي بذلك لأنَّ ثمَّ جبلين هي أقصرهما فكأنها جمَّاء، والجماء الشاة لا قرنَ لها. معجم البلدان، الحموِي، 158/2.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156. وفي وفاء الوفا: عربية، وقد ذكر قاسم السامرائي تفصيلا في ضبط هذه اللفظة. ينظر: وفاء الوفا، السمهودِي، 296/1.

(8) في وفاء الوفا: صعل وفالج.

(9) إضافة من خلاصة الوفا.

فقيلَ لَهَا: إنَّا لَنَرى دُودًا يغْشَاكِ، فقَالتْ: بهذا هَلَك قَوْمِي، ثمَّ قالَتْ: رُبَّ جَسَد مَصُون، ومَالٍ مَدْفُون، بَيْنَ زَهْرَةَ ورَانُون. وقَتَلَهَا الدُّودُ[1]. قالوا: وكَانَ قَوْمٌ مِن الْأمم يقَالُ لَهُم بنُو هف، وبنو مطر، وبنو الأزرق، فِيمَا بَيْنَ مخيض[2] إلى غُرَابِ الضَّائِلَةِ[3] إلَى القصاصين[4] إلى طَرَفِ أحد، فَتِلْكَ آثارُهم هُنَاكَ[5].

وعَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ: كانَ العمالِيقُ قَد انتَشَرُوا في البِلادِ، وسكَنُوا مَكَّةَ والمدِينةَ والحجازَ كُلَّهُ، وعَتَوْا عُتُوًّا كبيرًا، فلَمَّا أَظْهَرَ اللهُ موسَى عليه السلام على فِرْعَونَ ووَطِئَ الشَّامَ، وأَهْلَكَ مَنْ بِهَا، بَعَثَ إِلَيْهِم جُنْدًا مِنْ بَنِي إسرائيلَ لِلْحِجَازِ، وأَمَرَهُم أن لَا يَسْتَبْقُوا مِنْهُمْ أَحَدًا بَلَغَ الْحُلُمَ، فقَدِمُوا فأَظْهَرَهُم اللهُ علَيْهِم، فقَتَلُوهم وأَصَابُوا ابنَ مَلِكِهم الأرقَمَ، وكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، فقَالوا نَسْتَحْيِيهِ، حتَّى نقْدِمَ بِهِ على مُوسَى عليه السلام، يرَى فِيه رأيَهُ، فأَقْبَلوا بِهِ، فقَبَضَ اللهُ موسى قَبْلَ قدُومِهِم، فتَلَقَّاهم النَّاسُ فسَأَلُوهُم عنْ أَمْرِهِمْ، فأَخْبَرُوهُم، فقَالَتْ بنو إسْرَائيلَ إنَّ هَذِهِ مَعْصِيَةٌ مِنكُم لما خَالَفتُم أَمْرَ نَبِيئِكُم، لَا وَاللهِ لا تَدْخُلُوا علَيْنَا بِلادَنا أبَدًا، فقَالُوا: ما بَلَدٌ إِذْ مُنِعْتُم بِلادَكُم بِخَيْرٍ مِنْ البِلادِ التِي كُنَّا فيها، وكانَ الحِجَازُ إذ ذَاكَ أَشْجَرَ بلَادِ اللهِ وأَظهَرَهُ مَاءً، فكَانَ هَذَا أَوَّل سُكْنَى اليَهُودِ الحِجَازَ بَعْدَ العَمَالِيقِ، فكَانَ جَمِيعُهُمْ بِزَهْرَة بَيْنَ الْحَرَّة والسَّافِلة مِمَّا يَلِي القُفَّ[6]، ولَهُم الأَمْوالُ بالسَّافِلَة، ونَزَلَ جُمهورُهُمْ بِيَثْرِبَ بِمُجْتَمَعِ السُّيول مِمَّا يَلِي رَغَابَة[7].

وعنْ مُحَمَّد بنِ كَعْب القُرَظِيّ[8] قَالَ: وخَرَجَتْ [31و] قُرَيْظَةُ وإِخْوَانُهُم [بنو هدل وعَمْرُو ابنا الصَّرِيح][9] والنَّضير بن النحام بن الخزرج بن الصَّرِيح مِنْ ذُرِّيَّة هارُونَ عليه السلام بَعْدَ هؤُلَاءِ فَتَبِعُوا آثارَهُمْ فنَزَلوا بِالعَالِيَة علَى مدينب[10] ومهزور[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156.

(2) قال المطرِي: جبل مخيض هو الذي على يمين القادم من طريق الشام حِينَ يُفضِي من الجبالِ إلى البركة التِي هِيَ مورِدُ الحجاج من الشَّام ويسمونها عيون حمزة. التعرِيف، المطرِي، ص185.

(3) جبل شامِيَّ المدينة بينها وبين مخيض. وفاء الوفا، السمهودِي، 407/4.

(4) أصحاب القصة، وهي الحبس. وفاء الوفا، السمهودِي، 10/4.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156.

(6) القُفّ: علم لوادٍ من أودِيَة المدينة عليهِ مالٌ لأهلِها. المغانم المطابة، الفيروزأبادِي، ص349.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص157.

في خلاصة الوفا: زعابة. وفي المغانم المطابة: زَغَابَة، وقال موضع قريب من المدينة، ص170.

(8) محمد بن كعب القُرَظِيّ: المدَنِيُّ، مِنْ حُلَفَاءِ الأَوْسِ، وَكَانَ أَبُوْهُ كَعْبٌ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَة، سَكَنَ الكُوفَةَ، ثُمَّ المدِيْنَةَ. قِيلَ: وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ، ومات سنة 108هـ، وقيل غير ذلك. سير أعلام النُّبلاءِ، الذَّهبِي، 66/5.

(9) في خلاصة الوفا: بنو هدل وعمر، وأبناء الصَّرِيح. وفِي المسالك والممالك: بنو عمرو بن الخزرج بن الصَّرِيح. وينظر: سيرة ابن هشام، 21/1.

(10) صوابه: مذينب. تصغِير مذنب، وهو وادٍ بالمدينة لا يسِيلُ إلّا بماء المطَر. المغانم، ص373.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص157، والمسالك والممالك، البكرِي، 324/1.

ولِبَعضِهِم عن أَبِي هُرَيْرَةَ: بلَغَنِي أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لمّا أَصابَهُم ما أَصابَهُم مِنْ ظهُورِ بخت نصر عَلَيْهِم تفَرَّقُوا، وكانوا يَجِدُون مُحَمَّدًا ﷺ منْعُوتًا في كِتَابِهِمْ، وأَنَّه يَظْهَرُ في بَعْضِ هذِهِ القُرَى الْعَرَبِيَّة، في قَرْيَةٍ ذاتِ نَخْلٍ، ولمَّا خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ جَعَلُوا يفَتِّشونَ عن صِفَةِ القَرْيَة ما بَيْنَ الشَّامِ واليَمَنِ، يَجِدُونَ نَعْتَها نَعْتَ المدِينةِ، فتَحَصَّلوا في ذَلِكَ علَى المدِينَة وعَرَفوهَا، ونَزَلَ بها طَائفةٌ مِنْ بَنِي هارُونَ مِمَّنْ حَمَلَ[1] ومَاتُوا وَهُمْ مُؤْمِنونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّه جَاءٍ، ويَحُثُّون أَبْنَاءَهُمْ عَلَى اتِّباعِهِ فَأَدْرَكَهُ مَنْ أَدْرَكَهُ فَكَفَرُوا بهِ، وهُم يعْرِفُونَه، لِحَسَدِهِم الأَنْصارَ، إِذْ سَبَقُوا إِلَيْهِ. وزَعَمَ بنُو قُرَيظَة أَنَّ الرُّومَ لمّا غلَبُوا علَى الشَّامِ خرَجَ قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ وَهدل هَارِبين مِنَ الشَّام، يُريدون مَنْ كان بالِحجَازِ مِنْ بني إسرائيل، فوجَّهَ مَلِكُ الرُّوم في طَلَبِهم، فَأَعجَزُوا رُسُلَهُ، وانتَهَى الرُّسُل إِلى ثَمَد بَيْنَ الحِجَازِ والشَّامِ، فمَاتُوا عِندَهُ عَطَشًا، فسُمِّيَ الموْضِعُ ثَمَدُ الرُّومِ[2].

ونَقَلَ ابنُ زَبالَةَ أَنَّ مِمَّن كانَ معَ يَهُودَ مِنَ العَرَبِ قَبْلَ الأَنْصَارِ بَنِي أنيف حَيٌّ مِن بليّ، ويُقالُ بقيَّةٌ مِنَ العمالِقَةِ وبَنِي مزيد مِنْ بليّ، وبنِي معاويةَ بن الحارِثِ بنِ بهثَة بنِ سلِيم، وبَنِي الجدما[3] حَيًّا مِنَ اليَمَنِ. ولبَنِي أنيف بقَايَا بِأطام عِنْدَ بئْرٍ عدق، والمالُ الذي يُقالُ له: القائِم وغيْرُهُمَا[4].

قال شاعِرُهُمْ:

وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا قُبَاءٌ لَخبَّرَتْ ... بِأَنَّا نَزَلْنَا قَبْلَ عَادٍ وَتُبَّعِ

وَآطَامُنَا عَادِيَّة مُشْمَخِرَّةٌ ... تَلُوحُ وَتَبْكِي مِنْ بِعَاد وَتَمْنَعُ[5]

وكانَ مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ اليَهودِ حِينَ نُزولِ الأَوْسِ والخزرجِ علَيْهِم بنو القصيصِ وبنو ناغصة مع بني أنيف. وقِيلَ: إنَّ بني ناغصة حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ منازِلُهُم شِعْبُ بني حَرَام حَتَّى نقَلَهُم عمَرُ إلى مساجِدِ الفَتْحِ. وبنو قُرَيْظَة في الدَّار المعرُوفَةِ لَهُم الْيَوْمَ، ومعَهُم إِخْوَتُهم بنو هدل[6] وبنو عمرو، سُمِّيَ هدلا لهدلٍ كان في شَفَتِهِ. وبنو النَّضِيرِ كما قال ابنُ زَبَالَةَ النواعم[7]، ومنهم كَعْبُ بنُ الأَشْرَف، وكانَ لَهُم عامَّة أطم في

(1) يعنِي التَّوراة، كما فِي خلاصة الوفا ووفاء الوفا.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص157.

(3) في خلاصة الوفا: الجذماء. وفي الدرة الثمينة: الجذما. وسيكرِّرها المؤلِّف بلفظ "الجدمان. ولم أقفْ على ضبطها في كتب الأنساب. وضبطها ياقوت بـ: "الجذماء" وقال حيٌّ من يهود اليمَن. معجم البلدان، 355/4.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص158. والدرة الثمينة، ص39.

(5) البيتان من الطَّوِيل. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص159، والمسالك والممالك، البكرِي، 1/ 324، وفيه: تلوح فتَنْعَى من يُعادَى. وفي الروض المعطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ص453، وفِيه: تلوح فتنفِي من يُعادِي.

(6) في الأصل: هذل.

(7) في خلاصة الوفا: فِي النواعم. قال في المغانم: موضع قرب العوالِي، وكانت منزل بني النضِيرِ. المغانم، ص418.

المالِ الذِي يُقالُ لهُ فاضِحة[1] بجفاف، وأطم دونَ بني أميَّةَ بن زيد دُبُرَ قَصْرِ ابنِ هِشَام، وأطم البويلة[2].

وقَالَ الواقِدِي: منازِلُ بني النَّضِير بنَاحِيَة [31ظ] الغَرسِ، وبَنِي مزيد في بَنِي خطمة وناعمة إبراهيم بنِ هِشَام، وبنُو معاوِيَة في بني أميَّةَ بنِ زَيد، وبنو ماسكة قُرْبَ صدقة مروان ممَّا يلِي صدقة النَّبِيءِ ﷺ، ولَهُم الأُطُمَان اللَّذان في النقف[3] فِي القَرْيَة التِي آثارُهَا غربَي الحسينيات. وبنو محمم في المكَانِ الذِي يُقالُ لَهُ بنو محمم، ولهم المالُ الذِي يقالُ لَه خقافة[4]. وبنو زعوراء عندَ مَشْرَبَة أُمِّ إبراهِيمَ، وبنو زيدِ اللَّاتِ. قال ابنُ زَبالَةَ: وهُمْ رَهْطُ عبدِ اللهِ بنِ سَلَّام، قُرْبَ بَنِي غصيبة[5] وبنو قَيْنُقَاع عندَ منتهَى جِسْرِ بُطْحانَ مِمَّا يَلِي العَالِيَة، وهُناكَ سوقُهُم، ولَهُم الأُطُمَان اللَّذان عندَ منقَطَعِ الجِسْرِ على يَمِينِكَ وأَنْتَ ذاهِبٌ مِنَ المدينَةِ إذا سَلَكْتَ الجسْرَ مِنَ الطِّرِيقِ الشَّرْقِيَّةِ إلى العَالِيَة[6].

وذَكَر ابنُ عُمَر أنَّهم رَهْطُ ابنِ سَلَّام[7]، وهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ يوسُف الصِّدِّيق عليه السلام، وبنو حِجْر عندَ المشْرَبَة التِي عندَ الجِسرِ، وبنو ثَعلَبَةَ وأَهْلُ زهرة بزهرة، وهُمْ رَهْطُ القطيون[8] مَلِكهم، الذي كان يقتضُّ[9] نِسَاءَ أَهْلِ المدينَةِ وأَهْلِ الجوَّانِيَّة بالجَوَّانِيَّة[10]، ولهم ضرار[11] والرّيّان وهما أُطمَان صارَا لِبَنِي حَارِثَةَ[12].

وبَنو الجَدمَانِ[13] حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ فيما بَيْنَ مقبَرَةِ بَني الأَشْهَل وبَنِي قَصر بنِ عراك، ثمَّ انتَقَلوا إلَى رَاتِج[14].

وبنو عكرة[15] يَمَانِيَّ بنِي حارِثَةَ، وبَنُو مراية[16] شَامِيَّ بَنِي حارِثَةَ، ولَهُم الشِّعْبان أُطُم بتمع[17] صَدَقَة عُمَر بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه، ونَاسٌ بِرَاتِج أُطمٌ سُمِّيَتْ بهِ ناحِيَةٌ، ونَاسُ الشَّوطِ والعَنائِقِ والوالِج وزبالَة

(1) في وفاء الوفا: فاضجة. قال في المغانم: اسم مال بالدينة، كان فيه أطم لبنِي النَّضِيرِ. المغانم المطابة، ص310.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص158. ووفاء الوفا، 303/1.

(3) فِي خلاصة الوفا: القف.

(4) فِي خلاصة الوفا: خناقة.

(5) فِي خلاصة الوفا: غصينة.

(6) (م، س)، ص158-159.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (4028).

(8) في خلاصة الوفا: القطيور، وفي وفاء الوفا: الفِطْيُون.

(9) خطأ صوابه: يفتَضُّ، كما في خلاصة الوفا.

(10) الجوانيَّة: موضع أو قرية قرب المدينة. معجم البلدان، الحموِي، 175/2.

(11) في خلاصة الوفا: صرار. وقال الفيروزأبادِي: موضع على ثلاثة أميال من المدينة. المغانم، ص217.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص159.

(13) فِي خلاصة الوفا: بنو الجذماء.

(14) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص159، وفيه: بنو الجذماء.

(15) في خلاصة الوفا: بنو عكوة.

(16) في خلاصة الوفا: بنو مزاية، وفي وفاء الوفا: مرانة.

(17) في خلاصة الوفا: ثمغ. وهو: موضع مال لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حبسه أي: وقفه. معجم البلدان، الحموِي، 84/2.

إلَى عَيْنِ فاطِمةَ، حيْثُ كان يُطْبَخ الآجُر للْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ[1].

ولِأَهْلِ الشَّوْطِ الشَّرْعِيّ أُطْم دونَ ذباب صارَ لِبَنِي خَيْثَم إِخْوَةِ بنِي عبْدِ الأَشْهَل، ولِأَهْلِ الوالِجِ أُطم بطَرَفِهِ مِمَّا يَلِي قَناةَ، ولبَعضِ مَن هناكَ الشّيحان، وهما أطمان بمقضاهما[2] مسجد الشيخينِ[3].

ولِأهْلِ زبالَةَ الأطمانِ عندَ كومة أبي الحمل الرَّائض[4]، والأطم الذي دونهما[5].

وكَانَ أَهْلُ يثْرِب جماعًا مِنَ اليَهُودِ بها وقَدْ بَادُوا، وقِيلَ: إنَّ قبائِلَ يَهودَ تَنِيفُ على العِشْرِينَ، وعِدَّةُ آطامِهِم وآطَامِ مَنْ نَزَلَ معَهُم مِنَ العَرَبِ تَزِيد على السَّبْعِينَ. وكانَت الآطامُ عِزَّ أَهْلِ المدينَةِ ومنعَتَهُم، وجاءَ النَّهْيُ عنْ هَدْمِهَا[6].

ولم تَزَل اليهُودُ ظاهِرَةً علَى المدِينَةِ حتَّى كان مِنْ سَيْلِ العَرِمِ، وهُو المطَرُ الشَّديدُ، وقِيلَ جُرَذٌ أعْمَى نَقبَ السَّدَّ كمَا قَصَّ اللهُ ﷻ في كتابِهِ، وكَانتْ مَأْرَبُ وهِيَ أرْضُ سَبَأ [32و] المعنيَّةُ بِقَوْلِه تعالَى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾[7] أَخْصَبُ البلادِ، تَحْرُجُ المرأةُ وعلى رَأْسِها المكْتَلُ، فتَعْمَلُ بِمِغزلِهَا وتَسِيرُ بَيْن الشَّجَر فيَمْتِلِئ ممَّا يتَسَاقَطُ مِنَ الثَّمَر، وهِيَ أَكْثَرُ مِنْ شَهْرَيْن للرَّاكبِ المجِدِّ طولًا، وكذَلِكَ عَرضُها، وأهلُهَا فِي غايَةِ الكَثْرَةِ، مع إِجْمَاعِ الكَلِمَةِ والقُوَّة آمِنِين؛ تَخْرُج المرْأَةُ لَا تَتَزَوَّدُ تَبِيتُ في قَرْيَةٍ وتَقِيلُ في أُخْرَى حَتَّى تَأْتيَ الشَّامَ، قال اللهُ تعالَى:﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ أَيْ: قُرَى الشَّامِ ﴿ قُرًى ظَـٰهِرَةً ﴾[8]أيْ: يُرَى بَعضُها مِنْ بَعْضٍ لِقُرْبِها، فبَطَرُوا النِّعمَةَ، ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ بِمَفَاوِزَ بيْنَهُم وبَيْنَ الشَّامِ، يَرْكَبونَ فِيهَا الرَّواحِلَ، فعَجَّلَ اللهُ الإِجَابَةَ، كمَا قالَ اللهُ جَلَّ وعزَّ:﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[9][10].

وعَنِ الضَّحَّاكِ: كَانوا فِي الفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى ومُحَمَّد علَيْهِما السَّلَامُ، وكانَ السَّدُّ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخ بنَاهُ لُقمانُ الأَكْبَرُ العَادِي، وقيلَ: ابنُهُ، وقِيلَ: سَبَأُ بنُ يشجُب، وماتَ قَبْلَ كَمَالِهِ، فأَكْمَلَهُ مُلُوكُهُم،

---

(1) (م، س)، ص159.

(2) فِي خلاصة الوفا: بمفضاهما.

(3) فِي خلاصة الوفا: السنحان، وضبطه المحقق بـ: الشيخان، كما في وفاء الوفا.

(4) فِي خلاصة الوفا: أبي الحمراء الرّابض.

(5) (م، س)، ص159.

(6) (م، س)، ص159.

(7) سورة سبأ:15.

(8) سورة سبأ:18.

(9) سورة سبأ: 19.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص160.

يَجْتَمِعُ إِلَيهِ مِياهُ اليَمَنِ، ثُمَّ يتَفَرَّقُ في مَجَارٍ، وكانَ أولَادُ حِمْيَرَ وأَوْلادُ كهْلَانَ ابنَيْ سَبَأٍ يوْمَئِذٍ سادَةَ اليَمَنِ وكَبِيرُهُم عَمْرو بنُ مزيقاء بنِ عَامِرِ ماءِ السَّماءِ بنِ حارِثَةَ بنِ امرِئِ القَيْسِ بنِ ثعْلَبَة بنِ مَازِنَ مِنَ الأَزْدِ، ويُقالُ الأَسَدُ بنُ الغوت بنِ نبتَة بنِ مالِك بنِ زَيْد بنِ كهْلانَ بنِ سَبَأ بنِ يشجب بنِ يَعْرُب بنِ قحطَانَ، وجِماعُ قبائل اليَمَنِ مُنْتَهٍ إلى قَحْطانَ، والأَكْثَرُ أنَّ قَحْطانَ هُو عامر بنُ شالخ بنِ أرفخشد بنِ سام بنِ نوح، وقِيلَ هو مِنْ وَلَدِ هودٍ، وقِيلَ: هُودٌ نَفْسُهُ، وقِيلَ ابنُ أخيهِ، ويُقالُ هُوَ أَوَّلُ مَن تكلَّمَ بالعَرَبيَّةِ، وهُوَ والدُ العَرَبِ المتَعَرِّبَة، وإسماعيلُ عليه السلام والدُ العَرَبِ المسْتَعْرِبَة، وأَمَّا العَرَبُ العارِبَةُ فقيلَ عادٌ وثَمُودُ وعمليقُ وغيْرُهُمْ[1].

وذَهَبَ الزُّبَيْرُ بنُ بكَّار إلَى أَنَّ قَحْطانَ بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام، ولِهَذا قَال أبُو هُرَيْرَة مُخاطِبًا لِلْأَنصَارِ: فَتِلْكُم؛ أَيْ: هَاجَرُ، أُمُّكُم يا بَنِي ماءِ السَّماءِ، يَعْنِي الأَنْصَارَ؛ لِأَنَّ جَدَّهُم عامِرا هُو الملَقَّبُ بذَلِكَ، أو أَرَادَ جَمِيعَ العَرَبِ لملَازَمَتِهَا مَوَاضِعَ الْقَطْرِ، وهذَا مُتمَسَّكُ مَن ذَهَبَ إلى أَنَّ العَرَبَ كلَّها مِنْ وَلَدِ إسماعِيلَ[2].

قالَ صاحِبُ "خُلاصَةِ الوَفَاء": وهُو الذِي [أمِيلُ][3] إلَيْهِ وإنْ ثَبَتَ خِلافُهُ، فالْعَرَبُ اللَّذِينَ لَهُم الشَّرفُ والتَّقَدُّمُ هُمْ بنُو إسْمَاعِيلَ عليه السلام فَقَطْ[4].

وكانَت زَوْجُ عَمرو مزيقيا تُسَمَّى طَرِيفَةُ الحِمْيَرِيَّة كاهِنَة، وَلَدَتْ لَهُ ثلَاثَةَ عَشَر[5] ولَدًا: ثَعْلَبة، أبَا الأَوْسِ والخَزْرَج، وحَارِثَةَ وَالِدَ خُزاعَةَ، وقِيلَ فِيهِم غَيْرُ ذلِكَ، وجَفنَةَ[6] والدَ غَسَّان، وقِيلَ فيهم غَيْرُ ذلِكَ، ووَدَاعةَ وأبَا حارِثَة والحَارِثَ [32ظ] وعَوْفا وكَعْبا ومَالِكا وعمرا، هؤُلاءِ كُلُّهم أَعْقَبُوا والثَّلاثةُ الْباقونَ لم يُعْقِبُوا، وكانَ لِعمرو مزيقيا مِنَ القُصُور والأَمْوالِ مَا لم يَكُنْ لِأَحَدٍ، فرَأَى أَخوهُ عمران وكَانَ كاهِنًا، ولَمْ يُعْقِبْ، أَنَّ قومَهُ سيُمَزَّقُون وتُخَرَّبُ بِلادُهُم، فذَكَرَهُ لَهُ، ثمَّ إنَّ طَرِيفَةَ سَجَعَتْ لَهُمْ بما يَدُلُّ لذَلِكَ، فقالَ: ومَا عَلامَتُهُ؟ قالَتْ: إذا رَأَيْتَ جُرَدًا يُكْثِر فِي السَّدِّ الْحَفْرَ، ويَقْلِبُ بِيَدِهِ مِنْهُ الصَّخْرَ، فَانْطَلَقَ إِلَى السَّدِّ، فإِذَا جُرَدٌ يَقْلِبُ الصَّخرَةَ ما يقَلبُها خَمْسونَ رَجُلًا مِنَ السَّدِّ، فأَخْفَى ذَلِكَ وأَجْمَعَ على بَيْعِ مالِهِ بِأَرضِ سَبَأ، والخُرُوجِ بِوَلَدِهِ، وخَشِيَ مِن اسْتِنْكارِ ذلِكَ، فاحْتَالَ بِطَعامٍ وَاسِعٍ صَنَعهُ، وجَمَعَ أَهْلَ مَأْرِب وأَسَرَّ إلى يَتيمٍ رَبَّاهُ أَنْ يَجلِسَ إلَى جَانِبِهِ، ويُنَازعَهُ الحَدِيثَ، ويفْعَلَ بهِ مثْلَ ما يَفْعلُ

(1) (م، س)، ص160-161.

(2) (م، س)، ص161.

(3) إضافة من خلاصة الوفا لتتمة المعنَى.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص161.

(5) فِي الأصلِ: عشرة.

(6) فِي الأصلِ: جعنة. والتصحيح من خلاصة الوفا.

بِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُ في شَيْءٍ، فَرَدَّ عليْهِ فضَرَبَ عمرو وجْهَهُ وشَتَمَهُ، ففَعَلَ اليَتِيمُ بِه فِعْلَهُ، فصَاحَ واذُلَّاهُ اليَوْمَ ذَهَبَ فخرُ عمرو، وحلَفَ لا يُقِيمُ بِبَلَدٍ صُنِعَ بِهِ ذلكَ فِيهَا، وأَنْ يَبِيعَ أَمْوالَهُ فاغْتَنَموا غضَبَهُ، واشْتَرَوْها، وتَبِعَهُ ناسٌ مِنَ الأَزْدِ فبَاعُوا، فلَمَّا اجْتَمَعَ لِعَمْرو أَثْمانُ أَموالِهِ أَخْبَرَ النَّاسَ، فخَرَجَ ناسٌ كَثِيرٌ، وأَقَامَ مَنْ قُضِيَ عليهِ بالهَلاكِ، وقِيلَ المحْتالُ في بَيْعِ مالِهِ ثعلَبَةُ بنُ عمرو، وإنَّما كانت طَرِيفَةُ زَوْجُهُ، وماتَ عمْرُو قَبْلَ السَّيْلِ[1].

وقِيلَ: لما مَاتَ عمرُو صَارَت الرِّئَاسةُ لِأَخِيهِ عامر العَاقِر[2]، وهُوَ المحْتَال لِلْبَيْعِ، فقَالَ لِحارِثَةَ بنِ أخِيهِ: إِذَا ضَرَبتُكَ فَالْطمني، فقالَ: كَيْفَ يلْطِمُ الرَّجلُ عمَّهُ؟ فقال: إِنَّ في ذلكَ صَلاحَكَ وصَلَاحَ قَوْمِكَ. ثُمَّ جاء السَّيْلُ فلَمْ يَجِدْ مانِعًا فغرق البِلاد والكروم إِلَّا ما كانَ في رَأْسِ جَبَلٍ، والبعيد مِثْلَ دمار وحَضْرَموتَ وعَدن، وذَهَبَت الضِّيَاعُ والحدائِقُ، وجَاءَ السَّيْلُ بالرَّمل وطَمَّهَا، ووَصَفَتْ لَهُمْ طرِيفَة البِلادَ، وقِيلَ عَمْرو، فَسَكَنَ أَزْدُ عُمَانَ بها، ووداعة بن عامر بكَرود مِنْ أَرْضِ هَمَدَانَ فانْتَسَبوا فِيهِم، وأَزْدُ شنُوءَة [بشق مِنَ الشراة][3]، وخزاعة ببَطْنِ مُرّ، والأَوسُ والخزْرَجُ بِيَثْرِبَ وآل جفينة مِنْ غَسَّانَ ببُصْرَى وسدير مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وجديمة بن الأَبْرَش وغيره مِنْ غَسَّانَ بِالعِرَاقِ[4].

وسَجْعُ طَرِيفةَ المتعَلِّقُ بالمدِينَةِ: مَنْ كَانَ مِنكُم يُرِيدُ الرَّاسِخَاتِ فِي الْوَحل[5]، المطعمات فِي المحل[6]، فَلْيَلْتَحِقْ بِيَثْرِب ذاتِ النَّخْل[7]. ونسب لعمرو بن عامر بزيادة البركات بالرحل[8]، عَقِبَ المطعمات في المحل. وَقِيلَ قَالَتْ: فلْيَلْتَحِقْ بِالحرةِ ذاتِ النَّخل[9].

فَلَمَّا خرَجُوا وفَارَقَهم وداعَةُ بِهَمَدانَ ثُمَّ أَزْدُ شَنوءَة بيْن الشراة ومَكَّةَ [33و] ومَعَهُمْ عمرانُ بنُ عامِر، وسَارَ عمرو في بَاقِي وَلَدِهِ وفي ناسٍ مِنَ الْأَزْدِ حتَّى نَزَلوا ماءً يُقالُ لَهُ غسَّان، وغَلَبَ علَيْهِم اسْمُهُ. قالَ شاعِرُهُم:

إِمَّـا سُـئِلْـت فَـإِنَّـا مَعْشَـرٌ نُجُـبٌ الْأَزْدُ نِسْـبَتُنَا وَالـمـاءُ غَسَّـانُ[10]

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص161-162.

(2) فِي خلاصة الوفا: العاقل.

(3) في خلاصة الوفا: بشن من السراة، وفي وفاء الوفا: بالثني من شن، وهو بالسراة. وينظر معجم البلدان، 368/3.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص162.

(5) فِي الأصلِ: الوجل، والتصحيح من خلاصة الوفا.

(6) فِي الأصلِ: المخل. والتصحيح من خلاصة الوفا.

(7) فِي خلاصة الوفا: الوحل.

(8) فِي خلاصة الوفا: المدركات بالنحل.

(9) (م، س)، ص162.

(10) البيت من البسِيط. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص163، وفي الرَّوض المعطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ص430 نسبه لحسَّان.

ومِنْ ماءِ غسَّانَ انخَزعَ لُحَيّ، واسمُهُ رَبيعَةُ بنُ حارِثَة بنِ عمْرو بنِ حارِثَة، فأَتَى مَكَّةَ فَتَزَوَّجَ بِنْتَ عامِرِ مَلِكِ جُرهُمَ، فوَلَدَتْ عمرو بن لُحَيّ الذِي غيَّرَ دِينَ إِبْرَاهيمَ عليه السلام[1].

ورَوَى الأَزْرَقِي أَنَّ عمرو بنَ عامِر سَارَ وقَوْمَهُ، لا يَطَؤُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا علَيْهِ، فلَمَّا انْتَهوا إِلى مَكَّةَ، وأَهلُها جُرْهُم، قدْ قَهَرُوا النَّاسَ وحَازُوا ولَايَةَ البَيْتِ علَى بنِي إِسْماعِيلَ وغَيْرِهِم، أَرْسَلَ إِلَيْهِم ثَعْلَبَةُ بنُ عمْرو بنِ عامِر إِنَّا خَرَجْنَا مِنْ بِلادِنا فلَمْ نَنْزِلْ بَلَدًا إِلَّا فَسَحَ أَهلُها لنَا، فنُقِيمُ مَعَهُم حتَّى نُرسِلَ روَّادَنَا فيَرْتَادونَ لنَا بَلَدًا تَحْمِلُنا، فأَفْسِحوا لنَا حَتَّى نَسْتَرِيحِ ونُرسِلَ رُوَّادَنَا إِلى الشَّامِ والمشْرِق، فحَيْثُما قِيلَ لنَا إِنَّهُ أَمْثَلُ لَحِقْنا بِهِ، فأَبَتْ جُرْهُم، فأَرْسَلَ إِلَيْهِم ثَعْلبَةُ إِنَّه لا بُدَّ لِي مِنَ المقَامِ، فإِنْ تَرَكْتُمُونِي نَزَلْتُ وحَمِدْتُكُم ووَاسَيْتُكُم فِي الماءِ والمرْعَى، وإِن أَبَيْتُم أَقَمْتُ علَى كُرْهِكُم، ثُمَّ لم تَرْعَوا مَعِي إِلَّا فَضْلًا، ولَا تَشْرَبُوا إِلَّا رَنْقًا، يَعْنِي كَدَرًا، فإِنْ قَاتَلْتُمُونِي قاتَلْتُكُمْ، ثُمَّ إِنْ ظَهَرتُ عليْكُم سَبَيْتُ النِّساءَ، وقَتَلْتُ الرِّجالَ، ولَم أَترُكْ أَحَدًا مِنْكُم يَنْزِلُ الْحَرَمَ. فأَبَتْ جُرْهُمْ فاقْتَتَلُوا ثلاثةَ أَيَّامٍ ثُمَّ انْهَزَمَتْ جُرهُم، فلَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ. وأَقَامَ ثعْلبَةُ بِمَكَّةَ ومَا حَوْلَها بِعساكِرِهِ حَوْلًا، فأَصَابَتْهُم الحُمَّى، وكَانُوا بِبَلَدٍ لا يَعْرِفونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى، فدَعَوا طَرِيفةَ الكَاهِنَة فشَكوا إِلَيْها، فقَالَتْ: قَدْ أَصَابَنِي الذِي تَشْكُونَ[2].

وذَكَرَ الأَزْرَقِي: أَنَّ الْأَوْسَ والخزْرَجَ ابْنَيْ حَارِثَةَ بنِ ثعلَبَةَ بنِ عمرو نَزَلُوا المدِينَةَ، وانْخَزَعَتْ خزَاعَةُ بمكَّةَ، فقَامَ بها رَبِيعةُ بنُ حارِثَةَ بنِ عَمْرو، وهُوَ لُحَيّ، فوَلَّى أَمْرَ مَكَّةَ[3].

وقالَ ياقوتُ: لما سارُوا مِنَ اليَمَنِ عطَفَ ثَعْلَبَةُ العَنْقَا ابنُ عمرو مزيقيا نَحْوَ الْحِجَازِ، وأَقَامَ ما بَيْنَ ثَعْلَبَةَ، وباسمهِ سُمِّيَت، إِلَى ذِي قَار[4]، فلَمَّا كَثُرَ وَلَدُهُ وقَوِيَ رُكْنُهُ، سارَ بِهِمْ إِلَى المدِينَةِ وبِهَا يهُود، فاسْتَوْطَنَهَا، فأَقَامُوا بَيْنَ قُرَيْظَة والنَّضِيرِ وخَيْبَرَ وتَيْمَا ووَادِي القُرَى، ونَزَلَ أكثَرُهُم بِالمدِينَةِ[5].

وأُمُّ الْأَوْسِ والْخَزْرَج قَيْلَةُ بنتُ عَمْرو بنِ جَفْنَةَ في قَوْلِ الْكَلبِي[6]، وقال ابْنُ حَزْم: قَيْلَة بنتُ الأَرْقَم بنِ عمرو بنِ جفنَة بنِ عمرو مزيقيا[7]، ويقالُ بنتُ كاهِل بنِ عذرة بنِ قضَاعَةَ، وقضاعَةُ مِنْ حِمْيَر في قَوْلِ الْأَكثَرِ، واشْتَهَرَت الأَوْسُ والخَزْرَجُ بأَبْنَاءِ قَيْلَة، ووَلَدَ الأَوْسُ مالِكا، ومنهُ قبائِلُ الأَوْسِ كلِّها[8].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص163.

(2) (م، س)، ص163، وأخبار مكة، الأزرقِي، 93/1-94.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164، وأخبار مكة، الأزرقِي، 95/1.

(4) في معجم البلدان: ذو قار: ماءٌ لبكر بن وائِلَ ثريب من الكوفةِ، بينها وبين واسِط، وحنو ذي قار: على ليلة منهُ، وفِيهِ كانت الوقعةُ المشهورةُ بين بكر بن وائِلَ والفرسِ. معجم البلدان، الحموِي، 293/4، وفي المغنام المطابة: القار: قرية من قرى المدينة الشَّرِيفة. ص322.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164، معجم البلدان، ياقوت 36/5.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164، لم أجده في جمهرة أنساب العرب للكلبِي.

(7) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص332.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164.

وذَكَرَ الخرائِطِي[1] أنَّه لما حَضَرَت الأَوْسَ بنَ حارثَةَ بنِ ثَعلَبَةَ بنِ عمْرو الوَفَاةُ اجْتَمَعَ قومُهُ، فقالُوا: قدْ حَضَرَ مِنْ أَمْرِ الله ما تَرَى، وقدْ كُنَّا نَأمُرُكَ في شبابِكَ أن تَتَزَوَّجَ فتَأْبَى [33ظ] وهذا أخُوكَ الخَزْرَجُ له خمْسَةُ بنينَ، ولَيْسَ لَكَ غَيْرُ مالِك، فقالَ: لم يهْلِكْ هالِك، ترَكَ مِثْلَ مالِك، فصَارَ هذا مَثَلًا، إنَّ اللهَ قادِرٌ أَنْ يُخْرِجَ لمالِك نَسْلًا ورجالًا بُسلًا، وكلٌّ إلى الموْتِ. ثُمَّ أَقْبَلَ على مالِك فقالَ: أيْ بُنيَّ المنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، وقالَ أبْيَاتًا:

فَعَلَّ الذِي أَوْدَى ثَمُودًا وَجُرْهُما ... يُعَقِّبُ لِي نَسْلًا عَلَى آخِرِ الدَّهْرِ
تقرُّ بهمْ مِنْ آلِ عَمْرو بنِ عَامِرٍ ... عُيُونٌ لَدَى الدَّاعِي إِلَى طَلَبِ الْوتْرِ
الم يَاتِ قَوْمِي أَنَّ للهِ دَعْوَةً ... يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبِرّ
إِذَا بُعِثَ المبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ ... بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ
هُنَالِكَ فَابْغُوا نَصْرَهُ لِبِلَادِكُمْ ... بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

ثمَّ قَضَى مِنْ ساعَتِهِ[2].

قال الشَّرقِي[3]: وُلِد لمالِك عمرُ وعوْفُ ومرَّة، ويُقالُ لَهُمْ أَوْسُ اللهِ، وَهُم الجعادِرَة، سُمُّوا بذلِكَ لقِصَرٍ فِيهِم[4].

وقال ابْنُ حَزْم: إنَّ بَنِي عَامِر بنِ عَمْرو بنِ مالِك بنِ الْأَوْسِ، كانوا كلُّهُم بِعُمانَ، لم يَكُنْ مِنْهُم بالمدينَةِ أَحَدٌ، فلَيْسُوا مِنَ الأَنْصَارِ[5].

ووَلَدَ الخزرجُ عمرا وعَوْفا وجشم وكَعْبًا والحارِثَ[6]، وتفَرَّقُوا بُطُونًا. وكانَ بَعْضُ بَنِي جفنة بن عمرو مزيقيا كانوا بالمدينةِ في عِداد الأَنْصَارِ[7].

قال الشَّرقِي[8]: ولَمَّا قَدِمَت الأَوْسُ والخَزْرَجُ المدِينَةَ تَفَرَّقوا في عالِيَتِها وسافِلَة، ومِنْهُمْ مَنْ نزَلَ معَ بنِي إسرائيلَ في قُراهُم، ومِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ وَحدَهُ، لاَ مَعَ بني إِسْرائِيلَ، ولا معَ العَرَبِ الذِينَ كانُوا تَأَلَّفُوا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وكانَت الثَّرْوَةُ في بَنِي إِسْرَائِيلَ، ولَهُمْ قُرَى أَعَدُّوا بِها الْأَطَام[9].

---

(1) الخرائطي: محمد بن جعفر بن محمد، محدث، أديب، سكن الشام، وحدث بها، وتوفي بفلسطين سنة:327هـ، من تصانيفه: اعتلال القلوب في أخبار العشاق، هواتف الجنان. سير أعلام النبلاء، 267/15، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 196/3.

(2) الأبيات من الطويل. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164-165، وهواتف الجنان، الخرائطِي، ص64-65. وينظَر الخبر في الأمالي، 134/1.

(3) في خلاصة الوفا: الشَّرقِي.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص165.

(5) (م، س)، ص165، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص343.

(6) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص346.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص165، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص372.

(8) في خلاصة الوفا: الشَّرقِي.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص165.

ولابنِ زَبالَةَ عن شَيْخِهِ[1] مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ: أَنَّ الأَوْسَ والخزرَجَ وجَدُوا الأَمْوالَ والأطامَ بأَيْدِي يهُودَ، والعَدَدَ والْقُوّةَ مَعَهُم، فمَكَثُوا ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ سأَلُوهُم أَنْ يعْقِدوا مَعَهُم جِوَارًا وحِلْفًا، يَأْمَنُ بَعْضٌ بَعْضًا، ويتَمَنَّعونَ بهِ عمَّن سِواهُم، فتَحَالَفُوا وتَعَامَلُوا، ولَمْ يزَالُوا كَذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا. وأَمرَتِ[2] الأَوْسُ والْخَزْرَجُ وصارَ لَهُم مالٌ وعَدَدٌ، فخافَتْ قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ أن يَغْلِبوهُم على دُورِهِم، فتَنَمَّروا لَهُم حَتَّى قَطَعوا الْحِلْفَ، وقُرَيْظةُ والنَّضِيرُ أَعَدُّوا أَكْثَر، فأَقَاموا خَائِفِينَ أَن يُجْلِيَهُم يهُودُ، حَتَّى نَجَمَ مِنْهُم مَالِكُ بنُ العَجْلانِ، أَخُو بَنِي سَالم بنِ عَوْف بنِ الخزرَجِ، وسَوَّدهُ الحيَّانِ الأَوْسُ والخَزْرَجُ، وكانَتْ لَا تُهدَى عَروسٌ مِنَ الحيَّيْنِ حتَّى تَدْخُلَ علَى القَيْطُون[3] مَلِكِ اليَهُودِ، فيَكُونَ هوَ الذِي يفتَضُّها.

فتَزَوَّجَتْ أختُ مالِك بنِ العجلانِ رَجُلًا مِنْ قَوْمِها، فبَيْنَما مالِك في النَّادي إِذْ خَرَجَتْ أُختُهُ فضْلاء[4] فنَظَرَ إليْها أَهْلُ المجْلِسِ، فشَقَّ على مَالِك، ودَخَل فعَنَّفهَا، فقالَتْ: ما يُصْنَعُ بي غَدًا أَعْظَمُ مِنْ هذَا، أُهْدَى إلى غَيْرِ زَوْجِي، فلَمَّا أمْسَى اشْتَمَلَ على السَّيْفِ، ودَخَلَ مُتَنَكِّرًا معَ النِّسَاءِ، فقَتَلَ القيطونَ وانْصَرَفَ [34و] إلى دارِ قَوْمِهِ، فبَعَثَ الرُّمَق بنُ زَيْدٍ أَحَدَ بَنِي سَالم إِلَى مَنْ وَقَعَ بِالشَّامِ مِنْ قَوْمِهِم يشْكُونَ غَلَبَةَ اليَهُودِ عليْهِم، فقَدِمَ إِلَى أَبِي جُبَيْلَةَ أَحَدِ بني جُشم بنِ الخَزْرَج الذِينَ سارُوا مِنْ يَثْرِبَ إلى الشَّام، وَقِيلَ: أبُو جبيلة هُوَ مِنْ وَلَدِ جفنة بنِ عمرو مزيقيا، وكَانَ قَدْ أصابَ مُلْكًا بِالشَّامِ، فشَكَا لَه حالَهُم وغَلَبَةَ اليَهُودِ علَيْهِمْ، فأَقْبَلَ أبُو جُبَيْلَة في جَمْعٍ كَثِيرٍ لنُصْرَتِهِم[5].

ونَقَلَ رَزِين عن الشَّرقِي[6] أنَّ القَيْطُون كانَ قدْ شرَطَ ألاَّ تَدخُلَ امرَأَةٌ على زوجِها حتَّى تدخُلَ عليْهِ. ولمَّا سَكَنَ الأوسُ والخزرجُ المدينةَ أَرادَ أن يَسِيرَ فِيهِمْ ذَلكَ، فتَزَوَّجتْ أُختُ مالِك بنِ العَجْلان رَجُلًا مِنْ بَنِي سَالم، فأَرْسَلَ القيطونُ رَسولًا في ذَلِكَ، وكانَ مالِكُ غَائبًا فخَرَجَتْ أُخْتُهُ في طَلَبِهِ فمَرَّتْ بِهِ في قَوْمٍ، فنَادتْهُ، فقال: لقَدْ جِئْتِ بسَيِّئَةٍ، تُنادِينِي ولا تَسْتَحِي، فقالت: الذِي يُرادُ بِي أَكْثَرُ، فأَخْبَرَتهُ، فقَالَ: أَكْفِيكِ ذَلِكَ، فقالت: وكَيْف؟ فقال: أَتَزَيَّا بِزِيّ النِّسَاءِ، وأَدْخُلُ معَكِ عليهِ بالسَّيْفِ فأقتُلَهُ، ففَعَلَ ثُمَّ خَرَجَ حتَّى قَدِمَ الشَّامَ على أَبِي جَبِيلةَ، وكانَ نَزَلَها حِينَ نُزُولِهم المدِينةَ، فجَيَّشَ جيْشًا عظِيمًا، وأَقْبَلَ كأَنَّه يُرِيدُ اليَمَنَ، واخْتَفَى مَعَهُ مالِكُ بنُ العَجْلَانِ، فنَزَلَ بِذِي حُرُض[7]، فأَرْسَلَ إلى الأَوسِ

(1) فِي خلاصة الوفا: مَشْيَخَة.

(2) فِي خلاصة الوفا: أثِرَت.

(3) فِي وفاء الوفا: الفِطَيْوْن، وفي خلاصة الوفا كما أثبته المؤلِّف، وقال ابن دريد: الفِطيَون الملك، وهذا اسم عبرانيّ. الاشتقاق، ابن دريد، ص436.

(4) فِي خلاصة الوفا: فَضْلاء، فصحح المحقق ذلك وقال: فُضُلا، وكذلك أثبت محقق وفاء الوفا. وقال ابن الجزري: يُقَالُ: تَفَضَّلَتِ المرْأَةُ إِذَا لَبِسَت ثِيَابَ مِهْنَتِها، أَوْ كَانَتْ فِي ثَوْبٍ واحِد، فَهِيَ فُضُلٌ وَالرَّجُلُ فُضُلٌ أَيْضًا. النهاية في غريب الحدِيث، 456/3.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص166.

(6) فِي خلاصة الوفا: الشرقِي.

(7) حُرُض: وادٍ بالمدينة. معجم البلدان، الحموِي، 242/2.

والخَزْرَجِ فوَصَلَهُم، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى بَنِي إسْرَائِيلَ: مَن أَرَادَ الحبَاءَ[1] مِنَ الملِكِ فلْيَخْرُجْ إليْهِ، مَخَافةَ أن يتَحَصَّنوا، فلا يَقْدِرُ علَيْهِمْ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أشرافُهُم فَأَمَرَ لَهُمْ بِطَعامٍ حَتَّى اجتَمَعُوا فقَتَلَهُم، فَصَارَ الأَوْسُ والخَزرجُ أَعَزَّ أَهْلِ المدينَةِ[2].

وقيلَ: إِنَّمَا قصَدَ مالك بن العجلان بَعْدَ قَتْلِ القيطونِ تُبَّعا الأَصْغَرَ باليَمَنِ، فشَكَا إِلَيْهِ، فعَاهَدَ أن لَا يَقْرَبَ امرَأَةً ولَا يَمَسَّ طِيبا، ولا يَشْرَبَ خَمْرا حَتَّى يَسِيرَ إلى المدِينَةِ ويُذِلَّ مَن بِهَا مِنَ اليَهُودِ، فَفَعَلَ[3].

وَقالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ تُبَّعا الأَصْغَرَ ابنَ حَسَّان آخِر التَّبَابِعَةِ سَارَ إِلَى الشَّامِ ومُلُوكُها غَسَّان، فأَطَاعَتْهُ، ثُمَّ إلى المستقرِّ[4] مِنْ ناحِيَة هَجَر[5]، فأَتَاهُ قَوْمٌ كانوا وَقَعوا إلى يَثْرِبَ وحَالَفوا يهُودا بِهَا، فشَكَوْهُم ومَتُّوا إِلَيْهِ بالرَّحِمِ، فأَحْفَظَهُ ذلِكَ فسَارَ ونَزَلَ بِسَفْحِ أُحُدٍ، وبَعَثَ إِلَى يَهُودَ، فقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلاثَ مِئةٍ وخَمسِينَ رَجُلًا صَبْرًا، وأَرَادَ خَرَابَها، فقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، أَتَتْ عَلَيْهِ مِئتَان وخَمْسُونَ سَنَةً، فقَالَ: أَيُّها الملِكُ، مِثْلُكَ لا يَقْتُلُ علَى الغَضَبِ، وأَمْرُكَ أَعْظَمُ مِنْ أنْ يَطِيرَ بِكَ نزَقٌ[6] أَوْ يُسْرِعَ بِكَ لِجَاجٌ، وإِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ أنْ تَخْرِبَها؛ لِأَنَّها مُهَاجَرُ نَبِيءٍ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ [34ظ] يَخرُجُ مِنْ عنْدِ هذِهِ البنية، يعْنِي الكَعْبَة، فكَفَّ ومَضَى وَمَعَهُ هذَا اليَهُودِيّ ومَعَهُ آخَرُ مِنْهُم، وهُمَا الْحَبْرَانِ فأَتَى مَكَّةَ، وكَسَا البَيْتَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى الْيَمَنِ وَهُما مَعَهُ، قدْ دَانَ بِدينِهِمَا[7].

وذَكَر الشَّرفِي: إِنَّ أبا جُبَيْلة لما فَرِغَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ رَجَعَ إِلَى الشَّام، فأَقْبَلَ تُبَّعٌ الأَخِيرُ، وهُوَ كرب بنُ حَسَّان بنِ أَسْعَد الْحِمْيَرِي، يُرِيدُ المشرِقَ كمَا كانت التَّبابِعَةُ تَفْعَل، فَمَرَّ بالمدِينةِ فخَلَّفَ فِيهَا ابْنًا لَهُ ومَضَى، حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ ثُمَّ العِرَاقَ، فقُتِل ابنُهُ بالمدِينَةِ غَيْلَةً، [وقِيلَ: قَتَلُوا رَجُلًا مِن عَسْكَرِهِ طلَعَ نَخْلَةً لِيَأْكُلَ منْهَا، قَتَلَهُ صَاحِبُها، وقَالَ: لم تُسْقَ ولَمْ تُؤبَّر][8]، فأَقْبَلَ يُرِيدُ تَخْرِيبَهَا فَنَزَلَ بِسَفْحِ أُحُدٍ وأَرْسَلَ لِأَشْرَافِ المدِينَةِ، فقَالَ بعْضُهُم: أَرَادَ أنْ يملكَنَا عَلَى قَوْمِنَا. وقَالَ أُحَيْحَةُ: واللهِ ما دَعَاكُم لِخَيْرٍ. وكَانَ لِأُحَيْحَةَ رَئِيٌّ مِنَ الجِنِّ ثمَّ دخَلَ على تُبَّعٍ أَوَّلَ النَّاسِ، فَفَطِنَ بِالشَّيْءِ بعدَ تَحَدُّثِهِ مَعَهُ، ثُمَّ

(1) الحِباءُ ما يَحْبُو به الرجلُ صاحَبه ويكرمه به. لسان العرب (حبا).

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص166-167.

(3) (م، س)، ص167.

(4) في وفاء الوفا والمعارف: المشَقَّر. وهو حصن بالبحرين لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصَّفا قبل مدينة هجر. معجم البلدان، الحموِي، 134/5.

(5) مدينة هجر في البحرين. معجم البلدان، الحموِي، 393/5.

(6) كتابتها تحتمل: بزق، ونزق، فقد رسم النقطة من فوق ومن تحت، في خلاصة الوفا: برق، وفي وفاء الوفا والمعارف: نزق. والبزق لا محل له هنا. وأما النزَق: خفة في كل أمر وعجلة في جهل وحُمق. لسان العرب، ابن منظور (نزق).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص167. المعارف، ابن قتيبة، ص634-635.

(8) العبارة: ليست في خلاصة الوفا، وقد أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

قالَ: إنَّ أَصْحَابِي يَصِلُونَكَ إلى الظُّهرِ، واستَأْذَنَ في الْخُرُوجِ إلَى خَيْمَتِهِ، وجَاءَ أصْحَابُهُ قَرِيبًا مِنَ اللَّيْلِ، فَأَمَرَ لَهُمْ تُبَّعٌ بِضِيافَةٍ، فَلَمَّا كانَ جَوْفُ اللَّيْل أَرْسَلَ إِلَيْهِم لِيَقْتُلَهُم، ففَطِنَ أُحَيْحَةُ فانْطَلَقَ فتَحَصَّنَ بِحِصْنِهِ، فحَصَرُوهُ ثَلاثًا يقَاتِلُهُمْ بِالنَّهارِ، وإِذَا كانَ اللَّيلُ رَمَى إِلَيْهِم بِتَمْرٍ، فَقالَ هذِهِ ضِيافَتُكُمْ. فأَخْبَرُوا تُبَّعًا أَنَّهُ في حِصْنٍ حَصِينٍ، فأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْرِقوا نَخْلَهُ، واشْتَعَلَت الحَرْبُ بَيْنَ تُبَّعٍ وأَهْلِ المدِينَةِ مِنَ اليَهُودِ والأَوْسِ والخَزْرَجِ، وتَحَصَّنوا في الأَطَامِ، وجَرَّدَ إلى بَنِي النَّجَّارِ خَيْلًا فقَاتَلُوهُمْ ورَئِيسُهُم يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بنُ طَلْحَةَ أَخُو بَنِي مُعَاوِيَةَ بنِ مَالِك ابنِ النَّجَّار، فرَمَى تُبَّعٌ حُصُونَ الأَنْصَارِ بِالنَّبلِ. وصُرِعَ[1] في القِتَالِ فَرَسُ تُبَّعٍ، فحَلَفَ لَا يَبْرَحُ حَتَّى يَخْرِبَها، فَنَزَل إِلَيْهِ أَحْبَارٌ مِنْ يَهُودَ، وقَالُوا: أيُّها المِلِكُ إِنَّ هَذِهِ البَلْدَةَ حُفِظَتْ، فإِنَّا نَجِدُ في الكِتَابِ اسْمَهَا طَيْبَةُ، وإِنَّها مُهَاجَر نَبِيءٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعيلَ مِنَ الحَرَمِ، فلَنْ تُسَلَّطَ علَيْهَا، فأُعْجِبَ لِقَوْلِهِمْ وصَرَفَ نِيَّتَه عنْهَا، وأَمَرَ أَهْلَ المدِينَةِ أَنْ يَتَبَايَعُوا مَعَ العَسْكَرِ، ثُمَّ خَرَجَ يُرِيدُ اليَمَنَ، ومَعَهُ مِنَ الْأَحْبَارِ رَجُلَانِ أو ثَلَاثَةٌ، قالَ لَهُم تَسِيرُونَ معِي أَيَّامًا آنَسُ بِكُم لِحَدِيثِكُم، فكَانُوا يُحَدِّثونَهُ، فلَمْ يَتْرُكْهُم حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْيَمَنِ، فَكَانوا أَوَّلَ يَهُودٍ دَخَلُوا اليَمَنَ[2].

ويُروَى أَنَّه قالَ لَهُ في رُجُوعِهِ إلى اليَمَنِ رجالٌ مِنْ هذيل: إنَّ تحتَ الكَعْبَة كَنْزًا، فاهْدِمْهَا وخُذْهُ، فقالَ لَهُ الأَحْبَارُ الذِينَ نَهَوْهُ عن استِئْصَال المدِينَةِ لِأَنَّها مُهَاجَرَ آخِرِ الأَنْبِيَاءِ، لا تَفْعَلْ أيُّها المِلِكُ، إِنَّما يُرِيدُونَ إِهْلَاكَكَ بِهَدْمِهَا، بلْ أكْرِمْهَا وأَهْلَهَا، فنَحَر أَنْعُمًا كثيرةً، وأَلْبَسَ الكَعْبَةَ، وقالُوا إِنَّها بَيتُ اللهِ، فقتَلَ الهُذَلِيَّيْن واستَصْحَبَ الأَحْبارَ إِلَى اليَمَنِ، وفِيهَا نَارٌ تَحْرِقُ المبْطِلَ وقَدْ دانَ بِدِينِهِم، فقَالوا لَهُ: نَدْخُلُهَا ولا تَحْرِقُنَا، وإن دَخَلَهَا مَن عَبَدَ الأصْنَامَ أَكَلَتْهُ. فدَخَلوها وخَرَجُوا مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، وأَرَادَ عُبَّادُ الأَصْنَامِ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَلَمْ يَقْدِرُوا، فثَبَتَ علَى دِينِهِمْ وعَلَى هُجْرَانِ الأَصْنَام وأَهْلِهَا[3].

وذَكَرَ ابن إِسحاق: أنَّ بَيْتَ أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِي بنَاهُ تُبَّعٌ الأَوَّل، واسْمُهُ تِبَان أسعد بن كُلك بن يكرب[4] حِينَ مرَّ بالمدينةِ، وكَانَ مَعَهُ أَرْبَعُ مِئة عَالم، فتَعَاقَدُوا علَى أن لَا يَخْرُجُوا عنهَا، فسَأَلَهُم تُبَّعٌ عن ذَلِكَ، فقالُوا: إِنَّا نَجِدُ في كُتُبِنا أَنَّها مُهَاجَرُ نَبِيءٍ اسمُهُ مُحَمَّد، فنُقِيمُ لَعَلَّهُ نَلْقَاهُ، فَبَنَى لِكُلٍّ دارًا، وزوَّجَهُ جَارِيَةً، وأَعْطاهُ مَالًا جَزِيلًا[5].

(1) في خلاصة الوفا: وجُدع.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص167- 168.

(3) فقرة أضافها المؤلِّف في الهامِشِ، لم أجد المصدر الذي نقل منه.

(4) في خلاصة الوفا: بن كلكيكرب، وفِي وفاء الوفا: بن كُليكَرِب.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص168-169، نقلا من "المبتدأ" ابن إسْحاق. لم أقف عليهِ في المطبوعِ.

[35و][1] وذَكَرَ القُرْطُبِيّ[2] أَنَّ الأَنْصَارَ الذِين نَصَرُوا النَّبِيءَ ﷺ كانُوا مِنْ أَوْلَادِ العُلَمَاءِ والحُكَمَاء الذِينَ كانُوا مَعَ تُبَّعٍ الأَوَّل، فيمَا ذَكَرَ ابنُ إِسْحَاق[3].

وكان تُبَّع مِنَ الذين كانتْ لَهُم الدُّنيَا كلُّها، وكانَ كَثيرَ الوُزراءِ فاخْتَارَ مِنْهم واحِدًا وأَخْرَجَهُ معَهُ ليَنْظُرَ في مُلْكِهِ، فكانَ إذا أَتَى بَلْدَةً يَخْتارُ مِنْ حُكمائِها عشرَةَ رِجَالٍ، وكان معهُ مِنَ العُلَماءِ والحُكَمَاءِ مِئَةُ أَلْفِ رَجُلٍ، ثمَّ الذِينَ اختَارَهُم مِنَ البُلْدانِ، وهذا القَدْرُ غَيْرُ محسُوبٍ مِنَ الجَيْشِ.

ولمَّا انْتَهَى إلى مَكَّةَ لم يَخْضَع لهُ أَهْلُ مَكَّةَ كَخُضُوعِ أَهْلِ البِلادِ، ولَمْ تُعَظِّمْهُ فغَضِبَ لذَلِكَ، ودَعَا وَزِيرَهُ، وكان اسمُهُ عمَّارِيا، فقَالَ لَهُ: كَيْفَ شاهَدْتَ هذِهِ البَلْدَةَ؟ فإِنَّهم لم يَهَابونِي، ولَمْ يَخْشَوا عسْكَرِي. فقَالَ: إِنَّهم بنُو يَعْرُب، لا يَعْرِفونَ شَيْئًا، ولَهُمْ بَيْتٌ يُقَالُ لَه الكَعْبَةُ، وَهُمْ مُعْجَبونَ بِهِ ويَسْجُدونَ فِيهِ لِلْأَصْنامِ، فنَزَلَ المِلِكُ بِعَسْكَرِهِ في بَطْحَاءَ مَكَّةَ، وعَزَمَ على هَدْمِ الكَعْبةِ، وقَتْلِ الرِّجَال وسَبْيِ النِّسَاءِ، فأَخَذهُ اللهُ بالصُّداعِ، وتَفَجَّر مِنْ عيْنَيْه وأُذُنَيْهِ ومِنْخَرَيْهِ وفَمِهِ ماءٌ مُنْتِنٌ، فلَمْ يَصْبِرْ عندهُ أَحَدٌ طَرْفَةَ عَيْنٍ مِنْ نَتْنِ الرِّيحِ، فاسْتَيْقَظَ لذلِكَ، فقالَ لوَزِيرِهِ: اجْمَع العُلَمَاءَ والحُكَمَاءَ والأَطِبَّاءَ وتَكَلَّمْ معَهُم فِي أَمْرِي.

فاجتَمَعَ عنْدَهُ العلَمَاءُ والحُكمَاءُ والأَطِبَّاءُ، فلَمْ يَقْدِرُوا على الجُلُوسِ عندَهُ ساعَةً، وعجزُوا عن مداواتِهِ، وقالوا: نَحْنُ نقْدِرُ على مُدَاوَاةِ ما يَعْرِضُ مِنْ أُمورِ الأَرْضِ، وهذَا شَيْءٌ مِنَ السَّماءِ لا نَسْتَطِيعُ لهُ رَدًّا.

ثمَّ اشْتَدَّ أَمرُهُ ونَفَرت النَّاسُ عَنهُ، ولَمْ يَزَل أَمْرُهُ في شِدَّةٍ حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيلُ فجَاءَ أَحَدُ العُلَماءِ إلى وَزِيرِهِ فقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وبَيْنَكَ سِرًّا، وهُوَ إِنْ كانَ المِلِكُ يَصْدُقُنِي فِي حَدِيثِهِ عالَجْتُهُ، فاسْتَبْشَرَ الوَزِيرُ بذلِكَ، وقَالَ لَهُ قُلْ ما شِئْتَ، فقال: أُرِيدُ الخُلُوَّ، فأَخْلَى لَهُ المكانَ، فلَمَّا خلَا مَجْلِسُ المِلِكِ، قال لَهُ العالِم: أيُّها المِلِكُ أنتَ نَوَيْتَ لهذا البَيْتِ سُوءًا، قالَ: نَعَم، نَوَيْتُ خرَابَهُ وقَتْلَ رجَالِهِ وسَبْيَ نِسَائِهِ، فقال له العالِم: أيُّها المِلِك هَذِهِ النِّيَّة هِيَ التِي أَحْدَثَتْ لَكَ هذا الدَّاءَ، ورَبُّ هذا البيتِ قادرٌ بعِلْمِ الأَسْرارِ، فبَادِر وأَخْرِجْ مِن قِبَلِكَ ما هَمَمْتَ بهِ مِنْ أَمْرِ هذا البَيْتِ المبارَكِ وأَهْلِهِ، ولكَ خَيْرُ الدُّنيَا والآخِرَة.

قال المِلِكُ: قدْ أَخْرَجْتُ ذلكَ مِن قِبَلِي، ونَوَيْتُ لهذَا البَيْتِ المبارَكِ ولِأَهْلِهِ خَيْرًا.

فلَمْ يَخْرُج العَالِم مِنْ عِنْدِهِ حتَّى برَا مِن عِلَّتِهِ، وعَافَاهُ اللهُ تعَالَى بِقُدرتِهِ، فآمَنَ بالله مِنْ ساعَتِهِ،

---

(1) الورقة: [35و] [35ظ] تختلف في المسطرة عن باقي الأوراق، يبدو أن المؤلِّفَ أضافها تتِمَّةً، والدَّليل شطبٌ في الورقة [34ظ] وشطبٌ في [36و] وهي أبيات متكاملة، وكذلك وجود التعقيبة نفسها في الصفحتين. وفي النسخة (ب) الورقة كلها محذوفة.

(2) ذكر ابن حجّة أنّ اسم الكتابِ "الإعلام"، ولإبراهيم بن الأمين الطليطلي القرطبي ت: 544هـ، (أبو إسحاق) استدراك على ابن عبد البرّ سمَّاه: الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النَّبِيّ ﷺ. ينظر: الصلة، ابن بشكوال، ص101، ومعجم المؤلِّفين، رضا كحالة، 81/1، ولأبِي عبد الله محمّد بن أحمد القرطبِي المفسِّر كتاب "الإعلام بما فِي دين النّصارَى من الأوهام" (مع اختلاف في نسبته إليه، أو إلى القرطبِي الآخَر أحمد بن عمر صاحب كتاب "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم")، لكن لم أجِد فِي كليهما نقول ابن حجّة التِي نسبها للقرطبِي.

(3) ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموِي، ص191، نقلا من "الإعلام" للقرطبِي.

وخَلَعَ على الكَعْبَةِ سَبْعَةَ أَثوابٍ، وهُوَ أَوَّلُ مَن كسَا الكَعْبَةَ.

وخَرَجَ إلى المدِينَةِ وهيَ يومئذٍ بُقْعَةٌ فيها عَيْنُ ماءٍ لَيْسَ فيها بَيْتٌ، فنَزَلَ على رَأْسِ العَيْنِ هُوَ وعسْكَرُهُ وجَمِيعُ العلَمَاءِ الذِين كانوا مَعَهُ، ومَعَهُم رَئيسُهُم عمارِيَا الذِي يَرَى المِلكُ بِرَأْيِهِ، ثمَّ إنَّ العلَمَاءَ والحُكَمَاءَ أَخْرَجوا مِنْ بيْنِهِم أَرْبَعَ مِئَة، وهُمْ أَعْلَمُهُم وبَايَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم صاحِبَهُ أن لَا يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ المقَامِ وإنْ قَتَلَهم المِلكُ.

فلَمَّا علِمَ المِلكُ بما عَزَموا، قال لِلوزِيرِ: ما شَأْنُهُم يَمْتَنِعونَ مِنَ الخروجِ مَعِي وأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهِم؟ وأَيُّ حِكْمَةٍ اقْتَضَتْ نزُولَهُم في هذا المكَانِ، واختِيَارَهُم إيَّاهُ على سَائِرِ النَّواحِي؟

فسأَلَهُم الوَزِيرُ عن ذَلِكَ فقَالُوا: [35ظ] أَيُّها الوَزِيرُ إنَّ ذلِكَ البَيْتَ وهذِهِ البُقْعَةَ التي نَحْنُ فيها يَشْرُفَانِ بِرَجُلٍ يُبْعَثُ في آخِرِ الزَّمانِ يُقالُ لَهُ مُحَمَّد، ووَصَفُوهُ لَهُ ﷺ، ثُمَّ قالوا: طُوبَى لمنْ أَدْرَكَهُ وآمنَ بهِ، ونحنُ على رَجَاءِ أن ندْرِكَهُ أو تُدْرِكَهُ أولَادُنا.

فلَمَّا سَمِعَ الوَزِيرُ مقالتَهُم هَمَّ بالمقَامِ معَهُم، فلَمَّا جاءَ وَقْتُ الرَّحيلِ أَمَرَهُم المِلكُ أن يَرْتَحِلُوا، فقَالُوا: لَا نَفْعَلُ وقَدْ أَعْلَمْنا الوَزِيرَ بِحِكْمَةِ مُقَامِنَا، فدَعَا بالوزِيرِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِع منْهُمْ، فتَفَكَّرَ المِلكُ وَهَمَّ أَنْ يُقِيمَ مَعَهُم رَجَاءَ أن يُدرِكَ مُحَمَّدًا ﷺ، فأَقَامَ وأَمَرَ النَّاسَ بِبنَاء أَرْبَعِ مِئَة دَارٍ على عدَّة العُلَمَاءِ والحُكَمَاءِ، واشْتَرَى لِكُلِّ واحِدٍ جارِيَةً وأَعْتَقَهَا وزَوَّجهَا بِرَجُلٍ مِنْهُم، وأَعْطَى كُلَّ واحِدٍ مِنْهُم عَطاءً جزِيلًا، وأَمَرَهُم أَنْ يُقِيمُوا في ذلكَ المكَانِ إِلَى أن يَجِيءَ زَمَانُ النَّبِيءِ ﷺ، ثُمَّ كتَبَ الكتابَ وختَمَهُ بخاتم مِنْ ذَهَبٍ، ودفعهُ إلى عالمهم الكَبِيرِ، وأمرَهُ أن يدْفَعَ الكِتابَ إلى محمَّد ﷺ إنْ أَدْرَكَهُ، وإِلَّا فلْيَوصِ بهِ أولادَهُ، وهكَذا أولَادَ أولادِهِ وَمَن بَعْدَهُم، إلى أَنْ يتَّصِلَ بالنَّبِيءِ ﷺ.

وكان في ذلكَ الكِتَابِ: أمَّا بعدُ فإنّي آمنْتُ بِكَ وبِكِتَابِكَ الذي أُنْزِلَ علَيْكَ، وأنا عَلَى دِينِكَ وسُنَّتِكَ، وآمَنْتُ بِرَبّكَ وبِكُلِّ ما جاءَ مِنْ ربّكَ مِنْ شرَائِعِ الإيمَانِ والإسلامِ، فإن أَدْرَكْتُكَ، وإِلَّا فاشْفَعْ لِي، ولا تَنْسَنِي يَوْمَ القِيَامَةِ فإنّي مِنْ أُمَّتِكَ الأَوَّلينَ، وقَدْ بَايَعْتُكَ قَبْلَ مجيئِكَ، وأنا على ملَّتِكَ ومِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيم عليه السلام.

ثُمَّ خَتَمَ الكِتَابَ ونَقَشَ علَيْهِ: للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ، وكَتَبَ عنْوانَهُ إلى مُحمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ ونَبِيِّ اللهِ ورَسُولِه وخَاتِمِ النَّبيئِينَ ورسُولِ رَبِّ العالمينَ ﷺ، مِنْ تُبَّع الحِمْيَرِي. ودَفَع الكتَابَ إلى الرَّجُلِ العَالم الذي أبْرَاهُ مِنْ عِلَّتِهِ. وسارَ تبَّعٌ مِنَ المدينة إِلَى [بلاد الهِندِ][1] وماتَ بها، وبَيْنَ موْتِهِ وبعثة النَّبيءِ ﷺ ألفُ سَنةٍ لا تَزِيد ولا تنقُصُ.

وهذا تُبَّع الأوَّل، وبينهُ ﷺ إِذْ بُعِثَ وتُبَّع الأَوَّل نحوُ سِتّ مِئَة أو سَبْع مِئَة، وهو الذِي قاتلَ أَهْلَ

(1) لعل المؤلف نسِيَه وجبرته من ثمرات الأوراق.

المدِينةِ ثمَّ تَرَكَ، والنَّبيءُ ﷺ والأَنْصَارُ الذينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أولادِ أولئكَ العلماءِ والحكماءِ.

ولَمَّا هاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدِينَةِ جَعَلَ يَسأَلُهُ أَهلُ القَبائلِ أنْ يَنْزِلَ علَيْهم، ويَقولُ خَلُّوا عنْ ناقَتِي، وكانُوا يتَعَلَّقون بِهَا، خلُّوا النَّاقَة فإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، حتَّى جاءَتْ إلى دارِ أبي أَيُّوب، وكانَ مِنْ أولادِ العالم الذي أبْرَأَ تُبَّعًا بِرَأْيِهِ ثم اسْتَشَارَ الأنصارَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْف رَضِيَ اللهُ عنْهُ فِي إيصَالِ الكتَابِ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ لمّا ظَهَرَ خَبَرُهُ قَبْلَ هِجْرَتِهِ، فأَشَارَ عبْدُ الرَّحمن أن يَدْفَعُوهُ إِلَى رَجُلٍ ثِقَةٍ، فدَفَعُوهُ إلى أَبِي لَيْلَى مِنَ الأَنْصَارِ، وأَوْصَوْهُ بِحِفْظِهِ، فأَخَذَ الكِتابَ وخَرَجَ مِن المدِينَةِ علَى طرِيقِ مَكَّةَ فوَجَدَ النَّبِيءَ ﷺ في قَبِيلَةِ بَنِي سُلَيْم[1] فعَرَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فدَعَاهُ، وقَالَ: أَنْتَ أَبُو لَيْلَى؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ومَعَكَ كتابُ تُبَّع الأَوَّل؟ قالَ: نَعَمْ، فبَقِيَ أبو لَيْلَى متَفَكِّرًا، أو قَالَ في نفسِهِ إِنَّ هَذا مِنَ العُجابِ.

ثُمَّ قال أبو ليْلَى: مَنْ أنْتَ، فإِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُكَ؟ وتَوَهَّمَ أَنَّهُ ساحِرٌ، وقَالَ: فِي وجْهِكَ أَثَرُ السِّحْرِ. فقال لَهُ: بَلْ أَنَا مُحَمَّد ﷺ هاتِ الكِتابَ، فأَخرَجَهُ ودَفَعهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأَخَذَهُ النَّبِيءُ ﷺ. قِيلَ فدَفَعَهُ إلى عَلِيٍّ فقرأَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبيءُ ﷺ كلامَ تُبَّع، قال: مَرْحَبًا بالأَخِ الصَّالِحِ ثلَاثَ مرَّاتٍ، ثُمَّ أَمَرَ أَبَا لَيْلَى بالرُّجُوعِ إلى المدِينَةِ لِيُبشِّرَهُم بالقُدومِ عَلَيْهِمْ[2].

وفيهِ أَنَّهُ ﷺ تَرَكَ عَلِيًّا على فِراشِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ لَحِقَهُ في بَنِي سليم. وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّهُ في كتُبِ تبع الأَوَّلِ إِسْلَامهُ وشِعرُهُ:

شَـــهِـدْتُ عَلَى أَحْمَـدَ [36و] أَنَّـهُ رَسُـــولٌ مِـنَ الـلـهِ بَـارِي الـنَّسَـــمْ
فَـلَـوْ مُـدَّ عُـمْـرِي إِلَـى عُـمْـرِهِ لَـكُـنْـتُ وَزِيـرًا لَـهُ وَابْـنَ عَـمْ[3]

وخَتَمَهُ بالذَّهَبِ ودَفَعَهُ إلى كَبيرِهِم، وسأَلَهُ أن يَدْفَعَهُ للنَّبِيءِ ﷺ إِنْ أَدْرَكَهُ، وإِلَّا فمَنْ أدرَكَهُ مِنْ وَلَدِهِ ووَلَدِ ولَدِهِ. وبَنَى للنَّبِيءِ ﷺ دارًا ينْزِلُها إِنْ قَدِمَ، فتَدَاوَلَ الملَّاكُ الدَّارَ إلى أن صَارَتْ لِأَبِي أَيُّوب، وهُوَ مِن وَلَدِ ذلِكَ العالم. وأَهْلُ المدِينَةِ الذِين نَصَروهُ كُلُّهُم مِنْ أَوْلادِ أولئكَ العلَمَاءِ. ويُقالُ إِنَّ الكتابَ كانَ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ النَّبيءُ ﷺ فدفَعَهُ لهُ[4]. واللهُ أَعْلَم.

الفصلُ الرَّابع: [في مَنَازِلِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ وحُرُوبِهِمْ] [5]

لـمَّا فَرَغَ أبو جُبيلة مِنْ نَصْرِهِم وانصَرَفَ تَفَرَّقوا؛ فنَزَلَ مِنَ الأَوْسِ بنُو عبْدِ الأَشْهَل بنِ جُشَم بنِ

(1) بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلانَ، ولد بُهثة، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص261.

(2) هذه القصة من (وكان تبع الأول.... ليُبشِّرهم بالقدوم عليهم) نقلها المؤلِّف من كتاب ثمرات الأوراق، ابن حجة الحمَوِي، ص191-193.

(3) البيتان من المتقارب. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص169، والمعارف للدنوري، ص631.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص169.

(5) مادّة الفصل مأخوذةٌ مِن خلاصة الوفا، السمهودِي، ص169. والعنوان قد ذكرهُ المؤلِّف قبل بداية الفصلِ، وأدرجته هنا للتَّوضِيحِ.

الحَارِثِ، وبنُو حارِثَةَ بنِ الحَارِث الأَصْغَر بنِ عَمرو بنِ مالِك بنِ الأَوْسِ فِي دارِ بنِي عبْدِ الأَشْهَل بِالحَرَّة الشَّرقِيَّة شَامِيَّ بني ظفر. وقالَ المطَرِي: قِبْلَتَهُم[1]. وبَنَوْا آطاما مِنْها واقِم، وبِهِ سُمِّيَت النَّاحِيَة، كانَ لحضير بنِ سَمَّاك. قالَ شاعِرُهُمْ:

نَحْنُ بَنَيْنَا وَاقِمًا بِالْحرَّة بِلَازِمِ الطِّينِ وَبِالْأَصِرَّة[2]

ثُمَّ خَرَجَتْ بنو حَارِثَةَ عنهُمْ لِحَرْبٍ دَخَلَتْ بينَهُمْ، فوَالَتْ بنُو ظفر بَنِي عبْدِ الأَشْهَل، وظفِرَتْ بِهِمْ بنو حارِثَةَ فأَجْلوهم أَوَّلًا لِأَرْضِ بني سليم، وقتَلُوا سَمَّاك بنَ رافِع، فسَارَ حُضَيْر بنُ سَمَّاك ببَنِي سليم وحَاصَرَ بَنِي حارِثَةَ بدَارِ بني عبْدِ الأَشْهَلِ فأَجْلَاهُم إِلَى خَيْبَر، فكانُوا بِهَا قَرِيبًا مِنْ سَنَة، ثُمَّ رَقَّ لَهُم حُضَيْر فاصْطَلَحوا، وأَبَتْ بنُو حارِثَةَ أنْ يَنْزِلوا دَارَ بَنِي عبْدِ الأَشْهَل، ونَزَلُوا شامِيَّهُم بِسند الْحَرَّة الشَّرقِيَّة التِي بِها الشّيخان[3]. وقَالَ المطَرِي بِيَثْرِبَ[4]. وبَنُو ظفر وهُوَ كَعْبُ بن الخزْرَجِ الأَصْغَر بِدَارِهِم، شَرْقِيَّ البَقِيع عِنْدَ مسجدِهِم المعرُوفِ بمسجِدِ البَغْلَة، بِجوَارِ بَنِي عبْدِ الأَشْهَل، وبِجوارِهِم أيْضًا بنو جهم زعوراء بن جشم مِنْ أَهْلِ رَاتِج.

وهَذِهِ البطونُ الأَربعةُ هُم النَّبِيت؛ لِأَنَّ النَّبِيتَ بَطونُ بَنِي عَمرو بنِ مَالِك بنِ الْأَوْسِ علَى مَا ذَكَرَهُ ابنُ حَزْم[5]. وبَنُو عمْر بنِ عَوْف بنِ مَالِكَ بنِ الأَوْسِ بِقُبَاءَ، وهُمْ بطونٌ كثِيرَةٌ لبَنِي ضبيعة مِنْهُم الأطْم الذِي يُقالُ لَهُ الشَّغيف[6] بَيْنَ أحْجَارِ المرا وَمَجْلِسِ بَنِي الموَالِي. ولكشرم[7] بنِ الهدمِ مِنْ بَنِي عَبْد بنِ زَيْد أُطْمٌ في دَارِ عبْدِ اللهِ بنِ أَبِي أَحْمَد. ولِأحيحَةَ بنِ الجلَّاح المحجبي أُطْمٌ يُقَالُ لَهُ وَاقِم، صارَ لِبَنِي عبْدِ المنْذِرِ فِي دِيَّةِ جَدِّهِم.

[36ظ] وكانَ فِي رَحْبَةِ بَنِي زَيْدِ بنِ مالِك بنِ عَوْفٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أُطْمًا يُقالُ لهَا الصَّيَاصِي، ولَهُمْ أُطْمٌ بالمسْكية[8] شَرْقِيَّ مَسْجِدِ قبَاءَ، وأُطْمٌ يُقالُ لَهُ المستَظلّ عِنْد بِئرِ غَرَس كَانَ لِأحيحَة ثُمَّ صارَ لِبَنِي عبْدِ المنْذِر. وخَرَجَتْ بنو جحجبا بنِ كفلة[9] بنِ عَوْف بنِ عمر مِنْ قُباء؛ لقَتْلِهِمْ رِفَاعةَ وغنْمًا، فسَكَنُوا العصْبَةَ غَرْبِيَّ مَسْجِدِ قُباءَ.

---

(1) التعريف، المطرِي، ص213.

(2) البيت من الرَّجَز.

(3) شيخان: موضع بالمدينة، يقال له ثنية شيخان. المغانم المطابة، ص212.

(4) التعريف، المطرِي، ص213.

(5) جمهرة أنساب العرب، ص332.

(6) فِي خلاصة الوفا: الشقيف. وفي وفاء الوفا: الشُّنَيْف، وفيه أيضا: هو أُطُم لبني ضبيعة بقرب أحجار المراء، 346/4 وينظر: المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص209.

(7) صوابه كلثوم، كما في خلاصة الوفا.

(8) صوابه: المسكَّبَة، كما في خلاصة الوفا. ينظر: المغانم المطابة، ص382.

(9) صوابه: كلفة، كما في خلاصة الوفا. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص335.

فابْتَنَى أُحيحَةُ الضّحيان أُطْمًا أسْوَدَ عُرْضُهُ قَرِيبٌ مِنْ طُولِهِ، وبنَاهُ أَوَّلًا مِنَ البترة[1] البَيْضَاء، يَعْنِي الحِجَارَةَ البِيضَ فسَقَطَ.

وابْتَنَى مجذعة وجحجبا أُطْمًا يُقالُ لَهُ: الهُجَيم عنْدَ المسْجِدِ الذي صَلَّى فِيهِ النَّبِيءُ ﷺ. وخَرَجَتْ بنُو مُعاوِيَةَ بنِ مَالِك بنِ عَوْف بنِ عَمْرٍو فَسَكَنوا دَارَهُم التِي وَرَاءَ بَقِيعِ الْغَرْقَد ولَهُم مَسْجِدُ الإِجَابةِ ومِنْهُم حَاطِبُ بنُ قَيْس، وفِيهِ كانَتْ حَرْبُ حَاطِب.

وخَرَجَتْ بنُو السّمعية[2] وَهُمْ [بنُو لودان][3] بن عمرو بنِ عَوف فَسَكَنُوا عِنْدَ زقاقِ ركيح وابْتَنُوا أُطْمًا يُقالُ لَهُ السَّعدان في الرَّبع حابط[4]هناك ولعلَّهُ يُعْرَفُ بِالرَّبعِيّ.

ونَزَلَ واقِف والسَّلَم ابْنَا امْرِئِ القَيْسِ بنِ مَالِك بنِ الأَوْسِ عِنْدَ مسْجِدِ الفَضِيح[5] منْ جِهَةِ القِبْلَةِ. ثُمَّ أطمَ[6] وَاقِفٌ، وَهُو الأَكْبَرُ، عينَ السَّلَم، وكان شَرِسًا، فحَلَفَ لَا يُسَاكِنُهُ، فَنَزَلَ السَّلَمُ علَى بَنِي عَمْرو بنِ عَوْفٍ، فَلَمْ يَزَلْ ولَدُهُ فِيهِمْ حَتَّى انْقَرَضُوا سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعِينَ ومِئَة، وبَلَغَ عدَدُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ أَلْفَ مُقَاتِلٍ.

وبَنُو وائِلَ بنِ زَيْدَ بنِ قَيْس بن عامِرَ بنِ مُرَّةَ بنِ مَالِك بنِ الأَوْسِ بِدَارِهِم عِندَ مَسْجِدِهِم. وبنُو أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ بِدَارِهِمْ التي يمرُّ بِها سَيْلُ مذينب بَيْنَ بُيُوتِهِم يَسْقِي الأَمْوَالَ، فَهِيَ شَرْقِيَّ العِهْنِ، وزَيْدٌ هَذا أَخُو بَنِي وَائِل.

وبَنُو عَطِيَّةَ بنِ زَيْد إِخْوَتُهُم أَيْضًا بصفته[7] فَوْقَ بَنِي الحُبلى، وابْتَنوا أُطْمًا يُقالُ: شَاسُ عَلَى يَسَارِكَ في رَحْبَةِ مسْجِدِ قُبَاء مُسْتَقْبلَ القِبْلَةِ.

ووَائِلُ وأُمَيَّةُ وعَطِيَّةُ بنُو زَيْدٍ هُم الجَعَادِرَة؛ لِأَنَّهُم كانُوا إِذَا أَجَارُوا جَارًا قَالُوا لَهُ: جَعْدِرْ حَيْثُ شِئْتَ، أَيْ: اذهَبْ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ.

وبَنُو سَعد بنِ مُرَّة بنِ مَالِك بنِ الْأَوْسِ بنِ رَاتِج[8].

---

(1) صوابه: البثرة.

(2) في وفاء الوفا: السميعة. وعند ابن حزم: السّمعية. جمهرة أنساب العرب، ص332.

(3) صوابه: بنو لوذان. يرسم المؤلّف الألف بعد الواو المتطرّفة أحيانا. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص332.

(4) صوابه: حائط كما في خلاصة الوفا.

(5) في خلاصة الوفا: الفضِيخ. وفي المسالك والممالك: الفضِيح.

(6) صوابه: لَطَمَ، كما في خلاصة الوفا.

(7) في خلاصة الوفا: بضفنه، وفي وفا الوفا: بصَفْنَةَ، وفيه: صفنة كجفنة بإهمال أَوَّلِهِ، سُمِّيَت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بِشَيْءٍ منها. 353/1. ينظر: معجم البلدان، 414/3.

(8) صوابهُ: بِراتِجَ، كما في خلاصة الوفا، ولم يذكره في وفاء الوفا. راتج: من آطام المدينة. المغانم المطابة، ص149.

وقال ابنُ زَبَالَةَ: إنَّ بَنِي الشَّطبة[1] حِينَ قَدِمُوا مِنَ الشَّام نَزَلوا ميطات[2] فلَمْ يُوافِقْهُمْ، فتَحَوَّلُوا قَرِيبًا مِنْ جَدْمانَ، ثُمَّ نَزَلُوا بِرَاتِج فَهُم أَحَدُ قَبَائِلِهِ الثَّلَاثِ.

وبنُو خَطْمَةَ بنِ جَشْم بنِ مالِك بنِ الأَوْسِ بدَارِهِمْ عِنْدَ الماجِشُونِيَّة والْغَرَس فَوْقَ بَنِي الحَارِثِ، وكَانُوا مُتَفرِّقينَ في آطامِهِمْ، فَلَمَّا جاءَ الْإِسلَامُ اتَّخَذُوا مسْجِدَهُم، وسَكَنَ مِنْهُم رَجُلٌ عنْدَهُ، فكانُوا يَسْأَلونَ عَنْهُ كُلَّ غدَاةٍ مَخَافَةَ أنْ يَكُونَ عَدَا عَلَيْهِ السَّبعُ، ثُمَّ كَثُرُوا هُنَاكَ حَتَّى كانَ يُقالُ لِدَارِهِم [37و] غَزَّة تَشْبِيها بِغَزَّةَ الشَّام مِنْ كَثرَةِ أَهْلِهَا.

وأَمَّا الخَزْرَج فنَزَل مِنْهُم بنُو الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَر شَرْقِيَّ وادِي بُطْحَان وتُرْبَةِ صُعَيْبٍ ويُعْرَف اليَوْمَ بِالحَارِثِ.

وخَرَجَ جشم وزَيْدُ بنُ الحَارِثِ فسَكَنَا السيح[3]، وهُوَ أُطْمٌ لَهُم سُمِّيَت بِهِ النَّاحِيَة عَلَى ميل مِنَ المسْجِدِ النَّبَوِيّ، وهُوَ أَوَّلُ العَالِيَةِ.

وَخَرَجَتْ بنُو جدَارَةَ[4] بنِ عَوْف بنِ الحَارِثِ فسَكَنُوا جِرَارَ سَعْد شَامِيَّ السُّوقِ وإِخْوتُهُم بنُو جدْرَةَ[5] بنِ عَوْف فَسَكَنُوا قُرْبَ البصَّةِ، وكَانَ الأَجْرَدُ، وهُوَ الأُطْم الذِي يُقالُ لِبِئْرِ[6] البصَّة[7]، لِجَدِّ أَبِي سَعيد الخُدْرِيّ.

ونَزَل بنُو سَالم وغَنْم ابْنا عَوْفِ بنِ عَمْرو بنِ عَوْف بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَرِ دَارَ بَنِي سَالم بِطَرَفِ الحَرَّة الغَرْبِيَّة عنْدَ مَسْجِدِ الجُمُعَة. ولَهُم أُطْمُ القَوَافِلِ بِطَرَفِ بيُوتِ بَنِي سَالم مِمَّا يَلِي ناحِيَةَ العصْبَةِ.

وبنُو عصيبةَ حُلَفاء لِبَنِي سَالم عِندَ مَسْجِدِ بَنِي عصيبة[8] قُرْبَ قُبَاءَ. وبَنُو الحُبْلَى بِدَارِهِم المعْرُوفَة بِهِمْ. وقالَ ابنُ حَزْم: بيْنَ دَارِ بَنِي النَّجَّار وبَنِي سَاعِدَةَ[9].

قالَ ابنُ زَبَالَةَ: الحُبْلَى هُو مالِكُ بنُ سالم بنِ غَنْم بنِ عَوْف. وقَالَ ابنُ هِشام: سَالم بنُ غَنْم،

---

(1) فِي خلاصة الوفا: بني شطبة، وفي وفاء الوفا: بنو الشظية.

(2) صوابه: مَيْطان، كما في خلاصة الوفا. ومَيْطان جبل يقابل شوران، به بِئْرٌ يقال لها: ضعة، وليس به نباتٌ، وهو لمزينة وسليم. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص399.

(3) صوابه: السُّنح، كما في خلاصة الوفا. وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبِي بكر الصدِّيق. معجم البلدان، الحموِي، 265/3. المغانم المطابة، ص187.

(4) في خلاصة الوفا: حذارة، وفي وفاء الوفا: خُدارة. والأصوب خدارة، وفيه اختلاف في رسمه. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزْم، ص362.

(5) صوابه: خدرة كما في خلاصة الوفا، وجمهرة أنساب العرب.

(6) في خلاصة الوفا: لِبِئْرِه، وهكذا يتمُّ المعنَى.

(7) في خلاصة الوفا: البصة، وفي وفاء الوفا: البُضَّة. وقال المجد: بُضّة بئر المدينة وَهِيَ قريبة من البقيعِ على يسار السالك إلى قباءَ. المغانم المطابة، ص30.

(8) في خلاصة الوفا: عصبة، وفي وفاء الوفا: غُصَيْنَة. لم أقفْ على ضبطِها.

(9) جمهرة أنساب العرب، ص355.

سُمِّيَ لِعِظَمِ بطْنِهِ[1]. فيُجمَع بأنَّهُ يُطلَقُ عَلَيْهِ وعلَى ابْنِهِ مَالِك، فَمَا سبَقَ فِي نُزولِ بَنِي عَطِيَّة فوْقَ بَنِي الحُبْلَى المرَادُ بِهِ مَنْ كان مِنْ بنِي سَالم بنِ غَنْم بِدَارِ بَنِي سَالم إِلَّا دارُ مَالِك هَذِهِ. وكَانَ بِهَذه أُطْمٌ يُقالُ لَهُ مُزَاحِم، بَيْن ظَهْرَانيّ البُيُوتِ لِعَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيّ.

وبَنُو سَلِمَةَ بنِ سَعْد بنِ عَلِيّ بنِ أَسَد بنِ [شارِدَةَ بنِ تزيدَ][2] بِالمثَنَّاة مِنْ فَوْق، ابنِ جُشَم بنِ الخَزْرَج الأَكْبَر بسَنَد الحَرَّة ما بَيْنَ مَسْجِدِ القِبْلَتَيْنِ إِلى المزَادِ[3] أُطْمُ بَنِي حرام، سُمِّيَت بِهِ النَّاحِيَة.

وَبَنو سَوَاد بنِ غَنْم بنِ كَعْب بنِ سَلِمَةَ عنْدَ مَسْجِدِ القِبْلَتَيْن إِلَى مَسْجِد ابنِ عُبَيْدَةَ[4] الدِّينَارِي، ولَهُم مَسْجِدُ القِبْلَتَيْنِ.

وبَنُو عبد[5] بنِ عدي بنِ غَنْم بنِ كَعب بنِ سَلَمَة عِنْد مَسْجِد الخرْبَةِ إِلَى جَبَلِهِم الدُّوَيْخل، ولَهُمْ مَسْجِدُ الْخرْبَة والأُطْمُ المواجِهُ لَهُ، والأُطْمُ الذِي عِندَ قِبْلتِهِ.

وبَنُو حَرَام بنِ كَعْب بنِ غَنْم بنِ كعْب بنِ سَلِمَة عِنْدَ مسْجِدِهم الصَّغِيرِ بالقَاعِ بَيْن مَقْبَرَة[6]. وَلَهُم أُطْمٌ بِالسَّهْلِ بَيْنَ أَرْضِ جَابِر بنِ عَتِيك والعَيْنِ التِي عَمِلَهَا مُعاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيانَ، كانَ لِعمر جَدِّ جابِر بنِ عبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو.

وبَنُو مرَاء بنِ كَعْب بنِ سلمة حلَفَاءُ بَنِي حَرَام مَعَهُم، ولَهُمْ أُطْمٌ غَرْبِيَّ حائِطِ جابِر بنِ عتيك مِمَّا يَلِي جَبَلَ بَنِي عُبَيْد، وكَانَتْ بنُو سليم[7] كُلُّها بِهَذِهِ الدُّورِ، وكَلِمَتُهُم واحِدَةٌ، ومَلَّكوا علَيْهِمْ [أمية بنَ حَرَام][8]، فلَبِثَ فِيهِم زَمَانًا حَتَّى دَخَل بَيْنَهُ وبَيْنَ صَخْرٍ مِنْ بَني [37ظ] عُبَيْدٍ أَمْرٌ لِإرادتِهِ أَخْذَ بَعْضِ مَا خَلَّفَ أَبوهُ، وكَانَ مثريا ليَقْسِمَه في بَنِي سلمة، فضَرَبَه صَخْرٌ بِالسَّيْفِ، وحَالَتْ بَيْنَه وبَيْنَ صَخْرٍ بنُو عُبَيْد وبنُو سواد، فنَذَرَ أمية[9] أَنْ لَا يُؤوِيه ظِلُّ بَيْتٍ حَتَّى يقْتُلُوا صَخْرًا أو يُؤتَى بِهِ فَيَرَى فيهِ رأْيَهُ، وجَلَسَ عِنْدَ الطَّرف[10] الذِي غَرْبِيّ مَسْجِدِ الفَتْحِ فِي الشَّمْسِ، فبَلَغَ قَوْمَهُ، فَأَتَوْهُ بِصَخْر فعَفَا عَنْهُ، وأَرَادَ الذِي أَخَذَ مِنْ مِالِهِ.

---

(1) سيرة ابن هشام، 393/1.

(2) في وفاء الوفا وجمهرة أنساب العرب: ساردة بن تزيد.

(3) في وفاء الوفا: المذاد.

(4) في وفاء الوفا: بن عبيد.

(5) في خلاصة الوفا وجمهرة أنساب العرب: عُبَيد.

(6) سقط من النَّصّ: مقبرة بني سلمة إلى المزاد أطمهم. خلاصة الوفا، ص173.

(7) في خلاصة الوفا: بنو سلمة. وهو الأصوبل لما سيأتي من ذكرهم.

(8) في خلاصة الوفا ووفاء الوفا: أمة. لم أقف على ضبطهِ.

(9) في خلاصة الوفا: أمَّة.

(10) في خلاصة الوفا: الظرِب.

ورُوِيَ أَنَّهمْ قَالُوا لِلنَّبِيءِ ﷺ: إِنَّ السَّيْلَ يَحُولُ بَيننَا وبَيْنَكَ، وأَرَادُوا التَّحَوُّلَ، فقَالَ: ما عَلَيْكُمْ لَوْ تَحَوَّلْتُم إِلَى سَفْحِ الجَبَلِ، يَعْنِي سلعًا فَتَحَوَّلُوا، فدَخَلَتْ حَرَامٌ الشِّعْب وصَارَتْ سواد وعبيد إلى السَّفْحِ.

والمعْرُوفُ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ لَهُمْ: ((**اثبُتُوا، فَإِنَّكُمْ أَوْتَادُهَا**))[1] وإِنَّمَا نَقَلَ بَنِي حَرَام إِلَى الشِّعْبِ المعْرُوفِ لَهُم مِنْ سَلع عمرُ بن الخطَّاب، وكلَّمَ ناسًا كانوا به مِنْ بني ناغصة مِنَ اليَمَن، فانْتَقَلوا إِلَى الشِّعْبِ الذِي تَحْتَ مسْجِدِ الفَتْحِ، وابْتَنَتْ بنو حرام بشِعْبِهِم مِنْ سَلْع مَسْجَدَهُم الكبِيرَ، بَنَاهُ غُلامٌ رُوميٌّ شَرَوْهُ مِنْ عَطَائِهِم. وآثارُ المسْجِدِ بَيِّنَةٌ بَعْدَهُم.

ونَزَلَ بَنُو بيَاضةَ وزريق وبَنُو حَبِيب بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مَالِك، وبنُو عدارة[2] وَهُمْ بَنُو كَعْب بنِ مَالِك، وبَنُو أجْذع[3] وهُمْ بنُو مُعَاوِيَة بنِ مَالِك بِدَارِ بَنِي بَيَاضَةَ شَامِيّ بَنِي سليم مُمْتَدَّةٍ بالْحَرَّةِ الغَرْبِيَّة إِلَى بُطْحانَ قبليّ بَنِي مَازِن.

وبَيَاضَةُ وزريقُ هُمَا ابْنَا عَامِر بنِ زريق بنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بنِ مَالِك بنِ عَضب بنِ جشم بنِ الخَزْرَجِ الْأَكْبَرِ.

وكَانَ بِهَذِهِ الدَّارِ نَحْوُ عِشْرِينَ أُطْمًا مِنْها: عقرب فِي شَامِيّ المزْرعَةِ المسَمَّاةِ بالرَّحَابة في الْحَرَّة علَى الْقفارَة[4]، وسويد في شَامِيّ الحَائِطِ المسَمَّى بالْحَمَاضَة، واللّوي في حَدّ السّرارة بَيْنَهُ وبَيْنَ زَاوِيةِ الجِدَارِ الشَّامِيّ الذِي يُحيطُ علَى الحَمَاضَةِ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، والسَّرارة ما بَيْنَ اللّوي إِلَى الْجِدَارِ الذِي يُقالُ لَه بُيُوتُ بنِي بيَاضَةَ، والجِدَارِ الذِي بَنَاهُ زِيَادُ بنُ عبْدِ اللهِ لبَرَكَةِ السُّوقِ وَسَطَ السَّرارة.

وكانَ لِبَنِي حَبيبٍ الْأُطْمُ الذِي فِي أَدْنَى بُيُوتِ بَنِي بَيَاضَةَ دُونَهُ الْجِسْرُ الذِي عنْدَ ذِي ريش، فَلَبِثُوا وأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ حَتَّى هَلَكَ زريق، فأَوْصَى بَنِيهِ إِلَى عَمِّهِ حَبِيب، فكَلَّفهُم النَّضِيحَ[5] بِأَيْدِيهِم فَقَتَلُوهُ، فحالَفَ بَنُوهُ بَنِي بيَاضَة عَلَى بَنِي زريق فخَرَجَتْ بنُو زريق فسَكَنُوا دارَهُم التِي فِي قِبْلَةِ المصَلَّى والسُّورِ والمَوْضِعُ المعْرُوفُ بذروَانَ ومَا وَالاهُ مِنْ دَاخِلِ السُّور.

ثُمَّ اصْطَلَحُوا علَى أَنْ قَطَعُوا لِبَني حَبِيب طَائِفَةً مِنْ دُورِهِم دِيَّةً، فقَبِلوا ذَلِكَ.

وانْتَقلَ [38و] بنو مَالِك بنِ زَيد بنِ حَبِيب مِنْ بَنِي بَيَاضَة فَنَزَلُوا النَّاحِيَة التِي وَدَتْ بنو زريق، وَتَخلَّفَ بعضُ بَنِي حَبِيب ببَنِي بَيَاضَةَ، فمَكَثُوا مَا شاءَ اللهُ.

ثُمَّ إِنَّ عبيدَ بنَ المعَلَّى مِنْ بَنِي حَبِيب قَتَلَ حصنَ بنَ خالِد الزّرْقِي، فأَرَادَ بَنُو زريق قَتْلَهُ، ثُمَّ وَدَوْهُ مِنْ مالِهِم علَى أَنْ يُحَالِفهُم بنُو المعَلَّى ويقْطَعُون حِلْفَهُم مَعَ بَنِي بَيَاضَةَ، ففَعَلُوا.

---

(1) مسند الطيالسي، حدِيث (1869) وتاريخ المدينة، ابن شبَّة، 77/1.

(2) في خلاصة الوفا: بنو غدارة، وفي وفا الوفا: بنو عذارة. لم أقف على ضبطها.

(3) في خلاصة الوفا: بنو أجدع. لم أقفْ على ضبطِها.

(4) في وفاء الوفا: الفقارة. لم أقف على ضبطها.

(5) في خلاصة الوفا: النضح.

وقالَ ابنُ حَزْم: إِنَّ مِنْ بَنِي حَبِيب عبْد اللهِ بن حَبِيب بنِ عبْدِ حارِثَة، وإِنَّهُ وَالِدُ أَبِي جُبَيْلة الذِي جَلَبَهُ مَالِك بنُ العجلان لِقَتْلِ اليَهُودِ[1].

وكَانَ بنُو عذرة[2] بنِ مَالِك أَقلَّ بطونِ بَنِي مَالِك عدَدًا معَ شَراسَةٍ وشِدَّةِ أَنْفُس، فقَتَلُوا قَتِيلًا، إِمَّا مِنْ بَنِي اللبن[3] أو من بني أجذع وأَبَى أَهْلُ القَتِيلِ الدِّيَّةَ، فانْتَقَلُوا مِنْ دَارِ بَنِي بَيَاضَةَ إِلَى بَنِي عَمْرو بنِ عَوْفٍ فَحَالَفُوهُم، وصَاهَرُوهُم، وكَانَ بيْنَ بَطْنَيْنِ مِنْ بطُونِ بَنِي مَالِك بنِ عضب[4] مِيرَاثٌ فِي الجَاهِلِيَّة، فاشتجَرُوا فِيهِ ثُمَّ دَخَلُوا حَدِيقةَ بَنِي بَيَاضَةَ وأَغْلَقوهَا واقْتَتَلُوا حَتَّى لم يَبْقَ مِنْهُم عَيْنٌ تَطرف، فَسُمِّيَتْ حَدِيقَة المَوْتِ.

وقِيلَ: حَدِيقَةُ المَوْتِ هُو الحَدِيقَة التِي قتلَ فِيهَا مُسَيْلِمَةَ وقَوْمَهُ بَنُو حَنِيفَةَ[5].

وكانَ بنُو مَالِك بنِ عضب[6] سوى بني زريق أَلْفَ مُقَاتِل فِي الجَاهِلِيَّة.

ونَزَلَ بنُو ساعِدَة بنِ كَعْب بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَر فِي أَرْبَعِ منَازِلَ، بنُو عَمرو وبَنُو ثَعْلَبَة بنِ الخَزْرَج بنِ ساعِدَةَ دَارَ بَنِي ساعِدَةَ بَيْنَ سُوقِ المدِينَة مِنَ المشْرِق مِمَّا يَلِي شَامِيَّهُ وبَيْنَ بَنِي ضمْرَة، ولَهُم الأُطْمُ الذِي بِدَارِ أَبِي دجانَةَ الصُّغْرَى عِنْدَ بضاعة، والْأُطْم المواجِهُ مسْجِدَ بَنِي سَاعِدَةَ، وكَانَ آخِرُ أُطْمٍ بُنِيَ بالمدِينةِ، وبَنُو قشبة بنِ الخَزْرَج بنِ سَاعِدَة شَرْقِيَّهُم قُربَ بَنِي جديلة عِنْدَ خوخَة عمر بنِ أمية الضمري. وبَنُو أَبي خزيمة بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ طريف بنِ الخَزْرَج بنِ سَاعِدَة، رَهْطُ سعْد بنِ عُبَادَةَ، الدَّارَ التِي يُقَالُ لَهَا جِرَار سَعد، وهِيَ جِرار كانَ يَسْقِي فِيهَا الماء، وهِيَ نِهَايَةَ سُوقِ المدِينَة، وبعْضُ بنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَج نَزَلُوا بِهَا أَيْضًا، وَهُوَ المرادُ مِنْ حَدِيثِ عبَادَة[7] سعد بِبَنِي الحَارِثِ، إِلَّا أَنْ يكُونَ سَعْدٌ اتَّخَذَ بالمَوْضعِ المعْرُوفِ ببَنِي الحَارِثِ مَنْزِلًا آخَرَ بأَنْ تَزَوَّجَ فِيهِم.

وبنُو وَقش وبنُو عنَان ابنَا ثَعْلَبَة بنِ طريف[8] بنِ الخَزْرَج بنِ سَاعِدَةَ دَارَهُم التِي بِقُرْبِ جِرَارِ سَعْد نَحْوَ مسْجِدِ الرَّايَةِ.

ونزَلَ بنُو مَالِك بنِ النَّجَّار دارَهُم المعْرُوفَةَ بِهِمْ، فَبَنُو غَنْم بنِ مَالِك شَرْقِيَّ [38ظ] المسْجِدِ النَّبَوِّي وهُوَ لَهُمْ.

---

(1) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص356.

(2) في خلاصة الوفا: بنو غدارة.

(3) في خلاصة الوفا: بني اللين.

(4) في وفاء الوفا: بن غضب.

(5) عبارة ليست في خلاصة الوفا، ولا في وفاء الوفا.

(6) في وفاء الوفا: بن غضب.

(7) في وفاء الوفا: عيادة.

(8) في الأصل: ظريف، والتصحيح من خلاصة الوفا وجمهرة أنساب العرب: طريف.

وكانَ لَهُم الأُطْم المسَمَّى بفوير[1] مَوْضِع دَارِ حَسَن بنِ زَيْد، وهِيَ التِي فِي قِبْلَة رِبَاطِ مرَاغَة بَيْنَهُما الشَّارِعُ.

وبَنُو مَغَالَةَ، وهُمْ بنُو عدي بن عمرو بن مالك، ومغَالَة أُمُّهُم، غَرْبِيَّ المسْجِدِ بِجِهَة بَابِ الرَّحْمَة، ولَهُم فارِع أُطْمُ حَسَّان بنِ ثَابِت وبيرحا.

وبنو جديلة[2] شَامِيَّ المسْجِدِ وشَرْقِيَّهُ قُرْبَ البَقِيعِ وبِقُربِهِم بيرحا، وجديلة معاوِيَة بنُ عمرو بنِ مالِك بنِ النَّجَّار، ولَهُم أيْضًا الأُطْمُ الذِي يقَالُ مشعط غَرْبِيَّ مَسْجِدهِم، مَسْجِدِ أُبَيِّ بنِ كعْبٍ، وفِي مَوْضِعِهِ بَيْتُ أَبِي نَبِيه.

قال الزُّبَيْر: كُلُّ ما كانَ بالمدينةِ عن يَمِينِكَ إذا وَقَفْت آخِرَ البِلاطِ مُسْتَقْبلَ المسْجِدِ النَّبَوِيّ بنُو مَغَالَة، والْجِهة الأُخْرَى بنُو جديلة، وهُمْ بنُو مُعَاوِيَة، وهُمْ مِنَ الْأَوْسِ[3].

وفِي "خُلَاصة الوَفَاءِ": كَوْنُهُم مِنَ الأَوْس وَهمٌ، ولَيْسَ مِنْ كَلَامِ الزُّبَيْر، والذِي قالَهُ أَهْلُ النَّسَبِ وغَيْرُهُم ما سَبَقَ. وسَبَبُ الْوَهمِ أَنَّ فِي الأَوْسِ أَيْضًا بنِي مُعَاوِيَة أَهْل مَسْجِدِ الإِجابَةِ، ولِذَا الْتَبَسَ الأَمْرُ علَى المطَرِيّ، فجَعَلَ مَسْجِدَ الإِجَابَةِ ومَنْزِلَتَهُ لِبَني مُعاوِيَةَ بنِ عمر بنِ مَالِك بنِ النَّجَّار، وجَعَلَ مَنْزِلَة بَنِي جديلة عِندَ بيرحا[4] مَنْزِلَةِ بَنِي مُعاوِيَةَ بنِ عمْرو بنِ مَالِك بنِ النَّجَّارِ. ثُمَّ قَالَ فِي بَنِي دِينارَ إِنَّهُمْ بَيْنَ دارِ مُعاوِيَة أَهْلِ مسْجِدِ الإِجابَةِ ودَارِ بَنِي جديلة[5] ا هـ. والصَّوابُ ما قدَّمناهُ[6].

وبَنُو مبذول وهُوَ عَامِرُ بنُ مَالِك بنِ النَّجَّار قُرْبَ بَقِيعِ الزُّبَير شَرْقِيَّ بنِي غَنْم وقِبْلَتَهم. ونَزَلَ بنُو عدي بنِ النَّجَّار غرْبِيَّ المسْجِدِ النَّبَوِيّ فيمَا قَالَ المطَرِي[7]، لَكِنْ مِنْهُم أَنَسُ بنُ مَالِك، وكَانَتْ دَارُهُ شَامِيَّ المسْجِدِ فِي المشْرِقِ، ولَهُم أُطْمُ الزَّاهِرَة، كَانَ في دَارِ النَّابِغَة عِنْدَ المسْجِدِ الذِي فِي الدَّارِ.

وبَنُو مَازِن بنِ النَّجَّار شَرْقِيَّ بَنِي زريق لِناحِيَة القِبْلَةِ. وقَالَ المطَرِي: قبلي البصَّة[8]. ويُقَالُ لتِلْكَ النَّاحِيَةِ: أَبُو مَازِن.

وبَنُو دِينَار بنِ النَّجَّارِ خَلْفَ بُطْحَان، وَسُمِّيَ هذَا الجَدُّ النَّجَّار؛ لأَنَّهُ ضَرَبَ رَجُلًا فَنَجَرَهُ، وهُوَ تيْمُ

(1) في وفاء الوفا: فويرع. وينظر: المغانم، الفيروزأبادِي، ص320.

(2) في وفاء الوفا وجمهرة أنساب العرب: بنو حديلة.

(3) مشارق الأنوار، القاضِي عياض، 117/1، وفيه: بنو حديلة.

(4) في خلاصة الوفا: بيرحاء، وفي وفاء الوفا: بئر حاء. ينظر: المغانم، الفيروزأبادِي، ص36.

(5) التعريف، المطرِي، ص212.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص176.

(7) التعريف، المطرِي، ص210.

(8) (م، س)، ص211.

اللهِ بنُ ثَعْلَبَة بنِ عَمْرو بنِ الخَزْرَج الأَكْبَر[1].

وفي الحدِيثِ: ((**خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ: بَنُو النَّجَّارِ ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ**))[2].

ولَبِثَت الأَوْسُ والخَزْرَجُ بالمدينَةِ مَا شاءَ اللهُ، وكَلِمَتُهُم واحِدَةٌ، ثُمَّ وَقَعَتْ بيْنَهُمْ حرُوبٌ كَثِيرَة، ولا يُسْمَعُ في قَوْمٍ أَطْوَلُ مِنْها، ولَا أَكْثَرُ.

قِيلَ: إِنَّها بَقِيَتْ مئةً وعشرِينَ سَنَةً، حَتَّى جَاءَ الإسلامُ. وقِيلَ: أَرْبَعين وأَوَّلُها حَرْبُ سُمَيْر، بالتَّصغِيرِ مِن الأَوْسِ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بني ثعلبةَ حلِيفًا لمالك بنِ العَجْلَانِ.

ثُمَّ حَرْبُ كَعْب بنِ عَمْرو، ثُمَّ حَرْب يَوْمِ السَّرارة [39و] مَوْضِعٌ بَيْنَ بني بَيَاضة والحماضة، ثُمَّ يوم الدِّيكِ[3] مَوْضِعٌ أيْضًا، ويَوْمُ فَارِع ويَوْمُ الرَّبِيعِ، وحَرْبُ حضير بنِ الأَسْلَت، وحَرْبُ حاطِب بنِ قَيْس، إِلَى أَنْ كَانَ ذَلكَ يوْم بُعَاث قَبْلَ الْهِجْرَة بِخَمْسِ سِنِينَ علَى الْأَصَحّ، قُتِلَ فيهَا سُرَاتُهُم، والْأَصَحُّ أَنَّها قَبْلَ الهِجرةِ بثَلَاثِ سِنِين، صَرَّحَ بِهِ ابْنُ حَجَر فِي "شَرْح الْبُخَارِي"[4].

وسَبَبُهُ أنَّ الظَّفَر في أَكْثَرِ تِلكَ الحرُوبِ كانَ لِلْخَزْرَجِ فذَهَبَت الْأَوْسُ لتُحَالِفَ قُرَيْظَةَ فأَرْسَلَتْ لَهُم الخَزْرَجُ: لَئِنْ فَعَلْتُم فَاذَنُوا بِحَرْبٍ، فَقَالوا: لَا نَدْخُلُ بَيْنَكُم، فقَالَتِ الخَزْرَجُ: فَأَعْطُونَا رَهَائِنَ، فَأَعْطَوْهُم أَرْبَعِين غُلَامًا، ففَرَّقُوها في دُورِهِم، فحَالَفَتْ بُطُونُ الأَوْسِ الْخَزْرَجَ مِنْهُم بنُو عَمْرو بنِ عَوْف، وقَالَ سَائِرُهُم: وَاللهِ لا نُصالِحُ حتَّى نُدْرِكَ ثَأْرَنَا، فتَقَاتَلُوا فكَثُرَ القَتْلُ فِي الْأَوْسِ لما خَذَلَهُم قَوْمُهُم، فاشْتَوَرُوا في أَنْ يُحَالِفوا قُرَيْشا، فأَظْهَرُوا أَنَّهُم يُرِيدونَ الْعُمْرَةَ، وبَيْنَهُم أَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا لمرِيدِهَا، وأَجَارَ أَمْوَالَهُم البَرَاءُ بنُ معْرُور.

وعَنْ أَفْلَحَ بنِ سَعِيد[5]: أَنَّ الْأَوْسَ خَرَجوا جَالِينَ مِنَ الْخَزْرَجِ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى قُرَيْش بِمَكَّةَ فَحَالَفُوهمْ، فقَالَ الْوَلِيدُ بنُ المغِيرَة: ما نَزَلَ قَوْمٌ علَى قَوْمٍ إِلَّا أَخَذُوا شَرَفَهُم ووَرِثُوا دِيَارَهُم فاقْطَعُوا حِلْفَهُم، قَالُوا: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: إِنَّ فِيهِمْ حَمِيَّةً، قُولُوا لَهُمْ: إِنَّا نَسِينَا شَيْئًا، وهُو إِنَّا قَوْمٌ إِذا كانَ النِّسَاءُ فِي البَيْتِ، فَرَأَى الرَّجُلُ امْرَأَةً تُعْجِبُهُ قَبلَهَا وَلَمَسَهَا بِيَدِهِ، فنَفَرَتِ الْأَوْسُ وقَطَعُوا الْحِلْفَ.

فلَمَّا لم يَتِمَّ لَهُم الْحِلْفُ، ذَهَبَ النَّبِيتُ إِلَى خَيْبَر فافتَخَرَت الخَزْرَجُ عَلَيْهِم في أَشْعَارِهِم، وقَالَ

---

(1) حدِيث المؤلف عن منازل الأوس والخزرج من (لمَّا فَرَغَ أبو جبيلة... ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر) نقله من خلاصة الوفا، ص169-177.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (3789).

(3) في وفاء الوفا: يوم الدّرك.

(4) فتح البارِي، ابن حجَر، 441/2.

(5) أفلح بن سعيد الأنصاري مولاهم أبو محمد القبائي، المدني. روى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة وبريدة بن سليمان الأسلمي ومحمد بن كعب وغيرهم. وعنه ابن المبارك، قال ابن معين والنسائي: "ليس به بأس" وقال أبو حاتم: "شيخ صالح الحديث" مات بالمدينة سنة 156هـ. تهذيب التهذيب، ابن حجر، 368/1.

عمَر بنُ النُّعْمَانِ البَيَاضِي: يَا قَوْمُ إنَّ بَيَاضَةَ أَنْزَلَكُمْ مَنْزِلَ سُوءٍ، وَاللهِ لَا يَمسُّ غُسْلٌ رَأْسِي حَتَّى أُنْزِلَكُمْ مَنْزِلَ بنِي قُرَيْظَةَ والنَّضِير وأَقْتُلَ رهنَهُمْ، وكَانَ لَهُم غِزارُ الميَاهِ وكِرامُ النَّخْلِ فبَلَغَهُم ذَلِكَ ومَنْ كانَ بِالمدِينَةِ مِنَ الأَوْسِ فحَالَفُوا قُرَيْظَة والنَّضِير، ثُمَّ أَرْسَلُوا بِذَلِكَ لِلنَّبِيتِ فقَدِمُوا فأخَذَت الْخَزْرَجُ في قَتْلِ الرّهنِ، فقَال كَعْبُ بنُ أَسَد القُرَظِيّ: إنَّما هِيَ لَيْلَةٌ ثُمَّ تِسْعَةُ أَشْهُر، يعْنِي يعوّضُون الوَلَدَ بالْحَمْل، وجَاءَ الحِلْف وأَرْسَلوا للْأَوْسِ انهضُوا إلَيْنَا فنَأْتِيهِمْ جَمِيعًا، وامْتَنَعَ عبْدُ اللهِ بنِ أُبَيّ مِنْ قَتْلِ الرّهن، وقَالَ لِقَوْمِه: أَنْتُم الْبُغَاةُ وَالأَوْسُ تقُولُ مَنَعُونَا الْحَيَاةَ، فَيَمْنَعُونَ[ا] [39ظ] الموْتَ؟ فَوَاللهِ مَا يَمُوتونَ أَوْ تهْلكُوا عَامَّتَكُمْ، فقَالَ لهُ عمْرو بنُ النُّعْمَان: انْتفَخَ وَاللهِ سِحْرُكَ، وقَالَ: إنِّي لَا أحْضُرُكُم وكَأَنِّي أنْظُرُ إلَيْكَ قَتِيلًا يَحْمِلُكَ أَرْبَعةٌ فِي كِسَاء. فَرَأَّست الْخَزْرَجُ عَمْرو بن النُّعمَانِ بنِ وجيلة، وقِيلَ بَلْ جَدُّهُ وجيلة[1]، فاقْتَتَلوا فِي بُعَاث عِنْدَ أَعْلَى قوْري[2]، ورَئِيسُ الأَوْسِ حضير الكائِب[3][4] والدُ أُسَيْد بن حضير، وكانَ النَّصْرُ أَوَّلًا لِلْخَزْرَجِ ثُمَّ كانَت الدَّبْرَةُ عَلَيْهِمْ.

وقُتِلَ حضير بن الكائب[5] وعَمْرُو بنُ النّعمَان، وَجِيءَ بِعَمْرو يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ، وحَلَفَت الْيَهُودُ لَنَهْدِمَنَّ حِصْنَ ابْنِ أُبي، وكَانتْ أُخْتُهُ تَحْتَ أَبِي عَمْرو الرَّاهِب، الملقَّبِ بالفَاسِقِ، وَالِدِ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ، أحَدِ بَنِي ضبيعة بنِ زَيْد مِنَ الْأَوْسِ.

فَلَمَّا أحَاطُوا بِحِصْنِهِ قالَ: هؤلاءِ أولادُكُم وقَدْ نهَيْتُ الخَزْرَجَ فعَصَوْنِي، وكَانُوا مِنْ أَوْلَادِ بَنِي النَّضِيرِ، فأَجَارُوهُ مِنَ الأَوْسِ وَقُرَيْظَة، ثُمَّ لم يَزَلْ يتَحَيَّلُ حتَّى ردَّهُمْ حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ، وذَهَبَ فِي ذَلِكَ الْيَومِ أَشْرافُ الْأَوْسِ والخَزْرَجِ مِمَّنْ لا يَنْقادُ أنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ غيرِهِ لِشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ، غَيْر ابنِ أُبَيّ، فلِذَا قَالتْ عائِشَةُ: "كانَ يوْمُ بُعَاث يَوْمًا قَدَّمهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ في دُخُولِهِم فِي الْإِسْلَامِ"[6].

وقَالَ أَهْلُ السِّيَرِ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ وسَيِّدُ أَهْلِهَا أُبَيّ لم يَجْتَمِع الْأَوْسُ والْخَزْرَجُ قبْلَهُ ولَا بَعْدَهُ معًا علَى رَجُلٍ مِنْ أَحَدِ الفَرِيقَيْنِ غَيْرِه، ومَعَهُ رَجُلٌ شَرِيفٌ مُطَاعٌ هُوَ أَبُو عَامِر الفَاسِق مِنَ الْأَوْسِ، وكَانَ قدْ ترَهَّبَ ولَبِسَ المسُوحَ، وزَعَمَ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ خرُوجَ النَّبِيءِ ﷺ فشَقِيَا بِشَرَفِهِمَا[7]. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

38 وَقِفْ فِي حِمَى خَيْرِ الوَرَى بِتَأَدُّبٍ وَذُلٍّ وَكَسْرٍ وَافْتِقَارٍ وَإِتْقَانِ

---

(1) في خلاصة الوفا: رجيلة، وفي وفاء الوفا: رُخَيْلة، وكذا في جمهرة أنساب العرب: رخيلة بن ثعلبة بن خالد... رأس الخزرج يوم بُعاث. ص357.

(2) قوري: موضع بظاهر المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص352.

(3) في خلاصة ووفاء الوفا: حضير الكتائب.

(4) حُضَيْر الْكَتَائِبِ بن السَّمَاكِ الْأَشْهلِي، وَهُوَ وَالِدُ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ. لِوَلَدِهِ صُحْبَةٌ. الكامل، ابن الأثِير، 598/1.

(5) في خلاصة ووفاء الوفا: حضير الكتائب.

(6) مسند أحمد حدِيث (24320).

(7) حدِيث المؤلف عن حروب الأوسِ والخزرج (ولبثت الأوسُ والخزرج...فشقيا بشرفهما) نقله مِن خلاصة الوفا ص177-179.

أيْ: قِفْ في مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ قَبْرِ أَفْضَلِ الخَلْقِ، مُصَاحِبًا لِلْفِعْلِ والْقَوْلِ الْحَسَنَيْن اللَّذَيْنِ هُمَا أَفْضَلُ، وَبِذُلٍّ مِنَ القَلْبِ، وكَسْرٍ مِنْ بَدَنٍ واحْتِيَاجٍ وإِحْكَامِ ذَلِكَ كُلِّهِ.

و"الحِمَى": هُنا الموْضِعُ المجَاوِرُ لِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الجفَاءِ فيهِ، والتَّهاوُنِ وتَرْكِ الِاحْتِرَامِ. أَوْ لِأَنَّهُ مانِعٌ مِنَ النَّارِ مَن يَقِفُ متَوَسِّلًا فيهِ إِلَى اللهِ عزَّ وجَلَّ بِنَبِيئِهِ ﷺ.

و"الوَرَى": الخَلْقُ أو بَنُو آدَم، أَو الثَّقَلانِ، مِنْ وَرِيَ الزِّنْد أَخْرَجَ نَارَهُ [40و] كَذلِكَ مَا سِوَى اللهِ أُخْرِجَ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، أَوْ مِنْ وَارَاه يُوَارِيهِ، سَتَرَهُ وأَخْفَاهُ، وكَانُوا مَسْتُورِينَ بِالعَدَمِ، ويَعُودونَ إِلَيْهِ، أَوْ مِن وَرَاءَ بِمَعْنَى خَلْفَ؛ لِأَنَّ بَعْضًا يُوجَدُ خَلْفَ بَعْضٍ. والبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ تَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ مِن الضَّمِيرِ فِي "قِف".

و"التَّأَدُّبُ": عِلَاجُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ ومَحَاسِنُ الأَخْلَاقِ. قال أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِي[1]: الْأَدَبُ مُعَالَجَةُ الرِّيَاضَةِ المحْمُودَةِ التِي يتَخَرَّجُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي فَضِيلَةٍ مِنَ الفَضَائِلِ[2]. وقيلَ: التَّأَدُّبُ عِلَاجُ مَا يُحْمَدُ قَوْلًا وفِعْلًا. وقِيلَ: تَعَاطِي مكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وقِيلَ: التَّوَقُّفُ مَعَ المسْتَحَبَّاتِ. وقِيلَ: مُرَاعاةُ تَعْظِيمِ مَنْ فَوْقَكَ، وَالرِّفْقُ بِمَنْ دُونَكَ. ويُقَالُ: إِنَّهُ مِنَ المأْدُبَةِ؛ وَهِيَ الطَّعامُ المدْعُوُّ إِلَيْهِ. والتَّأَدُّبُ مَأْمُورٌ بِهِ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ.

وَ"الذُّلُّ": ضُعْفُ الْقَلْبِ وهَوَانُهُ، وَالمرَادُ ذَلِكَ بِخُشُوعٍ. و"الكَسْرُ": كَسْرُ الْبَدَنِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَقِفُ فِي الْحِمَى إِلَّا مُنْكَسِرِ الرَّأْسِ حَيَاءً، غَيْرَ عَابِثٍ بِجَوارِحِهِ، ولَا نَاشِطٍ بِها، ولَا مُتَبَرِّجٍ بِلِبَاسٍ أَوْ مَقَالٍ. والمرَادُ بِالِافْتِقَارِ: شِدَّةُ الْحَاجَةِ. و"الإِتْقَانُ": إِحْكَامُ آدابِ الزِّيَارَةِ. وَهُنَا فُصولٌ:

[الفصل] الأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الزِّيَارَةِ[3]:

رَوَى الدَّارَقُطْنِي فِي السُّنَنِ وغيْرِهَا، والبَيْهَقيُّ وغيْرُهُما مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بنِ هِلَال الْعَبْدِي عَنْ عُبَيْدِ اللهِ الْعُمَرِي عَنْ نَافِع عن ابنِ عُمَر عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**))[4] أيْ: ثَبَتَتْ بالوَعْدِ الصَّادِقِ.

والشَّفاعَةُ: تَشْرِيفٌ وزِيَادَةُ دَرَجَاتٍ قَضَى اللهُ بِها لِلسَّعِيدِ. أَوْ أَرَادَ شَفَاعَةً زَائِدَةً عَنْ غَيْرِهِ تَحْصُلُ لَهُ

(1) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، البصري، أديب ولغوي،أخَذَ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو عبيدة وغيره، وتوفي بالبصرة سنة 215هـ، من مصنفاته الكثيرة: القوس والترس، الإبل، بيوتات العرب، والجمع والتثنية. بغية الوعاة، السيوطِي، 582/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 761/1.

(2) المصباح المنير، المقرِي، 4/1.

(3) نقل المؤلِّف مادّة الفصل مِن كتاب خلاصة الوفا، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخريجه مِن المرجعِ.

(4) سنن الدارقطني، حدِيث (2695) وشعب الإيمان، البيهقي حدِيث (4159).

بالزِّيَادَةِ، أَوْ بُشْرَى بمَوْتِهِ مُسْلِمًا.

وَرَوَى البَزَّارُ عَن ابْنِ عُمر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي**))[1] وَهُوَ كَالْأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّ فِي الْأَوَّلِ "وَجَبَتْ" وفي هَذَا "حَلَّتْ" وفِي سَنَدِ الثَّانِي عَبْدُ اللهِ الغِفَارِي[2] وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْد[3]، وهُمَا قَدْ يَنْسَيَان أَوْ يَخْتَلِطُ عَلَيْهِمَا اللَّفْظُ ومِثْلُ ذَلِكَ مُحْتَملٌ مِمَّا لَا يَفْسُدُ بِهِ المعْنَى وحَدِيثُهُما يُكْتَبُ.

وَعَنْ نَافِع عَنْ سَالم عَن ابْنِ عُمر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا تَحْمِلُهُ**[4] **حَاجَةٌ إِلاَّ زِيَارَتِي، كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[5] رَوَاهُ الطَّبَرَاني في "الْكَبِيرِ و"الْأَوْسَط"، والدَّارَقُطْنِي فِي "أَمَالِيهِ"[6]، وأَبُو بَكْر بنُ المقْرِئ[7]فِي "مُعْجَمِهِ". وَالشَّفَاعَة تَعْظُمُ بِعِظَمِ الشَّافِعِ.

وبِذَلكَ السَّنَدِ أَيْضًا في "مُعْجَمِ ابْنِ المقْرِئ" عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا كَانَ لَهُ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[8].

[40ظ] وَرَوَى ابْنُ السَّكَن[9]في كِتَابِهِ المسَمَّى بـ"السُّنَن الصِّحَاح"[10] مِثْل، وذَلِكَ بَعْدَ الموْتِ، أَوْ مَا بَعْدَ الموْتِ دَاخِلٌ فِي الْعُمُومِ[11].

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِي وَالطَّبَرَانِي وغَيْرُهُما بسَنَدٍ فِيهِ حَفْصُ بنُ أَبِي دَاوُد الْقَارِئ عنْ لَيْث عَنْ مُجَاهِد عن ابْنِ عُمر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**))[12]. وحَفْصٌ هَذَا وَثَّقَهُ أَحْمَد في

---

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1198).

(2) عبد الله بن إبراهِيم الغفارِي، كان يغلب على حدِيثِه الوهمُ. الضعفاءُ الكبِير، العقيلِي، 233/2.

(3) عبد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أسلم مولى بن عمر من أهل المدِينَة يروي عَن أَبِيهِ روى عَنْهُ الْعِرَاقِيُّونَ وَأهل المدِينَة، مَاتَ سنة 182هـ، كَانَ مِمَّن يقلب الْأَخْبَار وَهُوَ لَا يعلم، حَتَّى كثر ذَلِك فِي رِوَايَته من رفع المرَاسِيل وَإِسْنَاد الموْقُوف فَاسْتحقَّ التّرْك. المجروحون، ابن حبان، 22/2.

(4) في خلاصة الوفا والمعجم الأوسط: ((لا تعمله)). وفِي المعجم الكبير: ((لا يعمله)).

(5) المعجم الكبير، الطبرانِي، حدِيث (13149) والمعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (4546).

(6) لم أقفْ على كتاب "أمالي الدارقطنِي" وورَدَ في سننه بلفظٍ مغايِرٍ، حدِيث (2695).

(7) محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني، الخازن، المشهور بابن المقري (أبو بكر) محدّث توفي سنة 381هـ، من آثاره: المعجم الكبير، الأربعون حديثا، المنتخب من غرائب أحاديث مالك بن أنس. سير أعلام النبلاء، 398/16، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 35/4.

(8) معجم ابن المقرِئ، حدِيث (158). وفيه: عن نافع وسالم عن ابن عمر. وفيه: ((مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يَنْزِعُهُ إِلَّا زِيَارَتِي)).

(9) سعيد بن عثمان بن سعيد بن السَّكَن البغدادي الأصل، المصري، البزاز (أبو علي) محدث سمع بمصر والشَّام والعراق وخراسان، توفي بمصر سنة 353 هـ. من تصانيفه: الصحيح المنتقى. تذكرة الحفاظ، الذهبِي، 100/3، ومعجم المؤلفِين، رضا كحالة، 766/1.

(10) "الصحيح المنتقى" أو "السنن الصحاح" كتاب محذوف الأسانيد، جعله أبوابا في جميع ما يحتاج إليه من الأحكام، ضمنه ما صح عنده من السنن المأثورة. وقال عنه ابن خير الإشبِيلي: مُصَنف أبي عَليّ بن السكن فِي السّنَن جمع فِيهِ سنَن المصنفات الْأَرْبَعَة كتاب البُخَارِيّ وَمُسلم وَأبي دَاوُد وَالنَّسَائِيّ. ينظر: فهرسة ابن خير، ص104.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص89.

(12) المعجم الكبير، الطبرانِي، حدِيث (13497) واللفظ له. وفِي سنن الدارقطنِي، حدِيث (2693).

أَرْجَحِ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ[1]، وضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ[2].

ورَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي "الْكَبِيرِ" وَ"الْأَوْسَطِ" مِنْ طَرِيقِ عَائِشَةَ بِنْتِ يُونُس امْرَأَةِ اللَّيْثِ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِد عن ابْنِ عُمَر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**))[3].

وَرَوَى بعْضٌ عن[4] ابْنِ مَنْدَةَ[5] مِنْ طَرِيقِ حَفْص عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ فَزَارَنِي فِي مَسْجِدِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**))[6].

ورَوَى ابْنُ الجَوْزِي فِي "مُثِيرِ الْعَزْمِ السَّاكِن" عنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَصَحِبَنِي**))[7].

قالَ أَبُو اليُمْنِ بنُ عَسَاكِر[8]: تفرَّدَ بقولِهِ: "وَصَحِبَنِي"، الحَسَنُ بنُ الطَّيِّبِ[9]، وفِيهِ نَظَرٌ، وَهِيَ زِيَادَةٌ مُنْكَرَة[10].

وقَالَ ابْنُ السُّبكِي[11]: لم يَنْفَرِدْ بهِ، فَقَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ ابنُ عَدِيّ فِي "كَامِلِهِ" مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بنِ سُفْيَانَ بَدَلَ ابْنِ الطَّيِّبِ[12].

وذَلِكَ لَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ بِمَنْ صَحِبَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ حَتَّى يُعَارَضَ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**لَوْ أَنفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ**))[13] الْحَدِيث كَمَا قِيلَ[14].

---

(1) هو حفص بن أبي داود، إمام القراءات المشهور ت:171- 180هـ. ينظر ترجمته: تاريخ الإسلام، الذهبِي، 602/4. وفيه: قال أحمد بن حنبل: ما به بأسٌ.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص89.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (13496) والمعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (287).

(4) في خلاصة الوفا، والصارم المنكِي: بعض الحفاظ المعاصِرين لابن منده. وبه يتبين الخطأ، فالحدِيث لم ينقل عن ابن منده، بل نقله بعضٌ ممن عاصرَ ابن منده.

(5) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، أبو القاسِم بن منده، حَدَّثَ عَنْ أَبِيْهِ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ بن المرْزُبَان، وَأَبِي بَكْرٍ بنِ مَرْدَوَيْه، ت:470هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 319/18.

(6) لم أقف عليه بلفظه في كتب الحدِيث، ولا في المستخرج لابن منده. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص89. الصارم المنكِي، السبكِي، ص70.

(7) مثير العزم الساكن، ابن الجوزِي، حدِيث (467).

(8) عبد الصمد بن عبد الوهاب الدمشقي الشافعي، نزيل الحرم أديب، محدّث، توفّي بالمدينة سنة 686هـ، من آثاره: جزء في ذكر فضائل الصلاة على الرسول ﷺ، وفضائل أمّ المؤمنين خديجة، وإتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر. معجم الشيوخ، الذهبِي، 394/1، ومعجم المؤلفين، 154/2.

(9) الحَسَنُ بنُ الطَّيِّبِ بنِ حَمْزَةَ أَبُو عَلِيٍّ الشُّجَاعِيُّ، المحَدِّثُ الرَّحَّالُ، أَبُو عَلِيٍّ الشُّجَاعِيُّ، البَلْخِيُّ، نَزِيْلُ بَغْدَادَ، ابْن أَخِي الحَافِظ الحَسَن بنِ شُجَاع، حَدَّثَ بِبَغْدَادَ، قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: لاَ يُسَاوِي شَيْئاً، لأَنَّه حدَّثَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ، ت:307هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 260/14.

(10) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر، أبو اليمن ابن عساكر، ص27. وخلاصة الوفا، السمهودِي، ص89.

(11) صوابه: السُّبكِي، سبق تعريفه.

(12) الكامل في الضعفاء، ابن عدِي، 248/8.

(13) ورد بلفظ قرِيب: صحيح البخارِي، حدِيث (3673) وصحيح مسلم، حدِيث (221).

(14) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

ورَوَى ابنُ عَدِيّ فِي "الْكَامِل" وَالدَّارَقُطْنِي فِي "غَرَائِبِ مَالِك"[1] عنْ نَافِع عَن ابْنِ عُمر عَنهُ ﷺ: **((مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي))**[2].

ولَمْ يَرْوِهِ عنْ مَالِك إِلَّا النُّعْمَانُ بنُ شبْل[3]، وبَعْضٌ وَثَّقهُ وبَعْضٌ اتَّهَمَهُ، والقَاعِدَةُ عِنْدَ قَوْمِنا الأَشْعَرِيَّة أَنَّهُ إِذَا لم تُفَسَّر التُّهْمَةُ وقَدْ وَثَّقَ بَعْضٌ، فَالْحُكْمُ بِالتَّوثِيقِ[4].

وقَالَ الدَّارَقُطْنِي: تَفَرَّدَ هذَا الشَّيْخُ بِهِ وهُوَ مُنْكَرٌ. ولَعَلَّهُ أَرَادَ عَدَمَ احْتِمَالِ تَفَرُّدِهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَتْنِ الحَدِيثِ. وذَكَرَهُ بَعضٌ فِي الْأَحَادِيثِ الموضُوعَةِ[5]، وهُوَ سَرَفٌ[6].

ولِلدَّارَقُطْنِي فِي "الْعِلَل" عن نافع عن ابنِ عُمَر عنهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي إِلَى المدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا))**[7] وقِيلَ: أَخْطَأَ بَعْضُ رُوَّاتِهِ فِي مَتْنِهِ، إِذِ المعْرُوفُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَر: **((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ))** الحدِيث، وفِيهِ نَظَرٌ[8].

وذَكَرَ أَبُو دَاود الطَّيَالِسِي بِسَنَدِهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عُمَر عَنْ عُمَر عنهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَ قَبْرِي أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا، أَوْ مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللَّهُ ﷻ فِي الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[9] والرَّجُلُ المبْهَمُ مِن التَّابعِينَ، فَالْأَمْرُ فِيهِ قَرِيبٌ[10].

[41و] ورَوَى أَبُو جَعْفَر الْعُقَيْلِيّ[11] مِنْ رِوَايَةِ سوار بِسَنَدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ الْخَطَّابِ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّدًا كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ...))**[12] الحَدِيث. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ الخَطَّابِ نَحْوُ ذَلِكَ، وزَادَ عَقِبَهُ: **((ومَنْ سَكَنَ المدِينَةَ وَصَبَرَ عَلَى بَلَاءِهَا**

---

(1) كتاب "غرائب مالك" للدارقطني مفقود. ينظر: الرسالة المستطرفة، الكتاني، ص113.

(2) الكامل في الضعفاء، ابن عدِي، 14/8.

(3) النُّعْمَان بن شبْل: من أهل الْبَصْرَة يروي عَن أبي عوَانَة وَمَالك. المجروحين من المحدثين، ابن حبان، 413/2.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

(5) المقصود ابن الجوزِي فِي الموضوعات، 217/2.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90. والصارم المنكِي، ص86.

(7) العلل الواردة في الأحادِيث النبوية، الدارقطنِي، 58/7 وفِيه: ((شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً)).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

(9) مسند الطيالسي، حدِيث (65).

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

(11) محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، محدث روى عن أبي اسماعيل الترمذي وروى عنه أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي وأبو بكر بن المقري، وتوفي بمكة سنة 322 هـ، من آثاره: الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم، والجرح والتعديل. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 237/15، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 570/3.

(12) كتاب الضعفاء الكبير، العقيلي، 361/4، وفيه: ((كَانَ فِي جِوَارِ اللهِ)).

كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَشَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وَهَارُونُ[2] هَذَا ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان فِي الثِّقَاتِ[3].

وذَكَرَ الدَّارَقُطْنِي وغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ حَاطِب عَنْ حَاطِب عَنهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[4].

ورَوَى أَبُو الفَتْحِ الأَزدِي[5] بِسَنَدِهِ عَنْ عَلْقَمَةَ عَن عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاس عَنهُ ﷺ: **((مَنْ حَجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَزَارَ قَبْرِي وَغَزَا غَزْوَةً وَصَلَّى فِي بَيْتِ المقْدِسِ لم يَسْأَلْهُ اللهُ ﷻ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ))**[6]

أيْ: غَفَرَ لهُ ذنوبَهُ مِنْ فِعْلٍ وتَرْكٍ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ العُمَرِي[7] سَمِعْتُ سَعِيدَ المقْبُرِي[8] يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي وَأَنَا حَيٌّ، وَمَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** رَوَاهُ أَبُو الْفُتُوحِ[9][10].

وَذَكَرَ ابنُ أَبِي الدُّنْيَا والْبَيْهَقِيّ عن أَنَس بنِ مَالِك: **((مَن زَارَنِي بِالمدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** وهُوَ مَرْفوعٌ إِلَيْهِ ﷺ، وهُوَ بِالوَاوِ، وفِي رِوَايَةٍ بِـ: "أَوْ" كَمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا[11].

ولَفْظُ البَيْهَقِيّ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ زَارَنِي مُحْتَسِبًا إِلَى المدِينَةِ كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[12].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص91. ليسَ في كتاب العقيلِي حدِيث بهذا السَّند غير الذِي سبقَ، وفي الصارم المنكِي:" في حديث الشحامي حدثنا هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّداً كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) زادَ الشحامي:((ومَنْ سَكَنَ المدِينَةَ وصَبَرَ عَلَى بَلائِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ". الصارم المنكِي، السبكِي، ص103. فصاحب الزيادة هو الشحامي وليس العقيلي.

(2) هو هارون بن قزعة أسقطه المؤلف من سند: هارون عن رجل من آل الخطَّابِ. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص91.

(3) في الثقات، ابن حبان، 580/7 وذكرهُ باسم هارون أبو قزعة.

(4) سنن الدارقطنِي، حدِيث (2694).

(5) محمد بن الحسين بن أحمد الحسين بن عبد الله الأزدي، محدث نزل بغداد، وحدث بها، وتوفي بالموصل سنة 374 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 347/16 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 245/3.

(6) شفاء السقام، السبكِي، ص140.

(7) عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرِي: ابن عمر بن الخطاب، حدث عن نافع لعمري وسعيد المقبري، حدث عنه وكيع وابن وهب، ت:171هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 339/7.

(8) سعيد المقبري: أبو سعد، حدث عن عائشة وأبِي هريرة، حدث عنه أولادهُ عبد الله وسعد، ومالك بن أنَس، ت:125هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 216/5.

(9) أبو الفتوح سعيد بن محمد بن إسماعيل.

(10) شفاء السَّقام، السبكي، ص144.

(11) شفاء السّقام، السبكي، ص147، بزيادة: ((...بِالمدِينةِ مُحْتَسِبًا)).

(12) السنن الصغرَى، البيهقِي حدِيث (1818)، وشفاء السّقام، السبكي، ص147.

وفِي الرِّوايتَيْنِ سُلَيْمَان بنُ يَزِيد الكَعْبِي، ذكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي "الثِّقَاتِ"[1]، وقَالَ أَبُو حَاتِم: "مُنْكَر الْحَدِيثِ لَيْسَ بِقَوِيٍّ"[2] ولَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ يَرْوِي عَنِ التَّابِعِينَ عَدَمُ إِدْرَاكِهِ أَنَسا[3].

وذَكَرَ ابنُ النَّجَّار[4] مِنْ طَرِيقِ سَمْعَانَ بنِ المهدِي عَنْ أَنَس مَرْفُوعا: ((**مَنْ زَارَنِي مَيِّتًا فَكَأَنَّمَا زَارَنِي حَيًّا، وَمَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي لَهُ سَعَةٌ، ثُمَّ لم يَزُرْنِي فَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ**))[5].

وقَالَ الذَّهَبِي: سَمْعَانُ بنُ مَهْدِي عَنْ أَنَس لَا يَكَادُ يُعْرَفُ، أُلصِقَتْ بِهِ نُسْخَةٌ مَكْذُوبَةٌ[6]، قالَ ابْنُ حَجَر: أَكْثَرُ مُتُونِهَا مَوْضُوعَةٌ[7].

ولِأَبِي جَعْفَر الْعُقَيْلِي عَن ابْنِ جُرَيْج عَنْ عَطَاء عَن ابْنِ عَبَّاس عَنهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ زَارَنِي حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى قَبْرِي كُنْتُ** [41ظ] **لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا، أَوْ قَالَ: شَفِيعًا**))[8].

وفِي "مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ"[9] عن ابنِ عَبَّاس ﷺ عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ قَصَدَنِي فِي مَسْجِدِي كُتِبَتْ لَهُ حَجَّتانِ مَبْرُورَتَانِ**))[10].

وذَكَرَ يَحْيَى بنُ الْحسَينِ[11] مِنْ طَرِيقِ النُّعَمانِ بنِ شِبْل حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ الْفَضْلِ المدَنِيّ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ عَنْ جَابِر عنْ مُحَمَّد بنِ عَلِيّ عَنْ عَلِيٍّ عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ لم يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي**))[12] وقَوْلُهُ "المدَنِيّ" يَقْتَضِي أَنَّهُ غَيْرُ مُحَمَّد بنِ الْفَضْلِ

---

(1) الثقات، ابن حبان، 395/6.

(2) الجرح والتعدِيل، عبد الرحمن الرازِي، 149/4.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص91.

(4) سبقت ترجمته.

(5) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص221.

(6) المغنِي في الضعفاءِ، الذَّهَبِي، 411/1.

(7) لسان الميزان، ابن حجَر، 191/4.

(8) الضعفاء الكبِير، العقيلِي 457/3.

(9) مسند الفردوس: لأبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمِي الهمدانِي، ت:558هـ، وكتاب الفردوس لوالده المحدث المؤرّخ أبِي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمِي، ت:509هـ، أورد فيه عشرة آلاف حديث من الأحاديث القصار مرتبة على نحو من عشرين حرفا من حروف المعجم من غير ذكر إسناد في مجلد أو مجلدين وسماه: فردوس الأحكام بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب أي: شهاب الأحكام للقضاعي. اختصره ابن حجر العسقلانِي وسماه "تسديد القوس في مختصر مسند الفردوس". الرسالة المستطرفة، الكتانِي، ص75 و كشف الظنون، حاجي خليفة، 1684/2.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص92.

(11) فِي شفاء السَّقام: يحيى بن الحسَن. وهو يحي بن الحسَن بن جعفر الحجَّة العبيدلِي العقيقي، سبق تعريفه.

(12) شفاء السقام، السبكي، ص155.

بنِ عَطِيَّةَ الذِي كَذَّبُوهُ؛ لِأَنَّ ذَاكَ كُوفِيٌّ، وجَابِر هُوَ الْجعفيّ أَوْ غَيْرُهُ، ومُحَمَّد بنُ عَلِيّ إِنْ كَانَ ابْنَ الْحَنَفِيَّة فَقَدْ أَدْرَكَ أَبَاهُ عَلِيًّا، وإِنْ كَانَ الْبَاقِر فَهُوَ مُنْقَطِعٌ[1].

وَذَكَرَ ابنُ عَسَاكِر بِطَرِيقٍ آخَرَ عَنْ عَلِيٍّ عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ سَأَلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ زَارَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ فِي جِوَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**))[2]. وفِيهِ عَبْدُ المِلِكِ بنُ هَارُونَ، وفِيهِ كَلَامٌ[3] لَا يُدْرَى أَهُوَ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الثَّوْرِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ عن ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلُ ذَلِكَ[4].

ومِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بنِ وَهْب، وَهُوَ ثِقَةٌ، عَنْ رَجُلٍ عَنْ بَكْر بنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**مَنْ أَتَى المدِينَةَ زَائِرًا إِلَيَّ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ آمِنًا**))[5] وبَكْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ إِنْ كَانَ الأَنْصَارِي فَهُوَ صَحَابِي، وإِنْ كَانَ المزَنِي فَهُوَ تَابِعِي، فَيَكُونُ مُرسَلًا[6].

وَلِأَبِي دَاوُد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عنهُ ﷺ: ((**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**))[7] وذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ وأَحْمَد قَبْلَهُ وغَيْرُهُمَا[8].

وفَضِيلَةُ رَدِّهِ عَظِيمَةٌ، والمرَادُ التَّسْلِيمُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ؛ بِدَلِيلِ روَايَةِ ابنِ قُدَامَةَ عَنْ أَحْمَد بِلَفْظِ: ((**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي**))[9] وذَلِكَ أَنَّ المسَلِّمَ عَلَيْهِ عِندَ الْقَبْرِ يَمْتازُ بِالمواجَهَةِ بِالخِطَابِ المسْتَدْعِي لِلرَّدِّ، وإِلَّا فَقَدْ يُقَالُ لَا يَنْقَطِعُ التَّسْلِيمُ فِي جَمِيع الأَرْضِ، فلَا تَذْهَبُ رُوحُهُ فَضْلًا عنْ رُجُوعِها، فَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ في جَسَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وذَكَرَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللهِ المقْبرِي[10] أَحَدُ أَكَابِرِ شُيُوخِ البُخارِي عَنْهُ ﷺ: ((**إِذَا زَارَنِي فَسَلَّمَ عَلَيَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ**))[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص92، وفِيهِ: مدينِي بدل مدني.

(2) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور 406/2. لم أجده في تاريخ دمشق.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص92.

(4) (م، س)، ص92.

(5) الصارم المنكِي، شمس الدين الحنبلِي، 184، وفيه: بكير بن عبد الله.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص93.

(7) سنن أبي داود، حدِيث (2041).

(8) مسند أحمد، حدِيث (10815)، والسنن الكبرَى، البيهَقِي، حدِيث (10270).

(9) مسند أحمد، حدِيث (10815) وليس فِيه "عند قبرِي". والمغنِي، ابن قدامة، 465/5.

(10) هكذا في الأصل وفي خلاصة ووفاء الوفا، وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الأهوازي المقرِئ، وليسَ المقبرِي، الحافظ المحدِّث، حدَّثَ عن ابن عون وأبِي حنيفة، وحدَّثَ عنه البخارِي وأحمد بن حنبل، وهو من كبراء مشَيَخَةِ البخارِي، توفي بمكّة سنة 212 أو 213هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 166/10.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص93.

ويُؤيِّدُهُ أنَّ أَصْلَ السَّلامِ عُرْفًا مَا يُواجَهُ بِهِ المسَلَّمُ [42و] عَلَيْهِ مِنْ قُرْبٍ، ويُكنَّى بِهِ عَنِ الزِّيَارَةِ، وهُوَ سلَامُ التَّحِيَّةِ المسْتَدْعِي الرَّدَّ عَلَى المسَلِّم بنَفْسِهِ أو بِرَسُولِهِ، بِخِلَافِ السَّلامِ الذِي يُقصَدُ بِهِ الدُّعَاءُ مِنَّا بِالتَّسلِيمِ علَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، سَوَاء أَكانَ بِلَفْظِ الْغَيْبَة أَمِ الْحُضُورِ، وهُوَ الذِي قِيلَ بِاختِصَاصِهِ بِهِ عنِ الأُمَّةِ كَالصَّلاةِ، فَلَا يقَالُ فُلَانٌ عَلَيْهِ السَّلامُ. وهذَا الْحَدِيثُ مِمَّا استَدَلَّ بِهِ البَيْهَقيُّ على حَيَاةِ رسُولِ اللهِ ﷺ في قَبْرِهِ وحيَاةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ في قُبُورِهِم. قَالَ: "والمعْنَى إِلَّا وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِم"[1].

قُلْتُ: فَهُوَ جَوَابٌ عَمَّا ذَكَرْتُ مِنْ كَثْرَةِ السَّلامِ عَلَيْهِ بِلَا حُضُورٍ عِنْدَهُ، حتَّى لا تُتَصَوَّرَ فَتْرَةٌ يزُولُ رُوحُهُ فِيهَا، فَهُوَ حَيٌّ مُسْتِمِرٌّ.

وقِيلَ: هُوَ خِطابٌ علَى قَدْرِ فَهْمِهِم أَنَّهُ لَا بُدَّ مِن رَدِّ الرُّوحِ ليَسْمَعَ، فكَأَنَّهُ أُسْمِعَهُ تَمَامَ السَّماعِ، وأُجِيبَهُ تَمَامَ الإِجَابَةِ، معَ دَلالتِهِ عَلَى الرَّدِّ عِنْدَ سَلَامِ أَوَّلِ مُسَلِّمٍ ولَمْ يرِدْ قَبْضهَا بَعْدُ، ولَا قَائِلَ بِهِ لتَوَالِي مَوْتَاتٍ لَا تُحْصَر. وهذَا جَوَابٌ آخَرُ عَمَّا ذَكَرْتُ، أو الرَّدُّ معْنَوِيٌّ مِنَ الاستِغْرَاقِ في مشَاهَدَةِ التَّسلِيمِ، فهوَ الْتِفَاتٌ رُوحَانِيّ إلى دَوائِرِ الْبَشَرِيَّة مِنَ الاسْتِغْرَاقِ فِي الْحَضْرَة الْعَلِيَّةِ.

وأَمَّا حَدِيثُ النَّسَائِيّ وغَيْرِهِ: ((**إنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونَنِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**))[2] وَأَحَادِيثُ عَرْضِ المَلَكِ صَلَاةَ الْأُمَّةِ وسلَامَها عَلَيْهِ ﷺ فذَلِكَ مِنَ الغَائِبِ[3].

وأَمَّا الحَاضِر ففِيهِ حدِيثَانِ، الأَوَّلُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنهُ ﷺ: ((**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبلِغْتُهُ**)) رَواهُ جمَاعَة مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن. قال الْبَيْهَقِيّ: وهُوَ مُحَمَّد بنُ مَرْوَان السّدِّي[4] فيما أَرَى، وفِيه نَظَرٌ[5].

والثَّانِي: قِيلَ: وهُوَ أَضْعَفُ مِنَ الأَوَّل عن أَبِي هُرَيْرَةَ عنهُ ﷺ: ((**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي وَكَّلَ اللهُ تَعَالَى بِهَا مَلَكًا يُبَلِّغُنِي، وَكُفِيَ أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعًا بِهَا، وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[6].

وفي رِوَايَة: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكًا يُبَلِّغُنِي، وَكُفِيَ أَمْرَ آخِرَتِهِ**

---

(1) حياة الأنبياء، البيهقي، ص96.

(2) السنن الكبرَى، النَّسائي، حدِيث (9811).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص94.

(4) مُحَمَّد بن مَرْوَان الْكُوفِي يقال له: السُّدِّي الصّغِير، توفي ما بين 181-190هـ روَى عن الكلبِي تفسيرَهُ، قِيلَ: لَيْسَ بثقة. الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عديّ، 512/7 وسير أعلام النّبلاء، الذّهبِي، 265/5.

(5) حياة الأنبياءِ في قبورهم، البيهقي، ص104.

(6) تاريخ دمشق، ابن عساكر حدِيث (7130).

وَدُنْيَاهُ، وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وفِي "الْإِحْيَاءِ" لِلْغَزَّالِي حَدِيثُ: **((إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِهِ ﷺ مَلَكًا يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ))**[2] ثُمَّ قَالَ: هذَا فِي حَقِّ مَنْ لم يَحْضُرْ قبْرَهُ، فكَيْفَ مَن فارَقَ الوَطَنَ، وقَطَعَ الْبَوَادِي شَوْقًا إِلَيْهِ ﷺ[3].

وقَدْ صَحَّ عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **(([42ظ] مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ المؤْمِن، وفِي رِوَايَةٍ: بِقَبْرِ الرَّجُلِ، كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ))**[4].

وَذَكَرَ ابْنُ الدُّنيَا عَنهُ ﷺ: **((إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ))**[5].

وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ[6]: فَإِنَّهُ ﷺ يَعْلَمُ وُقُوفَكَ[7].

وذَكَرَ ابنُ تَيْمِيَّةَ وابْنُ عَبْدِ الْهَادِي[8] إِنَّ الشُّهَدَاءَ بَل كُلَّ المؤْمِنِينَ إِذَا زَارَهُم المسْلِمُ وسَلَّمَ علَيْهِمْ عَرفوا بِهِ، ورَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ[9].

فَإِذَا كَانَ هذَا فِي حَقِّ آحَادِ المسْلِمِين فكَيْفَ بِسَيِّدِ المرْسَلِينَ ﷺ. فهُوَ ﷺ يَسْمَعُ مَنْ يُسَلِّمُ علَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، ويَرُدُّ عَلَيْهِ عَالما بحُضُورِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وكَفَى بِهَذَا فَضْلًا حَقِيقًا بِأَن يُنْفَقَ فِيهِ مُلْكُ الدُّنيَا حَتَّى يُتَوَصَّلَ إِلَيْهِ[10].

---

(1) شعب الإيمان، البيهقِي، حدِيث (3859).

(2) السنن الكبرى، النسائي، حدِيث (1206).

(3) إحياء علوم الدّين، أبو حامد الغزالي، 321/1.

(4) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 380/10.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص94.

(6) عبد الملك بن حبيب: فقيه الأندلس، ولد في حياة الإمام مالك، أخذ عن الغاز بن قيس، صنف كتاب الواضحة، وكتاب الجامع وكتاب فضائل الصحابة، ت: 238هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 103/12، معجم المؤلفين، رضا كحالة، 316/2.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95.

(8) ابن عبدالهادِي: شمس الدّين مُحَمَّد بن أحمد الْحَنْبَلِيّ سمع من ابن عبد الدائم وتفقه بابن مسلم، صنَّف في الردّ على السُّبْكِيّ فِي مَسْأَلَة الزِّيَارَة سَمَّاهُ الصَّارِم المنكِي، وَالمحَرر فِي اخْتِصَار الْالمام وَالْكَلَام على أَحَادِيث مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب. ت 744هـ. طبقات الحفاظ، السيوطِي، ص525.

(9) الصارم المنكِي، أحمد بن عبدالهادِي، ص227.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95.

وذَكَرَ البَارِزِي[1] فِي "تَوْثِيقِ تَحَرِّي الْإِيمَانِ"[2] عَنْ سُلَيْمانَ بنِ سَحِيم: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّومِ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَؤُلَاءِ الذِينَ يَأْتُونَكَ ويُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ، أَتَفْقَهُ سَلَامَهُمْ؟ قالَ: نعَمْ، وأَرُدُّ عَلَيْهِمْ[3].

وذَكَرَ ابنُ النَّجَّار عَنْ إِبْرَاهيمَ بنِ بَشَّار[4]: حَججْتُ في بَعْضِ السِّنِين فَجِئْتُ المدِينَةَ فَتَقَدَّمتُ إلى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُ مِنْ دَاخِلِ الحُجْرَةِ وعَلَيْكَ السَّلَامُ[5].

وذُكِرَ مثلُهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ العُبَّادِ الزَّاهِدِينَ، ولا شَكَّ في حَيَاتِهِ ﷺ بعدَ الموْتِ حَيَاةً أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الشُّهداءِ الذِينَ أَخْبَرَ اللهُ بِحَيَاتِهِم في كِتَابِهِ العَزِيزِ، وهُوَ ﷺ سَيِّدُ الشُّهدَاءِ وأَعْمَالُ الشُّهَدَاءِ في مِيزَانِهِ ﷺ[6].

وقَدْ قَال ﷺ كمَا رَوَاهُ المنْذِرِي[7]: ((**عِلْمِي بَعْدَ وَفَاتِي كَعِلْمِي فِي حَيَاتِي**))[8].

وذَكَر ابْنُ عَدِيّ فِي "كَامِلِهِ"، وأَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَس مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: ((**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ**، وَيُرْوَى: **وَيَحُجُّونَ، وَيَصُومُونَ**)) وَصَحَّحَهُ البَيْهَقِيُّ[9].

ورَوَى ابنُ أَبِي لَيْلَى[10]، قِيلَ: وهُوَ سَيِّئُ الْحِفْظِ، عنْ أَنَس عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُتْرَكُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَلَكِنَّهُمْ يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ**)) وقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: إِنْ صَحَّ فَالمرَادُ، وَاللهُ أَعْلَم، لا يُتْرَكُونَ لَا يُصَلُّون إِلَّا هَذَا المقْدَار، ثُمَّ يكُونُونَ يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَي اللهِ ﷻ[11].

---

(1) هبة الله بن عبد الرَّحِيم بن إِبْرَاهِيم، ابْن الْبَارِزِيّ، سمع من والده وأفتى ودرَّس وولِيَ قضاءَ حماه، ت:783هـ، مِن تصانِيفه: توثِيق عرى الإيمان، البستان في تفسير القرآن وغيرها. طبقات الشافعية، السبكِي، 387/10، والوافِي بالوفيات، 191/18.

(2) عنوان الكتاب كاملا: "توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن" لشرف الدين ابن البارزي ت:738هـ لخصه من "الشفاء" للقاضِي عياض في مجلد. كشف الظنون، حاجي خليفة، 503/1.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95 وفِيه "توثِيق عرى الإيمان" بدل "توثيق تحري الإيمان".

(4) في وفاء الوفا والدرة الثمينة: إبراهيم بن شيبان. والمعروف بالقِرْمِيسِينِي (قرميسين بلدة بجبال العراق)، شيخ الصوفية، كان في الشام، رَوَى عَنْهُ: الفَقِيْه أَبُو زَيْد المرْوَزِيُّ ت:337هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 392/15.

(5) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص224.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 95، وفِيه: في ميزاته بدل ميزانه.

(7) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الشامي الأصل، المصري، الشافعي محدث وفقيه، مشارك في القراءات واللغة والتاريخ، توفي سنة 656هـ، من مؤلفاته: شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، معجم الشيوخ، مختصر سنن أبي داود وسماه المجتبى. تارِيخ الإسلام، 826/14، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 171/2.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95.

(9) الكامل في الضعفاء، ابن عدِيّ: 173/3 ومسند أبي يعلَى، حدِيث (3425) وحياة الأنبياء، البيهقِي، ص74.

(10) ابن أَبِي لَيْلَى مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكوفِي الأَنْصَارِي ولد سنة نيّف وسبعين، أخذ عن أخيه عيسَى عن أبِيه، وعن الشعبِي، حدَّث عنه شعبة وسفيان بن عيينة. توفي سنة 148هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 310/6.

(11) حياة الأنبياء، البيهقِي، ص75.

ولِحَيَاةِ الأَنْبِيَاءِ بعْدَ مَوْتِهِم شَوَاهِدُ مِنَ الأَحَاديثِ الصَّحِيحةِ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: ((**مَرَرْتُ بِمُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**))[1].

وحَدِيثُ أَوْسِ بنِ أَوْس[2] عنهُ ﷺ: ((**أَفْضَلُ** [43و] **أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالُوا وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمَمْتَ، أَيْ: بَلِيتَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**)) ذَكَرَهُ ابنُ حبَّان والحاكِمُ وصحَّحهُ. وذَكَرَ البَيْهَقيُّ لَهُ شَوَاهِد[3].

ولِابْنِ مَاجَه بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْهُ ﷺ: ((**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الملَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الموْتِ؟ قَالَ: وَبَعْدَ الموْتِ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السَّلام، فَنَبِيءُ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ**))[4] ﷺ.

وذَكَرَ ابنُ عَسَاكِر عنْ عَمَّار بنِ يَاسِر عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَلَكًا مِنَ الملَائِكَةِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِذَا أَنَا مِتُّ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ صَلَاةً إِلَّا قَالَ يَا أَحْمَدُ فُلَان بنُ فُلَان يُصَلِّي عَلَيْكَ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، فَيُصَلِّي اللهُ عَلَيْهِ مَكَانَهَا عَشْرًا**))[5].

وفِي رِوَايَةٍ: ((**إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَلَكًا أَسْمَعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[6].

وذَكَرَ البَزَّارُ عن ابْنِ مَسْعُود عَنهُ ﷺ: ((**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي**)) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ**))[7].

وذَكَرَ أَبُو مَنْصُور البَغْدَادِيّ[8]: إنَّ المحقِّقِينَ على أَنَّ نَبِيئَنَا ﷺ حَيٌّ بعْدَ وفَاتِهِ، وأَنَّه ليُسَرُّ بِطَاعَةِ

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (164). حياة الأنبياء، البيهقي، ص78.

(2) أوس بن أوس الثَّقَفِي، له صحبة نزل الشَّام وسكن دمشق ومات بها. الإصابة، ابن حجر، 292/1.

(3) صحيح ابن حبان، حدِيث (910) والمستدرك، الحاكم، حدِيث (1029)، وحياة الأنبياء، البيهقِي، ص87.

(4) سنن ابن ماجة، حدِيث (1637).

(5) الصارم المنكِي، ابن عبد الهادِي، ص205. لم أجده في تاريخ دمشق ولا في مختصره.

(6) الصارم المنكِي، ابن عبد الهادِي، ص205، وفيهما: ((إن الله أعطى مَلَكاً أسْمَاءَ الْخَلَائِقِ)) وفي رواية: ((أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ...)).

(7) البحر الزخار، البزَّار حدِيث (1924).

(8) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، البغدادي، الشافعي (أبو منصور) فقيه وأديب، ولد ببغداد ونشأ بها، وسكن نيسابور وتوفي بأسفرايين سنة 429هـ. من مؤلفاته الكثيرة: الملل والنحل، كتاب التفسير، التكملة في الحساب، وله أشعار كثيرة. سير أعلام النبلاء، 572/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 201/2.

أُمَّتِهِ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ لا يَبْلَوْنَ، معَ أَنَّا نَعتَقِدُ ثُبُوتَ الإِدْرَاكاتِ كَالعِلْمِ والسَّماعِ لِسَائِرِ المَوْتَى ونَقْطَعُ بِعَوْدِ حيَاةِ كُلِّ مَيِّتٍ في قَبْرِهِ، ونَعِيمِ القَبْرِ وعَذَابِهِ، وذلكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ المشْرُوطَةِ بالْحَيَاةِ إِلَّا أَنَّهُ لا يَتَوَقَّفُ على البِنْيَةِ، وأَمَّا أَدِلَّةُ الْحَيَاةِ في الْأَنْبِيَاءِ فمُقْتَضَاهَا أَنَّها مَعَ الْبِنْيَةِ مع قُوَّةِ الصُّعُود في العَالم والاسْتِغْنَاءِ عنِ العَوَائِدِ الدُّنيَوِيَّة[1].

وذَكَرَ صاحِبُ "الدُّرِّ المنَظَّم"[2]: أَنَّهُ ﷺ لمّا ماتَ تُرِكَ في أُمَّتِهِ رَحْمَةً لهُم، فإنَّهُ سَأَلَ اللهَ ﷻ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ أُمَّتِهِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وحَدِيثُ: ((**أَنَا أَكْرَمُ عَلَى رَبِّي أَنْ يَتْرُكَنِي** [43ظ] **فِي قَبْرِي بَعْدَ ثَلَاثٍ**))[3] لَا أَصْلَ لَهُ[4].

قالَ المنْهَالُ بنُ عَمْرو[5]: كُنْتُ أنَا وسَعِيد بنُ المسَيِّبِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ أُمِّ سَلَمَة، فجَعَلَ النَّاسُ يدْخُلُون بَيْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ سَعِيد: أَتَرَى هؤُلَاءِ مَا أَحْمَقَهُم إِنَّهُم يَرَوْنَ أَنَّهُ في بَيْتِهِ، قلْتُ: أَجَلْ قالَ: إِنَّهُ لَا يَبْقَى نَبِيءٌ مِن أُولِي الْعَزْمِ فَوْقَ أَرْبَعِين لَيْلَةً حَتَّى يُرْفَعَ، وَإِنَّهُ ليسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وتُعْرَضُ عليه أُمَّتُهُ طَرَفَيِ النَّهارِ فيَعْرِفُهُم بأَسمَائِهِم ونَسَبِهِم، وبِذَلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ[6].

ورَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاق بِلَفْظِ: إِنَّ سَعيدَ بنَ المسَيِّبِ رَأَى قَوْمًا يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ، فَقَالَ: ((**مَا مَكَثَ نَبِيءٌ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**))[7].

ثُمَّ عَقَّبَه بِحَدِيثِ: ((**مَرَرْتُ بِمُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**))[8].

وقَدْ قَالَ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ حِينَ قِيلَ لَهُ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وقَدْ أَرَمْتَ؟**))[9].

وابنُ المسَيِّبِ لم يُنْكِر التَّسْليمَ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ صَحَّ مَا قَالُوهُ فَالْقَبْرُ الشَّرِيف بِهِ علَاقةٌ والْتِفَاتٌ رُوحَانِيّ مَعَ أَنَّا قَطَعْنَا بِوَضْعِهِ فِيهِ، فَنَسْتَصْحِبُه حَتَّى يَقُومَ قَاطِعٌ عَلَى خِلَافِهِ[10].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97.

(2) الدر المنظَّم في مولد النَّبِيّ المعظَّم لأبِي العباس أحمد بن محمد اللَّخمِي ت:633هـ. لم أقفْ عليهِ.

(3) ينظر: اللآلئ المصنوعة، السيوطِي، 261/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97.

(5) المنهال بن عمرو: الكُوْفِيُّ يَرْوِي عَنْ: أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي لَيْلَى، وَسَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، رَوَى عَنْهُ: حَجَّاجُ بنُ أَرْطَاةَ، وَزَيْدُ بنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، وَمَنْصُوْرٌ، وَشُعْبَةُ، وَالمسْعُوْدِيّ، وَسَوَّارُ بنُ مُصْعَبٍ، وَطَائِفَةٌ كَبِيْرَةٌ، وَثَّقَهُ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَغَيْرُهُ، توفي سنة بضع عشرة ومئة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 184/5.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97.

(7) مصنف عبد الرزاق، حدِيث (6725).

(8) (م، س) (6727). صحيح مسلم، حدِيث (164). حياة الأنبياء، البيهقِي، ص78.

(9) سبَقَ تخريجه، صحيح ابن حبان، حدِيث (910) والمستدرك، الحاكم، حدِيث (1029). وفي كل هذه المصادِرِ:((وقد أرمت)).

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97-98.

وتَقَدَّمَ سَماعُ سَعِيدِ بنِ المسَيّب الأَذَانَ والْإِقَامَةَ مِنَ القَبْرِ أَيَّامَ الْحَرَّةِ، وقَالَ عُثْمان أَيَّامَ حِصَارِهِ: لَنْ أُفَارِقَ دَارَ هِجْرَتِي، وَمُجَاوَرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيهَا[1].

وذَكَرَ ابنُ عَسَاكِر عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: ((أَنَّ بِلَالا ﷺ نزَلَ بِدَارِيَّا[2] حِينَ فَتَح عُمَر بيتَ المقْدِسِ ورَأَى النَّبِيءَ ﷺ في النَّوْمِ يقُولُ لَهُ: ما هَذِهِ الجَفْوَةُ يا بِلَال، أمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَني؟ فانْتَبَهَ حَزِينًا خَائِفًا، فرَكِبَ راحِلَتَهُ وقَصَدَ المدِينَةَ فأَتَى قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فجَعَلَ يَبْكِي عِنْدَهُ وَيُمَرّغُ وَجْهَهُ علَيْهِ فأَقْبَلَ الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ فجَعَلَ يضُمُّهُما ويقبّلُهُما، فقالَا: نَشْتَهِي أن نَسْمَعَ أَذَانَكَ الذِي كنْتَ تُؤَذِّنُ بِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ في المسْجِدِ، فَعَلَا سطْحَ المسْجِدِ ووَقَفَ موْقِفَهُ الذِي كَانَ يقِفُ فيهِ، فلَمَّا أَنْ قَالَ اللهُ أَكْبَرُ، ارتَجَّت المدِينَةُ، فلَمَّا أَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ازْدَادَتْ رَجَّتُهَا، فَلَمَّا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ خَرَجَتِ الْعَوَاتِقُ مِنْ خُدُورِهِنَّ، وَقَالَ النَّاسُ أَبُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَمَا رَأَوْا يَوْمًا أَكْثَرَ بَاكِيًا وَلَا بَاكِيَةً بِالمدِينَةِ بَعْد رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ[3])).

[44و] وَقَالَ عبْدُ الْغَنِي[4]: إِنَّ بِلَالًا لم يُؤَذِّنْ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِ النَّبِيءِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً فِي قَدْمَةٍ قَدِمَهَا المدينةَ لِلزِّيَارةِ، طلَبَ إِلَيْهِ الصَّحَابةُ ذلكَ فَأَذَّنَ، ولَمْ يُتِمَّ الْأَذَانَ، وَقِيل: أَذَّنَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي خِلَافَتِهِ، ولَيْسَ الاعْتِمَادُ فِي السَّفَرِ لِلزِّيَارَةِ عَلَى مُجَرَّدِ مَنَامِهِ بَلْ عَلَى فِعْلِهِ بل رُؤْيَاهُ رُؤْيَا حَقٍّ؛ لِأَنَّهُ صَحَابِيٌّ رَآهُ ﷺ علَى صورَتِه التِي شاهَدَهُ علَيْهَا فِي حيَاتِهِ ﷺ والصَّحَابَةُ مُتَوَفِّرُون، ولم تَخْفَ عليْهِم الْقِصَّةُ والمنَامُ مُؤَكِّدٌ لِذَلكَ[5].

وقَد استَفَاضَ عنْ عُمَر بنِ عَبْدِ العَزِيزِ: يَسِيرُ البَرِيدُ مِنَ الشَّامِ يقُولُ: سَلِّمْ لِي علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[6].

وصَحَّ أَنَّ ابنَ عُمَر كانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَتَى قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: السَّلَامُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، السَّلامُ عليْكَ يَا أبا بَكْرٍ، السَّلَامُ علَيْكَ يَا أَبَاهُ[7].

وقالَ مَالِك في "الموَطَّأ": إِنَّ ابنَ عمر كان يَقِفُ على قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فيُصَلِّي عَلَى النَّبِيءِ ﷺ

---

(1) (م، س)، ص98.

(2) دَارِيَّا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، والنسبة إليها داراني على غير قياس، وبها قبر أبي سليمان الداراني. معجم البلدان، ياقوت الحموِي، 431/2.

(3) تاريخ دِمَشق، ابن عساكر، 135/7.

(4) الحافظ عبد الغني بن عبد الواحِد: المقدِسِي ثمّ الدِّمشقِي الحنبلِي، ولد سنة 541هـ وسمع ابن البطِي وأبا موسَى والسِّلفِي، من تصانيفه: المصباح ونهاية المراد، وغير ذلك، ت: 600هـ. طبقات الحفاظ، السيوطِي ص487.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص98.

(6) (م،س)، ص99.

(7) (م، س)، ص99.

وعَلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَر[1]. ومِن هَذَا ونَحْوِه أَجَازَ مَالِكٌ الصَّلاةَ علَى غَيْرِ النَّبِيءِ ﷺ بالعَطْفِ علَيْهِ. ولَكِنْ عنْدَ ابنِ القَاسِمِ[2] صَاحِبِ مالِك والْقَعْنَبِي[3]: ويَدْعُو لِأَبي بَكْرٍ وعُمَر[4].

فقَدْ أَوَّلَ ما رَوَاهُ مالِك بالصَّلاةِ بمَعْنَى الدُّعاءِ مُطْلَقًا بالْخَيْرِ، فلَا يكُونُ حُجَّةً في جَوَازِ قَوْلِكَ اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد وفُلَانٍ، وأَمَّا: وعَلَى آلهِ وصَحْبِهِ أو بِدونِ ذِكْر "عَلَى" فَجائِزٌ قَطْعًا.

وعن ابْنِ عَوْن[5]: سَأَلَ رَجُلٌ نافِعا هلْ كانَ ابنُ عُمَر يُسلِّمُ على القَبْرِ؟ قال: نَعَمْ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ مِئَةَ مرَّةٍ، أو أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ، كان يَأْتِي الْقَبْرَ فيقُومُ عندَهُ فيقولُ: السَّلامُ علَى النَّبِيءِ، السَّلامُ على أَبِي بَكْرٍ، السَّلَامُ على أَبِي[6].

ورَوَى أبُو حَنِيفةَ عن ابْنِ عُمَر أنَّ السُّنَّةَ أَنْ يَأْتِيَ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ مِن قِبَلِ القِبْلَةِ[7].

ورَوَى أَحْمَدُ وغَيْرُهُ أَنَّ مَرْوَانَ وَجَدَ أبَا أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ واضِعًا وجْهَهُ على الْقَبْرِ[8].

وفي "الشِّفاءِ" قالَ بَعْضٌ: رأَيْتُ أَنَسَ بنَ مَالِك أَتَى قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فوَقَفَ ورَفعَ يدَيْهِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ افْتَ[تَ]حَ الصَّلاةَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ[9].

وذَكَرَ الْبَزَّارُ: أَنَّهُ خَرَجَ عُمَر إلى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فإِذَا مُعَاذُ بنُ جَبَل قَائِمٌ يبْكِي [44ظ] عِنْدَ قَبْرِ رسُولِ اللهِ ﷺ، فقَالَ: ما يُبْكِيكَ يا معاذُ؟ الحديث[10].

وأَخْرَجَ أبو ذَرّ الْهرَوِيّ عن بعْضٍ: أَنَّهُ قالَ رأَيْتُ جعفَر بنَ مُحَمَّد؛ أَيْ: الصَّادِق بن البَاقِر جَاءَ فسَلَّمَ علَى رسُولِ اللهِ ﷺ ثمَّ انْثَنَى فسَلَّمَ علَى أبِي بكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ فرَآنِي كَأَنِّي تَعَجَّبْتُ، أَوْ قال: فَسَرَّنِي؛ أيْ: لِإِكْذابِه بِذَلِكَ ما تَزْعُمُهُ الشِّيعَةُ مِنْ بُغضِهِ للشَّيْخَيْن، فقَالَ لِي: واللهِ إنَّ هَذَا الذِي أَدِينُ بِهِ اللهَ،

---

(1) الموطَّأ، مالك بن أنَس حدِيث (397).

(2) عبد الرَّحمن ابن القاسِم العُتَقِي: ولد سنة 132هـ روَى عن مالِك واللَّيث، روَى عنه سحنون وعيسَى بن دينار، توُفِّيَ بمصر سنة 191هـ وقيل غير ذلك. الديباج، ابن فرحون، 465/1.

(3) القعنبِي: عبد الله بن مسلمة بن قعنب التميمي، أصله مدني وسكن البصرة، معدود في الفقهاء من أصحاب مالك روى عنه وعن ابن أبي ذئب وأبيه وشعبة، رَوَى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، توفي سنة: 221هـ. الديباج، ابن فرحون، 412/1.

(4) شفاء السقام، السبكي، ص219.

(5) عَبْدُ اللهِ بنُ عَوْنِ بن أَرْطَبَانَ المزَنِيُّ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، عَالِم البَصْرَة، البَصْرِيُّ، الحَافِظُ، حَدَّثَ عَنْ: أَبِي وَائِلٍ، وَالشَّعْبِيّ، وَالحَسَن، وَابْنِ سِيْرِيْنَ، وغيرهمَا، رَوَى عَنْهُ: سُفْيَانُ، وَشُعْبَة، وَابْنُ المبَارَك، وَمُعَاذُ بنُ مُعَاذ، توفي سنة:151هـ. سير أعلما النبلاء، الذهبِي، 346/6.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص99.

(7) (م، س)، ص99.

(8) (م، س)، ص99.

(9) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ص445.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100. لم أقفْ عليهِ فِي مسند البزّار ولا فِي كشف الأستار للهيثمِي.

وإنَّهُ ما يَسُرُّني أن أقولَ لمعاوِيةَ أَخْزَاهُ اللهُ أو فَعَلَ اللهُ بِهِ، وأَنَّ لِي الدُّنيَا[1].

وأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي: عن عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر أَنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِب دخَلَ المسْجِدَ فبكَى حِينَ نظَرَ إلى بَيْتِ فاطِمةَ فأطَالَ البُكَاءَ ثُمَّ انصَرَفَ إلى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فبَكَى فأطالَ البُكاءَ عندَهُ، ثُمَّ قالَ: وعَلَيْكُم السَّلامُ يا إِخْوَانِي ورَحْمَةُ اللهِ وبركاتُهُ، قد كُنْتُمَا خرَجْتُما مِنَ الدُّنيا خَمِيصَيْنِ[2]، يعْنِي أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ[3].

وذَكَرَ ابنُ عَبْدِ البَرّ[4] والْبَلَاذُرِي[5] وغيْرُهُما: أنَّ زيادَ بنَ أبيه أَرَادَ الحَجَّ فأَتَاهُ أَبُو بَكْرَة وهُوَ لَا يُكَلِّمُهُ فأَخَذَ ابنَهُ لِيُخَاطِبَهُ ويُسْمِعَهُ زيَاد[6]، فقَالَ: إِنَّ أَبَاكَ فَعَلَ وفَعَلَ، وإِنَّهُ يرِيدُ الْحَجَّ وأُمُّ حَبِيبَة هُناكَ فَإِنْ أَذِنَتْ لَهُ فأَعْظِمْ بها مُصِيبَةً وخِيانَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وإِنْ حَجَبَتْهُ فأَعْظِمْ بِهَا حُجَّةً علَيهِ، قال البَلَاذُرِي: فتَرَكَ الحَجَّ تلْكَ السَّنةَ[7]. فلَوْلَا أَنَّ إِتْيَانَ المدِينةِ والزِّيَارَة لِلْحَجّ[8] عِندَهُم مِمَّا لا يُتْرَكُ ما قَالَ أَبُو بَكْرَةَ ذلِكَ، مَعَ تَمَكُّنِ زِيَادٍ مِنَ الْحَجّ على غَيْرِ طَرِيقِ المدِينَةِ فَإِنَّه كانَ بالعِرَاقِ ومَكَّةُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ[9].

وفي "الشِّفاءِ": قالَ إِسْحَاقُ بنُ إِبْراهِيمَ الفَقِيهُ[10]: ومِمَّا لم يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ المرُورُ بِالمدِينةِ والقَصْدُ إِلَى الصَّلاةِ في مَسْجدِ رسُولِ اللهِ ﷺ والتَّبرُّكُ برُؤْيةِ روْضَتِهِ وقَبْرِهِ ومَجْلِسِهِ ومَلَامِسِ يدَيْهِ، ومَوَاطِئِ قَدَمَيْهِ، وَالعَمُودِ الذِي يستَنِدُ إِلَيْهِ وينْزِلُ جبْرِيلُ بالوَحْيِ فِيهِ علَيْهِ، ومَنْ عَمَرَهُ[11] وقَصَدَهُ مِنَ الصَّحَابة وأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ والْاعْتِبَارُ بذَلِكَ كُلِّهِ[12].

واخْتَلَفَ السَّلَفُ أَالْأَفضَلُ لِلْحَاجّ البَدْأُ بَمكَّةَ؟ وهُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ تارِكَ الْحَجّ كَافِرٌ، أَمْ بالمدِينَةِ؟

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100، وذكر أنه في السنن لأبِي ذر الهروِي. وينظر كذلك: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، 1530/8.

(2) فلان خَمِيصُ البطنِ عن أَموال الناس أَي عَفِيفٌ عنها. لسان العرب (خمص).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100، وذكر أنه في الفضائِل للدارقطنِي.

(4) يوسف بن عمر بن عبد البر النَّمَرِي: من أهل قرطبة طلب وتَفَقَّهَ بها، ولد سنة 368هـ، من تصانيفه: التمهيد لما في الموطَّأ من المعانِي والأسانِيد، توفِّيَ بشاطبة سنة 463هـ. الديباج، ابن فرحون، 367/2.

(5) البَلاذُرِي: أحمد بن يحيى بن جابر، أديب، شاعر، مؤرخ، من أهل بغداد، سمع بدمشق، وبأنطاكية، وكان أحد النقلة من الفارسية إلى العربية، من كتبه: كتاب البلدان الصغير، جمل من أنساب الأشراف وأخبارهم وفتوح البلدان، توفي سنة 279هـ. معجم الأدباء، الحموِي، 530/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 322/1.

(6) أي: ويسمع أباه زيادا.

(7) جمل من أنساب الأشراف، البلاذري، 200/5 والاستيعاب، ابن عبدالبر، 526/2، والصارم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص248.

(8) فِي خلاصة الوفا: للحاجّ، وهو أصوب.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100.

(10) إسحاق بن إبراهيم: التُّجِيبِيُّ، نزيل قرطبَة، فقيه، كان يتَّجِرُ بها في الكتَّان، روَى عن محمَّد بن لبابة، صنَّفَ كتاب النَّصائِح، ت:352هـ. الديباج، ابن فرحون، 296/1 وسير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 80/16.

(11) في خلاصة الوفا: عمده.

(12) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ص445.

واخْتَارَهُ علْقَمَةُ[1] والأَسْوَدُ[2] وعمْرُو بنُ مَيْمُونَ[3] مِنَ التَّابعِينَ لِإِيثَارِ الزِّيارَةِ أَوَّلًا[4]، ولَعَلَّهُ إنْ كَانَتْ علَى الطَّرِيقِ بُدِئَ بها، وإِلَّا فَبِمَكَّةَ.

وفي "فتَاوِي أَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِي"[5]: رَوَى الحَسَنُ بنُ زِيَاد[6] عن أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الأَحْسَنَ لِلْحَاجِّ أن يَبْدَأَ بمكَّةَ، فإِذَا قَضَى نُسُكَهُ مَرَّ بِالمدِينَةِ، وإِنْ بَدَأَ بها جَازَ[7] ا هـ.

وكانَ نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يبْدَأُونَ بالمدِينَةِ إِذَا حَجُّوا، يقُولُونَ نبْدَأُ مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رسُولُ اللهِ ﷺ، وعَنْ عَلْقَمَةَ والأَسْوَد وعَمْرُو بن مَيْمُون أَنَّهُمْ بَدَؤُوا بِالمدِينَةِ[8].

وعَنِ الْعَبْدِي[9] مِنَ المالِكِيَّة: المشْيُ إِلَى المدِينَةِ لِزِيارَةِ قَبْرِهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الكَعْبَة، ومَنْ نَذَرَ [45و] زِيَارَةَ قَبْرِهِ ﷺ لَزِمَه الوَفَاءُ قَوْلًا واحِدًا[10].

وفي وُجُوبِ الوَفَاءِ في زِيَارَةِ غَيْرِهِ وَجْهَانِ، ويَكْتَفِي بزِيَارَتِهِ مَنْ نذَرَ إِتْيَانَ مسْجِدِهِ، كَمَا قَالَ بَعْضٌ، تفْرِيعًا علَى القَوْلِ بلُزُومِ الْإِتْيَانِ كَمَا فِي الْبُوَيْطِي[11][12].ثُمَّ إِنَّ زائِرَهُ ﷺ يأْتِي قَرِيبًا مِنْ قَبْرِهِ ﷺ فَيَقُومُ بيْنَ يَدَيْ القَبْرِ والقِبْلَةِ.

وذَكَرَ عِيَاض: أَنَّ زِيَارَةَ قبْرِهِ ﷺ سُنَّةٌ مُجمَعٌ عَلَيْها وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا[13]. والمعْنَى أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِها، وكَذَا هِيَ سُنَّةٌ بَيْن المسْلِمِينَ، وأَوْضَحَ السُّبْكِيّ أَمْرَ الْإِجْمَاعِ علَى الزِّيَارَةِ قَوْلًا وفِعْلًا[14].

---

(1) علقمة بن قَيْس: الإمام الحافِظ، فقيه الكوفة وعالمها، ولد في حياة رسول الله ﷺ، حدَّثَ عن عمر وعليّ وعثمان، ولزم ابن مسعود، ت:61هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 53/4.

(2) الأَسْوَدُ بن يزِيد بن قَيْس: النَّخَعِي الكوفِيّ، أدرك الجاهلِيَّة والإسلامَ، حدَّث عن معاذ وبلال وابن مسعود، وحدَّثَ عنه ابنه عبد الرحمن وإبراهيم النخعِي. ت:75هـ وقيل غير ذلك. (م، س)، 50/4.

(3) عمرو بن ميمون: أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ، وَأَسْلَمَ فِي الأَيَّامِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَدِمَ الشَّامَ، ثُمَّ سَكَنَ الكُوفَةَ، حَدَّثَ عَنْ: عُمَر، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُوْدٍ، وَمُعَاذٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ، وَطَائِفَةٍ، ورَوَى عَنْهُ: الشَّعْبِيُّ وغيرهُ، ت:74هـ وقيل غير ذلك. (م، س)، 158/4.

(4) المصنف، ابن أبي شيبة، حديث (12893).

(5) أَبُو اللَّيْث نصر بن محمد السمرقندي: الفقيه، المحَدِّث، الحنَفِي، من كتبه: تنبيه الغافلين، وكتاب الفتاوى، ت: 375هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 322/16.

(6) الحَسَن بن زياد: أبو علي اللؤلُؤي أحد أصحاب أبي حنيفة، وهو كوفِيّ نزل بغدادَ، ت:204هـ. تاريخ بغداد، البغدادِي، 275/8.

(7) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص205, ولم أجده في المطبوع من فتاوى النوازل لأبي اللَّيث السمرقندِي.

(8) الصارم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص249.

(9) العبدِي: أحمد بن المعدّل البصرِي، تفقَّهَ بعبد الملك بن الماجشون ومحمد بن مسلمة، كان من بحور الفقه صاحب تصانيفَ وفصاحة وبيان. سير أعلام النبلاء، الذَّهَبِي، 520/11، والديباج، ابن فرحون، 141/1.

(10) الصَّارِم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص251.

(11) البوَيْطِي: يوسف بن يحيَى المصرِي الفقِيه، من أصحاب الشَّافِعِي، مات ببغداد في السجن سنة 231هـ وقيل غير ذلك. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 71/1.

(12) إعلام الساجد، الزركشِي، ص268.

(13) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ص444.

(14) شفاء السَّقام، تقي الدين السبكي، ص202 وما بعدها.

وجاءَت السُّنَّةُ بزِيَارَةِ القُبُورِ، وقَبْرُهُ ﷺ سَيِّدُ القُبُورِ. وكَمَا يَزُورُ ﷺ أَهْلَ الْبَقِيعِ وقُبورَ الشُّهدَاءِ، وقَبْرُهُ أَوْلَى لما لَهُ مِنَ الحقِّ ووُجوبِ التَّعظِيمِ، ولِتَنَالَنَا الرَّحمَةُ بصَلَاتِنا وسَلَامِنا عَلَيْهِ عندَ قَبْرِهِ بحَضْرَةِ الملَائكَةِ الحَافِّين بِهِ. وفِيهِ التَّبَرُّكُ بذَلِكَ وتأْدِيَةُ الْحَقِّ، ويُذَكِّرُ الآخِرَةَ كمَا في زِيَارَةِ غَيْرِهِ بالإجْمَاعِ لما سَبَقَ، ولِإجْماَعِ العُلَمَاءِ علَى زِيَارَةِ القُبُورِ لِلرِّجالِ كَمَا حَكَاهُ النَّوَوِي[1]، بَلْ قالَ بعْضُ الظَّاهِرِيَّة[2] بوُجُوبِها، واخْتَلَفوا فِي النِّسَاءِ. وامْتَازَ القَبْرُ النَّبَوِيُّ بالأَدِلَّةِ الخَاصَّةِ فَيُسْتَثْنَى مِنْ مَحَلِّ الخِلَافِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النِّسَاءِ[3].

وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَلَوَ انَّهُمُ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[4] الآيَة يَشْمَل مَجِيئَهُ مَيِّتًا واستِغْفارهُم عِنْدَهُ، واستِغْفَارهُ لِلْجَائِينَ، ولَيْسَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ؛ فإذا وُجِدَ المجِيءُ واستِغْفَارُ الْجَائِي تَكَمَّلَت الْأُمُورُ الموجِبَةُ لِتَوْبَةِ اللهِ ورَحْمَتِهِ[5].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾[6] لا يَقْتَضِي تَأَخُّرَ استِغْفَارِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ لَا تُرَتِّبُ، والعَطْفُ علَى "جَاءُوكَ"، فلَا يقْتَضِي كَوْنَ استِغْفَارِهِ بَعْدَ استِغْفَارِهِم، بَلْ نَقُولُ أَيْضًا إِنَّهُ يسْتَغْفِرُ لَهُم بَعْدَ الموْتِ؛ لِأَنَّهُ حَيٌّ واسْتِغْفَارُهُ لِأُمَّتِهِ عنْدَ عرْضِ أعْمَالِهِم، فَهُوَ مُتَوَقَّعٌ كمَا في الْحَيَاةِ، ويُعْلَمُ مِنْ كَمَالِ رحْمَتِهِ أَنَّه لَا يَتْرُكُ ذَلِكَ لمنْ جَاءَهُ. وفَهِمَ الْعُلمَاءُ مِنَ الآيَةِ العُمُومَ فاسْتَحَبُّوا لمَن أَتَى القَبْرَ أَنْ يَتْلُوَها ويَسْتَغْفِرَ اللهَ تَعَالَى[7].

وذَكَرَ ابنُ عَساكِر[8] وابنُ الجَوْزِيّ[9] وابنُ النَّجَّارِ[10] بسَنَدِهِم إِلَى محمَّد بنِ حَرْبٍ الْهِلَالِيِّ[11] قَالَ: أَتَيْتُ قَبْرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فزُرتُهُ وجَلَسْتُ حذَاءَهُ[12] فجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فذَكَرَ ما ذَكَرَ أَبُو سَعِيد

(1) المجموع شرح المهذب، النووِي، 310/5.
(2) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص236.
(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص101.
(4) سورة النساء: 64.
(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص102، بتصرف، وفِيه: الجانين بدل الجائِين.
(6) سورة النساء: 64.
(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص102، بتصرُّف.
(8) إتحاف الزائر، ابن عساكِر، ص55.
(9) مثير العزم الساكن، ابن الجوزِي، 301/2.
(10) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص224.
(11) محمَّد بنِ حَرْبٍ الْهِلَالِيّ: لم أقف على ترجمة له.
(12) حِذاءَه: بجنبه.

السَّمْعَانِيّ[1] عن عَلِيٍّ إِذْ قَالَ: قَدِمَ علَيْنا أَعْرَابِيٌّ بعدَمَا دَفَنَّا رَسولَ اللهِ ﷺ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَرَمَى بِنَفْسِهِ علَى قَبْرِهِ وحَثَا مِنْ تُرَابِهِ على رَأْسِهِ، وقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْتَ فَسَمِعْنا قوْلَكَ، ووَعَيْتَ عَنِ اللهِ سبْحَانَهُ ومَا وَعَيْنا عَنْكَ، وكَانَ فِيمَا أُنْزِلَ ﴿**وَلَوَ اَنَّهُمۡ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ**﴾[2] الآية، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ تَسْتغْفِرُ لِي، فنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَكَ[3]. بل [45ظ] يُستَدَلُّ بِالآيَةِ وبِمَا سَبَقَ على مشْرُوعِيَّة السَّفَرِ للزِّيَارَةِ[4].

وَجاءَ الأَثَرُ عنهُ ﷺ: ((**لَا يُشَدُّ الرَّحْلُ إِلَى مَسْجِدٍ إِلَّا بَيْت اللهِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِد المدِينَةِ وَبَيْت المقْدِسِ**))[5] وقَدْ ثَبتَ أَنَّ الزِّيارَةَ قُرْبَةٌ. وشَدُّ الرَّحْلِ والزِّيَارَةُ يشْمُلَانِ مَنْ بَعُدَ ومَنْ قَرُبَ وقَد ثَبتَ خرُوجُهُ ﷺ مِنَ المدِينةِ لِزِيارَةِ الشُّهَدَاءِ.

ورَوَى أحمَدُ وابْنُ شَبَّةَ عن أَبِي سعِيد الْخُدرِيّ عنْهُ ﷺ: ((**لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهَا إِلَى مَسْجِدٍ تُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاة غَير المسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالمسْجِدِ الْأَقْصَى**))[6]. فَقِيلَ: يَحْرُمُ شَدُّ الرِّحالِ لِبقيَّةِ المساجِدِ، وقِيلَ: لَا، وَإِنَّما أَبَانَ ﷺ أَنَّ القُرْبَةَ المقْصودةَ فيها دُونَ غَيْرِهَا[7].

قُلْتُ: لا خِلَافَ في كَوْنِ شَدِّها لصَلَاةِ الْجُمُعَةِ طَاعَةٌ في مَسْجِدٍ أَيِّ مَسْجِدٍ أَوْ في غَيْرِهَا.

ونَقَلَ عِيَاض أَنَّ مَنْعَ إعمَالِ المطِيِّ في غَيْرِ الثَّلَاثَةِ لِلْقادِرِ عَلَى أَحَدِ الثَّلَاثَةِ[8]، وتَعْظِيمَ قَبْرِهِ ﷺ لِحُلولِهِ فيهِ[9].

وعَنهُ ﷺ: ((**خَيْرُ مَا ركِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ**))[10] وعنه ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المسَاجِدِ، إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ فإِنّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّ مَسْجِدِي آخِرُ المسَاجِدِ**))[11] أيْ: آخِرُ مسَاجِدِ الْأَنْبِيَاءِ.

---

(1) عبد الكريم بن محمد بن المنصور، المروزي، الشافعي، محدث، مؤرخ، مفسر، ولد بمرو ورحل إلى بغداد ودمشق، ت:562هـ، من تصانيفه الكثيرة: الأنساب، تاريخ مرو في عشرين مجلدا، طراز الذهب في أدب الطالب،. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، 185/7، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 211/2.

(2) سورة النساء: 64.

(3) مثِير العزم السَّاكن، ابن الجوزِي، 301/2، الدرة الثمينة، ابن النجار، ص159، إتحاف الزائر، أبو اليمن ابن عساكر، ص53.

(4) القصة نقلها المؤلف من خلاصة الوفا، السمهودِي، ص102.

(5) ورد بمعناه: صحيح البخارِي، حدِيث (1189).

(6) مسند أحمد، حدِيث (11609).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص103.

(8) إكمال المعلم، القاضِي عياض، 449/4، وفيه: يمنَعُ إعمالُ المطِيّ للنَّاذِرِ.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص103.

(10) مسند أحمد، حدِيث (80).

(11) صحيح مسلم، حدِيث (507).

ورَوَى عبْدُ الرَّزَّاق: أَنَّ الحَسَنَ بنَ الحَسَنِ[1] رَأَى قَوْمًا عِندَ القَبْرِ فنَهَاهُمْ، وقَالَ إِنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ: ((**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**))[2] والمرَادُ النَّهْيُ عن الْغُلوِّ ومَا يُؤَدِّي إلى فَسَادِ العَقِيدَةِ.

أو الاحْتِفَال لَهُ كَالْعِيدِ أَو التَّقْلِيل، نَهَاهُمْ عَن التّقيُّد[3].

وعَن سَهْل بنِ أَبِي سَهْل[4]: ((**جِئْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وَحَسَن بنُ حَسَنٍ يَتَعَشَّى فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى الْعَشَاءِ، فَقُلتُ: لَا أُرِيدُهُ، فَقَالَ: مَا لِي رَأَيْتُكَ وَقَفْتَ؟ قُلْتُ: وَقَفْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ فَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**))[5].

وذَكَرَ أَبو يَعْلَى عَنْ عَلِيّ بنِ الحُسَيْن: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فيَدْخُلُ فِيهَا ويَدْعُو فَنَهَاهُ، فقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ فسَلِّمْ[6].

وكَانَ رَجُلٌ يأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ فيَزُورُ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ ويُصَلِّي عَلَيْهِ فانْتَهَرَ[7] عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ فقَالَ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ فقَالَ: أُحِبُّ التَّسْلِيمَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ، فقَالَ: إِذَا جِئْتَ فسَلِّمْ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ[8].

فالنَّهيُ لِلزِّيادَةِ عَلَى الْحَدِّ، وقَدْ كَرِهَ مَالِكٌ الْإِكْثَارَ مِنَ الْوُقوفِ بِالْقَبْرِ؛ وكَرَاهَةُ ذلِكَ لمن لم يَقْدُمْ مِنْ سَفَرٍ، أَوْ لمنْ يُبَالِغُ فِي الدُّنُوِّ مِنَ الْقَبْرِ بِالدُّخُولِ فِي تِلْكَ الْفُرْجَةِ، فَأَرَادَ إِعْلَامَهُ أَنَّ السَّلَامَ يَبْلُغُ مَعَ الْغَيْبَةِ، وَلِأَنَّهُ يَرَاهُ يَتَكَلَّفُ الْإِكْثَارَ مِنَ الحُضُورِ. وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ؛ لِقَوْلِهِ: إِذَا دَخَلْتَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ[9] [46و] أَيْ: اقْتَصِرْ علَى السَّلَامِ، أَوْ إِذَا اتَّفَقَ المجِيءُ فَسَلِّمْ، ولَا تَتَكَلَّف المجِيءَ. واللهُ أَعْلَمُ.

وَرَوَى يَحْيَى بنُ الْحَسَنِ[10]: أَنَّ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ[11] كَانَ إِذَا جَاءَ يُسَلِّم عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وَقَفَ

---

(1) الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبِي طالب.

(2) مصنف عبدالرزاق، حدِيث (6726).

(3) العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(4) في خلاصة الوفا: عن سهل بن أبِي سهيل. وفي فضل الصلاة على النبي للقاضِي إسماعيل الذي نقل منه السمهودِي: عن سهيل. والحدِيث في اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية نقله من سنن سعيد بن منصور عن سهيل بن أبِي سهيل، 302/1.

(5) فضل الصلاة على النبي ﷺ، القاضي إسماعيل الجهضمي، ص40.

(6) مسند أبي يعلى، حدِيث (469).

(7) في خلاصة الوفا: ما أنهره، وفي فضل الصلاة على النبي: "مَا اشْتَهَرَهُ عَلَيْهِ".

(8) فضل الصلاة على النبي ﷺ، القاضي إسماعيل الجهضمي، ص35.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص104.

(10) يَحْيَى بن الحسَن بن جعفر الحجَّة سبق تعريفُهُ.

(11) علِيّ بن الحسين بن علِيّ بن أبِي طالِب.

عَلَى الأُسْطُوَانَةِ التي تَلِي الرَّوضَةَ ثمَّ يُسَلِّمُ ثمَّ يقولُ هَا هُنَا رَأسُ النَّبِيءِ ﷺ[1].

قالَ المطَرِي: وهُوَ مَوْقِفُ السَّلَفِ قَبْلَ إِدْخَالِ الحُجْرَة في المسْجِدِ[2]. قال هارونُ بنُ مُوسَى: سَمِعْتُ جَدِّي أبَا عَلْقَمَةَ يُسْأَلُ: كَيْفَ كَانَ النَّاسُ يُسَلِّمونَ علَى النَّبِيءِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُدْخَلَ الْبَيْتُ فِي المسْجدِ؟ فقَالَ: كانَ يَقِفُ النَّاسُ علَى بابِ الْبَيْتِ يُسَلِّمُونَ علَيْهِ، وكَانَ البابُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَلقٌ حَتَّى هَلَكَتْ عَائِشَةُ[3].

وقَالَ المنْذِرِي[4] فِي حَديثِ: ((**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**))[5] يَحْتَمِلُ أَنْ يكُونَ حَثًّا عَلَى كَثْرَةِ الزِّيَارَةِ، وأَن لَا يُهْمَلَ حَتَّى لاَ يُزَارَ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَالْعِيدِ، وهُوَ يُؤَيِّدُ قَوْلَهُ: ((**وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**)) أَيْ: لَا تَتْرُكُوا الصَّلاةَ فِيهَا[6].

قَالَ السُّبْكِي: يَحْتَمِلُ أَنْ يكُونَ المرادُ لَا تَتَّخِذُوا لَهُ وَقْتًا مَخْصُوصًا لَا تَكُونُ الزِّيَارَةُ إِلَّا فِيهِ. أوْ لَا يُتَّخذ كالْعِيدِ فِي العُكوفِ عَلَيْهِ وإِظْهارِ الزِّينَةِ والاجتِمَاعِ وغيْرِهِ مِمَّا يُعْمَلُ في الْأَعْيادِ، بَلْ لَا يُؤتَى إِلَّا لِلزِّيارَةِ والصَّلاةِ والسَّلامِ والدُّعاءِ ثُمَّ يُنصَرَفُ عَنْهُ[7].

وقَالَ عبْدُ الحَقِّ الصِّقِلِّي[8] عنْ أَبِي عمْرَانَ: إِنَّمَا كَرِهَ مالِكٌ أَنْ يُقالَ زُرنَا قَبْرَ النَّبيءِ ﷺ لِأَنَّ الزِّيَارَةَ مَنْ شَاءَ فَعَلَهَا ومَنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وزِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيّءِ ﷺ واجِبَةٌ، قالَ عبْدُ الْحَقِّ: يَعْنِي سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ[9].

وقِيلَ: مَنَعَ مالِكٌ ذَلِكَ قَطْعًا لِلذَّرِيعَةِ، وقِيلَ: لِأَنَّ المضِيَّ إِلَيْهِ لَيْسَ لِيَصِلَهُ ذلِكَ، ولَا لِيَنْفَعَهُ، وإِنَّما هُوَ رَغْبَةٌ في الثَّوَابِ فَهُوَ مِنْ بابِ كَلِمَةٍ أَعْلَى مِنْ كَلِمَةٍ[10].

والمخْتَارُ عِنْدَنَا وعِنْدَ الشَّافِعِيَّة والْحَنَفِيَّة عَدَمُ الْكَرَاهَةِ في إِطْلَاقِ ذَلِكَ.

قَالَت الْحَنَفِيَّةُ: زِيَارَتُهُ ﷺ مِنْ أَفْضَلِ المنْدُوبَاتِ والمسْتَحَبَّاتِ بَلْ تَقْرُبُ مِنَ الْوَاجِبِ[11].

---

(1) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص158، التعريف، المطرِي، ص71.

(2) سبق تخريج القول: التعريف، المطرِي، ص71.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص104.

(4) زكي الدين المنذري، سبق تعريفه.

(5) سنن أبي داود، حديث (2042).

(6) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص231.

(7) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص231-232.

(8) عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي، القرشي، الصقلي (أبو محمد) فقيه، توفي بالاسكندرية سنة 466هـ، من تصانيفه: كتاب النكت والفروق لمسائل المدونة، تهذيب الطالب، استدراك عل مختصر البرادعي. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 301/18، والديباج، ابن فرحون، 56/2. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 59/2.

(9) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص223.

(10) (م، س)، ص223-224.

(11) (م، س)، ص204.

وذَكَرَ ابْنُ كَجّ[1] مِنَ الشَّافِعِيَّة: إِذَا نَذَرَ أَنْ يَزُورَ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فعِنْدِي أَنَّهُ يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ وَجْهًا واحِدًا، وإِذَا نَذَرَ أَنْ يَزُورَ قَبْرَ غَيْرِهِ ففِيهِ وجْهَانِ، والقَطْعُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ قُرْبَةٌ مقْصُودَةٌ[2].

وقَالَ الْعَبْدِي[3] مِنَ المالِكِيَّةِ فِي "شَرْحِ الرِّسَالَةِ"[4]: وأَمَّا نَذْرُ المشْيِ إِلَى المسْجِدِ الْحَرَامِ، أَوْ إِلَى مَكَّةَ، فلَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ؛ وهُوَ الْحَجُّ والعُمْرَةُ وإِلَى المدِينَةِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيّءِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ ومِن بَيْتِ المقْدِسِ، ولَيْسَ عِنْدَهُ حَجٌّ ولا عُمْرَةٌ، وإِذَا نَذَرَ المشْيَ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَزِمَهُ فالْكَعْبَةُ مُتَّفَقٌ علَيْهَا[5]. واخْتَلَفَ الشَّافِعِيَّةُ في الآخَرَيْن. قالَ السُّبْكِي: وهَذَا الخِلَافُ [46ظ] فِي نَذْرِ إِتْيَانِ المسْجِدَيْنِ لَا فِي نَذْرِ الزِّيارَةِ[6].

وفِي "تَهْذِيبِ الطَّالِبِ"[7] لِعَبْدِ الْحَقِّ[8]: قِيلَ لِلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّد بنِ أَبِي زَيْدٍ[9] فِيمَن اسْتُؤْجِرَ بِمَالٍ لِيَحُجَّ، وشَرَطُوا عَلَيْهِ الزِّيارَةَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ تِلْكَ السَّنَةَ أَنْ يَزُورَ؟ قَالَ: يَرُدُّ مِنَ الْأُجْرَةِ بِقَدْرِ مسَافَةِ الزِّيَارَةِ. وقَالَ غَيْرُهُ: عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ ثَانِيًا حَتَّى يَزُورَ، وقَالَ عَبْدُ الْحَقِّ: إِن اسْتُؤْجِرَ لِسَنَةٍ بِعَيْنِهَا سَقَطَ مَا يَخُصُّ الزِّيَارَةَ، وَإِن استُؤْجِرَ علَى حَجَّةٍ في ذِمَّتِهِ يَرْجِعُ لِيَزُورَ[10].

قَال السُّبْكِي: والذِي ذَكَرَ أَصْحَابُنَا أَنَّ الاسْتِئْجَارَ عَلَى الزِّيَارَةِ لا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ مَضْبُوطٍ، ولَا مُقَدَّرٍ بِشَرْعٍ، والْجُعَالَةُ إِنْ وَقَعَتْ عَلَى نَفْسِ الوُقُوفِ لم يَصِحَّ أَيْضًا؛ لِأَنَّ ذلِكَ مِمَّا لم تَصِحَّ فِيهِ النِّيَابَةُ عَنِ الْغَيْرِ، وإِنْ وَقَعَتْ علَى الدُّعَاءِ عِندَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ كانَتْ صَحيحَةً؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مِمَّا تَصِحُّ النِّيَابَةُ فيهِ، والجَهْلُ بِالدُّعَاءِ لَا يُبْطِلُهَا قَالَهُ الماوَرْدِي. وأَمَّا إِبْلَاغُ السَّلَامِ فتَجُوزُ الأُجْرَةُ عَلَيْهِ قَطْعًا،

---

(1) يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج، الدينوري، الشافعي (أبو القاسم) فقيه، من القضاة. صحب أبا الحسين بن القطان، وحضر مجلس الداركي وأبي حامد المروزي، وقتله العيارون بالدينور في 27 رمضان سنة 405 هـ، له تصانيف كثيرة، منها: التجريد. وفيات الأعيان، 65/7، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 144/4.

(2) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص253-254.

(3) العبدِي: أحمد بن المعذل بن غيلان البصرِي، المالكي فقيه، أصولي، متكلم، من أعلام القرن الثالث، تفقه بعبد الملك بن الماجشون، ومحمد بن مسلمة، حدث عن بشر بن عمر، أخذ عنه إسماعيل القاضِي ويعقوب بن شيبة، له عدة مصنفات. سير أعلام النبلاء، 520/11، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 311/1.

(4) رسالة أبِي زيد القيروانِي.

(5) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص217.

(6) شفاء السَّقام، السبكِي، ص217.

(7) تهذيب الطالِب وفائدة الراغِب. فهرِس ابن عطِيَّة، ص128.

(8) عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلّي سبق تعريفه.

(9) ابن أبِي زيد عبد الله أبو محمّد القيروانيّ المالِكِي، يقال له مالك الصَّغِير، أخذ عن محمد بن مسرور الحجام وغيره، وأخذ منه خلق كثِير، من كتبه: النوادر والزيادات، العتَبِيَّة، الاقتداء بمذهب مالك، الرِّسالة، ت:389هـ، وقيل:386هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 10/17، والديباج، ابن فرحون، 427/1.

(10) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص209.

وهُوَ مُرَادُ المالِكِيَّةِ[1].

وصَحَّحَ ابنُ سُرَاقَةَ[2] جَوَازَ الْإِجَارَةِ لِلزِّيارَةِ واخْتَارَهُ الأصبحِي[3] صَاحِبُ "المفْتَاحُ"[4]، وَقَطَعَ الماوَرْدِي بِقَوْلِ المنْعِ، وقَالَ الإِمَامُ الحَكَمِي[5]: يُبْنَى عَلَى مَا إِذَا حَلَفَ لَا يُكَلِّمُ فُلَانًا فكَاتَبَهُ، أَوْ رَاسَلَهُ، والصَّحِيحُ عَدَمُ الْحِنْثِ، فلَا يَصِحُّ الاسْتِئْجَارُ، وإِنْ قُلْنَا يَحْنِثُ صَحَّ. قِيلَ: الْبِنَاءُ ضَعِيفٌ إِذ الملْحَظُ فِي الأَيْمَانِ الْعُرْفُ. وأَمَّا الزِّيارَةُ وإِبْلَاغُ السَّلَامِ فَقُرْبَةٌ مَقْصُودَةٌ كَمَا أَنَّ المكَاتبَةَ يَحْصُلُ بِها التَّوَدُّدُ والصِّلَةُ وإِنْ لم تُسَمَّ كَلَامًا، والحقُّ صِحَّةُ الاسْتِئْجَارِ لِلسَّلامِ عَلَيْهِ ﷺ ولِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ[6]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

(1) (م، س)، ص210، والحاوي الكبير، الماوردِي، 276/4.

(2) محمد بن محمد الأنصاري، الشاطبي، المصري (محيي الدين، أبو بكر، ابن سراقة) محدث وفقيه وأديب، سمع من أبي القاسم أحمد بن بقي، وبالعراق من أبي علي بن الجواليقي وطبقته، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وتوفي سنة 662هـ. من تصانيفه: إعجاز القرآن، الحيل الشرعية، شرح الكافي في الفرائض. البداية والنهاية، 456/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 618/3.

(3) محمد بن أبِي بكر الأصبحي، الجَنَدِي، اليمني، الشافعي (أبو عبد الله) فقيه. ت:691هـ، من تصانيفه: المصباح في الفقه، الفتوح في غرائب الشروح، والإيضاح في تصحيح الخلاف. قلادة النحر، الهجراني، 441/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 172/3.

(4) المفْتَاحُ: لعلَّهُ الفتوح في غرائب الشروح.

(5) في خلاصة الوفا: الحليمي، وفي وفاء الوفا: الحكمِي.

علي بن قاسم بن العليف الحَكَمي، الزبيدي، الرافعي الشراحيلي (أبو الحسن) فقيه، توفي بزبيد سنة 640هـ، من تصانيفه: شرح المهذب لأبي إسحاق الشيرازي في فروع الفقه، والدرر في الفرائض. قلادة النحر، 165/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 487/2.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص106.

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي تَوَسُّل الزَّائِرِ بِهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ واسْتِقْبَالِهِ لَهُ فِي سَلَامِهِ ودُعَائِهِ وآدَابِ الزِّيَارَةِ والمجَاوَرَةِ والتَّوَصُّلِ والتَّشَفُّعِ بِهِ ﷺ[1]

قَدْ صَحَّحَ الحاكِمُ حَدِيثَ: ((**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لما غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لمّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لم تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ إذ سألتنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**))[2].

وذَكَرَ النَّسَائِي والتِّرمِذِي، وقَال: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، عَنْ عُثْمَان بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلًا، ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيءَ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: ((**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ، قالَ: فَادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُحْسِنَ الْوُضُوءَ ويَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ** [47و] **إِلَيْكَ بِنَبِيئِكَ مُحَمَّدٍ نَبِيءِ الرَّحْمَةِ ﷺ يَا مُحَمَّد، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**)) وصَحَّحَه البَيْهَقِي وزَادَ: فقَامَ وقَدْ أَبْصَرَ[3].

وقَالَ الطَّبَرَانِي والبَيْهَقِي: عن عُثْمَان بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلًا، كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فِي حَاجَةٍ، وكان لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ، فَشَكَى ذَلِكَ لابْنِ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُ: ائْتِ الميضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ ائْتِ المسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيئِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيءِ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ لِيَقْضِي حَاجَتِي. وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ.

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ فَجَاءَهُ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ فَأَجْلَسَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ[4]، فَقَالَ: حَاجَتكَ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا ذَكَرْت حَاجَتَكَ حَتَّى السَّاعَة، ومَا كَانَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَذْكُرْهَا.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي حَتَّى كَلَّمْتَهُ لِي، فَقَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ: وَاللهِ مَا كَلَّمْتُهُ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: ((**أَوَ تَصْبِرْ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ، فقال لهُ النَّبِيءُ ﷺ: ايتِ الميْضَأَةَ، فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ**)). فوَاللهِ ما

---

(1) الفصل منقول من كتاب خلاصة الوفا للسمهودِي، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخرِيجه مِن المرجعِ.

(2) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4228).

(3) سنن النَّسَائِي، حدِيث (10419) وَسنن الترمذِي، حدِيث (3578) ودلائل النبوة، البيهَقِي حدِيث (2407).

(4) الطنفسة: النمرقة على الراحلة، وقيل البساط الذي له خمل رقيق. لسان العرب (طنفس).

تَفَرَّقْنَا، وطَالَ مِنَّا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لم يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ[1].

وقَدْ قالَ ﷺ فِي دُعَائِهِ لِفاطِمَةَ بنتِ أَسَدٍ عَنْدَ قَبْرِها: ((**بِحَقِّ نَبِيئِكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الذِينَ مِنْ قَبْلِي**))[2].

وذِكْرُ المحْبُوبِ أو المعَظَّمِ قدْ يكُونُ سَبَبًا لِلإِجابَةِ، وفِي العَادَةِ أَنَّهُ مَنْ تَوَسَّلَ بِمَنْ لَهُ قَدْرٌ عِندَ شَخْصٍ أَجَابَ إِكْرَامًا لَهُ، وقَدْ يُتَوَسَّلُ بِمَنْ لَهُ جَاهٌ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ[3].

وإِذَا جَازَ التَّوَسُّلُ بالْأَعْمَالِ كمَا فِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ: ((أَنَّ ثَلَاثَةً آوَوْا مِنَ المطَرِ إِلى غَارٍ فسَقَطَتْ صَخْرَةٌ سَدَّتْهُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدٌ بِتَرْكِ الزِّنَى وقدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ مَعَ تَرْكِ مَا أَعْطَى، والآخَرُ بِمُرَاقَبَةِ اسْتِيْقَاظِ وَالِدَيْهِ إِلَى الفَجْرِ، والآخَرُ بِتجْرِهِ بأُجْرَة مُسْتَأْجَرِهِ، تَرَكَهَا حَتَّى نَمَتْ بِهَا بَقَرَاتٌ))[4] والأَعْمَالُ مَخْلُوقَةٌ فَالسُّؤالُ بِهِ ﷺ أَوْلَى، ولَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ التَّوسُّلِ والِاسْتِغَاثَةِ والتَّشَفُّعِ والتَّوَجُّهِ، وقَدْ يَكونُ بِمَعْنَى طَلَبِ أَنْ يَدْعُو كمَا فِي حَالِ الْحَيَاةِ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مَعَ [47ظ] عِلْمِهِ بِسُؤَالِ مَنْ يَسْأَلُهُ[5].

ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ وابنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عنْ مَالِكٍ الدَّارِ، وكَانَ خَازِنَ عُمَر، أَنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمانِ عُمَر بنِ الخَطَّابِ فجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فإِنَّهُمْ قَد هَلَكُوا، فأَتَاهُ رسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّومِ فقَالَ: ايتِ عُمَرَ فأَقْرِ[ئْ]هُ السَّلَامَ وأَخْبِرْهُ أَنَّهُ مُسْقَوْنَ، وقُلْ لَهُ: عَلَيْكَ الْكَيْسَ الْكَيْسَ. فأَتَى الرَّجُلُ عُمَرَ فأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ[6].

وذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّ الذِي رَأَى هذَا المنَامَ بِلالُ بنُ الْحَارِثِ أَحَدُ الصَّحَابَةِ، وكَذَا ذَكَرَ سَيْفٌ[7] فِي الْفُتُوحِ[8][9].

---

(1) المعجم الكبِير، الطبراني حدِيث (8311) والمعجم الصَّغِير، الطَّبراني حدِيث (508) ودلائل النبوة، البيهَقِي، حدِيث (2409).

(2) المعجم الكبِير، الطبراني حدِيث (871) والمعجم الأوسَط، الطَّبراني حدِيث (189).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص108.

(4) مسنَد البزَّار، حدِيث (906).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص108.

(6) المصنف، ابن أبِي شيبة، حدِيث (32002) ودلائل النبوة، البيهَقِي، حدِيث (2965).

(7) سَيْف بن عمر التميمي: مؤرخ، كوفي الأصل، توفي ببغداد سنة 200هـ. من مؤلفاته: الجمل، كتاب الردة والفتوح. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 805/1.

(8) كتاب الفتوح الكبِير والردة، أو كتاب الرِّدَّة والفتوح: الفهرست، ابن النديم، ص137، والمعجم المفهرس، ابن حجر، 77/1.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109.

وقَالَ أَبُو بَكْر بنُ المقْرِئ[1]: كُنْتُ أنَا والطَّبَرَانِي[2] وأَبُو الشَّيْخ[3] فِي حَرَمِ رَسولِ اللهِ ﷺ وكُنَّا فِي حَالَةٍ وأَثَّرَ فينَا الجُوعُ ووَ[ا]صَلْنَا ذلِكَ الْيَوْم. ولَمَّا كانَ وَقْتُ العِشَاءِ حضَرْتُ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ الْجُوع، فانْصَرَفْتُ ونِمْتُ أنَا وأبُو الشَّيْخ والطَّبَرَانِيّ جَالِسٌ ينْظُرُ فِي شَيْءٍ فحَضَرَ علَوِيٌّ مَعهُ غُلامَانِ معَ كُلّ وَاحِدٍ زِنْبِيلٌ[4] فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، فجَلَسْنَا وأَكَلْنَا، وتَرَكَ عِنْدَنَا البَاقِي، وقَالَ: يَا قَوْمُ أَشَكَوْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ في المنَامِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَحْمِلَ بِشَيْءٍ إِلَيْكُمَا[5].

وقَالَ أَبُو العَبَّاسِ بنُ نَفِيس الضَّرِير[6]: جُعْتُ بالمدِينَةِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَجِئْتُ إِلى الْقَبْرِ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جُعْتُ، ثُمَّ بِتُّ ضَعيفًا فرَكَضَتْنِي جَارِيَةٌ بِرِجْلِهَا فقُمْتُ مَعَها إِلَى دِارِها، فقَدَّمَتْ إِلَيَّ خُبْزَ بُرٍّ وتَمْرًا وسَمْنًا، وقَالَتْ: كُلْ يا أَبَا الْعَبَّاسِ فقَدْ أَمَرَنِي بِهَذا جَدِّي ﷺ، ومَتَى جُعْتَ فَأْتِ إِلَيْنَا[7].

وذَكَر أَبُو سُلَيْمَان الشَّاذُلِي[8]: أَنَّ الذِي يَأْمُرُهُ ﷺ بِذلِكَ، ولَا سِيَّما إِذَا كانَ طَعَامًا، إِنَّما يَكُونُ مِنَ القَرَابَة لَهُ ﷺ، إِذْ مِنْ أَخْلَاقِ الكِرَامِ إِذَا سُئِلُوا ذلِكَ أَنْ يَتَوَلَّوْهُ بِأَنْفُسِهِم أَوْ بِمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ[9].

وقَالَ أَبُو مُحَمَّد الإِشْبِيلِيّ[10]: نَزَلَتْ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ غِرْنَاطَةَ عِلّةٌ عَجَزَ عَنْهَا الأَطِبَّاءُ وأَيِسُوا مِنْ بُرْئِهَا فكَتَبَ عَنْهُ الْوَزِيرُ ابنُ أَبِي الخِصَالِ[11] كِتَابًا إِلَى النَّبِيءِ ﷺ يَسْأَلُهُ فِيهِ الشِّفاءَ لِدَائِهِ وضَمَّنَهُ شِعْرًا أَوَّلُهُ:

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني صاحب المعجم الكبير وغيره.

(3) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري، الأصبهاني، ويعرف بأبي الشيخ، محدث ومفسر، توفي في 369هـ، من تصانيفه: التفسير، كتاب عظمة الله ومخلوقاته ذكر فيه عظمة الله وعجائب الملكوت العلوية. سير أعلام النبلاء، 276/16، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 276/2.

(4) الزَّبِيل والزِّنْبِيل: الجِراب، وقيل: الوِعاء يُحْمل فيه. لسان العرب (زبل).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109.

(6) أحمد بن سعيد المعروف بابن نفيس، أبو العباس الطرابلسي الأصل ثم المصري أمام ثقة كبير انتهى إليه علو الإسناد، قرأ على أبي عدي عبد العزيز بن علي صاحب أبي بكر بن سيف وعلى أبي أحمد عبد الله السامري وعلى أبي طاهر الأنطاكي، قرأ عليه يوسف بن جبارة الهذلي وابن الفحام الصقلي وابن بليمة، ت:453هـ. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزرِي، 56/1.

(7) معجم السفر، أحمد بن محمد الأصبهاني، ص35.

(8) داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي، الاسكندري صوفي، فقيه، نحوي، بياني، توفي بالاسكندرية سنة 733هـ. من تصانيفه: عيون الحقائق، اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية، شرح التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي في فروع الفقه المالكي، وكتاب البيان والانتصار. بغية الوعاة، السيوطِي، 562/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 701/1.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109.

(10) عبد الحق بن عبد الرحمن، الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن الخراط. محدث، حافظ، فقيه، خطيب، رحل إلى بجاية، وتخيرها وطنا، وتوفي بها في 582هـ. من مؤلفاته: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، المعتل من الحديث. سير أعلام النبلاء، 198/21، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 58/2.

(11) محمد بن أبي الخِصَالِ، أبو عبد الله، محدِّثٌ أدِيب، لغوِي، ناثِر، ذو الوزارتين، من أهل فرغلِيط سكن قرطبة وغرناطَةَ، توفي مقتولا بقرطبة سنة 540هـ، من آثارِه: سراج الأدبِ، ظل الغمامةِ وطوق الحمامةِ في مناقبِ من خصَّهُ رسولُ الله ﷺ مِن صحابتِه بالكرامةِ. بغية الوعاة، السيوطِي، 243/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 714/3.

كِتَـابُ وَقِيـدٍ مِـنْ زَمَـانِتـهِ مَشْـــفَى بِقَبْرِ رَسُـــولِ اللهِ أَحْمَدَ يسْـــتَشْـــفى[1]

فمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَصَلَ الرَّكبُ إِلَى المدِينَةِ وقُرِئَ علَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ هذَا الشِّعْرُ وبَرِئَ الرَّجُلُ مِنْ سَاعَتِهِ مَكَانَهُ[2].

وقَدْ أَمَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالاسْتِسْقَاءِ عنْدَ الْجَذْبِ بِقَبْرِهِ ﷺ، بلْ يَجُوزُ كمَا قَالَ السُّبكي: التَّوَسُّلُ بِسَائِرِ الصَّالِحِينَ[3]، وإِنْ نُقِلَ عن ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ [48و] أَنَّ سُؤَالَ اللهِ بعَظِيمٍ مِنْ خلْقِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصَّ بِالنَّبِيءِ ﷺ[4].

ففِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَر بنَ الْخَطَّاب كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيئِنَا ﷺ فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيئِنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ[5].

وفِي رِوايَةٍ لِأَبِي القَاسِمِ هِبَةِ اللهِ[6]: عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَسْقِيكَ بِعَمِّ نَبِيئِكَ ﷺ وَنَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِشَيْبَتِهِ فَسُقُوا، وفي ذلِكَ يقُولُ عَبَّاسُ بنُ عُتْبَةَ بنِ أَبِي لَهَب:

بِعَمِّي سَـــقَى اللـهُ الحِجَـازَ وَأَهْلَـهُ عَشِـــيَّةَ يَسْـــتَسْـــقِي بِشَـــيْبَتِهِ عُمَرْ[7][8]

وفِي رِوايَةٍ لِلزُّبَيْرِ بنِ بَكَّار: أَنَّ العَبَّاسَ قالَ في دُعَائِهِ: وقَدْ تَوَجَّهَ بِيَ القَوْمُ إِلَيكَ لمكَانِي مِنْ رَسولِكَ ﷺ اسْقِنَا الغَيْثَ، فأَرْخَت السَّماءُ مِثْلَ الجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبَت الأَرْضُ، وفِي رِوَايَةٍ لَهُ عن ابْنِ عُمَر أَنَّ ذلِكَ عَامَ الرَّمادَةِ[9].

وفِي "الشِّفَاء" عن ابْنِ حُمَيْد وهِيَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْن عنْ مَالِك: نَاظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ مَالِكًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَذَا المسْجِدِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدَّبَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[10] الآية ومَدَحَ قَوْمًا فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ ﴾[11] الآية، وذَمَّ قَوْمًا فقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾[12] الآية، وإِنَّ

(1) البيت من الطويل.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109- 110.

(3) شفاء السقام، السبكي، ص365.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص110.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1010).

(6) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، اللالكائي (أبو القاسم) فقيه، محدث، حافظ، متكلم. قدم بغداد فاستوطنها، ودرس الفقه الشافعي على أبي حامد الإسفراييني، وتوفي بالدينور سنة 418هـ، من آثاره: مذاهب أهل السنة، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 419/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 54/4.

(7) البيت من الطويل. ذكره البلاذرِي ونسبه للفضل بن عبّاسٍ بن عتبة مع أبياتٍ أخرَى. جمل من أنساب الأشراف، 14/4.

(8) كرامات الأولياء، أبو القاسم هبة الله، ص120.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص110.

(10) سورة الحجرات: 2.

(11) سورة الحجرات: 3.

(12) سورة الحجرات: 4.

حِرْمَتَهُ مَيِّتًا كَحِرْمَتِهِ حَيًّا، فاسْتَكَانَ لَهَا أبُو جَعْفَرٍ، وقَالَ: يَا أبَا عَبْدِ اللهِ أَسْتَقْبِلُ وأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فقَالَ: ولِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عنْهُ وهُوَ وَسِيلَتُكَ ووَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عليه السلام إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، بَل اسْتَقْبِلْهُ واستَشْفِعْ بِهِ فيُشَفِّعْكَ اللهَ تَعَالَى، وقَدْ قَالَ اللهُ تعَالَى:﴿ وَلَوَ اَنَّهُمُ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[1] الآية[2].

وفِي "المسْتَوْعَب" لِأَبِي عَبْدِ اللهِ السَّامِرِي الْحَنْبَلِي[3] فِي بَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّءِ ﷺ: ثُمَّ يَأْتِي حَائِطَ القَبْرِ فَيَقِفُ نَاحِيَةً ثُمَّ يَجْعَلُ القَبْرَ تِلْقَاءَ وجْهِهِ والقِبْلَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ والمنْبَرَ عَلَى يَسَارِهِ. وذَكَرَ السَّلَامَ والدُّعَاءَ، ومِنْه: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ لِنَبِيئِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِكَ: ﴿ وَلَوَ اَنَّهُمُ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[4] الآيَة، وإِنِّي أَتَيْتُ نَبِيئَكَ مُسْتَغْفِرًا فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُوجِبَ لِي المغْفِرَةَ كَمَا أَوْجَبْتَهَا لمنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيئِكَ مُحَمَّد ﷺ إِلَخ[5].

وقَالَ عيَاض: قَالَ مَالِك فِي رِوايَةِ ابنِ وَهْب[6]: إِذَا سَلَّمَ علَى النَّبِيءِ ﷺ ودَعَا يَقِفُ [48ظ] ووَجْهُهُ إِلَى القَبْرِ لَا إِلَى الْقِبْلَةِ ويَدْعُو[7] ويُسَلِّمُ. وفِي رِوَايَةٍ عَنِ "المبْسُوطِ"[8] أَنَّهُ قَالَ: لَا أَرَى أَنَّهُ يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ يَدْعُو، ولَكِنْ يُسَلِّمُ ويَمْضِي[9].

وهُوَ مُخَالِفٌ لما سَبَقَ ولِمَا فِي مَذْهَبِنَا، ولِمَا نَقَلَهُ ابنُ المؤَّازِ[10]، إِذْ قَالَ: قِيلَ لمالِك فالذِي يَلْتَزِمُ، أَتَرَى لَهُ أَنْ يتَعَلَّقَ بأَسْتَارِ الكَعْبَةِ عنْدَ الوَدَاعِ؟ قَالَ: لَا، ولَكِنْ يَقِفُ ويَدْعُو، قِيلَ لَهُ: وكَذَلِكَ عِندَ قَبْرِ النَّبِيءِ

(1) سورة النساء: 64.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص401.

(3) محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي، ويعرف بابن سُنَيْنَة فقيه، محدث. ولد بسامراء، وسمع من ابن البطي وأبي حكيم النهرواني وغيرهما ببغداد، وولي القضاء بسامراء وأعمالها مدة، ثم ولي القضاء والحسبة ببغداد، وتوفي ببغدادسنة 616هـ. من تصانيفه: المستوعب في الفقه، الفروق، والبيان في الفرائض. ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، 248/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 436/3.

(4) سورة النساء: 64.

(5) المستوعب، السامري، 524/1-525.

(6) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء، المصري، المالكي (أبو محمد) فقيه، مفسر، محدث، مقرئ، روى عن عدد من العلماء، وصحب مالك بن أنس عشرين سنة، وتوفي سنة 198هـ، من تصانيفه: الجامع في الحديث، أهوال القيامة، الموطأ الصغير، الموطأ الكبير، وتفسير القرآن. الديباج المذهب، ابن فرحون، 415/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 304/2،

(7) في خلاصة الوفا والشفا: ويدنو.

(8) المبسوط للقاضِي إسماعيل بن إسحاق الأزدِي المالكِي ت:282هـ، صاحب فضل الصلاة على النبي ﷺ.

(9) الشفا بتعريف حقوق المصطفَى، القاضِي عياض، ص446.

(10) محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري المالكي، المعروف بابن المواز (أبو عبد الله) فقيه، ولد في رجب، وأخذ عن أصبغ ابن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم، وتوفي بدمشق سنة 269هـ. من آثاره: مصنف في الفقه. والديباج المذهب، ابن فرحون، 2/ 166، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 2/3.

ﷺ، قَالَ: نَعَمْ[1]. وحَمَلَ مَا فِي "المبْسُوطِ" علَى مَنْ لم يُؤْمَنْ بِهِ سُوءُ أَدَبٍ فِي دُعائِهِ عِنْدَ الْقَبْرِ[2].

وفِي "رُؤوسِ المسَائِلِ" لِلنَّوَوِيّ: عنْ أَبِي مُوسَى الأَصْبَهَانِي[3] أَنَّهُ رَوَى عَنْ مَالِك أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَن يَأْتِيَ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ يسْتَدْبِرُ القِبْلَةَ ويَسْتَقْبِلُ النَّبِيءَ ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ ويَدْعُو لَهُ[4].

وعَنْ يُونُس[5] عن ابْنِ حَبِيب أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ اقْصِدْ بَعْدَ الرَّكعَتَيْنِ إِلَى الْقَبْرِ ومِنْ وِجَاهِ القِبْلَةِ ثُمَّ ادْنُ مِنْهُ ثُمَّ سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَثْنِ عليْهِ، وعَلَيْكَ السَّكِينَةُ والوَقَارُ، فَإِنَّهُ ﷺ يَسْمَعُ ويَعْلَمُ وُقُوفَكَ بيْنَ يَدَيْهِ، وتُسَلِّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وتَدْعُو لَهُمَا[6].

وقَالَ إِبْراهِيمُ الحَرْبِي[7] فِي "مَنَاسِكِهِ[8]": تُوَلِّي ظَهْرَكَ القِبْلَةَ وتَسْتَقْبِلُ وسَطَهُ، يَعْنِي وَسَطَ الْقَبْرِ[9].

وقالَ أَبُو القاسِم طَلْحَةُ[10] عنْ أَبي حَنيفَةَ: جَاءَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي فَدَنَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فاسْتَدْبَرَ القِبْلَةَ وأَقْبَلَ بوَجْهِهِ إِلَى القَبْرِ وبَكَى بُكَاءَ غَيْرِ مُتَبَاكٍ[11]؛ أَيْ: بَكَى مِنْ قَلْبِهِ بِلَا تَكَلُّفٍ.

وقَالَ المجْدُ اللُّغَوِيّ: روينَا عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ المبَارَكِ سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يقُولُ: قَدِمَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي وأَنَا بِالمدِينَةِ فَقُلْتُ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فجَعَلَ ظَهْرَهُ مِمَّا يَلِي القِبْلَةَ ووَجْهَهُ مِمَّا يَلِي وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وبَكَى غَيْرَ مُتَبَاكٍ، فقَامَ مَقَامَ رَجُلٍ شَرِيفٍ[12].

وأَخْرَجَ أَبُو ذَرّ الهَرَوِي[13] فِي "سُنَنِهِ" فِي بَيَانِ الإِيمَانِ والإِسْلَامِ: أَنَّ حَمَّاد بنَ زَيْدٍ حَدَّثَ أَبَا حَنِيفَةَ بالحَدِيثِ فِي ذَلِكَ عَنْ شَيْخِهِ أَيُّوب السِّخْتِيَانِي، فقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ: فحَدَّثَكَ أَيُّوبُ بِهَذَا؟ وبَكَى، ثُمَّ قَالَ: مَا ذَكَرْتُ أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِي إِلَّا بَكَيْتُ، وقَدْ رأَيْتُهُ يَلُوذُ بِقَبْرِ رَسولِ ﷺ شَيْئًا مَا رَأَيْتُهُ

---

(1) الصارم المنكِي، ابن عبد الهادي، ص278.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص111.

(3) محمد بن عمر بن أحمد المديني، الأصبهاني، الشافعي، حافظ، ولغوي، ولد بأصبهان في ذي القعدة، وزار بغداد وهمذان، وسمع من غانم البرجي، توفي بأصبهان سنة 581هـ، من تصانيفه الكثيرة: اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ، والأعارف، تتمة الغريبين (غريب القرآن والحديث) للهروي في مجلد وسماه المغيث. سير أعلام النبلاء، 152/21، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 557/3.

(4) رؤوس المسائل، النووي، ص185.

(5) في خلاصة الوفا: ابن يونس، أحمد بن يونس القسنطيني، المعروف بابن يونس. توفي في 878هـ شوال. من تأليفه: ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي ﷺ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 331/1.

(6) شفاء السقام، السبكي، ص355.

(7) إبراهيم الحربِي: أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيْم بنُ إِسْحَاق بنِ إِبْرَاهِيم بنِ بَشِيْرٍ البَغْدَادِيُّ، فقيه وأديب ولغوِيّ، سمع من أَبِي نعيم وغيره، أصله من مرو، وتوفي ببغداد سنة 285هـ، من أشهر كتبه: غريب الحدِيث. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 356/13، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 13/1.

(8) كتاب: المناسك، وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة، لأبِي إسحاق الحربِي، مطبوع.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص112، شفاء السقام، السبكي، ص221. لم أقف عليه في المطبوع من المناسِك.

(10) أبو القاسِم طلحة بن محمد بن جعفر: البغدادِيّ، المؤرّخ، من تأليفه: أخبار القضاة، ت:380هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 396/16.

(11) شفاء السقام، السبكي، ص221.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص112، وفِيه: رجل فقيه، بدل رجل شريف، وينظر المغانم المطابة.

(13) في الأصلِ: أبو در.

مِنْ أَحَدٍ[1]، وذَلِكَ هوَ المشْهورُ، وعَلَيْهِ الجُمْهُورُ.

وذَكَرَ الْحَسَنُ بنُ زِيَادٍ[2] عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: أَنَّ الزَّائِرَ يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ في سَلامِهِ، يَعْنِي فَيَكُونُ القَبْرُ بَيْنَهُ وبَيْنَ القِبْلَةِ، وكَذَا قَالَ السَّرُوجِي[3] مِنَ الحَنَفِيَّة، يَقِفُ عِنْدَ مُسْتَقْبِلِ القِبْلَةِ، وقَالَ الكَرْمَانِيّ[4] مِنْهُم: يَقِفُ عنْدَ رَأْسِهِ ويَكُونُ وُقُوفُهُ بَيْنَ القَبْرِ والمنْبَرِ مُستَقْبِلَ القِبْلَةِ، وعَنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِي وغَيْرِهِ: يَقِفُ وظَهْرُهُ إِلَى القِبْلَةِ ووَجْهُهُ إِلَى الْحَضْرَةِ، وهُوَ قَوْلُ ابنِ حَنْبَل، روَاهُ أَبُو اللَّيْثِ. ا.هـ[5]

وقَالَ الكَمَالُ بنُ الهُمَامِ[6]: إِنَّ مَا نُقِلَ عَنْ أَبِي اللَّيْثِ مَرْدُودٌ [49و] بِمَا رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ فِي "مُسْنَدِهِ" عَن ابْنِ عُمَر أَنَّهُ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَأْتِيَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ الْقِبْلَةِ وتَجْعَلَ ظَهْرَكَ إِلَى الْقِبْلَةِ وتَسْتَقْبِلَ القَبْرَ بِوَجْهِكَ ثُمَّ تَقُولَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ[7].

وفِي "المنْسَكِ الْكَبِيرِ" لابْنِ جَمَاعَة[8]: مَذْهَبُ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ يَقِفُ لِلسَّلَامِ عنْدَ الرَّأْسِ المقَدَّسِ بِحَيْثُ يكُونُ علَى يَسَارِهِ، ويَبْعُدُ عَنِ الجِدَارِ قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ثُمَّ يَدُورُ إِلَى أَنْ يَقِفَ قُبَالَةَ الْوَجْهِ المقَدَّسِ مُسْتَدْبِرًا القِبْلَةَ، وشَذَّ الكَرْمَانِي مِنَ الحَنَفِيَّةِ فقَالَ: يَقِفُ مسْتَدْبِرا لِلْقَبْرِ المقَدَّسِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، وتَبِعَهُ بَعْضٌ ولَيْسَ بِشَيْءٍ، فَاعْتَمد عَلَى مَا نَقَلْتُهُ. اهـ[9]

ولَا يَنْبَغِي أَنْ يتردَّدَ فيهِ، إِذ المـيّتُ يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْحَيّ، والْحَيُّ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبِلًا لَهُ، ومَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا قَبْلَ إِدْخَالِ البَيْتِ فِي المسْجِدِ يَقِفُونَ عَلَى بَابِ البَيْتِ يُسَلِّمُونَ سَبَبُهُ تَعَذُّرُ اسْتِقْبَالِ الوَجْهِ الشَّرِيفِ حِينَئِذٍ، فَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ مِنْ نَاحِيَةِ بابِ الْبَيْتِ ومِنْ نَاحِيَةِ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ، لما سَبَقَ عَنِ المطَرِي: مِنْ أَنَّ مَوْقِفَ عَلِيّ بنِ الحُسَيْنِ عِنْدَ الأُسْطُوانَةِ التِي تَلِي الرَّوْضَةَ، قالَ وهُوَ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص112.

(2) الحسن بن زياد اللولؤي، الكوفي من أصحاب أبي حنيفة، ت: 204هـ، من تصانيفه: أدب القاضي، معاني الإيمان، الخراج، الفرائض، والنفقات. الجواهر المضية، 56/2 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 552/1.

(3) أحمد بن إبراهِيم بن عبد الغنِيّ السَّروجِي: نِسْبَة إِلَى سروج بنواحي حران من بِلَاد الجزيرة، تفقه على قاضِي القضاةِ صدر الدِّينِ سليمان بن أَبِي العِزّ وُهَيْب ت: 710هـ، ووضع كتابا على الهِدايَةِ سمَّاهُ الغاية ولم يكمِلْهُ. الجواهِر، محيِي الدين الحنفِي، 123/1.

(4) عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه، ولد بكرمان وتوفِّيَ بمَرْو سنة 543هـ، إمام أصحاب أَبِي حنيفة بخراسانَ، من تصانيفهِ: الجامع الكبِير، والتجرِيد في الفقهِ. الجواهر المضية، 388/2.

(5) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص344- 345، نقلا من الفتاوى لأبِي الليث السمرقندِي.

(6) محمد بن عبد الواحد، الكمال بن الهمام بن مسعود السواسي الأصل، عالم في الفقه والأصول والتفسير، وعلم الطبيعة والفرائض والحساب والتصوف وغير ذلك، ت: 861هـ، من تصانيفه: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي وسماه فتح القدير للعاجز الفقير. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 469/3.

(7) فتح القدِير، الكمال بن الهمام، 168/3.

(8) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، المعروف بابن جماعة، من تصانيفه: هداية السالك إلى معرفة المذاهب الأربعة، وهو المنسك الكبِير. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، 101/3.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113.

مَوْقِفُ السَّلَف قَبْلَ إِدْخَالِ الحُجُرَات، كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ السَّارِيَةَ التِي فِيهَا الصُّنْدُوقُ مُسْتَدْبِرِينَ الرَّوْضَةَ، ولَمَّا أُدْخِلَت الْحُجُرَاتُ وَقَفُوا مِمَّا يَلِي الْوَجْهَ الشَّرِيفَ[1].

ولابنِ زَبَالَةَ عنْ مسلَمَةَ بنِ وَرْدَانَ[2]: رَأَيْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ إِذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ يَأْتِي فَيَقُومُ أَمَامَهُ[3].

(1) سبق تخريجه: خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113، التعريف، المطرِي، ص71.

(2) صوابه: سلمة بن وردان: أَبُو يعلى الجندعي، الليثي مولاهم سَمِعَ أنس بن مالك ومالك بْن أوس، روى عَنْهُ الثَّوْرِيّ وابْن المبارك ووكيع، وَقَالَ أَبُو حفص بْن علي: هو أخو عَبْد الرَّحْمَن بن وردان. التاريخ الكبير، البخارِي، 77/4.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113.

[آدَابُ زِيَارَةِ المدِينَةِ][1]

وَمِنْ آدَابِ الزِّيَارَةِ مَا يتَعَلَّقُ بِسَفَرِهَا: تَجْدِيدُ التَّوبَةِ والتَّوْصِيَةُ وإِرْضَاءُ مَنْ يتَوَجَّهُ إِرْضَاءُهُ وإِطابَةُ النَّفَقَةِ والتَّوْسِعَةُ فِي الزَّادِ وعَدَمُ المشَارَكَةِ فِيهِ وتَوْدِيعُ الأَهْلِ والإِخْوَانِ والمنْزِلِ بِرَكْعَتَيْنِ والدُّعَاءُ عَقِبَهُما والتَّصَدُّقُ بِشَيْءٍ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، وغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُذْكَرُ لِسَفَرِ الْحَجِّ[2].

ومِنْهَا: إِخْلَاصُ النِّيَّة، فيَنْوِي التَّقَرُّبَ بِالزِّيَارَةِ ويَنْوِي معَهَا التَّقَرُّبَ بِشَدِّ الرِّحَالِ لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِي والصَّلاةِ فِيهِ، كمَا قَالَهُ أَصْحَابُنَا والشَّافِعِيَّةُ وغَيْرُهُمْ بِحَتِّهِ ﷺ علَى ذَلِكَ، ففِيهِ تَعْظِيمُهُ بامْتِثَالِ أَوَامِرِه.

والمرَادُ مِنْ حَدِيثِ: ((**لَا تَحْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي**))[3] اجْتِنَابُ حَاجَةٍ لم يَدْعُهُ الشَّارِعُ إِلَيْها، فلْيَنْوِ مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا الاعْتِكَافَ فِيهِ والتَّعَلُّمَ والتَّعْلِيمَ وذِكْرَ اللهِ، وإِكْثَارَ الصَّلاةِ والسَّلَامِ علَى النَّبِيءِ ﷺ والصَّدَقَةَ عَلَى جِيرَانِهِ، وخَتْمَ القُرْآنِ عِنْدَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَحَبُّ لِلزَّائِرِ فِعْلُهُ [49ظ] فنِيَّةُ المؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، ويَنْوِي أَيْضًا اجْتِنَابَ المكْرُوهَاتِ، لَا يَفْعَلُها فَضْلًا عَن المحْظُورَاتِ حَيَاءً مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ[4].

ومِنْهَا أَنْ يَزْدادَ بالْعَزْمِ شَوْقًا وصَبَابَةً وتَوْقِيرًا، وكُلَّما ازْدَادَ دُنُوًّا ازْدَادَ غَرَامًا وحُنُوًّا؛ إِذْ مِنْ لَازِمِ حُبِّهِ ﷺ كَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَيْهِ، وطَلَبُ الْقُرْبِ مِنْ مَعَاهِدِهِ وآثارِهِ وأَمَاكِنِهِ ومَهَابِطِ أَنْوَارِهِ.

تِلْكَ الدِّيَارُ التِي قَلْبُ الـــــمحِبِّ لَهُ ... شَـــوْقٌ إِلَيْـهَـا وَتـذْكَـارٌ وَأَشْـــجَـانُ

وَأَنَّـــةٌ وَحَـنِـيـــنٌ كُـــلَّـــمَـا ذُكِـرَتْ ... وَلَـوْعَـةٌ وَشَـــجًـا مِـنْـهُ وَأَحْـزَانُ[5]

ومِنْهَا: أَنْ يَقُولَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ آمَنْتُ بِاللهِ، بسْمِ اللهِ حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ علَى اللهِ، لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ خَرَجْتُ، وأَنْتَ أَخْرَجْتَ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي وسَلِّمْ مِنِّي ورُدَّنِي سَالمًا في دِينِي كَمَا أَخْرَجْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ وأَزِلَّ أو أُزَلَّ، وأَظْلِمَ أَوْ أُظْلَم أو أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ وجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وتبَارَكَ اسْمُكَ، ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ، إِلَى آخِرِ ذِكْرِ القَاصِدِ لِلْمَسْجِدِ[6].

ومِنْهَا: الإِكْثَارُ فِي المسِيرِ مِنَ الصَّلَاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ ﷺ بَلْ يَسْتَغْرِقُ أَوْقاتَ فَرَاغِهِ فِي ذَلِكَ وغَيْرِهِ مِنَ القُرُباتِ. ويَتْبَعُ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنَ المسَاجِدِ والآثَارِ المنْسُوبَةِ للنَّبِيءِ ﷺ فَيُحْيِيهَا بِالزِّيارَةِ والصَّلاةِ

---

(1) الفصل منقول من كتاب خلاصة الوفا للسمهودِي، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخرِيجه مِن المرجعِ.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113.

(3) سبَقَ تخرِجُهُ، المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (13149) والمعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (4546).

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص114.

(5) البيتان من البسِيط، دون نسبةلم أقف عليهما في غيرِ "خلاصة الوفا"، السمهودِي، ص114.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص114.

فِيهَا، ولَا يُخِلّ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالمعْرُوفِ والنَّهْيِ عنِ المنْكَرِ، والْغَضَبِ عِنْدَ تَضْيِيعِ شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِ ﷺ إِذْ مِنْ عَلَامَاتِ المحَبَّةِ غيْرةُ المحِبِّ لمحْبُوبِهِ، وأَقْوَى النَّاسِ دِيَانَةً أَعْظَمُهُمْ غيرَةً، وادِّعَاءُ المحَبَّةِ بِلَا غيرَةٍ كَذِبٌ[1].

ومِنْها: إِذَا دَنَا مِنْ حَرَمِ المدِينَةِ الشَّرِيفَةِ، وأَبْصَرَ رُبَاهَا وأَعْلَامَها، فلْيَزْدَدْ خضُوعًا وخُشُوعًا ولْيَسْتَبْشِر بالهَنَاءِ وبُلُوغِ المنَى، وإِنْ كَانَ علَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا أَوْ بَعِيرٍ أَوْضَعَهُ تَبَاشُرًا بِالمدِينَةِ، ولله دَرُّ القَائِلِ:

قُـرْبُ الـدِّيَـارِ يَـزِيـدُ شَـــوْقَ الْـوَالِـهِ ... لَا سِـــيَّـمَـا إِنْ لَاحَ نُـورُ جَـمَـالِـهِ
أَوْ بَشَّـــرَ الْـحَـادِي بِـأَنْ لَاحَ النَّـقَـا ... وَبَـدَتْ عَـلَـى بُـعْـدٍ رُؤُوسُ جِـبَـالِـهِ
فَهُنَاكَ غِيلَ[2] الصَّـــبْرُ مِنْ ذِي صَـــبْوَةٍ ... وَبَـدَا الـذِي يُـخْـفِـيـهِ مِـنْ أَحْـوَالِـهِ[3]

ويَجْتَهِدُ حِينَئِذٍ فِي مَزِيدِ الصَّلاةِ والسَّلام وتَرْدِيدِهِمَا كُلَّما دَنَا مِنْ تِلْكَ الأَعْلَامِ، ولَا بَأْسَ بالتَّرَجُّلِ والمشْيِ إِذَا قَرُبَ؛ لِأَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ [50و] لما رَأَوا النَّبِيءَ ﷺ نزَلُوا عَنْ رَوَاحِلِهِمْ ولَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ ﷺ، وقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُد[4]: إِنَّ ذَلِكَ يَتَأَكَّدُ لمن أَمْكَنَهُ مِنَ الرِّجالِ تَوَاضُعًا للهِ وإِجْلَالًا لِنَبِيئِهِ ﷺ[5].

وفِي "الشِّفَاءِ": إِنَّ أَبَا الفَضْلِ الْجَوْهَرِي[6] لما ورَدَ المدِينَةَ زَائِرًا وقَرُبَ مِنْ بُيُوتِها تَرَجَّلَ باكِيًا منشِدًا:

وَلَمَّـا رَأَيْنَـا رَسْـــمَ مَنْ لـــــم يَـدَعْ لَنَـا ... فُـؤَادًا لِـعِـرْفَـانِ الـرُّسُـــومِ وَلَا لُـبَّـا
نَـزَلْـنَـا عَـنِ الأَكْـوَارِ نَـمْشِـــي كَـرَامَـةً ... لِـمَـنْ بَـانَ عَـنْـهُ أَنْ نُـلِـمَّ بِـهِ رَكْـبَـا[7]

وَمِنْها: إِذَا بَلَغَ حَرَمَ المدِينَةِ فلْيَقُلْ بعْدَ الصَّلاةِ والسَّلَامِ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هذَا هُوَ الحَرَمُ الذِي حَرَّمْتَهُ علَى لِسَانِ حَبِيبِكَ ورَسُولِكَ ﷺ، ودَعَاكَ أَنْ تَجْعَلَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ والبَرَكَةِ مِثْلَ ما هُوَ لِحَرَمِ بَيْتِكَ الحَرَامِ، فحَرِّمْنِي علَى النَّارِ وأَمِّنِّي مِنْ عذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عبَادَكَ، وارْزُقْنِي ما رَزَقْتَهُ أَوْلِيَاءَكَ وأَهْلَ طاعَتِكَ، ووَفِّقْنِي فِيهِ لِحُسْنِ الأَدَبِ وفِعْلِ الخَيْرَاتِ وتَرْكِ المنْكَرَاتِ. وإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ عَلَى ذِي الحُلَيْفَة فلَا يُجَاوِزُ المُعرّس[8] حَتَّى يُنِيخَ بِهِ، ويُصَلِّي بِمَسْجِدِهِ ومَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ[9].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص114- 115.

(2) في خلاصة الوفا: عِيلَ.

(3) الأبيات من الكامل، في خلاصة الوفا، ص115، ووفاء الوفا، 89/5، لم أقفْ عليها في غيْرِهما، ولم يذكرْ قائلها.

(4) أبو سليمان: داود بن عمر بن إبراهِيم، الشاذُلِي، سبق تعيفه.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص115.

(6) أبو الفضل الجوهَرِي: عبد الله بن الحسين المصري ابن الجوهري، حدث عن أبي سعد الماليني، روى عنه الحميدي وجماعة، وكان أبوه من العلماء العاملين، ت:480هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 495/18.

(7) الشفا، القاضِي عياض، ص416. البيتان من الطَّوِيل، لأبِي الطيِبِ المتنبّي، الديوان، ص325.

(8) اسم لمسجد ذِي الحليفة على ستّة أميالٍ من المدينة. كان يُعرسُ فيه النَّبِي ﷺ ويُصلي فيه الصبح ثُمَّ يَرْحَل. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، الحازِمِي، ص849 والمغانم المطابة، ص386.

(9) إرشاد السالك، ابن فرحون، 553/2.

ومِنْهَا: الْغُسْلُ لِدُخُولِ المدِينَةِ ولَبْسُ أَنْظَفِ ثِيَابِهِ، صَرَّحَ بِاستِحْبَابِهِ جَمَاعَةٌ مِن الشَّافِعِيَّةِ والحَنَابِلَةِ وغَيْرِهِمْ. وفِي حَدِيثِ قَيْسِ بنِ عَاصِم[1] فِي قُدُومِهِ معَ وَفْدِهِ[2] وحَدِيثِ المنْذِرِ بنِ سَاوَى التَّمِيمِي مَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ[3].

وفِي "الْإِحْيَاءِ": ولْيَغْتَسِلْ قَبْلَ الدُّخولِ مِنْ بِيرِ الْحَرَّةِ، ولْيَتَطَيَّبْ ويَلْبِسْ أَنْظَفَ ثِيَابِهِ[4].

وقَالَ الْكَرْمَانِي مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: وإِنْ لم يَغْتَسِلْ خَارِجَ المدِينَةِ فَلْيَغْتَسِلْ بَعْدَ دُخولِهَا، ولْيَحْذَرْ مَا يفْعَلُهُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ مِنَ التَّجرُّدِ عَنِ المخِيطِ تَشْبِيهًا بِحَالِ الْإِحْرَامِ[5].

ومِنْهَا: إِذَا شَارَفَ المدِينَةَ الشَّرِيفَةَ وتَرَاءَتْ لَهُ الحُجْرَةُ المنِيفَةُ فَلْيَسْتَحْضِر عَظَمَتَها وتَفْضِيلَها، وأَنَّها البُقْعَةُ التِي اخْتَارَهَا اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ ويُمثِّلُ فِي نَفْسِهِ مَوَاقِعَ أَقْدَامِهِ الشَّرِيفَةِ عنْدَ تَرَدُّدِهِ فِيهَا، وإِنَّهُ مَا مِنْ مَوْضِعٍ يَطَؤُهُ إِلَّا وَهُوَ مَوْضِعُ قَدَمِهِ العَزِيزةِ، معَ خُشوعِهِ وسَكِينَتِهِ وتَعْظِيمِ اللهِ لَهُ حَتَّى أَحْبَطَ عمَلَ مَنْ انْتَهَكَ شَيْئًا مِنْ حِرْمَتِهِ، ولَوْ بِرَفْعِ صَوْتِهِ فَوْقَ صَوْتِهِ، ويتَأَسَّفُ علَى فَوَاتِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وإِنَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ لِقُبْحِ فِعلِهِ عَلَى خَطَرٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ لِذُنُوبِهِ ويَلْتَزِمُ سُلُوكَ سَبِيلِهِ لِيَفُوزَ بِالإِقْبَالِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ويَحْظَى بِتَحِيَّةِ القبُولِ مِنْ ذَوِي التُّقَى[6].

ومِنْهَا: أَنْ يَقُولَ عِنْدَ دُخُولِهِ مِنْ بَابِ البَلَدِ: بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ [50ظ] واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، آمَنْتُ بِاللهِ حَسْبِيَ اللهُ إِلخ مَا سَبَقَ، ولْيَتَفَوَّهْ فِي قَلْبِهِ شَرَفُ المدِينَةِ وأَنَّهَا حَوَتْ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ بِالإِجْمَاعِ، وفِي ذَلِكَ قِيلَ:

أَرْضٌ مَشَى جِبْرِيلُ فِي عَرَصَاتِهَا ... وَاللهُ شَرَّفَ أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا[7]

ومِنْها: أَنْ يُقَدِّمَ صَدَقَةً بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ، ويَبْدَأُ بِالمسْجِدِ الشَّرِيفِ ولَا يَعْرُجُ علَى مَا سِواهُ مِمَّا لا ضَرُورَةَ لَهُ إِلَيْهِ، فإِذَا شاهَدَهُ فَلْيَسْتَحْضِرْ أَنَّهُ أَتَى مَهْبِطَ أَبِي الفُتُوحِ جِبْرِيلَ، ومَنْزِلَ أَبِي الغَنَائِمِ مِيكَائِيلَ، ومَوْضِعَ الوَحْيِ والتَّنْزِيلِ، فلْيَزْدَدْ خُضُوعًا وخُشوعًا يَلِيقُ بالمقَامِ، ويَقْصِدْ بَابَ جِبْرِيلَ لِقَوْلِ بَعْضٍ: إِنَّ الدُّخُولَ مِنْهُ أَفْضَلُ،

---

(1) قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ المنْقَرِيُّ: وفد على رسول اللَّه ﷺ في وفد بني تميم فأسلم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «هذا سيّد أهل الوبر» وكان سيدا جوادا، وقال أبو عمر: قيل للأحنف: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، 367/5، ومعرفة الصحابة، أبو نعيم، 2302/4.

(2) الحدِيث في صحيح ابن حبَّان، رقم (1420).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص116.

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي، 306/1.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 116.

(6) (م، س)، ص 116.

(7) (م، س)، ص 116-117. البيت من الكامل، دون نسبة، وينظر: وفاء الوفا، 92/5.

فإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ فلْيُفْرِغْ قَلْبَهُ، ولْيُصَفِّ ضَمِيرَهُ مُسْتَحْضِرًا عظِيمَ مَا هُوَ مُتَوجِّهٌ إِلَيْهِ[1].

قالَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُد: ويَقِفُ يَسِيرًا كَالمسْتَأْذِنِ كَمَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى العُظَمَاءِ، ويُقَدِّمُ رِجْلَهُ اليُمْنَى فِي الدُّخُولِ قَائِلًا: أَعُوذُ باللهِ العَظِيمِ وبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ وبِنُورِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ علَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيمًا كثِيرًا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنوبِي وافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، ووَفِّقْنِي وسَدِّدْنِي وأَعِنِّي علَى مَا يُرْضِيكَ، ومُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ الأَدَبِ، السَّلَامُ علَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ علَيْنَا وعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، ولَا يَتْرُكُهُ كُلَّما دَخَلَ المسْجِدَ أَوْ خَرَجَ، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الْخُرُوجِ: وافْتَحْ لِي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ[2].

ومِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا صارَ فِي المسْجِدِ فَلْيَنْوِ الِاعْتِكَافَ وإِنْ قَلَّ زَمَانُهُ، ثُمَّ يتَوَجَّهُ لِلرَّوضَةِ الشَّرِيفَةِ خاشِعًا غَاضًّا طرْفَهُ غَيْرَ مشْغُولٍ بالنَّظَرِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ زِينَةِ المسْجِدِ وغَيْرِهِ، معَ الْهَيْبَةِ والوَقَارِ والخَشْيَةِ والِانْكِسَارِ والخُضُوعِ والِافْتِقَارِ، ثُمَّ يَقِفُ فِي المصَلَّى النَّبَوِيِّ إِنْ كَانَ خَالِيًا، وإِلَّا ففِيمَا قَرُبَ مِنْهُ ومِنَ المنْبَرِ، وإِلاَّ فَفِي غيْرِ ذَلِكَ فَيُصَلِّي التَّحِيَّةَ رَكْعَتيْنِ خَفِيفَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾[3] والإِخْلَاص، فَإِنْ أُقِيمَت مَكْتُوبَةٌ، أَوْ خَافَ فَوْتَها صَلَّاهَا وحَصَلَت التَّحِيَّةُ، ثُمَّ يَحْمَدُ اللهَ ويَشْكُرُهُ ويَسْأَلُهُ الرِّضَا والتَّوْفِيقَ والقَبُولَ وأَنْ يَهَبَ لَهُ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّارَيْنِ نِهَايَةَ السّولِ، ويَسْجُدَ شُكْرًا للهِ تعَالَى عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ[4].

ووَافَقَهُم الطَّبَرِي، ويَبْتَهِلُ فِي أَنْ يَتِمَّ لَهُ ما قَصَدَ مِنَ الزِّيارَةِ النَّبَوِيَّةِ، ومَحَلُّ تقْدِيمِ التَّحِيَّةِ إِذَا لم يَكُنْ مُرُورُهُ قُبَالَةَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ، فإِنْ كَانَ اسْتُحِبَّت الزِّيَارَةُ أَوَّلًا كمَا قَالَهُ بَعْضٌ[5].

ورَخَّصَ بَعْضُ المالِكِيَّةِ فِي تَقْدِيمِ الزِّيارَةِ علَى الصَّلَاةِ، وقَالَ [51و] كُلُّ ذَلِكَ وَاسِعٌ[6].

ودَلِيلُ الأَوَّلِ: أَنَّ النَّاسَ في حَيَاتِهِ ﷺ إِذَا دَخَلُوا المسْجِدَ صَلُّوا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَاؤُوا فسَلَّمُوا علَيْهِ، ويَأْمُرُهُم بِذَلكَ ويُقِرُّهُم عَلَيْهِ.

قالَ جَابِر بنُ عبْدِ اللهِ: ((**قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَدَخَلْتَ**

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 117.

(2) (م، س)، ص 117.

(3) سورة الكافرون:1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 117.

(5) التشوِيق إلى البيتِ العتِيقِ" لمحمَّد بن محبّ الدِّينِ الطَّبَرِي، ص231.

(6) إرشاد السالك، ابن فرحون، 556/2.

المسْجِدَ فَصَلَّيْتَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَاذْهَبْ فَادْخُلِ المسْجِدَ وَصَلِّ فِيهِ ثُمَّ ايتِنِي وَسَلِّمْ عَلَيَّ))[1].

قالَ اللَّخْمِي[2]: تَبْدَأُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيءِ ﷺ بِتَحِيَّةِ المسْجِدِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ الْقَبْرَ، هذَا قَوْلُ مالِك. وقَالَ ابْنُ حَبِيب[3]: يَقُولُ إِذَا دَخَلَ المسْجِدَ: بِسْمِ اللهِ وَالصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، يرِيدُ أَنَّهُ يَبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ مِنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يَرْكَعُ ولَوْ كَانَ دُخُولُهُ مِنْ البَابِ الذِي بِنَاحِيَةِ القَبْرِ، ومُرورُهُ عَلَيْهِ فوَقَفَ وسَلَّمَ ثُمَّ عادَ إِلَى مَوْضِعٍ يُصَلِّي فِيهِ لم يَكُنْ ضَيِّقًا. ا.هـ[4]

ومُرادُ ابنِ حَبِيبٍ الإِتْيَانُ أَوَّلًا بالسَّلامِ المستَحَبِّ لِدَاخِلِ المسْجِدِ لِحدِيثِ: **((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ))**[5].

ومِنْهَا: أَنْ يَتَوَجَّهَ بعْد ذَلِكَ إِلَى الضَّرِيحِ الشَّرِيفِ مُسْتَعِينًا باللهِ فِي رِعَايَةِ الأَدَبِ لِهَذَا المؤْقِفِ المنِيفِ، فيَقْفُ بِخُضُوعٍ ووَقَارٍ وذِلَّةٍ وانكِسَارٍ، غَاضّ الطَّرْفِ مَكْفُوفَ الْجَوَارِحِ واضِعًا يَمِينَهُ عَلَى شِمالِهِ، كمَا فِي الصَّلاةِ، فِيمَا قالَهُ الكَرْمَانِي مِنَ الْحَنَفِيَّة، مُسْتَقْبِلًا لِلْوَجْهِ الشَّرِيفِ تُجَاهَ مِسْمَارِ الفِضَّةِ، وذَلكَ فِي مُحاذَاةِ الضرعة[6] الثَّانِيَة مِنْ بَابِ المقْصُورَة القبليّ التِي عَنْ يَمِينِ مسْتَقْبِلِه، وَقَدْ حدثَ في مَكَانِ الضّرْعَتَيْنِ شبَّاكٌ مِنْ نُحَاسٍ، ومَوْقِفُ السَّلَفِ قَبْلَ دُخولِ الحُجْرَةِ فِي المسْجِدِ وبَعْدَهُ داخِلَ تِلْكَ المقْصُورَةِ، وهُوَ السُّنَّةُ إِذ المنْقُولُ الوُقُوفُ علَى نَحْوِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ مِنْ رَأْسِ الْقَبْرِ، وقالَ ابنُ عَبْدِ السَّلامِ ثَلاثَةٌ[7].

وقَالَ ابنُ حَبِيب فِي "الوَاضِحَة": واقْصِد القَبْرَ الشَّرِيفَ مِنْ وِجَاهِ القِبْلَةِ واذْنُ مِنْهُ[8].

قالَ الغَزَّالِي فِي "الإِحْيَاءِ": يَنْبَغِي أَنْ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ كمَا وَصَفْنَا، يَعْنِي مِثْلَ مَا ذَكَرْتُ، وتَزُورهُ مَيِّتًا كمَا تَزُورُ حَيًّا، ولَا تَقْرُبْ مِنْ قَبْرِهِ إِلَّا كمَا كُنْتَ تَقْرُبُ مِنْ شَخْصِهِ الكَرِيمِ لَوْ كانَ حَيًّا[9].

ولْيَنْظُر الزَّائِرُ إِلَى أَسْفَل ما يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الحُجْرَةِ ولْيَحْذَرْ مِن اشْتِغَالِ النَّظَرِ بِشَيءٍ مِمَّا هُنَاكَ مِنَ الزِّينةِ، فإِنَّهُ ﷺ كمَا قَالَ فِي "الإِحْيَاءِ": عالم بِحُضُورِكَ وقِيَامِكَ وزِيَارَتِكَ لَهُ، قَالَ: فَمَثِّلْ صُورَتَهُ الكَرِيمَةَ مَوْضُوعًا فِي اللَّحْدِ بِإِزَائِكَ وأَحْضِرْ عَظِيمَ رُتْبَتِهِ فِي قَلْبِكَ. ا.هـ[10]

---

(1) الحدِيثُ في صحيح ابن خزيمة، حدِيث (1828).

(2) علي أبو الحسن بن محمد الربعي المعروف باللخمي، قيرواني نزل صفاقس، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة، ت478هـ. ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، 105/2.

(3) عبد الملك بن حبيب: سبق تعريفه.

(4) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص353. والقول كله للخمِي: التبصرة، اللخمِي، ص75.

(5) السنن الكبرَى، النسائِي حدِيث (9838).

(6) فِي خلاصة الوفا: الصرعة.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 118.

(8) إرشاد السالك، ابن فرحون، 560/2.

(9) إحياء علوم الدِّين، الغزالِي، 320/1.

(10) إحياء علوم الدِّين، الغزالِي، 320/1-321.

ثُمَّ سَلِّمْ مقْتَصِدًا مِنْ غَيْرِ رَفْعِ صَوْتٍ وَلَا إِخْفَاءٍ فتَقُولُ بِحَيَاءٍ ووَقَارٍ: السَّلَامُ عَلَيْكَ [51ظ] أَيُّها النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ ثَلاثًا، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، يا رَسُولَ رَبِّ العَالمينَ، السَّلَامُ عَلَيْك يا خَيْرَ الخَلَائقِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ علَيْكَ يا سَيِّدَ المرْسَلِين وخَاتِمَ النَّبِيئِينَ، السَّلامُ علَيْكَ يا إِمامَ المتَّقِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا قَائِدَ الغُرِّ المحَجَّلِينَ، السَّلامُ علَيْكَ أَيُّها المبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالمينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ المذْنِبِينَ، السّلامُ علَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ اللهِ، السَّلامُ علَيْكَ يا صَفْوَةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، السَّلامُ علَيْكَ يا مَنْ وَصَفَهُ اللهُ بقَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾[1] وبقوْلِهِ: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾[2] السَّلامُ علَيْكَ يا مَنْ سَبَّحَ الحَصَى فِي يَدَيْهِ وحَنَّ الجِذْعُ إِلَيْهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا مَنْ أَمَرَنَا اللهُ بطَاعَتِهِ والصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ، السَّلامُ علَيْكَ وعَلَى سَائِرِ الأَنْبِئاءِ والمرْسَلينَ وعِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ومَلَائِكَةِ اللهِ المقَرَّبين وعَلَى آلِكَ وأَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِينَ وأَصْحَابِكَ كَثِيرًا دَائمًا أَبَدًا كمَا يُحِبُّ رَبُّنا ويَرْضَى، جَزَاكَ اللهُ عنَّا خيْرًا أَفْضَلَ ما جازَى بهِ رَسولًا عن أُمَّتِهِ، وصلَّى عَلَيْكَ أَفْضَلَ وأَكْمَلَ وأَزْكَى وأَنْمَى صَلَاةً صَلَّاها عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَشْهَدُ أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ ونَصَحْتَ الأُمَّةَ وكَشَفْتَ الغُمَّةَ وأَقَمْتَ الحُجَّةَ وأَوْضَحْتَ المحَجَّةَ وجَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وكُنْتَ كَمَا نَعَتَكَ اللهُ في كِتَابِهِ حيْثُ قالَ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾[3] فصَلَواتُ اللهِ وملَائِكَتِهِ وجَمِيعِ خلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وأَرْضِهِ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ. اللَّهُمَّ آتِهِ الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ وابْعَثْهُ المقَامَ المحْمُودَ الذِي وَعَدْتَهُ وآتِهِ نِهَايَةَ مَا يَنْبَغِي أنْ يَسْأَلَهُ السَّائِلونَ. ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿53﴾ ﴾[4] آمَنْتُ باللهِ ومَلَائكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ. اللَّهُمَّ فَثَبِّتْنِي عَلَى ذَلِكَ ولَا تَرُدَّنَا علَى أَعْقَابِنَا، ولَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ. اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ النَّبِيءِ الأُمِّيِّ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ

(1) سورة القلم: 4.

(2) سورة التوبة: 128.

(3) سورة التوبة: 128.

(4) سورة آل عمران: 53.

كمَا صَلَّيْتَ علَى إِبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ في العَالمينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. ومَنْ عَجَزَ عَنْ حِفْظِ ذَلكَ أَوْ ضَاقَ علَيْهِ الوَقْتُ اقْتَصَرَ علَى بَعْضِهِ وأَقَلِّهِ، السَّلامُ علَيْكَ أَيُّها النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبرَكَاتُهُ، بلْ السَّلامُ علَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ [52و] صلَّى اللهُ علَيْكَ وسلَّمَ[1].

وعَن ابْنِ عُمَر وغَيْرِهِ الاقْتِصَارُ جِدًّا. وعَنْ مَالِكٍ يقُولُ: السَّلامُ علَيْكَ أَيُّها النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ[2]. واخْتَارَ بَعْضُهُم التَّطْوِيلَ وعَلَيْه الأَكْثَرُ[3].

وقَالَ ابنُ حَبِيب: ثُمَّ تَقِفُ بِالْقَبْرِ فَتُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ وتُثَنِّي بِمَا يَحْضُرُكَ. ا.هـ[4]

ثُمَّ إِنْ كَانَ أَوْصَاكَ أَحَدٌ بِالسَّلامِ فَقُل السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ مِنْ فُلان بنِ فُلان، أَوْ فُلَانُ بنُ فلَانٍ يُسَلِّمُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ونَحْوه. ثُمَّ يَتَأَخَّرُ الزَّائرُ إِلَى صَوْبِ يَمينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيَصِيرُ تُجَاهَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ فيقُولُ: السَّلامُ علَيْكَ يا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، صَفِيَّ رَسُولِ الله ﷺ وثَانِيهِ في الغَارِ، ورَفِيقَه فِي الأَسْفَارِ، جزَاك اللهُ عنْ أُمَّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ خيْرَ الجَزَاءِ. ثُمَّ يَتَأَخَّرُ إِلَى صَوْبِ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ ثُمَّ يَقُولُ: السَّلَامُ علَيْكَ يا عُمَر الفَارُوق الذِي أَعَزَّ اللهُ بهِ الإِسْلَامَ، جَزَاكَ اللهُ عن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ الجَزَاءِ، هذَا مَا ذَكَرَهُ النَّووِي وغَيْرُهُ مِنَ الشَّافِعِيَّة[5].

وذَكَرَ ابنُ حَبِيبٍ السَّلامَ والثَّناءَ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وعطَفَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: والسَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا صَاحِبَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يا أَبَا بَكْرٍ وعُمَر، جَزَاكُما اللهُ عنِ الإِسْلَامِ وأَهْلِهِ أَفْضَلَ مَا جَازَى وَزِيرَ نَبِيءٍ عَنْ وَزَارَتِهِ في حَيَاتِهِ، وعلَى حُسْنِ خلَافَتِهِ إِيَّاهُ في أُمَّتِهِ بَعْدَ وفَاتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وزِيرَيْ صِدْقٍ في حَيَاتِهِ وخَلَفْتُمَاهُ بالْعَدْلِ والإِحْسَانِ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَ وفَاتِهِ، فَجَزَاكُما اللهُ عَلَى ذَلِكَ مرَافَقَتَهُ في جَنَّتِهِ وإِيَّانا مَعَكُم برَحْمَتِهِ.ا.هـ[6]

قال النَّوَوِيّ: ثُمَّ يرْجِعُ الزَّائِرُ إِلَى مَوْقِفِهِ قبَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيَتَوَسَّلُ بِهِ ويَسْتَشْفِعُ إِلَى رَبِّهِ وأَحْسَنُ ما يَقُولُ ما حُكِيَ عن العُتْبِي[7] مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ، قَالَ: كنْتُ جالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ

(1) متن الإيضاح في المناسِك، النَّووِي، ص451.

(2) إرشاد السالك، ابن فرحون، 563/2، وإتحاف الزائر، ابن عساكر، ص47.

(3) إرشاد السالك، ابن فرحون، 564/2.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 120.

(5) متن الإيضاح في المناسِك، النَّووِي، ص453.

(6) إرشاد السالك، ابن فرحون، 564/2.

(7) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبِي سفيان صخر بن حرب ت:228هـ. سير أعلام النبلاء، 96/11، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 479/3.

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[1] الآية وقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ[2]

ثُمَّ انصرَفَ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ في النَّوْمِ فقَالَ: يا عتْبِيّ الْحَقِ الأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بأَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ[3].

قالَ صاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ": قُلْتُ ولْيُقَدَّم عَلَى ذَلِكَ مَا تَضَمَّنَهُ خبَرُ ابْنِ أَبِي فُدَيْك[4] عَنْ بَعْضِ مَنْ أَدْرَكَهُ قَالَ: مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56)﴾[5] صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يا مُحَمَّد [52ظ] يَقُولُها سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يا فُلَان، لم تسْقطْ لَكَ اليَوْمَ حَاجَةٌ[6].

قال بَعضُهُم: والأَوْلَى أَنْ يقُولَ صَلَّى اللهُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، إِذْ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنْ لَا يُنادَى بِاسمِهِ، والذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ فِي النِّدَاءِ الذِي لَا يَقْتَرِنُ بِهِ الصَّلَاةُ والسَّلامُ، ثُمَّ يُجدِّدُ التَّوْبَةَ بَعْدَ ذَلكَ ويُكْثِرُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ والتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ والاسْتِشْفَاعِ بِنَبِيئِهِ ﷺ في جَعْلِهَا تَوْبَةً نَصُوحًا، ثُمَّ تَقولُ: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تعَالَى قَالَ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[7] الآية، وقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وأَتَيْتُ بِجَهْلِي أَمْرًا كَبِيرًا، وقَدْ وَفدْتُ علَيْكَ زائِرًا وبِكَ مُسْتَجِيرًا، وجِئْتُكَ مُسْتَغْفِرا مِنْ ذَنْبِي سَائِلًا مِنْكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّي، وأَنْتَ شَفِيعُ المذْنِبِينَ المقْبُولُ الوَجِيهُ عِنْدَ رَبِّ العَالمينَ، وهَا أَنَا ذَا مُعْتَرِفٌ بِخَطَئِي، مُقِرٌّ بِذَنْبِي مُتَوَسِّلٌ بِكَ إِلَى اللهِ مُسْتَشْفِعٌ بِكَ إِلَيْهِ، وأَسْأَلُ اللهَ البَرَّ الرَّحِيمَ بِكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ويُمِيتَنِي عَلَى سُنَّتِكَ ومَحَبَّتِكَ ويَحْشُرَنِي فِي زُمْرَتِكَ ويُورِدَنِي وأَحْبَابِي حَوْضَكَ غَيْرَ خزَايَا ولَا نَادِمِينَ، فَاشْفَعْ لِي يَا رَسُولَ رَبِّ العالمينَ وشَفِيعَ المذْنِبِينَ، فَهَا أَنَا ذَا فِي حَضْرَتِكَ وجِوَارِكَ ونَزِيلُ بَابِك وعَلَّقْتُ بِكَرَمِ رَبِّي الرَّجَاءَ، لَعَلَّهُ يَرْحَمُ عبْدَهُ وإِنْ أَسَاءَ، ويَعْفُو عَمَّا جَنَا ويَعْصِمُهُ ما بَقِيَ فِي الدُّنيَا

(1) سورة النساء:64.

(2) البيتان من البسِيط.

(3) المجموع شرح المهذب، النووي، 256/8، والإيضاح في المناسِك، النَّووِي، ص454.

(4) محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني: صدوق مشهور يحتج به في الكتب الستة، حدث عن ابن أبي ذئب، والضحاك بن عثمان، وعنه سلمة بن شيب، وعبد بن حميد، ت:200هـ. ميزان الإعتدال، الذهبِي، 483/3.

(5) سورة الأحزاب: 56.

(6) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص223، والمدخل، ابن الحاج، 261/1.

(7) سورة النساء: 64.

بِبَرَكَاتِكَ وشَفَاعَتِكَ يَا خَاتِمَ النَّبِيِّينَ وشَفِيعَ المذْنِبِينَ[1]. قَال صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ":

أَنْـتَ الشَّـــفِـيـعُ وَآمَـالِـي مُـعَـلَّـقَـةٌ ... وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا الْفَضْـــلِ تَشْـــفَعُ لِي

هَـذَا نَزِيلُـكَ أَضْـــحَى لَا مَلَاذَ لَـهُ ... إِلَّا جَنَـابُـكَ يَـا سُـــؤْلِي ويَـا أَمَلِي

ضَـــيْفٌ ضَـــعِيفٌ غَرِيبٌ قَدْ أَنَاخَ بِكُمْ ... وَمُسْـــتَجِيرٌ بِكُمْ يَـا سَـــادَةَ الْعَرَبِ

يَا مُكْرِمَ الضَّـــيْفِ يَا غَوْثَ الزَّمَانِ وَيَا ... غَوْثَ الْفَقِيرِ وَمَرْمَى الْقَصْـــدِ وَالطَّلَـبِ

هَـذَا مقَـامُ الـذِي ضَـــاقَـتْ مَـذَاهِبُـهُ ... وَأَنْتُمُ فِي الرَّجَـا مِنْ أَعْظَمِ السَّـــبَـبِ[2]

وذَكَر الأَصْمَعِي: أَنَّهُ وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ مُقَابِلَ القَبْرِ الشَّرِيفِ، فقالَ: اللَّهُمَّ هذَا حَبِيبُكَ وأَنَا عَبْدُكَ والشَّيْطَانُ عَدُوُّكَ، فإِنْ غَفَرْتَ لِي سرَّ حَبِيبُك، وفَازَ عَبْدُكَ، وغَضِبَ عَدُوُّكَ، وإِنْ لم تَغْفِرْ لِي غَضِبَ حَبِيبُكَ، ورَضِيَ عَدُوُّكَ وهَلَكَ عَبْدُكَ، وأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُغْضِبَ حَبِيبَكَ وتُرْضِي عدُوَّكَ وتُهْلِكَ عَبْدَكَ. اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ الكِرَامَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ سَيِّدٌ أَعْتَقُوا عَلَى قَبْرِهِ، وهَذَا سَيِّدُ الْعَالمينَ والمرْسَلِينَ فَأَعْتِقْنِي عَلَى قَبْرِهِ. قالَ الأَصْمَعِي: فَقُلْتُ يَا أَخَا العَرَبِ: إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ وأَعْتَقَكَ بِحُسْنِ هَذَا السُّؤَالِ[3].

ويَجْلِسُ الزَّائِرُ إِنْ شَقَّ عَلَيْهِ طُولُ الْقِيامِ فَيُكْثِرُ مِن الصَّلاةِ والتَّسْلِيمِ ويَتْلُو مَا تَيَسَّرَ ويَقْصِدُ الآيَ والسُّوَرَ الجَامِعَةَ لِصِفَاتِ الإِيمَانِ ومَعَانِي التَّوْحِيدِ[4].

وفِي "شَرْحِ المهَذَّبِ"[5] عن "آدَابِ زِيَارَةِ القُبُورِ" لِأَبِي مُوسَى الأَصْبَهَانِي[6] أَنَّ الزَّائِرَ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ قَائِمًا وإِنْ شَاءَ قَعَدَ كَمَا يَزُورُ [53و] أَخَاهُ فِي الْحَيَاةِ فَرُبَّمَا جَلَسَ ورُبَّمَا زَارَ قَائِمًا ومَارًّا. ا.هـ[7].

ويَدعُو بِمُهِمَّاتِهِ ولِوَالِدَيْهِ وإِخْوانِهِ المسْلِمِينَ. قالَ النَّوَوِي: ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، أَيْ: بَعْدَ الدُّعَاءِ والتَّوَسُّلِ قُبَالَةَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ إِلَى رَأْسِ القَبْرِ فيَقِفُ بَيْنَ الْقَبْرِ والأُسْطُوَانَةِ التِي هُنَاكَ ويَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ، ويَحْمَدُ اللهَ تعالَى ويُمجِّدُهُ ويَدْعُو لِنَفسِهِ بِمَا أَهمَّهُ ومَا أَحَبَّهُ ولِوَالِدَيْهِ ولِمَنْ شَاءَ مِنْ أَقَارِبِهِ وأَشْيَاخِهِ وإِخْوَانِهِ وسَائِرِ المسْلِمِينَ[8].

وفِي كُتُب الحَنَفِيَّة وغَيْرِهِم نَحْوُ هَذَا، وفِي كُتُب بَعْضِ المالِكِيَّةِ سَرْدُ الدُّعاءِ والسَّلَام والزِّيَارَة مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ العودِ. وقَالَ العِزُّ بنُ جَمَاعَة: إِنَّ ما ذَكَرُوهُ مِنَ العودِ إِلَى قُبَالَةِ الوَجْهِ الشَّرِيفِ ومِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 122.

(2) الأبيات من البسِيط، خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 123.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 123.

(4) (م، س)، ص 123.

(5) المهذب في الفروع، وقال حاجي خليفة: المهذب المخلص من العيوب، لأبِي إسحاق الشيرازِي الشافعِي، ت:476هـ، وشرحه للنووِي. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1912/2.

(6) أبو موسى الأصبهانِي: محمد بن عمر بن أحمد المدِينِي، الحافِظ، الثِّقَة، ت: 581هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 152/21.

(7) المجموع شرح المهذَّب، النَّوَوِي، 311/5.

(8) المجموع شرح المهذَّب، النَّوَوِي، 275/8.

رَأْسِ القَبْرِ المقَدَّسِ لِلدُّعَاء عَقِبَ الزِّيَارَةِ لم يُنْقَلْ عَنْ فِعْلِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ[1].

قَالَ صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ" غَرَضُ مَنْ رَتَّبَ ذلِكَ هَكَذَا تَأْخِيرُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ عَنِ السَّلَامِ عَلَى الشَّيْخيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والْجَمْعُ بَيْنَ مَوْقِفَيْ السَّلَفِ قَبْلَ إِدْخَالِ الحُجْرَةِ وبَعْدَهُ مَعَ الدُّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ فِي الثَّانِي وهُوَ حَسَنٌ[2].

ومِنْ آدابِ الزِّيَارَةِ: أَنْ يَقِفَ عِنْدَ المنبَرِ الشَّرِيفِ ويَدْعُو اللهَ تعَالَى ويَحْمَدهُ علَى مَا يَسَّرَ لَهُ ويَسْأَلهُ مِنَ الخَيْرِ أَجْمَعَ ويَسْتَعِيذ بِهِ مِنَ الشَّرِّ أَجْمَع. وعَنْ يَزِيد بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ قُسَيْطٍ[3]: رَأَيْتُ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذا خَلَا المسْجِدُ يَأْخُذُونَ بِرُمَّانَةِ المنْبَرِ العُلْيَا التِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُمْسِكُها بِيَدِهِ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُونَ القِبْلَةَ ويَدْعُونَ ويُصَلُّونَ عِنْدَ أُسْطُوَانِ المهَاجِرِينَ وغَيْرِهَا مِنَ الأُسْطُوَاناتِ ذَوَاتِ الْفَضْلِ، ويُكْثِر مِنَ الصَّلاةِ والدُّعاءِ بِالرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ[4].

ومِنْهَا: أَنْ يَجْتَنِبَ لمسَ جِدَارِ القَبْرِ وتَقْبِيلَهُ والطَّوَافَ بِهِ. قَالَ النَّوَوِيّ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُطافَ بِهِ ويُكْرَهُ إِلْصَاقُ الظَّهْرِ والبَطْنِ بِهِ، قَالَهُ الْحَلِيمِي[5] وغَيْرُهُ. قَالَ: ويُكْرَهُ مَسْحُهُ بِاليَدِ وتَقْبِيلُهُ، بَل الأَدَبُ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ، كَمَا يَبْعُدُ مِنْهُ لَوْ حَضَرَ في حَيَاتِهِ. هذَا هُوَ الصَّوَابُ وهُوَ الذِي قَالَهُ العُلَمَاءُ وأَطْبَقُوا عَلَيْهِ، ومَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّ المسْحَ بالْيَدِ ونَحْوِها أَبْلَغُ في الْبَرَكَةِ فَمِنْ جَهْلِهِ وغَفْلَتِهِ؛ لِأَنَّ البَرَكَةَ فِيمَا وَافَقَ الشَّرْعَ وأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ[6].

وَفِي "الإِحْيَاءِ": مَسُّ الشَّاهِدِ[7] وتَقْبِيلُهَا عَادَةُ النَّصَارَى واليَهُود.ا.هـ[8]. وعَن الزَّعْفَرَانِي[9] أَنَّ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 123-124.

(2) (م، س)، ص 124.

(3) يَزِيْدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ قُسَيْطٍ اللَّيْثِيّ المدَنِيّ: الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، الأَعْرَجُ، روَى عَنْ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَعُبَيْدِ بنِ جُرَيْجٍ، وَسَعِيْدِ بنِ المسَيِّبِ، وَعُرْوَة بنِ الزُّبَيرِ، وروَى عَنْهُ: أَبُو صَخْرٍ حُمَيْدُ بنُ زِيَادٍ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَمَالِك، وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وَاللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ، وَآخَرُوْنَ. وَرَوَى مَالِكٌ عَنْهُ قَلِيْلاً، مَاتَ: سَنَةَ 122هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 266/5.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 124.

(5) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، البخاري، الشافعي (أبو عبد الله) فقيه، محدث، متكلم، أديب، ولد ببخارى، ونشأ بها، وولي القضاء، ت:403هـ، من تصانيفه: منهاج الدين في شعب الإيمان، آيات الساعة وأحوال القيامة. سير أعلام النبلاء، الذَّهَبِي، 231/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 607/01.

(6) المجموع شرح المهذب، النووِي، 257/8، ومتن الإيضاح، النووِي، ص456. ومنه نقل قول الحليمي.

(7) خطأ، صوابُهُ المشاهِد.

(8) إحياء علوم الدين، الغزالِي، 320/1.

(9) محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق بن محمد البغدادي، الزعفراني، الجلاب، الشافعي (أبو الحسن) فقيه، محدث، كان تاجرا جوالا، فرحل إلى أصبهان والشام ومصر والبصرة، وسمع الكثير، توفي ببغداد سنة 517هـ، من آثاره: تحرير أحكام الصيام، الضحايا، ومناسك الحج. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 471/19، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 711/3.

ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ التِي تُنْكَرُ شَرْعًا[1].

وعَنْ أَنَس بنِ مَالِك: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فَنَهَاهُ، فقَالَ: مَا كُنَّا نعْرِفُ هذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[2].

وقَالَ السَّرُوجِي[3] مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: لَا يُلْصِقُ بَطْنَهُ بِالجِدَارِ، ولَا يَمسُّهُ بِيَدِهِ[4].

ومِنْ كِتَابِ أَحْمَد [53ظ] بنِ سَعِيدٍ الْهِنْدِي[5] كَمَا فِي "الشِّفَاءِ": إِنَّهُ لَا يلْصقُ بِالقَبْرِ ولَا يَمُسُّه ولَا يَقِفُ عِنْدَهُ طَوِيلًا[6].

وفِي "المغْنِي" للْحَنَابِلَة: ولَا يُسْتَحَبُّ التَّمَسُّحُ بِحَائِطِ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ ولَا يُقَبِّلُهُ[7].

وقالَ أَبُو بَكْر الْأَثْرَم[8]: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي ابْنَ حَنْبَل: قَبْرُ النَّبِيءِ ﷺ يُلْمَسُ ويُتَمَسَّحُ بِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْرِفُ هَذَا، قُلْتُ لَهُ: فَالمنْبَرُ؟ أَيْ: قَبْلَ احْتِرَاقِهِ، قَالَ: أَمَّا المنْبَرُ فَنَعَمْ، قدْ جَاءَ فِيهِ شَيْءٌ يَرْوُونَهُ عَن ابْنِ أَبِي فُدَيْك عَنْ أَبِي ذِيبٍ عَن ابْنِ عُمَر أَنَّهُ مَسَحَ المنْبَرَ، ويَرْوُونَهُ عَنْ سَعِيد بنِ المسَيِّبِ فِي الرُّمَّانَةِ. ويُرْوَى عَنْ يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ شَيْخِ مَالِكٍ أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى الْعِرَاقِ جَاءَ إِلَى المنْبَرِ فَمَسَحَهُ ودَعَا فَرَأَيْتُهُ اسْتَحْسَنَ ذَلِكَ. قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ إِنَّهُمْ يُلْصِقُونَ بُطُونَهُمْ بِجِدَارِ الْقَبْرِ، وقُلْتُ لَهُ: رَأَيْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لَا يَمُسُّونَهُ ويَقُومُونَ نَاحِيَتَهُ ويُسَلِّمُونَ، فقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: نَعَمْ وهَكَذَا كَانَ ابْنُ عُمَر يَفْعَلُ ذَلِكَ، نَقَلَهُ ابنُ عَبْدِ الْهَادِي عَنْ تَأْلِيفِ شَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ[9].

وذَكَرَ ابنُ عَساكِر فِي "تُحْفَتِهِ"[10] عن ابْن عُمر أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُكْثَرَ مَسُّ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ[11]. فَفِيهِ إِجَازَةُ المسِّ وتَقْيِيدُهَا بِتَرْكِ الْإِكْثَارِ. وفِي كِتَابِ "الْعِلَلِ والسُّؤَالَات" لِعَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل:

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 124.

(2) (م، س)، ص 124.

(3) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السَّروجي الحنفي، (شمس الدين، أبو العباس) قاضي قضاة الديار المصرية، توفي بالقاهرة سنة 710هـ، من تصانيفه: اعتراضات على ابن تيمية في علم الكلام، شرح على الهداية وسماه الغاية. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محي الدين الحنفِي، 123/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 89/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 126.

(5) أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمذاني، المعروف بابن الهندي (أبو عمر) فقيه، حافظ لأخبار أهل الأندلس، ت:399هـ، من مؤلفاته: كتاب في علم الشروط. الديباج، ابن فرحون، 172/1، معجم المؤلفين، رضا كحالة، 144/1.

(6) الشفا، القاضِي عياض، ص448.

(7) المغنِي، ابن قدامة المقدِسِي، 468/5.

(8) أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الطائي الأثرم، محدث وفقيه، صاحب أحمد بن حنبل، ت:261هـ. من آثاره: السنن في الفقه على مذهب أحمد وشواهده من الحديث التأريخ، العلل، والناسخ والمنسوخ في الحديث. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 623/12، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 302/1.

(9) الصارم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص145، وتأليف ابن تيمية المقصود هنا: إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

(10) عنوان الكتاب كاملا: إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ، لـ: أبو اليمن بن عساكر عبد الصمد بن عبد الوهاب بن أبي الحسن الدمشقي نزيل مكة، ت:686هـ.

(11) إتحاف الزَّائِر، أبو اليمن ابن عساكر، ص62.

سَأَلْتُ أَبِي عَن الرَّجُلِ يَمسُّ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ يَتَبَرَّكُ بِمَسِّهِ وتَقْبِيلِهِ، ويَفْعَلُ ذَلِكَ بالمنْبَرِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ[1].

قَالَ العِزُّ بنُ جَمَاعَة: وهَذَا يُبْطِلُ ما نُقِلَ عَنِ النَّوَوِي مِنَ الإِجْمَاعِ[2].

قَالَ السُّبْكِي: عَدَمُ التَّمَسُّحِ بِالقَبْرِ لَيْسَ مِمَّا قَامَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ[3].

واسْتَنَدَ في ذَلِكَ لما روَاهُ يَحْيَى بنُ الْحَسَنِ[4] عنْ مُحَمَّد بنِ خَالِد[5] عَنْ أَبِي نبَاتَةَ عَنْ كَثِير بنِ زَيْدٍ عَن المطَّلِبِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَنْطَب قَالَ: أَقْبَلَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَم فَإِذَا رَجُلٌ مُلْتَزِمٌ الْقَبْرَ، فأَخَذَ مرْوَانُ بِرَقَبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَصْنَعُ؟ فأَقْبَلَ عَلَيْهِ فقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لم آتِ الحَجَرَ ولَمْ آتِ اللَّبِنَ إِنَّمَا جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ. أَيْ: لم آتِ المحَرَّمَ ولَمْ أَبْعُدْ عَنِ الجمَاعَةِ والْجُمُعَةِ بِالذَّهَابِ إِلَى لَبِنِ الصَّحْرَاءِ، أَو حَجَرِ البِنَاءِ ولَبِنَاتِهِ. والرَّجلُ أَبُو أَيُّوب الأَنْصَارِي[6].

قالَ السُّبكِيّ: وعُمَرُ بنُ أَحْمَد لم أَعْرِفْهُ، وابنُ نُبَاتَةَ ومَنْ فَوْقَهُ ثِقَاتٌ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا الإِسْنَادُ لم يُكْرَهْ مَسُّ جِدَارِ الْقَبْرِ[7].

قَالَ صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ": رَوَاهُ أَحْمَد بِسَنَدٍ حَسَنٍ، ولَفْظُهُ: أَقْبَلَ مَرْوانُ يَوْمًا فَوَجَدَ رَجُلًا وَاضِعًا وَجْهَهُ عَلَى الْقَبرِ، فَأَخَذَ مَرْوانُ بِرَقَبَتِهِ ثُمَّ قالَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَصْنَعُ؟ فأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لم آتِ الحَجَرَ، إِنَّمَا أَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، ولَمْ آتِ الحَجَرَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ [54و] يقول: ((**لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، وَلَكِن ابْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ**))[8]. وَمَرَّتْ قِصَّةُ بِلال أَنَّهُ أَتَى الْقَبْرَ فَجَعَلَ يَبْكِي ويُمرِّغُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ.

وذَكَرَ الْخَطِيبُ بنُ جمْلَة[9] أَنَّ بِلَالًا ﷺ وَضَعَ خَدَّيْهِ علَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، وأَنَّ ابْنَ عُمَر كانَ يَضَعُ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَيْهِ، قالَ: ولَا شَكَّ أَنَّ الاسْتِغْرَاقَ فِي المحَبَّةِ يَحْمِلُ عَلَى الإِذْنِ فِي ذَلِكَ، والقَصْدُ بِهِ التَّعْظِيمُ، والنَّاسُ تَخْتَلِفُ مرَاتِبُهُم كمَا فِي الْحَيَاةِ، فمِنهُمْ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ بلْ يُبَادِرُ إِلَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ فِيهِ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 126، العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، 492/2.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص126.

(3) (م، س)، ص126، شفاء السقام، السبكي، ص342.

(4) يحيَ بن الحسَنِ بن جعفر بن عبيد الله، سبق تعريفه.

(5) في خلاصة الوفا: عمر بن خالد.

(6) لم أجد هذه الرواية، أو أن فيها تداخلا مع كلام المؤلف.

(7) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص343.

(8) مسند أحمد، حدِيث (23585).

(9) فِي خلاصة الوفا: بن حملة.

محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة بن مسلم المحجي الدمشقي، فقيه، أفتى وتولى الخطابة بالجامع الأموي بدمشق، ت:764هـ، له كتب كثيرة، منها: الوقاية الموضحة لشرف المصطفى. طبقات الشافعية الكبرى، السبكِي، 385/10، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 827/3.

أَنَاةٌ فَيَتَأَخَّرُ[1].

ونقلَ عَن ابْنِ أَبِي الصَّيْفِ[2] والمحِبّ الطَّبَرِي[3] جَوَازُ تَقْبِيلِ قبُورِ الصَّالِحِينَ[4].

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ التَّيْمِي[5] كَانَ ابْنُ المنكدر[6] يُصِيبُ[لهُ] الصَّماةُ[7] فكَانَ يَقُومُ فَيَضَعُ خَدَّهُ علَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فعُوتِبَ علَى ذَلِكَ، فقَالَ: إِنَّهُ يَسْتَشْفِي بِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ[8].

ومِنْها: اجْتِنَابُ الِانْحِنَاءِ لِلْقَبْرِ عِنْدَ التَّسْلِيمِ، فَهُوَ مِنَ البِدَعِ، ويَظُنُّ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ شِعَارِ التَّعْظيمِ، وأَقْبَحُ مِنْهُ تَقْبِيلُ الأَرْضِ لِلْقَبْرِ. قَالَ العِزُّ بنُ جَمَاعَةَ: ولَيْسَ عَجَبِي مِمَّنْ جَهِلَهُ وارْتَكَبَهُ، بَلْ مِمَّنْ أَفْتَى بِتَحْسِينِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِتَقْبِيحِهِ[9].

قالَ فِي "الْخُلَاصَة": شَاهَدْتُ بَعْضَ القُضَاةِ فَعَلَهُ، وزَادَ السُّجُودَ بِجَبْهَتِهِ بِحَضْرَةِ الْعَوَامِ فتَبِعُوهُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[10].

ومِنْهَا: أَنْ لَا يَسْتَدْبِرَ الْقَبْرَ المقَدَّسَ فِي صَلَاتِهِ ولَا فِي غَيْرِهَا، ولَا يُصَلِّي إِلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: وإِذَا أَرَدْتَ صَلَاةً فلَا تَجْعَلْ حُجْرَتَهُ ﷺ وراءَ ظَهْرِكَ، ولَا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: والأَدَبُ مَعَهُ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ مِثْلُهُ فِي حَيَاتِهِ، فَمَا كُنْتَ صَانِعَهُ فِي حَيَاتِهِ فَاصْنَعْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ؛ مِن احْتِرَامِهِ والإِطْرَاقِ بَيْنَ يَدَيْهِ وتَرْكِ الخِصَامِ، وتَرْكِ الخَوْضِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخُوضَ فِيهِ فِي مَجْلِسِهِ، فإِنْ أَبَيْتَ فَانْصِرَافُكَ خَيْرٌ مِنْ بَقَائِكَ[11].

قالَ الأَذْرَعِيّ[12]: يَجِبُ الْجَزْمُ بتَحْرِيمِ الصَّلَاةِ إِلَى قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ والأَوْلِيَاءِ تَبَرُّكًا أَوْ إِعْظَامًا. وفِي

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص127.

(2) محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف: أبو عبد الله محدث، من أهل زبيد سكن مكة، وتوفي بها سنة 609هـ. من آثاره: الميمون في فضائل أهل اليمن. طبقات الشافعية الكبرى، السبكِي، 46/8، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 133/3.

(3) سبق تعرِيفُهُ.

(4) فتح البارِي، ابن حجر، 475/3.

(5) إسماعيل بن يعقوب التيمي، ذكره ابن حبان في الثقات، 93/8.

(6) في الأصل: مكندر. مُحَمَّدُ بنُ المنْكَدِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ التَّيْمِيّ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، وَحَدَّثَ عَنِ: سَلْمَانَ، وَأَبِي رَافِعٍ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، وَأَبِي قَتَادَةَ، وَطَائِفَةٍ مُرْسَلاً. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 353/5.

(7) هكذا ضبطه المؤلّف، وفي لسان العرب: صُمات وهو السكوت. لسان العرب (صمت).

(8) سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 258/2.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص128.

(10) (م، س)، ص128.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 128، والنَّصُّ من كتاب مناسك الحجّ للعزّ بن عبد السَّلام.

(12) الأذرَعِي: نسبة إلى أذرعات الشام، إسحاق بن إبراهيم بن هاشِم، المحدِّث، شيخ دمشق، ارتحل وسمع بمصر وحمص، ت: 344هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 478/15.

"التَّتِمَّةِ"[1]: إنَّ الصَّلاةَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَرَامٌ. قَالَ الأَذْرَعِيّ: ويَنْبَغِي أَنْ لَا يَخْتَصَّ هَذَا بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَلْ هُوَ كَمَا ذَكَرْنَا[2].

وعَجِيبٌ مِن قَوْلِ النَّوَوِي فِي "التَّحقيقِ" تَحرُمُ الصَّلاةُ مُتَوَجِّهًا إِلَى رَأْسِ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويُكْرَهُ إِلَى غَيْرِهِ. ا.هـ[3]

ويَجْتَنِبُ مَا يَفْعَلُهُ الْجَهَلَةُ مِنَ التَّقَرُّبِ بِأَكْلِ التَّمْرِ الصَّيْحَانِي بِالمسْجِدِ وإِلْقَاءِ النَّوَى بِهِ[4].

ومِنْهَا: أَنْ لَا يَمُرَّ بِالْقَبْرِ الشَّرِيفِ ولَوْ مِنْ وَرَاءِ المسْجِدِ إِلاَّ يَقِفُ ويُسَلِّمُ. حَدَّثَ أَبُو حَازِمٍ[5] أَنَّ [54ظ] رَجُلًا أَتَاهُ فَحَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيءَ ﷺ يقُولُ: قُلْ لِأَبِي حَازِمٍ أَنْتَ المارُّ بِي مُعْرِضًا، لَا تَقِفُ تُسَلِّم عَلَيَّ. فلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَبُو حَازِمٍ مُنذُ بَلَغَتْهُ الرُّؤْيَا[6].

قَالَ ابنُ رُشْدٍ فِي "جَامِعِ الْبَيَانِ"[7]: وسُئِلَ، يَعْنِي مَالِكًا، عَنِ المارِّ بِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ: أَتَرَى أَنْ يُسَلِّمَ كُلَّما مَرَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَرَى ذَلِكَ عَلَيْهِ كُلَّمَا مَرَّ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَمَّا إِذَا لم يَمُرَّ بِهِ فَلَا أَرَى ذَلِكَ، وذَكَرَ حَدِيثَ: ((**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا**))[8] فإِذَا لم يَمُرَّ بِهِ فَهُوَ فِي سَعَةٍ مِنْ ذَلِكَ. وَسُئِلَ عَن الْغَرِيبِ يَأْتِي قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ كُلَّ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا هَذَا مِنَ الأَمْرِ، ولَكِنْ إِذَا أَرادَ الخُرُوجَ. قَالَ ابنُ رُشْدٍ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَلْزَمُهُ أَنْ يُسَلِّمَ مَتَى مَا مَرَّ، ولَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ فَيُسَلِّمَ إِلَّا لِلْوَدَاعِ عِنْدَ الْخُرُوجِ. ويُكْرَهُ أَنْ يُكْثِرَ المرُورَ بِهِ وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ والإِتْيَانَ كَلَّ يَوْمٍ[9].

وقَالَ مالِكٌ فِي "المبْسُوطِ"[10]: لَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخَل المسْجِدَ وخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ الوُقُوفُ بالْقَبْرِ، وإِنَّما ذَلِكَ لِلْغُرَبَاءِ، وقَالَ فِيهِ: لَا بَأْسَ لمنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ خرَجَ إِلَى سَفَرٍ أَنْ يَقِفَ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ويَدْعُو لَهُ ولِأَبِي بَكْرٍ وعُمَرٍ. فقِيلَ لَهُ: إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لَا يَقْدمُونَ مِنْ سَفَرٍ ولَا يُرِيدُونَهُ، ويَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ مرَّةً أَوْ أَكْثَرَ أَوْ فِي الجُمُعَةِ أَو الأَيَّامِ، فقَالَ: لم يبْلُغْنِي هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الفِقْهِ ببَلَدِنَا وتَرْكُهُ واسِعٌ، ولَا يُصْلِحُ هَذِهِ الأُمَّةَ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا، ولَمْ يبْلُغْنِي عنْ

---

(1) الكتاب: تتمة الإبانة عن أحكام فروع الديانة، عبد الرحمن بن محمد المتولّي الشَّافِعِي ت:478 هـ.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 128.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص128، لم أقف عليهِ في المطبوع من التحقيق للنووِي.

(4) إرشاد السالك، ابن فرحون، 576/2.

(5) أبو حازِم: سلمة بن دينار المديني المخزومِي، شيخ المدينة، روَى عن سهل بن سعد وسعيد بن المسيب وغيرهما، وممن روى عنه ابن شهاب، ومالك. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 96/6.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص128 والأثر في: المنامات، ابن أبِي الدُّنيا، حدِيث (323).

(7) في وفاء الوفا: الجامع من البيان لابن رشد شرح العتبية. 111/5.

(8) الحدِيث فِي مسند أحمد رقم (7358).

(9) البيان والتحصِيل، ابن رشد، 444/18، شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص215.

(10) المبسوط للقاضِي إسماعيل بن إسحاق الأزدِي المالكِي ت:282هـ، صاحب كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ.

أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ وصَدْرِهَا أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، ويُكْرَهُ إِلَّا لمنْ جاءَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ أَرَادَهُ[1].

قالَ البَاجِي: ففَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ المدِينَةِ والغُرَبَاءِ لِأَنَّ الغُرَبَاءَ قَصَدُوا لِذَلِكَ وأَهْلُ المدِينَةِ مقِيمُونَ بِهَا، لم يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ والتَّسْلِيمِ[2].

قالَ السُّبْكِي: والمتَلَخَّصُ مِنْ مَذهَبِ مَالِكٍ أَنَّ الزِّيَارَةَ قُرْبَةٌ، ولَكِنَّهُ علَى عَادَتِهِ فِي سَدِّ الذَّرَائِعِ يَكْرَهُ مِنْهَا الإِكْثَارَ الذِي يُفْضِي إِلَى مَحْذُورٍ. والمذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ يقُولُونَ بِاسْتِحْبَابِهَا واسْتِحْبَابِ الإِكْثَارِ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الإِكْثَارَ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ[3]. وهَذَا مَذْهَبُنَا للْغَرِيبِ وغَيْرِهِ مَعْشَرَ الإِبَاضِيَّةِ.

قَالَ النَّوَوِيّ مِنَ الشَّافِعِيَّة: يُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنَ الزِّيَارَةِ وأَنْ يُكثرَ الوُقُوف عِنْدَ قبُورِ أَهْلِ الخَيْرِ والفَضْلِ[4].

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّد بنِ عَقِيل شَارِحُ "أَلْفِيَّةِ بنِ مَالِك": كُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ حتَّى آتِيَ المسْجِدَ، فَأَبْدَأُ بِالنَّبِيءِ ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ[5].

ولابْنِ زَبَالَةَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ مُحَمَّد[6]: رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ، يُقالُ لَهُ مُحَمَّد بنُ كَيْسَانَ، يَأْتِي إِذَا صَلَّى العَصْرَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعةِ، ونَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَبِيعَةَ، فيَقُومُ عِندَ الْقَبْرِ فَيُسلِّمُ ويَدْعُو حَتَّى يُمْسِي [55و] فَيَقُولُ جلَسَاءُ رَبِيعَةَ: انْظُرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ هذَا فَيَقُولُ: دَعُوهُ فَإِنَّمَا لِلْمَرْءِ مَا نوَاهُ[7].

قالَ الشَّافِعِي: قالَ ابْنُ عَجْلان[8] لبَعْضِ الأُمَرَاءِ: إِنَّكَ تُطِيلُ ثِيَابَكَ، وتُطِيلُ الخُطْبَةَ، وتُكْثِرُ المجِيءَ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ، فقَالَ: أَمَّا ثِيَابِي فَإِنِّي أُكْسَاهَا، وأَمَّا الخُطْبَةُ فَإِنِّي أَتَعلَّمُها، وأَمَّا كَثْرَةُ المجِيءِ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فلَوْ كَانَ فِيهِ العَجلَانُ مَا أَتَيْتُهُ[9].

ولَعَلَّهُ أَرَادَ بالعَجْلَانِ أَبَا ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَوْ كَانَ الأَمِيرُ رَافِضِيّا، فيَكُونُ اللَّفْظُ تَثْنِيَةً، ولَا أَدْرِي ما المرَادُ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا لَا أَفْضَل فِي الصَّحَابَةِ ولَا فِي صَحَابَةِ الأَنْبِيَاءِ مِنْهُما، وإِنَّمَا سَمَّاهُما بِاسْمِ الْعجل بَعْضُ الرَّوَافِضِ لَعَنَهُم اللهُ.

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص448.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص448.

(3) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص216.

(4) الأذكار النوويَّة، النَّوَوِي، ص226.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص130.

(6) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدَّرَاوَرْدِي (دراورد قرية بخراسان) العالم المحدّث نزل المدينة، ت: 187هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 366/8.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 130، وينظر: اقتضاء الصِّراط المستقِيم، ابن تيميّة، 731/2.

(8) محمد بن عجلان القرشي المدنِي: ولد في خلافة عبد الملك بن مروان، حدث عن أبيه وغيره، حدث عنه شعبة وسفيان وغيرهما، وكان فقيها عابدا، ت: 148هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 317/6.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 130.

ومِنْهَا: الإِكْثَارُ مِنَ الصَّلاة والسَّلَامِ واغْتِنَامُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الصِّيَامِ والحِرْصُ علَى الصَّلَواتِ الخَمْسِ بالمسْجِدِ النَّبَوِيّ فِي الْجَمَاعَةِ، والإِكْثَارُ مِنَ النَّفْلِ فِيهِ مَعَ تَحَرّي المسْجِدِ الأَوَّلِ والأَمَاكِنِ الفَاضِلَةِ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الصَّفُّ الأَوَّلُ خَارِجَهُ، ولْيَغْتَنِمْ مُلازَمَةَ المسْجِدِ إِلَّا لمصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، وكُلَّما دَخَلَهُ جَدَّدَ نِيَّةَ الاِعْتِكَافِ، ولْيَحْرِصْ عَلَى المبِيتِ فِيهِ، ولَوْ لَيْلَةً يُحْيِيهَا، وعَلَى خَتْمِ القُرْآنِ العَظِيمِ بِهِ[1].

وأَخْرَجَ سَعِيدُ بنُ مَنْصُور[2] عَنْ أَبِي مخلد[3] أَنَّهُ قَالَ: كَانُوا يُحبُّونَ لمنْ أَتَى المسَاجِدَ الثَّلَاثَةَ أَنْ يَخْتِمَ فيهَا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ[4]. قَالَ المجْدُ: ويُدِيم النَّظَرَ إِلَى الحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهُ عِبَادَةٌ قِيَاسًا عَلَى الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانَ خَارِجَ المسْجِدِ الحَرَامِ وأَدَامَ النَّظَرَ إِلَى قُبَّتِهَا مَعَ المهَابَةِ والْحُضُورِ[5]. وَأَرَادَ بِالمسْجِدِ الحَرَامِ المسْجِدَ النَّبَوِيّ.

ومِنْهَا: أَنْ يَخْرُجَ اسْتِحْبَابًا كُلَّ يَوْمٍ إِلَى البَقِيعِ بَعْدَ السَّلامِ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ خصُوصًا يَوْمَ الجُمُعَةِ، قَالَهُ النَّوَوِي. فَيَقُولُ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وإِنَّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، يَرْحَمُ اللهُ المسْتَقْدِمِينَ منْكُمْ والمسْتَأْخِرِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ولَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ، واغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ، ثُمَّ يَزُورُ الْقُبُورَ الظَّاهِرَةَ[6].

قالَ فَضْلُ اللهِ بنُ الغوري[7] مِنَ الحَنَفِيَّة: إِذَا أَرَادَ زِيَارَةَ البَقِيعِ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ البَلَدِ، ويَأْتِي قُبَّةَ العَبَّاس بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ، ويَخْتِمُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ المطَّلِبِ[8].

وذَلِكَ أَنَّ مَشْهَدَ العَبَّاسِ أَوَّلُ مَا يلْقَى الخَارِجُ مَنَ البَلَدِ علَى يَمِينِهِ، فمُجَاوَرَتُهُ مِنْ غَيْرِ سَلَامٍ جَفْوَةٌ، فإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَّم عَلَى مَنْ يَلِيهِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا فِي أُمُورِهِ فيَخْتِمُ بِصَفِيَّةَ فِي رُجوعِهِ[9].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 130.

(2) سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، المروزي، الطالقاني، البلخِي، محدث، وحافظ، ومفسر، ولد بجوزجان، ونشأ ببلخ، وطاف البلاد، وسكن مكة، وتوفي بها سنة 227هـ، من تصانيفه: السنن، وتفسير القرآن الكريم. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 586/10، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 770/1.

(3) أبو مخلد: في إعلام الساجد: أبو مجلَز وفي خلاصة الوفا: أبو محلد.

اسم أبي مجلز لاحق بن حميد السدوسِي البصرِي، مات قبل الحسن بقلِيل، ومات الحسن سنة عشرة ومئة، سمع ابن عمَر، وابن عبَّاس وأنس بن مالِك، روَى عنهُ قتادةُ وسليمان التَّيْمِي. التاريخ الكبِير، البخارِي، 258/8.

(4) إعلام الساجد، الزركشِي، ص288، لم أجده في المطبوع من سنن أبِي منصور.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص130.

(6) المجموع شرح المهذَّب، 258/8، وفِيهِ: الطَّاهرة.

(7) فضل الله بن النصير بن الغورِي: لم أقف على ترجمة له، له كتاب في الوعظ مخطوط، فهرس مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، رقم: 21469، ومخطوط آخر عنوانه: التحف المكية والأخبار المدنية المذيلة بالآثار المحكية، في مركز الملك فيصل، رقم: 1504-1-ف.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص131.

(9) (م، س)، ص131.

[55ظ] وقَدْ صَرَّحَ النَّوَوِي أنْ يَخْتِمَ بِهَا[1].

وقالَ ابْنُ فَرِحُونَ[2] مِنْ قَوْمِنَا: الأَوْلَى بِالتَّقدِيمِ سَيِّدُنا عُثْمانُ بنُ عفَّانَ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مَنْ هُنَاكَ. قُلْتُ ذَلِكَ خَطَأٌ. واخْتَارَ بعْضُهُم البدْأَةَ بإبْرَاهِيمَ ابنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3].

قالَ بَعْضٌ: إذَا دَخَلَ بَابَ البَقِيعِ فلْيَشْهَدْ سَيِّدِي مَالِكَ بنَ سِنَان[4] ويَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ بِأُحُدٍ[5].

قالَ ابنُ الهُمامِ[6]: ويُزارُ جَبَلُ أُحُدٍ نَفسُهُ، فَفِي الصَّحِيحِ: ((**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**))[7]، ويُبَكِّرُ بَعدَ صَلاةِ الصُّبْحِ بالمسْجِدِ النَّبَوِيِّ حَتَّى يَعُودَ ويُدْرِكَ الظُّهرَ بِهِ، ويَبْدَأُ بِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ رضي الله عنه[8]. قَالُوا وأَفْضَلُهَا يَوْمُ الخَمِيسِ، وكَأَنَّهُ لِضِيقِ الجُمُعَةِ عَنْ ذَلِكَ[9].

وقَدْ قالَ مُحَمَّدُ بنُ وَاسِع[10]: بَلَغَنِي أَنَّ المَوْتَى يَعْلَمُون بِزُوَّارِهِم يَوْمَ الجُمُعَةِ ويَوْما قَبْلَهُ ويوما بَعْدَهُ.ا.هـ[11].

ويُسْتَحَبُّ اسْتِحْبَابًا متَأَكِّدًا إتْيَانُ مَسْجِدِ قُبَاء، وهُوَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ أَوْلَى، فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَذْهَبُ إلَيْهِ، ويُسْتَحَبُّ إتْيَانُ بَقِيَّةِ المسَاجدِ والآثَارِ المنْسُوبَةِ إلَى النَّبيءِ ﷺ. وفي "مَنَاسِكِ خَلِيل" مِنَ المالِكِيَّة مَا نَصُّهُ: ونَحْوُهُمَا بَعْدَ ذكْرِ اسْتِحْبَاب زِيَارَةِ البَقِيعِ ومَسْجِدِ قُبَاء، وهَذَا فِيمَنْ كَثُرَتْ إقَامَتُهُ، وإلَّا فَالمقامُ عِنْدَهُ ﷺ لاغْتِنَامِ مُشَاهَدَتِهِ أَحْسَنُ[12].

قالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ[13]: دَخَلْتُ مسْجِدَ المدِينَةِ فمَا جَلَسْتُ إلاَّ الجُلُوسَ فِي الصَّلَاةِ، ومَا زِلْتُ

---

(1) المجموع شرح المهذَّب، النووِي، 258/8.

(2) ابن فَرِحُون: إبراهيم بن عليّ بن محمّد بن محمّد المالكي المدني، ولد بالمدينة ونشأ بها وسمع بها من الجمال المطرِي، تفقه وبرع وصنف وولِيَ قضاء المدينة، من تآليفه: الديباج المذهب. الدرر الكامنة، ابن حجر، 53/1، الوافي بالوفيات، الصفدي، 72/22.

(3) إرشاد السَّالِك، ابن فرحون، 582/2.

(4) مالك بن سنان: بن عبيد الخدري والد سعيد، استشهد يوم أحدٍ. الإصابة، ابن حجر، 538/5.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص131.

(6) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود السواسي الأصل، الحنفي، المعروف بابن الهمام فقيه ومتصوّف ومشارِك في النحو والصرف والمعاني وغير ذلك، توفي بالقاهرة سنة 861هـ. من تصانيفه: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي وسماه فتح القدير للعاجز الفقير. بغية الوعاة، السيوطِي، 166/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 469/3.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (1482).

(8) فتح القدِير، ابن الهمام، 172/3.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص131.

(10) محمد بن واسِع: حدث عن أنس بن مالك ومحمد بن سيرين وغيرهم، حدث عنه سفيان الثورِي وغيره، ت:123هـ، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 119/6.

(11) إحياء علوم الدين، الغزالي، 1874/4، وزاد المعاد، ابن القيم، 402/1.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص132.

(13) أبو محمَّد عبد الله بن أبِي جمرة الأندلسِي، محدِّث مقرِئ، من آثاره: مختصر الجامع الصحيح للبخاري، وشرح بهجة النفوس. طبقات الأولياء، ابن الملقن، ص439، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 234/2.

واقِفًا هُنَاكَ حَتَّى رَحَلَ الرَّكْبُ، وخَطَرَ لِي الخُرُوجُ لِلْبَقِيعِ فقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟ هذَا بَابُ اللهِ تعَالَى مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ والمتَضَرِّعِينَ، ولَيْسَ ثَمَّ مَنْ يَقْصِدُ مِثْلهُ[1].

قالَ في "الخُلَاصَةِ": هذَا فِيمَنْ مُنِحَ دَوَامَ الحُضُورِ وعَدَمَ الملَلِ، وإِلَّا فَالتَّنَقُّلُ فِي تِلْكَ البِقَاعِ أَوْلَى وأَدْعَى لِلنَّشَاطِ[2].

ومِنْهَا: أنْ يُلَاحِظَ بقَلْبِهِ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بالمدِينَةِ جَلَالتَهَا وتَرَدُّدَهُ ﷺ فِيهَا ومَشْيَهُ فِي بِقَاعِهَا ومَحَبَّتَهُ لَهَا وتَرَدُّدَ جِبْرِيلَ فِيهَا عليه السلام بِالْوَحْيِ، ولَا يَرْكَبُ بِهَا دَابَّةً مَهْمَا قَدَرَ علَى المشْيِ، كمَا فَعَلَ مالِك، وقَالَ: أَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أَطَأَ تُرْبَةً فيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَافِرِ دَابَّتِي، وفِي رِوَايَةٍ: أَخْشَى أنْ يَقَعَ حافِرُ الدَّابَّةِ فِي مَحَلِّ مَشْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3].

ويَزُمُّ نفْسَهُ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بزِمَامِ الخَشْيَةِ والتَّعْظِيمِ، ويَخْفِضُ جَنَاحَهُ ويَغُضُّ صَوْتَهُ، قالَ اللهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿3﴾﴾[4]. ولَمَّا نَزَلَتْ قالَ أبُو بَكْرٍ: آلَيْتُ أَن لَا أُكَلِّمَ [56و] رَسُولَ اللهِ ﷺ إلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ[5]. وحرْمَتُهُ ﷺ مَيِّتًا كَحرْمَتِهِ حَيًّا[6].

ومنْهَا: مَحَبَّةُ سُكَّان المدِينَةِ، ولَاسِيَّمَا العُلَمَاء والصُّلَحَاء والأَشْرَاف والْخَدَم. قالَ المجْدُ: وهَلُمَّ جَرًّا إِلَى عَوَامِّهَا وحَوَامِّهَا علَى حسَبِ مَرَاتِبِهِم، إِلَى مَنْ لَا تَبْقَى لَهُمْ مَزِيَّةٌ سِوَى كَوْنِهِمْ جِيرَانًا، فأَعْظِمْ بالْجَارِ مَزِيَّةً لِأَنَّهُ ﷺ أَوْصَى بالجَارِ، ولَمْ يَخُصَّ جَارًا مِنْ جَارٍ[7].

قالَ: وكُلُّ ما احْتَجَّ بِهِ مُحْتَجٌّ مِنْ رَمْيِ عوَامِّهِمْ بالابْتِدَاعِ وتَرْكِ الاتِّبَاعِ، فَإِنَّهُ إِذَا ثبَتَ فِي شَخْصٍ لَا يُتْرَكُ إِكْرَامُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ حُكْمِ الجَارِ ولَوْ جَارَ، ولَا يَزُولُ عنهُ شَرَفُ مُسَاكَنَتِهِ في الدَّارِ كَيْفَ دَارَ، بَلْ يُرْجَى أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بالْحُسْنَى ويُمْنَحَ ببَرَكَةِ القُرْبِ الصُّورِي قُرْبَ المعْنَى.

فَيَا سَاكِنِي أَكْنَافَ طَيْبَةَ كُلُّكُمْ ... إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ[8]

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص132.

(2) (م، س)، ص132.

(3) (م، س)، ص132.

(4) سورة الحجرات: 3.

(5) مسند البزَّار، حدِيث (56)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (3720).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص132.

(7) (م، س)، ص132.

(8) البيت من الطَّوِيل. ينظر: نفح الطيب، المقري، 45/1. وروضة المحبين، ابن القيم، ص381. كلاهما دون نسبة، وقد نسبه محقق روضة المحبين للأحنف بن قيس.

ا.هـ[1]

ويُسْتَحَبُّ أَنْ يتَصَدَّقَ فِيهَا بِمَا أَمْكَنَهُ، قالَ فِي "شَرْحِ المهَذَّب": ويَخُصُّ أَقَارِبَهُ ﷺ بِمَزِيدٍ لِحَديثِ مُسْلِم: ((**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**))[2].

ومِنْهَا: اسْتِحْبَابُ المجَاوَرَةِ بِهَا لمنْ قَدرَ عَلَيْهَا، مَعَ رِعَايَةِ الأَدَبِ وانْشِرَاحِ الصَّدْرِ ودَوَامِ السُّرُورِ، والفَرَحِ بِمُجَاوَرَةِ هَذَا النَّبِيءِ الكَرِيمِ، والإِكْثَارُ مِنَ التَّضَرُّعِ والدُّعاءِ بِالتَّوْفِيقِ لِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وقَرْنُهَا بِحُسْنِ الأَدَبِ اللَّائِقِ بِهَا، وجَبْرُ التَّقْصِيرِ فِي القِيَامِ بِحَقِّهَا والاِعْتِرَافُ بذَلِكَ، مَعَ الحِرْصِ علَى فِعْلِ أَنْوَاعِ الخَيْرَاتِ بِحَسَبِ الإِمْكَانِ، ولَا يَضِيقُ عَلَى مَنْ بِهَا بِسُكْنَى الأَرْبِطَةِ وأَخْذِ الصَّدَقَةِ، إِلَّا أَنْ يَحْتَاجَ، فَيَقْتَصِرُ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِذَلِكَ، ولَا إِشْرَافِ نَفْسٍ. ولَا يَنْتَحِلُ مَا صُورَتُهُ عِبَادَةٌ وفَائِدَتُهُ دُنْيَا كَإِمَامَةٍ وأَذَانٍ وتَدْرِيسٍ وقَرَاءَةٍ، أَوْ خِدْمَةٍ فِي الحَرَمِ إِلَّا أَنْ يُخْلِصَ النِّيَّةَ أَوْ تَدْعُوهُ الحَاجَةُ إِلَيْهِ. قَالَهُ الأَقْشهري[3][4].

ومِنْهَا: إِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ فَلْيُوَدِّعْ المسْجِدَ الشَّرِيفَ بِرَكْعَتَيْنِ بالمصَلَّى النَّبَوِيِّ، أَوْ مَا قَرُبَ مِنْهُ، ثمَّ يقُولُ بَعْدَ الحَمْدِ والصَّلاةِ والسَّلامِ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ والتَّقْوَى، ومِنَ الْعَمَلِ ما تُحِبُّ وترْضَى، وغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَحَبُّ لِلْمُسَافِرِ ويَدْعُو بِمَا أَحَبَّ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ بِهَذَا المحَلِّ الشَّرِيفِ، ويخْتِمُ بِالْحَمْدِ والصَّلَاةِ والسَّلَامِ، ويَأْتِي القَبْرَ الشَّرِيفَ ويُسَلِّمُ ويَدْعُو بِمَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا، ويَقُولُ: نَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى أَلَّا يَقْطَعَ آثارَنَا مِنْ زِيارَتِكَ، وأَنْ يُعِيدَنا سَالمينَ، وأَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِيمَا وَهَبَ لَنَا، ويَرْزُقَنَا الشُّكْرَ علَى ذلِكَ. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ بِحَرَمِ رَسُولِكَ ﷺ وحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ، ويَسِّرْ لِي العَوْدَ إِلَى الْحَرَمَيْنِ سَبِيلًا [56ظ] سهْلَةً وارْزُقْنِي العَفْوَ والعَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ[5].

وصَرَّحَ الكَرْمَانِي بِتَقْدِيمِ وَدَاعِ النَّبِيءِ ﷺ علَى تَوْدِيعِ المسْجِدِ بِالرَّكْعَتَيْن. والأَوَّلُ هُوَ المشْهُورُ والأَصْلُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ: ((**كَانَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا وَدَّعَهُ بِرَكْعَتَيْنِ**))[6].

ثمَّ ينْصَرِفُ الزَّائِرُ عَقِبَ ذَلِكَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، ولَا يَمْشِي إِلَى خَلْفِهِ، ويَكُونُ مُتَأَلِّمًا مُتَحَزِّنًا عَلَى الفِرَاقِ ومَا يَفُوتُهُ مِنَ البرَكَاتِ. وهُنَاكَ تَظْهَرُ مِنَ المحِبِّينَ شَوَاهِدُ العَبَرَاتِ وتَتَصَعَّدُ مِنْ بَوَاطِنِهِمْ لوَاحِقُ الزَّفَرَاتِ، ويكُونُ معَ ذلِكَ دَائِمَ الأَشْوَاقِ لِذَلِكَ المزارِ، مُتَعَلِّقَ القَلْبِ بِالْعَوْدِ لِتِلْكَ الدِّيَارِ، ولله دَرُّ القَائِلِ:

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص133.

(2) صحيح مسلم، حَدِيث (36) والمجموع شرح المهذَّب، النَّووِي، 259/8.

(3) سبقت ترجمته، قال د. قاسم السامرائي: الظاهر أن أقوالَ الآقشهرِي هذهِ من كتابه الآخر "منسك القاصِد الزّائِر" الذِي لم يصل إلينا بعد. وفاء الوفا، 123/5، الحاشية رقم1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص133.

(5) (م، س)، ص133.

(6) الحدِيثُ فِي مسند أبِي يعلَى، حدِيث (4315) والمعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (3441) والسنن الكبرَى، البيهَقِي، حدِيث (10323) وصحيح ابن خزيمة، حدِيث (2568).

أحـنُّ إِلـى زِيَـارَةِ حَـيِّ لَـيْـلَـى وَعَـهْـدِي مِـنْ زِيَـارَتِـهَـا قَـرِيـبُ
وَكُـنْـتُ أَظُـنُّ قُـرْبَ الـدَّارِ يُـطْـفِـي لَـهِـيـبَ الشَّـوْقِ فَـازْدَادَ اللَّـهِـيـبُ[1]

ولَا يسْتَصْحِبُ شَيْئًا مِنْ تُرَابِ الحَرَمِ، ولَا مِنَ الأَكْوَارِ[2] المعْمُولَةِ مِنْهُ، بَلْ يَسْتَصْحِبُ هدَيَّةً يُدْخِلُ بِهَا السُّرُورَ عَلَى أَهْلِهِ وإِخْوَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يتَكَلَّفَهَا، ولَا سِيَّمَا ثِمَار المدِينَةِ الشَّرِيفَةِ ومَيَاه آبَارِهَا المبَارَكَةِ[3].

ومِنْهَا: أَنْ يَتَصَدَّق بِشَيْءٍ مَعَ خُروجِهِ، ويَنْوِي حِينَئِذٍ مُلَازَمَةَ التَّقْوَى والاسْتِعْدَادَ لِلِقَاءِ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ فِي يوْمِ المعَادِ، ولْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ، فإِنَّ النَّكْسَةَ أَشَدُّ مِنَ المرَضِ، ويُحَافِظ علَى الوَفَاءِ بِمَا عَاهَدَ علَيْهِ اللهَ، ولَا يَكُونُ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿ **فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾** ﴾[4][5].

الفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي فَضْلِ المسْجِدِ النَّبَوِيّ[6]

قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[7].

في "صَحِيحِ مُسْلِم" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ: ((**دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ المسْجِدَيْنِ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاء، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**)) لمسْجِدِ المدِينَةِ[8].

ولِأَحْمَد والتِّرْمِذِيّ عنْ أَبِي سَعِيد الخُدرِيّ: اخْتَلَفَ رجُلَانِ فِي المسْجِدِ الذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: هُوَ مَسْجِدُ النَّبيءِ ﷺ، فسَأَلَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فقَالَ: ((**هُوَ هَذَا، وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ**))[9] يَعْنِي مَسْجِدَ قُبَاء.

---

(1) الأبيات من الوافِر، للقاضِي بدر الدين مُحَمَّد بن إبراهيم، المعروف بابْن جمَاعَة، الشافعي، ت: 733هـ. ينظر: الوافِي بالوفيات، الصفدِي، 16/2.

(2) فِي خلاصة الوفا: الأكر.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص134.

(4) سورة الفتح: 10.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص134.

(6) الفصل منقول من كتاب خلاصة الوفا للسمهودِي، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخرِيجه مِن المرجعِ.

(7) سورة التوبة: 108.

(8) صحيح مسلم، حدِيث (514).

(9) مسند أحمد، حدِيث (11178)، وسنن الترمِذي، حدِيث (323).

قال مَالِك فِي "العُتبِيَّة"[1]: إِنَّهُ مَسْجِدُ المدِينَةِ، قالَ: أَيْنَ كَانَ يَقُومُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَيْسَ فِي هَذَا؟ ويَأْتُونَهُ أُوْلَئِكَ مِنْ هُنَالِكَ، وقَالَ تعَالَى:﴿ **وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا** ﴾[2] فَإِنَّمَا هُوَ هَذَا. وقالَ عُمَر ﷺ: لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أوْ سَمِعْتُهُ، يُرِيدُ أنْ يُقَدِّمَ القِبْلَةَ، قَالَ عمَرُ بِيَدِهِ هكَذَا، مَا قَدَّمْتُهَا، ثُمَّ قَدَّمَهَا عُمَر[3].

أَيْ: إِنَّ عُمَرَ لم يَسْتَجِزْ ذَلِكَ مَعَ قَوْلِه ﷻ:﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ** ﴾[4] إِلَّا لِلْحَدِيثِ المذْكُورِ، وإِنَّ قَوْلَهُ لِأَهْلِ قُبَاء لمّا نَزَلَتْ: ((**إِنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَيْكُمْ**)) الحَدِيث، لَا دَلَالَةَ فِيهِ علَى أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاء؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى هَذَا المسْجِدِ أَيْضًا، قالَهُ ابن رشْد[5].

وقَوْلُهُ تَعالَى: [57و] ﴿ **مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ** ﴾[6] ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءَ؛ إذ المرَادُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ الحُلُولِ بِدَارِ الهِجْرَةِ، وأَيْضًا قُوبِلَ بِهِ مسْجِدُ الضِّرَارِ، إِلَّا أَنْ يُقالَ المرَادُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ تَأْسِيسِهِ، ويُجْمَعُ بأَنَّ كُلًا مِنْهُما أُسِّسَ علَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ تَأْسِيسِهِ. والْحِكْمَةُ فِي إجَابَتِهِ ﷺ عنْ ذلِكَ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ دَفْعُ مَا تَوَهَّمَهُ السَّائِلُ مِن اخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِمَسْجِد قُبَاء، وإِظْهَارُ فَضْلِ مسْجِدِهَا عَلَى مَسْجِدِ قُبَاء، ولِذَلِكَ قَالَ: ((**وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ**))[7].

وكَأَنَّهُ قِيلَ: كُلُّ مَسْجِدٍ أُسِّسَ علَى التَّقْوَى حَقِيقٌ بِالقِيَامِ فِيهِ بِخِلَافِ مَسْجِدِ الضِّرار.

وفِي "الصَّحِيحَيْنِ" حَدِيث: ((**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا والمسْجِدِ الْحَرَامِ وَالمسْجِدِ الْأَقْصَى**))[8].

وفِي "مُسْلِم": ((**إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَة وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلْيَا**))[9].

ولِابْنِ حِبَّانَ فِي "صَحيحِهِ" والطَّبَرَاني فِي "الأَوْسَط": ((**خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ**))[10].

---

(1) المسائل العتبية، لمحمد بن أحمد العتبي الأندلسي المالكي ت:260هـ

(2) سورة الجمعة: 11.

(3) البيان والتحصيل، ابن رشد، 1/406- 407.

(4) سورة التوبة: 108.

(5) البيان والتحصيل، ابن رشد، 1/407.

(6) سورة التوبة: 108.

(7) سبق تخريجه: مسند أحمد حدِيث (11178).

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (1995)، وصحيح مسلِم، حدِيث (415).

(9) صحيح مسلِم، حدِيث (513).

(10) الحدِيثُ فِي صحيح ابن حبان، حدِيث (1616) والمعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (740).

ولِلْبَزَّارِ: ((**خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاجِلُ**[1] **مَسْجِدُ إِبْرَاهِيم وَمَسْجِدُ مُحَمَّد** ﷺ))[2].

ولِلْبَزَّارِ حَدِيثُ: ((**أَنَا خَاتمُ الأَنْبِيَاءِ وَمَسْجِدِي خَاتمُ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ، أَحَقُّ المسَاجِدِ أَنْ يُزَارَ، وَتُشَدّ إِلَيْهِ الرِّحَالُ المسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدِي**)) وفيه ضعف[3].

وفي "الصَّحِيحَيْن": ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المسَاجِدِ إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ**))[4] زادَ مسْلِمٌ: ((**فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ المسَاجِدِ**))[5] أَيْ: آخِرُ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ فَـ "الْ" لِلْعَهْدِ، فالصَّلَاةُ فِي هَذَا المسْجِدِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سَائِرِ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا المسْجِد الحَرَام، فالصَّلَاةُ فِي هَذَا المسْجِدِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ بِبَيْتِ المقْدِسِ، إِذْ لم يُسْتَثْنَ كَما اسْتَنْبَطَهُ المجْدُ تَبَعًا لأَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُد المالِكِي الشَّاذُلِيّ[6].

ويَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ الطَّبَرَاني فِي "الكَبِيرِ" عنِ الْأَرْقَمِ، وكَانَ بَدْرِيًّا: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِأُوَدِّعَهُ وأَنَا أُرِيدُ الخُرُوجَ إِلَى بَيْتَ المقْدِسِ، قَالَ: ((**وَمَا يُخْرِجُكُ إِلَيْه، أَفِي تِجَارَةٍ؟**)) قُلْتُ: لَا، وَلَكِنِّي أُصَلِّي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**صَلَاةٌ هَهُنَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ ثَمَّ**))[7].

ولِلْبَزَّارِ عنْ أَبِي سَعِيد: وَدَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا فقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: بَيْت المقْدِسِ، فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ إِلَّا المسْجِد الْحَرَامَ**)) ورَوَاهُ يَحْيَى[8] وغَيْرُهُ مَعَ بَيَانِ أَنَّ الرَّجُلَ هُو الأَرْقَمُ[9].

ورَوَى أَبُو يَعْلَى: إِنَّ الصَّلَاةَ فِي بَيْتِ المقْدِسِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ، أَيْ: في غَيْرِهِ إِلَّا المسْجِدَيْنِ لما سبَقَ[10].

فَالصَّلَاةُ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صلَاةٍ فيمَا سِوَاهُ مِنْ مَسَاجِدِ سَائِرِ البِلَادِ إِلَّا الأَقْصَى، فَهِيَ أَفْضَلُ منْ أَلْفِ صَلَاةٍ بِهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ تعَالَى، وإِلَّا المسْجِدُ الحَرَامُ، أَيْ: مسْجِدُ الكَعْبَةِ لما تَقَدَّمَ، ولِرِوَايَةِ [57ظ] النَّسَائِي وغَيْرِهِ: ((**إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ**))[11] ورِوَايَةِ يَحْيَى: ((**إِلَّا**

---

(1) في خلاصة الوفا وكشف الأستارِ: الرواحِلُ.

(2) لم أقفْ عليهِ في مسنَد البزَّارِ، وهو فِي كشف الأستارِ عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1075).

(3) لم أقف عليهِ في مسنَد البزَّارِ، وهو فِي كشف الأستارِ عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1193).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1190) وصحيح مسلِم، حدِيث (505).

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (507).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص136.

(7) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (907).

(8) يحي بن الحسَن بن جعفر الحجَّة، سبق تعريفه.

(9) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص89. ولم أقف عليهِ فِي مسند البزار ولا فِي كشف الأستارِ للهيثمِي.

(10) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (7088).

(11) السنن الكبرَى، النسائِي، حدِيث (772).

الْكَعْبَة)) أَيْ: إِلَّا مَسْجِدَهَا، وهَذَا الاسْتِثْنَاءُ يَحْتَمِلُ مُسَاوَاةَ مَسْجِدِ المدِينَةِ والكَوْن دُونَهُ، فالصَّلَاة فِيهِ بِدُونِ الْأَلْفِ والْكَوْنُ أَعْلَى فَزِيدَ علَى الأَلْفِ، وقَدْ بَيَّنَهُ الأَحَادِيثُ، ورَجَّحَ ابن بَطَّال الأَوَّلَ[1] إِذِ النَّقْصُ أو الزّيدُ لا يُعلَمُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، والمسَاوَاةُ ظَاهِرَةٌ. وفِيهِ أَنَّ الأَحَادِيثَ بَيَّنَت الزّيدَ. وذَهَبَ مَالِك فِي رِوَايَةِ أَشْهَب عَنْهُ وابْنِ نَافِع وجَمَاعَة مِنْ أَصْحَابِ مَالِك إِلَى أَنَّهُ دُونَ مَسْجِدِ المدِينَةِ[2].

قالَ بعضُهُمْ: والصَّلَاةُ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ بِمِئَةِ صَلَاةٍ، لقَوْلِ ابنِ الزُّبَيْرِ: إِنَّ عُمَرَ قَالَ: صلَاةٌ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وتعقب بأَنَّ المحْفُوظَ صلَاةٌ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا مَسْجِدَ الرَّسُولِ، فإِنَّمَا فَضْلُهُ عَلَيْهِ بِمِئَةِ صَلَاةٍ وهُوَ عَكْسُ هذَا الْقَوْلِ[3].

وفِي "الأَوْسَط" لِلطَّبَرانِي عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: **((صَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَة فِي غَيْرِهِ))**[4] قِيلَ: وفِيهِ سُوَيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ[5] فِي حَدِيثِهِ نَظَرٌ لَا يحتمل[6].

ولِعَبْدِ الرَّزَّاقِ عن ابْنِ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: **((صَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِيهِ))** أَيْ: فِي مَسْجِدِ المدينَةِ[7].

وذَكَرَ أَحْمَدُ والبزَّارُ وابنُ حِبَّان وصَحَّحَهُ عنِ الزُّبَيْرِ[8] عَنْهُ ﷺ: **((صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أفضَلُ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المساجِدِ، إِلّا المسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا))**[9] ولَفْظُ ابنِ حِبَّان: **((وَصَلَاةٌ فِي ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِ المدِينَةِ))**[10] ولَفْظُ البزَّار: **((إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ بِمِئَةٍ))**[11] وضَمِيرُ "أَنَّهُ" يَحْتَمِلُ كُلًا مِنْهُمَا، فلَيْسَ نَصًّا، ويَحْتَمِلُ لَفْظَ الحَدِيثِ، ومَا عَدَاهُ مِنَ الرِّوَايَةِ بِالمعْنَى عِنْدَ رُوَّاتِهِ بِحَسَبِ فهْمِهِ فِي مَرْجِعِ الضَّمِيرِ، فلَيْسَ قَاطِعًا فِي البَابِ رَافِعًا لِلْخِلَافِ، وإِنْ قَالَهُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ، نَعَمْ هُوَ ظَاهِرٌ فِي تَرْجِيحِ مذْهَبِ زِيَادَةِ المسْجِدِ الحَرَامِ؛ إِذ الرَّاوِي أَعْرَفُ بِفَهْمِ مَرْوِيِّهِ. وقَد اخْتلفَ عنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي

---

(1) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 181/3.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص137.

(3) فتح الباري، ابن حجر، 67/3.

(4) المعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (6751).

(5) سويد بن عبد العزيز: قاضي بعلبكّ الدمشقي المقرِئ، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال أبو حاتم: ليس بالقوِيّ، وقال الدارقطني: يُعتَبَرُ به، ت:194هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 18/9.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص137.

(7) مصنَّف عبد الرزاق، حدِيث (9139).

(8) صوابه ابن الزبير، وهو عبد اللهِ.

(9) مسند أحمد، حدِيث (16117).

(10) صحيح ابن حبان، حدِيث (1620).

(11) مسند البزَّار، حدِيث (2196).

رَفْعِهِ ووَقْفِهِ. قالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ: ومَنْ رَفَعَهُ أَحْفَظُ، ومِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ[1].

قالَ ابْنُ حَزْم: ورَوَاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِسَنَدٍ كَالشَّمْسِ فِي الصِّحَّةِ، ولَا مُخَالِفَ لَهُما مِنَ الصَّحَابَةِ[2]، فَصَارَ كَالْإِجْمَاعِ[3].

ولِلطَّبَرَانِي والبَزَّارِ، وفِي بَعْضِ رُوَّاتِهِ كَلَامٌ، عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْهُ ﷺ: ((**الصَّلَاةُ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفِ صَلَاة، وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاة، وَالصَّلَاةُ فِي بَيْتِ المقْدِسِ بِخَمْسِ مِئَةِ صَلَاةٍ**))[4] وهُوَ مُوَضِّحٌ لِكَوْنِ المرَادِ بالاسْتِثْنَاءِ تَفْضِيلُ المسْجِدِ الحَرَامِ، ولَا يَقْدَحُ فِيمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّ الصَّلَاةَ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ بِبَيْتِ المقْدِسِ؛ لِأَنَّ مَفْهُومَ العَدَدِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ولَا يَنْفِي الزَّائِدَ، ولِأَنَّ فِي "الصَّحِيحَيْن" وغَيْرِهِمَا: [58و] ((**أَنَّ الصَّلَاةَ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْف**))[5] وَتِلْكَ الزِّيَادَةُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهَا إِلَّا اللهُ تعَالَى، فَهُوَ مُعَارِضٌ لما دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الحَدِيثُ ومَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" مُقَدَّمٌ. ويُعَارِضُهُ أَيْضًا ثُبُوتُ الْأَلْفِ لِبَيْتِ المقْدِسِ كَمَا سَبَقَ، ويُقَالُ فِيهِ كَمَا يُقَالُ فِي نَظَائِرِهِ، يُحْتَمَلُ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بالْقَلِيلِ بِحَسَبِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ ثُمَّ أعْلمَ بالزِّيَادَةِ[6].

وكَذَا يُقالُ فِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِي عن أَبِي ذَرّ: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا أَفْضَلُ، أَمَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ بَيْتُ المقْدِسِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ المصَلَّى هُوَ**))[7] والمعَوَّلُ عَلَيْهِ الأَخْذُ بِرِوَايَةِ الزِّيَادَةِ لما سَبَقَ[8].

وذَكَرَ ابنُ مَاجَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ بِصَلَاةٍ، وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِ الْقَبَائِلِ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاة، وَصَلَاتُهُ فِي المسْجِدِ الذِي يُجَمَّعُ فِيهِ بِخَمْسِ مِئَةِ صَلَاةٍ، وَصَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْأَقْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي بِخَمْسِينَ أَلْفًا، وَصَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ**))[9] والمذْهَبُ كَمَا قالَ النَّوَوِيّ: إنَّ المضَاعَفَةَ المذْكُورَةَ تَعُمُّ الفَرْضَ والنَّفْلَ، خِلافًا

---

(1) فتح الباري، ابن حجر، 67/3.

(2) المحلَّى، ابن حزم، 285/7.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص138.

(4) مسند البزَّار، حدِيث (4142). ولم أجده فِي المعجم الكبير ولا المعجم الأوسَط للطبراني.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1190)، صحيح مسلم، حدِيث (506).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص138.

(7) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (6983).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص138.

(9) سنن ابن ماجة، حدِيث (1413).

لِلطَّحَاوِي[1] وغَيْرِهِ مِنَ المالِكِيَّة[2]، ولَا يُنافِي ذَلِكَ تَفْضِيلُ النَّفْلِ بِالبَيْتِ بِحَدِيثِ: ((**أَفْضَلُ صَلَاةِ المرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المكْتُوبَةُ**))[3] إِذْ غَايَتُهُ أَنَّ لِلْمَفْضُولِ مَزِيَّةً هِيَ المضَاعَفَةُ لَيْسَتْ لِلْفَاضِلِ، ومَزِيَّةُ الفَاضِلِ أَرْجَحُ مِنْهَا كمَا قَالَهُ الزَّرْكَشِي وغَيْرُهُ[4].

وقالَ ابْنُ حَجَر: يُمْكِنُ إِبْقَاءُ حَدِيثِ: ((**أَفْضَلُ صَلَاةِ المرْءِ فِي بَيْتِهِ**)) عَلَى عُمُومِهِ فتَكُونُ النَّافِلَةُ فِي بَيْتِهِ بالمدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ تُضَاعَفُ علَى صلَاتِهِ بِبَيْتٍ فِي غَيْرِهِمَا، وكَذَا فِي المسْجِدَيْن، وإِنْ كَانَتْ فِي البُيُوتِ أَفْضَل مُطلَقَ التَّضعِيفِ، والتَّفْضِيلُ المذْكُورُ يرْجِعُ إِلَى الثَّوابِ لَا إِلَى الإِجْزَاءِ عَمَّا فِي الذِّمَّةِ مِنَ المقْضِيَّاتِ إِجْمَاعًا، خِلَاف ما يُوهِمُهُ قَوْلُ النَّقَّاشِ[5]: حَسِبْتُ الصَّلاةَ بِالمسْجِدِ الحَرَامِ فبَلَغَتْ صَلَاةٌ واحِدَةٌ بِهِ عُمُرَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ سَنَةً وسِتَّةَ أَشْهُرٍ وعِشْرِينَ لَيْلَةً ا.هـ[6] وهَذَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِ الصَّلاةِ فِيمَا سِوَى المسَاجِدِ الثَّلَاثةِ بِعَشْرٍ، إِذ الحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِها، وعنْ تَضْعِيفِ الجَمَاعَةِ والسِّوَاكِ ونَحْوِهِمَا، ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّضْعِيفَ لَا يَخْتَصُّ بِالصَّلاةِ كمَا صرّحَ بِهِ فِي مَكَّةَ[7].

وَذَكَرَ فِي "الْإِحْيَاءِ": إِنَّ الأَعْمَالَ فِي المدِينَةِ تُضَاعَفُ، وذَكَرَ حدِيثَ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**))[8] ثُمَّ قالَ: وكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ بِالمدِينَةِ بِأَلْفٍ[9].

وصَرَّحَ بِهِ أَيْضًا أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ الشَّاذلِيّ المالِكِيّ، ويَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَى البَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِر عنهُ ﷺ: ((**الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ** [58ظ] **إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْجُمُعَةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ وَشَهْرُ رَمَضَانَ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ**)) وعَن ابْنِ عُمَر نَحْوُهُ[10].

---

(1) الطحاوِي: أحمد بن محمد بن سلامة المصري الحنفِي، محدث مؤرخ حافظ، من تصايفه: أحكام القرآن، المختصر في الفقه، مشكل الآثار. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 27/15، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 267/3.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ص863، وإعلام الساجِد، الزركشِي، ص124.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (7290).

(4) إعلام الساجِد، الزركشِي، ص125.

(5) محمد بن الحسن بن محمد البغدادي، المعروف بالنقاش (أبو بكر) مقرئ، مفسر، سمع بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وخراسان وما وراء النهر، وحدث عن خلق كثير، ت: 351هـ. من تصانيفه: شفاء الصدور في التفسير، الاشارة في غريب القرآن، أخبار القصاص. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 214/9 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 233/3

(6) فتح البارِي، ابن حجر، 68/3.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص139.

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (1190).

(9) إحياء علوم الدِّين، الغزالِي، 288/1.

(10) شعب الإيمان، البيهَقِي، حدِيث (3851).

ولِلطَّبَرَانِي في "الكَبِيرِ" عنْ بِلال بنِ الحَارِثِ عنْهُ ﷺ: ((**رَمَضَانُ بِالمدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، وَجُمُعَةٌ بِالمدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ**))[1]، وهُوَ فِي "شَرَفِ المصْطَفَى" لابْنِ الجَوْزِي عن ابْنِ عُمَر، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَصِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ، وقَالَ: كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهَا[2].

وهَذهِ الأَحَادِيثُ تَتَعَلَّقُ بالْفَضَائِلِ وضعْفُهَا مُنْجَبِرٌ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الغَزَّالِي مِنَ القِيَاسِ علَى مَا صَحَّ فِي الصَّلَاةِ، مَعَ مُوَافَقَتِهِ لِلْمُخْتَارِ فِي مَكَّةَ مِنْ أَنَّ التَّضْعِيفَ يَثْبُتُ لِكُلِّ بقَاعِهَا فَضْلًا عَمَّا زِيدَ فِي مَسْجِدِها[3].

وقَالَ النَّوَوِيّ باخْتِصَاصِ المضَاعَفَةِ بِمَسْجِدِهِ ﷺ الذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ دُونَ مَا زِيدَ فِيهِ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا**))[4].

قَالَ فِي "الخُلَاصَةِ": قُلْتُ تَقْيِيدُهُ بِهَذَا لِإِخْرَاجِ غَيْرِهِ مِنَ المسَاجِدِ المضَافَةِ إِلَيْهِ بِالمدِينَةِ لَا لِلْاِحْتِرَازِ عَمَّا سَيَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ مِنَ الزِّيَادَةِ، وقَدْ سُئِلَ مَالِك عَنْ ذَلِكَ فِيمَا قَالَ ابنُ نَافِع صاحِبُهُ، فقَالَ: بَلْ هُوَ يَعْنِي المسْجِدَ الذِي جَاءَ فِيهِ الخَبَرُ عَلَى ما هُوَ الآنَ؛ لِأَنَّ النَّبِيءَ ﷺ أَخْبَرَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ، زُوِيَت لَهُ الأَرْضُ فَأُرِيَ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَها، وتَحَدَّثَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ وَلَوْ[لَا][5] هَذَا مَا اسْتَجَارَ[6] الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَنْ يَزِيدُوا فِيهِ بِمَحْضَرِ الصَّحَابَة، ولَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُنْكِرٌ. ا.هـ[7]

ويَشْهَدُ لَهُ مَا رَوى ابنُ شَبَّةَ ويَحْيَى، والدَّيْلَمِي فِي "مُسنَدِ الفِرْدَوْس" عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**لَوْ مُدَّ هَذَا المسْجِدُ إِلَى صَنْعَاءَ كَانَ مَسْجِدِي**))[8] قُلْتُ: هذَا يَدُلُّ علَى جَوَازِ الزِّيَادَةِ فِي المسْجِدِ ولَوْ مِنْ جِهَةِ المحْرَابِ، وذَكَرْتُ فِيهِ كَلامًا فِي "شَرْحِ النِّيلِ"[9] وذَلِكَ أَنَّ اليَمَنَ فِي جِهَةِ القِبْلَةِ مِنَ المدِينَةِ، وصَنْعَاءُ مِنَ الْيَمَنِ.

زَادَ ابْنُ شَبَّةَ ويَحْيَى: وكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يقُولُ: لَوْ مُدَّ هذَا المسْجِدُ إِلَى بَابِ دَارِي ما عَدَوْتُ أَنْ

---

(1) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (1144).

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140، ولم أقف عليهِ فِي كتاب "شرف المصطفى لابن الجوزِي" والحدِيث في العلل المتناهية، ابن الجوزِي، حدِيث (947).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(4) الحدِيثُ سبق تخريجه، صحيح البخارِي، حدِيث (1190) وصحيح مسلِم، حدِيث (505)، وقول النَّووِي ينظر فِي: المجموع شرح المهذب، النّووِيّ، 260/8.

(5) زيادة لتتمة المعنى.

(6) في خلاصة الوفا: لولا هذا ما استجارَ، وهو الأصوَبُ.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(8) الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي، حدِيث (5152)، وفيه صنم بدل صنعاء، والدرة الثمينة، ابن النجار، ص171.

(9) كتاب النيل وشفاء العلِيل لعبد العزيز بن إبراهِيم الثميني ت:1130هـ، وشرحه للمؤلف أمحمد بن يوسف أطفيش، وهو موسوعة في أبواب الفقه.

أُصَلِّي فِيهِ[1]، وفِي سَنَدِهِ عَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيد المقْبُرِي، قِيلَ هُوَ وَاهٍ[2].

ولِيَحْيَى: حَدَّثَنَا هَارُونُ عن مُوسَى القَرَوِي[3] عنْ عُمَر بنِ أَبِي بَكْرٍ المَوْصِلِي عنْ ثِقَاتٍ مِنْ عُلَمَائِهِ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: ((**هَذَا مَسْجِدِي وَمَا زِيدَ فِيهِ فَهُوَ مِنْهُ، وَلَوْ بَلَغَ مَسْجِدِي صَنْعَاءَ كَانَ مَسْجِدِي**)) وهُوَ مُعْضَل[4].

ولَهُ ولابْنِ شَبَّةَ عَن [ابْنِ أَبِي عمرة][5] قَالَ: زَادَ عُمَر بنُ الخَطَّابِ فِي المسْجِدِ مِنْ شَامِيِّهِ، ثُمَّ قالَ: لَوْ زَادَ فِيهِ حَتَّى نَبْلُغَ بِهِ الْجَبَّانَةَ كانَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[6]، [زَادَ يَحْيَى: وجَاءَهُ اللهُ بِعَامِر][7]، وفِيهِ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عِمْرَانَ المدَنِيّ[8]، قِيلَ: مَتْرُوكٌ[9].

ولَهُمَا عنْ أَبِي [59و] ذِيبٍ، وهُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[10] الفَقِيه المشْهُورُ، قالَ: قَالَ عُمَر بنُ الخَطَّابِ: لَوْ مُدَّ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى ذِي الحُلَيْفَةِ كَانَ مِنْهُ[11]، وهُوَ معْضَلٌ لَكِنْ يَنْجَبِرُ ذَلِكَ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مَالِك، وقَدْ سَلَّمَ النَّوَوِيّ عُمُومَ المضَاعَفَةِ لما زِيدَ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ[12].

قالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وهُوَ الذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ المتَقَدِّمِينَ وعَمَلُهُمْ، وكَانَ الأَمْرُ علَيْهِ فِي زَمَانِ عمَر وعُثْمَانَ، فزَادَا فِي قِبْلَةِ المسْجِدِ، وكَانَ مقَامهُمَا فِي الصَّلاةِ والصَّفِّ الأَوَّلِ الذِي هُوَ أَفْضَلُ ما يُقامُ بِهِ فِي الزِّيَادَةِ، قالَ: ومَا بَلَغَنِي عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ خِلَافُ هذَا، ومَا عَلِمْتُ سَلَفًا لمنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ مِنَ المتَأَخِّرِينَ[13].

---

(1) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(3) في خلاصة الوفا: هارون بن مُوسَى القَرَوِي: لم أقف على ترجمة مطابقة له.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(5) في خلاصة الوفا: أبِي عمرة.

(6) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

(7) في وفاء الوفا: زادَ يَحيَى: وخار الله لعمرَ. وقد نقل المحقِّق هذا التصحيح من المناسك للحربِي، بتحقيق حمد الجاسر. وفاء الوفا، السمهودِي، 242/2.

(8) عبد العزيز بن عمران: هو ابْن عُمَر بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف الزُّهْرِيّ المدَنِيّ، أَبُو ثابت، لا يكتب حديثه، منكر الحديث. التاريخ الكبير، البخاري، 29/6.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص141.

(10) ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العَامِرِيّ المدنِي، سمع عكرمة وشرحبيل بن سعد، حدث عنه ابن المبارك وابن أبِي فديك، ت: 158هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 139/7.

(11) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

(12) فتح البارِي، ابن حجر، 66/3، والمسجد الحرام أي الحرم المكِّي.

(13) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

ونَقَلَ الخَطِيبُ بنُ جمْلَةَ[1] عنِ المحِبِّ الطَّبرِي[2] عُمُومَ المضَاعَفَةِ لما زِيدَ فِي المسْجِدِ النَّبَوِي واسْتَحْسَنَهُ علَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّوَوِي، وهُوَ المعْتَمَدُ، بلْ نَقلَ ابنُ فَرِحُونَ[3] أَنَّهُ لم يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إلاَّ النَّوَوِيّ، وأَنَّ الطَّبَري نَقَلَ فِي "الإِحْكَامِ"[4] لَهُ رُجوعَهُ عن ذَلكَ، وفِيهِ نَظَرٌ، ففِي "الْوَفَاءِ" لابْنِ الجَوْزِي نَقَلَهُ عَن ابن عَقِيل الحَنْبَلِي[5]. والذِي فِي "الْإِحْكَام" للطَّبَرِي فِي بَيَانِ أَنَّ المضَاعَفَةَ تَعُمُّ مَا زِيدَ فِي المسْجِدِ النَّبَوِي بَعْدَ ذِكْرِ بَعْضِ الأَخْبَارِ والآثَارِ السَّابِقَةِ مَا نَصُّهُ: وقَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُ مَنْ لم يَبْلُغْهُ ذَلِكَ قَصْرُ الفَضِيلَةِ علَى المَوْجُودِ فِي زَمَانِهِ ﷺ، ووَقَعَ ذَلِكَ لِبَعْضِ أَئِمَّة الْعَصْرِ، ولَمَّا رَوَيْتُ لهُ مَا سَبَقَ جَنَحَ إِلَيْهِ وتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ[6].

وَلَيْسَ مَسْأَلَةُ الحَلْفِ علَى أَنْ لَا يَدْخُلَ هذَا المسْجِدَ فَزِيدَ فِيهِ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّ الأَيْمَانَ يَلْحَظُ فيهَا العُرْفُ[7]، والحَالِفُ قَصَدَ إِلَى مَوْجُودٍ مَخْصُوصٍ، ولَمْ يَسْتَشْعِرْ مَا يُزَادُ.

قَالَ البَيْهَقِيّ عقِبَ حدِيثِ فَضْلِ مَسْجِدِ قُبَاء: ورَوَاهُ يوسف بن طهمان عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ﷺ وزَادَ: ((**وَمَنْ خَرَجَ عَلَى طُهْرٍ لَا يُرِيدُ إِلَّا مَسْجِدِي هَذَا يُرِيدُ مَسْجِدَ المدِينَةِ لِيُصَلِّي فِيهِ كَانَتْ لَهُ بِمَنْزِلَةِ حَجَّةٍ**))[8].

وضَعَّفَ البُخَارِي وابنُ عَدِيّ يوسُفَ بنَ طهمان، وذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان فِي "الثِّقَات"، وهَذَا مِن الفَضَائِلِ. ويُقَوِّيهِ مَا ثَبَتَ لمسْجِدِ قُبَاء، وحِينَئِذٍ فثَوَابُ الْحَجِّ زَائِدٌ علَى المضَاعَفَةِ المتقَدِّمَةِ[9].

ولِأَحْمَدَ والطَّبَراني فِي "الْأَوْسَطِ" عنْ أَنس بن مالك عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً**، زاد الطَّبَرَانِي: **لا تفوتُهُ صلاةٌ، كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وبراءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وبراءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**))[10].

ولابن حبَّان فِي صَحِيحِهِ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**أَنَّهُ من حِينِ يَخْرُجُ أَحَدُكُم مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى**

(1) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة، ت:764هـ، سبق التعريف به.

(2) أحمد بن عبد الله بن محمد، محبُّ الدِّين الطَّبَرِي، ت:694، سبق التعريف به.

(3) برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري ت:799هـ. سبق التعريف به.

(4) غاية الإحكام في الأحاديث والأحكام، لمحب الدين الطبري.

(5) ابن عقيل الحنبلي، سبق تعريفه.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص141.

(7) (م، س)، ص143.

(8) شعب الإيمان، البيهَقِي، حدِيث (3893).

(9) التاريخ الكبير، البخارِي، 378/8، والثقات، ابن حبَّان، 552/5، والكامل، ابن عدِي، 509/8

(10) مسند أحمد، حدِيث (12583)، والمعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (5444).

مَسْجِدِي فَرِجْلٌ تَكْتُبُ لَهُ حَسَنَةً، وَرِجْلٌ تَحُطُّ عَنْهُ خَطِيئَةً))[1].

ولِيَحْيَى عنْ سَهْلِ بنِ سَعْد عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا يَتَعَلَّمُ فِيهِ خَيْرًا، أَوْ يُعَلِّمُهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ كَانَ كَالذِي يَرَى مَا يُعْجِبُهُ وَهُوَ لِغَيْرِهِ))**[2].

وفِي رِوَايَةٍ عَنْه ﷺ: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا لِيُعَلِّمَ** [59ظ] **خَيْرًا أَوْ يتعَلَّمُهُ))** الحَدِيث[3].

ولابنِ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لم يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ))**[4].

ولِلطَّبَرانِي عنْ سَعْدٍ مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ لِيُعلِّمهُ))**[5].

ولابْنِ حِبَّان فِي "صَحِيحِهِ" عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلُهُ[6].

ولِيَحْيَى عنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَم[7]: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لِلصَّلَاةِ أَوْ لِذِكْرِ اللهِ، أَوْ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ))**. ولَمْ يجْعَلْ ذَلِكَ لمسْجِدٍ غَيْرِهِ[8].

ولَهُ عنْ أَبِي سعيد المقْبرِي: **((لَا أَخَالُ إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ مِنْكُم مَسْجِدًا فِي بَيْتِهِ، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَوْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَتَرَكْتُمْ مَسْجِدَ نَبِيئِكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ مَسْجِدَ نَبِيئِكُمْ لَتَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ إِذًا لَضَلَلْتُمْ))**[9].

وذَكَرَ البُخَارِي حدِيثَ: **((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، يَعْنِي الثُّومَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا))**[10].

---

(1) صحيح ابن حبان، حدِيث (1622).

(2) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (5911).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص143.

(4) سنن ابن ماجة، حدِيث (227).

(5) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (5911).

(6) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (87).

(7) زيد بن أسلم: بن ثعلبة بن عديّ، ذكره موسى بن عقبة، والزّهريّ، وابن إسحاق فيمن شهد بدرا. وزعم ابن الكلبيّ أن طليحة قتله. وذكره ضرار بن صرد أحد الضعفاء بسنده عن عبيد اللَّه بن أبي رافع فيمن شهد صفّين مع علي. الإصابة، ابن حجر، 489/2.

(8) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص149.

(9) ورد بمعناه في صحيح مسلم، حدِيث (257).

(10) صحيح البخارِي، حدِيث (853).

قَالَ التّيْميّ[1]: قالَ بَعْضُهُم: النَّهْيُ إِنَّمَا هوَ عَنْ قُرْبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً مِنْ أَجْلِ مَلَائكَةِ الْوَحْيِ. والأَكْثَرُ علَى أَنَّهُ عَامٌّ؛ أَيْ: لِأَنَّهُ يَضُرُّ الملَائِكَةَ والنَّاسَ[2].

وحكَى ابنُ بَطَّال الاخْتِصَاصَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، ووَهَّاهُ[3].

وفي "الصَّحِيحيْن" عنْ عبد الله بنِ زَيد: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[4].

ولِلْبُخَارِي أَيْضًا عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلُهُ، وزَادَ: ((**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**))[5]، ولَهُمَا عَن ابن عمر: ((**مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي**)) الحَدِيث[6].

ولِلْبَزَّارِ عَنْ سعْد بنِ أَبِي وَقَّاص عَنْهُ ﷺ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي، أَوْ قَبْرِي وَمِنْبَرِي**))[7] الحَدِيث. ولِأَحْمَدَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي سَعِيدٍ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي**)) الحَدِيث[8].

قُلْتُ: ذَكَرَ القَبْرَ لِعِلْمِهِ أَيْنَ يَكُونُ، ولَمْ يُخبِرْ بِهِ النَّاسَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّاهُ، أَوْ لم يَعْلَمْ أَيْنَ يَكُونُ، ولَكِنْ عَلِمَ أَنَّ ما بيْنَهُ وبَيْنَ منْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِنَ الجَنَّةِ.

ولَهُ ولأبي يَعلَى والبَزَّارِ ويَحْيَى، وفِيهِ عليّ بن زيد[9]، وقَدْ وُثِّقَ، عنْ جَابِر عَنْهُ ﷺ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي إِلَى مِنْبَرِي**)) الحَديث وزَادَ: ((**وَإِنَّ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**))[10] ولفظُ يحيَى: ((**رُتْعَةٌ مِنْ رُتَعِ الْجَنَّةِ**))، وَلَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وغَيْرِهِ مِثْلُهُ[11].

ولِأَحْمَدَ عنْ سَهْلِ بنِ سَعْد: ((**مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**)) وفَسَّرَ التُّرْعَةَ بالبَابِ[12].

وقِيلَ التُّرْعَةُ: الرَّوْضَة علَى المكَانِ المرْتَفِعِ، وقِيلَ: الدَّرَجَة[13].

---

(1) التيمي: إسماعيل بن محمد القرشِي، الملقب بقوام السنة، مصنف كتاب الترغيب والترهِيب، سمع ابن مندة وعائشة بنت الحسَن، حدث عنه أبو سعد السمعانِي وأبو القاسم بن عساكِر، ت: 535هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 80/20.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص144.

(3) شرح صحيح البخارِي، ابن بطَّال، 465/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 340/2،

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1195) صحيح مسلم، حدِيث (500).

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1196).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص144.

(7) كشف الأستَار عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1195).

(8) مسند أحمد، حدِيث (7223) وحدِيث (10008).

(9) علِيّ بن زيد: بن جُدعان التيمِي، حدث عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيّب، حدَّث عنه شعبة وسفيان، وُلِد أعمَى وكان من أوعية العلم، قال البخاري: لا يحتج به، وقال أبو خزيمة: لا أحتجُّ به لسوءِ حفظه، ت:131هـ.سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 206/5.

(10) مسنَد أحمَد، حدِيث (15187) ومسند أبِي يعلَى، حدِيث (1784)، وكشف الأستار عن زوائد مسند البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1196) و(1197).

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص145.

(12) مسنَد أحمَد، حدِيث (22841).

(13) غريب الحدِيث، أبو عبيد، 119/1.

ولِلطَّبَرَانيّ فِي "الكَبِيرِ" عنْ أَبي واقد اللَّيثي: ((**قَوَائِمُ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ**))[1].

وعَنْ أَبِي المعَلَّى الأَنْصَارِيّ[2]، وكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ وَهُوَ علَى المنْبَرِ: ((**إِنَّ قَدَمَيَّ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**))[3].

وعنْ أبي سعيد الخدريّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ وهُوَ قَائِمٌ علَى مِنْبَرِهِ: ((**أَنَا قَائِمٌ السَّاعَةَ عَلَى عقْرَةِ حَوْضِي**)) ولابْنِ زَبَالَةَ عَنْهُ: ((**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ الْآنَ**))[4].

ولَهُ عَنْ نَافع بنِ جبير عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ﷺ: [60و] ((**أَحَدُ شِقَّي المنْبَرِ عَلَى عُقْرِ الْحَوْضِ، فَمَنْ حَلَفَ عِنْدَهُ عَلَى يَمِينٍ فَاجِرَةٍ يَقْتَطِعُ بِهَا حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**))[5] وعقْرُ الحَوْضِ: هوَ مَصَبُّ الماءِ فِي الْحَوْضِ[6].

ولأبي داود وابْنِ حِبَّانَ والحاكم وصَحَّحَاهُ عَنْ جَابِر: ((**لَا يَحْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا، عَلَى يَمِينِ آثِمَةٍ، وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَر، إِلَّا تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ وَجَبَتْ لَهُ**))[7].

وللنّسائي عنْ أَبي أُمامَة بنِ ثعْلَبة عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَلَفَ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا يَمِينًا كَاذِبَةً اسْتَحَلَّ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالملَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**))[8].

ولِلطَّبَرَانِي فِي "الْأَوْسَطِ" عَنْ أَبي سعيد الخدري عنْهُ ﷺ: ((**مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ المنْبَرِ وَبَيْتِ عَائِشَةَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[9].

ولَهُ عَنْ أَنس بن مالك: ((**مَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمُصَلَّايَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[10]. وَفِي سَنَدِهِ مَتْرُوكٌ.

---

(1) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (3296).

(2) أبو المعلَّى بن لوذان الأنصارِي: قيل اسمه زيد بن المعلَّى. الإصابة، ابن حجر، 314/7.

(3) فضائل الصَّحابة، أحمد بن حنبل، حدِيث (237) وغريب الحدِيث، أبو عبيد، 120/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص145.

(5) ورد بلفظ قريب: مصنف عبد الرزاق، حدِيث (5241).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص145.

(7) المستدرك، الحاكم، حدِيث (7810)، وصحيح ابن حبان، حدِيث (4368) وسنن أبِي داود حدِيث (3246) واللَّفظُ لأبي داود.

(8) السنن الكبرى النسائِي، حدِيث (5974).

(9) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (3112).

(10) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (5231).

ولِيَحْيَى[1] وأَبِي الطَّاهر بنِ المخَلِّص[2] فِي "انتقَائِهِ"[3] عَنْ سعْدٍ، هُوَ ابنُ أَبِي وَقَّاص: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمُصَلَّايَ**)) الحديث[4].

ولابْنِ زَبَالَةَ عَنْهُ: ((**مَا بَيْنَ قَبْرِي وَالمصَلَّى**)) الحَدِيث، قِيلَ المرَادُ: المصَلَّى بِالمسْجِدِ النَّبَوِيّ، وقِيلَ مُصَلَّى العِيدِ، وكَذَا قَالَ طَاهِرُ بنُ يَحْيَى[5] عَقِبَ رِوَايَتِهِ لِذَلكَ أَنَّ أَبَاهُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ يقُولُونَ إِنَّ سَعْدًا لما سَمِعَ هذَا الحَدِيثَ مِنَ النَّبِيءِ ﷺ بَنَى دَارَيْهِ فِيمَا بَيْنَ المسْجِدِ والمصَلَّى. ا.هـ[6]

ويُؤَيِّدُهُ مَا رَوَى ابن شبّة عَنْ جنَاح النّجّار[7] قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عائشة بِنت سَعْد بنِ أَبِي وقَّاص إِلى مَكَّةَ فقَالَتْ: أَيْنَ مَنْزِلُكَ؟ فقُلْتُ لَهَا: بالْبلاطِ، فقَالَتْ لِي: تَمَسَّكْ بِهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((**مَا بَيْنَ مَسْجِدِي هَذَا . المسْجِدَ . وَمُصَلَّايَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[8]. قِيلَ: والبِلَاطُ هذَا هُوَ الممْتَدُّ مِنَ المسْجِدِ إِلَى المصَلَّى، وهُوَ مُؤَيِّدٌ لما سَيَأْتِي مِنْ أَنَّ المسْجِدَ النَّبَوِيَّ كُلَّهُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ[9].

وفِي "زَوَائِدِ المسْنَدِ"[10] عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ زَيْد المازِنِي[11] عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**مَا بَيْنَ هَذِهِ الْبُيُوتِ يَعْنِي بُيُوتَهُ ﷺ إِلَى مِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَالمنْبَرُ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**))[12].

وَحَاصِلُ هَذِهِ الأَحَادِيثِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المنْبَرِ أَنَّهُ بِعَيْنِهِ يُعَادُ فِي الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ الخَلَائِقُ، ويَكُونُ علَى مَحَلِّهِ مِنَ المسْجِدِ النَّبَوِيّ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الجَنَّةِ عنْدَ عُقْرِ الحَوْضِ، وهُوَ مُؤَخّرُهُ. وفِي الإِخْبَارِ بِذَلِكَ التَّرْغِيبُ التَّامُّ فِي العِبَادَةِ بذَلِكَ المحَلِّ وأَنَّهَا تُورِدُ الحَوْضَ. وهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ قَوْلِ الْخَطَّابِي: المعْنَى أَنَّ مُلَازَمَةَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هنَاكَ تُورِدُ الْحَوْضَ وتُوجِبُ الشُّرْبَ مِنْهُ، وقَوْلِ [60ظ] غيْرِهِ: المرَادُ أَنَّ المنْبَرَ

---

(1) يحي بن الحسَن بن جعفر. سبق تعريفه.

(2) محمد بن عبد الرحمن بن العباس، المحدّث المعمّر، سمع من أبي القاسم البغوِي، والقاضي المحَامِلِي، حدث عنه خلق كثير، ت:393هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 478/16.

(3) الانتقاء في أخبار المدينة، لأبي طاهر بن المخلص. كشف الظنون، حاجي خليفة، 175/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص146.

(5) طَاهِر بن يحيَ العلوِي. سبق تعريفه.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص146.

(7) جناح النجار: المدنِي مولى ليلى بنت سُهَيْل القرشية يروي عَن عَائِشَة بنت سعد بْن أَبِي وَقاص روى عَنهُ عمر بن زِيَاد. الثقات، ابن حبان، 155/6.

(8) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 138/1.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص146.

(10) زوائد المسنَد: غاية المقصد فى زوائد المسند، لـ: أبِي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ).

(11) عَبْد اللهِ بنِ زَيْد المازِنِي: من فضلاء الصحابة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 377/2.

(12) غاية المقصد في زوائد المسند، الهيثَمِي، حدِيث (1755)، وليس فيه عن عبد الله بن زيد.

الذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ يكُونُ علَى حَوْضِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، واعْتَمَدَ ابْنُ النَّجَّار هَذَا الثَّانِي[1]، وقَالَ ابنُ عَسَاكِر: إِنَّهُ الأَظْهَرُ، وعَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ. وقِيلَ: المرَادُ مِنْبَرٌ يَخْلُقُهُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ اليَوْمِ[2].

وأَمَّا مَا جَاءَ فِي الرَّوْضَةِ فَحَمَلَهُ مالِكٌ علَى ظَاهِرِهِ، فقَالَ: إِنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ تُنْقَلُ إِلَيْهَا ولَيْسَتْ كَسَائِرِ الأَرْضِ تَذْهَبُ وتَفْنَى، ووَافَقَهُ علَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ كَمَا نَقَلَهُ ابن فرحون عن ابنِ الجوزي وغَيْرِهِ[3]، ونَقَلَهُ الخَطِيب بنُ جملة[4] عن الدَّرَاوَرْدِي[5] وصَحَّحَهُ ابن الحاج[6]، وقِيلَ: العِبَادَةُ فِيهَا تودِي إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ هِيَ كَرَوْضَةٍ مِنَ الجَنَّةِ فِي نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُصُولِ السَّعَادَةِ بِمُلَازَمَةِ العِبَادَةِ، ولَا سِيَّمَا فِي عَهْدِهِ ﷺ[7].

وذَكَرَ ابْنُ حَجَر هَذَا الخِلَافَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ "الْفَتْحِ". وقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: المرَادُ أَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ تَنْتَقِلُ إِلَى الْجَنَّةِ فَتَكُونُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِها، أَوْ أَنَّهُ عَلَى المجَازِ لِكَوْنِ الْعِبَادَةِ فِيهَا تَؤُولُ إِلَى دُخُولِ رَوْضَةِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، إِذْ لَا اخْتِصَاصَ لِذَلِكَ بِتِلْكَ البُقْعَةِ، والْخَبَرُ مَسُوقٌ لمزِيدِ شَرَفِ تِلْكَ الْبُقْعَةِ علَى غَيْرِهَا[8].

وفِي "الْخُلَاصَةِ": الْأَحْسَنُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ[9]: الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ علَيْهِمَا. أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ الأَصْلَ عَدَمُ المجَازِ، واسْتَدَلَّ لَهُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ بِإِخْبَارِهِ ﷺ بِأَنَّ المنْبَرَ عَلَى الْحَوْضِ، قَالَ: لم يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ فِي أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وأَنَّهُ حَقٌّ مَحْسُوسٌ مَوْجُودٌ علَى حَوْضِهِ. وأَمَّا الثَّانِي فَلِمَا سَبَقَ فِي فَضْلِ المسْجِدِ النَّبَوِي، وزَادَ هَذَا المحَلُّ بِإِحاطَةِ هَذَيْنِ الحَدَّيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِهِ، وكَثْرَةِ تَرَدُّدِهِ ﷺ فِيهِ بَيْنَهُمَا، واتِّصَالِهِ بِقَبْرِهِ الشَّرِيفِ الذِي هُوَ الرَّوْضَةُ العُظْمَى، وقُرْبِهِ مِنْهُ فَلِذَلِكَ اخْتَصَّ بِذَلِكَ، أَوْ هُوَ تَعَبُّدٌ، قَالَ[10]: وقَدْ تَقَرَّرَ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ أَنَّ البُقَعَ المبَارَكَةَ مَا فَائِدَةُ

---

(1) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص158، ومنه نقل قول الخطابي.

(2) إتحاف الزائر، ابن عساكر، ص75، هذه الأقوال نقلا مِن: خلاصة الوفا، السمهودِي، ص147.

(3) إرشاد السَّالك إلى أفعالِ المناسك، ابن فرحون، 559/2.

(4) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة، ت:764هـ.

(5) عبد العزيز بن محمد بن عبيد، ت: 187هـ. سبق تعريفه.

(6) المدخل، ابن الحاج، 257/1.

محمد بن محمد بن محمد العبدري، الفاسي، الشهير بابن الحاج، ولد بفاس وتفقه بها، وقدم مصر، وحج، وكفَّ بصرُهُ في آخر عمره، وتوفي بالقاهرة سنة 737هـ، من آثاره: شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علوم الحروف وماهيته، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة، ومدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة. الديباج، ابن فرحون، 321/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 682/3.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص147.

(8) فتح الباري، ابن حجر، 100/4.

(9) سبق تعريفه.

(10) أيْ: ابن أبي جمرة.

بَرَكَتِهَا، والإِخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَّا تَعْمِيرُهَا بِالطَّاعَاتِ[1].

وفِي "الْخُلَاصَة": قُلْتُ: ولِذَا رَوَى ابنُ زَبَالَةَ عَنْ إِبْرَاهِيم قَالَ: وجَدَنِي أُسَامَةُ بنُ زَيْد بنِ حارثةَ أُصَلِّي فِي نَاحِيَةِ المسْجِدِ فَأَخَذَ بِعُنُقِي فَسَاقَنِي حَتَّى جَاءَ بِي إِلَى المنْبَرِ، فَقَالَ: صَلِّ هَا هُنَا[2].

ثُمَّ قَالَ[3]: ويَحْتَمِلُ أَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ نَفْسَهَا الآنَ مِنَ الجنَّةِ كَمَا أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْهَا ويَعُودُ رَوْضَةً فِيهَا ولِلْعَامِلِ بالْعَمَلِ فِيهِ رَوْضَةٌ، قَالَ: وهُوَ أَظْهَرُ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ ﷺ ولِيَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الأُبُوَّةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ فِي هَذَا شَبَهٌ فَالْخَلِيلُ[4] خُصَّ بِحَجَرٍ مِنَ الْجَنَّةِ والْخَلِيلُ بِالرَّوْضَةِ مِنْهَا[5].

قالَ صَاحِبُ "الْخُلَاصَةِ": هَذَا هُوَ الأَرْجَحُ والظَّاهِرُ أَنَّهُ مُرَادُ مَالِك لِحَمْلِهِ اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ إِذْ لَا مُقْتَضَى لِصَرْفِهِ عَنْهُ، ولِذَا اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى تَفْضِيلِ المدِينَةِ بِضَمِيمَةِ [61و] حَدِيثِ: ((**لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**))[6] وتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَزْمٍ بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنَ الجَنَّةِ حَقِيقَةً لَكَانَتْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾**﴾[7] وإِنَّمَا المرَادُ أَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا يُودِي إِلَى الجَنَّةِ[8].

وقَالَ الجَمَالُ الرَّاسَانِي[9]: إِنَّ القَوْلَ بِأَنَّهَا نُقِلَتْ مِنَ الجنَّةِ يُودِي إِلى إِنْكَارِ المحْسُوسَاتِ أو الضَّرُورَاتِ، ومِثْلُ هَذَا إِنَّما طَرِيقُهُ التَّوْقِيفُ كمَا جَاءَ فِي الْحجرِ الأسود والمقَامِ[10].

قُلْتُ: المخْبِرُ بِأَنَّهَا مِنَ الجَنَّةِ هُوَ المخبِرُ بأَنَّ الحَجَر والمقامَ [منها][11] ولا يَشْهَدُ[12] في ذلِكَ شُهودُ المذْكورَاتِ كمَخْلوقَاتِ الدُّنْيا لمنْعِ الحُجُبِ الكَثِيفَةِ عَنْ شُهُودِ الأُمُورِ الأُخْرَوِيَّةِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، ولَا يَلْزَمُ مِن انْتِفَاءِ الجُوعِ والعُرِي عَمَّنْ حَلَّ فِي الْجَنَّة انْتِفَاؤُهُما عَمَّن حَلَّ فِيما نُقِلَ مِنْهَا، وإِلَّا لَزِمَ بذَلِكَ نَفْيُ كَوْنِ الحَجَرِ والمقَامِ منْها حَقِيقَةً، ولَا قَائِلَ بِهِ، والأَصْلُ عَدَمُ المجَازِ[13].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148، وينظر: بهجة النفوس، ابن أبي جمرة، 91/2 وما بعدها.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148.

(3) أيْ: ابن أبِي جمرة.

(4) في الأصل: فالخلل، وهو خطأ، كما يبينه النص المنقول أسفله.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148 وفيه: فالخليل خُصَّ بالحجرِ من الجنة، والحبيبُ بالرَوضَة. وينظر: بهجة النفوس، ابن أبِي جمرة، 93/2.

(6) مسند أحمد، حدِيث (12556) و(12557).

(7) سورة طه: 118.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148. وقول ابن حزم نقله من فتح البارِي، 100/4.

(9) الجمال الراساني: محمد بن عبد الله بن أبِي بكر الزَّيْمِي اليمَنِي، فقيه، درس وأفتى، وكان مقدما عند الملوك، وتولى قضاء الأقضية بزبيد، من آثاره: التفقيه في شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، بغية الناسك في المناسك، والمعاني البديعية في اختلاف علماء الشريعة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 432/3.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148.

(11) زيادة من خلاصة الوفا.

(12) في خلاصة الوفا: ولا يقدح.

(13) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص149.

وقَدْ نَقَلَ الرّاساني[1] عَنِ الخطيبِ بن جملة الاخْتِلَافَ فِي أَمْرِ الرَّوْضَةِ، قالَ: فَقِيلَ اللَّفْظُ علَى حَقِيقَتِهِ بِمَعْنَى أَنَّهَا نُقِلَت مِنَ الجنَّةِ أَو سَتُنْقَلُ[2] إِلَيْها، وقِيلَ: مَجَازٌ لِتَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وحُصُولِ المغْفِرةِ بِهَا، كَمَا سَمَّى مَجَالِسَ الذِّكْرِ رِيَاضَ الْجَنَّةِ حَيْثُ قَالَ: ((**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: المسَاجِدُ**)) الحَدِيث[3]. أَوْ شَبَّهَهَا بالْجَنَّةِ لِكَرِيمِ مَا يُجْتَنَى فِيهَا لمّا كَانَ ﷺ يَجْلِسُ فيهَا لِلتَّعْلِيمِ، ولِأَنَّها تَؤُولُ إِلَى الْجَنَّةِ كَقَوْلِهِ ﷺ: ((**الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيوفِ**))[4] و((**الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ**))[5] ولأَنَّ العِبَادَةَ فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ كَقَوْلِهِ ﷺ: ((**عَائِدُ المرِيضِ فِي مَخْرِفِ الْجَنَّةِ**))[6] ثُمَّ تَعَقَّبَ الخَطِيبُ الثَّانِي بِأَنَّهُ لَا يَبْقَى حِينَئِذٍ لِهَذِهِ الرَّوْضَةِ مَزِيَّةٌ، وقَدْ فَهِمَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ المزِيَّةَ العَظِيمةَ التِي بِسَبَبِها فَضَّلَهَا مَالِكٌ علَى سَائِرِ البِقَاعِ[7].

قالَ الرَّاسَانِي: بَلْ هُوَ الأَظْهَرُ لِاتِّفاقِ الخَطَّابِي وابْنِ عبْدِ البَرِّ عَلَيْهِ، ولِأَنَّ النَّظَائِرَ تُؤَيِّدُهُ[8]. وجَوَابُ مَا ذَكَرَهُ الخَطِيبُ أَنَّ العَمَلَ فِي تِلْكَ النَّظَائِرِ يُودِي إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، والْعَمَلُ فِي هَذَا المحَلِّ يُودِي إِلَى رَوْضَةٍ أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرِّيَاضِ[9].

قُلتُ: لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ وَصْفُها بأَنَّها أَعْلَى الرِّيَاضِ بَل الذَّاهِبُ إِلَى تَفْضِيلِ مَكَّة يَقُولُ العَمَلُ فيهَا مُودٍ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى والذِي فَهِمَهُ الجُمْهُورُ أَنَّ هَذَا المَوْضِعَ روْضَةٌ سَوَاءٌ أَكَانَ بِهِ ذَاكِرٌ أَوْ عَابِدٌ أَمْ لَا بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ المسَاجِدِ[10].

والذِي حَمَلَ الرَّاسَانِي علَى ذَلِكَ دَعْوَاهُ أَنَّ اسْمَ الرَّوْضَةِ يَعُمُّ مَسْجِدَهُ ﷺ كُلَّهُ مَعَ مَا زِيدَ [61ظ] فِيهِ لِأَنَّهُ مَجَازٌ، وذَلِكَ لتَضْعِيفِ أَجْرِ الطَّاعَةِ بِهِ، وذَلِكَ لَا يَخْتَصُّ بِمَوْضِعٍ مِنْهُ[11].

---

(1) محمد بن عبد الله بن أبي بكر الحثيثي، الصروفي، الريمي، اليمني، الشافعي، فقيه، درس وأفتى، وكان مقدما عند الملوك، وتولى قضاء الأقضية بزبيد، ت:791هـ، من آثاره: التفقيه في شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي في نحو من عشرين مجلدا، اتفاق العلماء، خلاصة الخواطر، بغية الناسك في المناسك، والمعاني البديعية في اختلاف علماء الشريعة. الدرر الكاملنة، ابن حجر، 233/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 203/10.

(2) في الأصل: استنقل.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (11158).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (2818).

(5) البر والصِّلة، ابن الجوزِي، حدِيث (44) عن ابن عبَّاس.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (39).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص149.

(8) قول الخطابِي وابن عبد البر في: الدرة الثمينة، ابن النجار، ص160-161.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص149.

(10) (م، س)، ص149.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص150.

وسُئِلَ أبو جعفر الدَّاودي[1] عنْ قوْلِهِ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي**)) الحديث[2]، فقال: هُوَ رَوْضَةٌ كُلُّهُ[3].

وقالَ الخَطِيبُ بنُ جملَةَ: قَوْلُهُ ((**بَيْتِي**)) مُفْرَدٌ مُضافٌ قَدْ يُفِيدُ العُمُومَ في بُيُوتِهِ، وكَانَتْ مُطِيفَةً بالمسْجِدِ مِنَ القِبْلَةِ والمشْرِقِ والشَّامِ، والمنْبَرُ فِي غَرْبِيّهِ ولِهَذَا قالَ السّمعاني: لما فَضَّل اللهُ هذَا المسْجِدَ وشَرَّفَهُ وبَارَكَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ وضَاعَفَهُ فسَمَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ رَوْضَةً فتَرَاهُ جَعَلَهُ كُلَّهُ رَوْضَةً، والمشْهُورُ أَنَّ المرَادَ بَيْتٌ خَاصٌّ هُوَ بَيْتُ عَائِشَةَ لِرِوَايَةِ: ((**مَا بَيْنَ قَبْرِي**)) الحَدِيث[4].

قالَ ابن خزيمة: أَرَادَ بَيْتِي الذِي أُقْبَرُ فِيهِ، إِذْ قَبْرُهُ فِي بيْتِهِ الذِي تسْكُنُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[5].

قالَ الخَطِيبُ: فعَلَى هذَا تُسَامِتُ الرَّوْضَةُ حائِطَ الحُجْرَةِ مِنَ القِبْلَةِ والشّمَالِ ولَا تَزَالُ تَقْصُرُ أَيْ: فِي الْعرْضِ إِلَى المنْبَرِ أَوْ تُؤْخَذُ المسَامَتَةُ مُسْتَوِيَةً فلْيُنْظَرْ؛ أيْ: فإِنْ أُخِذَتْ مُسْتَوِيَةً دخَلَ مَا سَامَتَ الْحُجْرَةَ مِنْ جِهَةِ الشّمَالِ، وإِنْ لم تُسَامِتِ المنْبَرَ، ومَا سَامَتَ طرَفَ المنْبَرِ القَبْلِي وإِنْ لم تُسَامِتِ الحُجرَةَ لِتَقَدُّمِ المنْبَرِ فِي جِهَةِ القِبْلَةِ فتَكُونُ الرَّوْضَةُ مُرَبَّعَةً وَهِيَ لِرِوَاقِ المصَلَّى الشَّرِيفِ والرِّوَاقَانِ بَعْدَهُ، وذَلِكَ مُسقف مقدم المسْجِدِ فِي زَمَنِهِ ﷺ لما اتَّضَحَ لَنَا فِي جدَارِ الحُجْرَةِ الشَّامِي عِنْدَ عِمَارَتِهَا مِنْ مُحَادَاتِهِ نِصْفَ أُسْطُوَانِ الوُفُودِ، لَكِنَّ المنْبَرَ كَانَ مُتَأَخِّرًا يسِيرًا عَنْ جِدَارِ الْقِبْلَةِ فيخْرجُ قَدْر ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ البَقِيَّةِ، وكذَا إِنْ أُخِذَتِ المسَامَتَةُ غَيْرَ مُسْتَوِيَةٍ، بَلْ يَخْرُجُ المصَلَّى الشَّرِيفُ أَوْ مُقَدَّمُهُ لِعَدَمِ مُحَادَاتِهِ لِكُلٍّ مِنْ طَرَفَي المنْبَرِ والحُجْرَةِ؛ إِذْ مُتَّسَعُ الرَّوْضَةِ مِمَّا يَلِي الحُجْرَةَ فِي المشْرِقِ وتَكُونُ غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ لِتَأَخُّرِ الحُجْرَةِ إِلَى الشَّامِ عَنِ المنْبَرِ، ثُمَّ تَضَايق كمُثَلَّثٍ انْطَبَقَ ضِلْعَاهُ علَى قَدْرِ امْتِدَادِ القَبْرِ النَّبَوِيّ وهُوَ خَمْسَةُ أَشْبَارٍ، ويَكُونُ مَوْقِفُ الصَّفِّ الأَوَّلِ مِمَّا يَلِي الحُجرَةَ لَيْسَ بالرَّوْضَةِ؛ لِأَنَّ جِدَارَ الحُجْرَةِ القَبْلِيّ الذِي فِي جَوْفِ الحَائِزِ فِي مُوَازَاةِ الأَسَاطِينِ التِي خلْفَ القَائِمِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فهَذَا الِاحْتِمَالُ مَرْدُودٌ، إِذْ مُعْظَمُ السَّبَبِ فِي جَعْلِ ذَلِكَ رَوْضَةً اشْتِمالُهُ علَى مَحَلِّ الجِهَةِ الشَّرِيفَةِ الميْمُونَةِ، ولَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِخُرُوجِ شَيْءٍ مِنَ المصلَّى الشَّرِيفِ مِنَ الرَّوْضَةِ، بَلْ كَلَامُهُمْ مُتَّفِقٌ علَى جَعْلِهِ مِنْهَا، وأَخْذُ المسَامَتَةِ مُسْتَوِيَةً هُو ظَاهِرُ ما عَلَيْهِ غالِبُ العُلَمَاءِ والنَّاسِ، إِلَّا أَنَّ نِهَايَةَ الحُجْرَةِ لم تَكُنْ مَعْلُومَةً لَهُمْ فَقَالَ جَمَاعَةٌ منهُمْ: لم يَتَحَرَّرْ لنَا عرْضُ [62و] الرَّوْضَةِ[6].

---

(1) أحمد بن نصر الداودي أبو جعفر، كان بطرابلس وبها أصل كتابه في شرح الموطأ "النامي في شرح الموطأ" ثم انتقل إلى تلمسان، كان علمه بإدراكه ولم يتفقه على عالم مشهورٍ، حمل عنه أبو عبد الملك البوني، ت:402هـ. الديباج، ابن فرحون، 166/1.

(2) سبقَ تخريجهُ، صحيح البخارِي، حدِيث (1195) صحيح مسلم، حدِيث (500).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص150.

(4) (م، س)، ص150.

(5) (م، س)، ص150.

(6) (م، س)، ص150-151.

فقَالَ الرَّاسَانِي: غَالِبُ النَّاسِ يَعْتَقِدونَ أَنَّ نِهَايَتَهَا، أَيْ: مِنَ الشَّامِ فِي مُقَابَلَةِ أسطوَان عَلِيّ، وَلِهَذَا جعَلُوا الدَّرَابِزَ الذِي بَيْنَ الأَسَاطِينِ يَنْتَهِي إِلَى صَفِّهَا، واتَّخَذُوا الفُرُشَ لِذَلِكَ فَقَطْ[1].

قالَ فِي "الخلاصة": الصَّوَابُ ما تَقَدَّمَ مِن امتِدَادِها إِلَى صَفِّ أُسْطُوَانِ الوُفُودِ وأَمَّا عُمُومُهَا لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ فَمَبْنِيٌّ علَى مَا مَرَّ، وعَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ مِنْ أَنَّ نِهَايَةَ المسْجِدِ فِي المغْرِبِ الأُسْطُوَانَةُ التِي تَلِي المنْبَرَ، وقَدْ ظَهَرَ لَنَا خِلَافُهُ. ا.هـ[2]

قالَ المراغي[3]: ينْبَغِي اعْتِقادُ كَوْنِ الرَّوْضَةِ لَا تَخْتَصُّ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ الآنَ، بَلْ تَتَّسِعُ إِلَى بُيُوتِهِ ﷺ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ وهُوَ آخِرُ المسْجِدِ فِي زَمَنِهِ ﷺ فيَكُونُ كُلُّهُ رَوْضَة إِذَا فَرَّعْنَا علَى عُمُومِ المفْرَدِ المضَافِ[4].

ثُمَّ ذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ، وفَاتَهُ وغَيْرَهُ الاسْتِدْلَالُ بِحَدِيثِ "زَوَائِدِ أَحْمَدَ" المتَقَدِّمِ بلَفْظِ: ((**مَا بَيْنَ هَذِهِ الْبُيُوتِ**، يَعْنِي بُيُوتَهُ، **إِلَى مِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[5] فَإِنَّهُ نوقِشَ في تَمَسُّكِهِ بما سَبَقَ بأَنَّ فِي رِوَايَةِ "قَبْرِي" و"بَيْت عَائِشَةَ" بيَانُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ المرَادُ مِنَ المفْرَدِ المضَافِ وَهُوَ مرْدُودٌ بِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ إِفْرَادِ فَرْدٍ مِنَ العَامِّ بِحُكْمِهِ، وهُوَ لَا يَقْتَضِي إِلَّا الاِهْتِمَامَ بِذَلِكَ الفَرْدِ[6].

وقالَ القرطبي[7]: الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ ((**بَيْتِي**)) ويُرْوَى ((**قَبْرِي**)) وكَأَنَّهُ بِالمعْنَى[8].

وحَمَلَ القرَافي[9] عمُومَ المفْرَدِ علَى مَا إِذَا وَقَعَ علَى القَلِيلِ والكَثِيرِ كالماءِ والمالِ بِخِلَافِ مَا لَا يَصْدُقُ إِلَّا علَى الوَاحِدِ كَالْعَبْدِ، مَذْهَبٌ مَرْجُوحٌ اخْتَارَهُ ابنُ دقيق العيد[10] كمَا أَفَادَهُ السُّبْكِي وعَدَمُ

---

(1) خلاصة الوفا، ص151.

(2) (م، س)، ص151.

(3) أبو بكر بن الحسين بن عمر بن محمد، العثماني، المراغي، المصري، الشافعي، نزيل المدينة، ويعرف بابن الحسين المراغي، مؤرخ، فقيه، ولد بالقاهرة، ونشأ بها، وأخذ عن التقي السبكي، توفي بالمدينة سنة 816هـ، من آثاره: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة. الضوء اللامع، السخاوِي، 28/11، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 437/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص151.

(5) سبَقَ تخريجهُ، غاية المقصد فى زوائد المسند، الهيثَمِي، حدِيث (1755).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص151.

(7) القرطبِي: أحمد بن عمر بن إبراهيم، ولد بقرطبة، ورحل إلى المشرق، وتوفي سنة 656هـ بالاسكندرية، من تصانيفه: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، مختصر الصحيحين، والتذكرة في ذكر الموتى وأحوال الآخرة. تاريخ الإسلام، الذَّهبِي، 795/14، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 214/1.

(8) المفهم، القرطبِي، 502/3.

(9) القرافِي: أحمد بن إدريس شهاب الدين، أبو العباس، فقيه، أصولي، مفسر، ولد بمصر، وتوفي سنة 684هـ ودفن بالقرافة. من تصانيفه: الذخيرة في الفقه، شرح التهذيب، شرح محصول فخر الدين الرازي، التنقيح في أصول الفقه، وأنوار البروق في أنواع الفروع في أصول الفقه. الديباج، ابن فرحون، 236/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 100/1.

(10) محمد بن علي بن وهب المعروف بابن دقيق العيد، محدث وفقيه، رحل إلى الشام ومصر وسمع الكثير، وولي قضاء الديار المصرية وتوفي بالقاهرة سنة 702هـ، من تصانيفه: الاقتراح في علوم الحديث، شرح مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي لم يكمل، الالمام في أحاديث الأحكام، شرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه. طبقات الحفاظ، السيوطِي، ص516، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 553/3.

العُمومِ في قَوْلِكَ: عَبْدِي حُرٌّ وزَوْجِي طَالِقٌ كمَا قَالَ الإسنوي[1] لِكَوْنِهِ مِنْ بَابِ الأَيْمَانِ، فيُسْلَكُ بِهِ مَسْلَك العُرْفِ[2]. قُلْتُ: بَلْ لِعَدَمِ قَرِينَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ.

ونُقِلَ عن ابن عبد السّلام[3] طَلَاقُ الجَمِيعِ وعِتْقُهُمْ، وهُوَ الذِي نَصَّ علَيْهِ أَحْمَدُ، حَيْثُ لاَ نِيَّةَ جَرْيًا عَلَى الْقَاعِدَةِ وَحوطَةً، فهَذَا مَعَ الحَدِيثِ مِنْ أَحْسَنِ الأَدِلَّةِ، لَكِنْ عَلَى عُمُوم الرَّوْضَةِ لما بَيْنَ الْقَبْرِ والبُيُوتِ، والمنْبَرُ دَاخِلٌ بالأَدِلَّةِ السَّابِقَةِ أَفْضَلُ، وأَمَّا القَبْرُ الشَّرِيفُ فَهُوَ الرَّوْضَةُ العُظْمَى[4].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ أَنَّ ذِرْعَ مَا بَيْنَ المنْبَرِ والقَبْرِ وَهُوَ مَوْضِعُ بَيْتِهِ ﷺ أَرْبَعٌ وخَمْسُونَ ذِرَاعًا وسُدُس. وفِي "الخُلَاصَة" هذِهِ الرِّوَايَة مَعَ إِدْخَالِ عُرْضِ جِدَارِ الحَائِزِ الذِي بَنَاهُ عمَر بن عَبد العزيز وهُوَ نَحْوُ ذِرَاعٍ وسُدُس. وذَكَر ابنُ زَبَالَةَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ ذِرْعَ مَا بَيْنَهُما ثَلَاثٌ وخَمْسُونَ وشِبْر، وقَد اعْتُبِرَتْ مِنْ طَرَفِ الجِدَارِ القَبْلِيّ إِلَى طَرَفِ المنْبَرِ القَبْلِيّ مَعِ إِدْخالِ عَرْضِ الرُّخَامِ، فَإِنَّهُ لم يَكُنْ فِي زَمَانِ ابنِ زَبَالَةَ، فكَانَ ثلَاثًا وخَمْسِينَ ذِرَاعًا، وهُوَ ذِرَاع غَيْر ثُمُنٍ مِنْ ذِرَاعِ [62ظ] الْحَدِيدِ[5].

وهُوَ مُوَافِقٌ لما ذَكَرَ [أبو غسّان][6] صَاحِبُ مَالِك، وهُوَ محمّد بنُ يحيى، مِنْ أَنَّ بَيْنَهُما ثَلَاثًا وخَمْسِينَ ذِرَاعًا، وابن جَمَاعَة، حَيْثُ ذَكَرَ مِنْ ذِرْعِهِ بِذِرَاعِ العَمَلِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ بَيْنَهُمَا اثْنَيْنِ وخَمْسِينَ ذِرَاعًا بِالذِّرَاعِ المتَقَدِّمِ، لم يُدْخِلْ عَرْضَ رُخَامِ الحُجْرَةِ وذِرْعٌ عَلَى الاسْتِقَامَةِ ولَمْ يعْتَبر الدِّرْع مِنَ الطَّرَفَيْنِ المذْكُورَيْنِ[7].

وأَمَّا المرَاغِي فاعْتَبَرَ مَعَ ذَلِكَ ذِرَاعَ المدِينَةِ وهُوَ أَزْيَدُ مِنَ الذِّرَاعِ الذِي تَقَدَّمَ تَحْرِيرُهُ بِنَحْوِ قِيرَاطٍ وثُلُثٍ، فقَالَ: وقَد اعْتَبَرْتُهُ فوَجَدْتُهُ خَمْسِينَ إِلَّا ثُلُثَيْ ذِرَاعٍ، وهَذَا المنْبَرُ مُقَدَّمٌ عَلَى مَحَلِّ المنْبَرِ الأَصْلِيّ لِجِهَةِ القِبْلَةِ عِشْرِينَ قِيرَاطًا مِنْ ذِرَاعِ الْحَدِيدِ، وإِلَى جِهَةِ الرَّوْضَةِ مِنْ مُقَدَّمِهِ نَحْو ثَلَاثَةِ قَرَارِيطَ[8] واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) الإسنوِي: عبد الرحيم بن الحسن الشافعي، نزيل القاهرة، مؤرخ، مفسر، فقيه، أصولي بإسنا من صعيد مصر، ت:772هـ، من تصانيفه الكثيرة: التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول، شرح ألفية ابن مالك في النحو. طبقات الشافعية، بن قاضي شهبة، 98/3، ومعجم المؤلفين، 129/2.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص152.

(3) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، الدمشقي الشافعي، ت:660هـ. سبق تعريفه.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص152.

(5) (م، س)، ص152.

(6) في الأصل: ابن عساكر، والتصحيح من خلاصة الوفا، قال: نقله الأقشهري عن أبِي غسَّان وهو محمد بن يحي صاحب مالك.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص152.

(8) (م، س)، ص153.

الفَصْلُ الرَّابِعُ:

رَوَى يَحْيَى[1] عَنْ خارجة بنِ زيْد بن ثَابت: بَنَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَسْجِدَهُ سَبْعِينَ فِي سِتِّينَ[2]. قلْنَا هَذَا فِي البِنَاءِ الأَوَّلِ.

رَوَى جعْفر بن محمّد عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُمْ قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ لَوْ زِيدَ فِيهِ، فزَادُوا وجَعَلُوا طُولَهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى مُؤَخِّرِهِ مِئَةَ ذِرَاعٍ وكَذَا فِي الْعرْضِ، وكَانَ مُرَبَّعًا[3].

وفِي هذَا البِنَاء الثَّانِي رَوَى يَحْيَى عَنْ أسامةَ بنِ زيدٍ عَنْ أَبِيهِ: كَانَ الذِينَ أَسَّسُوا المسْجِدَ جَعَلُوا طُولَهُ مِمَّا يَلِي القِبْلَةَ إِلَى مُؤَخّرِهِ مئَةَ ذِرَاعٍ، وفِي الجَانِبَيْنِ الآخَرَيْنِ مِثْل ذَلِكَ، فَهُوَ مُرَبَّعٌ[4] وقِبْلَتُهُ إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ.

ورَوَى ابْنُ زَبَالةَ أَنَّهُ ﷺ زَادَ فِيهِ منَ المشْرِقِ والمغْرِبِ دُونَ القِبْلَةِ والشَّامِ[5].

ورَوَى يَحْيَى عَنْ محمّد بنِ يحْيى[6] صَاحِبِ مَالِكٍ: هُوَ مِن القِبْلَةِ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعَةٌ وخَمْسُونَ ذِرَاعًا وثُلُثا ذِرَاعٍ ومِنَ المشْرِقِ للْمَغْرِبِ ثَلَاثٌ وسِتُّون ذِرَاعًا[7]. قُلْنَا: هَذَا قَبْلَ الزِّيَادةِ فيهِ، وبَعْدَهَا كانَ مِئَةً فِي مِئَةٍ.

وعَوَّلَ ابنُ النَّجَّار ومَن تَبِعَهُ مِنَ المتَأَخِّرِينَ علَى السَّبْعِينَ مِنَ القِبْلَةِ لِلشَّامِ، وعلَى السِّتِّين مِنَ المشْرِقِ إِلَى المغْرِبِ[8]. وابْنُ زَبَالةَ مِنْ أصْحَابِ مَالِك، ويَحْيَى مِنْ أَصْحَابِ أصْحَابِهِ. واللهُ أَعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ.

39 وَقُلْ يَا أَعَزَّ المرْسَلِينَ وَمَنْ لَهُ عَلَى الدُّرْوَةِ الْعَلْيَاءِ أَرْفَعُ أَفْنَانِ

40 وَخَيْرَ نَبِيءٍ جَاءَ مِنْ خَيْرِ عنْصرٍ[9] بِخَيْرِ كِرَامٍ هَدْيُهُم خَيْرُ قُرْآنِ

41 وأَوَّلَهُم خَلْقًا وَنَشْرًا إِذَا دُعُوا وآخرَهم بَعْثًا وَأَكْرَمَ جِيرَانِ

42 لَكَ المعجِزَاتُ الغُرُّ لاَحَتْ خَوَارِقًا وأَبْهَرُ آياتٍ لَدَيْكَ وسُلْطَانِ

وقُلْ أَيُّهَا الزَّائرُ الوَاقِفُ فِي حِمَى خَيْرِ الوَرَى: يا مَنْ هُوَ عنْدَ اللهِ أَفْضَلُ وأَحَبُّ، وأَكْرَمُ عِنْدَ اللهِ

---

(1) يحيى بن الحسن بن جعفر، العلوي سبق تعريفه.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص210.

(3) (م، س)، ص210-211، نقلا عن رزين.

(4) (م، س)، ص211.

(5) (م، س)، ص211.

(6) محمد بن يحيى بن حبان الأنصارِي، حدث عن ابن عمر وأنس بن مالك، حدث عنه مالك وابن إسحاق والليث، وهو إمام مجمع على ثقته، وهو من أعيان مشيخة مالك، ت: 121هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 186/5.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص213.

(8) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص182، وخلاصة الوفا، السمهودِي، ص214.

(9) ضبطَ العينَ والصَّاد بالشَّكلين، الضمّ والفتحُ.

مِنْ سَائِرِ المرْسَلِينَ، ويَا مَنْ لَهُ أَرْفَعُ أَنْوَاعِ الدِّينِ والدُّنْيَا والآخِرَةِ علَى مَنْ هُوَ أَعْلَى وَأَيَّدُ علُوًّا.

ويَا خَيْرَ نَبِيءٍ جَاءَ مِنْ أَفْضَلِ الأُصُولِ والأَحْسَابِ بِخَيْرِ الكِرَامِ الذِينَ جاؤُوا بِخَيْرِ مَا يُقْرَأُ كالتَّورَاةِ والإِنْجِيلِ [63و] والزَّبورِ.

ويَا أَوَّلَهُمْ خَلْقًا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، ونَشْرًا مِنَ القَبْرِ إِذَا دَعَاهُمْ إِسْرَافِيلُ، ويَا آخِرَهُم بَعْثًا بالنُّبُوَّة والرِّسالَةِ، ويَا أَكْرَمَهُمْ جِيرانًا.

لَكَ الأُمُورُ الخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ في الاسْتِدْلالِ علَى النُّبُوءَةِ والرِّسالَةِ حالَ كَوْنِها لَاحَتْ، حالَ كَوْنِهَا خَوَارِقَ للْعَادَاتِ.

وإِنَّ لَكَ أَبْهَرَ[1] وإِنَّ عنْدَكَ آيَاتٍ وقُوَّةً أَعْظَم قَطْعًا لِلشُّبَهِ والأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ آيَةٍ وقُوَّةٍ.

فـ"مَنْ" وَ "خَيْرَ نَبِيءٍ" وَ "أَوَّلَهُمْ وَ"آخِرَهُمْ" وَ "أَكْرَمَ" مَعْطُوفاتٌ علَى المنَادَى.

و"عَلَى الذُّرْوَةِ": مُتَعَلِّقٌ بـ "أَرْفَعُ" قُدِّمَ عَلَيْهِ لِلضَّرُورَةِ، وسهّلهُ أَيْضًا أَنَّهُ ظَرْفٌ وإِلاَّ فَ "أَرْفَع" اسْمُ تَفْضِيلٍ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مَعْمُولُهُ ولَوْ لم يَكُنْ مَدْخُولَ "مِن" التَّفْضِيلِيَّةِ إِلَّا فِي نَحْوِ: زَيْدٌ مُفْرَدًا أَنْفَعُ مِنْ عَمْرُو مُعَانًا. ودُرْوَةُ الشَّيْءِ: أَعْلَاهُ بِضَمِّ الدَّالِ، فَنَعَتَهُ بِـ "الْعَلْيَاءِ" لِلتَّأْكِيدِ ومَزِيدِ المبالَغَةِ فِي الْعُلُوِّ. و"الْعَلْيَاءُ": بفَتْحِ الأَوَّلِ وبِالمدِّ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ كَالْحَسْناءِ بِفَتْحٍ ومَدٍّ.

و"أَرْفَعُ": اسْمُ تفْضِيلٍ مِنَ المبْنِيّ لِلْمَفْعُول بِنَاءً علَى قِيَاسِهِ مِنْهُ، بَلْ لِوُرودٍ فِي هَذَا اللَّفْظِ، وذَلِكَ لِأَنَّ المرَادَ أَنَّ أَفْنَانَهُ مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ أَفْنَانِ غَيْرِهِ.

و"الأَفْنَانُ": جَمْعُ فَنَنٍ وهُوَ الغُصْنُ، وهُوَ استِعَارَةٌ لِلْأُمورِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّة والأُخْرَوِيَّةِ الطَّيِّبَةِ.

و"لَهُ": خَبَرٌ، و"أَرْفَعُ": مُبْتَدَأ، والجُمْلَةُ صِلَةُ "مَنْ" أَوْ نَعْتُهُ، والموْصُولُ المنَادَى فِي مَحَلِّ نَصْبٍ؛ لِأَنَّهُ شَبِيهٌ بِالمضَافِ لِطُولِهِ بِالصِّلَةِ، وإِذَا قُلْتَ "مَنْ" مَنْعُوتَةٌ فَمَحَلُّهَا رَفْعٌ لِأَنَّها نَكِرَةٌ مَقْصُودَةٌ.

و"الْعُنْصر": بِضَمِّ العَيْنِ والصَّادِ أَوْ بِفَتْحِهمَا الأَصْلُ والْحَسَبُ.

والْجَائِي مِنْ خَيْرِ عُنْصرٍ بِخَيْرِ كِرَامٍ هَدْيُهُمْ خَيْرُ قُرْآنٍ هُوَ غَيْرُ نَبِيئِنَا ﷺ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُخْتَارُ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ سِوَاهُ ﷺ فَيَفْضُلُ علَيْهِ نَبِيئُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِك الفَاضِلِ، فَهُوَ لُبُّ اللُّبِّ. و"خَيْرِ كِرَامٍ" مَا يُضافُ إِلَى النَّاسِ الكِرَامِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والدِّينِ والآخِرَةِ.

و"الهَدْيُ": السِّيرَةُ مِنَ الدِّيَانَةِ ومَكارِمِ الأَخْلَاقِ. فقَد اخْتَارَ خَيْرَ الأَنْبِيَاءِ غَيْره، الذِي لَهُ أَفْضَلُ خَيْرٍ وأَفْضَلُ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ يُقْرَأُ، ولَهُ صَحَابَةٌ كِرَامٌ وفَضلَ عَلَيْهِ نَبِيئُنَا ﷺ. وعَلَى أَصْحَابِهِ وخَيْرِهِمْ وهَدْيِهِمْ صَحَابَةُ نَبِيئِنا وسِيرَتُهُم وهَدْيُهُمْ، وعَلَى كِتَابِهِ كتَابُ نبِيئِنَا ﷺ فخَيْرُ سائِرِ الكُتُبِ التَّورَاةُ غَيْرِ القُرْآنِ، والقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْهَا.

(1) فوق العبارة خطٌّ صغير.

وهَذَا عَلَى أَنَّ "جَاءَ" نَعْتُ "نَبِيءٍ" ويَجوزُ أَنْ يَكُونَ نَعْتَ "خَيْر" فيَكُونُ "خَيْر كِرَامٍ" مَا لِخِيَارِ هَذِهِ الأُمَّة والصَّحَابَةِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ والدِّينِ، ويَكُونُ الْكِرَامُ الصَّحَابَةُ أَوْ أَهْلُ التَّقْوَى والعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ. والْخَيْرُ المضَافُ لِلْقُرْآنِ هُوَ القُرْآنُ المنَزَّلُ علَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ [63ظ] و"قُرْآن": المضَافُ إِلَيْهِ خَيْرٌ شَامِلٌ لِكُتُبِ اللهِ جَلَّ وعَلَا. و"النَّشْرُ": البَعْثُ مِنَ القَبْرِ. وفَاعِلُ "دُعُوا" النَّائِبُ عَنْهُ الوَاوُ هُوَ إِسْرَافِيلُ. و"البَعْثُ": الإِيحَاءُ إِلَيْهِ وإِرْسَالُهُ.

وأَصْلُ "جِيرَان" النَّصْبُ علَى التَّمْيِيزِ؛ أَيْ: وأَكْرَمَهُمْ جِيرانًا، لَكِنْ جُرَّ بالإِضَافَةِ؛ فالمعْنَى أَنَّ مَنْ جاوَرَهُ وهُوَ الصَّحابَةُ أَوْ أَهْلُ البَقِيعِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ جِيرَان، أَمَّا الصَّحابَةُ فَمُطْلَقًا فإِنَّ صَحَابَتَهُ خَيْرٌ مِنْ صَحَابَةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ. وأَمَّا الجِوَارُ بِالدَّفْنِ فَمِنْ حَيْثُ الجِوَارُ فَإِنَّ مُجَاوَرَتَهُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَاوَرَةِ كُلِّ أحَدٍ، وَكَذَا مُجَاوَرَتُهُ إِلَى الآن بِالمدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مُجَاوَرَةٍ. أَوْ "جِيرَانِ" بِالْإِضَافَةِ مِنْ أَوَّلِ فذَلِكَ وَجْهَانِ، الأَوَّلُ: أَنَّ جِيرَانَهُ أَكْرَمُ جيرَانٍ، والثَّانِي: أَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ جَارٍ والوَاحِدُ جَارٌ.

وجُمْلَةُ "لَاحَتْ": حَالٌ مِنَ المسْتَتِرِ فِي "لَكَ"، و"خَوَارِق": حَالٌ مِنَ المستَتِرِ فِي "لَاحَتْ".

والْغُرُّ بِضَمِّ الغَيْنِ: جَمْعُ غَرّاء بِفَتْحِهَا والمدِّ؛ أَيْ: البِيضُ مِنْ بَيَاضِ عُلُوِّ الشَّأْنِ لَا بَيَاضِ لَوْنٍ.

وَ"أَبْهَر": مُبْتَدَأ، و"لَدَيْكَ": خَبَر، و"سُلْطَان": مَعْطُوفٌ علَى "آيَات"؛ أَيْ: وعِنْدَكَ آياتٌ تُتْلَى وقُوَّةٌ فِي أَمْرِ الدِّينِ والدُّنْيَا أَبْهَرُ.

فَ "أَبْهَرُ": نَعْتٌ قُدِّمَ وأُضِيفَ لِلْمُبْتَدَأِ وهُوَ اسْمُ تَفْضِيلٍ يَجِبُ إِفْرَادُهُ؛ لِأَنَّهُ نَكِرَةٌ غَيْرُ مُضَافٍ لَوْ أُخِّرَ، ومُضَافٌ لِنَكِرَةٍ إِذْ قُدِّمَ.

وهُنَا فُصُولٌ فِي فَضْلِهِ ﷺ علَى غَيْرِهِ والرِّسَالَةِ والنُّبُوءَةِ وأَوَّلِ الخَلْقِ خَلْقًا وأَوَّلِهِمْ بَعْثًا مِنْ قَبْرٍ، والمعْجِزَةِ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [فَضْلُهُ ﷺ علَى غَيْرِهِ]

قالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1] وَصَفَ الأَنْبِيَاءَ بِالأَوْصَافِ الحَمِيدَةِ، وأَمَرَهُ بِالاقْتِدَاءِ بِهِمْ، ففِيهِ أَوْصَافُهُمْ وزِيَادَةٌ، فهُوَ أَفْضَلُ بِمُجَرَّدِ جَمْعِ أَوْصافِهِمْ فَكَيْفَ وقَدْ زَادَ.

وكَذَا دَلَّ علَى فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ؛ إِذْ تَدَافَعَهَا آدم ومَنْ بَعْدَهُ حَتَّى تَنْتَهِي إِلَيْهِ ﷺ فيَشْفَعُ فَهُوَ أَفْضَلُ بِهَذَا وكَيْفَ وقَدْ قَالَ أَيْضًا: ((**أَنَا لَهَا**))[2].

---

(1) سورة الأنعام: 90.

(2) صحيح البخاري، حديث (7510) وصحيح مسلم، حديث (326).

وفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**))[1] وفِي رِوَايَةٍ: ((**أَنَا أَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّي**)) وفِي حدِيثِ التِّرْمِذِي: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ بِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيءٍ، آدَم فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي**))[2] وهُوَ صَرِيحٌ فِي دُخُولِ آدَمَ كحَدِيثِ البُخَارِي وغَيْرِهِ: ((**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[3] وحَدِيثِ: ((**أَنَا سَيِّدُ الْعَالمينَ**))[4] صَحَّحَهُ الحاكِمُ واعْترضَ، وإِذَا صَحَّ فضْلُهُ علَى الأَنْبِيَاءِ بِهَذِهِ الأَدِلَّةِ ومَا بَعْدَها تبَادَرَ أَنَّهُ المرَادُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وعَلَا:﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾[5] كمَا قَالَ الزّمخشري: إِنَّ فِي هَذَا الإِبْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وإِعْلَاءِ قَدْرِهِ مَا لَا يَخْفَى لما فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ العَلَمُ الذِي لَا يَشْتَبِهُ[6].

ومِنْ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ أنَّ آيَاتِهِ [64و] ومُعْجِزَاتِهِ أَكْبَرُ وأَبْهَرُ، إِذْ مَا مِنْ مُعْجِزَةٍ لِنَبِيءٍ قَبْلَهُ إِلَّا ولَهُ مِثْلُهَا أَوْ أَبْهَرُ مِنْهَا كَمَا أَنَّهُ خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنَ الجَنَّة رَوْضَتَهُ وهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الحجر الأَسود الذِي جَاءَ بِهِ الملَكُ جبْرِيلُ عليه السلام لِأَبيهِ إبراهيم، وزَادَ علَيْهِمْ بِمُعْجِزَاتٍ لم يَقَعْ نَظِيرُها لِأَحَدٍ مِنْهُم ونَاهِيكَ بكِتَابِهِ القُرْآنِ، فإِنَّهُ لَا تَتَنَاهَى مُعْجِزَاتُهُ ولَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وإِنَّ أُمَّتَهُ أَزكَى وأَكْثَرُ وأَطْهَرُ مِنْ بَقِيَّةِ الأُمَمِ بِنَصِّ ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ۝ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[7] وخَيْرِيَّةُ الأُمَّةِ تَسْتَلْزِمُ خَيْرِيَّةَ نَبِيئِهَا وأَفْضَلِيَّةَ دِينِهَا.

وانْظُرْ إِلَى سَيِّدِنا مُوسَى عليه السلام، سَأَلَ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الملَائِكَةِ لأَنَّ آدَمَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ بِنَصِّ الآيَةِ، وهُوَ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ آدمَ عليه السلام، وقَدْ قالَ ﷺ: ((**أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ**))[8] قِيلَ: هذَا شَامِلٌ لِلْمَلَائِكَةِ كغَيْرِهِمْ. قالَ آدَمُ: ((يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ لما غَفَرْتَ لِي)) أَيْ: إِلَّا غَفَرْتَ لِي كَمَا هُوَ رِوَايَة، وفِيهِ أَنَّهُ قالَ: ((يا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَهُ ولَمْ أَخْلُقْهُ؟ قالَ: يَا رَبِّ لمّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ أَيْ: بِقُدْرَتِكَ البَاهِرَةِ ونَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ أَيْ: سِرِّكَ العَجِيبِ الذِي لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ أَحَدٌ غَيْرُكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي فرَأَيْتُ علَى قَوَائِمِ العَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لم تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْكَ. قالَ اللهُ تعالَى: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأَحَبُّ

---

(1) صحيح مسلم، حديث (3).

(2) سنن الترمذِي، حديث (3148).

(3) صحيح البخارِي، حديث (4712).

(4) المستدرك للحاكم، حديث (4229)، وفيه: ((هَذَا سَيِّدُ العَالمينَ)) وقال: أظنه موضوعا فبعضه باطل.

(5) سورة البقرة: 253.

(6) الكشاف، الزمخشري، 144/1.

(7) سورة آل عمران: 110.

(8) سنن الترمذي، حديث (3616).

الخَلْقِ إِليَّ وإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، ولَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ))[1] صَحَّحَهُ الحاكِمُ واعْتَرَضَ. لَكِنْ صَحَّ عَن ابن عبَّاس رضِيَ اللهُ عنْهُمَا ولَهُ حُكْم المرْفُوعِ إِلَيْهِ ﷺ: ((**وَلَوْلَا مُحَمَّد مَا خَلَقْتُ آدَمَ، وَلَوْلَا مُحَمَّد مَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ خَلَقْتُ الْعَرْشَ عَلَى الماءِ، فَاضْطَرَبَ فَكَتَبْتُ عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَكَن**))[2].

وفِي رِوَايَاتٍ أُخَرَ: ((**لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَلَا الطُّولَ وَلَا الْعَرْضَ، وَلَا وَضْعَ ثَوَاب وَلَا عِقَاب وَلَا خَلَقْتُ جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا**))[3].

وصَحَّ عنْهُ ﷺ: ((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فأُلْبَسُ الحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عنْ يَمِينِ العَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ يَقُومُ ذَلِكَ المقَامَ غَيْرِي**))[4].

وفِي رِوَايَة ذَكَرَهَا البُلقيني[5] فِي "فَتَاوِيهِ" أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ((**قَدْ مَنَنْتُ عَلَيْكَ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ أَوَّلُهَا أَنِّي لم أَخْلُقْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ**))[6].

وفِي أُخْرَى ذَكَرَهَا أَيْضًا: ((**أَنَّ جِبْرِيلَ** عليه السلام **قَالَ لَهُ: أَبْشِرْ فَإِنَّكَ خَيْرُ خَلْقِهِ وَصَفْوَتُهُ مِنَ الْبَشَرِ، حَبَاكَ اللهُ بِمَا [64ظ] لم يُحْبِ بِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا**)) الحديث[7].

وصَحَّ عنْ بحيرا الرّاهب وهُوَ مِنْ علَمَاءِ أَهْلِ الكِتَابِ الذِينَ لَا يقُولُونَ شَيْئًا إِلَّا عَن الكِتابِ: هَذَا سَيِّدُ العَالمينَ[8].

وصَحَّ عنْ عبد الله بن سلّام الصَّحَابِيّ الجَلِيلِ إِمامِ أَهْلِ الكِتَابِ بِشَهَادَتِهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ بالمسْجِدِ أُمُورًا مِنْها: إِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللهِ علَى اللهِ أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فقِيلَ لَهُ: فأَيْنَ الملَائِكَةُ؟ فضَحِكَ وقَالَ لِلسَّائِلِ: يَا ابْنَ أَخِي هلْ تَدْرِي ما الملَائِكَةُ؟ إِنَّمَا الملَائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والرِّياحِ والسَّحابِ والجِبَالِ وسَائِرِ خَلْقِ اللهِ التِي لا تَعْصِي اللهَ شَيْئًا، وإِنَّ أَكْرَمَ الخَلْقِ علَى اللهِ أَبُو القَاسِمِ ﷺ[9].

---

(1) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، 437/7، المستدرك، الحاكم، حديث (4228).

(2) المستدرك، الحاكم، حديث (4227).

(3) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ.

(4) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص190.

(5) عمر بن رسلان الكناني، البلقيني الأصل، الشافعي (سراج الدين) فقيه، متكلم، مفسر، محدث، ت: 805هـ، من تصانيفه: ترجمان شعب الإيمان، حاشية على الكشاف. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 558/2.

(6) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص190.

(7) (م، س)، ص190.

(8) مسند البزار، حدِيث (3096)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (4229).

(9) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (400)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (8698).

وبَيَّن البُلْقِيني أَنَّ هَذا لهُ حُكْم المرْفُوعِ[1]، وهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ الصَّحَابَةِ فلَا يَقُولُ إلاَّ عنْهُ ﷺ أوْ عَمَّا صَحَّ مِنَ التَّورَاةِ.

واخْتِيَارُ الباقلّاني[2] والحليمِي[3] أَفْضَلِيَّةَ الملَائِكةِ يُمكِنُ حَمْلُهُ علَى غَيْرِ نَبِيئِنَا ﷺ[4]. وبِهَذَا جَزَمَ بعْضُ أَجِلاَّءِ تلَامِذَتِهِ كَالزّركشي[5][6]، أو علَى تفْضِيلٍ فِي نَوْعٍ خَاصٍّ لِأَنَّهُ قَدْ يوجَدُ فِي المفْضُولِ مَزِيَّةٌ بلْ مَزَايَا لَا تُوجَدُ إلَّا فِي الفَاضِلِ[7].

والكلَامُ في تفْضِيلِهِ ﷺ فَرْضُ كِفَايَةٍ وأَكِيدٌ. وقالَ بَعْضُ الأشعريّة: إِنَّهُ فَرْضُ عَيْنٍ أنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الخلْقِ؛ لِأَنَّهُ صَحَّ الحدِيثُ المشْهُورُ: ((**ثَلَاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**))[8].

وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ**﴾[9] وقولهُ: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾[10] فهُوَ بِاعتِبَارِ الإيمَانِ بِهِمْ ومَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، لَا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.

وأَمَّا الأَحَادِيثُ الصَّحيحَة: ((**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**))[11] **و** ((**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ**))[12] ((**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**))[13] فهِيَ قَبْلَ عِلْمِهِ بالتَّفضِيلِ، وقَبْلَ علْمِهِ بأَنَّهُ أفْضَلُهُم. أو هِيَ في تَفْضِيلٍ يودِي إِلَى النَّقصِ مِنْ أَحَدِهِمْ والغَضِّ مِنْ أَحَدِهِمْ، كما يَدُلُّ عَلَيْهِ سِياقُ الحَديثِ. أوْ هِيَ فِي تَفْضِيلٍ في ذاتِ النُّبوءَةِ والرِّسالَةِ فإنَّهُم لم يتَفَاوَتُوا فِيهِمَا بَلْ فِي زِيَادَةِ الأَحْوَالِ والمعَارِفِ والخُصُوصِيَّاتِ والكَرَامَاتِ.

---

(1) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص191.

(2) محمد بن الطيب بن محمد البصري، ثم البغدادي، المعروف بالباقلاني (أبو بكر) متكلم على مذهب الأشعري، ولد بالبصرة، وسكن بغداد، سمع بها الحديث، ت: ببغداد 403هـ، من تصانيفه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، إعجاز القرآن، أسرار الباطنية، وهداية المسترشدين في الكلام. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 373/3.

(3) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم سبق تعريفه.

(4) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص191.

(5) الزركشِي: محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي، الشافعي (بدر الدين، أبو عبد الله) فقيه، أصولي، محدث، أديب، تركي الأصل، مصري المولد، أخذ عن جمال الدين الأسنوي، وسراج الدين البلقيني، ورحل إلى حلب، ولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، وتوفي بالقاهرة 794هـ، من تصانيفه: البحر في أصول الفقه في ثلاثة أسفار، شرح جمع الجوامع للسبكي. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 174/3.

(6) ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، الزركشِي، 176/4.

(7) ينظر الأقوال في المسألة: الحبائك في أخبار الملائِكِ، السيوطِي، ص203.

(8) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (237).

(9) سورة البقرة: 285.

(10) سورة البقرة: 136.

(11) صحيح البخارِي، حدِيث (3414)، وصحيح مسلم، حدِيث (159)، وفيهما: ((لا تفضلوا بين أنبياء الله)).

(12) البداية والنهاية، ابن كثير، 395/1.

(13) صحيح البخارِي، حدِيث (2412)، وصحيح مسلم، حدِيث (163).

وأَمَّا ما قِيلَ مِنْ حَمْلِها علَى التَّواضُع فلَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَه النَّهْيُ عمَّا هُوَ حَقٌّ مُوحَى بِهِ فلَا يَفْعَلُهُ حاشَاهُ.

وقِيلَ: هِيَ فِي التَّفضيلِ بالرَّأْيِ، ورُدَّ هذا بِالإِجْمَاعِ على مَنْعِ تَفْضِيلِهِ بالرَّأْيِ وَفِيهِ أنَّ الإِجْمَاعَ على مَنْعِهِ لَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِهِ مُرَادًا في الحَدِيثِ بالمنْعِ.

وأَمَّا الحدِيثَانِ الصَّحِيحَان عنهُ ﷺ: ((**مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ متّى**))[1] ((**مَنْ قَالَ أَنَا** [65و] **خَيْرٌ مِنْ يُونُس بن مَتَّى فَقَدْ كَذبَ**))[2]. ففِيهِمَا الأَجْوِبَةُ السَّابِقَةُ، وزِيَادَةُ أَنَّ حِكْمَةَ التَّخْصِيصِ فِيهِمَا بِيُونُسَ نَفْيُ تَوَهُّمِ التَّفَاوُتِ بَيْنَهُمَا فِي القُربِ مِنَ الحَقِّ جَلَّ وعَلَا؛ لِاخْتِلَافِ مَحَلِّهِمَا الصُّورِيّ بِرَفْعِ نَبِيئِنَا ﷺ إِلَى مَا فَوْق سِدْرَةِ المنْتَهَى، ونُزُولِ يُونُسَ إِلَى قَعْرِ البَحْرِ؛ أَيْ: لَا تَتَوَهَّمُوا مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ الحِسِّي تفَاوُتًا فِي القُرْبِ والبُعدِ مِنَ اللهِ، بَلْ نِسْبَةُ كُلٍّ إِلَيْهِ واحِدَةٌ وإِنْ تَفَاوَتَ مَكَانُهُ لِتَعَالِيهِ عَن الجِهَةِ والمكَانِ فَهُوَ نَهْيٌ عنْ تَفْضِيلٍ بِمَكَانٍ، لا مُطْلَقًا.

ومِن فَضْلِهِ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى إِمامًا لِلْأَنْبِئَاءِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ.

وعنْ عَلِيّ بنِ أَبي طالِب أَنَّهُ قالَ: لم يَبْعَث اللهُ تعَالَى نَبِيًّا مِنْ آدَم فمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ علَيْهِ العَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ لَئِنْ بُعِثَ وهُوَ حَيٌّ لَيُومِنَنَّ بِهِ ولَيَنْصُرَنَّهُ، ويأْخُذُ العَهْدَ بِذَلِكَ علَى قَوْمِهِ[3]. وهُوَ يُرْوَى عن ابنِ عبّاس أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[4].

وقِيلَ: إِنَّ اللهَ تعَالَى لمَّا خَلَقَ نورَ نبِيئِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُورِ الأَنْبِئَاءِ عَلَيْهِم السَّلَامُ فغَشِيَهُم مِنْ نُورِهِ ما أَنْطَقَهُم اللهُ بِهِ، وقَالُوا: يا رَبَّنا مَنْ غَشِيَنا نورُهُ؟ فقَال اللهُ تعَالَى: هذَا نُورُ مُحَمَّد بنِ عبْدِ اللهِ، إِنْ آمَنْتُم بِهِ جَعَلْتُكُم أَنْبِئَاءَ، قالُوا: آمَنَّا بِهِ وبنُبُوءَتِهِ، فقالَ اللهُ تعَالَى: أَشْهدُ علَيْكُم؟ قالُوا: نَعَمْ، فذَلِك قوْلُهُ تعالَى: ﴿**وَإِذَ اَخَذَ اَللَّهُ مِيثَٰقَ اَلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ**﴾ إلى قولِهِ: ﴿**وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ اَلشَّٰهِدِينَ ﴿81﴾**﴾[5][6].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4603)، وصحيح مسلم، حدِيث (43).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4604).

(3) تفسير الطَّبَرِي، 555/6، والشفا، القاضِي عياض، ص140.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 66/1.

(5) سورة آل عمران: 81.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 67/1.

قال السُّبْكِي: هذِهِ الآيةُ تنْوِيهٌ بالنَّبِيءِ ﷺ وتعْظِيمُ قَدْرِهِ العَلِيّ ما لَا يخْفَى، وعلَى تقْدِيرِ مَجِيئِهِ في زمَانِهِم يكُونُ مُرسَلًا إِلَيْهِمْ، فرِسَالَتُهُ عامَّة لِجَمِيعِ الخَلْقِ منْ زَمَانِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ القِيَامةِ، فالأَنْبِئَاءُ وأُمَمُهُم كُلُّهم مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ[1].

فالأَنْبِئَاءُ قبْلَهُ نُوَّابٌ عنهُ يبَلِّغُونَ شَرَائعَ خاصَّةً في زَمَانٍ خَاصٍّ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

ويكُونُ قولُهُ ﷺ: ((**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**))[2] لَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ زمَانِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، بلْ يَتَناوَلُ مَنْ قَبْلَهُم أيْضًا ويَتَبَيَّنُ بهَذَا مَعْنَى قَوْلِه ﷺ: ((**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**))[3] فالنَّبِيءُ ﷺ نَبِيءُ الأَنْبِئَاءِ فَهُمْ لِذَلِكَ تَحْتَ لِوَائِهِ يوْمَ القِيَامةِ، ومأْمُومُونَ لَهُ لَيْلَةَ الإِسْراءِ[4]. ا.هـ

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ**﴾[5] الآيةَ قالَ الحسن وطاوس وقتادة: أَخْبَرَ تعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ مِيثاقَ كُلِّ نَبِيءٍ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدمَ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُصَدِّقَ بعضُهُمْ بَعْضًا[6]؛ أَيْ: فكُلٌّ يُصَدِّقُ جَمِيعَ مَنْ بعْدَهُ حَتَّى يُصَدِّقَ كُلُّهُم سَيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ، وقِيلَ: المعْنَى أنَّه تعالَى أَخَذَ الميثَاقَ [65ظ] مِنَ النَّبيئينَ وأُمَمِهِمْ، واسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ، عَنْ ذِكْرِ الأُمَمِ.

وعَنْ عليّ بنِ أبي طالب وابنِ عَبَّاسٍ: ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِئَاءِ إِلَّا أَخَذَ علَيْهِ الميثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وهُوَ حَيٌّ لَيُومِنُنَّ بِهِ ولَيَنْصُرنَّهُ[7].

وما قَالَهُ قتادة والحَسَنُ وطَاوُسُ لَا يُضَادُّ ما قَالَهُ عَلِيّ وابنُ عَبَّاسٍ ولَا يَنْفِيهِ بلْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كمَا فَسَّرْتُهُ.

وقِيلَ: إنَّ الأَنْبِئَاءَ كانُوا يأْخُذُون الميثَاقَ مِنْ أُمَمِهِمْ بِأَنَّهُ إِذَا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ أنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وأَنْ يَنْصُرُوهُ، واحْتُجَّ لَهُ بِأَنَّ الذِينَ أخَذَ اللهُ الميثَاقَ مِنْهُمْ يَجِبُ عليْهِم الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عنْدَ مَبْعَثِهِ، وكانَ الأَنْبِئَاءُ عِنْدَ مَبعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ والميّتُ لا يكُونُ مُكَلَّفًا، فتَعَيَّنَ أن يَكُونَ الميثَاقُ مأْخُوذًا علَى الأُمَمِ. ويُؤَكِّدُ هذَا أَنَّهُ تعَالَى حَكَمَ عَلَى الذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِم الميثَاقَ وأَنَّهُمْ لَوْ تولَّوْا لكَانُوا فاسِقِينَ، وهَذَا الوَصْفُ لَا يَلِيقُ بالأَنْبِئَاءِ، وإِنَّما يَلِيقُ بالْأُمِمِ.

وأجَابَ الفَخْرُ بِأَنَّ المرادَ أَنَّ الأَنْبِئَاءَ لوْ كانُوا في الحَيَاةِ لَوَجَبَ علَيْهِم الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ونَظِيرُهُ

---

(1) المواهب اللَّدنية، 67/1، التعظيم والمنة، السبكي، ص85.

(2) صحيح البخاري، حدِيث (438).

(3) مسند أحمد، حدِيث (16623).

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 67/1، التعظيم والمنة، السبكي، ص86.

(5) سورة آل عمران: 81.

(6) تفسير القرآن العظِيم، ابن كثِير، 100/3.

(7) (م، س)، 100/3.

قوْلُهُ تعالَى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾[1] وقَدْ عَلِمَ اللهُ أنَّهُ لا يُشرِكُ، ولَكِنْ خَرَجَ هذَا الكَلَامُ علَى سَبِيلِ الفَرْضِ والتَّقْدِيرِ، وكذَا خرَجَ قوْلُهُ عزَّ وعَلَا: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾[2] وقَوْلُهُ في الملَائِكَةِ: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾[3] الآيتَيْنِ[4]. بلْ قوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ ﴾ إلخ نَفْيٌ فإذا وجَبَ على الأَنْبِيَاءِ الإيمَانُ بهِ ﷺ فأَوْلَى أنْ يَجِبَ علَى أُمَمِهِمْ، فصَرْفُ هذَا الميثَاقِ إلى الأَنْبِيَاءِ أَقْوَى في تَحْصِيلِ المقْصُودِ، وإنَّما أَخَذَ لَهُ المواثِيقَ علَى الأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَموا أنَّهُ المقدَّمُ علَيْهِمْ، وأنَّهُ نَبِيئُهُم ورَسُولُهُمْ.

وفِي أَخْذِ المواثِيقِ لَطِيفَةٌ هِي: كأَنَّها أَيمانُ البَيْعَة التِي تُؤخَذُ للْخُلَفَاءِ، ولَعَلَّ أيْمَانَ الخُلَفَاءِ أُخِذَتْ مِنْ هُنَا، والمواثِيقُ فِي مَعْنَى الاسْتِحْلَافِ، كمَا دَخَلَتْ لَامُ القَسَمِ بعْدَهَا، فرِسَالَتُهُ إلَيْهِمْ أَمْرٌ حاصِلٌ لَهُ، وإنَّما أَمْرُهُ مُتَوَقِّفٌ على اجْتِمَاعِهِم مَعَهُ فَتَأَخُّرُ ذلكَ لِأَمْرٍ رَاجِعٍ إلَى وُجُودِهِمْ، لَا إلَى عَدَمِ اتِّصافِهِمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ.

وفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الفِعْلِ علَى قبُولِ المحَلِّ، وتَوَقُّفِهِ علَى أهْلِيَّةِ الفَاعِلِ، وهُنَا لَا تَوَقُّفَ مِنْ جِهَةِ الفَاعِلِ ولَا مِنْ جِهَةِ ذَاتِ النَّبِيءِ ﷺ الشَّرِيفَةِ، وإنَّمَا هِيَ مِنْ جِهَةِ وجُودِ العَصْرِ المشْتَمِلِ علَيْهِ، فلَوْ وُجِدَ في عَصْرِهِم لَزِمَهُم اتِّباعُهُ بِلَا شَكٍّ، ولِهَذَا يَأْتِي عِيسى في آخِرِ الزَّمَانِ على شَرِيعَتِهِ. وهُوَ نَبِيءٌ كرِيمٌ علَى حَالِهِ، إلَّا أَنَّهُ واحِدٌ مِنَ الأُمَّة؛ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُهُ فيَحْكُمُ بالقرآنِ والسُّنَّةِ، فَهُوَ رَسُولٌ إلَى الأَنْبِيَاءِ وأُمَمِهِمْ، فنُبُوءَتُهُ ورِسَالَتُهُ أَعَمُّ وأَشْمَلُ وأَعْظَمُ ومُتَّفِقَةٌ مع شرَائِعِهِم في الأُصولِ لأَنَّها لا تَخْتَلفُ. وتَقَدُّمُ شَرِيعَتِهِ ﷺ فيمَا عَسَاهُ يقَعُ الاخْتِلَافُ فِيهِ مِنَ الفُروع [66و] إمَّا علَى سبِيلِ التَّخصِيصِ وإمَّا على النَّسْخِ، أوْ لَا نَسْخَ ولا تَخْصِيصَ بلْ تَكُونُ شَرِيعَةُ النَّبِيءِ ﷺ في تِلْكَ الأوْقَاتِ بالنِّسْبَةِ إلَى أُولَئِكَ الأُمَم مِمَّا جاءَتْ بهِ أَنْبِئَاءُهُم، وفِي هَذَا الوَقْتِ بالنِّسْبَةِ إلَى هذِهِ الأُمَّة الشَّرِيفةِ، والأَحْكامُ تَخْتَلِفُ باخْتِلَافِ الأَشْخَاصِ والأَوْقَاتِ.

وقَدْ مَرَّ أنَّهُم نَائِبُونَ عَنْهُ فكُتُبُهُم ووَحْيُهُم كُتُبٌ ووَحْيٌ لَه ﷺ، وإنَّما يَفْتَرِق الحَالُ بَيْنَ ما بَعْدَ وُجُودِهِ ﷺ وبُلُوغِ الأَرْبَعِينَ وما قَبْلَ ذَلِكَ بِالنِّسْبةِ إلى المبْعُوثِ علَيْهِمْ وتَأَهُّلِهِمْ لِسَماعِ كلامِهِ لَا بالنِّسْبةِ إلَيْهِ ولَا إلَيْهِمْ لَوْ تَأَهَّلوا قَبْلَ ذَلِكَ.

وتَعْلِيقُ الأَحْكَامِ على الشُّروطِ قَدْ تكونُ بِحَسَبِ المحَلِّ القَائِلِ، وقدْ تكونُ بِحَسَبِ الفَاعِلِ المتَصَرِّفِ، فهُنَا التَّعليقُ إنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ المحَلِّ القَابِلِ وهُوَ المبعُوثُ إلَيْهِمْ وقُبُولِهِمْ سمَاعَ الخِطَابِ

(1) سورة الزمر: 65.

(2) سورة الحاقة: 44.

(3) سورة الأنبياء: 29.

(4) التفسير الكبير، الرَّازِي، 8/127-128.

والجَسَدِ الشَّريفِ الذِي يخَاطِبُهُمْ بلِسَانهِ، وهَذَا كَمَا يُوَكِّلُ الأَبُ رجُلًا في تَزْوِيجِ ابنَتِهِ إذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا، فالتَّوْكِيلُ صَحِيحٌ وذَلِكَ الرَّجُلُ أَهْلٌ لِلْوَكَالَةِ ووكَالتُهُ ثابِتَةٌ، وقَدْ يَحْصُلُ تَوَقُّفُ التَّصَرُّفِ علَى وُجُودِ الكُفْءِ ولَا يوجَدُ إلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ وذَلِكَ لا يَقْدَحُ في صِحَّة الوَكَالَةِ وأَهْلِيَّةِ الوَكِيلِ.

وقَدْ حَضَرَهُ أيْضًا الخَضِرُ وإلْيَاسُ وبَقِيَا بعْدَهُ وهُمَا يَعْمَلانِ بالقُرْآنِ والسُّنَّةِ واخْتُلِفَ في نُبُوءَةِ الخَضِرِ.

ومِمَّا يدُلُّ على فَضْلِهِ علَيْهِمْ نِدَاءُهُ عزَّ وعلا إيَّاهُ بِالرَّسولِ والنَّبِيءِ، وتَقْدِيمُ العَفْوِ علَى العِتَابِ فِي قَوْلِهِ عزَّ وعلَا: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[1]وغَيْرُ ذَلكَ مِمَّا يُعْلَمُ مِنَ القُرْآنِ العَزِيزِ. قال ابن خطيبِ الأندلس:

مَـدَحَتْـكَ آيَـاتُ الْكِتَـابِ فَمَـا عَسَـى ... يُـثْنِي عَـلَى عُـلْيَـاكَ نَـظْمُ مَـدِيحِي

فَـإِذَا كِتَـابُ اللـهِ أَثْـنَى مُـفْصِـحًـا ... كَانَ الْقُصُـورُ قُصَـارَى كُلِّ فَصِـيح[2]

وثَبَتَ أنَّ اللهَ جلَّ وعلَا كَلَّمَهُ ﷺ كمَا كَلَّمَ موسَى وإنَّما لُقِّبَ مُوسَى كَلِيمًا، ولَمْ يُلَقَّبْ هُوَ ﷺ كَلِيمًا؛ لِأَنَّ وَجْهَ التَّسْمِيَةِ لا يُوجِبُها، قالَ العَضُدُ[3] والسَّعْدُ[4]: لا يَلْزَمُ فِي كُلِّ مَنْ قَامَ بِهِ الوَصْفُ أنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ لَهُ اسْمٌ، فلَا يَلْزَمُ تَسْمِيَةُ كُلِّ ما يَسْتَقِرُّ فِيه الشَّيْءُ كالإبْرِيقِ والخَابِيَةِ والبِيرِ والدَّارِ قارُورَةً، ولَا يَجِبُ الاشْتِقاقُ إلَّا حَيْثُ لَا تَمْيِيزَ إلَّا بِهِ، ولَا واجِبَ علَى اللهِ جَلَّ وعَلَا[5].

وقَالَت المعْتَزِلَةُ: لا فَضْلَ لِنَبِيءٍ علَى آخَرَ، ويقُولونَ فِي مِثْلِ قوْلِهِ عزَّ وعَلَا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[6] أَنَّهُ تَفْضِيلُ العَطَاءِ، وتُرَدُّ عَلَيْهِمْ سَائِرُ الأَدِلَّةِ مِثْلَ مَا مَرَّ. وقَالَ قَوْمٌ: آدمُ أفْضَلُ لِحَقِّ الأُبُوَّةِ، وتَوَقَّفَ بَعْضٌ فقَالَ: السُّكوتُ أَفْضَلُ[7].

والجُمْهُورُ علَى أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، والرُّسُلُ بَعْضٌ أَفْضَلُ [66ظ] مِنْ بَعْضٍ؛ كَمَا قَالَ:

---

(1) سورة التوبة: 43.

(2) البيتان من الكامِل للسان الدِّينِ بنِ الخطيب، ينظر: نفح الطيب، المقري، 451/6. وينظر الإحاطة في أخبار غرناطة.

(3) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيج، عضد الدين، عالم في أصول الفقه وأصول الدين، والمعاني والبيان والنحو والفقه وعلم الكلام، ولد بإيج من نواحي شيراز، وتوفي مسجونا بقلعة در يميان سنة756هـ، من مؤلفاته: الرسالة العضدية في الوضع، الفوائد الغياثية في المعاني والبيان. الدرر الكامنة، 110/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 76/2.

(4) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، فقيه ونحوي وبياني، ولد بتفتازان، ت:791هـ بسمرقند، من تصانيفه الكثيرة: شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، حاشية علي الكشاف للزمخشري في التفسير، التهذيب في المنطق. بغية الوعاة، 285/2، و معجم المؤلفين، 849/3.

(5) ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 120/3.

(6) سورة الإسراء: 55.

(7) ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 121/3.

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1] وقال: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[2][3].

ففَضَّلَ اللهُ جلَّ وعلَا سيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ برَفْعِ الذَّاتِ الحِسِّيِّ فِي الإِسْرَاءِ، وبالسِّيَادَةِ علَى جمِيعِ البَشَرِ وبالمعجِزَاتِ. ولَا شَكَّ أنَّ كَوْنَهُ فَوْقَ سِدْرَةِ المنْتَهَى أَفْضَلُ مِنْ كَوْنِ يونس فِي قَعْرِ البَحْرِ، فالفَضْلُ بالمكَانَةِ.

وتَقَدَّمَ أنَّ قَوْلَهُ: ((**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**))[4] وَ ((**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِمْ**))[5] إِنَّمَا هُوَ قَبْلَ عِلْمِهِ بتَفَاضُلِهِمْ، وعِلْمِهِ بفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، ولَا يُقالُ هذَا مَنْظُورٌ فِيهِ؛ لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ المتقدِّمِ تَارِيخًا؛ لأَنَّا نَقُولُ: لَا شَكَّ فِي تَأْخِيرِ علْمِهِ بالتَّفَاضُلِ والفَضْلِ عَنْ نَهْيِهِ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ بإِخْبَارِ اللهِ، والخَبَرُ لا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ ولا النَّهْيُ عنْ مَضْمُونِهِ بِلَا نَسْخٍ.

ونَظَرَ فِيهِ بعْضٌ بِأَنَّ مِنْ رُوَّاتِهِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ومَا هَاجَرَ إِلَّا عامَ حُنَينٍ مُتَأَخِّرًا، فيَبْعُدُ أَنَّهُ لم يعْلمْ إِلَّا بَعْدَ هذَا.

وفِيهِ أَنَّهُ لَا بُعْدَ وإِنَّهُ جَاءَ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيد نعم الإنعام[6] نزل بِمَكَّةَ قبل فافهمْ.

وقَوْلُه: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**))[7] تفْضِيلٌ على أولَادِ آدمَ لا عَلَى آدمَ، وإِنَّمَا يَدُلُّ علَى فَضْلِهِ علَى آدَمَ أَيْضًا قوْلُهُ: ((**وَمَا مِنْ نَبِيءٍ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ**))[8] إلخ ونَحْوُهُ.

ورَوَى البَيْهَقِيّ فِي "فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ"[9]: أَنَّهُ ظَهَرَ عليّ بن أبي طالب مِنَ البُعْدِ فقَالَ ﷺ: ((**هذَا سَيِّدُ العَرَبِ، فقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَسْتَ بِسَيِّدِ العَرَبِ؟ فقَالَ: أَنَا سَيِّدُ العَالمينَ، وهُوَ سَيِّدُ العَرَبِ**))[10].

ورَوَى الحَاكِمُ هذَا الحدِيثَ فِي "صَحِيحِهِ" عن ابْنِ عبَّاسٍ بِلَفْظِ: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَعَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ**))[11]. وقَالَ: إِنَّهُ صَحِيحٌ ولَهُ شاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عروة عن عائِشَةَ، وسَاقَهُ مِنْ طرِيقِ أَحمد

---

(1) سورة الإسراء: 55.

(2) سورة البقرة: 253.

(3) ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 121/3.

(4) سبق تخريجه: صحيح البخارِي، حدِيث (3414)، وصحيح مسلم، حدِيث (159)

(5) سبق تخريجه: البداية والنهاية، 1//395.

(6) عبارة لم أفهمها.

(7) سبق تخريجه: صحيح مسلم، حديث (3).

(8) سبق تخريجه: سنن الترمذِي، حديث (3148).

(9) لم أقف على الكتابِ، وهو مذكور في مصنفات البيهقِي.

(10) لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيثِ، ينظر: مفاتيح الغيبِ، 524/6.

(11) المستدرك، الحاكم، حديث (4625)، وقد أورده عن سعيد بن جبير عن عائشة.

بنِ عُبَيد بنِ ناصح[1] عنِ الحسَين بنِ علوَان[2]، وهُمَا قِيلَ: ضعِيفَانِ ولَا أَعْلَمُ صِحَّةَ ضعفِهِمَا، عن هِشَام بنِ عُرْوَةَ عنْ أَبِيهِ بِلَفْظِ: ((**ادْعُ لِي سَيِّدَ الْعَرَبِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْعَالمينَ وَهُوَ سَيِّدُ الْعَرَبِ**))[3].

وكَذَا أَوْرَدَهُ مِنْ حَدِيثِ عمَر بنِ مُوسَى الوجِيهي[4]، قِيلَ: وهُوَ ضَعِيفٌ، ولَا أَعْلَمُ صِحَّةَ ضعْفِهِ، عنْ أَبِي الزّبيْر عنْ جَابِر عَنْهُ ﷺ، وقالَ الذَّهَبِي: مَوْضُوع[5].

واخْتَلَفُوا في تَفْضِيل الأَنْبِيَاءِ علَى الملَائِكَةِ، ثُمَّ إِنَّ الجمهور علَى أَنَّ خَوَاصَّ بَنِي آدمَ، وهُم الأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنْ خوَاصِّ الملَائِكَةِ، وهُمْ جِبْرِيل ومِيكَائِيلُ وإِسْرَافِيلُ وعِزْرَائِيلُ وحَملَةُ العَرْشِ والمقَرَّبُونَ والكَرُوبِيُّون والرّوحانِيُّون، وخَوَاصُّ الملَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ بنِي آدَمَ، قالَ التّفتازاني بالإِجْمَاعِ بَل بالضَّرورَةِ، وعَوَامُّ بني آدَمَ أَفْضَلُ مِنْ عَوَّامِ الملَائِكَةِ، فالمسْجُودُ لَهُ أَفْضَلُ مِن السَّاجدِ، فإِذَا ثَبَتَ تَفْضِيلُ الخَوَاصِّ علَى الخَوَاصِّ، ثَبَتَ تَفْضِيلُ العَوَامِّ علَى العَوَامِّ، فعَوامُّ الملَائِكَةِ خُدَّام عُمَّال الخَيْرِ، والمخدُومُ لَهُ فَضْلٌ علَى الخَادِمِ، ولِأَنَّ المؤمِنِينَ رُكِّبَ فِيهِمْ الهَوَى والعَقْلُ مع تَسْلِيطِ الشَّيْطانِ علَيْهِمْ بِوَسْوَسَتِهِ، والملَائِكَةُ رُكِّب [67و] فِيهِم العَقْلُ دونَ الهَوَى، ولا سَبِيلَ لِلشَّيْطانِ علَيْهِمْ، فالإِنْسَانُ يُحَصِّلُ الفَضَائلَ والكَمَالَاتِ العِلْمِيَّةَ والعَمَلِيَّةَ معَ وُجُودِ العَوَائقِ والموَانِعِ مِنَ الشَّهْوَةِ والغَضَبِ، وسُنُوحِ الحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ الشَّاغِلَةِ عن اكْتِسَابِ الكَمَالاتِ، ولَا شَكَّ أنَّ العِبَادَةَ وكَسْبَ الكمَالِ معَ الشَّوَاغِلِ والصَّوارفِ أَشَقُّ وأَدْخَلُ فِي الإِخْلَاصِ، فتكُونُ أَفْضَلُ[6].

والمرادُ بِعَوَامِّ بَنِي آدمَ الصُّلَحَاءُ لا الفَسَقَة، كمَا نَبَّهَ علَيْهِ صَاحِبُ "المَوَاهِبِ" عَن ابنِ أَبِي شريف المقْدِسِيّ[7] عَن البَيْهَقِيّ قالَ فِي "شُعَبِهِ": قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ قَدِيمًا وحَدِيثًا في الملَائكَةِ والبَشَرِ، فذَهَبَ ذاهِبُونَ إِلَى أنَّ الرُّسُلَ مِنَ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ الملائكَةِ، وأَنَّ الأَوْلِيَاءَ مِنَ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ

---

(1) أَبُو عَصِيدَةَ أَحْمَد بنُ عُبَيْدِ بنِ نَاصِحٍ الدَّيْلَمِيّ، حدث عن علي بن عاصم ويزيد بن هارون، وأبي داود الطيالسي، في حديثه مناكِيرُ، ت:278هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 193/13.

(2) الحُسَيْن بنِ علْوَانَ: الكلبي يروي عن الأعمش، وهشام بن عروة. وقال أبو حاتم والنسائي والدارقطني: متروك الحديث. ميزان الاعتدال، الذهبي، 542/1.

(3) المستدرك، الحاكم، حديث (4626)، وفيه: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَعَلِيٌّ سَيِّدِ الْعَرَبِ)).

عبارة:" وهما قيل ضعيفان ولا أعلم صحة ضعفهما" من كلام المؤلِّفِ.

(4) عمر بن موسى بن وجيه الوجيهى الحمصي. يروي عن مكحول، والقاسم بن عبد الرحمن، ويروي عنه أبو نعيم، وإسماعيل بن عمرو البجلي، وآخرون، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي: هو ممن يضع الحديث متنا وإسنادا. ميزان الاعتدال، الذهبي، 224/3.

(5) لم أجد السند في المطبوع من المستدرك، وهو الحدِيث (4627) حذف إسناده كما نبه إليه محقِّقًا كتاب مختصر تلخيص الذهبي، 1361/3.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 129/3.

(7) محمد بن محمد بن أبي بكر، الشيخ كمال الدين أبو المعالِي، أخذ عن ابن حجر والكمال بن الهمام، من تصانيفه: حاشية على شرح العقائِدِ للتفتازاني وشرح الإرشاد في الفقه لابن المقرئ. نظم العقيان، السيوطِي، ص159.

الأَوْلِيَاءِ مِنَ الملَائِكَةِ[1].

وقالَتِ المعْتزلة والفَلاسِفَة وبَعْضُ الأشعرِيَّة: الملَائكَةُ أَفْضَلُ، واختَارَهُ البَاقِلَّانِي وأبُو عَبْدِ اللهِ الحليمِي، وتَمَسَّكوا بِأَوْجُهٍ[2].

الأَوَّلُ: إِنَّ الملَائِكَةَ أرْواحٌ مُجرَّدَةٌ كامِلَةٌ بالفِعْلِ مُبَرَّأةٌ عنْ مبَادِئِ الشُّرورِ والآفاتِ كالشَّهوَةِ والغَضَبِ، وعن ظُلُمَاتِ الهيُولِي والصُّورةِ، قَوِيَّةٌ علَى الأَفْعَال العَجِيبةِ عالمةٌ بالكَائِنِ مَاضِيهِ وآتِيهِ مِن غَيْرِ غَلَطٍ[3].

الجَوابُ: أنَّها أَجْسَامٌ لَا تَعْلَم مِنَ الكَوائِنِ شَيْئًا إِلَّا ما عَلَّمهُم اللهُ جلَّ وعلَا، وأَنَّها مِنْ جِنْسِ الهَيُولِي والصُّورَةِ، وقُوَّتُها على الأَفْعَالِ العَجِيبةِ لَا كَسْبَ لَهُمْ فِيهَا، وأفعَالُهُم كَسْبٌ، واللهُ سُبحانَهُ بَرَّأَهُم لَا بِكَسْبٍ منهُم، فذَلِكَ كَخَلْقِ الجَبَلِ قَوِيًّا لا يَعْصِي.

الثَّانِي: أنَّ الأنبِيَاءَ معَ كَوْنِهم أفْضَل البَشَرِ يتَعَلَّمون ويَسْتَفِيدونَ مِنْهُمْ بدَلِيلِ قَوْلِهِ عزَّ وعَلَا: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿5﴾ ﴾[4] وقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿194﴾ ﴾[5] ولا شَكَّ أَنَّ المعَلِّمَ أفْضَلُ مِنَ المتَعَلِّمِ. والجوَابُ: أنَّ التَّعْليمَ مِنَ اللهِ والملَائِكَةُ مُبلِّغونَ[6].

الثَّالِثُ: أنَّهُ اطَّردَ في الكتَابِ والسُّنَّة تَقْديمُ ذكْرِهِمْ علَى ذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ ومَا ذلِكَ إلاَّ لِتَقَدُّمِهِمْ في الشَّرَفِ والرُّتْبَةِ. الجوابُ: أنَّ ذَلِكَ لتَقَدُّمِهِمْ في الوُجودِ، أوْ لِأَنَّ وُجُودَهُم خفِيٌّ فالإِيمَانُ بِهِمْ أَقْوَى، وبالتَّقْدِيمِ أوْلَى[7] ولِاتِّصافِهِمْ بالطَّاعةِ وحْدَها فالتَّقدِيمُ لَهَا لَا لَهُمْ إِذْ تَصْدُرُ مِنْهُم علَى شبهِ الطَّبِيعةِ.

الرَّابِعُ: قوْلُهُ تعالَى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[8] فإنَّ أَهْلَ اللِّسانِ يفْهَمُونَ مِنْ ذَلِكَ أفْضَلِيَّةَ الملائِكَةِ مِنْ عِيسَى، إذ القِياسُ في مِثْلِهِ

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 129/3، وشعب الإيمان، البيهَقِي، 307/1.
(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 130/3.
(3) (م، س)، 130/3.
(4) سورة النجم: 5.
(5) سورة الشعراء: 193-194.
(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 130/3.
(7) (م، س)، 130/3.
(8) سورة النساء: 172.

التَّرقِّي مِنَ الأدْنَى إلى الأعْلَى؛ فيُقالُ: لا يَسْتَنْكِفُ مِنْ هذَا الأَمْرِ الوَزِيرُ ولَا السُّلْطانُ، ولا يُقالُ: السُّلطانُ ولا الوَزِيرُ [67ظ] ثُمَّ لا قَائِلَ بالفَضْلِ[1] بَيْنِ عِيسَى عليه السلام وغَيْرِهِ مِنَ الأنْبِيَاءِ عَلَيهِم السَّلامُ[2].

الجَوابُ: إنَّ النّصارى استعظَمُوا المسيحَ بِحَيْثُ يَتَرَفَّعُ مِن أن يكونَ عبدًا مِنْ عبادِ اللهِ، بلْ ينْبَغِي أن يكونَ ابْنًا لهُ؛ لأَنَّهُ مُجَرَّدٌ لا أَبَ لهُ، وكانَ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ويُحْيِي الموْتَى بِخِلَافِ سائِرِ العِبَادِ مِنْ بنِي آدمَ، فردَّ عليْهِمْ بأنَّهُ لا يَسْتَنْكِفُ مِنْ ذَلِكَ المسِيحُ ولَا مَنْ هُوَ أعْلَى مِنْهُ فِي هذا المعْنَى، وهُم الملائِكَةُ الذِين لا أبَ لَهُم ولَا أُمَّ، ويَقْدِرون بِإِذْنِ اللهِ على أَفْعال أَقْوَى وأَعْجَبَ مِنْ إِبْرَاءِ الأَكْمَهِ والأَبْرَصِ وإحْيَاءِ الموتَى، فالتَّرَقِّي إنَّما هُوَ في مُجَرَّدِ التَّجَرُّدِ، وإظْهَارِ الآثارِ القَوِيَّةِ لا فِي مُطْلَقِ الشَّرَف والكَمَالِ، فلَا دَلالَةَ علَى أَفْضَلِيَّةِ الملَائِكَةِ[3].

ثُمَّ إنَّ الملائِكَةَ بَعْضٌ أفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وأفْضَلُهُم الرُّوحُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ، المزَكَّى مِنْ ربِّ العالمينَ، المقُولُ فِيهِ مِنْ ذِي العِزَّةِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿19﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿20﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿21﴾﴾[4] فوَصَفَهُ بِسَبْعِ صِفاتٍ، وهُوَ أفضَلُ الملائكةِ عَلَى الإِطْلَاقِ[5].

ومِنْ تَفْضِيلِ رسُولِ اللهِ ﷺ قولُهُ تعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿4﴾﴾[6] أَيْ: رَفَعْنَاهُ على كُلِّ مَخلُوقٍ.

روَى الطّبري مِنْ حديثِ أبي سَعِيدٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((**أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: أَتَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي**))[7] وصَحَّحَهُ ابنُ حبَّان[8].

قالَ الشَّافِعِي: أَخْبَرَنَا ابنُ عُيَينة[9] عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ[10] معناهُ: لا أُذكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَد

---

(1) في المواهب اللدنية: الفصل.

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 131/3.

(3) (م، س)، 131/3.

(4) سورة التكوير: 19-21.

(5) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 131/3.

(6) سورة الشرح: 4.

(7) جامع البيان، الطبري، 494/24.

(8) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (3382)، والمواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 133/3.

(9) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولده بالكوفة، سمع من عمرو بن دينار وغيره كثير، ت: 198هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 454/8.

(10) عبد الله بن أبي نجيح يسار أبو يسار الثقفي، حدث عن مجاهد وطاووس وعطاء وغيرهم، حدث عنه شعبة والثوري وسفيان بن عيينة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 125/6.

أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ. قال الشَّافِعِي: يَعْنِي واللهُ أَعْلَمُ ذِكْرُهُ عنْدَ الإيمانِ باللهِ والأَذَانِ، قال: وَيَحْتَمِلُ ذِكْرُهُ عندَ تِلَاوَةِ الكِتَابِ وعِنْدَ العَمَلِ بالطَّاعةِ والوُقوفِ عن المعْصِيَةِ[1].

وقِيلَ رَفَعَهُ بِالنُّبوءَةِ، أيْ: رَفَعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَنْ يُذْكَرُ بِهَا، وعَلَيْهِ يَحْيَى بنُ آدَمَ[2][3].

وعَنْ أبِي عَطَاء[4]: جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَنِي ذَكَرَكَ. وعَنْهُ أيْضًا: جَعَلْتُ تَمَامَ الإيمانِ بِذِكْرِكَ مَعِي. ولَعَلَّ العِبَارَةَ مقْلُوبَةٌ فِيهِمَا لِقَوْلِ جعْفَر بنِ مُحَمَّد الصَّادِقِ[5]: لَا يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بالرِّسالَةِ إِلَّا ذَكَرَنِي بالرُّبوبِيَّة[6].

ومِنْ تَفْضِيلِهِ: قَرْنُ طاعَتِهِ ﷺ بطَاعَةِ اللهِ جَلَّ وعَلَا، فِي مِثْلِ قوْلِهِ سبْحَانَهُ: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾[7] ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ** ﴾[8] ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ** ﴾[9] و ﴿ **أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ** ﴾[10] ﴿ **وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ** ﴾[11][12].

وما قَالَ ذَلِكَ لِرَسُولٍ غَيرِهِ، ولَا قَرَنَ ذِكْرَ رسُولٍ بِذِكْرِهِ علَى [68و] اطِّرادٍ، ولَا خَطِيبٌ ولَا متَشَهِّدٌ ولا مُصَلِّيَ إِلَّا يقُولُ: أشهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وكذَا لَا أَذَانَ ولَا إِقامَةَ إِلَّا بِذَلِكَ، ويُوذَّنُ باسْمِهِ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، وكُتِبَ اسمُهُ فِي كُلِّ سَماءٍ وعَلَى الْعَرْشِ وفِي الْجَنَّة وأَشْجَارِهَا.

رَوَى البَزَّارُ عن ابنِ عُمَر عنهُ ﷺ: ((**عرجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**))[13].

---

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 133/3. وينظر: تفسِير الإمام الشّافعِيّ، 1447/3.

(2) يحيَى بن آدم بن سليمان، الأمَوِي الحافظ، أبو زَكريا، روَى عن عيسَى بن طهمان وسفيان الثورِي، وغيرهما، حدَّث عنه ابن أبِي شيبة وغيره، وثقه يحيَى بن معين والنسائِي، ت: 203هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 523/9.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 134/3.

(4) في المواهب اللدنية: ابن عطاء.

هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمِي البغدادِي، حدَّثَ عن يوسف بن موسى القطان، وعنه محمد بن علِيّ، ت:399هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 255/14.

(5) جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علِي بن أبِي طالِب، ولد سنة 80هـ ورأى بعض الصحابة، حدث عن أبِيه وعروة بن الزبيرِ، حدث عنه ابنه موسى الكاظِم، وأبو حنيفة ت: 184هـ. (م، س)، 255/6.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 134/3.

(7) سورة النساء: 80.

(8) سورة النساء: 13.

(9) سورة الأنفال: 1.

(10) سورة آل عمران: 32.

(11) سورة التوبة: 62.

(12) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 134/3.

(13) كشف الأستار، الهيثمِي، حدِيث (2482).

ورَوَى أبُو نعيمٍ في "الحِلْيَةِ" عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**))[1].

وَذَكَرَ الطَّبراني عنْ جابر بنِ عبدِ الله عَنهُ ﷺ: ((**كَانَ نَقْشُ خَاتمِ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**)) ﷺ وذَكَرَهُ ابن رجب[2] عنْ كِتَابِ أَبِي عَلِيّ الخَالِدِي[3][4] وقالَ: إنَّهُ بَاطِلٌ مَوْضُوعٌ[5]. وسمَّاهُ مُحَمَّدًا كَمَا أَنَّ اسْمَهُ تَعَالَى مَحْمُود.

وقالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿56﴾ ﴾[6] فَهُوَ يُصَلِّي عَلَيْهِ أَهْلُ العَالم العُلْوِيّ، وأَهْلُ العَالم السُّفْلِيّ أُمِرُوا بِذَلكَ، ويُصَلِّي علَيْهِ خَالِقُهُ.

ومِنْ تفضِيلِهِ: بذِكْرِهِ باسمِ الرَّسولِ والنَّبِيءِ في النِّداءِ، والأنْبياء بأَسْمَائِهِم نَحْو: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ ﴾[7] ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ ﴾[8] و ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿104﴾ ﴾[9] ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿11﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾[10] ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي ﴾[11]. قال بَعْضٌ:

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسلِ كُلًّا بـاسـمِـهِ وَدعَـاكَ وحْـدَكَ بِـالرَّسُـولِ وَبِـالنَّبِي[12]

قال ابن عبدِ السّلام: ولا يَخْفَى علَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إذَا دعَا عَبِيدَهُ بأَفْضَلِ مَا لَهُمْ مِنَ الأَوْصافِ العَلِيَّةِ والأَخْلَاقِ السَّنِيَّةِ، ودعا آخَرِينَ بأَسْمائِهِم الأَعْلَامِ التِي لا تُشْعِرُ بِوَصْفٍ أنَّ مَنْزِلَةَ مَن دعَاهُ بأَفْضَلِ

---

(1) حلية الأولياء، أبو نعِيم، 304/3.

(2) ابن رجب: عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبى البركات مسعود البغدادِي الحنبلي المحدث الحافظ زين الدين ولد ببغداد سنة 706هـ وقدم دمشق مع والده فسمع معه من محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز، ت:795هـ. الدرر الكامنة، ابن حجَر، 321/2.

(3) في كتاب أحكام الخواتِيم لابن رجب: وفِي جزأي علي الخالدِي بإسناده عن جابر بن عبد الله. ص66.

(4) أبو علي الخالدِي: منصور بن عبد الله بن خالد، من أهل هراة حدث عن جماعة من الخرسانيين بالغرائب والمناكِيرِ. تاريخ بغداد، البغدادي، 97/15.

(5) أحكام الخواتِيم، ابن رجب، ص66. ذكره ابن رجب ولم يقل فيه: إنَّهُ باطل موضوع، كما فِي المواهب اللدنية.
لم أجد رواية الطبراني في معاجمه الثلاثة، الصغير والأوسط والكبِير.

(6) سورة الأحزاب: 56.

(7) سورة البقرة: 35.

(8) سورة هود: 48.

(9) سورة الصافات: 104.

(10) سورة طه: 11-12.

(11) سورة المائدة: 110.

(12) البيْت من الكامل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 144/3 دون نسبة.

الأسماءِ والأوصافِ أعَزُّ وأقرَبُ إليْهِ مِمَّنْ دعاهُ بِاسْمِهِ العَلَم، وهذَا مَعْلومٌ بالعُرْفِ أَنَّ مَن دُعِيَ بأفْضَلِ أوْصَافِهِ وأخْلَاقِهِ كانَ ذَلِكَ مبالَغةً فِي تعْظِيمِهِ واحْتِرَامِهِ[1].

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 3/144-145.

الفَصْلُ الثَّاني: فِي الرِّسَالَةِ والنُّبُوَّةِ

المشْهورُ أنَّ النَّبيءَ عبارَةٌ عن إِنْسَانٍ أُنزِلَ علَيْهِ شريعَةٌ منْ عِنْدِ اللهِ بِطَرِيقِ الوَحْيِ، تَتَضَمَّنُ تلْكَ الشَّرِيعَةُ بيَانَ كَيْفِيَّةِ تَعَبُّدِهِ للهِ تعالَى، فإِنْ أُمِرَ بتَبْليغِها إِلَى الغَيْرِ سُمِّيَ رَسُولًا، وهذَا هُوَ الصَّحيحُ، وكذلِكَ قالَ فِي "شَوَاهِدِ النُّبُوءَةِ"(1)(2).

وكَذَا فِي "الفُتُوحاتِ المكِيَّة"، ولَفْظُهُ: النَّبِيءُ هوَ الذِي يَأْتِيهِ الملَكُ بالوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللهِ يتَضَمَّنُ ذلِكَ الوَحْيُ شَرِيعَةً يَتَعَبَّدُ بهَا في نَفْسِهِ، فإِنْ بُعِثَ بهَا إِلَى غَيْرِهِ كَانَ [68ظ] رسولًا(3).

وفِي "شَرْحِ عقَائِدِ العَضُدِ"(4): النَّبِيءُ إِنْسَانٌ بَعَثَهُ اللهُ إلى الْخَلْقِ لِتَبْلِيغِ ما أَوْحاهُ اللهُ إِلَيْهِ، والرَّسولُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ مُرادِفًا لهُ، وقَدْ يَخْتَصُّ بِمَنْ هُوَ صاحِبُ كِتابٍ، فَيكونُ أَخَصَّ مِنَ النَّبِيءِ(5).

وفِي "أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ": الرَّسُولُ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ تعَالَى بِشَرِيعةٍ مُجَدِّدَةٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْها، والنَّبِيءُ يعُمُّهُ ومَنْ بعَثَهُ لتَقْرِيرِ شَرْعِ سابِقٍ، كأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائيلَ الذِينَ كانُوا بَيْن موسَى وعِيسَى عَلَيْهِم السَّلامُ، ولِذَلِكَ شَبَّهَ ﷺ علَمَاءَ أُمَّتِهِ بِهِمْ، إِذْ قال: ((**عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**))(6) فالنَّبِيءُ أَعَمُّ مِنَ الرَّسُولِ، ويَدُلُّ لَهُ أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عن الأَنْبِيَاءِ فقَالَ: ((**مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قِيلَ: كَمِ الرُّسُلُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**))(7)(8). فَهَذَا نَصٌّ في أَنَّ النَّبِيءَ أَعَمُّ، إِذْ جَعَلَ الرُّسُلَ بعْضًا مِن الأَنْبِيَاءِ، وجَعَلَهُ أَقَلّ.

وقِيلَ: الرَّسولُ مَنْ جَمَعَ إلى المعْجِزةِ كتَابًا مُنزَّلًا علَيْهِ، والنَّبِيءُ غَيْرُ الرَّسولِ، مَنْ لا كتَابَ لَهُ. وقِيلَ الرَّسولُ مَنْ يَأْتِيهِ الملَكُ بِالوَحْيِ، والنَّبِيءُ يُقالُ لَهُ ولِمَنْ يأْتِيهِ في النَّومِ(9) أو توجَدُ لهُ كِتَابَةٌ.

وفي "العُروةِ الوُثقَى"(10): كُلُّ مَن كانَ تَصَرُّفُهُ في ظَوَاهِرِ الخَلْقِ وبواطِنِ المؤمِنِينَ مُؤَيَّدًا مِنْ عندِ الله مُستَغْنِيًا بنفسهِ في التَّلقِّي مِنْ ربِّهِ عن بَشَرٍ مِثلِهِ فهُوَ نبيءٌ، فالنَّبِيءُ سُلطانٌ في الظَّاهِرِ وَلِيٌّ في الباطنِ مُسْتَغْنٍ في إِرْشَادِ الخلْقِ عن بَشَرٍ مِثْلِهِ، فإذا اجْتَمَعتِ السَّلطَنَةُ والوَلَايةُ في شَخْصٍ واحدٍ انتَشَرَ

---

(1) شواهد النبوة: فارسي، لـ: نور الدين: عبد الرحمن بن أحمد الجامي ت:898هـ، وترجمه: محمود بن عثمان ت:938هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1066/2.

(2) تاريخ الخميس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(3) الفتوحات المكية، ابن عربي، 356/2.

(4) شرح عقائِد العضُدِ: جلال الدين الدواني ت:928هـ، والمتن المشروح لعضد الدين الإيجي، ت:756هـ.

(5) تاريخ الخميس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(6) الدرر المنتثرة، السيوطِي، ص148. وَقال حدِيث لا أصل لهُ.

(7) صحيح ابن حبَّان (361).

(8) أنوار التنزيل، البيضاوِي، 75/4.

(9) أنوار التنزيل، البيضاوِي، 75/4.

(10) العروة الوُثْقَى للسمناني الحلبِي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد الحنفي، ت:499هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1133/2.

العَدْلُ في الظَّاهِرِ والبَاطِنِ، وتَمَّ أَمْرُ مَعَاشِ النَّاسِ ومَعَادِهِم على نَحْوٍ أَكْمَلَ وأَفْضَلَ، والرَّسولُ عامٌّ يُطلَقُ على الملَكِ والبَشَر، والنَّبيءُ خَاصٌّ لا يُطلَقُ إلَّا علَى الْبَشَرِ[1].

والمذكورُ فِي القُرآنِ بالاِسْمِ العَلَمِ ثمَانِيَةٌ وعِشْرُونَ نَبِيًّا[2].

وفِي "اليَنَابِيعِ"[3] عنِ الْكَلبِي عنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ أنَّ الأَنْبِيَاءَ أَلْفَا أَلْفٍ ومِئَتَا أَلْف وخَمْسَةٌ وعشْرُونَ أَلْفًا، والرُّسُلُ ثلَاثُ مِئَةٍ وثَلَاثَةَ عَشَرَ[4].

وذكَرَ أبو يعلى عن أَنَسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**كَانَ فِيمَنْ خَلَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ثَمَانِيَةُ آلَافٍ، ثُمَّ كَانَ عِيسَى، ثُمَّ كُنْتُ**))[5].

وفِي "العُمْدَةِ"[6]: لَم يَبْعَث اللهُ نَبِيًّا مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ قَطُّ، ولَا مِنَ النِّساءِ ولَا مِنَ الجِنِّ لِقَوْلِه تعالَى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ** ﴾[7][8]. قُلْتُ: هذا دَلِيلٌ علَى القُرَى فَقَطْ، لا عَلَى الإِنْسِ؛ لأَنَّ الذُّكُورَ البُلَّغَ مِنَ الجنِّ أَيْضًا رِجَالٌ لِقَوْلِهِ تعالَى:﴿ **بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ** ﴾[9].

وفي "رَبِيع الأَبْرَارِ" عن فرقد السنجي[10]: لم يُبْعَثْ نَبِيءٌ قَطُّ مِنْ مِصْرٍ مِنَ الأَمْصارِ، وإِنَّمَا بُعِثوا مِن القُرَى؛ لأنَّ أَهْلَ الأمصَارِ أَهْلُ السَّوادِ، والرِّيف وأَهْلُ القُرَى أَرَقُّ[11].

قال أبُو ذرّ الغِفاري: ((**قُلْتُ يا رَسولَ اللهِ مَنْ أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ؟ قالَ: آدمُ، فقُلْتُ: أَنَبِيءٌ مُرْسَلٌ؟ قالَ: نَعَمْ. ثمَّ قالَ: يا أبَا ذرٍّ أَرْبَعَةٌ سرْيَانِيُّون: آدمُ وشيثُ وأَخْنُوخ وهُوَ إدْرِيسُ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ وخاطَ، ونُوحٌ، وأَرْبَعَةٌ مِنَ العَرَبِ: هودٌ وصَالِحٌ وشُعَيْب ونَبِيئُكَ** [69و] **يا أبَا ذرّ، وأَوَّلُ أَنْبِيَاءِ بَنِي**

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(2) (م، س)، 7/1.

(3) في تاريخ الخمِيس: تفسير الينابِيع، ولم أجد مؤلفه في كتب الفهارِس.

(4) (م، س)، 7/1.

(5) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (4092). الفقرة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

(6) نقل منه صاحب تاريخ الخمِيس في مواضع متعددة، ولم أتعرفه لأنّه يذكره مختصرا ويبدو من نقوله أنه من كتب التفسير أو التاريخ.

(7) سورة يوسف: 109.

(8) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1. القول للحسنِ، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 274/9.

(9) سورة الجن: 6.

(10) في ربيع الأبرار: فرقد السبخي.

فرقد بن يعقوب السبخِي، نسبة إلى سبخة البصرة، روى عن إبراهيم النخعِي، وأنس بن مالك، وقيل فيه ليس صاحب حدِيث. تهذيب الكمال، المزّي، 164/23.

(11) ربيع الأبرار، الزمخشرِي، 275/1.

إِسْرَائيلَ مُوسَى وآخِرُهُمْ عِيسَى))[1].

أَيْ: أَوَّلُ الأَنْبِيَاء الذِينَ خَرَجُوا مِنْ أولَادِ إِسْرَائيلَ، فلَا يُشْكِلُ بيُوسُف، لأَنَّهُ ابْنُ إِسْرَائيلَ، لا مُتَوَلِّدٌ مِنْ وَلَدِ إِسْرَائيلَ. وكَذَا قُلْتُ فِي "مُختَصَرِ القَوَاعِدِ والْحَاشِيَة"[2]. [ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان وصَحَّحَهُ[3]، وقالَ ابنُ الجَوْزِي مَوْضُوعٌ[4]][5].

قالَ أَبُو ذرّ: كَمْ أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ؟ قالَ: مِئَةُ صَحِيفةٍ وأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، علَى شِيتَ خَمْسِين صَحِيفةً، وعلَى أَخْنوخَ ثَلاثِينَ صَحِيفَةً، وعلَى إِبْرَاهيمَ عَشْرَ صَحَائفَ، وعلَى موسَى قَبْلَ التَّورَاة عشْرَ صَحَائِفَ، وأَنْزَلَ التَّورَاةَ والإِنْجِيلَ والزَّبُورَ والفُرْقَانَ))[6].

وفِي "اليَنَابِيع"[7]: عَشْرَ صَحائِفَ على آدَمَ، ولَمْ يذْكُرْ صُحُفَ مُوسَى[8].

وفي "المدَارِكِ"[9]: أَنْزَلَ التَّوْراةَ وهِيَ سبْعُونَ وقْر بَعِيرٍ لم يَقْرَأْهَا كُلَّها إِلَّا أَرْبَعَةٌ: مُوسَى ويُوشَعُ وعُزَيْرُ وعِيسَى عَلَيْهِم السَّلَامُ[10].

وفِي "بَحْرِ العُلُومِ"[11]: وعِشْرِينَ صَحِيفَةً علَى إِبْرَاهِيمَ، والتَّوْراة علَى مُوسَى أَلْف سُورَةٍ، كُلُّ سُورةٍ أَلْفُ آيَةٍ[12].

وفي "الإِنْسان الكَامِل"[13]: الزَّبُورُ لَفْظَةٌ سُرْيَانِيَّةٌ وهِيَ بِمَعْنَى الكِتَابِ، فاستَعْمَلَها العَرَبُ حتَّى أَنْزَلَ اللهُ تعَالَى: ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** ﴿52﴾ ﴾[14] أَيْ: في الكِتَابِ، وأَنْزَلَ الزَّبُورَ على دَاوُدَ آياتٍ مُفصَّلاتٍ، ولكَنَّهُ لم يُخْرِجْهُ إِلَى قَوْمِهِ إِلَّا جُمْلةً واحِدَةً، بَعْدَ أن كَملَ اللهُ نُزولَهُ علَيْهِ[15].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(2) مختصر القواعِد والحاشية، مؤلَّف لأطفِيّش سمّاهُ الذّهب الخالِص المنوّه بالعلم القالِص، مطبوع ينظر مطلب آثار أطفِيّش.

(3) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (361).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظِيم، ابن كثير، 372/4.

(5) أضاف المؤلِّف هذه العبارة في الهامِشِ.

(6) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(7) تفسير الينابيع وتبصير الرحمن: هكذا ذكر في تاريخ الخمِيس، ولم أقف عليه في فَهارس الكتبِ.

(8) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(9) مدارك التنزِيل: تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مؤلفه: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى: 710هـ.

(10) مدارك التنزِيل، النسفِي، 604/1.

(11) بحر العلوم، تفسِير نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندِي، ت: 373هـ.

(12) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(13) الإنسان الكامِل في معرفة الأواخِرِ والأوائِلِ: لـ: عبد الكريم بن إبراهِيم الجِيلِي الصوفِي ت:832هـ، وهو كتاب في اصطلاح الصوفية. كشف الظنون، حاجي خليفة، 181/1.

(14) سورة القمر: 52.

(15) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 1/ 7-8.

وفِي "الإِنْسَانِ الكَامِل": أَنْزَلَ اللهُ الإِنْجِيل علَى عِيسَى بِالسُّرْيَانِيَّة، وقُرِئَ على سَبْعَ عَشْرَةَ لُغَة، وأَوَّلُ الإِنْجِيلِ: باسْمِ الأَبِ والأُمِّ والابْنِ، فظَنُّوا أنَّ الأَبَ والأُمَّ والابْنَ عِبَارةٌ عنِ الرُّوحِ ومَرْيَم وعِيسَى، فقالُوا: ثَالِثُ ثلاثَةٍ، ولَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ المرَادَ بالأَبِ هُو اسْمُ اللهِ، وبالْأُمِّ كُنْه الذَّاتِ المعَبَّرِ عنْهَا بِمَاهِيةَ الحقَائِقِ، وبالابْنِ الكِتَاب، وهُوَ الوُجودُ المطلَق لِأَنَّهُ فَرْعٌ، ونَتِيجةٌ عَنْ ماهِيَةِ الكُنْهِ، كما قال اللهُ جلَّ وعلَا: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿39﴾﴾[1][2].

وفي "أَنْوَار التَّنْزِيلِ": إنَّ السَّبَبَ في وُقوعِ النَّصارَى فِي هذِهِ الضَّلالَةِ أَنَّ أرْبَابَ الشَّرائِعِ المتَقَدِّمةِ كانوا يُطْلِقُون الأَبَ علَى اللهِ؛ باعْتِبَارِ أَنَّهُ السَّببُ الأَوَّلُ حتَّى قالُوا إِنَّ الأبَ هُوَ الرَّبُّ الأَصْغَرُ، واللهُ سبْحَانَهُ هُوَ الرَّبُّ الأَكْبَرُ، ثُمَّ ظنَّت الجَهَلَةُ مِنْهُم أَنَّ المرَادَ بهِ الوِلَادَة، فاعْتَقَدُوا ذلكَ تَقْلِيدًا، ولِذلكَ كُفِّرَ قائِلُهُ ومُنِعَ مُطلَقا، حَسْمًا لمادَّةِ الفَسادِ[3].

وعَنْ وَهْب بنِ مُنَبِّهٍ: أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهِيمَ عليه السلام، في أَوَّل لَيْلةٍ مِنْ شهْرِ رمَضَانَ، وأُنْزِلَتْ التَّورَاةُ على مُوسَى علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِستِّ لَيَالٍ مضِينَ مِنْ شَهْرِ رمضَانَ بَعْدَ صُحُف إبْراهيمَ بسَبْعِ مِئةِ عامٍ، وأُنزِلَ الزَّبورُ علَى دَاوُدَ عليه السلام لِاثْنَتَيْ عشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شهْرِ رَمَضَانَ بعدَ التَّوراةِ بِخَمْسِ مِئةِ عامٍ، وأُنْزِلَ الإِنْجِيلُ على عِيسَى عليه السلام لِثلاثَ عشْرَةَ علَى مَا فِي "الكَشَّافِ"[4]، وقِيلَ لثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمضَانَ [69ظ] بَعْدَ الزَّبورِ بِأَلْفِ عامٍ ومِئَتَيْ عامٍ، وأُنْزِلَ الفُرْقانُ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ لأَرْبَعٍ وعِشْرِينَ أَوْ سبْعٍ وعِشْرِينَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رمَضَانَ بَعْدَ الإِنْجِيلِ بِستِّ مِئةِ عامٍ وعشرِينَ عامٍ[5].

واخْتُلِفَ في كيْفِيَّة إنْزَالِهِ علَى ثلاثَةِ أَقْوالٍ: فقِيلَ نَزَلَ جُملَةً مِنَ اللَّوحِ المحفُوظِ إلى بَيْتِ العِزَّة في السَّماءِ الدُّنيَا، وأَمْلاهُ جبْرِيلُ علَى السَّفَرَةِ، ثُمَّ نَزَلَ بعدَ ذَلِكَ نُجومًا علَى سَيِّدِنا مُحَمَّد ﷺ في عشْرِينَ عامًا أو ثلَاثَةٍ وعشْرِين أوْ خمْسَةٍ وعشرينَ على حَسَب الاِخْتلافِ في مُدَّةِ إقامَتِهِ ﷺ في مَكَّةَ بعْدَ النُّبُوَّةِ، قِيلَ: عشَرَةُ أعوامٍ، وقِيلَ: ثلاثَةَ عشَرَ، وقِيلَ: خمْسَةَ عَشَر، ولَمْ يُخْتَلَفْ في مُدَّة إقامَتِهِ بالمدِينةِ أَنَّها عَشَرَةٌ[6].

وعلَى الْأَوَّلِ[7] الجُمهُورُ، ويدُلُّ لهُ روايَة الحَاكِمِ عن ابْنِ عبَّاسٍ: أَنَّهُ أُنْزِلَ القرآنُ جُمْلَةً واحِدةً إلى

---

(1) سورة الرعد: 39.

(2) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 8/1.

(3) أنوار التنزِيل، البيضَاوِي، 103/1.

(4) الكشَّاف، الزمخشَرِي، ص113.

(5) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 8/1-9. أصله فِي مسند أحمد حدِيث (16984). ولم أقفْ على من نقل عن وهب بن منبه.

(6) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 8/1-9.

(7) أي: نزل جملةً من اللوح المحفوظ...

السَّماءِ الدُّنْيَا في لَيْلَةِ القدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذلِكَ في عِشْرِينَ سَنَة[1].

القوْلُ الثَّاني: أَنَّهُ نزَلَ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ[2] إلى السَّمَاءِ الدُّنيا فِي عشْرِينَ لَيْلَةِ قَدْرٍ مِنْ عشرِينَ سَنَةٍ، وقِيلَ: في ثَلاثٍ وعِشْرِينَ لَيْلَة قَدْرٍ مِنْ ثلاثٍ وعشْرِينَ سَنَةً، وقِيلَ: في خَمْسٍ وعشْرِينَ لَيْلَة قَدْرٍ منْ خَمْسٍ وعشرِينَ سنَةٍ، نَزَلَ في كلِّ لَيْلةٍ جُمْلةٌ منهُ قَدْرَ ما يَنْزِلُ في كلِّ سَنَةٍ منَجَّمًا، وهذَا معْنَى قَوْلِ بعْضِ العُلمَاءِ: كانَ يَنْزِلُ مِنَ القرآنِ في كُلِّ ليْلَةِ قَدْرٍ مِن السَّنةِ إلى السَّنةِ ما يكْفِيهِ إلى مِثْلِها مِنَ القابِلِ، وكانَ جبرِيلُ يَنْزِلُ في لَيْلَة القَدْرِ مِنَ السَّماءِ السَّابعةِ إلى بَيْتِ العِزَّةِ فِي السَّماءِ الدُّنيا ثُمَّ يَنْزِلُ عليهِ مِنَ السَّماءِ الدُّنيَا بِحَسَبِ المصَالِحِ والوَقَائِعِ إلَى لَيْلَة القَدْرِ مِنْ قابِل، وإذَا كانَ لَيْلَةُ القَدْر مِنْ قابِل أُنْزِلَ علَيْهِ مِثْلُ ما أُنْزِلَ في لَيْلَة القَدْرِ التِي قَبْلَها، وبِهَذَا القَوْلِ الثَّانِي قالَ مقاتل والحَلِيمِي فِي "مِنْهاجِهِ"[3] والماوَرْدِي فِي "تَفْسِيرِهِ"[4][5].

القَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ ابتَدَأَ إنْزالُهُ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ إلَيْهِ ﷺ في لَيْلَةِ القَدْرِ، واسْتَمَرَّ إنزالُهُ منهُ إلَيْهِ بِحَسَبِ الحاجَاتِ والمصَالِحِ فِي سَائِرِ الأيَّامِ واللَّيَالِي.

وقِيلَ: كَلَّمَ اللهُ بالقرآنِ جمْلَةً جبْرِيلَ عليه السلام لَيْلَةَ القَدْرِ فحَفِظَهُ وأملاهُ على الملائِكَةِ فِي السَّماءِ الدُّنيَا، وكتَبُوهُ، ثُمَّ نَزَلَ إلَيْهِ ﷺ نجُومًا أَيْ: أوْقَاتًا، فقِيلَ إنَّ رسُولَ اللهِ يَنْخَلِعُ إلَى صُورَةِ الملَكِيَّةِ فَيَأْخُذُ، ولَعَلَّ ذلك في البَاطِنِ وإلَّا فَهُوَ يُرَى حالَ الوَحْيِ علَى صورَتِهِ البَشَرِيَّة ﷺ.

وقِيلَ: ينْخَلِعُ جبْرِيلُ إلى صُورَةِ البشَرِ وفِيهِ أَنَّ هذا فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ فَقَطْ، لَا فِي كُلِّها كمَا قال ﷺ: ((**أَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الملَكُ بَشَرًا**))[6] والمنَزَّلُ هوَ اللَّفظُ بِعيْنِهِ.

وقِيلَ: نَزَلَ جبريلُ بالمعَانِي وَعَبَّر رَسُولُ الله ﷺ بالأَلْفَاظِ لقَوْلِه تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ** ﴾[7] ولَمْ يَقُلْ على أُذُنيْكَ.

وفِيهِ: أَنَّه إن أَنْزَل اللَّفظَ صَحَّ أن يكونَ على القَلْبِ [70و] كما علَى الأُذُنِ، وإلَّا كانَ إلْهَامًا لا بِلِسَان جِبْرِيلَ، وإنْ كانَ علَى الأُذُنِ لم يَمْتَنِعْ أنْ يكُونَ أَيْضًا بعِبَارةٍ يُؤْمَرُ أن يُؤَدِّيَها بعِبَارَتِهِ ﷺ كما قِيلَ

---

(1) المستدرك، الحاكم، حدِيث (2879).

(2) من اللوح المحفوظ زيادة من المؤلف.

(3) منهاج الحلِيمي: منهاج الدين في شعب الإيمان لـ: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، ت:403هـ. سبق تعريفه. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1871/2.

(4) تفسير الماوردِي: الإمام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي ت:450هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 458/1.

(5) ينظر: تَفسِير مقاتل بن سليمان، 161/1.

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (2).

(7) سورة الشعراء: 193-194.

إِنَّهُ أُنْزِلَ عليْهِ المعْنَى وعَبَّرَ بِهَذِهِ الأَلْفَاظِ.

واللُّغاتُ التِي نَزَل بهَا كلَامُ اللهِ: العَرَبِيَّة والعِبْرانِيَّة والسُّرْيانِيَّة، القرآنُ بالعرَبِيَّة، والتَّوراةُ بالعِبْرانِيَّة، والزَّبورُ والإِنْجيلُ بالسُّرْيانِيَّة[1].

وفي "صحِيحِ البُخارِي" في قِصَّة ورقة بن نوفل أَنَّه تَنَصَّر فِي الجَاهِلِيَّة وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيّ، يكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بالعَرَبِيَّة، فيُفْهَمُ مِنْهُ أنَّ الإِنجِيلَ كانَ بالعِبْرَانِيَّة[2].

وفي رِوايَة: الزَّبُور باللُّغةِ العبْرَانِيَّة وهُو مِئةٌ وخَمْسُون سورَةً، فإذَا عُبِّر عنْ كلامِ اللهِ بالعَرَبِيَّة يُسمَّى قُرْآنًا، وإنْ عُبِّرَ بالعِبْرَانِيَّة يُسَمَّى تَوْرَاةً، وإذَا عُبِّرَ بالسُّريانِيَّة يُسَمَّى زبورًا وإِنْجِيلًا[3].

ثُمَّ إنَّهُ لا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الأولياءِ بوَلَايَتِهِ، ولا أَحَدٌ مِن الصِّدِّيقِينَ بصَدَاقَتِهِ دَرَجَة نَبِيءٍ وإنْ كانُوا في أعَالِي مرَاتِبِهِمْ، قال أبُو يَزِيدَ البَسْطَامِي[4]: آخِرُ نِهَايَةِ الصِّدِّيقِينَ أَوَّلُ أحْوَالِ الأَنْبِيَاءِ[5]. وقَالَ ابنُ عطَاءِ اللهِ[6]: أَدْنَى مَراتِبِ المرسَلِينَ أَعْلَى مَرِاتِبِ الأنْبِيَاءِ، وأَدْنَى مرَاتِبِ الأَنْبِيَاءِ أعْلَى مرَاتِبِ الصِّدِّيقينَ، وأَدْنَى مَرَاتِبِ الصِّدِّيقينَ أعْلَى مرَاتِبِ الشُّهَداءِ، وأَدْنَى مرَاتِبِ الشُّهداءِ أعْلَى مَرَاتبِ الصَّالحِينَ، وأَدْنَى مَرَاتِبِ الصَّالحينَ أَعْلَى مرَاتِبِ المؤْمِنِينَ[7].

فمَا نُقِلَ عنْ بعْضِ الأَوْلِيَاءِ مِنْ أنَّ الوَلايةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوءَةِ فمَبْنِيٌّ علَى أنَّ لِلنَّبِيءِ جِهَتَيْن، إحْداهُمَا جِهَةُ الوَلَايَةِ التِي هِيَ باطِنُ النُّبوَّةِ، ثانِيَتُهُما جِهَةُ النُّبُوءَة التِي هِيَ ظاهِرُ الوَلايَةِ، فالنَّبِيءُ بِجِهَةِ الوَلَايةِ يَأْخُذُ الفَيْضَ والعُلَا مِن اللهِ تعَالَى، وبِجِهَة النُّبُوءَةِ تَبْلِيغهُ لِلْخَلْقِ، ولا شَكَّ أنَّ الوَجْهَ الذِي إلى الحَقِّ أَشْرَفُ وأفْضَلُ مِنَ الوَجِهِ الذِي إلى الخَلْقِ، فالمرَادُ أنَّ جِهَةَ وَلايَةِ نَبِيءٍ أفْضَلُ مِن جِهَةِ نبُوءَتِهِ، وإنَّهُ منْ حيْثُ إنَّهُ وَلِيٌّ أفْضَلُ مِنْ حيْثُ إنَّهُ نَبِيءٌ، ولَيْسَ المرادُ أنَّ وَلايَةَ غَيْرِ نَبِيءٍ أفضَلُ مِنْ نُبُوءَةِ نَبِيءٍ، فلا يَلْزَمُ أنَّ الوَلِيَّ أفْضَلُ مِنَ النَّبِيءِ كما يَتَوَهَّمُهُ القَاصِرون، فإنَّ مرْتَبَةَ الوَلايَةِ قدْ حَصَلَتْ لِلنَّبِيءِ على وَجْهٍ أكْمَلَ مِن وَلاية الوَلِيّ معَ أمْرٍ زائدٍ وهُو مرْتَبَة النُّبُوءَةِ، فكُلُّ نبِيءٍ وَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، وما

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 9/1.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (3).

(3) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 15/1.

(4) أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى، سلطان العارفين. ت:261هـ. سير أعلام النبلاء، 86/13.

(5) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 15/1.

(6) ربّما هو السّكندرِي، صاحبُ الحكم العطائِيَّة. النّصُّ لم أقفْ عليهِ في غير تاريخ الخمِيس.

(7) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 16/1.

وَقَعَ في كلَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ الحَكِيمِ التِّرْمِذِي[1] والحَمَوِي[2] مِنْ أَنَّ نِهايةَ الأَوْلِيَاءِ[3] بَدَاءَةُ الأَوْلِيَاءِ معْنَاهُ أَنَّ نِهَايةَ الأَنْبِيَاءِ فِي الشَّرائعِ بدَاءَةُ الأَوْلِياءِ فيهَا، ولَمَّا كانَتْ شرَائِعُ الأَنْبِيَاءِ تَكْمُلُ وتَتِمُّ في أَوَاخِرِ أَحْوَالِهِم قِيلَ لَهُ ﷺ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[4] والْوَلِيُّ ما لم يَأْخُذ الشَّريعَةَ بكَمَالِها، أعْنِي يَتَسَيَّرُ بِهَا، لم يَكُنْ لَهُ الشُّرُوعُ فِي الوَلايَةِ[5].

فمَنْ ماتَ قَبْلَ تمامِ نزولِ القُرآنِ لم تَكُنْ لهُ تِلْكَ المرْتَبَةُ، ولَوْ كانَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ، اللَّهُمَّ إِلَّا بِنِيَّتِهِ الأَبَدِيَّة العامَّةِ لِكُلِّ خَيْرٍ.

والنَّبِيءُ يتَحَدَّى الخلْقَ بالمعجزَةِ ويسْتَعْجِزُهُم عن الإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا [70ظ] ويُخْبِرُهُمْ عَن اللهِ تعالَى بِخَرْقِ العَادَةِ بهَا لِتَصْديقِهِ ولَوْ كانَ كَاذِبًا، لم تَنْخَرِق العادَةُ على يَدَيْهِ، ولَوْ خَرَقَه اللهُ علَى يَدِ كاذِبٍ لخَرَقَها علَى أَيْدِي المعارِضِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ، وأَمَّا الوَلِيُّ والسَّاحِرُ فلا يَتَحَدَّيَان الخَلْقَ ولَا يَسْتَدِلَّانِ علَى نبُوءَةٍ ولَو ادَّعَيَا شَيْئًا لم تَنْخَرِقْ العَادَةُ لَهُمَا[6].

وأَمَّا الفَرْقُ بَيْنَ الوَلِيّ والسَّاحِرِ فمِنْ وَجْهيْنِ أَحَدُهما، وهُوَ المشهُورُ، إجْماعُ المسلِمينَ علَى أَنَّ السِّحْرَ لا يَظْهَرُ إِلَّا عَلَى يَدِ فاسِقٍ، والكَرامَةُ لا تظْهَرُ إِلَّا علَى يَدِ وَلِيّ، وبِهَذا جزَمَ إِمامُ الحرَمَيْنِ، وأَبُو سَعِيدٍ المتَولِّي[7] وغَيْرُهُما. والثَّانِي: أنَّ السِّحْرَ يكونُ نَاشِئًا بفِعْلٍ ومَزْجٍ ومعَانَاةٍ وعلَاجٍ، والكَرَامةُ لا تَفْتَقِرُ إلى ذَلِكَ، وفِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقاتِ تَقَعُ اتِّفاقًا مِنْ غَيْرِ أن يَشْعُرَ بها أَوْ يسْتَدْعِيهَا[8]. والفِعْلُ الخَارِقُ لِلْعادَةِ إِذَا ظَهَرَ علَى يَدِ إِنْسانٍ مقْرونٌ بالدَّعْوَى أَوْ لَا.

والأَوَّلُ الدَّعوَى فِيهِ دَعْوَى الإِلَهِيَّةِ أَوْ النُّبُوءَةِ أَوْ الوَلَايَةِ أوِ السِّحرِ وطَاعَةِ الشَّيْطانِ، فأَمَّا دَعْوَى الإِلَهِيَّة فقَدْ ظَهَرَتْ لَهَا خَوارِقُ معَ الاسْتِدْلالِ بهَا علَيْهَا، كمَا نُقِلَ عن فرعون دعْوَى الإِلَهِيَّة والاسْتِدْلالِ علَيْهَا بالمحِيءِ بالمطَرِ، كانَ يعْرِفُ اسْمَ اللهِ الأَعْظَم فيدْعُو بِهِ، وكَمَا أَنَّ الدّجّال يَدَّعِيهَا فيَأْمُرُ الجَبَلَيْن

(1) محمد بن عليّ بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي محدث، حافظ، سمع الكثير بخراسان والعراق، وقدم نيسابور وحدث بها، ت: 318 هـ. من تصانيفه: الأكياس والمغترين، رياضة النفس، الكسب وكلها في التصوف، نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ﷺ، وعلل العبودية. طبقات الشافعية، السبكي، 245/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 502/3.

(2) محمد بن المؤيد بن محمد بن حمويه الحمَوي الجويني، سبق تعريفه.

(3) خطأ صوابه: الأنبياء كما في تاريخ الخميس.

(4) سورة المائدة: 3.

(5) تاريخ الخميس، الدّيار بَكْري، 16/1، وعبارة " أعني يتسيَّرُ بها" من كلام المؤلّفِ.

(6) تاريخ الخميس، الدّيار بَكْري، 16/1.

(7) عبد الرحمن بن مأمون بن علي بن إبراهيم النيسابوري أبو سعيد المتولي (ت: 478)، تفقه بمرو على الفوراني، له كتاب التتمة، ينظر: طبقات الشافعية، السبكي، 5/ 106.

(8) تاريخ الخميس، الدّيار بَكْري، 16/1.

ينْتَطِحَانِ ويَحْرُثُ ويُنْبِتُ ويُدْرك وَيخْبزُ في ساعَةٍ، وقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَر**))[1] وَ ((**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ جِسْمًا ولَا عَرَضًا**)) أيْ: ولَا جَوْهَرا.

وقِيلَ في فِرْعَوْنَ إنَّهُ لا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهَا، وإنَّما وَقعَ ذلكَ؛ لِأَنَّ شكْلَ المخْلُوقِ ولَا سِيَّمَا فِرْعَوْن في عَرَجِهِ وقِصَرِه، والدَّجَّال في عَوَرِهِ يَدُلُّ على الكَذِبِ لِحُدوثِهِ وعَجْزِه، فلَا يُفْضِي إلى التَّلْبِيسِ.

وأَمَّا ادِّعاءُ النُّبُوءَةِ فمَعَ الكَذِبِ لا تَظْهَرُ الخوَارِقُ، ومَعَ الصِّدقِ تظْهَرُ، وبتَقْدِيرِ ظُهورِها علَى يَدِ كاذِبٍ حَصَلَت المعَارَضَةُ، ولا بُدَّ.

وأَمَّا كَرَامَةُ الأَوْلِيَاءِ فالْحَقُّ وقُوعُهَا، واخْتَلَفُوا هلْ تَجُوزُ دعْوَاها فتَظْهَرُ أَمْ لا تَجُوزُ دَعْوَاهَا والنَّصْبُ لِظُهورِهَا. وأَمَّا خَوَارِقُ السِّحْرِ والشَّيْطانِ فالصَّحيحُ وقوعُهَا ومَنَعَتْهُ المعْتَزِلَةُ.

وأَمَّا الظُّهورُ بلَا قَرْنٍ بالدَّعْوَى فمِنَ الوَلِيِّ كرَامَةٌ، وأَنْكَرَتْها المعْتَزِلَة إِلَّا أبَا الحُسين البصري[2] وصاحِبَه محمود الخوارزمي[3][4]، ومِنَ الخَبِيث المذْنِبِ فاسْتِدْرَاجٌ. واللهُ أَعْلَمُ، وهُوَ الوَلِيُّ.

وذَكَرَ ابن عادل[5] فِي "تفْسِيرِهِ"[6] أنَّ جبْرِيلَ عليه السلام نَزَلَ على النَّبِيءِ ﷺ أربَعَةً وعِشْرِين أَلْفَ مَرَّةٍ، ونَزَلَ على آدَمَ اثْنَتَيْ عشْرَةَ مَرَّةً، وعلَى إدريس أَرْبَعَ مرَّاتٍ، وعلَى نوح خمْسِينَ مَرَّةً، وعلَى إبراهِيمَ اثْنَتَيْن وأَرْبَعينَ مَرَّةً، وعلى مُوسَى أَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ، وعلَى عيسى عَشْرَ مَرَّاتٍ[7].

وفي ذَلِكَ نَظَرٌ، وإِنَّمَا يثْبُتُ ذلكَ بِحَدِيثٍ صحِيحٍ ولَمْ نَرَهُ، وصَاحِبُ "المواهِبِ" لمّا ذكَرَهُ قالَ: كَذا[8]. قالَهُ إِشَارَةً إِلَى ضُعْفِ [71و] ذلِكَ واللهُ أَعْلَمُ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: [أَوَّلُ الخَلْقِ خَلْقًا]

جاءَ الخَبَرُ أَنَّ أَوَّلَ المخلُوقَاتِ نورُ سيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ. وفي "الأُنْسِ الجَلِيلِ"[9] :إنَّ اللهَ خَلَقَ أَوَّلًا نورَ رسولِ الله ﷺ قبْلَ العَرْشِ والكُرْسِيِّ واللَّوحِ والقلَمِ والماءِ والسَّماءِ والأرضِ والجنَّةِ والنَّارِ بأَلْفِ

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4402).

(2) أبو الحسين البصري: مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الطَّيِّبِ، معتزلِي كان فصيحا بليغا عذب العبارة يتوقَّد ذكاءً، صاحب تصانيف منها: المعْتَمد فِي أصُول الْفِقْه، وصلح الأدلَّة، ت:436هـ. الوافي، الصفدِي، 92/4، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 587/17.

(3) محمود بن محمد الخوارزمي: ابن الملاحمِي ت: 536هـ، له كتاب: المعتمد في أصول الدين.

(4) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 17/1.

(5) عمر بن عادل: الدمشقِي الحنبلِي، من تصانيفه: اللباب في علوم الكتابِ، ت:880هـ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 568/2.

(6) اللُّباب في علوم الكتابِ.

(7) تفسير اللباب، ابن عادل، 3/12.

(8) المواهِب اللدنيّة، القَسْطَلَّانِي، 210/1.

(9) الأنس الجليل، بتاريخ القدس والخليل، للقاضِي عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلِي، ت: 928هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 177/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 112/2.

أَلْفٍ وسِتِّ مئَةٍ وسَبْعِينَ ألْفِ سَنَةٍ[1].

وفي رِوايَةٍ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العقْل، فقال لهُ: أَقْبِلْ فأقْبَل، وقال لَهُ: أَدْبِرْ فأَدْبَر، فقالَ: وعِزَّتِي وجلَالِي بِكَ أُعْطِي وبِكَ أمنَعُ وبِكَ أُثِيبُ وبِكَ أُعاقِبُ[2].

وعن أَبي هريرة عن النَّبِيءِ ﷺ لما خَلَقَ اللهُ العَقْلَ قال لَهُ: قُمْ فقَامَ، ثُمَّ قال لَهُ: أَدْبِرْ فأَدْبَر، ثُمَّ قالَ لهُ: أَقْبِلْ فأَقْبَل، ثُمَّ قال لَه: اقْعُدْ فقَعَدَ، ثُمَّ قال لهُ: ما خَلَقْتُ خَلْقًا هو خَيْرٌ مِنْكَ ولا أَفْضَلُ مِنْكَ ولَا أحْسَنُ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ، وبِكَ أُعْطِي وبِكَ أُعْرَف، وبِكَ أعاقِب، وبِكَ الثَّوابُ وعلَيكَ العقَابُ. وقَدْ تَكَلَّمَ فيه بَعْضُ علمَاءِ الجَرْحِ والتَّعدِيل. رواهُ فِي "شُعَبِ الإِيمانِ" البَيْهَقِيّ[3].

وعن عُبادة بن الصّامت عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ: ((**أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَم فقالَ لَهُ: اكتُبْ، فقالَ لَهُ: رَبِّ ما أَكْتُبْ؟ قال: اكْتُبْ مقادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ**)) رواهُ أَحْمَد والتِّرمِذِي وصَحَّحَهُ. فجَرَى القَلَمُ بمَا هُوَ كائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ[4].

وفي خَبَرٍ آخَرَ: أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ اللَّوْح المحْفُوظ[5].

وذكَرَ القسطلّاني[6]: أَنَّ الخِلَافَ في أَوَّل المخْلُوقَاتِ بعْدَ النُّورِ المحَمَّدِي، فقَالَ أبو يَعْلَى الهمَدَانِي[7] الأَصَحُّ أنَّ العَرْشَ قَبْلَ القَلَمِ لما فِي "الصَّحِيحِ" عنْ عبد الله بن عمْرو قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ**))[8] فالتَّقْدِيرُ وَقَعَ بَعْدَ خَلْقِ العَرْشِ، وذلِكَ عنْدَ أَوَّلِ خَلْقِ القَلَمِ لِحَدِيثِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ[9].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 17/1، لم أجد النص في المطبوع من الأنس الجليل.

(2) (م، س)، 17/1.

(3) مشكاة المصابيح، التبريزِي، حدِيث (5064)، وقال الألباني محقِّقُ الكتَابِ: موضوع، وشعب الإيمان، البيْهَقِي، حدِيث (4313).

(4) سنن الترمذِي، حدِيث (2155) و(3319)، ومسند أحمد، حدِيث (22707).

(5) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 18/1.

(6) القَسْطَلَّانِي: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري، الشافعي، شهاب الدين، أبو العباس، محدث، مؤرخ فقيه، ومقرئ، ولد بمصر وقدم مكة، وتوفي بالقاهرة سنة 923هـ، من تصانيفه: إرشاد الساري على صحيح البخاري، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 254/1.

(7) أبو يعلَى (أبو العلاء) الهمداني: الحسن بن أحمد، سمع من عبد الرحمن بن حمد الدوني وخلق بهمذان، وسمع ببغداد، كان من أئمة القراءات والحدِيث، ت: 569هـ، من تصانيفه: زاد المسافِر. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 40/21.

(8) ورد بلفظ قريبٍ فِي صحيح مسلم، حدِيث (16).

(9) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 18/1، والمواهب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 72/1- 73.

وروَى أَحْمَدُ وصَحَّحَهُ أيْضًا مِنْ حَدِيثِ أبي رزين العقيلي[1] عنْهُ ﷺ: ((**إنَّ الماءَ خُلِقَ قَبْلَ الْعَرْشِ**))[2].

ورَوَى السّدِّي[3] بأَسَانِيدَ متَعَدِّدَةٍ: إنَّ اللهَ لم يَخلُقْ شيْئًا قبْلَ الماءِ، فيُجْمَعُ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما قَبْلَهُ بأَنَّ أَوَّلِيَّةَ القَلَمِ بالنِّسبَةِ إلى مَا عَدَا النُّورِ المحَمَّدِي والماءِ والعَرْشِ[4].

وأَوَّلُ شَيْءٍ كتَبَهُ القَلَمُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ إنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ عبدِي ورَسُولي، مَن اسْتَسْلَمَ لِقَضَائي[5] وصَبَرَ عَلَى بلَائِي وشَكَرَ نَعْمَائي وَرَضِيَ بِحُكْمِي كَتَبْتُهُ صِدِّيقًا وبعَثْتُهُ يوْمَ القِيامَةِ معَ الصِّدِّيقِينَ، ومَنْ لم يَسْتَسْلِمْ لِقَضَائِي، ولَمْ يَصْبِرْ علَى بلَائِي ولَمْ يَشْكُرْ نَعْمَائِي، ولَمْ يَرْضَ بحُكْمِي، فَلْيَخْتَرْ إِلَهًا سِوَايَ[6].

وسُمِّيَ مَحْفوظًا لِأَنَّهُ حُفِظَ مِنْ وُصُولِ الشَّيَاطِينِ[7].

قال البيضاوي: القَلَمُ يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ هُوَ العَقْلُ الأَوَّلُ لقَوْلِهِ ﷺ: ((**أَوَّل مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم، قَالَ لَهُ: اكْتُب الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى الْأَبَدِ**))[8]. ولَعَلَّ المرَادَ بالْأَبَدِ ما قَبْلَ القِيَامَةِ، إذْ لا مُنتَهَى لما بَعْدَها فلَا يَسَعُهُ اللَّوْحُ.

قالَ: واللَّوْحُ هو الخَلْقُ الثَّانِي، قالَ: وهُوَ العَرْشُ أو مُتَّصِلٌ بِهِ لقَوْلِهِ ﷺ: ((**مَا مِنْ** [71ظ] **مَخْلُوقٍ إِلَّا وَصُورَتُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ**))[9]. وعن ابنِ عَبَّاسٍ: اللَّوْحُ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ[10]. ويُرْوَى: جَبْهَةُ مَلَكٍ. وفِي "المدارِكِ": أَنَّهُ عند الحَسَنِ شَيْءٌ يلوحُ للْملائِكَة فيقْرَؤُونَهُ. وعن مُقاتِل: هوَ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ[11]. وقِيلَ: أَعْلَاهُ معْقُودٌ بالْعَرْشِ، وأَسْفَلُهُ في حِجْرِ مَلَكٍ عَظِيمٍ[12].

ويُجْمعُ بيْنَ أحادِيثِ أَوَّل المخْلُوقاتِ بأَنَّ الأَوَّلَ الحقِيق مِنَ الخَلْقِ نورُ نَبِيئِنَا مُحَمَّد ﷺ وأَوَّلِيَّةُ العقْلِ والقَلَمِ إضَافِيَّة، أَوَّلُ مخْلُوقٍ مِنَ المجَرَّداتِ العَقْلُ، ومِنَ الأَجْسَام القَلَمُ، أو بِأَنَّ أَوَّلَ العقُولِ

---

(1) أبو رزين العقيلي: لقيط بن عامر، صحابِي. الإصابة، ابن حجر، 508/5.

(2) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 18/1، والمواهب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 73/1، وفي مسند أحمد، حدِيث (16200)، بلفظ:((ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ)).

(3) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبِير، الإمام المفسر حدث عن أنس بن مالك وابن عباس، وحدث عنه شعبة وسفيان الثورِي، ت:127هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 265/5.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1، والمواهب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 74/1.

(5) في الأصل: لقضاء.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1.

(7) مدارك التنزيل، النسفِي، 626/3.

(8) الحدِيث فِي سنن الترمذِي (2155).

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1، نقلا من طوالع الأنوار، البيضاوِي. ولم أجد الحدِيث.

(10) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1.

(11) تفسير مقاتل، 224/4.

(12) نقلا من مدارك التنزيل، النسفِي، 626/3.

العقْلُ المطَاوِعُ للهِ عزَّ وجلَّ، فيَفُوزُ مِنْ رَبِّ العِزَّةِ بأَنْوَاعِ الإِعْزَاز، وأَوَّلُ الأَقْلَام القَلَمُ الذِي كتَبَ في اللَّوحِ المحْفُوظِ، وأَوَّلُ الأَنْوارِ نورُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وقَدْ يقَالُ المرَادُ شَيْءٌ واحِدٌ تَعَدَّدَ باعْتِبَارِ النَّسبِ والحَيْثِيَّاتِ، كمَا يُقالُ لِلْحبْرِ أَسْوَدٌ وبُرَاقٌ ومَائِغٌ[1].

قال بَعْضٌ: المعْلُولُ الأَوَّلُ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ مُجَرَّدٌ تُعقَل ذاتُه ومبْدَؤُهُ يُسَمَّى عَقْلًا، ومِنْ حَيْثُ إنَّه واسِطَةٌ في صُدُورِ سائِرِ الموْجُوداتِ ونُقُوشِ العلُومِ يُسَمَّى قلَمًا، ومِنْ حيْثُ تَوَسُّطُهُ في إفَاضَةِ أنْوارِ النُّبُوءَةِ، ومِنْ حَيْثُ إنَّ الكَمَالاتِ المحَمَّدِيَّةَ مِنْ أَثَرِ نُورِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ سَبَبٌ لِلْحَيَاةِ يُسمَّى رُوحًا[2].

وفِي "شَواهِد النُّبُوءَة": إنَّ نبِيَّنا ﷺ وإنْ كانَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ في عالَمِ الشَّهادَةِ لَكِنَّهُ أَوَّلُهُم فِي عالَم الْغَيْبِ، قال ﷺ: ((**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الماءِ وَالطِّينِ**))[3] بيَانُهُ أنَّ اللهَ جَلَّ وعلَا فِي أَزَلِ الآزالِ كان ولَا شَيْءَ مَعَهُ، فجَمِيع الشُّؤُون مِنْ غَيْرِ امْتِيَازٍ مِنْ بَعْضٍ، وصُورَةُ معْلُومِيَّة ذلِكَ الشَّأنِ تُسَمَّى تَعَيُّنًا أَوَّلًا وحَقِيقَةً مُحَمَّدِيَّة، وحقَائِقُ سَائِرِ الموْجُوداتِ الحَوَادِث كُلُّهَا أجْزَاءٌ وتفاصِيلٌ، فتِلْكَ الحَقِيقَةُ والتَّجَلِّيَاتُ التِي وقَعَتْ بِصُوَرِها فِي الغَيْبِ إنَّما نَشَأَتْ وانْبَعَثَتْ مِنَ التَّجَلِّي بِصُوَرِ تِلكَ الحَقَائِقِ والصُّورَةُ الوُجودِيَّةُ لِتِلْكَ الحقِيقَةِ أَوَّلًا فِي مَرْتَبَةِ الأَرْوَاحِ كانَتْ جوْهَرًا مُجَرَّدًا عبَّرَ عنهُ الشَّارِعُ ﷺ تارَةً بالْعَقْلِ وتَارَةً بالقَلَمِ وتارَةً بالنُّورِ وتارَةً بالرُّوحِ، حَيْثُ قالَ ﷺ: ((**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْل**))[4] و ((**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم**))[5] و ((**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوحِي أَوْ نُورِي**))[6] واخْتلافُ العبَارَاتِ رُتبِيّ، إذْ مرْتَبَةُ الأَوَّلِيَّة حَقِيقَةٌ لَا تَصْلُحُ لِغَيْر شَيْءٍ واحِدٍ، والصُّورَةُ الوُجودِيَّة لِتِلكَ الحقِيقَةِ مرْتَبَةٌ بعْدَ مَرْتَبَةٍ حتَّى انْتَقَلَتْ إلَى الصُّورةِ الجِسْمِيَّةِ العُنْصُرِيَّة الإِنْسَانِيَّة التِي أَوَّلُ أفْرَادهَا آدَمُ فهُوَ وسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ مَا لم يَظْهَرُوا بصُورَةٍ جسْمِيَّةٍ عُنْصُرِيَّة في الشَّهادَةِ لم يُوصَفُوا بالنُّبُوءةِ، بِخِلَافِ نبِيِّنَا ﷺ فإنَّهُ لما وُجِدَ بِوُجودٍ رُوحَانِيّ [72و] بَشَّرَهُ وأعْلَمَهُ بالنُّبُوءَةِ بالفِعْلِ، وفِي كُلِّ الشَّرَائِعِ أَعْطَى الحُكْمَ لهُ لَكِنْ بأَيْدِي الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ الذِينَ كانُوا نُوَّابَهُ، فإنَّ ثبوتَ النُّبُوءَةِ لَيْسَ إلَّا بِاعْتِبَارِ شَرْعٍ مُقَرَّرٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فجَمِيعُ الشَّرائِعِ شرِيعَةٌ إلى الْخَلْقِ بِأَيْدِي نُوَّابِهِ، ولَمَّا ظَهَرَ بالوُجُودِ الجِسْمَانِيّ العُنْصُرِيّ نَسَخَ تِلْكَ الشَّرائِعَ التِي كانَ اقْتَضَاهَا بِحَسَبِ

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 1/18-19، بِتصرُّف.

(2) (م، س)، 1/19.

(3) الدرر المنتثرة، السيوطي، حديث (331)، وقال: لا أصل له بهذا اللفظ.

(4) سبق تخريجه: مشكاة المصابِيح، التبرِيزِي، حدِيث (5064)، وقال الألبانِي محقِّقُ الكتَابِ: موضوع، وشعب الإيمان، البيْهَقِي، حدِيث (4313).

(5) سبق تخريجه: سنن الترمذِي، حدِيث (2155) و(3319)، ومسند أحمد، حدِيث (22707).

(6) لم أقف عليه بلفظِهِ.

الباطِنِ، فإنَّ اخْتِلافَ الأُمَمِ فِي الاسْتِعْدادَاتِ والقَابِلِيَّاتِ مُقْتَضٍ لِاخْتِلافِ الشَّرائِعِ[1]. وقِيلَ: أَوَّلُ ما خُلِقَ مِنَ الأَجْسَامِ طِينَتُهُ ﷺ.

وفي "فُصُوصِ الحِكَمِ"[2] وَ"شَرْحِهِ"[3]: ما كَانَ مِنْ نَبِيءٍ يأْخُذُ شَيْئًا مِنَ الكَمَالاتِ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتِمِ النَّبِيئِينَ، وإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُم وجُودُ طِينَتِهِ إِذْ لَا تَعَلُّقَ لمشْكَاتِهِ بوُجُودِهِ الطِّينِيّ فَإِنَّهُ بِحَقِيقَتِهِ مَوْجُودٌ[4] قَبْلَهُمْ؛ لِأَنَّه أبُو الأَرْوَاحِ كمَا أَنَّ آدَمَ أبُو الأَشْبَاحِ[5].

فهَذَا ظاهِرٌ في تَأَخُّرِ طِينَتِهِ، ولَعَلَّهُ أرادَ بِتأَخُّرِ طِينَتِهِ تأخُّرها بالوُجودِ الصُّورِيّ لَه ﷺ ونُورُهُ ﷺ قبْلَ كُلِّ مخْلُوقٍ.

وكانَ فِي فضَاءِ عَالم القُدْسِ فتَارَةً يأْمُرُهُ بالسُّجودِ وتَارَةً يأْمُرُه بالتَّسبِيحِ والتَّقْدِيسِ وخَلَقَ لهُ حُجُبًا وأقَامَهُ في كُلِّ حِجَابٍ مُدَّةً مَدِيدَةً يُسبِّحُ اللهَ تعَالَى فِيهَا بتَسْبِيحٍ خَاصٍّ، وَلعَلَّ هَذِهِ الحُجُبَ كنَايَةٌ عن عَدَمِ وجُودِ سِوَاهُ مِنَ المخْلُوقاتِ؛ لأَنَّ الفَرْضَ أَنَّهُ خُلِقَ قَبْلَ كُلِّ خَلْقٍ، وبعْدَ مَا خرَجَ مِنَ الحُجُبِ تَنَفَّسَ بأَنْفَاسٍ فخُلِقَ مِنْ أَنْفاسِهِ أَرْوَاحُ الأَنْبِئَاءِ والأَوْلِيَاءِ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وسائِرِ المؤْمِنِين والملَائِكَةِ، كمَا رُوِيَ عنْ جابِرِ بنِ عبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيّ أَنَّهُ قَالَ: ((**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ قالَ: هُوَ نُورُ نَبِيئِكَ يا جَابِر خلَقَهُ ثُمَّ خلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، وخَلَقَ بعْدَهُ كُلَّ شَيْءٍ وحِينَ خَلَقَهُ أَقَامَهُ قُدَّامَهُ فِي مقَامِ القُرْبِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، خلَقَ العَرْشَ مِنْ قِسْمٍ والكُرْسِيَّ منْ قِسْمٍ وحَمَلَةَ العَرْشِ وخَزَنَةَ الكُرْسِيّ مِنْ قِسْمٍ، وأَقامَ القِسْمَ الرَّابعَ فِي مقامِ الحُبِّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ فخَلَقَ الخَلْقَ مِنْ قِسْمٍ واللَّوْحَ منْ قِسْمٍ والجَنَّة مِنْ قِسْمٍ، وأَقَامَ القِسْمَ الرَّابعَ فِي مقَامِ الخَوْفِ اثْنَتَيْ عشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فخَلَقَ الملائكَةَ مِنْ جُزْءٍ والشَّمسَ مِنْ جُزْءٍ والقَمَرَ والكَوَاكبَ مِنْ جُزْءٍ وأَقَامَ الجُزْءَ الرَّابعَ في مقَامِ الرَّجاءِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فخَلَقَ العَقْلَ منْ جُزْءٍ والحِلْمَ والعِلْمَ** [72ظ] **مِنْ جُزْءٍ والعِصْمَةَ والتَّوفِيقَ مِنْ جُزْءٍ، وأقامَ الجُزْءَ الرَّابعَ مقَامَ الحيَاءِ اثْنَيْ عشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ نَظَرَ اللهُ سبحَانَه وتعَالَى عنْ صِفَاتِ الخَلْقِ، أيْ: أَظْهَرَ لَهُ ما شَاءَ فتَرَشَّحَ عرَقًا، فقَطَرَتْ مِنْهُ مِئةُ أَلْفٍ وعشرُونَ أَلْفًا وأَرْبَعةُ آلَافِ قَطْرَة مِنْ نورٍ فخَلَقَ اللهُ سبحَانَهُ وتعَالَى مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ رُوحَ نَبِيءٍ أَوْ رَسُولٍ ثُمَّ تَنَفَّسَتْ أَرْوَاحُ الأَنْبِئَاءِ فخَلَقَ اللهُ منْ أَنْفَاسِهِم أَنْوَارَ الأَوْلِيَاءِ والسُّعَداءِ والشُّهدَاءِ**

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 19/1.

(2) فصوص الحكم: لـ: محيي الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ المعروف بابن عربي الطَّائي، ت:638هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1261/2.

(3) من شروح فصوصِ الحِكَمِ: شرح الجامِي الملَّا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الملقب بنور الدِّين، ت: 898هـ، ينظر ص103 منه.

(4) فصوص الحكم، ابن عربي، ص63.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 19/1.

والمطِيعِينَ مِنَ المؤْمِنينَ إلَى يَوْمِ القِيامةِ، فالعَرْشُ والكُرْسِيّ مِنْ نُورِي، والكَرُوبِيُّونَ مِنْ نُورِي، والرّوحَانِيُّون منَ الملائِكَةِ مِنْ نُوري، وملَائِكَةُ السَّماوَاتِ السَّبْعِ مِنْ نُورِي، والجَنَّةُ ومَا فِيهَا مِنَ النَّعيمِ مِنْ نُورِي، والشَّمْسُ والقَمَرُ والكَوَاكِبُ مِنْ نُورِي، والعَقْلُ والعِلْمُ والتَّوْفِيقُ مِنْ نورِي، وأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ مِنْ نُورِي، والشُّهَدَاءُ والصَّالحُونَ مِنْ نَتَائِجِ نُورِي، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ سبحَانَهُ وتَعَالَى اثْنَيْ عَشَرَ حِجَابًا، فأَقَامَ النُّور وهُو الجُزْءُ الرَّابِعُ في كُلِّ حجَابٍ أَلْفَ سَنَةٍ، وهِيَ مَقَامَاتُ العُبُودِيَّةِ، وهِيَ حِجَابُ الكَرَامَةِ والسَّعادَةِ والهَيْبَةِ والرَّحْمَةِ والرَّأْفَةِ والحِلْمِ والعِلْمِ والوَقَارِ والسَّكِينةِ والصَّبْرِ والصِّدْقِ واليقِينِ، فعَبَدَ اللهَ ذلكَ النُّورُ فِي كُلِّ حِجابٍ أَلْفَ سَنَةٍ، ولَمَّا خَرَجَ النُّورُ مِنْ الحُجُبِ رَكَّبَهُ اللهُ في الأَرْضِ وكَان يُضِيءُ منهُ ما بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ كالسِّراجِ في اللَّيْلِ المظْلِمِ، ثُمَّ خَلَق اللهُ آدمَ فِي الأَرْضِ ورَكَّبَ فيهِ النُّورَ فِي جَبِينِهِ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى شِيتَ ومِنهُ إِلَى يانِش وهكَذَا مِنْ طَاهِرٍ إِلَى طَيِّبٍ إِلَى أَنْ أَوْصَلَهُ اللهُ إِلَى صُلْبِ عبد اللهِ بن عَبْدِ المطَّلِب، ومِنْه إِلَى رَحِمِ آمنة بنت وَهب ثُمَّ أَخْرَجَنِي إِلَى الدُّنيَا فجَعَلَنِي سَيِّد المرْسَلِين وخَاتِمَ النَّبِيئِينَ ورَحْمَةً لِلْعَالمينَ وقَائِدَ الغُرِّ المحَجَّلينَ، هكَذَا بَدْءُ خَلْقِ نَبِيئِكَ يَا جَابِر))[1].

وأَخْرَجَ مسلِم مِنْ حدِيثِ عبدِ اللهِ بنِ عمْرو عنِ النَّبِيءِ ﷺ: **((إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكان عَرْشُهُ عَلَى الماءِ))** ومِنْ جُمْلَةِ ما كُتِبَ في الذِّكْرِ، وهُوَ أُمُّ الكتَابِ، أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتِمُ النَّبِيئِينَ[2].

وعَنِ العربَاضِ بنِ سارِية عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: **((إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَخَاتمُ النَّبِيئِينَ، وَإِنَّ آدَمَ لمنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي، أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ))** رواهُ أَحْمَد والبَيْهَقِي والحَاكِم، وصَحَّحَهُ[3].

وأَمَّا ما اشْتهرَ علَى الأَلْسِنَةِ مِنْ لَفْظِ: **((كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الماءِ وَالطِّينِ))** فقَالَ أبو الخير السَّخَاوِيّ[4]: لم أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ[5].

ومَعْنَى انْجِدالِهِ [73و] في الطِّينَةِ كَوْنُهُ طِينًا مُلْقًى علَى الأَرْضِ لم يُنْفَخْ فِيهِ الرُّوحُ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 1/19-20. لم أقف عليهِ في كتب الحدِيثِ.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (2653).

(3) مسند أحمد، حدِيث (17150) والمستدرك، حدِيث (4175) ورد بلفظٍ قرِيبٍ فِيهما، ودلائل النبوة، البيهقِي، 1/80.

(4) أبو الخير السخاوِي: محمد بن عبد الرحمن فقيه، مقرئ محدث، مؤرخ، أصله من سخا من قرى مصر، وولد بالقاهرة وتوفي بالمدينة سنة907هـ، من تآليفه الكثيرة : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 3/399.

(5) المقاصِد الحسنَة، السخاوِي، ص327.

وعَنْ ميسرة الضَّبِّي قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ متَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: ((**وَآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**)) هذا لَفْظُ أحمَد والبُخَارِي في "تَارِيخِهِ"، وأَبِي نعيم فِي "الْحِلْيَة" وصَحَّحَه الحَاكِمُ[1].

ورواهُ ابنُ رَجَب: مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ منَ الكِتَابَة، قالَ: ((**كُتِبْتُ وآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ**))[2].

وحَاصِلُ هَذِه الرِّوايَةِ ورِوَايَةِ العِرْباضِ ثُبُوتُ نُبُوءَتِهِ ووُجُوبُهَا وظُهُورُهَا في الخَارِجِ، قال اللهُ جلَّ وعلَا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[3] وقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[4][5].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة قالوا: يا رَسُولَ اللهِ متَى وَجَبَتْ لكَ النُّبُوءَةُ؟ قالَ: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**)) روَاهُ التّرمذي وحَسَّنهُ[6].

وفي جُزْءٍ مِنْ "أَمَالِي ابنِ سَهْلِ القَطَّانِ[7]"[8] عنْ سهل بنِ صالح الهمداني[9] قالَ: سأَلْتُ أبَا جعْفَر مُحَمَّد بنَ علِيّ[10]: كيْفَ كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يتَقَدَّمُ الأَنْبِيَاءَ وهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ؟ قالَ: إنَّ اللهَ تعالَى لمّا أَخَذَ مِنْ بنِي آدَمَ منْ ظُهورِهِم ذرِّيَّاتِهِمْ، وأَشْهَدَهُم علَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ برَبِّكُم؟ قَالَ محَمَّدٌ ﷺ: بلَى قَبْلَهُم، فلِذَا صَارَ مُقَدَّمَ الأَنْبِيَاءِ، وهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ[11].

وإنْ قِيلَ إنَّ النُّبُوءَةَ وَصْفٌ لا بُدَّ أنْ يكُونَ الموْصُوفُ بِهِ مَوْجودًا، وإنَّما يكُونُ بعْدَ بُلُوغِ الأَرْبَعِين سَنَةً، فكَيْفَ يُوصَفُ بِهِ قبْلَ وجُودِهِ؟ فقَدْ أجَابَ الغَزَّالِي فِي هذَا وفِي قَوْلِه ﷺ: ((**أَنَا أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ خَلْقًا وآخِرُهُمْ بَعْثًا**)) بأَنَّ المرادَ هُنا التَّقْدِيرُ دونُ الإيجادِ، فإنَّ الغايَاتِ والكَمَالاتِ موْجُودَةٌ سابِقَةٌ في التَّقدِيرِ، لاحِقَةٌ في الوُجودِ، وهُو مَعْنَى قوْلِهِمْ: أَوَّلُ الفِكْرَةِ آخرُ العَمَلِ وآخِرُ العمَلِ أَوَّلُ الفِكْرَة،

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (20596)، والتاريخ الكبِير، 374/7، وحلية الأولياء، أبو نعِيم، 53/9، والمستدرك، الحاكِم، حدِيث (4209).

(2) مسند أحمد، حديث (20596). وتاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1.

(3) سورة البقرة: 183.

(4) سورة المجادلة: 21.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1، بتصرف.

(6) سنن الترمذِي، حدِيث (3609).

(7) هو أبو سهل القطان وليس ابن سهل.

أبو سهل القطان: أحمد بن محمد بن عبد الله، البغدادِيّ المحدث الثقة، سمع إسماعيل القاضِي ومحمد بن عيسى المدائِني، وسمع منه الدارقطنِي، وابن مندة والحاكم، ت:350هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 521/15.

(8) أمالي ابن سهل القطان: أمالي أبو سهل القطان، منه نسخة بالظاهرية، 165 [مجموع 34]، الرقم التسلسلي في الفهرس: 1334. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامِي، ص241.

(9) سهل بن صالح الهمدانِي: من أصحاب الإمام الصادق. معجم رجال الحدِيث، الخوئِي، 371/9. لم أجد له ذكرا في كتب الرجال.

(10) أبو جعْفَر مُحَمَّد بنَ علِيّ: ولد سنة 56 في حياة عائشة وأبي هريرة، حدث عنه ابنه والأعرج والزهرِي، اشتهر بالباقر من بقر العلم أي شقه، ت:114هـ بالمدينة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 401/4.

(11) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1.

فالمهَنْدِس المقَدِّرُ للدَّارِ أَوَّلُ ما يَمْثُلُ في نَفْسِهِ صورَةُ الدَّار، ثُمَّ يُقَدِّرُ ما يَمْثُلُ فتَحْصُلُ في تَقْدِيرِهِ دارٌ كامِلَةٌ، وآخِرُ ما يُوجَدُ مِنْ أعْمَالِهِ هِيَ الدَّارُ الكامِلَةُ، فالدَّارُ الكامِلَةُ هيَ أَوَّلُ الأَشْيَاءِ في حَقِّهِ تقْدِيرًا، وآخِرُها وُجُودًا؛ لأَنَّ ما قَبْلَهَا مِنْ ضَرْبِ اللَّبنَاتِ وبِناءِ الحِيطَانِ وتَرْكِيبِ الجُذُوعِ وسِيلَةٌ إلى غَايةٍ وكَمَالٍ، فالغَايَةُ هيَ الدَّارُ ولأَجْلِهَا تُقَدَّمُ الآلاتُ والأَعْمالُ[1].

قُلْتُ: تعالَى اللهُ عن التَّفكُّرِ؛ لِأَنَّ المتفَكِّرَ جاهِلٌ، تعالى اللهُ عن الجَهْلِ، وعِلْمُهُ أَزَلِيّ لاَ أَوَّلَ لَهُ، وإنَّما الحَقُّ أن يُقالَ: أرادَ بالتَّقْدِيرِ إظْهَارَ الشَّيْءِ خارِجًا بِخَلْقِهِ إيَّاهُ كالنُّورِ والطِّينِ.

قال: وأَمَّا قَوْلُهُ: ((**كُنْتُ نَبِيئًا**)) فإنَّهُ كان نبِيئًا في التَّقْدِيرِ، قَبْلَ خلْقَةِ آدمَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ لِأَنَّهُ لم يُنشِئْ خلْقَ آدَمَ إلَّا لِيَنْتَزِعَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مُحَمَّد ﷺ ويسْتَصْفِيهُ تدْرِيجًا إلَى أَنْ يَبْلُغَ كَمَالَ الصَّفَاءِ[2].

وعَن كعب الأحبار: [73ظ] لمّا أرادَ اللهُ أن يَخْلُقَ مُحَمَّدًا ﷺ أمَرَ جِبْرِيلَ فأَتاهُ بالقَبْضَةِ البيضَاءِ التِي هِيَ موْضِعُ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فعُجِنَتْ بماءِ التَّسنِيمِ، ثُمَّ غُمِستْ في أنهَارِ الجنَّةِ وطِيفَ بها في السَّماوَاتِ والأرضِ فعَرَفَتْهُ ﷺ الملائكةُ والحوتُ وغيرُ ذلكَ، والسَّماواتُ والأرضُ وغَيرُ ذلكَ، قبْلَ أن تَعْرِفَ آدمَ عليه السلام ثُمَّ عجَنَها بطِينَةِ آدَمَ[3].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ عن النَّبِيءِ ﷺ أنَّهُ قالَ: ((**كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَي اللهِ قبْلَ أنْ يَخْلُقَ اللهُ عزَّ وجَلَّ آدمَ بِأَلْفَيْ عامٍ، يُسَبِّحُ ذلكَ النُّورُ، وتُسَبِّحُ الملائِكَةُ بتَسْبِيحِهِ، ولَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ ألقَى ذلكَ النُّورَ في صُلْبِهِ، قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((فأَهْبَطَنِي اللهُ إلَى الأَرْضِ في صُلْبِ آدمَ، وجَعَلَنِي في صُلبِ نُوحٍ في السَّفِينَةِ، وقَذَفَ بِي في النَّارِ فِي صلْبِ إبْرَاهِيمَ، ثُمَّ لم يَزَلْ ينقُلُنِي منْ الأَصْلابِ الكَرِيمةِ والأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أخْرَجَنِي مِنْ أَبَوَيَّ لم يَلْتَقِيَا علَى سِفاحٍ قَطُّ**))[4].

وما تَقَدَّم مِنْ تقَدُّمِ وجُودِهِ قَبْلَ سائرِ الخلْقِ بأُلُوفِ سنَةٍ إنَّمَا هُوَ تقْدِيرٌ بأَمْثَالِ السِّنِينَ، وإلَّا فلَا شَمْسَ ولا قَمَرَ. قال الشَّاعِرُ:

أَلَا بِأَبِي مَنْ كَانَ مَلْكًا وَسَيِّدا ... وآدمُ بيْنَ الماءِ والطِّينِ وَاقِفُ
فَذَاكَ الرَّسُولُ الأَبطَحِيُّ مُحَمَّدٌ ... لَهُ فِي العُلَا مَجْدٌ تَلِيدٌ وَطَارِفُ
أَتَى بِزَمَانِ السَّعْدِ فِي آخِرِ المدَى ... وكَانَ لهُ في كلِّ عَصْرٍ مَوَاقِفُ
إِذَا رَامَ أَمْرًا لَا يَكُونُ خَلَافُهُ ... وَلَيْسَ لِذَاكَ الْأَمْرِ فِي الْكَوْنِ صَارِفُ[5]

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1-21، عن الغزالي في كتاب النفخ والتسوِيَة.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 21/1، عن الغزالي في كتاب النفخ والتسوِيَة.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 21/1.

(4) المطالب العالية، ابنُ حجر، حدِيث (4209).

(5) الأبيات من الطوِيل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 56/1، دون نسبة. وهِي لابن عربِي، الفتوحات المكِّيَّة، 330/2.

وما تَقَدَّمَ عن الغزّالي آنفًا مخالِفٌ لما مَرَّ مِنْ أنَّ أوَّلَ الخَلْقِ على الإطلاقِ نورُهُ ﷺ.

قال السُّبْكِي: قدْ جاءَ أنَّ اللهَ خلقَ الأرواحَ قبْلَ الأجسادِ، فقدْ تكُون الإشارةُ بقَوْلِهِ: ((**كُنْتُ نَبِيئًا**)) إلى رُوحِهِ المشَرَّفَةِ أوْ إلَى حَقِيقَةٍ مِن الحقائقِ، والحقائقُ تَقْصُرُ عقولُنا عن مَعْرِفَتِها، وإنَّما يعْلَمُها خالقُها ومَنْ أمَدَّه اللهُ بنُورٍ إلَاهِيٍّ في الفَضْل والإجْلالِ والتَّكريمِ وغيْرِ ذلِكَ، ثُمَّ إنَّ تلكَ الحقائِقَ يُؤْتِي اللهُ كلَّ حقيقَةٍ منْهَا ما يشاءُ في الوَقْتِ الذي يشَاءُ، فحقِيقةُ النَّبِيءِ ﷺ قدْ تكونُ مِنْ قَبْلِ خلْقِ آدَمَ أتَاهَا اللهُ ذلكَ الوَصْفَ بأن يكونَ خلَقهَا متَهَيِّأَةً لذلكَ وأفاضَهُ عليْهَا منْ ذلكَ الوَقْتِ فصَارَ نَبِيئًا، وكَتَبَ اسمَهُ على العَرْشِ وغَيْرِه، وأخْبَرَ عنهُ بالرِّسالَةِ لِيَعلَمَ مَلائِكَتُهُ وغيْرُهُم كرَامَتَه عِنْدَهُ[1].

فكُلُّ ما أَظْهَرَ مِن شأْنِهِ مِمَّا ذُكِرَ وَنَحوهُ اتِّصافهُ بِهِ هُو كونه نَبِيئًا قبْلَ كذَا، ولَيْسَ المرَادُ بكَوْنِهِ نَبِيئًا قبْلَ كذَا علم الله بأَنَّه سيَكُونُ نَبِيئًا لِأَنَّه لَا خُصُوصِيَّة لهُ بهَذَا، فإِنَّ جَمِيعَ الخَلْقِ كذَلِكَ.

وعن الشّعبي: قال رَجُلٌ: يا رسُولَ اللهِ متَى اسْتُنْبِئْتَ؟ قال: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، حِينَ أُخِذَ مِنِّي الميثَاقُ**)) رَواهُ ابنُ سعد[2].

فهذَا يَدُلُّ على أَنَّه مِنْ حينِ صُوِّرَ آدمُ طِينا استُخْرِجَ منْه مُحَمّدٌ ﷺ ونُبِّئَ وأُخِذَ منْهُ الميثَاقُ، ثمَّ أُعِيدَ إلى ظَهْرِ آدمَ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتَ خُروجِهِ[3]. وهذا يدُلُّ على أنَّهُ [74و] استُخْرِجَ ونُبِّئ قبْلَ نفْخِ الرُّوحِ في آدَمَ.

وأَكْثَرُ الأحَادِيثِ دَلَّتْ على أنَّ استِخْراجَ الذُّرِّيَّةِ بعْدَ نَفْخِ الرُّوح فِيهِ، أجَابَ بَعضٌ بأنَّهُ ﷺ خُصَّ باستِخْراجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدمَ قبْلَ نفْخِ الرُّوحِ؛ لأَنَّه ﷺ هُوَ المقصُودُ مِنَ النَّوعِ الإِنْسَانِي[4].

وهُو فِي النَّوعِ كالدُّرَّة اليَتِيمةِ في وَسَطِ العِقْدِ، ثُمَّ إنَّ كونَهُ نَبِيئًا وَقتَ كذا لا يُنافِي كوْنَهُ نَبِيئًا قَبْلَهُ، إذْ لَا حَصْرَ ولَوْ وَقَعَ جَوابَ سُؤَالٍ.

وأيْضًا لَعَلَّهُ تَمْثِيلٌ بما يَسْهُلُ فهْمُهُ، ولَمَّا خاطَبَ اللهُ جَلَّ وعلا السَّماءَ والأَرْضَ بقوْلِهِ: ﴿**إِيتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا**﴾[5] كانَ أَوّل ما أجَابَ بالطَّوْعِ موْضِعُ الكَعْبَةِ منَ الأَرْضِ ومَا يُحادِيها مِنَ السَّماءِ. وقدْ قال ابْنُ عبَّاسٍ: أَصْلُ طِينةِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُرَّة الأَرْضِ بِمَكَّةَ، فقِيلَ: هذا يُشْعِرُ بأنَّ ما أجابَ مِنَ الأَرْضِ طِينةُ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَوْضِعِ الكعْبَةِ ومِنْ موْضِعِهَا دُحِيَت الأَرْضُ، فرسُولُ اللهِ ﷺ هو

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 63/1.

(2) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 123/1.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 65/1.

(4) (م، س)، 66/1.

(5) سورة فصلت: 11.

الأصْلُ في التَّكوينِ والكائِناتِ، والكائِناتُ تَبَعٌ لَهُ، وقدْ قِيلَ لذلِكَ سُمِّيَ أُمِّيًّا [لأنَّ] مَكَّةَ أُمُّ القُرَى وطِينَتُهُ أُمُّ الخلِيقَةِ[1]. وقَدْ تقَدَّمَ أَنَّ الماءَ ذَهَبَ بتُرْبَتِهِ مِنْ أرضِ الكَعْبَةِ إلى مَدْفَنِهِ بالمدِينةِ.

وفِي "المَوْلِدِ الشَّرِيفِ"[2] لابْنِ طُغْرِيد[3]: لمّا خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السلام أَلْهَمَهُ أن قَالَ: يَا رَبّ، لِمَ كَنَّيْتَنِي أبَا مُحَمَّد؟ فقالَ اللهُ تعالى: يا آدمُ ارْفَعْ رأْسَكَ. فرَفَعَ رأْسَهُ فرأَى نُورَ مُحَمَّدٍ في سُرادِقِ العَرْشِ. فقالَ: يا رَبّ ما هَذَا النُّورُ؟ قال: هذَا نُورُ نَبِيءٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّماءِ أَحْمَد وفِي الأرْضِ مُحَمَّد، لوْلَاهُ ما خَلَقْتُكَ ولَا خَلَقْتُ سَمَاءً ولَا أَرْضًا[4].

ويشْهَدُ لَهَا ما رَوَاهُ الحاكِمُ: أنَّ آدمَ عليه السلام رأَى اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مكْتُوبًا علَى العَرْشِ وأَنَّ اللهَ جلَّ وعلَا قالَ لِآدمَ: لَوْلَاهُ ما خَلَقْتُكَ[5]. ولله دَرُّ القائِلِ:

وكَانَ لَدَى الْفِرْدَوْسِ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَأَثْوَابُ شَمْلِ الأُنْسِ محْكَمَةُ السَّدَى
يُشَاهِدُ فِي عَدْنٍ ضِيَاءً مُشَعْشَعًا ... يَزِيدُ عَلَى الْأَنْوَارِ فِي الضَّوْءِ وَالْهُدَى
فقالَ: إلَهِي مَا الضِّيَاءُ الذِي أَرَى؟ ... جنُودُ السَّمَا تَعْشُو إِلَيْهِ تَرَدُّدَا
فَقَالَ: نَبِيءٌ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْخَيْرِ رَاحَ أَوِ اغْتَدَى
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكَ سَيِّدًا ... وَأَلْبَسْتُهُ قَبْلَ النَّبِيّينَ سُودَدا[6]

وظَاهِرُ ذلِكَ وسَائِر الأحَاديثِ والآياتِ تَعْلِيل أفْعالِ اللهِ بالأَغْرَاضِ، والجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ تَعْلِيلٌ بالمصَالِحِ لا عِلَل بوَاعِث لَهُ تعالى، لأَنَّه تعالى غَنِيٌّ علَى الإطْلاقِ، لا يَسْتَكْمِلُ بِشَيْءٍ، وقادِرٌ علَى إيصَالِ المنْفَعَة إلَى غَيْر بلَا واسِطَة عَمَلِ عامِلٍ[7].

ورَوَى عبد الرّزّاق عنْ جابر بنِ عبْدِ اللهِ الأنصَارِي: قلْتُ يا رسولَ اللهِ بأبِي أنْتَ وأُمِّي أخْبِرْنِي عنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خلَقَهُ اللهُ تعالَى قبْلَ الأشْيَاءِ، قال: ((**يا جَابِر إِنَّ اللهَ تعالَى خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيئِكَ فجَعَلَ ذلِكَ النُّورَ بالقُدْرَةِ يدُورُ حَيْثُ شاءَ اللهُ تعالَى، ولَمْ يكُنْ فِي ذلِكَ الوَقْتِ لَوْحٌ ولَا قَلَمٌ، ولا جَنَّةٌ ولا نَارٌ ولا مَلَكٌ ولا سَماءٌ ولَا أَرْضٌ ولا شَمْسٌ ولَا قَمَرٌ ولا جِنِيٌّ ولا إِنْسِيٌّ، ولَمَّا**

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 69/1.

(2) عنوان الكتاب كاملاً: الدر النظِيم في مولد النبي الكريم. إيضاح المكنون، الباباني، 454/1.

(3) فِي المواهب اللدنية: ابن طغر بك.

عمر بن طغرو بك: سيف الدين أبو جعفر عمر بن أيوب بن عمر الدمشقي التركي، ت:670هـ. من آثاره: الدر النظِيم في مولد النبي الكريم. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 2/ 555.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 70/1.

(5) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4228).

(6) الأبيات من الطوِيل. المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 70/1 دون نسبة، وينظر: مصباح الظلام، المراكشِي، ص31، وقد نسبها لصالح بن الحسين الشافعِي.

(7) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 71/1، بتصرف.

أَرَادَ اللهُ أنْ يَخْلُق الخَلْقَ قَسَّمَ ذلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ القَلَمَ، ومنَ الثَّانِي اللَّوحَ، ومنَ الثَّالثِ العَرْشَ، ثُمَّ قَسَّم الجُزْءَ الرَّابعَ [74ظ] **أرْبَعَةَ أجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ حمَلَةَ العَرْشِ، ومِنَ الثَّانِي الكُرْسِيّ، ومِنَ الثَّالِثِ باقِي الملَائِكَةِ، ثُمَّ قَسَّم الجُزْءَ الرَّابعَ أرْبَعَةَ أجْزَاءٍ فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّماواتِ ومن الثَّانِي الأَرْضِينَ ومِنَ الثَّالثِ الجَنَّة والنَّارَ، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابعَ أرْبَعَةَ أجْزاءٍ فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نورَ أبْصَارِ المؤْمِنينَ ومِنَ الثَّانِي نورَ قلُوبِهِمْ، وهِيَ المعْرِفَةُ باللهِ تعَالَى، ومنَ الثَّالِثِ نُورَ أُنْسِهِمْ وهُوَ التَّوحيدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ))**[1] الحَديث، واللهُ أَعْلَمُ.

الفَصلُ الرَّابع: [أَوّلُ الخَلْقِ بَعْثًا مِنْ قَبْرٍ]

في رِوايَة مسلِم أنَّه ﷺ قال:((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ**))[2] وهو ﷺ أَوَّلُ مَن يفِيقُ مِنَ الصَّعقَةِ، قال ﷺ: ((**أَنَا أَوَّل مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَقَامَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**))[3] رَوَاه البخاري مِن حديثِ أبي هريرة، أيْ: لم يصْعَقْهُ اللهُ لأنَّهُ أصْعَقَه في الطُّورِ، والظَّاهِرُ أنَّهُ ﷺ لم يكُنْ عنْدَهُ عِلْمُ ذلكَ حتَّى أعْلَمَهُ اللهُ تعالى، فقَدْ أخْبَرَ عنْ نفْسِهِ الكَرِيمةِ أنَّهُ ﷺ أوَّلُ مَنْ تنْشَقُّ عنهُ الأَرْضُ[4].

ورُوِيَ أنَّه يُحشَرُ في سبعِينَ ألْفًا مِن الملائِكَةِ، روَى كعْبُ الأحْبَارِ: ما مِنْ فَجْرٍ يطْلُعُ إلَّا نَزَلَ سبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَحُفُّون بِقَبْرِهِ عليه السلام، يضرِبُونَ بأجْنِحَتِهِمْ حتَّى إذَا أَمْسُوا عرَجُوا وهَبَطَ سبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ، حَتَّى إذا انْشَقَّتْ عنهُ الأرضُ خرَجَ في سَبْعِينَ ألْفِ مَلَكٍ يُوَقِّرُونَهُ ﷺ[5].

وذكَرَ الطَّبرِي أنَّه يُحْشَرُ ﷺ راكِبَ البرَاقِ.

ويُكسَى في الموْقِفِ أعْظَمَ الحُلَلِ مِنَ الجنَّةِ، روَاهُ البيهقي، بلَفْظِ: ((**فأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الجَنَّةِ لا يقُومُ لهَا البَشَرُ**))[6] ورواهُ كعب بن مالِك بِلَفْظِ: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ يوْمَ القيَامَةِ فأكُونُ أنَا وأُمَّتِي علَى تَلٍّ ويَكْسُوني رَبِّي حُلَّةً خَضرَاءَ**))[7] رواه الطَّبرِيّ[8]، وهُوَ عندَ ابن أبي شيْبة بلَفْظِ: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ**

---

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 1/71-72. لم أجد الحدِيث في مصنف عبد الرزاق، وأشار محقِّق شرح المواهب اللدنية إلى أن هذا الحدِيثَ مروِيٌّ خطأ عن عبد الرزاق، فلم يجده في مصنفه ولا فِي جامعه ولا فِي تفسِيرِه. ينظر: شرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 1/89.

(2) لم أجده في صحيح مسلم، وهو في صحيح البخارِي، حدِيث (2412).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (4813) و(3398).

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 2/698.

(5) نقلا من الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص223.

(6) الأسماء والصفات، البيهقِي، 2/276.

(7) المستدرك، الحاكم، حدِيث (3383).

(8) فِي المواهب اللدنية: البخارِي.

علَى تَلٍّ وأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ))[1][2].

وعنْدَ الطَّبرِي مِنْ حديثِ ابن عمر: ((**فيَرْقَى هُوَ، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، وأُمَّتَهُ على كُومٍ فَوْقَ النَّاسِ**))[3][4].

وعنْ أَبِي هُرَيرَةَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ بِسُوقِ المدِينَةِ: وَالذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَدَهُ فَلَطَمَهُ، قَالَ: تَقُولُ هَذَا وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ((**قَالَ اللَّهُ ﷻ:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾[5] فقالَ: ((**قالَ اللهُ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ ﷻ، وَمَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**)) ذَكَرَهُ مسْلِم وابن ماجة والتّرمِذِي وصَحَّحهُ[6].

وفِي رِوايَة: ((**يصْعَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ** [75و] **الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**))[7]. أيْ: بُعِثَ قبْلَ الأنبِيَاءِ قَدْرَ صَعْقَتِهِ عندَمَا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ.

وفي حدِيثٍ طويلٍ عن أبي هُرَيْرَةَ عنهُ ﷺ: ((**ثُمَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْكُمْ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ فَتَخْرُجُونَ مِنْهَا شَبَابًا كُلُّكُمْ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وَاللِّسَانُ يَوْمَئِذٍ بِالسّرْيَانِيَّة**))[8].

وعَن نافِع عن ابن عمر عنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَأَجْلِسُ جَالِسًا فِي قَبْرِي فَيفْتحُ لِي بَابًا إِلَى السَّمَاءِ بِحِيَالِ رَأْسِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الْعَرْشِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لِي بَابًا مِنْ تَحْتِي حَتَّى أنظرَ إلى الأَرْضِ السَّابِعَةِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الثَّرَى، ثُمَّ يفْتَحُ لِي بَابٌ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنَازِلِ أَصْحَابِي، وَإِنَّ الأَرْضَ تَحَرَّكَتْ تَحْتِي، فَقُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ أَيَّتُهَا الأَرْضُ؟ قَالَتْ: إِنَّ**

---

(1) لم أجده في المصنف لابن أبِي شيبة. والرواية في المنهاج شرح صحيح مسلم للنووِي، عن ابن أبِي خيثمة، ص229، فلعله وقع تصحيف بين "خيثمة" و"شيبة".

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 699/2.

(3) جامع البيان، الطبرِي، 530/17.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 699/2-700.

(5) سورة الزمر: 68.

(6) سنن ابن ماجة، حدِيث (4274)، وسنن الترمذِي، حدِيث (3245)، ولم أقفْ عليهِ فِي صحيح مسلِم.

(7) جزء من حدِيث، صحيح البخارِي، حدِيث (3398).

(8) التذكرة، القرطبِي، ص484. لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيثِ.

رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُلْقِيَ ما فِي جَوْفِي، وأَنْ أَتَخَلَّى، فَأَكُون كَمَا كُنْتُ إِذْ لَا شَيْءَ فِيَّ))[1].

والمسْتَثْنَى في قوْلِهِ تعالَى: ﴿**إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**﴾[2] الملَائِكَةُ أو الأَنْبِياءُ أَو الشُّهَدَاءُ، واختارَه الحليمي، قالَ: وهُوَ مرْوِيٌّ عن ابْنِ عبَّاسٍ؛ لأنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عنْدَ رَبِّهِمْ يرْزَقون، واختَارَ بعضُهُم أنَّ الكُلَّ مُحْتَمَل إذْ لم يَرِدْ فيهِم خَبَرٌ صحِيحٌ، ورَوَى أبو هريرة أنَّهُم الشُّهداءُ[3].

وكذا روَاه النَّحَّاسُ عن سَعيدِ بنِ جُبير، قال: هُم الشُّهداءُ يتقَلَّدُونَ السُّيوفَ حوْلَ العَرْشِ[4].

وعن الحَسَنِ: اسْتَثْنَى اللهُ طوَائفَ مِنْ أَهْلِ السَّماءِ يمُوتُونَ بيْنَ النَّفخَتَيْنِ. قالَ يحيَى بنُ سلَّام[5]: بلَغَني أنَّ آخِرَ مَنْ يبْقَى منْهُم جبْرِيلُ وميكائِيلُ وملَكُ الموْتِ[6].

واعْتُرِضَ بأَنَّ حَمَلَةَ العَرْشِ ليسُوا مِنْ سُكَّان السَّماواتِ والأَرْضِ؛ لأنَّ العَرْشَ فوْقَ السَّماوَاتِ، وجِبْرِيل وميكائِيل ومَلَك الموْتِ مِنَ المسَبِّحِينَ الصَّافِّينَ حَوْلَ العَرْشِ، فما هُمْ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ[7].

ويُجَابُ بأَنَّ المرادَ مَنْ فِي جِهةِ السَّماءِ، فشَملَ مَنْ عنْدَ العَرْشِ، وأيْضًا أَرْجُل الحَمَلَةِ وأجسَامُهُم خَرَقَت السَّماوَاتِ والأَرْضِينَ.

وقِيل: المستثنَى الحُورُ والوِلدَانُ، واعْتُرِضَ بأَنَّهمْ في الجَنَّة فوْقَ السَّماوَاتِ والأَرْضِ، وأُجِيبَ بأنَّ المرادَ في جِهَةِ السَّمَاءِ والأَرْضِ. وقِيلَ: موسَى، وفِيهِ أنَّهُ ماتَ، فكيْفَ يَمُوتُ عنْدَ النَّفْخِ؟[8]

وقالَ بَعْضٌ: الصَّعْقَة صعْقَةُ غَشْيٍ، لا مَوْتٍ، ويدُلُّ لهذَا حَدِيثُ الصَّعْقِ المذْكُور فِيهِ: ((**فلَا أَدْرِي أفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**))[9][10].

وقيلَ: المرَادُ الموْتُ أَوَّلَ يوْمِ القيَامَةِ، فيكُون المعنَى: فلَا أَدْرِي أبَعَثَهُ قَبْلِي أمْ كَانَ وَهْبَةً لَهُ وتَفْضِيلًا، كمَا فُضِّلَ بالتَّكلِيمِ. وفِيه: إنَّ الوارِدَ التَّرَدُّدُ، هلْ جُوزِيَ بصَعْقَةِ الطُّور؟[11]

---

(1) كتاب الديباج، الختلي، ص102. لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيثِ.

(2) سورة النمل: 87.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 621/4.

(4) معاني القرآن، النحاس، 194/6.

(5) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري، صاحب التفسير، روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري عن الحسن بن دينار وغيره، نزل المغرب وسكن أفريقية دهرا وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدمين مثله وكتابه الجامع، ت200هـ. غاية النهاية، ابن الجزرِي، 325/2.

(6) التذكرة، القرطبِي، ص456.

(7) (م، س)، ص457.

(8) (م، س)، ص457.

(9) سبق تخريجهُ: جزء من حدِيث، صحيح البخارِي، حدِيث (3398).

(10) التذكرة، القرطبِي، ص457.

(11) (م، س)، ص458.

وقالَ أَحْمد بن عُمر[1]: الحَدِيثُ يدُلُّ أنَّ ذلِكَ بعْدَ البَعْثِ[2]. فقِيلَ: إنَّ موسَى لم يَمُتْ، [75ظ] وهذا بَاطِلٌ لتَحَقُّقِ موْتِهِ.

وقال عِيَاض: المرادُ نَفْخَةُ فَزَعٍ بعْدَ النَّشرِ، حينَ تَنْشَقُّ السَّماوَاتُ، واعْتُرِضَ بأنَّهُ ﷺ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يرَى موسى متعلِّقا بالعَرْشِ، وإنَّما هذَا عنْدَ البَعْثِ[3].

وقِيل: إنَّ الأَنْبِيَاء والشُّهَدَاءَ أحيَاءٌ بعْدَ الموْتِ، ولا يُصْعَقُون بالنَّفْخِ فهُم المسْتَثْنَوْنَ، والنَّفْخُ نَفْخُ الموْتِ، لا نَفْخُ البَعْثِ، فالأحْيَاءُ يمُوتُونَ بالنّفْخِ، والأنْبِيَاءُ والشُّهداء أَحْيَاءٌ بعدَ مَوْتِهِم لا يمُوتُونَ بِنَفْخِ الموْتِ[4].

وقِيلَ: صعْقُ الأنْبِيَاءِ غَشْيَةٌ، فتَرَدَّد هلْ بُعِثَ موسَى قَبْلَهُ مِنْ غَشْيَتِهِ أو بَقِيَ علَى الحَالِ التي كانَ علَيْهَا قَبْلَ نفْخَةِ الصَّعْقِ مفِيقًا، ولا يَلْزَمُ مِنْ ذلكَ تفْضِيلُ موسَى ؛لِأَنَّ هذِهِ فَضِيلَةٌ مشْكوكٌ فيهَا، وأيْضًا هِي جُزْئِيَّةٌ لا تُوجِبُ التَّفضِيلَ المطْلَقَ[5].

الفَصْلُ الخَامِسُ: [المعْجِزَةُ]

المعْجِزةُ هِيَ الأمْرُ الخارقُ للْعَادَةِ المقْرُونُ بالتَّحدِّي الدَّالُ على صِدْقِ الأنبِيَاءِ عليهم السَّلامُ، سُمِّيَتْ معجِزَةً للْعَجْزِ عن الإتْيَانِ بمِثْلِهَا، فعُلِم أنَّ لَهَا شرُوطًا أحَدُها: أن تَكونَ علَى خِلافِ العادةِ، كانْشِقاقِ القَمَرِ وانْفِجَارِ الماءِ مِنْ بَيْنِ الأَصَابِعِ وقلْبِ العصَا حَيَّةً وإخْرَاج نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ، وإعْدَامِ جَبَلٍ، فخَرَجَ ما لم يُخَالِفْ العادَةَ كإخْراجِ الماءِ مِنَ الأَرْضِ والنَّارِ مِنَ الزِّنَادِ[6].

الثَّانِي: طلَبُ المعَارَضَةِ والمقَابَلَة. قال الجوهري: يُقَال تَحَدَّيتُ فلانًا إذَا بارَيْتُهُ فِي فِعْلٍ ونَازَعْتُهُ لِلْغَلَبَة[7]. وفي "القَاموسِ" نَحْوُهُ، وفِي "الأَسَاسِ" مِنَ المجَازِ: تَحَدَّى أَقْرَانَهُ إذَا بَاراهُمْ ونازَعَهُم لِلْغَلَبَةِ[8]، وأصْلُهُ الحَد يتَبَادَرُ فيهِ الحادِيَانِ أَيْ: المغَنّيانِ فِي سيَاقِ الإبِلِ، ويتَعَارَضانِ فيتَحَدَّى كلُّ واحِدٍ منهُمَا صاحِبَهُ؛ أَيْ: يطْلُبُ حداه، كَمَا يُقَالُ تَوفَّاه بِمَعْنَى اسْتَوْفَاهُ[9].

---

(1) أحمد بن عمر بن إبراهِيم بن عمر الأنصارِي القرطبِي، سبق تعريفه.

(2) التذكرة، القرطبِي، ص459.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 620/4.

(4) التذكرة، القرطبِي، ص460.

(5) (م، س)، ص460-461.

(6) المواهِبُ اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 495/2.

(7) الصحاح، الجوهري، (حدا).

(8) أساس البلاغة، الزمخشَرِي، (حدو).

(9) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 495/2-496، وفِيه: أصله الحداء يتبارَى (...) أي يطلب حداءه (...).

وذَكَر بَعْضٌ: أَنَّهُمْ كانوا عِنْدَ الحَدْوِ يقُومُ حَادٍ عنْ يَمِينِ القطارِ، وحَادٍ عن يسارِهِ يتَحَدَّى كُلُّ واحِدٍ منهُمَا صاحِبَهُ بِمَعْنَى يسْتَحْدِيهِ؛ أيْ: يطْلُبُ منهُ حداهُ، ثُمَّ اتُّسِعَ فيهِ حتَّى اسْتُعْمِلَ فِي كلِّ مبَارَاةٍ[1].

قُلتُ: ويجُوز أن يكُونَ مِنَ الحَدِّ، أصْلُهُ التَّحَدُّدُ، قُلِبَت الدَّالُ الثَّالثَةُ ياءً كالتَّقَضِّي مِنَ التَّقَضُّضِ، كأَنَّ مُدَّعِي الرِّسالةِ يقولُ: أنَا فِي حَدٍّ لا يُطاقُ أن يُؤْتَى بِمِثْلِهِ.

الثَّالثُ: أن لَا يَأْتِي أحَدٌ بِمِثْلِ ما أتَى بِهِ المتَحَدِّي على وَجْهِ المعارَضَةِ، وعَبَّر عَنْه بَعْضٌ بدعْوَى الرِّسالَةِ معَ أَمْنِ المعَارَضَةِ، وهُو أَحْسَن مِنَ التَّعْبِير بِعَدَمِ المعَارَضَةِ، لأَنَّه لا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ المعَارَضَة امتِنَاعُهَا، والشَّرْطُ إِنَّما هوَ عَدَمُ إمْكَانِهَا[2].

وخَرَجَ بقَيْدِ التَّحَدِّي الخارِقُ مِنْ غيْرِ تَحَدٍّ، وهُوَ كرامَةٌ لِلْوَلِيّ، وبالمقارَنَةِ الخارِقُ المتَقَدِّمُ علَى التَّحدِّي كإِظْلالِ الغَمَامِ، وشَقِّ الصَّدرِ الواقِعَيْنِ للنَّبِيءِ ﷺ قبْلَ دَعْوى الرِّسالَةِ، وكَلامِ عِيسَى فِي المهْدِ عليه السلام وما شَابَهَ ذلِكَ، مِمَّا يَسْبِقُ الرِّسالَةَ، فلَيْسَت معْجِزاتٍ بلْ كرامَاتٍ ظَهَرَتْ علَى أيْدِي الأَنْبِيَاءِ قَبْل دعْوَى النُّبُوءَةِ، والكَرامَةُ تَظْهَرُ علَى يَدِ وَلِيّ، والأَنْبِيَاءُ لا يَقْصرُون عَنْ دَرَجَةِ الأوْلِياءِ، فهِيَ إِرْهَاصٌ [76و] أيْ: تأْسِيسٌ للنُّبوءَة، كما صَرَّحَ بِهِ الجرجاني[3] في "شَرْح المواقِفِ"[4] وغيرُهُ، وهُوَ مذْهَبُ جمهُورِ أَئِمَّة الأُصولِ وغَيْرِهم[5].

وخَرَج أيْضًا بقَيْدِ المقَارنَةِ ما تأَخَّرَ عن التَّحَدِّي بِمَا يُخْرِجُه عن المقَارَنَة العُرْفِيَّة، مِثْل ما رُوِيَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ مِنْ نُطْقِ بعْضِ المؤْتَى بالشَّهادَتَيْنِ[6].

وخَرَجَ بأَمْنِ المعارَضَة السِّحْرُ المقرُون بالتَّحَدِّي فإِنَّهُ يمْكِن معارَضَتُهُ بالإِتْيَان مِنْ مِثْلِهِ مِن المرْسَلِ إِلَيْهِمْ[7].

واخْتُلِفَ هل السِّحْرُ قَلْبُ عَيْنٍ وإِحَالَةُ طَبْعٍ؟ فقِيلَ: نَعَم، حَتَّى جعَلُوا مِنَ المَمْكِنِ قَلْبُ السَّاحِرِ الإِنْسَانَ حِمَارًا، وقِيلَ: لَا، وهُوَ الحَقُّ، وإِنَّما فَعَلَ اللهُ جَلَّ وعلَا ذلِكَ لا غَيْرُه لِأَنْبِئَائِهِ مثَلًا، وإن قُلْنَا يَفْعَلُ اللهُ ذلِكَ لِلنَّبِيءِ والسَّاحِرِ لم يَبْقَ فَرْقٌ بيْنَهُمَا[8].

---

(1) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 496/2.

(2) (م، س)، 496/2.

(3) علِي بن محمد الجرجانِي: الحسيني الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف، ولد بجرجان وتوفي بشيراز سنة816هـ، من تصانيفه: حاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول، حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية على شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية في فروع الفقه الحنفي، وحاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان. الضوء اللامع، 328/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 515/2.

(4) شرح المواقف: لـ: علي بن محمد الجرجاني ت:816، والمواقف لـ: عضد الدين الإيجي. ينظر: 249/8 منه.

(5) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 496/2-497.

(6) (م، س)، 497/2.

(7) (م، س)، 497/2.

(8) (م، س)، 497/2.

وأجابَ البَاقلَّانِي بالفَرقِ بالتَّحدِّي، واعْتُرِضَ بأَنَّه لا دَلِيلَ علَى شَرْطِ التَّحَدِّي مِنْ كِتابٍ ولَا سُنَّةٍ، ولا صَحَابِيّ ولا إجْماعٍ، وبأَنَّ أَكْثَرَ آياتِهِ ﷺ بلا تَحَدٍّ، كنُطْقِ الحَصَى ونَبْعِ الماءِ ونُطْقِ الجِذْعِ، وإطعَامِ الكَثِيرِ بقَلِيلٍ حتَّى يشْبعُوا، ويَبْقَى كما هُوَ أَو أَكْثَر، وتَفْلِهِ في العَيْنِ، وتَكَلُّمِ الذّراعِ، وشَكْوى البَعِيرِ، وسائِرِ معْجِزَاتِه العِظامِ[1].

وإنْ قِيلَ: لَعَلَّهُ لم يَتَحَدَّ بِغَيْرِ القرآن، وتَمَنّي الموْتِ، فلَا يُسَمَّى غَيْرُهُمَا مُعْجِزَةً.

قُلْتُ: هذَا ضَعيفٌ باطِلٌ، كَيْفَ يُجْنَحُ إلى تَرْكِ معْجِزاتٍ كثِيرَةٍ جِدًّا، ويُقْتَصَر عليْهِمَا، ومَنْ قَالَ لَيْسَتْ معْجِزاتٍ فهُوَ قَيْدٌ أقْرَبُ إلى الشِّرْكِ مِنْه إلى البِدْعَةِ.

قالُوا: وقَدْ كانَ ﷺ يقولُ عَقِبَ الآيةِ لَكِنْ هَؤُلاء الآيات: ((**أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ**))[2] كما قالَ عندَ قَتْلِ الرَّجُلِ الذِي أبْلَى جِهادًا: ((**إِنَّهُ فِي النَّارِ**))[3] وقَدْ قالَ قَبْلَ ذلِكَ إِنَّهُ فِيهَا[4].

واعْتُرِضَ أيضًا بقَوْلِه تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿109﴾** ﴾[5] وقوله: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ** ﴾[6] الآية، إذْ لم يَشْتَرِطْ تَحَدِّيًا، وأُجِيبَ بأَنَّه يكْفِي في التَّحَدِّي دَعْوَى الرِّسالَةِ، وإِلَّا كَفَى تَحَدٍّ وَاحِدٌ عندَ دعْوَاهَا، فكُلُّ ما بَعْدُ فهُوَ معجِزَاتٌ، ولَوْ لم يُعَدْ ذِكْرُ التَّحَدِّي.

الرَّابِعُ: أن يَقَعَ على وَفقِ دَعْوَى المتَحَدِّي بها، فلَوْ قالَ مُدَّعِي الرِّسالَةِ: آيَةُ نُبُوءَتي أنْ تَنْطِق يَدِي، أو هذِهِ الدَّابَّة فنَطَقَتْ يدُهُ أو الدَّابَّةُ بتَكْذِيبِهِ لم تَكُنْ معْجِزَةً، ومِنْ ذلكَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الكذَّابَ تَفَلَ في بِئْرٍ ليَكْثُرَ ماءُها، فغَارَتْ[7]، ومسَحَ علَى صَبِيٍّ تَبَرُّكًا لهُ فَأَقْرَعَ.

واعْلَمْ أَنَّهُ تَظْهرُ علَى أيْدِي الدَّجَّالِ لَعَنَهُ اللهُ أمُورٌ خوَارِقُ، لكِنَّه يَدَّعي بهَا الرُّبُوبِيَّةَ، وقَدْ بانَ مِنْهُ أنَّه مخْلُوقٌ حادِثٌ عَاجِزٌ.

وكبَائِرُ الأَئِمَّةِ يسَمُّونَ معْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ دلائلَ النُّبُوءَةِ، ولَمْ يَرِدْ في القرآنِ والسُّنَّةِ لَفْظُ المعْجِزَةِ، بلْ لَفْظُ الآيَة والبَيِّنَة والبُرْهَان[8].

---

(1) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 2/497-498، بتصرُّف.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (5443).

(3) (م، س)، حدِيث (2898).

(4) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 2/498، بتصرُّف.

(5) سورة الأنعام: 109.

(6) سورة الإسراء: 59.

(7) المواهِبُ اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 2/499، بتصرُّف.

(8) (م، س)، 2/500.

وقال الشّنواني[1]: المعْجِزةُ أَمْرٌ خارِقٌ لِلْعادَةِ يصَدِّقُ اللهُ بهِ أَنْبِيَاءَه حِين إيتَائِهِم النُّبُوءَةَ، فخَرَجَ السِّحْرُ وما ظَهَرَ على يَدِ كَاذِبٍ.

ولا يَلْزَمُ دَوْرٌ مِنْ أَخْذِ النَّبِيءِ في تَعْرِيفِ ما تَثْبُتُ [76ظ] بِهِ النُّبُوءَة؛ لأَنَّ النُّبُوءَةَ لا تَتَوَقَّفُ على العِلْمِ بتَحَقُّقِ ذاتِ المعْجِزَةِ، وأَيْضًا المعْجِزَةُ خارِجَةٌ عن ذَاتِ النُّبوءَةِ.

وسَمَّى الأَبُوصِيرِي[2] في الهَمْزِيَّةِ ما جَرَى لَهُ قَبْلَ النُّبُوءَةِ مُعْجِزَةً، إِذْ قَالَ: وبدَا فِي رَضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ، جَرْيًا على طَرِيقِ الأَوائِلِ كَأَحْمد بنِ حَنْبَل، فإِنَّهمْ يُطْلِقُون المعْجِزَةَ على كُلِّ خَارِقٍ لَيْسَ بِسِحْرٍ، والأَكْثَرُ على أَنَّ المعْجِزَةَ لا تُطْلَقُ حَقِيقَةً إِلَّا على الأَمْرِ الخَارِقِ لِلْعادَةِ، المقْرُونِ بالتَّحَدِّي، الدَّالِّ على صِدْقِ الأَنْبِيَاءِ، عليْهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ، والله أَعْلَمُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّة إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

43 وَلَكِنْ سَنَأْتِي مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِها بِنَزْرٍ بَهِيٍّ مُزْهِرٍ فَوْقَ أَغْصَانِ

وَلَا تَتَوَهَّمْ مِنْ قَوْلِي إِنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ المُعْجِزَاتِ الغُرَّ، والآياتِ البَاهِرةَ أَنِّي آتي بهَا كُلِّهَا، بَلْ آتي بِقَلِيلٍ بَهِيٍّ جَمِيلٍ حَسَنٍ، شبيهٍ بِنُوَّارِ[3] الشَّجَرِ فَوْقَ أَغْصَانِهَا.

"مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِهَا": أَعْنِي المُعْجِزَاتِ، فَالاستِدْرَاكُ بِـ"لَكِنْ" عَائِدٌ إِلَى مَا يُتَوَهَّمُ مِن استِحْضَارِها كُلِّهَا.

وفيهِ أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ: لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ المُعْجِزَاتِ لَهُ أَنْ يَذْكُرَهَا تَفْصِيلًا، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ لَه مُعْجِزَاتٍ وَلَا يُفصِّلُهَا، والأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: وَإِنِّي سَآتِي أَوْ وَإِنَّا سَنَأْتِي.

وَيُجَابُ بِأَنَّهُ رُبَّمَا تَبَادَرَ لِمَنْ رَأَى قَوْلَهُ: "لَكَ المُعْجِزَاتُ" أَوْ سَمِعَهُ أَنَّهُ يَجْمَعُهَا، وَإِلَّا فَقَدْ يَتَوَهَّمُ مَنْ رَأَى جرْمَ أَوْرَاقِ القَصِيدَةِ مَكْتُوبَةً قَبْلَ تَصَفُّحِهَا بَيْتًا بَيْتًا، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي المُعْجِزَاتِ، أَوْ سَمِعَ أَنَّهَا فِي المُعْجِزَاتِ أَنَّهُ يَجْمَعُهَا.

والنُّونُ فِي "نَأْتِي" لِلنَّاظِمِ: تَعْظِيمًا لِلمُعْجِزَاتِ، كأَنَّ القَلِيلَ مِنْهُنَّ أمرٌ ثَقِيلٌ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ وَاحِدٌ، لَا تَعْظِيمًا لنَفْسِهِ إِذْ هُوَ هَاضِمٌ لَهَا. أَوْ للنَّاظِمِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ جَمْعًا بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالمَجَازِ، أَوْ مِنْ عُمُومِ المَجَازِ، وذلكَ أَنَّهُ آتٍ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ بِذَلِكَ النَّزرِ حَقِيقَةً، وَغَيْرُهُ آتٍ بِهِ فِيهَا مَجَازًا، إِذْ كَانَ السَّبَب. أَوْ لَهُ وَلَهُمْ، ولِمَنْ عَلِمَهُ المَعْقُولُ وَالمَنْقُولُ.

و"مِن": للابْتِدَاءِ مُتَعَلِّقٌ بِـ: "نَأْتِي" أَوْ للتَّبْعِيضِ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ مِنْ "نَزْرٍ"، قُدِّمَ عَلَيْهِ مَعَ

---

(1) الشنواني: لم أتعرفهُ.

(2) الأبوصيرِي: محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي، الدلاصي، البوصيري صوفي، ولد بدلاص، ونشأ في أبو صير، وتوفي بالاسكندرية. من آثاره: قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة. الوافي بالوفيات، 88/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 317/3.

(3) النُّوّارُ بالضم والتشديد كالنَّوْرِ واحدته نُوَّارَةٌ وقد نَوَّرَ الشجرُ والنبات. لسان العرب (نور).

أَنَّهُ مَجْرُورٌ بِحَرْفِ جرٍّ غيْرِ زَائِدٍ لِلضَّرُورَة، أَوْ بِنَاءً عَلَى قَوْلِ ابنِ مَالك: وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدَ[1].

وَ"مُزْهِرٍ": تَشْبِيهٌ بِزَهرِ الشَّجَرِ، كَمَا تَقُولُ اسْتَأْسَدَ وَتَحَجَّرَ الطِّينَ، أَوْ بِمَعْنَى: مُبَيَّضٌ بِفَتْحِ الهَاءِ، أَوْ بِكَسْرِهَا بِمَعْنَى مُبَيِّضٌ لِغَيْرِهِ.

وَلَوَّحَ بِالأَغْصَانِ إِلَى أَعْضَائِهِ ﷺ، إِذْ هُوَ مَنْبَعٌ وَأَصْلٌ لِمُعْجِزَاتِهِ، كَالشَّجَرَةِ أَصْلًا لِأَغْصَانِهَا، فَذَلِكَ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

44 لَقَدْ رَفَعَ الرَّحْمَنُ ذِكْرَكَ فَاغْتَدَى يُقَارِنُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ الَاَزْمَانِ

45 رَأَى آدمٌ فِي الْعَرْشِ ذِكرَكَ ثَابِتًا يَلِي ذِكْرَ رَبِّ الْعَرْشِ فِي وَقْتِ إِعْلَانِ

46 فَبَاتَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ لِغُفْرَانِ

[77و] واللهِ لَقَد رَفَعَ الرَّحمن ذكرَكَ، وصارَ مقارِنًا لذِكْرِ اللهِ في كُلِّ زَمَانِ الصَّلاةِ والسَّلامِ علَيْكَ والْأَذانِ والإِقَامَةِ والصَّلَاةِ والخُطبَةِ والدُّخُولِ في الْإِسْلامِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ صَيْرُورَةً عظِيمَةً.

رَأَى آدمُ ذِكْرَكَ ثَابِتًا فِي الْعَرْشِ مَعَ اسْمِ اللهِ فِي وَقْتِ الْجَهْرِ بذِكْرِكُما. فصَارَ يَتَكلَّمُ لِرَبِّهِ بِصَوْتٍ غَيْرِ جَهِيرٍ، حالَ كَوْنِهِ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ يَا مُحَمّدُ إِلَى اللهِ لمَّا دَعَا اللهَ لِيَغْفِرَ لَهُ ذَنْبَهُ، الذِي هُو الأَكْلُ مِنَ الشَّجرةِ.

وأَظْهَرَ اسْمَ اللهِ، وهُوَ لفظُ "الرَّحمنِ"؛ لِأَنَّ الِاسْمَ الْمُقْسَمَ بِهِ مَحْذُوفٌ تقْدِيرُهُ "واللهِ"، وذَكَرَهُ باسْمِ الرَّحْمَةِ؛ لِرَغْبَتِهِ فِي الرَّحمةِ، ولَوْ أُضْمِرَ لعُلِمَ مِنَ المقامِ، لكنَّ الإظهارَ أوضَحُ.

ولو ذَكَرَ المقسَمَ بِهِ لكان الإظهارُ أيضًا أَوْلَى، بِأَنْ يقُولَ: واللهِ لَقَدْ رَفَعَ الرَّحمنُ؛ لأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ لَا يَرْجِعَ الضَّميرُ مِنْ جُمْلَةِ جَوَابِ الْقَسَمِ إِلَى الْمُقْسَمِ بِهِ.

وَ"اغْتدَى": مبَالَغَةُ غَدَا، وأَصْلُهُ الذَّهابُ غُدْوَةً، واستُعمِلَ في الذَّهابِ فِي مُطْلَقِ الزَّمانِ، مَجَازٌ لِلْإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ، ثمَّ استُعْمِلَ فِي مُطْلَقِ التَّحَوُّلِ إلى صِفَةٍ إِذْ كانَ الذَّهابُ نَوْعًا مِن التَّحَوُّلِ، فهُوَ مَجَازٌ مَبْنِيٌّ على مَجَازٍ، وكِلَاهمَا مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ.

و"ال" في "الأَزْمَانِ" لِلْحَقِيقَةِ لَا لِلْاِستِغْرَاقِ؛ لِأَنّ الِاسْتِغْرَاقَ مُسْتَفَادٌ مِنْ "كُلِّ" قَبْله.

ونقَلَ فَتْحَ هَمْزَةِ "أَزْمَانِ" إِلَى لَامِ "ال" ولَا يَصِحُّ الْوَزْنُ إِلاَّ بِهَذَا معَ حَذْفِ الهَمْزَةِ، ولَوْ قالَ: فِي كُلِّ "أَزْمَانِ" بِدُونِ "ال" لَصَحَّ، ولَعَلَّهُ أَعْرَضَ عَنْ هذا؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَعْنَى هذَا الْجَمْع المُنَكَّر، فإِنَّ الْمَعْنَى فِي كُلِّ جماعَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ الْأَزْمَانِ، بِخِلَافِ الأَزْمَانِ بِالتَّعرِيفِ فإِنَّهُ كَالمُفرَدِ بِـ: "ال" الْحَقِيقِيَّة. لِأَنَّ الْجَمْعَ يَجُوزُ استِعْمَالُهُ فِي مَعْنَى الْمُفْرَدِ بِأَنْ يُقرَنَ بِـ: "ال" فَلَوْ قالَ: واللهِ لا يَشْتَرِي الْعَبِيدَ لحَنَثَ،

---

(1) قول ابن مالك في باب الحال:

وَسَبْقَ حالٍ مَا بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ أَبَوْا، وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدْ

ولَوْ بوَاحِدٍ. فكَأَنَّهُ بِـ: "الـ" قالَ: في كُلِّ زَمَانٍ أو فِي كُلِّ الزَّمانِ. والْمُفْرَدُ "زَمَنٌ" بِدُونِ أَلِفٍ بَعْدَ الْمِيمِ، وأَمَّا بِالْأَلِفِ فَالْجَمْعُ "أَزْمِنَةٌ".

و"آدَمُ" مَصْروفٌ لِضرُورَةِ الْوَزْنِ، والذِي رأَى آدمُ حُرُوفَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ في الْعَرْشِ، لا ذِكرَهُ، لكِنْ لمَّا كان الْحُرُوفُ المكتُوبَةُ سببًا للنُّطقِ والذِّكرِ بمُسَمَّاها ومَلزومًا لَهُ في الْجُمْلَةِ عبَّرَ عنْهَا بِالذِّكرِ، والرُّؤيَةُ بَصَرِيَّةٌ.

وَ"ثابتًا": حَالٌ، وَإِنَّما أَظْهَرَهُ ولَمْ يسْتَغْنِ عنْهُ بقَوْلِهِ: "فِي الْعَرْشِ" مع أَنَّهُ كوْنٌ عامٌّ للضَّرورةِ.

وَوَجهٌ آخَرُ: أنْ لا يَكُونَ "فِي الْعَرْشِ" مُتَعَلِّقًا بِهِ ظَرْفًا لَهُ، بَلْ مُتَعَلِّقٌ بِـ: "رأَى" فلَا إِشْكَالَ.

ووَجْهٌ آخَرُ: أَنْ يُرِيدَ بالثُّبوتِ الرُّسُوخَ، لا مُطْلَق الحصولِ، فهوَ كَوْنٌ خَاصٌّ يُذْكَرُ ولا ضَيْرَ، بلْ لَا يُحْذَفُ إلاَّ لِدَلِيلٍ. وكذَا ذِكرُ ربِّ الْعَرْشِ بمَعْنَى حُرُوف اسْمِهِ تَعَالَى.

و"فِي وَقْتِ إِعْلَانِ": كالتَّرشِيحِ لِلْمجَازِ المُرْسَلِ، كما يُرشَّحُ المجازُ الِاسْتِعَارِي.

ويَجُوزُ تَقْدِيرُ مضَافٍ فيَبْقَى "ذِكْرَ" في الموضعَيْنِ بِمَعْنَى النُّطق على ظاهرِهِ، فيكونُ "وَقْت إِعْلَانِ" على ظاهرِهِ مِنَ الجَهْرِ بِالنُّطقِ، أيْ: رأَى دَالَّ ذِكْرِكَ يَلِي دَالَّ ذِكْرِ رَبِّكَ، بتَشْدِيدِ اللَّامِ.

ومَعْنَى "باتَ": صَارَ، فهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ لعَلَاقةِ الإِطْلَاقِ والتَّقييدِ. أَوْ بعدمَا كانَ مَجَازًا [77ظ] مُرسَلًا هَكذَا، استَعْمَلَهُ استعَارَةً بأَنْ شَبَّهَ كَوْنَهُ يُنَاجِي، في مِقْدَارٍ مِنْ غيْرِ اللَّيْلِ، بِكَوْنِهِ يُناجِي فِي لَيْلٍ، لعَلَاقَةِ الاسْتِواءِ في الْمُدَّةِ. بِمَعْنَى أَنَّهُ بقِيَ في المُنَاجاةِ قَدْرَ اللَّيْلِ، هَكَذَا مُطلَقًا.

ويَجُوزُ أَنْ يكُونَ "باتَ" علَى ظاهرِهِ بأَنْ يكون وقتُ مُنَاجَاتِهِ لَيْلًا، إِذْ هُوَ وقْتُ الإجابةِ. وعلَى كلِّ حالٍ المرادُ المناجاةُ في الدُّنيَا؛ لأَنَّهُ لمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ لمْ يَبْقَ في الجنَّةِ. والفَاءُ في قَوْلِهِ "فَبَاتَ" لمجرَّدِ السَّبَبِيَّةِ دُوَن الاتِّصَالِ.

ثمَّ إنَّهُ لَا مَانِعَ مِن أَنْ يُرِيدَ بِالمنَاجَاةِ قولَهُ في الجنَّةِ يَدعُو وَيُناجِي في تَنَقُّلِهِ: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴿23﴾﴾[1]. فلَا يكونُ قَوْلُهُ: "باتَ" علَى ظَاهِرِهِ، إِذْ لَا لَيْلَ فِي الْجَنَّةِ، ولا اتِّصَالَ بالْفَاءِ علَى كُلّ حَالٍ، لِأَنَّهُ بَقِيَ مُدَّةً في الْجَنَّةِ بَعْدَ رُؤْيَةِ اسْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الْعَرْشِ، وقَبْلَ الْمَعْصِيَةِ.

والْخِطَابُ في قوْلِهِ: "بِحَقِّكَ" لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. و"بِحَقِّكَ" تنَازعُهُ "يُنَاجِي" و"مُتَضَرِّعًا". و"أن" زَائِدٌ بَعْدَ "لمَّا" وضَمِيرُ "دَعَا" لِآدمَ، والْهَاءُ للهِ جَلَّ وعَلَا. وأَحَادِيثُ البَيْتِ قدْ تقدَّمَتْ.

وأَذْكُرُ الآنَ أَنَّهُ إِذَا كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ كلِّهِمْ، فكيْفَ يُكْسَى إبراهيمُ عليه السلام قَبْلَهُ؛

(1) سورة الأعراف: 23.

فإنَّهُ رَوَى مُسْلِمٌ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ حَدِيثٍ فيهِ طُولٌ: ((**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام))[1].

قُلْتُ: قَدْ مَرَّ الخِلافُ، هَلْ يَدْخُلُ المُتكلِّمُ في خِطابِ نفسِهِ، فلعَلَّهُ ﷺ لمْ يدْخُلْ في عمُومِ كلَامِهِ، فَمُرَادُهُ ﷺ بالنَّاسِ مَنْ عَدَاهُ، وبه صرَّحَ بعضُ الأَنْدَلُسِيِّينَ مِنْ شُرَّاحِ مسلمٍ[2].

إلَّا أنَّ الصَّحِيحَ عِنْدِي دُخُولُ المُتَكَلِّمِ في خطابِ نفسِهِ؛ أَعْنِي في عُمُومِ كَلَامِهِ، إلَّا لِمَانِعٍ ظاهرٍ مُقتَضٍ لِعَدَمِ دُخُولِهِ، كقَوْلِكَ: مَنْ أَكْرَمَنِي أَكرَمَهُ اللهُ.

وأَيْضًا: رَوَى بَعْضُ الأَنْدَلُسِيِّينَ[3] عَنْ "رَقَائِقِ ابن المُبارَكِ" بِسندٍ إلى عليّ بنِ أبي طالبٍ: ((**أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عليه أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ قُبْطِيَّتَيْنِ ثُمَّ يُكْسَى مُحَمَّدٌ ﷺ حُلَّةً حِبَرَةً**))[4]. ورواه البَيْهَقِيّ أَيْضًا[5]. وهو مَوْقُوفٌ عَلَى عليٍّ؛ لأَنَّهُ فِي حُكْمِ المرْفُوعِ، لأنَّ هَذَا مِمَّا لَا مَجَالَ فِيهِ للرَّأْيِ.

ومِثْلُهُ مَا رواهُ عبّاد بنُ كثير عن ابنِ الزُّبَيْرِ[6] عَنْ جابر بنِ عبد الله مِنْ حَدِيثٍ: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **خَلِيلُ اللهِ، ثُمَّ مُحَمَّدٌ ﷺ ثُمَّ النَّبِيئُونَ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِم السَّلَامُ، ثُمَّ يُكْسَى الْمُؤَذِّنُونَ**)) الحديث[7].

وذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ الأسود وعَلْقَمَةَ وَأبي وائل عَنْ عبد الله بن مسعُود مَرْفُوعًا، مِنْ حديث: ((**يَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام**، يَقُولُ: اكْسُوا خَلِيلِي، فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ فَيَلْبَسُهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسُهَا**[78و] **فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي، يَغْبِطُنِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ**))[8].

وخَرَّجَ البَيْهَقِيّ عن ابنِ عبَّاسٍ مِن حدِيثِ: ((**أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ وَيُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَيُؤْتَى بِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ ثُمَّ أُوتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ**))[9].

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (58).

(2) ينظر: التذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 533/1.

(3) ينظر: (م، س)، 533/1.

(4) الزهد والرقائق، ابن المبارَك، ص511.

(5) شعب الإيمان، البيهقِي، 548/1.

(6) في التذكرة: عن الزُّبيرِ.

(7) ينظر: التذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 533/1. والمنهاج، الحلِيمِي، 1/ 446.

(8) حلية الأولياء، أبو نعِيم، 238/4، والتذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 534/1.

(9) (م، س)، 534/1، والأسماء والصفات، البيهَقي، حدِيث (839)، وفتح البارِي، ابن حَجَر، 384/11.

وهؤلاءِ الأحاديثُ صريحةٌ في تَقديمِ إبراهيمَ عليه السلام في الكِسْوَةِ على نَبيِّنَا ﷺ، فقِيل: الحِكْمَةُ في ذَلِكَ أنَّهُ لم يَكُنْ في الأَوَّلِينَ وَلَا في الآخِرِينَ أَخْوَفُ مِنْ إبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَتُعَجَّلُ لَهُ كِسْوَتُهُ أَمَانًا لَهُ، وَلِيَطْمَئِنَّ قَلبُهُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أُمِرَ بِلَبْسِ السَّرَاوِيلِ إِذَا صَلَّى، مُبَالَغَةً في التَّسَتُّرِ، وَحِفْظًا لِفَرْجِهِ أنْ يَمسَّ مَصَلَّاهُ أو رِجْلَهُ أو ساقَهُ، فجُوزِيَ بأَنْ يكون أوَّلَ مَن يُسْتَرُ. ويُحتمَلُ أنَّهُ أَلْقوهُ في النَّار عارِيًا بِحَضرةِ النَّاس، فجُوزِيَ بِرَدِّهَا في الدُّنيا، وبتقدِيمِهِ بالكِسوةِ يومَ القيامةِ، وبالثَّواب العظيمِ، إِذْ فُعِل بِهِ ذلكَ الإلقاءُ في ذاتِ الله عز وجل، صابرًا محتسِبًا.

فليسَ ذلك تفضيلًا على سيِّدنَا محمَّدٍ ﷺ. ورجح هذا الاحتمَالُ الأَخِيرُ، وقدْ قُوبِلَ ذلكَ البدْأُ بِجَعْلِ كِسْوَةٍ أَفْضَل منْ كِسوةِ إبراهيمَ صلَّى اللهُ وسلَّم عليْهِمَا، فكأَنَّهُ كُسِيَا معًا[1]. وزادَ بِمَقَامٍ يَغْبِطُهُ بِهِ إبراهيمُ عليه السلام وغيرهُ واللهُ أعلمُ. ولا حوْل ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيمِ، لا ملجأ مِنَ الله إلَّا إليْهِ.

47 وَفِي كُلِّ كُتْبِ اللهِ نَعْتُكَ قَدْ أَتَى تِلاَوَةَ عِرْفَان أَتَى بَعْدَ عِرْفَانِ

48 فَتَوْرَاةُ مُوسَى وَالزَّبُورُ بِمَدْحِكُمْ وَإِنْجِيلُ عِيسَى قَدْ أَتَتْ قَبْلَ قُرْآنِ

49 وَكُلُّ نَبِيءٍ جَاءَ بَشَّرَ قَوْمَهُ بِأَنَّكَ تَأْتِي خَاتِمًا كُلَّ الاَدْيَانِ

ونعتُكَ قدْ أتَى فِي كلِّ كُتُبِ اللهِ حالَ كوْنِهِ مَتْلُوَّ عِرْفَانٍ آتٍ بَعْدَ عِرْفَانٍ.

وإنْ قُلْتَ مثِّلْ لي بعضَ تلكَ الكتبِ، ولا مَطْمَعَ فيها كُلِّها، فأنَا أقولُ: توراةُ موسَى، والزَّبورُ وإنجيلُ عيسى قدْ أَتَتْ بِمَدْحِكُمْ قَبْلَ مَجِيءِ القرآنِ العظيمِ بهِ.

وكُلُّ نَبِيءٍ جاءَ قَوْمًا، فإنَّهُ قدْ بَشَّرَ قوْمَهُ هؤلاءِ بأنَّك تأْتي خاتمًا كلَّ الأديانِ بدِينِكَ.

و"تِلَاوَةَ": حالٌ مِنْ ضميرِ "نعْت" فِي "أَتَى" بمَعْنَى مَتْلُوٌّ. وجُمْلةُ "قَدْ أَتَى": نَعْتُ "عِرْفَانٍ".

وتقْدِيرِي: وإن قُلْتَ...إلخ، بِنَاءً على جَوازِ خِطابَيْنِ لمُتَغَايِرَيْنِ في كلامٍ واحدٍ، نَحوُ: ضَرَبْتكَ، خاطبْتَ بالتَّاءِ زيْدًا، وبالكَافِ عَمْرا، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2] علَى أنَّ الكافَ الأَوَّلَ للنَّبِيءِ ﷺ، والثَّاني لقومِهِ، والصَّحيحُ أنَّ ذلك لَا يَجُوزُ، وأنَّ الكافَ الأوَّلَ لبَعْضِ مَنْ لهُ الكافُ الثَّاني [78ظ] كما تقُولُ في كلَامَيْنِ: لِمَ جئْتَ وأَنْتُمْ كارِهُونَ، تُخاطِبُ بِ "أنتَ" مَنْ دَخَلَ في أَنْتُمْ.

فالْفَاءُ عَاطِفَةٌ على الْجُمْلَةِ الاِسْمِيَّة للجُمْلَةِ الاسمِيَّة، أو يُقَدَّر شَرْطٌ هكذا: فإن قُلْتَ: يا رَسُول مثِّلْ لي، فأنا أقولُ: وإنَّما قَدَّرْتُ "فأَنَا أَقُولُ" لأنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبور إلخ.

---

(1) التذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 1/534-535.

(2) سورة آل عمران: 182.

والكافُ في "مَدْحِكُمْ": لِلنَّبِيءِ ﷺ، وميمُ الجَمْعِ تعْظِيمٌ، فالكافُ ضَمِيرٌ لِلْجَمَاعةِ هُنَا بدَلِيلِ المِيمِ، كقَوْلِهِ تعالَى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿99﴾﴾[1] رَجَعَ الضَّميرُ إلى اللهِ جَمْعًا، وهو الوَاوُ، تعظِيمًا. ويَجُوز أَنْ يكون للهِ ﷻ والملَائِكَةِ، جَلَّ الله. والرَّاجحُ: "أَتَيْنَ" لأَنَّ الثَّلاثَةَ غيرُ عُقَلَاء، ولم تَبْلُغْ حَدَّ جَمْعِ الكَثْرَةِ.

ونَكَّرَ قُرْآنًا لِلتَّعظيمِ، ويجُوزُ أَنَّهُ نَكَّرَهُ لأَنَّهُ أرادَ بعْضَهُ؛ فإِنَّهُ قُرْآن وبعْضُهُ قرآنٌ، فالمرادُ مَا كان مِنْهُ في مَدْحِ رسُولِ الله ﷺ.

والكَلامُ في "كُلِّ الاَدْيَانِ" كالكَلامِ في "كُلِّ الاَزْمانِ". وجُملَة "جَاءَ": نَعْتُ "نَبِيءٍ" والمرادُ كُلُّ نَبِيءٍ جاءَ قَبْلَكَ[2].

وهنَا فصْلانِ، الأَوَّلُ فيمَا جَاءَتْ بهِ الكُتُبُ، والثَّانِي فِيما بَشَّرَتْ الأَنْبِيَاءُ بِهِ[3].

الفَصْل الأَوَّلُ: [ما جَاءَتْ بِهِ الكُتُبُ]

قال عطاء بنُ يسار: "قُلْتُ لعبدِ الله بن عمْرو بنِ العَاصِي: أَخْبِرْنِي عنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: أَجَلْ، واللهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّورَاةِ بِبَعضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾﴾[4] وحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْت عبْدِي ورَسُولِي، سَمَّيتُكَ المتَوَكِّل، لَيْسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ، ولا صَخَّابٍ في الأَسْوَاقِ، ولا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يعفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقبضَهُ اللهُ حتَّى يُقيمَ بهِ المِلَّة العَوْجَاءَ، يقولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ويَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا، وقلُوبًا غُلفًا"[5].

ومِثلُهُ عن عَبْدِ اللهِ بنِ سَلَّام[6] وكعْبِ الأَحْبَارِ[7].

وفي رِوَايةٍ: ولا صَخَّابٍ في الأَسْوَاقِ، ولا مُتَزَيِّنٍ بالفُحْشِ، ولا قَوَّالٍ للخنَّاء[8]، أُسدِّدُه لكلِّ جَميلٍ، وأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكينَةَ أَسَاسَهُ[9]، والبِرَّ شِعارَهُ، والتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، والحِكْمَةَ

---

(1) سورة المؤمنون: 99.

(2) عبارة "وجُملَة "جَاءَ": نَعْتُ نَبِيءٍ والمرادُ كُلُّ نَبِيءٍ جاءَ قَبْلَكَ " أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(3) العبارة أضافها –أو كتبها– المؤلف على الهامِشِ.

(4) سورة الأحزاب: 45.

(5) ورد بلفظٍ قرِيب: صحيح البخارِي، حدِيث (2125)، والمواهب اللدنية، القسطلانِي، 178/3، وتاريخ المدينة، ابن شبَّة، 633/2.

(6) رواية عبد الله بن سلَّام فِي: المواهب اللدنية، القسطلانِي، 177/3، وتاريخ دمشق، ابن عساكِر، 387/3.

(7) رواية كعب الأحبارِ فِي: المواهب اللّدنيّة، القسطلانِي، 178/3.

(8) الخنا: من قبيح الكلام، والفحش. لسان العرب (خنا).

(9) في المواهب اللدنية: السكينة لباسَهُ.

معقُولَهُ، والصِّدْقَ والوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، والعَفْوَ والمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، والعَدْلَ سِيرَتَهُ، والحَقَّ شَرِيعتَهُ، والهُدَى إمَامَهُ، والإسْلَامَ مِلَّتَهُ، وأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالةِ، وأُعَلِّمُ بِهِ بعدَ الجَهَالَةِ، وأَرْفَعُ بِهِ بعْدَ الخَمالَةِ، وأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النّكرَةِ، وأُكْثِرُ به بَعْدَ القِلَّةِ، وأُغْنِي بِهِ بعْدَ العيلَةِ، وأجْمَعُ بِهِ بعْدَ الفُرقةِ، وأُؤَلِّف بِهِ بَيْنَ قلوبٍ مختَلِفَةٍ وأهْوَاء متَشَتِّتَةٍ، وأُمَمٍ مُفْترقةٍ، وأَجعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ[1].

وفي حَدِيثٍ آخَرَ: أَخْبَرَنَا رسُولُ اللهِ ﷺ عن صِفَتِهِ في التَّورَاةِ: ((**عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَار، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ قَالَ: طَيْبَةُ، أُمَّتُهُ الْحَامِدُونَ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**))[2].

وكانَ النّعمان السّبائي مِنْ أحبَارِ يَهُود باليَمَنِ، ولَمَّا سَمِعَ بذِكْرِ النَّبِيءِ ﷺ قدِمَ عَلَيهِ يَسألُهُ عنْ أشْيَاءَ ثُمَّ قالَ: [79و] للنَّبِيءِ ﷺ: إنَّ أبِي كانَ يَخْتِمُ على سِفْرٍ ويقُولُ: لا تَقُولُ[3] على يهُود حَتَّى تَسْمعَ بِنَبِيءٍ قدْ خَرَجَ بِيَثْرِب فإذَا سَمِعْتَ بِهِ فافْتَحْهُ، فلمَّا سَمِعْتُ بكَ فتَحْتُهُ، فإذَا فِيهِ صفَتُكَ كمَا أرَاكَ السَّاعَةَ، وإذَا فِيهِ ما تُحِلُّ وما تُحَرِّمُ، وإذَا فِيهِ أنَّكَ خَيْرُ الأنْبِيَاء وأُمَّتُك خَيْرُ الأُمَمِ، واسمُكَ أَحْمَد، وأُمَّتُكَ الحَامِدُون، قُرْبانُهُمْ دِمائُهُمْ، وأنَاجِيلُهُمْ صدُورُهُمْ، لا يَحْضُرُونَ قِتالًا إلَّا وجِبْرِيلُ عليه السلام معَهُم، يَتَحَنَّنُ اللهُ علَيهِمْ كتَحَنُّنِ النِّسْرِ علَى أوْلَادِهِ؛ أَيْ: يرْحَمُهُمْ. ثُمَّ قالَ لِي: إذا سَمِعْتَ بِهِ فاخْرُجْ إلَيْهِ، وآمِنْ بِهِ وصَدِّقْ بِهِ. وكانَ النَّبِيءُ ﷺ يُحِبُّ أن يَسْمَعَ حدِيثَهُ أصحَابُه، فأَتَاهُ يوْمًا فقَالَ لهُ النَّبِيءُ ﷺ: يا نُعْمانُ حَدِّثْنا، فابتَدَأَ النُّعْمانُ الحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِه فَرُئِيَ النَّبِيءُ ﷺ يومئِذٍ يتَبَسَّمُ، ثُمَّ قال: أَشْهَدُ أَنِّي رسُولُ اللهِ. والنُّعمانُ هذَا هُوَ الذِي قَتَلَهُ الأسوَد العَنسي وقَطَّعهُ عُضْوًا عُضوًا، وهُوَ يقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ ﷺ، وإنَّك كَذَّابٌ مُفْتَرٍ علَى اللهِ تعالَى ثُمَّ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ[4].

قالَ عِيسَى عليه السلام: مَنْ أبْغَضَنِي فقَدْ أبْغَضَ الرَّبَّ، ولَوْلَا أَنِّي صَنَعتُ صنائِعَ بحَضْرَتِهِمْ لَمْ يصْنَعْهَا أَحَدٌ قَبْلِي ما كَانَتْ علَيْهِم خَطِيئَة ولكِنْ مِنَ الآنَ بَطِرُوا، وظَنُّوا أنَّهم يعِزُّونَنِي، وأيْضًا لِلرَّبِّ، ولكِنْ لا بُدَّ مِنْ أنْ تَتِمَّ الكلِمَةُ التِي في النَّاموسِ أنَّهمْ أَبْغَضُوني مجَّانًا؛ أَيْ: باطِلًا، فلَوْ جاءَ المُنْحَمنَّا هذا الذِي يُرسِلُهُ اللهُ إلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ رُوح القِسْطِ هذا الذِي مِنْ عندِ الرَّبِّ خرَجَ، فهُوَ شَهِيدٌ عَلَيَّ وأَنْتُمْ أيضًا، لَكِنَّكمْ قَدِيمًا كُنْتُم معِي، هذَا قُلْتُ لَكُم لِكَيْمَا تَشُكُّوا[5]، فالْمُنْحَمنَّا بالسُّرْيَانِيَّةِ مُحَمَّد ﷺ وهُوَ

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 3/178-179 عن ابن إسحاق.

(2) إتحاف الخيرة المهرة، البوصيري، حدِيث (8582).

(3) في عيون الأثر: لا تَقْرَأْهُ.

(4) عيون الأثَر، ابن سيِّد النَّاس، 1/131-132، نقلا عن الواقِدِي.

(5) هداية الحيارَى، ابن القيِّم، ص194-195.

بالرُّوميَّة البَرْقَلِيطِسْ[1]. ووَقَعَ في أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوراة عن إِسْماعيلَ: "وسَتَلِدُ عظِيما لِأُمَّةٍ عظِيمةٍ" فهُوَ عَظيمٌ عَلَى خُلُقٍ عظيمٍ ﷺ [2].

وسُمِّيَ النَّبِيءُ ﷺ في "كِتَابِ دَاوُدَ" عليه السلام بجبَّارٍ فقَالَ: "تقَلَّدْ أيُّهَا الجبَّارُ سَيْفَكَ، فإِنَّ نامُوسَكَ وشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ سَيْفِكَ"[3].

وفي "التَّورَاةِ": "إِنَّ اللهَ تعالَى قالَ لِمُوسَى عليه السلام: إِنّي أُقِيمُ لبَنِي إِسْرَائيلَ مِنْ إِخْوَتِهم نَبِيئًا مثلَكَ، أَجْعَلُ كلَامِي علَى لِسَانِهِ، مَنْ عصَاهُ انْتَقَمْتُ مِنْهُ" وإِنْ قِيلَ ذلكَ يُوشَعُ فقَدْ قُيِّد في "التَّوْرَاةِ": "لا يَخْلِفُ [79ظ] نَبِيءٌ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ مثْل موسَى" فالذِي بُشِّرَ بهِ فِي "التَّوْرَاةِ" لَا يكُونُ مِنْ بنِي إِسْرَائِيلَ بَلْ مِنْ إِخْوَةِ بنِي إِسْرَائيلَ إِمَّا الْعَرَبُ وإِمَّا الرُّومُ، أَمَّا الرُّوم فلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ نبِيءٌ إِلاَّ أَيُّوب عليه السلام وهُوَ قبْلَ مُوسَى عليه السلام فلَمْ يَبْقَ إِلَّا العَرَب فهُوَ إِذَنْ مُحَمَّدٌ ﷺ[4].

وذاكَ النَّصُّ بهِ خُتِمَت "التَّوْراةُ" ولَفْظُهُ: "ولَمْ يَقُمْ نَبِيءٌ في بَنِي إِسْرَائيلَ مِثْلُ مُوسَى الذِي كَلَّمَ اللهَ"[5].

وذَكَرَهُ بعضُ المُحَقِّقينَ مِنْ علَمَاءِ قُرْطُبَةَ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ "مقَامِعُ الصُّلْبَانِ"[6] وهُوَ كِتابٌ عظِيمُ القَدْرِ أَقَامَ فِيهِ الحُجَّةَ علَى أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ كُتُبِهِمْ، وأَوْضَحَ البُرهَانَ ونَقَلَهُ حَرفًا بِحَرْفٍ، وطالَعَهَا وطَالَعَ بعْضَ تفَاسِيرِهَا ولَمْ يَزِدْ ولَمْ يُنْقِصْ، وكانَ عَارِفًا بقَلَمِهِمْ وبالمَعْنَى العِبْرِيّ.

وفِي "التَّورَاةِ": "جاءَ النُّورُ مِنْ سِيناءَ وأَشْرَقَ منْ ساغِينَ واسْتَعْلَى مِنْ جَبَلِ فَارَان، ومعَهُ جماعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ" سيناءُ "لتَوْرَاة" مُوسَى، وسَاغِينَ: جبَالُ الرُّوم "لِإِنجيلِ" عِيسَى، وجَبَلُ فَارَانَ: جِبَالُ مَكَّة لِلْقُرْآنِ وهِيَ مَكَّة.

وفِي التَّورَاةِ: "إِنَّ اللهَ أَسْكَنَ هاجَرَ وابْنَهَا إِسْمَاعِيلَ فَارَانَ"[7] قال ذَلِكَ المحقِّقُ القُرْطُبِيّ[8].

ناظَرَني يَوْمًا أَحَدُ أَحبَارِ اليَهُودِ وأَهْلِ الذَّكاءِ منْهُم في قَوْلِهِ في التَّوراةِ:" إِنّي أُقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

---

(1) سيرة ابن هشام، 233/1، وعيون الأثَر، ابن سيِّد النَّاس، 142/1-143 نقلا عن ابن إسحاقَ. ومقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص127، مع تغيير في الألفاظ.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص265.

(3) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص126، مع تغيير في الألفاظ.

(4) (م، س)، ص119، مع تغيير في الألفاظ.

(5) (م، س)، ص119، مع تغيير في الألفاظ.

(6) مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصمد الخزرَجِي، 519- 582هـ/1125-1186م، تح: عبد المجِيد الشَّرفِي، الجامعة التونسيَّة، نشريَّة مركز الدِّراسات والأبحاث الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، د س ن.

(7) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص123، مع تغيير في الألفاظ.

(8) أحمد بن عبد الصمد الخزرجِي: القرطبِي، نزل بجاية، وسكن غرناطة واستوطن فاس ومات بها سنة 582هـ، من مؤلفاته: آفاق الشموس وأعلاق النفوس في أحكام النبي، مقامع الصلبان. الوافي بالوفيات، الصفدِي، 43/7، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 170/1.

إِخْوَتِهِمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ... إِلَخ" فقالَ: هذا كُلُّهُ صَحِيحٌ لا أَجِدُ اعْتِرَاضًا علَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ قالَ: "سأُقِيمُ لِبَني إِسْرائِيلَ" ولَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ إِلَّا إِلَى العَرَبِ، قُلْتُ: ما عَلَى الأَرْضِ مَنْ يَجْهَل أَنَّ مُحَمَّدا قال: ((**بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ**))[1]، **وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى** وهذَا كِتابُهُ ينْطِقُ أَنَّهُ مبْعُوثٌ إِلى الخَلْقِ كافَّةً، فكَيْفَ يمكِنُكَ أَنْ تقولَ بُعِثَ إِلى العَرَبِ خاصَّةً، أَوَتَستقِيمُ لكَ حُجَّةٌ؟ فقالَ: لا يُمْكِنُنِي ولا غَيْرِي دَفْعُ ذلِكَ، وبذَلِكَ أَخْبَرَنَا أسلافُنا اليَهُودُ أَنَّه بُعِثَ إِلَى الخلْقِ كلِّهِمْ، إِلَّا فِرْقَةً مِنْ اليَهُودِ يقالُ لُهُم: اليعسوقية[2]، تقولُ بنُبُوءَتِه ومُعجِزَاتِهِ، وتُنْكِر بَعْثَهُ إِلَى غَيْرِ العَرَبِ، ولَسْنَا علَى شَيْءٍ مِمَّا هُمْ علَيْهِ.

وقال لِيَهودِيّ بِجَنْبِه: نَشَأْنَا على اليَهُودِيَّةِ، واللهِ مَا أَدْرِي كيْفَ الخَلاصُ مِنْ أَمْرِ هذَا، وأَقَلُّ ما نأْخُذُ بِهِ أنفُسَنَا النَّهْيُ عَنْ ذِكْرِهِ بِسُوءٍ[3].

وفي "التَّوراةِ": "يُقالُ لهَاجَرَ أُمِّ إِبْرَاهيمَ[4] عليها السلام قَدْ سَمِعْتُ خشوعَكِ فِي إِسْمَاعِيلَ، وستَكُونُ يدُهُ فوْقَ يَدِ الجَمِيعِ، وَيَدُ الجَمِيعِ مبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بالخُضُوعِ، ولَا شَكَّ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ تَحْتَ وَلَدِ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ النُّبوءَة فِي وَلَدِ إِسْحَاق"[5].

ولمَّا أَخَذَ قيْدار التَّابوتَ إِلَى مَكَّةَ، وهُوَ ولَدُ إِسْمَاعيلَ بَعَثَ إِلَيْهِ عَمُّهُ إِسحاقُ أَوْ ولَدُهُ يعقوب: ارْدُدْهُ إِلَيْنَا فإِنَّ لكَ نُورًا واحِدًا، يعْنِي سَيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ.

ولمَّا بَعَثَ اللهُ سيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ وهُوَ مِنْ نَسْلِ سَيِّدِنَا إسماعيل علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَتْ بِهِ يدُ وَلَدِ إِسْمَاعيلَ فَوْقَ يَدِ الجَمِيعِ، ورَدَّ [80و] النُّبُوءةَ فِيهِمْ ونَمَّاهُم وعَظَّمَهُمْ، وبَارَكَ فِيهِمْ جِدًّا جِدّا[6].

ويدُلُّ لِهَذَا أيْضًا قوْلُهُ فِي إسماعِيلَ: "يُقَاتلُ النَّاسَ جَمِيعًا، ويقَاتِلُونَهُ ويَضَعُ فسْطَاطَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ" وما ذَلِكَ إِلَّا بابْنِهِ مُحَمَّدٍ بنِ عبْدِ اللهِ ﷺ.

وفي التَّوْرَاةِ أيْضًا: "أَقْبَلَ السَّيِّدُ مِن سِيناءَ، ومِنَ التَّبِيرِ تراءَى لنَا، وأَقْبَلَ منْ جبلِ فاران[7] ومعَهُ آلافٌ مِنَ الصَّالحينَ ومَعَهُ كتابٌ نَارِيٌّ، وهُوَ خَتْمُ الأَجْنَاسِ، وجَمِيعُ الصَّالِحِينَ في قَبْضَتِهِ، ومَنْ تدَانَا مِنْ قَدَمَيْهِ يُصَبُّ مِنْ عِلْمِهِ"[8].

---

(1) جزء من حدِيث مسند أحمد، (2742).

(2) فِي مقامع الصلبان: العيسويَّة.

(3) مقامع الصلبان، الخزرَجي، ص120-122، مع تغيِير في الألفاظ.

(4) خطأ صوابه: أم إسماعِيل.

(5) (م، س)، ص123-124، مع تغيِير في الألفاظ.

(6) (م، س)، ص124، مع تغيِير في الألفاظ.

(7) في الأصل: فازان.

(8) مقامع الصلبان، الخزرَجي، ص124، مع تغيِير في الألفاظ.

ومعْنَى نَارِيّ: نُورِيٌّ، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿174﴾ ﴾[2].

وفِي "التّورَاةِ": "إنَّ الله تعَالى قالَ لِإبراهِيمَ عليه السلام حينَ دعاهُ في ابْنِهِ إِسْماعِيلَ: قَدْ أَجَبْتُكَ فِي إِسْماعِيلَ وبارَكْتُ علَيْهِ وكَثَّرتُهُ وعَظَّمتُهُ جِدًّا جِدًّا، وقالَ: أَجْعَلُهُ لأُمَّةٍ عظِيمَةٍ" يُرِيدُ أُمَّة سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ ﷺ[3].

وفِي "الزّبور": "تَقَلَّدْ أيُّها الجَبَّارُ السَّيْفَ، فإِنَّ نامُوسَكَ وشَرِيعَتَكَ مقْرُونةٌ بِيمِينِكَ، وسِهامُكَ مَسْنونَةٌ، والأُمَمُ يَخِرُّونَ تَحْتَكَ[4].

وفِي الزَّبورِ: يقولُ اللهُ سبْحانَه لدَاوُدَ: "سَيُولَدُ لَكَ وَلَدٌ أُدْعَى لَهُ أَبًا، ويُدْعَى لِي ابْنًا، فقَالَ داود عليه السلام: اللَّهُمَّ ابْعَثْ جَاعِلَ السُّنَّةِ، وهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ الذِي يُعَلِّم النَّاسَ، كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ بَشَرٌ"[5].

وذلِكَ الذِي يُدْعَى ابنًا هُوَ عِيسَى عليه السلام وبَعَثَ اللهُ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ، وأَعْلَمَ النَّاسَ أنَّ عِيسَى بَشَرٌ ولا قَائِمَ في ذلكَ إلَّا سيِّدُنا محمد ﷺ وأمَّتُه.

وكَذَلِكَ قالَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام فِي "الإِنْجِيلِ": "اللَّهُمَّ ابْعَث البَارقْلِيط لِيُعلِمَ النَّاسَ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ بَشَرٌ"[6].

وفِي الإِنْجِيلِ الذِي عنْ يوحَنّا: "البَارقْلِيط لَا يَجِيئُكُمْ مَا لَمْ أَذْهَبْ، فإِذَا جَاءَ وَبَّخَ العَالَمَ عَلَى الخَطِيئةِ، ولا يقولُ مِنْ تِلْقَاءِ نفسِه شَيْئًا، ولَكِنْ مِمَّا يَسْمَعُ يُكَلِّمكم ويَسُوسُكُمْ بالحَقِّ، ويُخْبِرُكُمْ بالحَوَادِثِ والعِبَرِ"[7]، إلى أَنْ قال: "وسَيُعَظِّمُنِي" وذَكَرَ كَيْفَ يقْهَرُ أصحَابَ الدُّنيا، وتمادَى عَلَى وَصْفِهِ بكلَامٍ ظَاهِرٍ[8]، ثُمَّ قالَ: "وَهُوَ يشْهَدُ لِي وأَنَا أَشْهَدُ لهُ، وأنَا أَجِيئُكُمْ بالأَمْثَالِ، وهُوَ يَجِيئُكُمْ بِالتَّأْوِيلِ[9].

والبَارقْلِيط بِلِسَانِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وكذَلِكَ يقولُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ القِسِّيسِينَ. وقدْ كانَ نَصْرَانيٌّ يقْرَأُ على شَيْخِهِ ويَسْأَلُهُ عَن البَارقْلِيط [80ظ] فَلَا يُجيبُهُ، فأَلَحَّ عليهِ يومًا في خلْوَتِهِ، فقَالَ لهُ: ما تريدُ مِنْ

---

(1) سورة المائدة: 15.

(2) سورة النساء: 174.

(3) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص123، مع تغيير في الألفاظ.

(4) (م، س)، ص126.

(5) (م، س)، ص126. عبارة: وهو محمد ﷺ الذي يعَلِّم الناسَ، من المؤلِّفِ.

(6) (م، س)، ص126. وفِيه: الفارقلِيط، بدل البارقليط.

(7) في مقامع الصلبان: بالحوادِثِ والغيوب.

(8) في مقامع الصلبان: بكلام بيِّنٍ.

(9) (م، س)، ص127.

ذَلك؟ هو محمَّدٌ رسولُ الله ﷺ، قال: فقلْتُ لهُ: إذَا عَلِمْتَ ذلكَ فمَا مَنَعَكَ مِنَ الإيمانِ بهِ؟ فقالَ لهُ: أنَا مُومِنٌ بِهِ، فَقَالَ لَه: وما مَنَعَكَ أَنْ تَرحَلَ إِلَى أَرْضِ الإِسْلَامِ؟ فقالَ لَهُ: أنَا شَيْخٌ لا أقْدِرُ علَى الانْتِقَال، فوَقعَ الإِسْلَامُ فِي قَلْبِي وعَزَمْتُ عَلَى الهِجْرةِ إِلَى دَارِ الإِسْلَامِ، قالَ: فَفَهِمَ عَنِّي، فقَالَ لِي: إِيَّاكَ أَنْ تُظْهِرَ للنَّصَارَى شَيْئًا مِمَّا تكلَّمنَا بِه ولَئِنْ خالَفْتَنِي لأَتبرَّأَنَّ مِنْكَ، وإِنْ رَجَمُوكَ رجَمتُكَ معهُم. فكَتَمْتُ أَمْرِي إِلَى أَنْ تَيسَّرَ لِي مَركَبٌ إلى مَدِينَةِ تونس وأَظْهَرْتُ إِسْلَامِي فيهَا، والحَمْدُ للهِ.

وفي إِنْجِيل بأَيْدِي النَّصَارَى أَنَّهُ قال لِلْيَهودِ: "تقُولُونَ لَوْ كُنَّا في زمانِ آبائنَا لَمْ نُسَاعِدْهُمْ على قَتْلِ الأَنْبِيَاءِ، أَتِمُّوا كيْلَ[1] آبائِكمْ يا ثَعَابِينَ بنِي الأَفَاعِي، كيْف لكُم النَّجاةُ مِنْ عذَابِ النَّارِ"[2].

ثُمَّ تمَادَى في مُخَاطبَتِهِمْ إلى أَنْ قالَ: "وأَنَا أقُولُ لكُمْ لا تَرَوْنِي الآن حَتَّى يأْتِي مَنْ تقُولُونَ لَهُ يا مُبَارَكُ، يأْتِي عَلَى اسمِ اللهِ"[3].

فَبشَّرَ بسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ المُبَارِكِ الذِي صَدَعَ بالْحَقِّ المُبينِ وقَطَعَ الشَّكَّ باليَقِينِ، وأَيَّدَهُ مَوْلاهُ بالبَرَاهِينِ وأَنْزَلَ عليْهِ كِتَابهُ المبِينَ، فمَنْ نَكَصَ بَعْدُ على عَقِبَيْه فلَنْ يضُرَّ اللهَ شيْئًا وسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ.

وفِي الإِنْجِيلِ: عَنْ متّى عَنْ عِيسَى: "الحَقُّ اليَقينُ أقولُ لَكُمْ" وذَكَرَ كلامًا في حقِّ يَحْيَى لمَّا حُبِسَ، وفي آخِرِ الكلامِ: "وأَمَّا الآنَ فإِنْ شِئتُم فأَقْبِلُوا فإِنَّ أَيْل مَعَ مَنْ يَأْتِي[4]، فمَنْ له أُذُنَانِ سامِعَتَانِ فلْيَسْتَمِعْ"[5] فهَذِهِ بِشارةٌ مِنْ عيسى عليه السلام بسَيِّدِنَا محمَّدٍ ﷺ، وأَيْل: هُو اللهُ.

وفي "التَّوراة": "جاءَ اللهُ مِنْ سِيناءَ" وَ "أَقْبَلَ مِنْ فاران" أيْ: كِتَابُ اللهِ[6].

وفي إِنْجِيلٍ عَن المَسِيحِ كلامٌ صَرِيحٌ في أُمَّةِ سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وفي آخِرِه: "أقولُ لكُمْ إِنَّهُ سَيُزاحُ عنْكُمْ مُلْكُ اللهِ، وتُعْطَاهُ الأُمَّةُ المُطِيعةُ العَامِلَةُ"، ثُمَّ ضرَبَ مثَلًا بِصَخْرةٍ، وقَالَ: "مَنْ سَقَطَ علَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ يتَكَسَّرُ، ومَنْ سَقَطَتْ علَيْهِ يتَهَشَّمُ"[7]. أَرَادَ مَنْ نَاوَى رسُولَ اللهِ ﷺ كانَ مغْلُوبًا.

وفي صُحُفِ إشعْياء النَّبيءِ: "ستُمْلَأُ البادِيَةُ والمدائِنُ بآلِ قَيْدَارَ يُسبِّحونَ، ومِنْ رؤُوسِ الجبالِ يُنادُونَ الذِين يجعَلُونَ للهِ الكرَامةَ ويبثُّونَ تسْبِيحَهُ في البرِّ والبَحْرِ"[8].

وفِي مُصحفِ حزقيال النَّبِيءِ يَقُول عَنِ الله تعالى: "إِنِّي مُؤَيِّدٌ قَيْدَارَ بالملائكةِ"، وقَيْدارُ وَلدُ

---

(1) لعلها: كيد، كما في مقامع الصلبان.

(2) مقامع الصلبان، الخزرَجي، ص128.

(3) (م، س)، ص128. عبارة: ثُمَّ تمَادَى في مخاطبتهم إلى أن قال، من كلام المؤلف.

(4) في مقامع الصلبان: مزمع أن يأتي.

(5) (م، س)، ص129.

(6) (م، س)، ص130.

(7) (م، س)، ص132.

(8) (م، س)، ص132-133.

إسْمَاعيلَ[1]، وقَدْ صَدَقَ اللهُ وعْدَهُ ونَصَرَ عبْدَهُ ومَلأَ البَسِيطَةَ مِنْ وَلَدِ إسماعِيلَ وآلِ قيْدَارَ ينَادُونَ بالآذانِ والتَّلبِيَةِ باللَّيْلِ [81و] والنَّهارِ، ويَجْأَرُونَ بِهِمَا في الحواضِرِ والبوادِي والقِفَارِ، ويَجْعَلُون للهِ الكَرَامَةَ بالصَّلاةِ والحَجِّ وسائِرِ القُرَبِ في البَرَارِي والبِحارِ، وهذِهِ صِفَةُ هذِهِ الأُمَّةِ المُحَمَّديَّةِ الكَريمةِ على اللهِ جلَّ وعَلاَ.

قال إشَعْيَاء النَّبِيءُ عن اللهِ ﷻ: "عبْدِي الذِي سُرَّتْ به نفْسِي أُنْزِلُ علَيْهِ وَحْيِي، فيُظهِرُ في الأُمَمِ عَدْلِي يُوصِي الأُمَمَ بالوَصايا، لَا يَضْحَك ولا يُسْمَع صَوْتُهُ في الأَسْواقِ، ويَفْتَحُ العيُونَ العُورَ، ويُسْمِع الآذان الصُّمَّ، ويُحيِي القلوبَ الغُلْفَ، وما أَعْطَيْتُهُ لا أُعْطِيهِ غَيْرَهُ، أَحْمَدُ يَحْمَدُ اللهَ حَمْدًا حديثًا يأتِي مِنْ أقْصَى الأَرْضِ تَفْرَحُ البَرِيَّةُ وسُكَّانُهَا يُهَلِّلُونَ اللهَ على كُلِّ شَرَفٍ ويُكَبِّرُونَهُ علَى كُلِّ رَابِيَةٍ، لا يَضْعُفُ ولا يُغْلَبُ ولا يَمِيلُ إلى الهَوَى، ولا يُسْمَعُ في الأسواقِ صَوْتُهُ، ولا يُذِلُّ الصَّالحينَ الذِين هُمْ كالعصْفَةِ[2] الضَّعِيفةِ بَلْ يُقَوِّي الصَّالِحِينَ[3] الصِّدِّيقِينَ، وهُوَ رُكْنٌ لِلْمتَوَاضِعِينَ، وهو نُورُ اللهِ الذِي لا يُطفَأُ ولا يُحْصَمُ حتَّى يُثْبِتَ في الأَرْضِ حُجَّتِي ويَنْقَطِعَ بِهِ العُذرُ، وإلى تَوْرَاتِهِ ينقَادُ الخَلْقُ"[4]، وهذَا تَبْشِيرٌ بنَبِيئِنا مُحَمَّدٍ ﷺ.

ومَعْنَى سُرُورُ اللهِ رِضاهُ؛ لِأَنَّهُ لا يَضرُّهُ شَيْءٌ، ولا يَحْتَاجُ إلَى شَيْءٍ ولَا يَعْجِزُ. ومَعْنَى جَعْلِ الكَرامَةِ للهِ: جَعْلُ العِبادَةِ لَهُ.

وفي صُحُفِ حيقون النَّبِيءِ: "جاءَ اللهُ مِنَ المتِينِ وتَقَدَّسَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وامْتَلأَت الأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحْمدَ وتقْدِيسِهِ ومَلَكَ الأَرْضَ بِهَيْبَتِهِ". وقال أَيْضًا: "تضِيءُ لنُورِهِ، وسَتَنْزَعُ فِي قِسِيِّكَ إِغْرَاقًا وتَرْتَوِي السَّامُّ[5] بأَمْرِكَ ارْتِوَاءً"[6].

وفي صُحُفِ إِشَعْيَاء النَّبِيءِ يقُولُ: قِيلَ لِي قُمْ ناظرًا فانْظُرْ فَمَا تَرَ تُخْبِرْ بِهِ، قُلتُ: أَرَى راكِبَيْنِ مُقبلَيْنِ أَحَدُهُمَا علَى حِمَارٍ والآخَرُ علَى جَمَلٍ، يقولُ أَحَدُهُما لصَاحِبِهِ: سَقَطَتْ بابل وأصْنامُهَا النَّخِرَةُ". فصَاحِبُ الجَمَلِ هُو نَبِيئُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وصَاحِبُ الحِمَارِ اتِّفَاقًا مِنَّا ومِنَ النَّصَارَى عِيسَى بنُ مرْيَمَ"[7]. ومَازَالَ أَهْلُ بَابِلَ يَعْبُدُونَ الأَصنَامَ مِنْ لَدُنْ إبْرَاهِيمَ فما زَالَتْ إلَّا بنَبِيئِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ المبَارَكَةِ.

وفِي صُحُفِ إِشَعْيَاء: "لِتَفْرَحْ أَرْضُ البَادِيَةِ العَطْشَاء وتَبْتَهِج البَرارِي والفَلَواتُ لأَنَّهَا سَتُعْطَى بأَحْمَدَ

(1) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص133.

(2) في مقامع الصلبان: كالقصبة.

(3) فوق الصالحين خاء، يبدو أن الكلمة محذوفة، كما في مقامع الصلبان.

(4) في مقامع الصلبان: ينقاد للحق. مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص133.

(5) لعله السهام، كما في مقامع الصلبان.

(6) (م، س)، ص134-135.

(7) (م، س)، ص135.

مَحَاسِنَ لُبْنانَ"[1]. وهذا تَصْرِيحٌ بهِ ﷺ أَمَاتَنَا اللهُ علَى مِلَّتِهِ.

وفي صُحُفِ دانْيال: "لا تَقُومُ دَعْوَةُ باطلٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةٍ"[2]. وهذِهِ دَعْوَةُ نَبِيئِنَا ﷺ قامَتْ أَكْثَرَ مِنْ ثلَاثَ عَشْرَةَ مِئَةِ سنةٍ.

وفي عَصْرِي هذَا دَخلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ القرارة بلادَ الأندلس فَبَيْنَما هُوَ معَ رَجُلٍ فِي دارِهِ إِذْ دَخَلَ الرَّجُلُ وهُوَ بِصُورَةِ نَصْرَانِيٍّ مَطْمُورَةً وتَطَهَّرَ وَلَبِسَ لِبَاسًا آخَرَ وصَلَّى صلَاةً مِن الخَمْسِ، فقَالَ لهُ القَرَارِيُّ: [81ظ] ما هَذَا؟ قالَ: إِنِّي مُسلِمٌ ومَعِي أَهْلِي نَسْتُرُ إِسْلَامَنَا خَوْفًا مِنَ النَّصارَى.

وأَهْلُ الكِتابِ يَعْلَمون صِدْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُصُوصًا القِسِّيسينَ والرُّهبانَ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْفُونَ إِيمانَهُمْ إِبْقاءً علَى أَنْفُسِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ وقَرَابَتِهِمْ، والواجِبُ علَى مَنْ آمَنَ مِنْهُم أَنْ يُهاجِرَ إِلَى أَرْضِ الإِسْلَامِ لِيَتَعلَّمَ الشَّريعَةَ.

وقَال إِشَعْيَاء النَّبِيءُ مخَاطِبًا لِمَكَّةَ: "أَبْشِرِي واهْتَزِّي أَيَّتُها العاقِرُ التِي لَمْ تَلِدْ وانْطِقِي بالتَّسبيحِ وافْرَحِي إِذْ لَمْ تَحْبلي، فإِنَّ أَهْلَكِ سيكونُونَ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِي"[3].

شبَّهَ مَكَّةَ بالعَاقِرِ؛ لِأَنَّهُ لا نَبِيءَ مِنْهَا إِلَّا إِسماعِيل، فجَاءَ نَبِيئُنا ﷺ كوَلَدٍ بَعْدَ عُقْمٍ، وأَهْلُ إِشَعْيَاء بَيْتُ المَقْدِسِ وأَكْثَرُ الأَنْبِئَاءِ بالشَّامِ، فلَا تُشْبِهُ العاقِرَ.

ووُجِدَتْ نُسخَةٌ قَديمَةٌ يُذكَرُ فيهَا أَنَّهَا الزَّبُورُ وأَنَّهَا مِنْ رِوايةِ وهب بن منبّه، وهُوَ مِنَ التّابعين، عارِفٌ بِخُطوطِ الأَقْدَمِينَ وخطوطِهِمْ[4] صلَّى الفَجْرَ بوضُوءِ العِشاءِ أَرْبَعينَ عامًا، وهِيَ نُسخَةٌ قصدر[5] أبو عُبيدٍ الكاذِبُ، فذُكِرَ فيها أنَّ اللهَ قال: "مَلْعونٌ مَلْعُونٌ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ وعَلَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلِي"[6].

وقال في المزمورِ السِّتِّينَ:" لَيْسَ الخُدلانُ خُدْلانُ الفَوَاحِشِ؛ لِأَنَّ لَهَا الاسْتِغْفَارَ يُطفئُها، كَمَا يُطفِئُ الماءُ النَّارَ الحارَّةَ، إِنَّمَا الخُدلانُ خُدلانُ رَجُلٍ أَحْدَثَ حَدَثًا لِيُغَيِّرَ بِه شَرِيعَةً مِنْ شَرَائِعِي، ولِيَسْتَنَّ سُنَّةً لَيْسَتْ مِنْ سُنَنِي.

وفِي المَزْمُورِ السَّادِسِ والأَرْبَعِينَ مِنْ مزَامِيرِ دَاوُدَ عليه السلام: "مَنْ كَذَبَ علَيَّ أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلي استَوْجَبَ النِّقمةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ".

وفِي المَزْمُورِ السَّابِعِ والتِّسعِينَ: "يا دَاوُد استَعِذْ بِي مِنْ شرِّ زَمَانٍ يكثُرُ فِيهِ الكَذِبُ علَى العِلْمِ، فكُلُّ مَنْ هَوَى حديثًا ابْتَدَعَ لَهُ حُجَّةً، فإِذَا وَرَدَ القِيامةَ رُدَّت أَعْمَالهُمْ كلُّهَا، يا دَاوُدَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ أَوْ

(1) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص136، وفيه: محاسن اللسان.

(2) (م، س)، ص137، وفيه: لا تقوم لداع كاذب دعوةٌ أكثر من ثلاثين سنة.

(3) هداية الحيارَى، ابن القيم، ص171.

(4) في العبارة تكرار.

(5) لم أفهم العبارة.

(6) لم أقِفْ عليهِ.

قالَ مَا لَمْ أَقُلْ، أَوْ قالَ علَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلِي، عَقَدْتُ طَرَفَ لِسَانِهِ مِنْ داخِلِ أمعَائِهِ في النَّارِ، ثُمَّ سَدَدْتُ ما بَقِيَ مِنَ اللِّسانِ بِجَفْنِ حَدَقَتَيْهِ، ثُمَّ جعَلْتُهُ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ بصاصًا، ثُمَّ نَكسْتُهُ على الحَدَقَةِ واللِّسانِ في النَّارِ، مَنْ قال علَيَّ ما لَمْ أُنْزِلْهُ حَشَرْتُهُ في وادٍ يُقالُ لهُ الغَضْبَانُ، ومَكَّنْتُ ذَلِكَ الوَادِي مِنْ باطِنِهِ وظَاهِرِهِ. ما كَانَ مِنْ حَقٍّ يُصَدِّقُ الكُتُبُ فيهِ بعْضهَا بَعْضًا، فهُوَ مِنِّي وأنا قُلْتُهُ، ومَا اختَلَفَتْ فِيهِ، ووُصِفْتُ فيهِ بغَيْرِ الحقِّ، فأنَا مُبرَّأٌ منهُ ولَم أقُلْهُ، مِنْ شأْنِي أنِّي أنَا الرَّبُّ الذي لا يُشْرَكُ بي غَيْرِي. يا داودُ اتْلُ كتَابِي واحْلُ بي خلْوةَ حَبِيبٍ يُحِبُّ حَبِيبَهُ".

وقال: "مَنْ كَذَبَ عَلَى اللهَ بَعُدَ مِنَ الله، ومَنْ زادَ في كُتُبِ الله برِئَ مِنَ اللهِ، ومَنْ حاولَ أَنْ يُخْمِدَ حقَّ اللهِ أَخْمَدَهُ اللهُ، ومَنْ أَحبَّ اللهَ راقَبَ اللهَ، ومَنْ نَصرَ دِينَ اللهِ نَصَرَهُ اللهُ علَى الأَعْدَاءِ وجَعَلَ لهُ الكلِمَةَ العُلْيَا".

وفي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ: مَنْ زادَ حرْفًا في كِتَابِي، أو قَالَ علَى الأنبِيَاءِ ما لَمْ يقُولُوا أو اسْتَهَانَ [82و] بالمَوْعظَةِ قَفَلْتُ على قُفْلِهِ كالخَرَاجِ الذِي لا يَنْدمِلُ، يكُونُ حِجابًا بَيْنَهُ وبَيْنَ الإيمَانِ".

وفي مَوْضِعٍ آخَرَ منْهُ: مَن استَحْيَى مِنَ اللهِ كفاهُ اللهُ، ومَن استعَانَ بغَيْرِ اللهِ أسْلَمَهُ اللهُ، ومَنْ كَذَبَ على اللهِ أو رُسُلِهِ ما لم يقُلْ عذَّبهُ اللهُ عذَابًا مُهِينًا".

وفي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ: يا داودُ مَنْ كَذَبَ عليَّ أو عَلَى أَحدٍ مِنْ رُسُلِي أو تعامَلَ بالرِّبا أَوْ أفْشَى الزِّنَى، علَّقتُهُ في النَّارِ بأنيَابِ حيَّاتٍ كأنَّها البَخَاتِي، تُذِيبُ اللَّحمَ وتمزِّقُ الجلدَ، وتُهْرِي الأمعَاءَ".

وقالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "يا داوُدُ مَنْ قال عَلَيَّ أو علَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلي كَذِبًا فَقَدْ بَاءَ بغَضَبٍ، يا دَاوُدُ اعْلَمْ أنَّه مَن انْقَطَعَ إليَّ كفَيْتُهُ ومَن استنْصَرَنِي نَصَرْتُهُ".

وقال فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: مَنْ حَرَّمَ حلَالًا كان كَمَنْ أَحَلَّ حرامًا، ومَن ادَّعَى في شَيْءٍ مِنْ كُتُبِي مالَمْ أَقُلْهُ لِيُشبِّهَ على النَّاسِ ويَجْعَلَه مِظَلَّةً لَهمْ، فقَدْ أَشْرَكَ بِي وإِنْ كانَ مُؤْمِنًا عِنْدَ نفْسِهِ، مُرْ بَنِي إسرَائِيلَ أَن لا يُخَالِفوا ما أمَرْتُ بهِ، وأنْ يأْخُذُوا الأَحْكَامَ مِنْ جَمِيعِ المِلَلِ، يأْخُذُ كُلُّ واحدٍ بِكِتَابِهِ أو سُنَّة نَبِيئِهِ، ومَنْ تَوَرَّعَ أنْ يَزِيدَ في كتابِي حَرْفًا وكانَ على البَصِيرةِ والتَّقلِيدِ جَازَيْتُهُ الجَنَّةَ التِي جعَلْتُهَا أُمْنِيَةَ المُتَمَنِّينَ. يا دَاوُدَ لَيَنْتَهِيَنَّ أُناسٌ عَنْ أن يَقُولُوا علَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، أوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلِي، فَمَنْ لَمْ يَنْتَهِ مِنْهُم فلَوْ جاءَ بمِثْلِ الدُّنيا مِئَةَ ضِعْفٍ فِضَّةً ليَفْتَدِيَ بِهِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُ خَرْدَلَةٌ، وكانَ مَأْوَاهُ النَّارُ وبِئسَ المَصِيرُ".

وقال فِي آخِرِ الزَّبُور: "يا دَاوُدُ مَنْ كَذَبَ علَيَّ وعلَى رُسُلِي أَخْزَيْتُهُ خِزيًا عظِيمًا، وأَعْدَدْتُ لهُ نَارَ جَهنَّمَ خالِدًا فِيها، ذَلكَ الخِزْيُ العَظِيمُ".

وقالَ فِي المزْمُورِ السَّابِعِ مِنَ الزَّبورِ: "ما أَشْغَلَ قَلْبَ مَنْ عَرَفَنِي عن قَاذُوراتِ الدُّنيَا، وعِزَّتِي ما جَاءَتْ رُسُلي إلَّا بالحقِّ، ولَوْ عَرَفْتُ نَبيئًا يقُولُ علَيَّ ما لَمْ أَقُلْ لَجعَلْتُهُ عِبْرَةً لِلْأَنْبِئَاءِ والرُّسُلِ، وجَعَلْتُهُ

حدِيثًا لِأَهْلِ الدُّنيا". ومِصْدَاقُهُ في القرآنِ قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾﴾[1] الآيَةَ.

وفِي المزمُورِ الثَّامِنِ عَشَر: "الأَيْمَانُ الكاذِبَةُ تُسَوِّدُ القَلْبَ وتُظْلِمُهُ مِنَ الهُدَى، والكَذِبُ خَتْمٌ على الفُؤَادِ".

وقالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "يا بَنِي إسْرَائِيلَ احْكُمُوا بما أنزَلْتُ ولا تَتَعَدَّوْهُ فإنَّ قوْمًا تعَمَّدُوا كُتُبِي وأحْكَامِي وتَأَوَّلُوا تَأْوِيلَاتٍ مِنْ رَأْيِهِم فضَلُّوا وأَضَلُّوا كَثِيرًا"؛ أَيْ: قَصَدُوا كُتُبِي وأَوَّلُوا.

وفِي المَزْمُورِ السَّابِعِ والثَّلاثين مِنْ نُسْخَةِ وهْب المذْكُورَةِ أَنَّ آدمَ نَظَرَ فإذَا بذِكْرِ حَبِيبِي مكْتُوبٌ على سَاقِ عَرْشِي، وكَانَ آدمُ مُلْهَمًا خَلَقْتُهُ بكُلِّ الإِلْهَامِ بالكتُبِ والحِسَابِ وجَمِيعِ أعْمَالِ أَهْلِ الأَرْضِ، ولمَّا قَرَأَ ذِكْرَهُ ظَنَّ أنّي أشْرَكْتُ معهُ آخَرَ في الجَنَّة، فهُوَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّغَلِ والمَكْرِ، أتُسْلِمُونَ يَا بَنِيهِ وهُوَ أَطْهَرُ منْكُمْ؟ فقال بَاكِيًا: إلَاهِي ما هَذَا؟ فقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيتِكَ أُظْهِرُهُ على الدِّين كُلِّهِ وعلَى جَمِيعِ [82ظ] الأَدْيَانِ، بِهِ يَتِمُّ عُمْرَانُ الدُّنيا وعُمْرَان الآخِرَة، وبِهِ خَلَقْتُ الجَنَّةَ وبِهِ ابتَدَعْتُ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ قُلتُ: أَينَ الحامِدُون؟ فَجَمَعْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ ملَائِكَةٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عامٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ وهُوَ مُسْتَبْشِرٌ إلَى الجَنَّةِ.

وقالَ في المزْمُورِ السَّابعِ والمِئَة: "مُحَمَّدٌ الممْدُوحُ الرَّفيعُ الدَّرجَةِ العَزِيزُ البُرْهانِ العَظِيمُ الحُجَّةِ المحْمُودُ المهَيْمِنُ المصْطَفَى الصَّادِقُ، العَزيزُ الطَّاهِرُ الذِي خُلِقَ مِنْ شَجَرةِ طُهْرٍ، الشَّدِيدُ البَأْسِ فيمَا يُسْخِطُنِي، الذِي يسْمجني[2] وهو مسْتَقِرٌّ في الأرحامِ، والصَّحيحُ العَزْمِ الواثقُ اليقينِ، الشَّديدُ الحِرْصِ على ديني الذي لم تَغْلِبْهُ زَهْرَةُ الدُّنيا وبَهجَتُهَا، ففِيهِ نورُ القَمَرِ والشَّمسِ، وأنتمْ يا معشَرَ الأنبِيَاءِ كالنُّجومِ عندهُ، إذا وَقَرَت السَّحَابُ أكثَرَ مِنْ طاقَتِهَا مَطَرًا سَأَلَتْنِي بحقِّهِ فَخَفَّفْتُ حمْلَهَا، لولَاهُ ما أهْبَطْتُ آدمَ مِنَ الأرضِ ولا عَمَّرتُ الدُّنيا، تَدْرِي مَنْ هُو يا دَاوُدُ؟ هُوَ فَرْعٌ مِنْ فرعِ إبراهيمَ بِهِ أَهَلَّ آدمُ، مَنْ كَفَرَ بِهِ فعَلَيْهِ لَعْنَتِي، وسيَخْرُجُ قَوْمٌ يَدَّعونَ الرَّهبانيَّة يمْحُونَ اسمهُ مِنْ كُتُبي، أتَدْرِي يا دَاوُدُ أيْنَ هؤلاءِ الكفَّارُ؟ هَذَا مِنْ عُقُولِهِمْ؛ لِأَنَّ الشَّيْطانَ واقَعَ أُمَّهَاتِهِمْ معَ آبَائِهِمْ فأُشْرِكَتْ نطفَتُهُ مع نُطْفَةِ آبائهمْ فَضَلُّوا وكفرُوا وأَضَلُّوا كثيرًا، وضَلُّوا عنْ سواءِ السَّبيلِ، مَنْ آمَنَ بمُحَمَّدٍ فقَد اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ بالإيمان بهِ، ومَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ فقَدْ كَفَرَ بِي وبِكُتُبي، وَمَنْ آمَنَ بالتَّوْرَاةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وَلم يُفرّقْ بَيْنَ شيْءٍ مِنْ كتبِي أجزَيْتُهُ أجرَهُ موَفَّرًا وأنا العَزِيزُ الحَكِيمُ".

وقالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: "يا دَاوُدُ لَمْ أَجْعَلْ كتابَ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبَغَاءِ نَظْمًا، كمَا نظَمْتُ كتَابَ صاحِبِ التَّوْحِيدِ، الذِي في آخِرِ الزَّمانِ، فِيهِ البَيَانُ والشِّفَاءُ، وقَدْ أَنْزَلْتُ علَيْكُمْ مَعْشرَ الأَنْبِغَاءِ مِنْ بَعْضِهِ، وجَعلتُهُ

(1) سورة الحاقة: 44.

(2) لعله: يسبحني.

كلامًا في كُتُبِكُمْ، إذا دَبَّرَهُ العَاقِلُونَ عَلِمُوا أنَّ الذِي جاءَ بِهِ الأَنْبِئاءُ مِنّي وأنَا قُلتُهُ".

وفي آخِرِ الزَّبورِ: "يا دَاوُدُ سَيْأتِي مِنْ بَعْدِكَ نَبِيءٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا ﷺ لا أغْضَبُ عَلَيْهِ أبدًا؛ لأنَّهُ قد غَفَرْتُ لهُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَعْصِيَنِي وأَعْطَيْتُ أُمَّتَهُ النَّوافِلَ ما أَعْطَيْتُ الأنْبِئَاءَ والرُّسُلَ، وفَرَضْتُ علَيْهِم الفَرَائِضَ التِي فَرضْتُ علَى الرُّسُل حتَّى يَأْتُوا يَوْمَ القِيَامةِ نورُهُمْ نُورُ الأنبئاءِ، وذلِكَ أَنِّي فَرَضْتُ علَيْهِم الصَّلواتِ والوُضُوءَ للصَّلاةِ ولم أَفْرِضْهُ إلَّا علَى الأنْبئاءِ مِنْ قَبْلِهِمْ وأَمَرْتُهُمْ بالحجِّ كما أَمَرْتُ الأنبئاءَ والرُّسُلَ. يا دَاوُدُ إنِّي فَضَّلْتُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ كما فضَّلتُ مُحَمَّدًا ﷺ على جَمِيعِ الأنْبئاءِ لا آخذُهُمْ بالخَطَايَا مَا دَامُوا يَسْتغفِرُونَنِي، والثَّانِيةُ ما قدَّمُوا مِنْ أمْوَالِهِمْ طَيِّبةً بها أنْفُسُهُمْ، أُعَجِّلُ لَهُم الخُلْفَ أضْعَافًا مضَاعَفَةً، لَهُمْ المدخور أضعَافًا مضاعَفَةً، وأعطِيهِمْ على المصَائِبِ والبلاءِ إذَا صَبَرُوا وقالُوا: إنَّا للهِ وإنَّا إلَيهِ راجعونَ، الصَّلاة والرَّحمة والهُدَى [83و] إلى جنَّاتِ النَّعيم، وأقول لهم: ادعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ، فإمَّا تَرَوْنَهُ عَاجِلًا وإمَّا أَصْرِفُ عنْكُمْ سُوءًا، وإمَّا أَدَّخِرُ لَكُمْ أَجْرًا، وأقولُ لَكَ يا دَاوُدُ: اشْهدْ عَلَيَّ مَنْ لقِيَنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ يَشْهدُ أَنَّ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لِي، صَادِقًا بهَذَا قلبُهُ ولسَانُهُ فهُوَ منّي في جنَّتِي، ومَنْ لقِيَنِي وهُوَ مُكَذِّبٌ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيَّ ما جاءَ بِهِ واسْتَهْزَأَ بشَيْءٍ مِمَّا جاءَ بِهِ، صَبَبْتُ العَذَابَ علَيْهِ صَبًّا، وضَرَبَت الملائِكَةُ وجهَهُ ودُبرَهُ في الدَّرَك الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ"[1].

وقالَ داوُدُ: "اللَّهُمَّ ابْعَثْ لنَا مُحَمَّدًا مُقْرِئَ السُّنَّةِ بَعْدَ الفَتْرَة"[2].

ومِنْ أسمائِهِ في الكُتُب: المتَوَكِّل والمخْتَارُ ومُقيمُ السُّنَّةِ والمقَدَّسُ ورُوحُ الحَقِّ والبَارقْلِيطْ الذي يفرِّقُ بَيْنَ الحقِّ والباطِل، ومَادْمَادْ أَيْ: طيِّب، وحمطايا والحَاكِم والخَاتِم، وبالسُّريانيَّة مشفح، والمنحمنا وفي التَّوراةِ أحيد، وصاحب القضِيب أَيْ: السَّيْفِ، وفِي الإنجيلِ: مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ.

ومِنْ أسمائِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمَةِ: الضَّحُوكُ وحمياطَا أو حمطايا وأحيد وبَارقْلِيط وفَارقْلِيط، وفَارْقِليطَا ومَاذمَاذ والمشفح والمنْحَمنا والمختار ورُوحُ الحقِّ، ومُقِيمُ السُّنَّة والمقدَّس وحِرْزُ الأُمِّيِّين. ومعْلُومٌ أنَّ أكْثَرَ الأسْمَاءِ المذْكُورَةِ صفاتٌ، وإطْلَاقُ الأَسْماءِ أيْ: الأَعْلام عليْهَا مَجَازٌ[3] وإنْ أُرِيدَ مقابِل الفِعْلِ والحَرْفِ.

وحَمْطَايَا بفَتْحِ الحاءِ وإسْكانِ الميمِ معْنَاهُ حَامِي الحرَمِ، وحَمْيَاطَا معْنَاهُ يحْمِي الحَرَمَ مِنْ الحرَامِ، ويُوطِئُ الحَلَالَ[4].

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 380/1.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص261.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1.

(4) (م، س)، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطَلاني، 53/2.

وأحيد بضمٍّ ففتحٍ فإسكانٍ أو بِفَتْحِ الهمزةِ وكسرِ الحاءِ وفتحِ الياءِ، وهو المشهُورُ أو بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الحاءِ وإسْكانِ الياءِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**اسْمِي فِي القُرْآنِ محمدٌ وَفِي الإِنْجِيلِ أَحْمَد، وفِي التَّوْرَاةِ أُحَيْد، وَإِنَّمَا سُمِّيتُ أُحَيْدُ لِأَنِّي أُحِيدَ عَنْ أُمَّتِي نَارَ جَهَنَّمَ**))[1][2].

وأمَّا بَارقِليط وفَارقِليط بالبَاءِ أو بالفَاءِ أو بِحَرْفٍ بيْنَهُما وفَتْحِ الرَّاءِ والقَافِ أو بسُكونِ الرَّاءِ معَ فَتْحِ القَافِ، وبِكَسْر الرَّاءِ أو بِكَسْرِ الرَّاءِ وإسْكَانِ القَافِ، فوقَعَ في إنْجِيلِ يُوحَنَّا ومعْنَاهُ رُوحُ الحَقِّ. وقال ثعْلب: معناهُ الذي يُفَرِّق بيْنَ الحقِّ والباطِلِ[3].

وإنَّما قُلْنَا في إنْجيلِ يُوحَنَّا؛ لِأَنَّ عِيسَى لمْ تَظْهَر دَعْوَتُهُ في عَصْرِهِ وإنَّمَا أُخِذَ الإنجيلُ عَنْ أربعةٍ مِنَ الحَوَارِيّين: متَّى ويُوحَنَّا ومرْقُس ولوقا، تَكَلَّم كلُّ وَاحِدٍ مِنْ هؤلاءِ بعبَارةٍ عبَّرَهَا لِلْأُمَّة الذِين تابَعُوهُ دَعَاهَا بِلُغَتِهم نجّلها أيْ: ولَّدَها مِمَّا سَمِعَ مِنَ المسِيحِ عليه السلام، ولذلك اخْتَلَفَتْ الأنَاجِيلُ الأرْبَعَةُ اخْتِلافًا شدِيدًا[4].

وماذماذ بإعجَامِ الدَّاليْنِ، معناهُ طيّبٌ طيّب، وهو طيّبُ الفِعْلِ [83ظ] والقولِ والاعْتِقَادِ، أو طيّبُ الرَّائِحَة وكان يُؤْخَذُ مِنْ عَرَقِهِ ليُتَطَيَّبَ بهِ. وقِيلَ: بِضَمّ الميمِ وإشْمَامِ[5] الهمزَةِ ضمَّةً بيْنَ الوَاوِ والألفِ ممدُودًا، قالهُ رجلٌ مِمَّن أسْلَمَ مِنْ بنِي إسرائيلَ، وقال معناهُ طيّبٌ طيّبٌ[6].

والمُشَفَّحُ بضَمّ الميم وفَتْحِ الشِّينِ والفاءِ المُشَدَّدةِ، ورُوِيَ بالقَافِ بَدَلَ الفاءِ مِنَ الشَّفْحِ، والشَّفْحُ بمعنَى الحَمْد في السُّرْيَانِيَّةِ[7].

والمُنْحَمِنَّا بضمّ الميمِ وإسْكَانِ النُّونِ وفَتْح الحَاء وكَسْرِ الميمِ الثَّانية وشَدِّ النُّونِ الثَّانِيَةِ أَوْ بفَتْحِ المِيمَيْنِ مُحَمَّدٌ بالسُّرْيَانِيَّة[8].

وَعنْ كَعْبِ الأَحْبَار رَحِمَهُ الله: اسْمُ النَّبيءِ ﷺ في التّوراة: موذموذ، وفي الإنجيل: طَاب طَاب، وفي الصُّحُفِ: عَاقِبٌ، وفي الزَّبُورِ: فَارُوقٌ[9]. وإنَّما أَذكُرُ هُنَا ما في الكُتُبِ الأُولَى مِنْ أسْمَائِهِ.

ومِنْ أَدِلَّة نُبوءَتِهِ ﷺ قوْلُهُ: ((**إنّي فِي كُتُبِكُمْ نَبِيءٌ**))[10] فإنَّ هَذَا مِمَّا يزِيدُهُمْ بُعْدًا عَن الإيمانِ

---

(1) نقله صاحب تاريخ الخمِيس والمواهب اللدنية عن النووي في تهذيب الأسماء واللغاتِ، 22/1، والحدِيث في تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 32/3، ذكره الألباني في السلسلة الموضوعة.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطَلاني، 54/2.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطَلاني، 53/2.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1

(5) في الأصل: إسمام، والتصحيح من المواهب وتاريخ الخمِيس.

(6) (م، س)، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطلاني، 38/2.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطلاني، 54/2.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطلاني، 54/2.

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 207/1، المواهب اللدنية، القسطلاني، 56/2.

(10) لم أقف عليه بلفظه.

بهِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ الأمرُ كَمَا قالَ.

وقال اللهُ ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾[1] إلخ وبَعْضُهُمْ لَمْ يُسْلِمْ لَمَّا كان مِنَ العَرَبِ، لا مِنْ بني إِسْرائيلَ، وبعضهُمْ أسْلَمَ كعبْدِ الله بنِ سَلَّام ومُخيْرق وتميم الدَّاري فإنَّهُ مِنَ اليهودِ، وأسلمَ كعبُ الأحبارِ بَعْدُ في خلافَةِ عمرَ رضيَ الله عنهُمَا.

قال محمَّدُ بنُ حمزةَ بنِ عبْدِ الله بنِ سلَّام عَنْ جدِّهِ عبدِ الله بنِ سلَّام: ((إنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ النَّبيءِ ﷺ بِمكَّةَ خَرَجَ فلَقِيَهُ النَّبيءُ ﷺ فقَالَ لَهُ: أنْتَ عبدُ الله بن سَلَّام عالِمُ أَهْلِ يثْرِبَ؟ قال: نعم، قال: نَاشَدْتُكَ اللهَ، الذي أَنْزَلَ التَّوراةَ، هَلْ تجدُ صِفَتِي في كِتَابِ اللهِ؟ قالَ: أُنْسُبْ رَبَّك يا مُحَمَّد، فارْتَجَّ النَّبِيءُ ﷺ، فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[2] فقال له ابنُ سَلَّام: أشْهَدُ أنَّكَ رسُول اللهِ وأنَّ اللهَ مُظْهِرُك ومُظهِرُ دينِكَ على الأَدْيانِ، وإنِّي لَأَجِدُ صِفَتَكَ في كِتابِ الله: يأيُّها النَّبيءُ إنَّا أرسلْنَاكَ شَاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، أنتَ عبدِي ورَسُولي))[3] إلى آخِرِ مَا مرَّ.

وقوله: "ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ" مُوافِقٌ لقوله﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[4] إلخ.

وأمَّا قولُهُ:﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[5] فمَحْمُولٌ على معالجةِ طَبْعِهِ الكَرِيمِ بأنْ يُغْلِظَ على الكُفَّارِ.

قَالَتْ أمّ الدّرْداء امرأةُ أَبِي الدَّرْدَاء: قُلْتُ لِكعْب: كَيْفَ تَجِدُونَ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: كُنَّا نَجِدُهُ: مَوْصُوفًا فِيهَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، اسْمُهُ: المتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ولا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وأُعْطِيَ الْمَفَاتِيحَ لِيُبَصِّرَ بِهِ أَعْيُنًا عُورًا، وَيُسْمِعَ بِهِ [84و] آذَانًا صُمًّا، وَيُقِيمَ بِهِ أَلْسِنَةً مُعْوَجَّةً حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُعِينُ الْمَظْلُومَ وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ[6].

وتَقدَّمَ قولُهُ: "تَجلَّى اللهُ مِنْ سِيناءَ وأَشْرَفَ مِنْ ساعير واستَعْلَنَ مِنْ [جَبَلِ فَارَانَ][7]". فَسِيناءُ: جَبَلٌ كلَّمَ اللهُ سبحَانَه موسَى عليه السلام فِيهِ. وسَاعِيرُ: بالرَّاءِ وقيلَ بالنُّونِ جَبلٌ كلَّم اللهُ ﷻ فيهِ عيسَى عليه السلام وظَهَرَتْ فيه نبُوءَتُهُ. وجِبَالُ فَارَانَ: جِبَالُ مكَّة وهي جبالُ بني هَاشِم التي كانَ رَسُولُ الله ﷺ يتَحَنَّثُ

(1) سورة الأعراف: 157.

(2) سورة الإخلاص: 1-4.

(3) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 387/3.

(4) سورة آل عمران: 159.

(5) سورة التوبة: 73.

(6) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 395/3، ودلائِل النبوّة، البيْهقي، 377/1 مع تغيير.

(7) في المواهب: جبال.

في بعْضِهَا وهو أَحَدُ ثَلاثةٍ، أبي قبيس[1] والمُقَابِلِ لهُ وهو قُعَيْقِعان[2] إلى بَطْنِ الوادِي، وَجَبَلٍ شَرْقِيٍّ هُوَ شِعْبُ بَنِي هاشِم، وفِيهِ مَوْلِدُهُ ﷺ[3].

في قَوْلِهِ: "ومَجِيءُ الله": مَجِيءُ وَحْيِهِ. وسَاعِيرُ: مِنْ أَرْضِ الخليل، ومِنْهَا قَرْيَةٌ تُسمَّى ناصِرة. ولا يُنكِرُ أَهْلُ الكِتَابِ أَنَّ فَارَانَ مَكَّةُ، فَفِي التَّورَاة: "إِنَّ اللهَ أَسْكَنَ هاجَر وإسماعيلَ فَارَانَ". واسْتَعْلَنَ: ظَهَرَ، ولا نَبِيءَ ظَهَر ظهُورَهُ ﷺ[4].

وقال اللهُ تعالى لمُوسَى عليه السلام: "واللهُ رَبُّك يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إخوتِكَ، فاسْتَمِعْ لَهُ كَالذِي سأَلْتَ[5] رَبَّكَ في حُوربت[6] يومَ الاجْتِمَاعِ، حِينْ قُلتَ: لا أَعُودُ أسْمَع كَلَامَ رَبِّي لئَلَّا أَمُوتَ، فَقَالَ اللهُ: نعم مَا قَالُوا، وسَأقيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إخْوَتِهِمْ، وأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ كُلَّ شيْءٍ آمُرُ بِهِ، وأيُّما رَجُلٍ لَمْ يُطِع مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي فإنّي أَنْتَقِمُ منهُ"[7].

قال بَعْضُ اليَهُودِ: هذا النَّبِيءُ يوشع، قُلْنَا: يُوشَعُ مِنْ بَنِي إسْرَائيلَ لَا مِنْ إخْوَتِهِمْ، وإنَّه ليسَ مِنْ فَارَانَ، وإنَّهُ خَادِمٌ لموسَى في حَياتِهِ ومُؤَكِّدٌ لدَعْوَتِهِ بَعدَهُ، بَلْ أُوحيَ إلَيْهِ آخرَ عُمُرِ مُوسَى عليهِمَا السَّلام. وإنَّ الذي جَعَلَ اللهُ كَلَامَهُ فِي فَمِهِ هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ لأنَّهُ لَا يَقْرَأُ كِتَابَةً فَلَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ صُحُفًا.

قال يُوحَنَّا في إنْجِيلِهِ عَن المسيح: "أَنَا أطلُبُ لَكُمْ مِنَ الأبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ فَارْقَلِيط آخَرَ يَثبُتُ معكُمْ إلى الأبَدِ، رُوحَ الحَقِّ الذِي لَنْ يُطِيقَ العَالَمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ[8]"[9].

وفي لفْظٍ آخَرَ: "إِنْ أَجَبْتُمُونِي[10] فاحْفَظُوا وَصِيَّتِي وأَنَا أَطْلبُ إلى أَبِي فيُعطيكم فارقليط آخَر يكون معكُم الدَّهرَ كُلَّهُ"[11] ومَا هَذَا إلَّا صِفَة سيّدِنا محمَّدٍ ﷺ.

وفسَّرَ بعضُ النَّصَارَى فَارْقَلِيطَ بِالحامِدِ، وبعضٌ بالمُخلِّص بشدِّ اللَّامِ و [84ظ] لا شَكَّ أَنَّ لِسَيّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ تَخْلِيصِ الخَلْقِ مِنَ الكُفْرِ مَا ليْسَ لِغيْرِهِ، ولَفْظُ الحَامِدِ أَقْرَبُ إلى محمَّدٍ وأحَمْد، وَلا شَكَّ أَنَّ الفَارْقَلِيط الآخَرَ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّد ﷺ والمُتَقَدِّمُ عَلَيْهِ زَمَانًا هُوَ سيّدُنَا عيسَى عليه السلام.

---

(1) أبو قبيس: الْأَخْشَبَانِ: الجَبَلَانِ الْمُطِيفَانِ بِمَكَّةَ، وهُمَا أَبُو قُبَيْس والأَحْمَرُ، وَهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ وَجْهُهُ عَلَى قُعَيْقِعَان. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، 32/2.

(2) قعيقعان: قِيلَ: سمِّي بِهِ، لأَنَّ جُرْهُماً لَمَّا تَحارَبُوا كثُرت قَعْقَعَةُ السِلاح هناك. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، 88/4.

(3) نهاية الأرب، النويري، 76/16.

(4) نهاية الأرب، النويري، 76/16.

(5) في المواهب اللدنية ونهاية الأرب: سمعت.

(6) في المواهب اللدنية: حوريت.

(7) نهاية الأرب، النويري، 77/16.

(8) في هداية الحيارى: أن يقبلوهُ.

(9) هداية الحيارى، ابن القيم، ص129.

(10) في المواهب اللدنية: أحببتموني.

(11) المواهب اللدنية، القسطلاني، 181/3.

وفي الإنجِيلِ: "إنَّ هَذَا الكَلامَ الذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ هُوَ لِي، بَل الأَبُ الذِي أَرْسَلَنِي بِهَذَا الكَلَام لَكُمْ. وأَمَّا الفَارْقَلِيط رُوحُ القُدُسِ الذِي يُرْسِلُهُ أَبي باسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شيْءٍ، وهُوَ يُذَكِّرُكُمْ كُلَّ مَا قُلْتُه لكُمْ"[1].

ومعنَى يُرْسلهُ بِاسمِي: يُرْسِلُهُ بِأَنَّ عِيسَى رَسُولُ الله صَادِقٌ. والأَبُ: عِنْدهُمْ اسمٌ لِمَنْ يُعظَّمُ. وقَدْ مرَّ عَنْ عيسَى أنَّ ذلك الرَّسُولَ يُمجِّدُنِي، ولا نعْلمُ أحَدًا مَجَّدَ عيسَى كتَمْجِيدِ سيِّدِنَا محمَّدٍ ﷺ لهُ بالرِّسالَة وتَبْرِئتِهِ، وتَبْرِئةِ أمِّهِ ممَّا نُسِبَ إليْهِمَا.

قال أبو محمّد الشُّقراطسي[2] مِنْ قصيدةٍ لهُ:

تَوْرَاةُ مُوسَـــى أَنَـتْ عَنْـهُ فَصَـــدَّقَهَـا ... إنْجِيـلُ عِيسَـــى بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعَـلِ
أَخْبَـارُ أَحْبَـارِ أَهْـلِ الْكُتْـبِ قَـدْ وَرَدَتْ ... عَمَّا رَأَوْا أَوْ رَوَوْا فِي الْأَعْصُـــرِ الأُوَلِ[3]

وقال ابن جابر[4]:

لِـمَبْـعَـثِـهِ فِـي كُـلِّ جِـيـلٍ عَـلَامَـةٌ ... عَلَى مَـا حَكَتْـهُ الْكُتْـبُ مِنْ أَمْرِهِ الْجَلِي
فَجَـاءَ بِـهِ إِنْجِيـلُ عِيسَـــى بِـآخِر ... كَمَا قَدْ مَضَـــتْ تَوْرَاةُ مُوسَـــى بِأَوَّلِ[5]

وفي زَبُورِ دَاودَ عليه السلام في مزمُورِ أَرْبَعةٍ وأربعينَ: "فاضَتِ النِّعْمَةُ مِنْ شفَتَيْكَ مِنْ أجْلِ هذا بَارَكَ اللهُ إِلَى الأبَدِ، تَقَلَّدْ أيُّها الجبَّارُ السَّيْفَ"[6] إلخ مَا مَرَّ.

قَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: قَرأْتُ في بَعْضِ الكُتُبِ القَديمةِ قال اللهُ تعالى: "وَعِزَّتِي وجَلَالِي لَأُنْزِلَنَّ علَى جِبَالِ العَرَبِ نُورًا يملَأُ ما بَيْنَ المشْرق والمغربِ ولَأُخْرِجَنَّ مِنْ وَلَدِ إسماعيلَ نَبيئًا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا يُؤْمِنُ بِهِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ونَبَاتِ الأَرْضِ، كُلُّهُمْ يُومِنُ بِي رَبًّا وَبِهِ رَسُولًا ويَكْفُرُونَ بِمُلْكِ آبائِهِمْ ويَفِرُّونَ منهَا. قال موسَى: سُبْحَانَكَ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ لَقَدْ كَرَّمْتَ هَذَا النَّبيءَ وشَرَّفْتَهُ، قالَ الله: يَا مُوسَى إنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عدُوِّهِ في الدُّنيَا وَالآخرةِ، وأُظْهِرُ دَعوَتَهُ علَى كلِّ دَعْوَةٍ، وأُذِلُّ مَنْ خالَفَ شَرِيعتَهُ، بالعَدْلِ زَيَّنْتُهُ ولِلْقِسْطِ أَخْرَجْتُهُ، وعِزَّتِي لأَسْتَنْقِذَنَّ بِهِ أُمَمًا مِنَ النَّارِ، فَتَحْتُ الدُّنيَا بِإِبراهِيمَ وخَتَمْتُهَا بمُحَمَّدٍ، فمَنْ

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 182/3.

(2) يحي بن علي بن زكريا: الشقراطسِي (شقراطس حصن بقرب قفصة بالجنوب التونسِي) ولد بقسطيلية وتعلم بالقيروان، وحج واستقر بتوزر ت:415هـ، من آثاره: أرجوزة في مناسك الحجّ، مجموعة الأسئلة الفقهية. تراجم المؤلفين التونسيين، 204/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 105/4.

(3) البيتان من البسِيط، المواهب اللدنية، القسطلاني، 184/3. وينظر القصيدة بتمامِها مقال: من أروع الشعر أنجم السياسية وقصائد أخرى، عبد الله كنون، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع53، 92/1، صفر 1399 – يناير 1979م.

(4) محمد بن أحمد بن علي الهواري المغربِيّ الأندلسيّ، قدم دمشق وحلبَ وسمع بها، قرأ القرآن والنحو على ابن يعيش، والفقه على أبِي عبد الله الرندِي، ت:780هـ. الوافي، الصفدِي، 110/2، بغية الوعاة، السيوطِي، 34/1.

(5) البيتان من الطَّويل، المواهب اللدنية، القسطلاني، 184/3.

(6) المواهب اللدنية، القسطلاني، 185/3.

أَدْرَكَهُ ولَمْ يومِنْ بِهِ، ولم يَدْخُل في شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِن اللهِ بَرِيءٌ"[1] واللهُ المُسْتَعَانُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بالله العليّ العَظِيم.

[85و] وعَنْ كَعْبِ الأحْبَارِ: نَجِدُ مَكْتُوبًا، يَعْنِي في التَّوْرَاةِ "محمَّدٌ رسُولُ اللهِ عَبْدٌ مُخْتَارٌ، لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا صَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الحمَّادُونَ يُكَبِّرُونَ اللهَ وَيَحْمَدُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ، رُعَاةٌ لِلشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا يَأْتَزِرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، ويَتَوَضَّؤُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي القِتَالِ وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ دَوِيٌّ فِي اللَّيْلِ، كَدَوِيِّ النَّحْلِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجرُهُ بِطابة، ومُلْكُهُ بِالشَّامِ"[2].

وفي بَعْضِ الكُتُبِ الأُولَى: "أُمَّةُ محمَّدٍ حُلَمَاءُ رُحَمَاءُ عُلَمَاءُ، كَأَنَّهُمْ فِي الفِقْهِ أَنْبِيَاءُ"[3].

وقال يَعقُوبُ[4] عليه السلام: "جاءَ اللهُ بالبَيَانِ مِنْ فَارَانَ، وامْتَلَأَت الفَلَوَاتُ[5] مِنْ تَسْبِيحِ أَحْمَدَ وَأُمَّتِهِ، يحْملُ حبه[6] فِي البَحْرِ كَمَا يحْملُ فِي البَرِّ، يَأْتِينَا بِكِتَابٍ جَدِيدٍ يُعرفُ"[7].

وقال موسَى لِبَنِي إسرائيل: "سَيَأْتِيكُمْ نَبِيءٌ مِنْ بَنِي إِخْوَتِكُمْ فَلَهُ صَدِّقُوا ومِنْهُ فَاسْمَعُوا"[8] يَعْنِي مِنْ أَعْمَامِكُمْ.

وفي السِّفْرِ الخَامِسِ مِنَ التَّوْرَاةِ السَّبْعِينِيَّةِ التِي اتَّفقَ سبْعُونَ مِنَ أَحْبَارِ اليَهُودِ عَلَى صِحَّتِهَا: "إِنِّي أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ"[9] إلخ مَا مَرَّ. وَفَسَّر بعضُهُم الفَارْقَلِيط بِالحكِيمِ الذِي يَعرِفُ السِّرَّ[10].

وقال يوحَنَّا أحَدُ الحواريّين وَهُوَ أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى عِيسَى: "أَخْبَرَنِي المَسِيحُ بِدِينِ محمَّدٍ العَرَبِيِّ وبشَّرنِي أَنَّهُ يكونُ بَعْدَهُ، فبشَّرتُ بِهِ الحَوَارِيِّينَ فآمَنُوا بِهِ"[11].

واعْلَمْ أَنَّهُ لم يُفْسَحْ لِعِيسَى عليه السلام أَنْ يَنْشُرَ ما أُنْزِلَ عَلَيْهِ وإِنَّمَا نَشَرَهُ عَنْهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الحَوَارِيِّينَ، يُوحَنَّا وَمَتَّى وَمردقوش.....[12]بَعْدَ رَفْعِهِ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ إِنْجِيلٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وكُلُّ وَاحِدٍ فِي غيْرِ مَا فِيهِ الآخَرُ،

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 186/3.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 24/1، وورد في مصابِيح السنة للبغوِي مع اختلاف، ينظر: 42/4.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 24/1. وينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 259/8.

(4) في الاحتجاج: حيقوق.

(5) في تاريخ الخميس والاحتجاج: السماوات.

(6) في الاحتجاج: خيله.

(7) الاحتجاج، الطبرسي، 180/2. وفي النّصِّ بتر، تمامه: يعرَفُ بعد خرابِ بيتِ المقدسِ.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 25/1.

(9) (م، س)، 25/1.

(10) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 423/8.

(11) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 26/1.

(12) ترك المؤلف فراغا، والفراغ للحوارِيِّ الرّابِع واسمه: لوقا.

فإمَّا أَنْ يَكُونَ مجمُوعُهُنَّ إِنْجِيلًا واحدًا روَى كُلُّ وَاحِدٍ مَا لَمْ يَرْوِ الآخَرُ، وَلَيْسَتْ مُتَنَاقِضَةً، وإِمَّا كَمَا قِيلَ اسْتَخْرَجَ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنْ كَلَامِ عِيسَى مَا أَطَاقَ". وعَنْ دَاودَ عليه السلام: "اللَّهُمَّ ابْعَثْ مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الفَتْرَةِ"[1].

وفي مَزْمورٍ مِنْ مزَامِيرِ دَاوُدَ عليه السلام: "إِنَّ اللهَ أَظْهَرَ مِنْ صهيون إِكْلِيلًا مَحْمُودًا". وَصهْيُون: مَكَّةُ، والإِكْلِيلُ: مَثَلٌ للرِّيَاسَةِ[2].

وعنْ عبدِ الرَّحمَنِ بنِ زيْدٍ عَنْ آدَمَ عليه السلام: "إِنِّي لَسَيِّدُ البشَرِ يَوْمَ القيَامَةِ، إِلَّا رَجُلًا مِنْ ذُرِّيَتِي مِنَ الأَنْبِيَاءِ يُقَالُ لهُ أحْمَدُ، فُضِّلَ عَلَيَّ بِاثْنَتَيْنِ: كَانتْ زَوْجُهُ لهُ عونًا وكَانتْ عَلَيَّ زَوْجِي عَوْنًا وشَيْطَانُهُ أَسْلَمَ، وشَيْطَانِي كَفَرَ"[3].

قال أبيّ بن كعب: "لَمَّا عَزَمَ تبّع عَلَى أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ يهودِيٍّ بِالمَدِينَةِ حتَّى تَكُونَ عَلَى دِينِ العَرَبِ، يعني عِبَادَة الأَصْنَامِ، قال شامول اليَهُودِيُّ وهُوَ يَوْمَئِذٍ أَعْلَمُهُمْ: أَيُّهَا [85ظ] المَلِكُ لا تَفْعَلْ فإِنَّ هذا البَلَدَ مُهَاجَرُ نَبِيءٍ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيلَ مَوْلِدُهُ بِمكَّةَ، واسْمُهُ أَحمَدُ وهَذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ ومَنْزِلُكَ الذِي أَنْتَ بِهِ يكُونُ فيهِ مِنَ القَتْلِ والجِرَاحِ أَمْرٌ كَثِيرٌ في أَصْحَابِهِ. قال تُبَّعٌ: فَمَنْ يُقَاتِلُهُ وهُوَ نَبِيءٌ كَمَا تَزْعَمُونَ؟ قال يَسِيرُ إِلَيْهِ قَومٌ فَيُقْتَلونُ هُنَا. قال: فَأَيْنَ يكون قَبْرُهُ؟ قال: بِهَذَا البَلَدِ، قَالَ: فَلِمَنْ تَكُونُ الدَّائِرَة؟ قَالَ: عَليهِ مَرَّةً وَلَهُ مَرَّةً، وَبِهَذَا المكَانِ الذِي أَنْتَ بِهِ غَلَبَتُهُ، يُقْتَلُ بِهِ أَصْحَابهُ ويَقْتُلُونَ في مَوَاطِنَ ثُمَّ تَكُونُ لَهُ العَاقِبَةُ فَيَظْهَرُ، فَلَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ. قال: فما صِفَتُهُ؟ قال: لَيْسَ بِالطَّوِيلِ ولا بالقَصِيرِ، في عيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، يَرْكَبُ البَعِيرَ ويلبسُ الشَّمْلَةَ، سيْفُهُ علَى عَاتقِهِ لا يُبَالِي مَنْ لَاقَى لهُ أَخٌ وابنُ عَمٍّ أو عمٌّ حتَّى يَظْهَرَ أمرُهُ[4].

وكان أبو عمرو الرّاهب يُحِبُّ دينَ إِبْرَاهِيمَ، وذُكِرَ لَهُ كَاهِنٌ بِاليَمَنِ، قَالَ: فَتَوَجَّهْتُ إليهِ مُنْفَرِدًا، وسَرَيْتُ في ليْلَةٍ قَمْرَاءَ، فغَشِيَنِي النَّومُ فَمَا أفَقْتُ إِلَّا ورَاحِلَتِي تَعْسفُ بِي مَجْهَلًا حَزَنًا مُنْكَرًا فَرَاعَنِي ذَلكَ، فَأَوْجَسْتُ خَوْفًا وتَلَفَّتُّ فإِذَا نِيرَانٌ كالنُّجُومِ، فَنَحَوْتُهَا عَسْفًا وَخَبْطًا حتَّى دَنَوْتُ مِنْهَا، فإِذَا هِي مُتَقَارِبَةٌ قَدْ حَفَّ بها مُصْطَلُونَ لا يُشْبِهُونَ البَشَرَ، لهم لَغطٌ وَلَمْ أرَ بُيُوتًا ولا نَعَمًا، فَقَفَّ شَعْرِي وقَامَتْ رَاحِلَتِي فَتَفَاجَتْ ورَجِزَتْ، فَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَنْهَا وَانْعَطَفَتْ تِلْكَ الأَشْخَاصُ زُرَ[ا]فَاتٍ نَحْو[ي] فَصَرَخْتُ بِأَنْدَى صَوْتِي: أَنَا عَائِذٌ بِزَعِيمِ هَذِهِ الزُّرَافَاتِ فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ فَحَيّونِي، وَجَلَسُوا إِليَّ فإِذا صُوَرٌ مُشَوَّهَةٌ وَمَنَاظِرُ فَظِيعَةٌ، فقالَ لِي أَحَدُهُمْ: مِمَّن الْإِنْسِيّ؟ فقُلْتُ: مِنْ غَسَّانَ مِنْ بَنِي قَيْلَةَ، قال: أَيْنَ نَوَيْتَ؟ قلْتُ: أَلَسْتُ

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 26/1.
(2) (م، س)، 26/1.
(3) (م، س)، 26/1.
(4) (م، س)، 27/1.

فِي ذمَّةِ جوَارٍ؟ قَالُوا: بَلَى، فَلَا بَأْسَ علَيْكَ. فأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي مِنْ فَصِّهِ، ثُمَّ قلتُ: إنَّا مَعْشَرَ الإنسِ إنَّمَا نَعْتَمِدُ الكُهَّانَ لِمَا يَأْخُذُونُهُ عَنْكمْ مِنَ العِلمِ فَأَخْبِرُونِي بِطِلْبَتِي، فأشار ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ إلى الرَّابِعِ، وَقَالُوا: على الخَبِيرِ سَقَطْتَ فَخَصَّصْتُهُ بالمَسْأَلَةِ، فقَالَ: أبُو مَنْ أنْتَ؟ فقُلْتُ: أبُو عَمرو، قالَ: نَعَمْ يَا أَبَا عَمْرو ونَعَامَة عَيْن فَدُونَكَ عِلْمًا لَيْسَ بالهَيِّن: يا أبا عَامِرَ، أقسم بِنَا عش القَفْرِ الغَامِرِ بِالقَطْرِ الهَامِرِ، لَتَعْملنَّ العَنَاسِرُ الضَّوَامِرِ، إلَى أَكْرَمِ آمِرِ، يحشّ العَكْسَ المغَامر، ويَفحم عَنِ السَّمَرِ السَّامِرِ، يَا أَبَا عَامِرِ إنَّ اللهَ قَدْ أَسْفع هبَاع دغامر، ومُبَاع غَوَامر، وكَانَ قَدْ نَدَبَ هَاصِرٌ أَكَاسِر وقَيَاصِر وَزَافَى غَوَايَاتٍ أَعَاصِر. قال أَبُو عَامِرْ: فَقُلْتُ: أمَلِكٌ هَذَا المَنْدُوبُ؟ قَالَ: كلاَّ بَلْ نَبيءٌ شِرَافٌ كِرَامٌ وَافٍ مَوْطِأَ الأَكْنَافِ مِنْ بَنِي هَاشِمِ بنِ عَبدِ مَنَافٍ. فَقَالَ أبو عامر: أَرَاكَ تَنْسُبُهُ فَهَلْ تَصِفُهُ لِي؟ فَقَالَ: أَجَلْ إنَّهُ لَأَزْهَرُ وضَّاحٌ لَيْسَ [86و] بِالطَّوِيلِ المِلْوَاحِ ولاَ بِالقَصِيرِ الدَّحْدَاح، إذَا نَظَرَ رنَا أَوْ لَاحَ، وَإِذَا أُوذِيَ أَعْرَضَ وأَشَاحَ، فِي عَيْنِهِ نَجْلَةٌ وَلَا مُرَّةٌ وشَكْلَة غَيْرُ ممفرَة وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ أَمْرُهُ، وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَزْبرُ السّطْرَه، يَأْتِي بِالحَنِيفِيَّةِ المُيَسَّرَه فَيَسْعَدُ مَنْ قَافَ أثَرَهُ سَمِعَ أذنِي مِنَ المُجَنَّحَةِ المُسْفِرَةِ[1]. قال أبُو عامر: ثمَّ نهَضَ واسْتَتْبَعَ الثَّلاثَةَ فَتَبِعُوهُ، ولَزِمْتُ مَكَانِي سَائِرَ لَيْلَتِي فَلَمَّا أَصْبَحْتُ عُدْتُ لِطِيَّتِي. وَلَمَّا بَعَثَ اللهُ سيِّدَنا محمَّدًا ﷺ كَفَرَ بِهِ حَسَدًا، وخَذَلَ النَّاس عَنْهُ، وبنَى مسجد الضّرار، قال اللهُ تعالى﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[2] وهو أوَّلُ مَنْ أنْشَبَ الحَرْبَ يَومَ أُحُد، ودَعَا النَّبيءُ ﷺ أَنْ يُمِيتَهُ اللهُ طَرِيدًا وَحِيدًا فاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، فَعَاوَدَ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وأَقَامَ بِمَكَّةَ إلَى يَوْمِ الفَتْحِ فَفَرَّ وَلَحِقَ بِأَرْضِ الرُّومِ فَتَنَصَّرَ وَمَاتَ بِهَا طَرِيدًا وَحِيدًا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ[3].

ورُوِيَ أنَّ مرْثد بن عبد كلال كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا رَأَى فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا أَخَافَتْهُ فِي حَالِ مَنَامِهِ، وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ أُنْسِيَهَا، حَتَّى لَا يَتَذَكَّر مِنْهَا شَيْئًا وَبقِيَ اِرتعَادُهُ فِي قَلْبِهِ، واسْتَقَرَّ خَوفُهُ فِي نَفْسِهِ، فَانْقَلَبَ سُرُورُهُ حُزْنًا فَجَمَعَ الكُهَّانَ وَاسْتَخْبَرَهُمْ فَمَا أَخْبَرَهُ أَحَدٌ بِرُؤْيَاهُ وَلَا بِتَأْوِيلِهَا، إلَى أَنْ خَرَجَ يَوْمًا إلى الصَّيْدِ، فَأَوْغلَ في طَلَبِهِ وانفردَ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَرُفِعَتْ لَهُ أَبْيَاتٌ في دَارِ أجبل، وَقَدْ لَفحَهُ الهَجِيرُ، فَعَدَلَ إلَى الأَبْيَاتِ، وَقَصَد بَيْتًا مِنْهَا مُنْفَرِدًا فَبَرَزَتْ إلَيْهِ مِنْهُ عَجُوزٌ فَقَالَتْ لَهُ: انْزِلْ بِالرَّحْبِ والسَّعَة والأَمْنِ والدَّعَة والجَفِينَة المُدَعْدَعَة والغَلَبَةِ المُتْرَعَة. فَنَزَلَ عَنْ جَوَادِهِ وَدَخَلَ البَيْتَ، فَلَمَّا احْتَجَبَ عَن الشَّمْسِ وَخفقَتْ عَلَيْهِ الأَرْوَاحُ نام فلمْ يَسْتَيْقِظْ حتَّى تَصَرَّمَ الهَجِيرُ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، فإذا بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَاةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا فِي الجَمَالِ، فَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ الهُمَامُ هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ، فاشْتَدَّ إشْفَاقُهُ وخَافَ على نَفْسِهِ إذْ

(1) فِي تاريخ الخمِيس: من المحتحة السفره.

(2) سورة التوبة: 107.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 28/1.

عَرَفَتْهُ فَتَصَامَمَ عَنْ كَلِمَتِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: لَا حَذَر فِدَاؤُكَ البَشَر فَجَدُّكَ الأَكْبَر وَحَظُّنَا بِكَ الأَوْفَر. ثُمَّ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ ثَرِيدًا وَقَدِيدًا وَجيسًا[1] وَقَامَتْ تَدبُّ عنهُ حَتَّى انْتَهَى أَكْلهُ ثُمَّ سَقَتْهُ لَبَنًا صَرِيفًا وضَرِيفًا، فَشَرِبَ مَا شَاءَ وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُها مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً فَمَلأَتْ عَيْنَهُ جَمَالًا، وَقَلْبَهُ هَوًى. فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ يَا جَارِيَة؟ قالتْ: اسْمِي عفيراء، قَالَ لَهَا: يا عُفيراءَ مَن الذِي دَعَوْتِهِ المَلِكَ الهُمَامَ؟ قالَتْ: مَرْثَد عَظِيمُ الشَّأْنِ حَاشِرُ الكَوَاهِنِ والكُهَّان المُعْضِلَة يَعِدُ بِهَا الجَانّ. قال المَلِكُ: يا عُفيراء أَتَعْرِفِينَ مَا تِلْكَ المعْضِلَةُ؟ قالَتْ: أَجَلْ أَيُّهَا المَلِكُ الهُمَامُ، إِنَّهَا رُؤْيَا مَنَامٍ لَيْسَتْ بِأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ، قَالت[2]: أَصَبْتِ [86ظ] يا عُفَيْرَاءُ فَمَا تِلْكَ الرُّؤْيَا؟ قَالَتْ: رَأَيْتَ أَعَاصِرَ رَوَابِع بَعْضُهَا لِبَعْضٍ تَابِع فِيهَا لَهَبٌ لَامِع وَلَهَا دُخَانٌ سَاطِع، يَقْفُوهَا نَهْرٌ مُتَدَافِع، وَسَمِعْتَ فِيمَا أَنْتَ سَامِع دُعَاءَ ذِي جَرسٍ صَادِع هَلُمُّوا إِلَى المَشَارِعِ رَوْيٍ جَارِعٍ وَعَذْقٍ كَارِعٍ. قَالَ المَلِكُ: أَجَل هَذِهِ رُؤْيَايَ هاتِ تَأْوِيلَهَا يَا عُفَيْرَاءَ. قالت: الأَعَاصِرُ الزَّوَابِعُ مُلُوكٌ تَبَابِع، وَالنَّهْرُ عِلْمٌ وَاسِعٌ، والدَّاعِي نَبِيءٌ شَافِعٌ، والجَارِعُ وَلِيٌّ تَابِعٌ وَالكَارِعُ عُدُوٌّ لَهُ مُنَازِعٌ. قال المَلِكُ: يا عفيراء أَسِلْمٌ هَذَا النَّبِيء أَمْ حَرْبٌ؟ قالت: أُقْسِمُ بِرَافِعِ السَّمَاء وَمُنْزِل المَاءِ مِنَ الغَمَاء إِنَّهُ لَمَطْلُ الدِّمَاء ومُنْطِقُ العَقَائِلِ نُطْقَ الإِمَاء. قال المَلِكُ: إلى مَاذَا يَدْعُو يا عفيراء؟ قالت: إلى صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَصِلَةِ أَرْحَامٍ وَكَسْرِ أَصْنَامٍ وتَعْطِيلِ أَزْلَامٍ وَاجْتِنَابِ آثَامٍ. قال الملكُ: يا عُفَيْرَاءُ مَنْ قَوْمُهُ؟ قالت: مضر بن نزار وَلَهُمْ مِنْهُ نَقْع مُثَار يَنْجَلِي عَنْ ذَبْحٍ وَأَسَار. قال يا عفيراء: إِذَا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَمَنْ أَعْضَادُهُ؟ قالت: أعضادُهُ غَطَارِيفُ يمَانُون طَائِرهُمْ بِهِ قَيِّمُونَ يَغْزُو بِهِمْ فَيَغْزُون، وَيَدْمَثُ بِهِم الحُزُونَ وإِلى نَصْرِهِ يَعْزُون[3].

قال لهيب بن مالك اللَّهبي: حَضَرْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فذكرت الكَهَانَة فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ حِرَاسَةَ السَّمَاءِ وَزَجْرَ الشَّيَاطِينِ وَمَنْعَهُمْ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ عِنْدَ قَذْفِ النُّجُومِ، وَذَلِكَ أَنَّا اجْتَمَعْنَا إِلَى كَاهِنٍ لَنَا يُقَالُ لَهُ خَطرُ بن مَالِكٍ أَتَى عَلَيْهِ مِئَة وَثَمَانُونَ سَنَةً وهُوَ أَعْلَمُ كُهَّانِنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا خَطرُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ هَذِهِ النُّجُومِ التِي يُرْمَى بِهَا، خِفْنَا عَاقِبَتَهَا؟ فقال: ايتُونِي بِسَحَرٍ أُخْبِرْكُمْ الخَبَرَ بخَيْرٍ أَمْ ضَرَر وَأَمْنٍ أَمْ حَذَر. فانْصَرَفْنَا وأَتَيْنَاهُ سَحَر فَإِذَا هو قائمٌ علَى قدَمَيْهِ شاخِصٌ إِلَى السَّمَاءِ بِعَيْنَيْهِ فَنَادَيْنَاهُ: يَا خَطْر، فَأَوْمَى إِلَيْنَا أن اسْكتُوا، وانْقَضَّ نجمٌ عظيمٌ مِنَ السَّمَاءِ فَصَرَخَ قَائِلًا: أَصَابَهُ أَصَابه، خَامَرَهُ عِقَابُه، عَاجَلَهُ عَذَابُه، أَحْرَقَهُ شِهَابُه زَايَلَهُ جَوَابُه، يَا وَيْلَهُ مَا حَالُه، بَلْبَلَهُ بَلْبَالُه، عَاوَدَهُ خَبَالُه، تَقَطَّعَتْ حِبَالُه، وَحُيِّرَتْ أَحْوَالُه، ثمَّ أَمْسَكَ طويلًا، ثمَّ قالَ: يا مَعْشَرَ بَنِي قَحْطَانْ، أُخْبِرُكُم بِالحَقِّ والبَيَان أَقْسَمْتُ بِالكَعْبَة والأَرْكَان، والبَلَدِ المُؤتَمَنِ السُّكَّان، قَدْ مُنِعَ السَّمْعَ عُتَاةُ الجَان، بثاقب بِكَفِّ ذِي سُلْطَان، مِنْ أَجْلِ مَبْعُوثٍ عَظِيمِ

(1) في تاريخ الخميس: وحيسا.

(2) صوابهُ: قال.

(3) تاريخ الخميس، الديار بكري، 29/1.

الشَّان، يُبْعَثُ بِالتَنْزِيلِ وَالقُرآن، وبِالهُدَى وفَاصِلِ القُرْآن، تَبْطُلُ بِهِ عِبَادَةُ الأَوْثَان.

فَقُلْنَا: أَمْرٌ عَجِيبٌ فَما ترَى لقومِكَ؟ قال: أرى لقوْمِي مَا أَرَى لِنَفْسِي، أَنْ يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَبيء الإِنْس، بُرْهَانُهُ مثلُ شُعَاعِ الشَّمْس، يُبْعَثُ مِنْ مَكَّةَ دَارِ الحمْس، بِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ غَيْرِ اللّبْس.

فقلنا يا خطر مِمَّنْ هُوَ؟ فَقَالَ: والحَيَاةِ [و] العَيْشِ إِنَّهُ لَمِنْ قُرَيْشٍ مَا فِي حِلْمِهِ[1] طَيْش، وَلَا فِي خلقِهِ هَيْش، يَكُونُ فِي جَيْشٍ وَأَيِّ جَيْش، مِنْ آل قحطان وآل أَيش. فَقُلْتُ لَهُ: بَيِّنْ لَنَا مِنْ أيِّ قُرَيْش، قال والبَيْتِ ذي الدّعَائِم، والرُّكنِ والأحَاتِم، إنَّه لمِنْ نَجْلِ هَاشِم، مِنْ مَعْشَر أَكَارِم، يُبْعَثُ بِالمَلَاحِم، وقَتْلِ كلِّ ظالِم. ثمّ قال: هذا هو البَيَان، أَخْبَرَنِي بِهِ رئيسُ الجَانّ، ثم قال: اللهُ أَكْبَر جَاءَ الحقُّ وظَهَر، وانْقَطَعَ عَن الجِنِّ الخَبَر. ثمَّ سَكَتَ وأُغميَ عَلَيهِ ثَلَاثَ ليَالٍ، ثمَّ قَال: لا إله إلَّا اللهُ. قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ نَطَقَ عَنْ مِثْلِ نُبُوءَة، وإِنَّهُ لَيُبْعَثُ يوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**))[2][3]. كذا رواهُ قَومُنَا واللهُ تعالَى أَعْلَمُ، ولَا حوْلَ ولَا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

الفَصْلُ الثَّانِي: [ما بَشَّرَت الأَنْبِيَاءُ بِهِ]

قالَ اللهُ جَلَّ وعلَا: ﴿ **وَإِذَ**[87و] **اَخَذَ اَللَّهُ مِيثَٰقَ اَلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم** ﴾[4] وقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِي عِيسَى بنُ مَرْيَمَ**))[5] رَوَاهُ عبادة بن الصّامت. ويُرْوَى: ((**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى**))[6].

أَخْبَرَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ أَخَذَ مِيثَاقَ كُلِّ نَبِيءٍ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَهُ الحسَنُ وَطَاوُسُ وقَتَادَةُ[7]. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ المِيثَاقَ مِنَ النَّبِيئِين وَأُمَمِهِمْ، واسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِ الأُمَمِ.

وعَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب وابنِ عبَّاسٍ: مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الميثاقَ لئِنْ بَعَثْتُ مُحمَّدًا ﷺ وهُوَ حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ[8].

وَمَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَالحَسَنُ وطاووس لَا يُضَادُّ مَا قَالَهُ عَلِيٌّ وابنُ عَبَّاسٍ وَلَا يَنْفِيهِ بَلْ يقْتَضِيهِ. وقِيلَ: معْناهُ إنَّ الأنبِيَاءَ عليهِمُ السَّلامُ كانُوا يأْخُذونَ الميثَاقَ مِنْ أُممِهِم بِأَنَّهُ إِنْ بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ آمنُوا بِهِ

(1) في عيون الأثر: حكمهِ. وهو الأنسب.

(2) لم أقف عليه في كتب الحدِيثِ.

(3) الخبر نقله من تاريخ الخميس، الديار بكرِي، 30/1. وينظر: عيون الأثر، 157/1، والإصابة، ابن حجر، 396/9، وأصل الخبرِ عن العقيلي.

(4) سورة آل عمران: 81.

(5) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 393/3.

(6) جامع البيان، الطبرِي، 82/3.

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثِير، 100/3.

(8) تفسير القرآن العظيم، ابن كثِير، 100/3.

ونَصَروهُ، واحْتُجَّ لهُ بأَنَّ الذينَ أَخَذَ اللهُ الميثاقَ مِنهُم يَجِبُ عَلَيْهِم الإيمَانُ بِسيّدِنا محمَّدٍ ﷺ عندَ بعثِهِ، والأنبِيَاءُ عِنْدَ بَعثِهِ ﷺ مِنْ جُمْلَة الموتَى، والمَيّتُ لا يَكونُ مُكلَّفًا فتَعَيَّنَ أَنْ يَكُون الميثاقُ مأْخُوذًا على الأُمَمِ. ويُؤَكِّدُ هَذَا أنَّ اللهَ تَعَالى حَكَمَ عَلَى الذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِم المِيثَاقَ أَنَّهُمْ لَوْ تَوَلّوا لَكَانُوا فَاسِقِينَ، وهذا الوَصْفُ لَا يَلِيقُ بالأنبيَاءِ بَلْ بِالأُمَمِ.

وَأُجِيبَ بأَنَّ المُرادَ مِنَ الآيَة أَنَّ الأَنْبِيَاءَ لَوْ كَانُوا في الحياةِ لوَجَبَ علَيْهِم الإيمانُ بمحمَّدٍ ﷺ كقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] وقد عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَا يُشْرِكُ. ولكِنْ خَرَجَ الكلامُ عَلى سبِيل الفَرْضِ والتَّقْرِيرِ، وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿46﴾﴾[2] وقال في الملائكةِ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾[3] معَ أَنَّهُ سُبحانهُ أَخْبَرَ عنهُم بأَنَّهُ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿27﴾﴾[4] فذلك فرضٌ وَتقديرٌ، فالمعنَى أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يؤْمِنُوا بِهِ لو كَانُوا أحياءً عِنْدَ مبْعَثِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ لم يُؤمِنوا وَقَدْ أدركَوهُ لكَفَرُوا، فلوْ كانُوا في زَمَانِهِ لَكَانُوا هُمْ وأُمَمُهُمْ مِنْ أمَّتِهِ فيجبُ عليْهِم الإيمانُ، بلْ هُمْ وأُممهُم مُطْلَقًا مِنْ أُمَّتِهِ، وأَنَّهُ يجبُ عَلَيْهِم وعَلى أُممِهِمْ أن يعلمُوا أَنَّهُ سيَجِيءُ وأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وأَنَّهُ مُقَدَّمٌ رتبَةً وَيَدلُّ لِذَلِكَ قوله ﷺ: ((**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ**))[5] بَلْ يَحْتَمِلُهُ ويُنَاسِبُ ذلكَ احْتِمَالًا قولهُ ﷺ: ((**آدمُ ومَن دونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[6].

فَالميثَاقُ في الآيَةِ كأَنَّها [87ظ] أَيْمَانُ البَيْعةِ التِي تُؤْخَذُ للخُلفاءِ، ولعلَّ أَيْمَانَ الخُلَفَاءِ أُخِذَتْ مِنْ هُنَا، إِلَّا أَنَّهُم يَجُورُونَ إِلَّا قَلِيلًا. وكَذَلِكَ يُنَاسِبُهُ صلاتُهُ بهِمْ ليْلَةَ الإسْرَاءِ فَهُوَ ﷺ نبيءُ الأَنْبِيَاءِ فرِسَالتُهُ إليْهِم حَقٌّ وَأَمْرُهُ مُتَوقِّفٌ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُ فتأَخَّرَ وُجُودُهُ.

وَأيْضًا إلياس والخضر، عَلَى خِلَافٍ في نبوءَتِهِ، حَيَّانِ في المشْهُورِ جَارِيَانِ عَلَى شَرِيعتِهِ. ويُنَزِّلُ الله عيسَى عليه السلام ويحكمُ بشَرِيعةِ سيّدِنَا محمَّدٍ ﷺ ولا يُخَالِفُهُ، ويَكُون هُوَ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِن اليَهودِ والنَّصارَى مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِلَّا أَنَّ لهُ فَضْلَ الرِّسالةِ عَلَى آحَادِ النَّاسِ غَيْرِ رسولِ الله ﷺ فإِنَّهُ أفضلُ الخلقِ.

ولا تظُنَّ أَنَّ عِيسَى عليه السلام يَنْحطُّ عن دَرَجَةِ الرِّسَالَة إِذَا أُنْزِلَ، بل رِسَالتُهُ ﷺ إلى الأنبيَاءِ وَأُمَمِهِمْ

---

(1) سورة الزمر: 65.

(2) سورة الحاقة: 46-45-44.

(3) سورة الأنبياء: 29.

(4) سورة الأنبياء: 27.

(5) صحيح البخاري، حديث (335).

(6) مسند أحمد، حديث (2546).

فِي زَمَانِهِمْ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ عَلَى حدِّ مَا مرَّ، وبما تَجيءُ بِهِ أُمَمُهُم وهم نُوّابُهُ وَكَأَنَّهُ جاء هو بِهِ، فالنَّاسُ في قوله ﷺ: ((**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**)) يَشْملُ آدمَ ومَنْ بَعْدَهُ. ويدلُّ لذلك أَيْضًا قولُهُ ﷺ: ((**كُنْتَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**)) وقد خَلَقَهُ اللهُ نَبِيًّا ورسولًا قَبْلَ الأربعينَ، وذَلِكَ كما يُوَكِّلُ الأبُ الرَّجلَ على تَزْوِيجِ بِنْتِهِ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا، فَالتَّوكِيلُ صَحِيحٌ والرَّجُلُ أَهْلٌ للوَكَالَةِ والوَكالَةُ ثَابتةٌ، فالتَّعَلُّقُ بِحَسَبِ المحلِّ القَابلِ، وهو المَبْعُوثُ إِلَيْهِم وقبُولهمْ.

وَفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الفِعْلِ على قبُولِ المَحَلِّ وتَوَقُّفِهِ على أَهليَّةِ الفَاعلِ، وَلَا تَوقُّفَ هنَا مِنْ جِهَةِ الفَاعِلِ ولا مِنْ جِهَةِ ذَات النَّبيءِ ﷺ، بل مِنْ جِهةِ وُجودِ العَصْرِ المُشْتَمِلِ عَلَيْهِ، فَلَوْ وُجِدُوا فِيهِ لكَانَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةً لَهُمْ.

قال كَعْبُ الأحبارِ: أَنْزَلَ اللهُ تعالى علَى آدمَ عليه السلام عِصِيًّا بِعَدَدِ الأنبيَاءِ والمُرسلِينَ، ثُمَّ أَقْبَل على ابْنِهِ شِيتَ، فقال: أَيْ بُنيَّ أَنْتَ خَليفَتِي مِنْ بَعْدِي فَخُذْهَا بِعِمَارَةِ التَّقوَى والعُرْوَةِ الوُثْقَى، فكُلَّمَا ذَكَرْتَ اللهَ فَاذْكُرْ اسْمَ محمَّدٍ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اسمهُ مَكْتُوبًا على ساقِ العَرْشِ وَأَنَا بَيْنَ الرُّوحِ والطِّينِ، وإِنِّي طُفْتُ السَّماوَاتِ فَلمْ أرَ في السَّماواتِ مَوضعًا إِلَّا رَأَيْتُ اسْمَ محمَّدٍ مكتُوبًا عَلَيْهِ، وإِنَّ رَبِّي أَسْكَنَنِي الجَنَّةَ، فَلَمْ أَرَ فِي الجنَّةِ قَصْرًا ولا غُرْفَةً إِلَّا اسمُ محمَّدٍ مكتوبٌ عليْهِ. ولَقَدْ رأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوبًا علَى نُحُورِ الحُورِ الْعِينِ وعلَى وَرَقِ قَصَبِ أجامِ الجنَّة وعلى وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَى، وعلَى وَرَقِ سِدْرَةِ المُنتَهَى وعلى أَطْرَافِ الحُجُبِ وبَيْنَ أَعْيُنِ الْمَلَائِكَة، فأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فإِنَّ المَلائِكَة تُكْثِرُهُ في كلِّ سَاعَاتِها[1].

وَهُوَ مِن [88و] الإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وحَكَمَ بَعْضُ الحُفَّاظِ بِوَضْعِهِ، وأُجِيبَ بأَنَّ الحُكمَ بوَضْعِ جُمْلَةِ أَلْفَاظِهِ لَا يَسْتَلزِمُ عَدَمَ ثُبُوتِ مَعَانيهَا؛ إِذْ يَجُوزُ ثُبُوتُ بَعْضِ مَعَانِي بَعْضِهَا في أَحَادِيثَ، فَنَظَرُوا إِلَيْها مِنْ حَيْثُ وُجُودُها فِي غَيْرِ حَدِيثِ كَعْبٍ.

واعتُرِضَ بأَنَّ هذا تجويزٌ عَقْلِيٌّ، لا يَلْتَفِتُ إليهِ المحدِّثونَ؛ إِذْ كَلَامُهُم إِنَّمَا هُوَ في الإِسْنَادِ الذِي هو المِرْقَاةُ. وثبوتُ معنى الموضوعِ في القرآنِ أو الأحاديثِ لا يُؤَيِّدُ الموضُوعَ فيُنْفى عَنْهُ الوَضعُ. ويُجَابُ بِأَنَّ المرَادَ إِثْبَاتُ مَعْنَاهُ وَلَوْ كَانَ مَوْضُوعًا لَا نَفْيُ اسْمِ الوَضْعِ عَنْهُ.

وَعَنْ عليِّ بنِ أبي طالب: مَا بَعَثَ اللهُ نَبيًّا إِلَّا أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَيْهِ لئِن بَعَثَ محمَّدًا ليُومِنُنَّ بِهِ ويَأْخُذُ هُوَ الميثاقَ عَلَى أُمَّتِهِ بِذَلِكَ[2].

وكعبٌ المذكورُ هو كعبُ الأحْبارِ، كَعْبُ بنُ مَانِع الحِميري، كَانَ يَهُودِيًّا مِنْ أَحْبَارِ اليَمَنِ أَدْرَكَ النَّبيءَ ﷺ وَأَسْلَمَ. وقيلَ أَسْلَم فِي خِلافَةِ أبي بكرٍ، وقيل في خلافةِ عمر رضيَ اللهُ عنهُمْ، وَهُوَ الرَّاجِحُ، وَسَكَنَ الشَّامَ وماتَ في خِلَافَةِ عُثْمَانَ، ولهُ أكثر مِنْ مِئةِ سَنَةٍ.

---

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 281/23، والدر المنثور، السيوطِي، 132/5.

(2) تفسير القرآن العظِيم، ابن كثِير، 100/3.

واعْتَرَضَ بعضٌ على مَنْ أَكْثَرَ النَّقْل عَنِ التَّوراةِ والإنْجِيلِ وغَيْرِهِمَا مِنَ الكُتُبِ المَنْسُوخَةِ؛ لأَنَّ الاشْتِغَالَ بِهَا يُنَافِي الغَرَضَ مِنْ نَسْخِهَا، وَقَدْ حَرَّم الفُقَهَاءُ قِرَاءَتها والنَّظرَ فيها لأَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ، واخْتَلفُوا هَل التَّحْرِيفُ بِالزِّيَادَةِ والنّقْصِ؟ قيلَ: بِهِمَا، وقيل: بِتَفْسِيرِهَا بِغَيْرِ المُرَادِ.

قُلْنَا: لا يَخْفَى جَوَازُ قِرَاءَتِها لِلْعَارفِ الفَاطِنِ لِمَعْرِفَةِ النَّبيءِ ﷺ فِيهَا، ولِإلْزَامِهِمْ بِمَا أَنْكَرُوهُ، وكَيْفَ يُحَرَّمُ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى﴿ **قُلْ فَاتُوا۟ بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَآ** ﴾[1] وفي الأحَادِيثِ النَّقْلُ عَنْهَا، نعم يُحْذَرُ الزَّلَلُ وَالإكْثَار الذِي يُؤَدِّي إِلَيْهِ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا فَتَحَ المُسْلِمُونَ حلْوَانَ العِراقِ، والأَمِيرُ سعد بنُ أبي وقّاص خَرَجُوا وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ جعونَة بن نضْلة، فَمَرَّ بِشِعْبٍ وقَدْ حَضَرَت الصَّلَاةُ فَإِذَا هُوَ بماءٍ فَتَوَضَّأ، وَأَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، وَصَعِدَ عَلَى صَخْرةٍ فَقَالَ: الله أكبرُ الله أكبر، فَنَادَاهُ مُنَادٍ: كبَّرتَ كَبِيرًا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلّا اللهُ، فَقَالَ: أَخْلَصْتَ، فَنَظَرَ إلى ذرْوَةِ الجَبَلِ ولَابَتِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَفَزِعَ وقال: أَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ فَقَالَ: هُوَ رسُولُ اللهِ حقًّا. فَقَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: فَرِيضَةٌ وُضِعَتْ وَنَظَرَ إِلَى ذرْوَةِ الجَبَلِ وَلَابَتِهِ وَلَمْ يَرَ شَيْئًا. فَقَالَ: حَيَّ عَلى الفَلَاحِ. فَقَالَ: أَفْلَحَ مَنْ أَجَابَها وَاسْتَجَابَ لَهَا. فَنَادَاهُ جَعُونَةُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَمَا أَنْتَ؟ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الرَّأسِ واللِّحْيةِ مِنْ كَهْفٍ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ إِنْسِيّ أَمْ جِنّي؟ قال: بَلْ إِنْسِيٌّ أَنَا زُرَيْبُ بنُ بَرْثَمْلا مِنْ حَوَارِيّي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَى محمَّدٍ وعَلَيْهِ السَّلَامُ، أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ [88ظ] مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ الذِي جَاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ الله، وَأَنّهُ الذِي بَشَّرَ بِهِ مُوسَى فِي التَّوْرَاةِ، وَعِيسَى فِي الإنْجِيلِ، وَلَقَد أَرَدْتُ الوُصُولَ إِلَيْهِ فَحَالَتْ بَيْنِي وبينهُ فَارِس، أَقْرِئُوا مِنّي صَاحِبَكُم السَّلَامَ. يَعْنِي عُمَرَ ﷺ، وَلَا يُحْتَمَلُ أَنَّهُ يَظُنُّ حَيَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَرَادَهُ بِالصَّاحِبِ؛ لأَنَّهُ لَوْ كانَ كذلكَ لمَضَى لِلِقَائِهِ. وأَخْبَرَ سَعْدًا وكَانَ أَمِيرَ العَسْكَرِ، فَكَتَبَ بِذَلك إِلَى عُمر، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمر بِالبَحْثِ عَنهُ وتوجيههِ إليهِ، فَطُلِبَ فِي كُلِّ شِعْبٍ فَلَم يوجَد[2]. وقيل: مَكَثُوا ينَادُونَ بِالصَّلَوَاتِ هُنَاك أَرْبَعِين يومًا ولم يَروا جَوَابًا.

ويُروَى أَنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام كان يَرْتَادُ فِي جِبَالِ إِيلْيَا[3] لِمَاشِيتِهِ الكَلَأَ فَسَمِعَ صَوتًا فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ طُولُهُ ثمانيةَ عَشَرَ ذِراعًا بِذراعِ ذَلِك القرنِ، فَقَالَ لهُ إبراهيمُ عليه السلام: السَّلَامُ عليْكَ يَا عبدَ اللهِ، قال: وعَلَيْكَ السَّلامُ، قال إِبْرَاهِيمُ: مَنْ رَبُّك؟ قال: رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وَهُوَ رَبُّ مَنْ فِيهِمَا وَرَبُّ مَنْ تَحْتَهُمَا وخَالِقُ كلِّ شيْءٍ ومُصَوِّرهُ والقادرُ عليهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا إِلَهَ إِلَّا هوَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، واجْتَازَ

(1) سورة آل عمران: 93.

(2) اللآلئ المصنوعة، السيوطي، 179/1.

(3) في إثبات صفة العلو: جبل من جبال بيت المقدس.

مَعَهُ عَلَى الوَادِي إلى مَغَارَتِهِ مَاشِيَيْن عَلَى المَاءِ، وَقِبْلَتُهُ فيها قِبْلَةُ إبرَاهيم، فقَالَ لهُ إبراهيمُ: يا عَبْدَ الله أيّ الأيَّامِ أَشَدُّ هَوْلًا وَأَعْظَمُ؟ قال: يَوْمَ يَضَعُ اللهُ كرسيَّهُ لِلْحِسَابِ وَيَأمرُ بجهنَّمَ فَتَزْفُرُ زَفْرَةً فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ مقَرَّبٌ ولا نبيءٌ مُرْسَلٌ إلَّا خَرَّ لِوَجْهِهِ صَعِقًا تهمُّهُ نفسُهُ غير النَّبيءِ العَرَبيّ صَاحِبِ الرِّدَاءِ والإزارِ وَالسَّيْفِ والسَّوط والعَصَا والحِمَارِ والفَرَسِ، فَقَالَ لَهُ إبراهيمُ: مَنْ تَعْنِي؟ فَقَالَ: أعنِي نبيًّا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ زَمَانٌ بَعِيدٌ، ذَلِكَ خَيْرُ الأنبيَاءِ والرُّسُل خَاتِمُهُم، اسمُهُ أَحْمَد و محَمَّد ومَحْمُود وفَارْقَلِيط، يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وأَمِينٌ وَصَادِقٌ، لَهُ أَسْماءٌ كَثِيرَةٌ لَا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ وَلَا سَوطِهِ وَلَا عَصَاهُ إلَّا فِي سَبِيلِ اللهِ، يُظهِرُ التَّوْحِيد فِي الأرضِ ويَكْثرُ فِي زَمَانِهِ وَيَفْشُو، أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ وَأُمَّتُهُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ، قَالَ إبْرَاهِيم: فَهَلْ لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لِي وَلَكَ، لَعَلَّ اللهَ يُنْجِينَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ الرَّجلُ: وَمَا تَصْنَعُ بِدُعَاءٍ وَلِي فِي السَّمَاءِ دَعْوَةٌ مَحْبُوسَةٌ مُنْذُ زَمَانٍ؟

قال إبراهيم: أفلا أخبرك مَا حَبَسَ دَعْوَتَكَ في السَّماءِ؟ قال الرَّجُلُ: بَلَى فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ لَهُ إبراهيم عليه السلام : فإنَّ الله تعالَى إذَا أَحبَّ عَبْدًا حَبَسَ حَاجَتَهُ مَعَ دَعْوَتِهِ [89و] لحُبِّهِ لَهُ وَلِصَوْتِهِ ودُعائِهِ، ثمَّ يَجْعل لهُ كُلَّ مَسْألة سَأَلَهَا دُخْرًا لَا يَخْطُرُ الدُّخْرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَيغْفِرُ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِقَدْرِ دُعَائِهِ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثلَ دُعَائِهِ وَرُبَّمَا عَجَّل لِلْمُؤْمِنِ مِنْ بَعْضِ حَاجَتِهِ لئلَّا يَقْنط. فَقَالَ لَهُ: أَخْبرني ما دَعْوتُكَ المَحْبُوسَة؟ قَالَ: مرَّ هُنَا شَابٌّ لم أرَ أَحْسَنَ مِنْهُ ولا أَبْهى[1] شَبِيهٌ بِكَ، مَعَهُ[2] غَنَمٌ يَرْعَاهَا كَأَنَّما حُشِيَتْ شَحْمًا، وَبَقَرٌ كَأَنَّمَا دُهِنَتْ بِالدُّهْنِ، فقلتُ: يا عبدَ الله لِمَنْ هَذَا الغَنَمُ والبَقَرُ؟ فَقالَ: لِإبراهيمَ خَلِيل الرَّحمَنِ عز وجل، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ لَكَ فِي الأَرْضِ خليلٌ فَأَرِنيهِ قَبْلَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُ إبْرَاهِيمُ عليه السلام: يا عبد الله قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ أَنَا إبْرَاهِيم خَلِيل الرَّحمن فَعَانقهُ الرَّجلُ[3]. فإبراهيم أَوَّلُ مَنْ عانَقَ واللهُ أَعْلَمُ.

ويُروَى أنَّ بخت نصر[4] سَأَلَ دانيال عليه السلام عَنْ رُؤيَا وطَلَبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بها وَبِتَأْوِيلها، فَقَال دانيال عليه السلام: أيُّها المَلِكُ رَأَيْتَ صَنَمًا بَارِعَ الجَمَالِ أَعْلَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَسَطُهُ مِنْ فِضَّة وأَسْفَلُهُ مِنْ نُحاسٍ وسَاقَاه مِنْ حديد وقدماه[5] مِنْ فَخَّارٍ، فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَكَ إِذْ ذَقَّهُ اللهُ بِحَجَرٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى رَأْسِهِ فَطَحَنَهُ، حَتَّى خَلَطَ ذَهَبَهُ وَفِضَّتَهُ وَنُحَاسَهُ وَحَدِيدَهُ وفَخَّارَهُ، ثمَّ إنَّ الحَجَرَ رَبَا وَعَظُمَ حَتَّى مَلَأَ الأَرْضَ كُلَّها. فَقَالَ بَخت نصر: صَدَقْتَ فَأَخْبِرْنِي بِتَأْوِيلِهَا. فَقَالَ دَانْيَالُ عليه السلام: الصَّنَمُ أُمَمٌ

(1) في الأصل: أبها.

(2) في الأصل: معها.

(3) إثبات صفة العلو، ابن قدامة، ص140.

(4) في الإعلام بما في دين النصارى: نبوخذ ناصر، وهو تصحيح من محقق الكتاب فقد قال في الهامش: في المخطوطة: بخت نصر. ص227.

(5) عليها علامة تصحيح، وفي الهامش: ورجلاهُ، كما في الإعلام بما في دين النصارى.

مُخْتَلِفَةٌ والرَّأْسُ أَنْتَ، والفِضَّةُ ابْنُكَ بَعْدَكَ، وَالنُّحَاسُ الرُّومُ، والحَدِيدُ الفُرْسُ، والفَخَّارُ أُمَّتَانِ ضَعِيفَتَانِ تَمْلِكُهُمَا امْرَأَتَانِ بِالشَّامِ وَاليَمَنِ، وَالحَجَرُ دِينُ نَبِيءٍ وملك أَبَدِيّ، يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَغْلبُ الأُمَمَ كُلَّها، ثُمَّ يَعْظُمُ حَتَّى يَمْلَأَ الأَرضَ كُلَّهَا كَمَا مَلَأَهَا ذَلِكَ الحَجَرُ[1]. ولا حَوْلَ ولَا قُوَّة إلَّا باللهِ العليّ العَظِيمِ.

50 وَمَنْ أَكَّدَ المِيزَانَ أَكَّدَ مَوثِقًا بِهَدْيِكَ أَنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ مِيزَانِ

والذِي أَكَّدَ العَدْلَ مُطلَقًا، أو الوَفَاءَ في الوزْنِ مِن كُلِّ مَنْ يَزِنُ مِن مالِهِ للنَّاسِ أَكَّدَ وُثُوقًا بِهَدْيِكَ بأنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ العَقْلِ.

فـ"مَن": مُبْتدَأ خبَرُهُ "أَكَّدَ مَوْثِقًا" إلخ، أوْ يكُون[2] أَنْ يكونَ الواوُ للْقَسمِ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ تبْشِيرِ الرُّسُل.

وعِنْدِي فِي مِثْلِ أن[3] لَا جَوَابَ للْقَسَمِ مُقَدَّرٌ، بلْ قَدْ يُغنِي عَنْ جوَابِهِ مَا قَبْلَهُ وكذَا فِي الشَّرْطِ، وذَلِكَ أَنَّكَ إذَا قُلْتَ: زَيْدٌ قَائِمٌ واللهِ، أو زَيْدٌ قائِمٌ إنْ قُمْتَ، لا تُرِيدُ زَيْدٌ قائِمٌ واللهِ زَيْدٌ قَائِمٌ، ولَا تُرِيدُ زَيْدٌ قَائِمٌ إنْ قُمْتَ فَزَيْدٌ قَائِمٌ. فكَيْفَ يُقَدَّرُ مَا لَا يَقْصِدُهُ الْمُتَكَلِّمُ. وعلَى الْقَسَمِ يكُون "أَكَّدَ مَوْثِقًا" بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: "أَكَّدَ الميزانَ".

[89ظ] ومَوْثِقًا بفَتْحِ المِيمِ: مصْدَرٌ ميمِيٌّ بِمَعْنَى الْوُثُوقُ والتَّمَسُّك.

و"بِهَدْيِكَ": مُتَعَلِّقٌ بِـ"مَوْثِقًا". وهَدْيُهُ: أفْعَالُهُ وأقْوَالُهُ. و"أَنْ يُهْدَى"[4] بَدَلٌ منْ قَوْلِهِ: "هَدْيكَ" أَوْ مِنْ قَوْلِكَ: "بهديك" إنْ قُدِّرَ البَاءُ فِي "أَنْ يُهْدَى" والأَصلُ عَدَمُ الحذْفِ.

والميزَانُ عَقْدٌ، والْمُؤَكِّدُ للْمِيزَانِ هو اللهُ جَلَّ وعَلَا، والْمهْدِيّ إلَى أَهْلِ ميزَان النَّبِيءُ ﷺ. أَيْ: فَرَضَ اللهُ وأَكَّد علَى نَبِيئِهِ ﷺ أَنْ يَهْدِي هَدْيَهُ إلَى أَصْحَاب العُقُولِ، وكَذَا فَرَضَ علَى أُمَّتِهِ أنْ يَهْدِيَهُ بَعْضٌ إلَى بَعْضٍ، وإنَّمَا عَمَّ الكلَامُ ذلِكَ لِبِنَاءِ "يُهْدَى" للْمَفْعُولِ.

وكُلُّ آيَةٍ أَمَرَنَا اللهُ فيهَا بِإيفاءِ الْمِيزَانِ أَوِ الْكَيْلِ، أَوْ ذكَرَ فيهَا وَعِيدَ مَنْ لَا يُوَفِّي فَقَدْ أَكَّدَ فيهَا الْمِيزَانَ. بَل الْعَدْلُ يَعُمُّ الإِيفَاءَ بالوَزْنِ فِي الْمَعْنَى، وإذَا أَمرنَا بِالإِيفَاءِ في الْوزْنِ فأَوْلَى في الْكَيْلِ، وذَلِكَ كقوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾[5] إلخ وقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾[6] إلخ وقَولِهِ

(1) الإعلام بما في دين النصارى، شمس الدين القرطبي، ص277.

(2) لعله يقصِد: يمكنُ.

(3) لم أفهم موقع "أن" في السِّياقِ. أو أن في الجملة سقط ونقول: في مثل هذا أن لا جوابَ.

(4) في البيت: "أن يُلقَى" ويبدو أنَّ الشَّارِح استبدلهُ بمعناهُ.

(5) سورة المطففين: 1.

(6) سورة الأنعام: 152.

وجَلَّ: ﴿ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾[1] إلخ، وقولِهِ عَزَّ وعَلَا: ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[3] وقوله جلَّ جلالُهُ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[4] وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۖ ۝١٨١ ﴾[5] إلخ، ونحوِ ذلك.

وإِنَّمَا ذَكَرْتُ آيَاتٍ، ولَوْ كانَتْ فِي غَيْرِ هَذِهِ الآية[6]، والمذْهَبُ أنَّ شَرْعَ مَنْ قبْلَنَا لَيْسَ شرْعًا لَنَا؛ لِأَنَّ الْوَفَاءَ فِي الْكَيْلِ والْوَزْنِ مِمَّا لَا يدْخُلهُ نَسْخٌ. والْمُرَادُ: ومَنْ أَكَّدَ وفَاءَ الْمِيزانِ.

وهَدْيُهُ ﷺ الْخُلُقُ الْعَظِيم المذْكُورُ فِي قوْلِهِ تعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ ۝٤ ﴾[7] . ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَظِيمِ.

51 وَزَارَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ طَيْبَةً وَبِالْهِجْرَةِ الْغَرَّاءِ بُشْرَى سُلَيْمَان

زارَ سلَيْمَانُ بنُ داوُد الْمَدِينَةَ، مِنْ أجْلِ أَنَّها مُهَاجَرُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ والْمُهَاجِرِين[8]، ومَحَلُّ الأَنْصَارِ المبْتَدِئِينَ فِي فَتْحِ البِلَادِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

و"بُشْرَى سُلَيْمَانَ" حَاصِلَةٌ بِهِجْرَةِ سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بَشَّرَهُ اللهُ بهَا، وبَشَّرَ بهَا قَوْمَهُ، حَمَلَتْهُ وقومَهُ الرِّيحُ مِنَ الشَّام إِلَى الْمَدِينَةِ قَصْدًا مِنْهُ لِزِيَارةِ المدِينَةِ، أَوْ مَضَى إِلَى جِهةِ الْيَمَنِ ولَمَّا قارَبَ الْمَدِينةَ قَصَدَهَا للزِّيَارَةِ، وأَوْحَى اللهُ إليهِ أَنَّها مُهَاجَرُ النَّبِيء العَرَبِيّ القَائِمِ بدِينِ اللهِ قِيَامًا مَا قَامَهُ مِثْلُهُ هو وأُمَّتُهُ، ونَزَلَ بهَا وصَلَّى.

ثمَّ إِنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا الْبُشرَى فِي الْبَيْتِ علَى تبْشِيرِ اللهِ وجَلَّ سليمَانَ وتَبْشِيرِ سلَيْمَانَ قَوْمَهُ صَحَّ، ولَمْ يكُنْ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الحَقِيقَةِ والمَجَازِ ولَا مِنْ عُمُوم الْمَجَازِ، ولَا مِن اسْتِعْمَالِ الكَلِمَةِ فِي معْنَيَيْهَا، ولَا مِنْ إضافَةِ اسمِ الْمَصْدَرِ إِلَى مفْعُولِهِ، بأَنْ يكُونَ الْمُرادُ تَبْشِيرُ اللهِ وجَلَّ سلَيْمَانَ عليه السلام، ولَا إلى فَاعِلِهِ بأَنْ يكُونَ الْمَعْنَى تَبْشِيرُ سلَيْمَانَ قَوْمَهُ، بل المُرَادُ جِنْسُ البِشَارَةِ [90و] المنسُوبَةِ إِلَى سلَيْمَان بِقَطْعِ النَّظَرِ عن خُصُوصِ كوْنِهِ مبَشَّرًا مِنَ اللهِ، وعنْ خُصُوصِ كونِهِ مبَشِّرًا لقَوْمِهِ. فالإِضَافَةُ بِمَعْنَى اللَّامِ

---

(1) سورة الرحمن: 7.

(2) سورة الأعراف: 85.

(3) سورة هود: 84.

(4) سورة هود: 85.

(5) سورة الشعراء: 181.

(6) لعلَّه يقصِد: الأمَّة.

(7) سورة القلم: 4.

(8) على الهامش: قف ما مضت ..... البيت.

كقوْلِكَ: عمرو وبَنُوهُ مولُودو[1] زَيْد. وإِنْ جَعَلْناهُ مِنْ إِضَافَةِ اسْمِ المَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ، فالْمَعْنَى أَنَّ سلَيْمَانَ بَشَّرَ قومَهُ بالْهِجْرَةِ فيَكُونُ داخِلًا فِي قوْلِهِ: وَكُلُّ نبِيءٍ إلخ، وخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِعَدَمِ شُهْرَةِ تَبْشِيرِ قَوْمِهِ بِهَا.

والأَنْسَبُ أنْ يتَّصِلَ هذا الْبَيْتُ بقَوْلِهِ "إِلَى أَهْل مِيزان". والجوابُ: حمل قوله "أَنْ يُلْقَى" علَى الْعُمُومِ فيَشْمَلُ أنْ يُلْقِيَ الأَنبِيَاءُ قبلَهُ ذِكْر هَدْيِهِ إِجْمَالًا وتَفْصِيلًا إِلَى أُمَمِهِم بِحَسَبِ مَا أعْلَمَهُم اللهُ بِهِ، فيَكُونُ هذَا الْبَيْتُ: وزَارَ إلخ عَقِبَ التَّعْميمِ بلَا فَصْلٍ.

وتقَدَّم وصُولُ مُوسَى وهارُونَ الْمدِينَةَ صلَّى اللهُ علَيْهِمَا وسلَّمَ، ومَوْتُ هارُونَ فيهَا، ودَفْنُ موسَى إِيَّاهُ عند أُحُدٍ فِيمَا قِيلَ.

قالَ وهْبُ بنُ مُنَبِّه وكعْبُ الأَحْبَارِ: كانَ سُلَيْمَانُ إِذَا رَكِبَ حَمَلَ أَهْلَهُ وخَدَمَه وحشَمَهُ، وقَد اتَّخَذَ محَابِزَ ومطابِخَ تُحْمَل فيهَا تنَانِيرُ(2) الحَدِيدِ وقُدُورٌ عظَامٌ يَسَعُ كُلُّ قِدْرٍ عَشْرَ جُزُرٍ. فيَطْبَخُ الطَّبَّاخونَ ويَخْبِزُ الخبَّازونَ، وتَجْرِي الدَّوَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ والرِّيحُ تَجْرِي بِهِمْ، وهُمْ علَى بِسَاطٍ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وسَار يَوْمًا مِن اصطخر إِلَى الْيَمَنِ فسَلَكَ مدِينَةَ الرَّسُولِ ﷺ فقالَ: هَذِهِ دارُ هِجْرَةِ رسُولٍ يَخْرجُ آخِرَ الزَّمانِ، طوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ وطُوبَى لِمَن اتَّبَعَهُ[3].

ثمَّ مضَى سلَيْمانُ حَتَّى مَرَّ بوَادِي السر[4]، وهُوَ وَادٍ مِنَ الطّائف، فأتَى علَى وادِي النَّمْلِ، هكذَا قالَ كَعْب: إِنَّهُ وادٍ بالطَّائِف. وقال قَتَادَةُ ومقَاتِل: هُوَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وقِيلَ: وَادٍ تسْكُنُهُ الْجِنُّ، وأُوْلَئِكَ النَّمْل مرَاكِبُهُمْ[5].

قالَ أيّوب الحموي[6][7]: كَانَ ذلِكَ النَّملُ كالذِّئابِ[8]. وقِيلَ: كالبَخَاتِي والمشْهُورُ أنَّه النَّمل الصَّغيرُ[9]. وقالَ الشَّعْبِيّ: كانَتْ تلْكَ النَّمْلةُ ذاتَ جَنَاحَيْنِ[10]. وقَالَ الضّحّاك: كانتْ عَرْجَاء اسْمُهَا

(1) في الأصل: مولودوا، استعمل المؤلف هذه الألِفَ في مواضع، منها: ولَوْ قَالَ زَاكوا النُّفُوسِ لَصَحّ،[91و] وفي هذا الموضِعِ.

(2) التَّنُّورُ عَمَّتْ بكلِّ لسانٍ، وصاحبُه تَنّار، وجمعُه تنانير. معجم العين (تنر).

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 242/1، نقلا من معالم التنزِيل، البغوِي، 150/6، بتصرف.

(4) في تاريخ الخمِيس: وادي السرير، وفِي تفسير البغوِي: وادي السدير، 150/6. وصوابه السُّرَيْر وهو وادٍ من أودية خيبَر. معجم ما استعجم، البكرِي، 737/3.

(5) معالم التنزِيل، البغوِي، 150/6.

(6) خطأ صوابه: نوف الحميرِي كما في تفسير البغوِي.

(7) نوف بن فضالة الحميري البكالي، من أهل دمشق، ويُقال: من أهل فلسطين، وهو ابن امرأة كعب الأحبار. تهذيب الكمال، المزِي، 65/30.

(8) خطأ، صوابه: الذباب كما في تفسير البغوِي.

(9) معالم التنزِيل، البغوِي، 151/6.

(10) (م، س)، 151/6.

طاخية، وقالَ غَيْرُه: منذرة[1]. وقَالَ مقاتِل: اسْمُهَا حزما[2]، ويقالُ: شاهدة.

ودَخَلَ قتادَةُ الكوفة فالْتَفَّ علَيْهِ النَّاسُ فقالَ: سلُوا مَا شِئْتُم، فسَأَلَهُ أبو حنيفة وهُوَ شَابٌّ عنْ نَمْلَةِ سلَيْمَانَ أَذَكَرٌ هيَ أم أُنثَى؟ فلَمْ يَدْرِ الجَوَابَ، فقَالَ أبو حَنِيفَةَ: أنثى، فقِيلَ لهُ بِمَاذَا عَرَفْتَ؟ قال بِقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾[3] ولَمْ يقُلْ قَالَ[4].

يعْنِي أنَّ ما يُفَرّقُ بَيْنَ جَمْعِهِ ومُفردِهِ بالتَّاءِ في مُفْرَدِهِ يُمَيَّز مؤَنَّثُهُ بتَأْنِيث الفِعْلِ أو الْوَصْفِ أو الضَّمِيرِ أو الإِشَارَةِ أَوْ نَحْو ذلِكَ.

قُلْتُ: [90ظ] الواضحُ أنَّهُ يؤنَّثُ ولو مُذَكَّرًا، تَقُول: جاءت بقرَةٌ، وهذِهِ بَقَرَةٌ، ولو ذَكَرًا، وإِنَّما يُقالُ بقَرَةٌ ذَكَرٌ أو بَقَرَةٌ أُنْثَى.

ولَمَّا قالَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ﴾[5] إلخ أَلْقَتِ الرِّيحُ قوْلَهَا في سمعهِ مِنْ ثلَاثَةِ أمْيَالٍ، فتَبَسَّمَ مُتَعَجِّبًا مِنْ حذَرِهَا واهْتِدَائِهَا لِمَصَالِحِها ونُصْحِها لِلنَّملِ، أحَسَّتْ بِصَوْت الْجُنُود ولَا تَدْرِي أَنَّهمْ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ خافَتْ أنْ يكُونُوا فِي الْأَرْضِ، فأَمَرَ سُلَيْمانُ الرِّيحَ فوَقَفَتْ حَتَّى دَخَلْنَ مسَاكِنَهُنَّ. ولَمَّا أَتَى إِلَيْها قَالَ لَهَا: حَذرْتِ ظُلْمِي أمَا عَلِمْتِ أَنِّي نَبِيءٌ عادِلٌ حينَ قُلْتِ: لَا يَحْطِمَنَّكُم سُلَيْمانُ وجُنُودُهُ؟ فقَالَتْ: أَوَ مَا سَمِعْتَ قَوْلِي وهُمْ لَا يَشْعُرُونَ؟ مَعَ أَنِّي لَمْ أُرِدْ حَطْمَ النُّفوسِ بَلْ حَطْمَ القُلُوبِ بِأَنْ يَتَمَنَّيْنَ مَا أُعطِيتَ فيَشْتَغِلْنَ بالنَّظَرِ إِلَيْكَ عن التَّسبيحِ. فقَالَ لهَا: عِظِينِي، قالَتْ: هلْ علِمْتَ لِمَ سُمِّيَ أبوكَ دَاوُد؟ قالَ: لَا، قالَتْ: لِأَنَّهُ داوَى جُرْحَهُ فزَادَ. وهَلْ تدْرِي لمَ سُمِّيتَ سلَيْمَان؟ قالَ: لَا، قالَتْ: لِأَنَّكَ سليمُ الصَّدْرِ، وبسَلَامَةِ صَدْرِكَ آنَ لكَ أنْ تَلْحَقَ بأبِيكَ دَاوُد. وهَلْ تدْرِي لِمَ سَخَّرَ اللهُ لَكَ الرِّيحَ؟ قالَ: لَا، قالَتْ: أَخْبَرَكَ اللهُ أنَّ الدُّنيا كُلّها رِيحٌ. وهَلْ تدْرِي لِمَ جُعِل مُلْكُكَ في فصِّ خاتَمِكِ؟ قالَ: لَا، قالَتْ: أعْلَمَكَ الله أنَّ الدُّنيَا لا تُسَاوَى بقطْعَةِ حَجَرٍ. ثُمَّ قال لَهَا سُليمَانُ: أجُنْدِي أَكْثَرُ أمْ جُنْدُكِ؟ قالَتْ: جُنْدِي. قالَ سلَيْمَانُ: أَرِنِي جنْدَكِ، فنَادَتْ جِنْسًا واحِدًا مِنْ جنْدِهَا فخَرَجُوا سَبْعِينَ يوْمًا حَتَّى امْتَلَأَت البَرَارِي والجِبَالُ والأَوْدِيَةُ. قالَ: هلْ بَقِيَ مِنْ جُنْدِكِ شَيْءٌ؟ قالَتْ: يا سُلَيْمانُ ما خَرَجَ بعْدُ جِنْسٌ واحِدٌ، وإِنَّ لِي مِثْلَ هذَا سبْعِين جِنْسًا[6].

ويُروَى أَنَّهُ لـمَّا فرَغَ مِن بناءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَزَمَ على الخرُوجِ إِلَى أَرْضِ الحَرَمِ فتَجَهَّزَ للمَسِيرِ،

---

(1) مدارك التنزيل، النسفي، 597/2.

(2) في تاريخ الخميس: خرما، وفي معالم التنزيل: جرمى.

(3) سورة النمل: 18.

(4) مدارك التنزيل، النسفي، 597/2.

(5) سورة النمل: 18.

(6) تاريخ الخميس، الديار بكري، 242/1، بتصرف.

واسْتَصْحَبَ مِن الإنسِ والْجنِّ والشَّياطينِ والطُّيورِ والوُحوشِ ما يَبْلُغُ مُعَسْكَرُهُ مِئَةَ فرسَخٍ، فحَمَلَتْهُم الرِّيحُ فوَافَى الْحَرَمَ وحَجَّ وأَقَامَ بِهِ ما شَاءَ اللهُ، وكانَ يَنْحرُ كلَّ يَوْمٍ طُولَ مقامِهِ خَمْسَةَ آلافِ ناقَةٍ، ويذْبَحُ خَمْسَةَ آلافِ ثَوْرٍ وعشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وقَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ منْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ: هذَا مَكانٌ يَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيءٌ عَرَبِيٌّ صِفَتُهُ كَذَا وكَذَا، يُعْطَى النُّصرةَ علَى جَمِيع مَنْ نَاوَأَهُ، وتبْلُغُ رَهْبَتُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ. القَرِيبُ والْبَعِيدُ فِي الحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، لا تَأْخُذهُ فِي اللهِ لَوْمَة لَائِمٍ. قالُوا: فَأَيّ دِينٍ يدِينُ يا نَبِيءَ اللهِ؟ قال: يدِينُ بدِينِ الحَنِيفِيَّةِ، وطُوبَى لِمَنْ أدرَكَهُ وآمَنَ بِهِ. قالُوا: كَمْ بَيْنَ خرُوجِهِ وبَيْنَ زمَانِنَا يا نَبِيءَ اللهِ؟ قالَ: مقْدَار أَلْفِ عَامٍ، فلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ منْكُم الغَائِبَ فإنَّهُ سيِّدُ الأَنْبِئَاءِ وخَاتِمُ الرُّسلِ، فأَقَامَ بِمَكَّةَ حتَّى قَضَى نُسُكَهُ ثمَّ خرَجَ مِنْ مَكَّةَ صباحًا وسَارَ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَوَافَى صنعاء وَقْتَ الظَّهِيرَةِ والزَّوالِ، وذلِكَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ[1]. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ الْعَظِيمِ.

52 ولَمَّا أَظَلَّتْ مُدَّةُ الْمَوْلِدِ [91و] الذِي بِهِ نَوَّرَ الرَّحْمَنُ أَلْبَابَ عُمْيَانِ

53 تَدَاوَلَت الأَحْبَارُ أَخْبَارَكَ التِي يَهِيمُ بِهَا زَاكِي النُّفوسِ بأشْجانِ

54 وجاءَ سطيحٌ بِالصَّرِيحِ مُثَنِّيًا بِمَا قَالَ شقّ مِنْ تَبَدُّدِ أَوْثَانِ

وَلَمَّا أَشْرَفَتْ مُدَّةُ زمَانِ الوِلَادَةِ الذِي نوَّرَ اللهُ بِهِ لَا بِغَيْرِهِ عقُولَ جُهَّالِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الشَّبِيهِينَ بِعُمْيِ الأَبْصَارِ. تَنَاوَلَتِ العُلَمَاءُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، ونَحْوُهم مِمَّن لهُ عِلْمٌ بالْكُتُبِ الْأُولَى، أَخْبَارَ نبُوءَتِكَ ورِسَالَتِكَ وهَدْيِكَ وعَلَامَاتِكَ بأَلْسِنَتِهِمْ، يذْكُرُها بَعْضٌ لبَعْضٍ ولِغَيْرِهِم، الْمَوْصُوفَةُ تِلْكَ الأَخْبَارُ بِأَنَّهَا يَصِيرُ بِهَا، لِشِدَّة الْحُبِّ، كالتَّائِهِ الْحَائِرِ الذِي لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَهْتَدِي، جِنْسُ مَنْ زَكَتْ نفُوسُهُم مَصْحُوبًا بأَحْزَانِ.

وجَاءَ سطيحٌ بِالْخَبَرِ الصَّرِيحِ فِي شَأْنِهِ مِن تفَرُّقِ الْأَوْثَانِ بِهِ ﷺ عَاقبًا لِشقّ، ومُصَيِّرًا لِلْعَدَدِ اثْنَيْنِ سطيح وشقّ بِمَا قَالَ شقّ.

واخْتَارَ لَفْظَ "الرَّحْمَنِ" إِيذَانًا بِأَنَّ إِرْسَالَهُ ﷺ رَحْمَةٌ لِأَهْلِ فَتْرَةٍ عمت ومَنْ يَأْتِي بَعْدُ، إِلَّا مَنْ أَبَى. والرَّحمَنُ: مُرِيدُ الإِنْعَامِ أَو المُنعِمُ، فَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ لهُ ﷻ أو فِعْلٌ لَهُ.

والمُرادُ بالزَّاكِي: جِنْسُ مَنْ طَهُرَتْ نَفْسُهُ، ولِذَلِكَ جَمَعَ النُّفوسَ، ولَوْ قَالَ: زَاكو[2] النُّفُوسِ لَصَحَّ.

ومَعْنَى إِظْلَالُ الْمُدَّةِ قُرْبُ آخِرِ الأَجَلِ، علَى أَنَّ المُدَّةَ جُمْلَةُ ما سَبَقَ الْمَحْدُود لهُ، أَوْ قُرْبُ الْمَحْدُود لَهُ، علَى أَنَّ المُدَّةَ نَفْسُ ما حُدَّ لَه.

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، 6/153-154.

(2) في الأصلِ: زاكوا، وتقدمت الإشارة إلى هذه الألف التي يستعملها الشَّارِحُ، كما فِي قولهِ: كقوْلِكَ: عمرو وبَنُوهُ مولُودوا زَيْد، [90و].

رُوِيَ أَنَّهُ كانَ رَبِيعةُ بنُ نَصر مَلِكُ الْيَمَنِ بَيْنَ أَضْعَافِ مُلُوك التَّبابِعَة[1]، ورَأَى رُؤيَا أَفْضَعَتْهُ[2] فلَم يدَعْ كَاهِنًا ولا سَاحِرًا ولَا عَائِفًا ولَا مُنجِّما مِنْ أَهْلِ مَمْلكَتِهِ إِلَّا جَمَعهُ إِلَيْهِ، فقَالَ لهمْ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وفَضعْتُ[3] بِهَا، فأَخْبِرُونِي بِهَا وبتَأْوِيلِها. فقَالُوا: اقْصُصْها عليْنَا حتَّى نُخبِرَكَ بتَأْوِيلِهَا. فقَالَ: إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُم بِهَا لمْ أَطْمَئِنّ إِلَى تَأْوِيلِكُم، إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَها إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَ بِها. فقالَ رَجُلٌ مِنْهُم: إِنْ كانَ الْمَلِكُ يرِيدُ هذَا فَلْيَبْعَثْ إِلَى شقّ وسطيح يُخْبِرَاهُ.

أَمَّا سطيح فَهُو رَبِيعُ بنُ صمّ[4]. وأَمَّا شقّ فَشقّ بن صَعْب، فَبَعَثَ إِلَيْهِما، فقَدِمَ عَليهِ سطيح قَبْل شقّ، فَقَال لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وفَضعتُ[5] بِهَا، فأَخْبِرنِي بِهَا فإِنَّكَ إِنْ أصَبْتَها أصَبْتَ تَأْوِيلَهَا. فقالَ: رَأَيْتَ حُممَة[6] خَرَجَتْ مِن ظلمَة، فوَقَعَتْ أرْضَ تَهِمة، فأَكلَتْ مِنْها كُلّ ذاتِ جمجمة. فقالَ الْمَلِكُ: ما أَخْطَأتَ مِنها شَيْئًا يا سطيح، فمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا؟

فقَالَ: أحلفُ بِمَا بَيْنَ الحرَّتَيْنِ مِنْ حَنَش[7] لَيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الْحبش فلَيَمْلِكنَّ ما بَيْنَ أَبين[8] إِلَى جُرَش[9] فقالَ الْمَلِكُ: وأَبِيكَ يَا سطيح إِنَّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ فمَتَى هُوَ كَائِنٌ فِي زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ؟ فقَالَ: لَا بَلْ بَعْدَهُ بِحِين، أَكْثَر مِنْ سِتّين أو سَبْعِينَ يَمْضِين مِنَ السِّنِين.

قالَ: أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعْ؟ قالَ: بَلْ يَنْقَطِع لِبضْعٍ مِنْ سَبْعِين، ثُمَّ يُقْتَلُونَ ويَخْرُجُونَ مِنْهَا هَارِبين. قالَ: ومَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قتْلِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ؟ قالَ: يَلِيهِ [91ظ] إِرَمُ ذو يزن، يَخْرُجُ علَيْهِمْ مِنْ عَدَن ولَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا. قالَ: أَفَيَدُومُ ذلِكَ مِنْ سُلْطَانهِ أَمْ يَنْقَطِع؟ قالَ: بَلْ يَنْقَطِع. قالَ: ومَنْ يَقْطَعُهُ؟ قالَ: نَبِيءٌ زَكِيّ، يأتِيهِ الوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيّ. قالَ: وَمِمَّنْ هذَا النَّبِيءُ؟ قالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِب بنِ فِهْر بنِ مَالِك بنِ النَّظر[10]، وقَوْمهُ[11] إِلَى آخِرِ الدَّهرِ. قالَ: وهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِر؟ قالَ: نَعَمْ، يَوْمَ يُجْمَعُ فيهِ الأَوَّلُون والآخِرُون ويَسْعَدُ فِيهِ المُحسِنون ويَشْقَى فِيهِ المُسيئُون. قالَ: أَحَقٌّ مَا تُخْبِرُنِي بِهِ؟ قال: نَعَمْ والشَّفَقِ والغسَق، والفَلَقِ إِذَا اتَّسَق، إِنَّ مَا أَنْبَأتُكَ بِهِ لَحَقّ.

---

(1) القصة في سيرة ابن إسحاق، 22/1، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2 عن ابن إسحاق.

(2) خطأ صوابه: أفظَعَتْهُ.

(3) خطأ صوابه: فَظِعتُ.

(4) خطأ صوابه: ربيع بن ربيعة بن مسعود، وليس في نسبه صم. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2.

(5) خطأ صوابه: فظِعتُ.

(6) الحُمَمُ: الفَحْمُ واحدته حُمَمَةٌ. لسان العرب (حمم).

(7) الحنَش: الحيَّة. لسان العرب (حنش).

(8) أبْين: يفتح أوله ويكسر، من مخاليف اليمن. معجم البلدان، ياقوت، 86/1.

(9) جُرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة. معجم البلدان، ياقوت، 126/2.

(10) خطأ صوابه: النضر.

(11) أسقط المؤلِّف من النص: يكون الملك في قومه. سيرة ابن إسحاق، 23/1، وتاريخ الرسل والملوك، 113/2،

ثُمَّ قَدِمَ علَيْهِ شقّ، فقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ سطيح وكَتَمَهُ مَا قالَ سطيح لِيَنْظُرَ أيَتَّفِقَانِ أمْ يَخْتَلِفَانِ.

قالَ: نَعَمْ رَأَيْت حُمَمة، خَرجت مِنْ ظلمَة، فوَقَعَتْ بيْنَ رَوْضَةٍ وأكمه فأَكَلَتْ مِنْها كُلّ ذِي نسمة. فَعَرَفَ أَنَّهُمَا اتَّفَقَا، وأَنَّ قَوْلَهُمَا واحِدٌ في الْمَعْنَى، ولَو اخْتَلَفَ بعْضُ اللَّفظِ. فَقَالَ: ما أَخْطَأْتَ يَا شقّ، فمَا تَأْوِيلُهَا؟

فقَالَ: أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ إِنْسَان ليَنْزِلَنَّ أرْضَكُمْ السودان فيَغْلِبنَّ علَى كُلّ طفْلَةٍ[1] رخصة البنان، ولَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَن إِلَى نجران.

فقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وأَبِيكَ يَا شقّ إِنَّ هذَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ، فمَتَى هُوَ كَائِنٌ فِي زمَانِي أَمْ بَعْدَهُ؟ قالَ: لَا بَلْ بَعْدَهُ بِزَمَانٍ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذكمْ مِنْهَا عَظِيمٌ ذُو شَأْنٍ ويُذِيقُهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ. قالَ: ومَنْ هُوَ هذَا الْعَظِيمُ الشَّأنِ؟ قالَ: غُلَامٌ ليْسَ بدَنِيّ ولا مُدَنّ[2] يخرجُ مِنْ بَيْتِ ذي يزن. قال: أَفَيَدُومُ سُلطانُهُ أمْ يَنْقَطِع؟ قالَ: بلْ يَنْقَطِع بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ يأْتِي بالْحَقّ والْعَدْلِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ والْفَضْلِ يَكُونُ الْملك في قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ. قالَ: ومَا يَوْمُ الْفَصْلِ؟ قالَ: يَوْمَ تُجزَى فيهِ الولاة ويُدْعَى فِيهِ مِنَ السَّماءِ بدَعَوَاتٍ يسْمَعُ مِنْهَا الأَحْيَاءُ والْأَمْوَاتُ ويُجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ للْمِيقَاتِ، يكُونُ فِيهِ لِمَن اتَّقَى الْفَوْزُ والْخَيْرَاتُ. قالَ: أَحَقٌّ مَا تَقُولُ؟

قالَ: إِي ورَبِّ السَّمَاءِ والأَرْض، ومَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفْعٍ وخَفْض، إِنَّ ما أَنْبَأتُكَ بِهِ لَحَقٌّ مَا فيهِ أمْض[3]. فوَقَعَ فِي نَفْسِ ربيعة بن نصر مَا قَالَاهُ[4]. ومِن بَقِيَّةِ وَلَدِ رَبِيعَةَ بنِ نَصْر النّعمان بن المنذر[5].

وكانَ سطيح جسَدًا مُلْقىً لَا جوَارِحَ لَهُ فِيمَا يَذْكُرُونَ، ولَا يَقْدِرُ علَى الْجُلُوسِ إِلَّا إِذَا غَضِبَ انْتَفَخَ فجَلَسَ، وأَمَّا شقّ فَكَانَ شق إِنْسَانًا بِيَدٍ واحِدٍ ورِجْلٍ واحِدَةٍ، وعَيْنٍ واحِدَةٍ. وقيل لِسطيح: مِنْ أَيْنَ لَكَ هذا الْعِلْمُ؟ فقَالَ: لِي صَاحِبٌ منَ الجِنّ اسْتَمَعَ أَخْبَارَ السَّماءِ مِنْ طورِ سِينَاءَ حِينَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى، فَهُوَ يُودي إِليَّ مِنْ ذَلِكَ مَا يُودِيهِ[6].

والحُمَمة: قِطْعَةٌ مِن نَارٍ، وخُرُوجُهَا مِنْ ظُلْمَةٍ يُشبِهُ خرُوجَ الْحَبَشَةِ مِنَ السُّودَانِ. والأَرْضُ التَّهِمَة: المنْخَفِضَة ومِنْهُ تهامة. وإرم ذو يزن: سيف ذو يزن، وجَعَلَ إرَما مَكَانَ سَيْف مَدْحًا بالْعِلمِ، أَو شبَّهَهُ

---

(1) الطِّفْلُ: الرَّخْصُ النَّاعِمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. تاج العروس (طفل).

(2) المُدَنِّي المُقَصِّر عما ينبغي له أن يَفْعَله. لسان العرب (دنا)، وسيشرحه المؤلِّف بـ: مَنْ يَجْمَعُ إِلَى الدَّنَاءَةِ الضُّعْفَ.

(3) الأَمْضُ: الباطلُ وقيل الشَّكّ. لسان العرب (أمض).

(4) أسقَط المؤلِّف عبارةَ:" فجهّز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاد، فأسكنهم الحيرة". تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2، والعبارة ليست في سيرة ابن إسحاق.

(5) سيرة ابن إسحاق، 22/1- 25، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2- 114.

(6) الروض الأنف: السهيلي، 67/1.

بعَادٍ فِي القُوَّةِ. والمُدَنّي: مَنْ يَجْمَعُ إلَى الدَّنَاءَةِ الضُّعْفَ. والأَمْضُ: الشَّكّ[1].

وعُمِّر سطيح زمانًا طَوِيلًا حتَّى أَدْرَكَ مَوْلِدَ النَّبِيء ﷺ، فرأَى كسرى أنو شروان مَا رَأَى مِنْ [92و] ارْتِجَاسِ الإِيوَانِ وخمُود النِّيرانِ، ولَمْ تَكُنْ خمَدَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بأَلْفِ عامٍ، وسَقَطَتْ مِنْ قَصْرِهِ أَرْبَعَ عشْرَةَ شرافَةً وأَخْبَرَهُ الموبذان؛ أَيْ: القَاضِي والمُفتِي، أَنَّهُ رأَى إِبِلًا صِعَابًا تَقُودُ خيُولًا عِرابًا، فانْتَشَرَتْ فِي بلَادِهِمْ وغَارَتْ بحيرة سَاوَة، فأَرْسَلَ كسرى و[2]عبد المسيح ابن عمرو الغَسَّانِي إِلَى سطيح يَسْتَخْبِرُهُ عِلْمَ ذَلِكَ ويَسْتَعْبِرُهُ رُؤيا الموبذان، فقَدِمَ عَلَيْهِ وقَدْ أَشْرَفَ[3] علَى الْمَوْتِ، فسلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ سطيح أَنْ يَرُدَّ جوَابًا، فأَنْشَأَ عبدُ الْمَسِيحِ يقُولُ:

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ عِطْرِيفُ الْيَمَن ... أَمْ فَادَ فَإِن لمَّ فِي شَأْوِ الْعَنَن[4]

يَا فَاصِلَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ... أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ

وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِيبِ بنِ حَجَنْ ... أَبْيَض فَضْفَاض الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ

رَسُولُ قيلِ الْعجْم يَسْرِي لِلْوَسَنْ ... لَا يَرْهَب الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ

تَجُوبُ [بِي] الْأَرْض عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ ... تَرْفَعُنِي وجْنٌ وَتَهْوِي بِي وجنْ

حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَآجِي وَالْقَطَنْ ... تَلُفُّهُ فِي الرِّيحِ فَوْغَاءُ الدِّمَنْ[5]

فقَالَ سَطِيحٌ: عَبْد المسِيحِ علَى جَمَلٍ مُشِيح جَاءَ إِلَى سطِيح، حِينَ أَوْفَى عَلى الصَّرِيح[6] بعَثَهُ مَلِكُ بَنِي ساسَان لِارْتِجَاسِ الإِيوَان، وخمُودِ النِّيرَان، ورؤيا الموذبان. رَأَى إِبِلًا صِعابًا تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا قدْ قَطَعَتْ دجلة وانْتَشَرَتْ فِي بلَادِهَا. عبْد الْمَسِيحِ إِذَا كَثُرَت التِّلَاوةُ وظَهَرَ صاحِبُ الْهراوَة، وخَمدَتْ نَارُ فَارِسَ وغَارَتْ بحيرة سَاوَة، وفَاضَ وادي السّماوة، فلَيْسَ الشَّام لِسَطِيحٍ شَامًا يَمْلِكُ مِنْهُمْ ملُوكٌ وملِكَاتٌ عَلَى عَدَدِ الشُّرفاتِ، وكُلُّ ما هُوَ آتٍ آت. ثمَّ قَضَى سَطِيحٌ مكَانَهَ وخَرَجَتْ رُوحُهُ[7].

ولَمَّ: قبض، وشأْوُ الْعَنَن: الْمَوْتُ، وفَضْفَاض الرِّدَاء: وَاسِعَة، والعَلَنْدَاة: الضَّخْمَةُ مِنَ الإِبِل، وشَزِنَتْ الإِبِلُ: أَعْيَتْ مِنَ الْحَفَاءِ، والْجُؤْجُؤ: الصَّدْرُ، والفَوْغَاء: التُّرَابُ.

ويُرْوَى أَنَّ سابور ذَا الأَكْتَافِ مِنْ مُلُوك بَنِي سَاسَان وَطِئَ أَرْضَ الْعَرَبِ، وكَانَ يَخْلَعُ أَكْتَافهُمْ، وبِذَلِكَ لُقِّبَ. ومَرَّ بِأَرْضِ تميم ففَرُّوا مِنْهُ وتَرَكُوا الْعِنْبَر عمرَ بنَ تَمِيم وهُوَ ابْنُ ثَلَاثِمِئَة سَنَةٍ، ترِكَ في

(1) الروض الأنف: السهيلي، 1/69-70.

(2) واو زائدة.

(3) في الروض الأنف: أشفَى.

(4) في الروض الأنف: غطريف، فازلمَّ بدل فإن لمَّ.

(5) الأبيات من الرجز.

(6) في الروض: الضَّرِيح.

(7) القصَّة في الروض الأنف، 1/70-72.

أجمة[1] وقِيلَ: مُغَلَّفًا فِي قُفَّةٍ بِعَمُودِ الْخَيْمَةِ، فأُخِذَ وجِيءَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فوَجَدَهُ ذَا معْرِفَةٍ، فقَالَ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ أيُّها الْمَلِكُ هذَا بالْعَرَبِ؟ فقَالَ: يزْعُمُون أَنَّ مُلْكَنَا يصيرُ إِلَيْهِمْ بِمَبْعَثِ نَبِيءٍ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فقَالَ لَهُ عَمْرو: فأَيْنَ حِلْمُ الْمُلُوكِ وعَقْلُهُمْ إِنْ كانَ هَذَا الأَمْرُ باطِلًا فلَنْ يَضُرَّكَ، وإِنْ كانَ حَقًّا [92ظ] ألفَاكَ ولَمْ تَتَّخِذْ عنْدَهُمْ يَدًا يكافِئُونَكَ عَلَيْهَا، ويَحْفَظُونَكَ بِهَا فِي ذَوِيكَ، فيُقَالُ إِنَّ سَابُور انْصَرَفَ عَنْهُمْ، واسْتَبْقَى بَقِيَّتَهُمْ وأَحْسَنَ إِلَيْهِم بَعْدَ ذَلِكَ، واللهُ أعلمُ[2].

ثُمَّ إِنَّهُ كانَ منْ أَمْرِ اللهِ أنْ أَظْهَرَ دِينَهُ ونَصَرَ نَبِيئَهُ ﷺ، ومكَّنَ أُمَّتَهُ منْ ملكِ فَارِسَ، وقَدْ أدْرَكَ الإِسْلامَ مَلِكُهُم [أجرو بن هرمز][3]، ومعناهُ: مُظَفَّر، وهُوَ الذِي رَأَى فِي المنَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: سلِّمْ مَا فِي يَدِكَ لِصَاحِبِ الْهراوةِ، فلَمْ يزَلْ مَذْعُورًا مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى بعَثَ إِلَيْهِ النُّعمانُ بظُهُورِ النَّبِيء ﷺ بتهَامَةَ، فعَلِم أَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ[4].

وهُوَ الذي سُئِلَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**مَا حُجَّةُ الله على كِسرى؟ فقالَ: إنَّ اللهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكًا فسَلَكَ يدَهُ فِي الجِدَارِ حَتَّى أخْرَجَهَا إِلَيْهِ فَارْتَاعَ، فقَالَ له الملكُ: لِمَ ترعْ يا كِسْرَى؟ إِنَّ اللهَ قَدْ بعَثَ رَسُولًا، فأَسْلِمْ تسْلَمْ، فقَالَ: سأَنْظُرُ**))[5] ثُمَّ تولَّى بَعْدهُ ابْنُهُ سَابُور نَحْوَ شَهْرَيْن، ثُمَّ أخُوهُ شيرَويه نَحْوَ سِتَّة أَشْهُرٍ ثُمَّ أخْتُهُما بوران فقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: ((**لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ مَلَكَتْهُم امْرَأَة**))[6] فمَلكَتْ سنَةً ومَاتَتْ وتَشَتَّتَ أمْرُهُم، واجْتَمَعُوا على يزدجر[7]، والْمُسْلِمُونَ قَدْ تَغَلَّبوا علَى أَطْرَافِ أَرْضِهِم، ثُمَّ كانَتْ حُرُوبُ القَادِسِيَّة واسْتَأْصَلَهُم الإِسْلَامُ علَى يَدِ عمر بن الخطّاب[8].

قالَ عطاء عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا خَرَجَ عبد المطّلب بابْنِهِ لِيُزوِّجَهُ بِنْتِ وَهْبٍ مَرَّ بِهِ عَلى كاهِنَةٍ مِنْ قالة[9] منهودَة[10] قَرَأَت الكُتُب، يُقَالُ فاطِمَة بنتُ مرّ الخثْعَمِيَّة، أوْ علَى قُتيلة وَهِيَ عنْدَ الكعْبَةِ، بِضَمّ القَافِ وفَتْحِ التَّاءِ، امرَأَةٌ مِن بَنِي أسيد بنِ عبْدِ العُزَّى يُقالُ لهَا رقيّة بنت نوفل، فرَأَتْ نُورَ النُّبوءَة فِي وَجْهِ عبْدِ اللهِ فقَالَتْ: قَع عَلَيَّ ولَكَ مِثلُ الْإِبِلِ التِي نُحِرَتْ علَيْكَ، تَعْنِي مِئَةَ بَعِيرٍ نَحرَهَا أبُوهُ فِدَاءً

(1) الأَجَمَة الشجر الكثير الملتفُّ والجمع أُجْمٌ. لسان العرب (أجم).

(2) القصَّة في الروض الأنف، 76/1.

(3) خطأ صوابه: أبرويز بن هرمز، كما في الروض الأنف.

(4) القصَّة في الروض الأنف، 76/1.

(5) تاريخ الطبري، 190/2، والمنتظم، ابن الأثير، 362/2.

(6) المستدرك، الحاكم، حديث (8599)، وفيه: تملكهم.

(7) في تاريخ الطبري والروض الأنف: يزدجرد.

(8) القصَّة في الروض الأنف، 77/1-78.

(9) فِي المصادِر: من تبالة، وهو موضع من بلاد اليَمَنِ، معجم البلدان، الحموي، 9/2.

(10) لعلها متهوِّدة، كما في المصادرِ التي ذكرت القصَّة.

لهُ عَنْ ذَبْحِهِ؛ إِذْ نَذَرَ بذَبْحِهِ إِذْ أَمَرَتْهُ الكَاهِنَةُ أَنْ يُقَرِّبَهُ وعَشْرَةً مِنَ الإِبِلِ، وكانَت العَشَرَةُ دِيَّةَ الرَّجُلِ عِنْدَهُم، فإِنْ وقَعَتْ علَيْهَا، وإِلَّا فَزِدْ عَشَرَةً عشَرَةً عَلى [أَنْ] تَقَعَ علَيْهَا، فوقَعَتْ علَى الْمِئة، فكَانَت الدِّيَّةُ مِئَةً وأَقَرَّها الإِسْلَامُ لِلْمُسْلِمِين بأَمْرِ اللهِ ﷻ، وذلكَ أَنَّها رَأَتْ نُورَ النُّبوءَةِ فِي وَجْهِهِ، ورَجَتْ أَنْ تَحْمِل بِهَذا النَّبِيء ﷺ فقال لَهَا: أَنَا مَعَ أَبِي ولا أَسْتَطيعُ خِلَافَهُ ولَا فِراقَهُ. وقِيلَ أَجَابَها بِقَوْلِهِ:

أَمَّـا الْـحَـرَامُ فَـالْـمَـمَـاتُ دُونَـهُ وَالْـحِـلُّ لَا حِـلَّ فَـأَسْـتَـبِـيـنَـهُ

فَـكَـيْـفَ بِـالْأَمْـرِ الـذِي تَـبْـغِـيـنَـهُ يَـحْـمِـي الْـكِـرَامُ عِـرْضَـهُ وَدِيـنَـهُ[1]

فلمَّا أَتَى بِهِ إِلَى وهْب بن عبد مناف بنِ زُهْرَة، وهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ [93و] بَنِي زهْرَة نَسَبًا وشَرَفًا فزَوَّجهُ ابنَتَهُ آمِنَةَ، وهِيَ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَبًا ومَوْضِعًا، فزَعَمُوا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْها، وقَعَ علَيْهَا يَوْمَ الاثْنَيْن أَيَّام مِنىً، فِي شعب أبي طالب عِنْدَ الجَمْرَة الوُسْطَى، فحَمَلَتْ برَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ خَرَجَ مِن عِنْدِها فأَتَى الْمَرْأَةَ التِي عرَضَتْ علَيْهِ ما عَرَضَتْ، فقالَ لَهَا: مَا لَكِ لَا تَعْرِضِين عَلَيَّ الْيَوْمَ ما عَرَضْتِ بالأَمْسِ؟ فقَالَتْ: فارَقَكَ النُّورُ الذِي كانَ معَكَ بالأَمْسِ فلَيْسَ لِي بِكَ الْيَومَ حاجَةٌ، إِنَّما أَردْتُ أَنْ يَكُونَ النُّورُ فِيَّ، فأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ يشاء[2]. قال بَعْضٌ:

لَوْ أَبْصَـرَ الشَّـيْطَـانُ طَلْعَـةَ نُورِهِ فِـي وَجْـهِ آدمَ كَـانَ أَوَّلَ مَـنْ سَـجَـدْ

أَوْ لَـوْ رَأَى الـنُّـمْـرُوذُ نُـورَ جَـمَـالِـهِ عَبَـدَ الْجَلِيـلَ مَعَ الْخَلِيـلِ وَمَـا عَنَـدْ

لَـكِـنْ جَـمَـال الـلـهِ عَـزَّ[3] فَـلَا يُـرَى إِلَّا بِتَخْصِـيصٍ مِنَ اللـهِ الصَّـمَـدْ[4][5]

ولـمَّا حَمَلتْ آمنة بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ظَهَرَ لِحَمْلِهِ عجَائِب، ووجد لإِيجَادِهِ غَرَائِب. فذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّتْ نُطْفَتُهُ الزَّكِيَّةُ ودُرَّتُهُ المُحَمَّدِيَّةُ فِي صدفة آمنَةَ القُرَيْشيَّة، نُودِيَ فِي الْمَلَكُوتِ ومَعَالِمِ الجَبَرُوتِ أَنْ عَطِّروا جوَامِعَ القُدْسِ الأَسْنَى، وبَخِّرُوا جهَاتِ الشَّرَفِ الأَعْلَى، وافرشُوا سَجَّاداتِ العِبَادَاتِ فِي صفف الصَّفا لِصُوفِيَّة الملائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ أَهْلِ الصِّدْقِ والوَفَاءِ، فقَد انْتَقَلَ النُّورُ المَكْنُونُ إِلَى بَطْنِ آمنَةَ ذاتِ الْعَقْلِ البَاهِرِ والفَخْرِ المصُونِ، قَدْ خَصَّها الْقَرِيبُ المُجِيبُ بهَذَا السَّيِّدِ الْمُصْطَفَى الْحَبِيبِ؛ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ قوْمِها حَسَبًا، وأَنْجَبُ وأَزْكَاهُم أَصْلًا وفَرْعًا وأَطْيَبُ[6].

---

(1) البيتان من الرجز، والقصَّة في تاريخ الطبري، 2/244-245، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، 3/404، والروض الأنف، السهيلي، 2/91، والمواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 1/ 116، وتاريخ الخميس، الديار بكري، 1/184

(2) المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/116-117.

(3) في المواهِب: جلَّ.

(4) الأبيات أضافها المؤلِّف على الهامِش.

(5) الأبيات من الكامِل، من قصِيدة لسيدي علِي وفا، الشاذلِي المالِكِي ت:807هـ، المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/84، ينظر ترجمته فِي: شذرات الذهب، ابن العماد، 8/352.

(6) المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/117-118.

لَمَّا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ في بَطْنِ أُمِّهِ ليْلَةَ رجَبٍ، وكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ أَمَرَ اللهُ تعَالَى فِي تلْكَ اللَّيْلَةِ رضْوَان خَازِن الجِنَانِ أنْ يَفْتَحَ الفِرْدَوْسَ، ونَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِينَ: أَلَا إِنَّ النُّورَ المَخْزُونَ المَكْنُونَ الذِي يكُونُ مِنْهُ النَّبِيءُ الْهَادِي فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ يَسْتَقِرُّ فِي بَطْنِ أمِّه، الذِي يَتِمُّ فيهِ خَلْقُهُ ويَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ بشِيرًا ونَذِيرا[1].

وعنْ كَعْب الأَحْبَارِ: نُودِيَ تلْكَ اللَّيْلَة فِي السَّمَاءِ وصِفَاحِهَا، والأَرْضِ وبقَاعِها أَنَّ النُّورَ الْمَكْنُونَ الذِي منْهُ رسُولُ اللهِ ﷺ يسْتَقِرُّ اللَّيْلَةَ فِي بطْنِ آمنَةَ، فيَا طُوبَى لَهَا ثُمَّ يا طُوبَى. بِمَعْنَى أنَّ كَوْنَهُ فِي بطْنِها شَيْءٌ حسَنٌ جَمِيل عَظِيمٌ وأَصْبَحَتْ أَصْنَامُ الدُّنيَا كُلُّهَا منْكُوسةً[2].

وتَأْتِي قِصَّةُ الكَاهِنِ خَطر فِي قَوْلِه: كَمَا صُرِفَ الشَّيْطَانُ[3][4]. ولا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

55 وَمَا زِلْتَ نُورًا سَاطِعًا فِي شُؤُونِهِ بِأَطْهَرِ أَصْلَابٍ كِرَامٍ ذَوِي شَانِ

56 ولَمَّا أرادَ اللهُ إِظْهَارَ مُضْمَرٍ عَلَى عَلَمٍ [93ظ] يَهْدِي لِعرْفٍ وَعِرْفَانِ

57 أَضَاءَ لِعَدْنَانَ وَكُلِّ الْوَرَى سَنًا بِجَبْهَةِ عَبْدِ اللهِ أَشْرَفِ عَدْنَانِ

لمْ تَزَلْ يا رَسُولَ اللهِ بعْدَ أنْ وُضِعْتَ فِي آدمَ نُورًا مُرْتَفِعًا؛ أَيْ: كَنُورٍ عَالٍ فِي الْجَوّ، حَالَ كونِهِ فِي شؤُونِهِ مِنْ رُكُوعٍ وسُجُودٍ وتَسْبِيحٍ وتَعْظِيمٍ وذِكْرٍ ونُطقٍ، إِذَا شَاءَ اللهُ. وَذَلِكَ السُّطوع في أَطْهَرِ أَصْلَابٍ كِرَامٍ ذَوِي شَأْنٍ عظِيمٍ، طَاهِرٍ عن الزِّنَا بِالْفرْجِ ومَا يُحَرِّكُهُ، ولَيْسَ في النُّطفَةِ التِي خُلِقَ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ، كَاستِحْضَارِ المُجامِعِ بِقَلْبِهِ امْرَأَةً غَيْرَ التِي يُجامِعُها، وقَدْ كانَ قَبْلَ ذلِكَ نُورًا لامِعًا حَيْثُ شَاءَ اللهُ كالْعَرْشِ والجنَّةِ، وكَانَ أَوَّلَ مَخْلُوقاتِ اللهِ ﷻ، خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ المَاءِ والقَلَمِ واللَّوْح والكُرْسِيِّ والْعَرْشِ.

ولَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ إِظْهَارَ دِينٍ أَوْ شَرَفٍ مُضْمَرٍ علَى إِنْسَانٍ كَرِيمٍ عَلَى رَبِّهِ أَفْضلِ خَلْقِهِ، ظَاهِرٍ كظُهُورِ الْعَلَمِ؛ أَي: الجَبلِ، هَادٍ لِلْأَمْرِ المعْرُوفِ لِلْعُقُولِ الذِي تأْلَفُهُ، وللْمَعْرِفَةِ بِاللهِ ورُسُلِهِ وكتُبِهِ وسَائِرِ أَمْرِ دِينِهِ.

أَضَاءَ لِذُرِّيَّةِ عدْنَانَ خصُوصًا بِالشَّرَفِ وكُلِّ الوَرَى، عدْنَان وغَيْرِهِمْ، بالْهُدَى حالَ كوْنِهِ فِي جَبْهَةِ

---

(1) (م، س)، 118/1.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 119/1.

(3) العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(4) سيذكر ذلك الكاهِن واسمه: خطر، عند شرحِ البيت من القصيدة:

كَمَا صُرِفَ الشَّيْطَانُ عَنْ خَبَرِ السَّمَا وَأَوْلَادُهُ بَعْدَ اسْتِرَاقٍ لِشَيْطَانِ

عبد الله بن عبد المطّلب أبيهِ أفضْل ذُرِّيَّةِ عدنان.

والمُرَادُ بقَوْلِهِ: "مَا زِلْتَ" إلَخ: ما زالَ بعْدَ أنْ جَعَلهُ اللهُ فِي أَجْسَامِ الآباء؛ لاخْتِصَاصِ اللهِ بالْأَزَلِيَّةِ، وهذَا ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ قالَ: بِأَطْهَرِ أَصْلَاب.

و"الشُّؤُون": جمْعُ شَأْنٍ بهَمْزٍ سَاكِنَةٍ، إلَّا أَنَّهُ قالَ: ذَوِي شَان بالأَلِفِ وهُوَ لُغَةٌ، فقد استَعْمَلَ لُغَتَيْن لغَةَ الْهَمْزِ إلَّا أنَّها فِي الْجَمْعِ وهُوَ مُنْبَنٍ علَى الْمُفْرَدِ، ولُغَةَ الأَلِفِ خرُوجًا عَنْ سِنَادِ الرِّدفِ. ولَوْ أَبْقَى الْهَمْزَةَ كانَ كَقَوْلِه:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِهِ[1]

أَثْبَتَ الرِّدْفَ فِي قَوْلِهِ: لَا تُوصِهِ دُونَ قَوْلِهِ: لَا تَعْصِهِ.

والبَاءُ فِي "بأَطْهَرِ" و"بِجَبْهَة" بِمَعْنَى "فِي". وَ"سَنا": فاعِل أضَاءَ. و"عَدْنَان": ذُرِّيَّة عدْنَان، كما تَقُولُ: فُلَانٌ أشْرَفُ بَنِي فُلَان أوْ نَسَب؛ أيْ: أَفْضَلُ رَجُلٍ عَدْنَانِي كمَا أَفْضَلُ قُرَشِيّ.

ولمْ يكْتُبْ يَاءَ النَّسَبِ إلَّا أنَّ الذِي عنْدِي أَنْ يَكْتُبَ ياءَ الإِطْلَاقِ إذَا كانَتْ لَامَ الْكَلِمَةِ أوْ للنَّسبِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لَا لِمُجَرَّدِ الإِطْلَاقِ.

قالَ عبْدُ الرَّزَّاق بسَنَدِهِ عنْ جَابِر بنِ عبْدِ اللهِ الأنصَارِيّ: ((**قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أخبرنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تعَالَى قبْلَ الأَشْيَاءِ، قَالَ: يا جَابِر إنَّ اللهَ تعَالَى خَلَقَ قبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيئِكَ مِنْ نُورِهِ، فجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يدُورُ بالْقُدْرةِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ولَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْحٌ ولا قَلَمٌ ولَا جَنَّةٌ ولا نَارٌ ولَا مَلَكٌ ولَا سَمَاءٌ ولَا أَرْضٌ ولَا شَمْسٌ ولَا قَمَرٌ ولَا جِنِّيٌّ ولَا إِنْسِيٌّ، ويُرْوَى أنَّ اللهَ خلَقَ أَوَّلًا نُورَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْعَرْشِ والكُرْسيِّ واللَّوْحِ والْقَلَمِ والسَّمَاءِ والأَرْضِ والْجَنَّةِ والنَّارِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وسِتِّمِئَةٍ وسَبْعِينَ أَلْف سَنَةٍ، ويُرْوَى أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ.**

ولَمَّا أرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ قسَمَ ذَلِكَ [94و] النُّورَ أرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الْجُزءِ الأَوَّلِ القَلَمَ ومِنَ الثَّانِي اللَّوْح ومِنَ الثَّالِثِ الْعَرْش، ثُمَّ قَسَّمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فخَلَقَ منَ الْجُزءِ الأَوَّلِ حمَلَةَ الْعَرْشِ، ومِنَ الثَّانِي الكُرْسِيَّ ومِنَ الثَّالِثِ باقِي الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ قَسَّمَ الجُزْءَ الرَّابعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّماوَاتِ ومِنَ الثَّانِي الأَرْضِينَ ومِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّة والنَّار، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نُورَ أَنْصَارِ المؤْمِنِينَ ومنَ الثَّانِي نُورَ قلوبِهِمْ وهُوَ المعْرِفةُ بِاللهِ تعَالَى،

(1) البيتان من المتقارب في طبقات فحول الشعراء للجمحِي، يقال إنَّهما للزبير بن عبد المطلب، 246/1.

ومِنَ الثَّالِثِ نورَ أُنْسِهِمْ وهو التَّوحيد))[1].

وعَنْ عُبَادةَ بنِ الصَّامِتِ قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ))**[2]. ورَوَى السّدِّي: **((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ المَاء))**[3] ويُجْمَعُ بِأَنَّ أَوَّلِيَّة القَلَمِ بالنِّسْبَةِ إِلَى مَا عدَا النُّورِ المُحَمَّدِيّ والْمَاءِ والْعَرْشِ[4]، أو بأنَّ أوَّلَ الأنوارِ نورُهُ ﷺ. قال عليّ بن أبي طالب إنّ النَّبِيء ﷺ قال: **((كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْف عَامٍ))**[5][6].

ويُروَى أنَّهُ لمَّا خلق اللهُ تعالَى آدَمَ جَعَلَ ذلِكَ النُّورَ في ظَهْرِهِ فكَانَ يلْمَعُ فِي جَبِينِهِ فيَغْلبُ على سَائِرِ نورِهِمْ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ تعالى علَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ، وحَمَلهُ على أَكْتَافِ ملائكَتِهِ وأمَرَهُم فطَافُوا بِهِ فِي السَّمَاوَاتِ يَرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ[7].

ويُروَى عن ابن عبَّاسٍ أَنَّ اللهَ خَلَقَ حوّاء مِنْ ضِلعٍ مِنْ أضْلَاعِ آدمَ اليُسرَى وهُوَ نَائِمٌ، ولمَّا اسْتَيْقَظَ وجَدَهَا عِنْدَهُ فمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا وقَدْ سَكَنَ إِلَيْهَا، فقالت الملائكةُ: مَهْ يا آدمُ قال: ولِمَ وقَدْ خَلَقَها اللهُ لِي؟ فقَالُوا: حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَها، قالَ: ومَا مَهْرُها؟ قال: تُصَلِّي علَى مُحَمَّدٍ ﷺ ثلَاثَ مَرَّاتٍ[8].

وقال ابنُ الْجَوْزِيّ: لمَّا رَامَ القُرْبَ مِنْهَا طَلَبَتْ مِنهُ الْمَهْرَ، فقَالَ: يا رَبِّ ومَاذَا أُعْطِيهَا، فقَالَ: يا آدَمُ صَلِّ علَى حَبِيبِي محَمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ عشْرِينَ مَرَّةً فَفَعَلَ[9].

ورُوِيَ أَنَّهُ لمَّا خَرَجَ آدمُ مِنَ الْجَنَّةِ رأَى مكْتُوبًا على سَاقِ الْعَرْشِ وعَلَى كُلِّ موْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ اسْم مُحَمَّدٍ ﷺ مقْرُونًا بِاسْمِ اللهِ تعَالَى، فقَالَ: يَا رَبِّ هذَا مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ؟ فقَالَ اللهُ: هذَا وَلَدُكَ الذِي لوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ، فقَالَ: يَا رَبِّ بِحَقِّ هذَا الْوَلَدِ ارْحَمْ هَذَا الوَالِد فنُودِيَ يَا آدَمُ لَوْ تشَفَّعْتَ إِلَيْنَا فِي أَهْلِ السَّمَاواتِ والْأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ[10].

وعنْ عُمَر بنِ الخَطَّاب [94ظ] قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **((لمَّا اقْتَرَفَ آدمُ الخَطِيئةَ قَالَ: يَا رَبِّ أسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمّدٍ لمَا غَفَرْتَ لي، فقَالَ لهُ اللهُ: يا آدَمُ وكيْفَ عرَفْتَ مُحَمَّدًا ولَمْ أَخْلُقْهُ؟ قالَ:**

---

(1) سبق تخريج الحدِيث والإشارة إلى أنه منسوب إلى عبد الرزاق الصنعاني خطأ، ينظر الورقة [74].

(2) سبق تخريجه ينظر الورقة [75].

(3) ورد بمعناه في جامع البيان، الطبري، 462/1.

(4) سبق تخريجه، المواهب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 74/1.

(5) ورد بمعناه في فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، حدِيث (1130).

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 74/1.

(7) (م، س)، 75/1.

(8) (م، س)، 76/1.

(9) (م، س)، 76/1، نقلا من "سلوة الأحزان" لابن الجوزِي.

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 81/1-82.

يا رَبِّ لِأَنّكَ لمَّا خلَقْتَنِي بِيَدِكَ ونَفَخْتَ فِيَّ مِنْ روحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فرَأَيْتُ علَى قوَائِمِ الْعَرْشِ مكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلاَّ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فقَالَ اللهُ تعالَى: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وإِذْ سَأَلْتَنِي بحقِّهِ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، ولَوْلَا مُحَمَّدٌ ما خَلَقْتُكَ، وهُوَ آخِرُ الأنبِئاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ))[1].

ورُوِيَ أَنَّه خَلَقَ اللهُ شِيتَ وَحْدَهُ فِي بَطْنِ حَوَّاءَ لَا مَعَ أُخْتٍ كرامَةً لِلنُّبُوءَةِ، وكانَ فِيهِ نورُ نَبِيِّنا مُحَمَّد ﷺ، وكَانَ شِيتُ وَصِيَّ آدمَ عليه السلام، ثمَّ أَوْصَى شيتُ ولَدَهُ أن لَا يَضَعَ هَذَا النُّورَ إِلَّا في المطهَّرَاتِ، ولَمْ تَزَلْ هَذِهِ الوَصِيَّةُ جارِيةً إِلَى أَنْ أَدَّى اللهُ هذَا النُّورَ إِلَى عَبْدِ المطَّلِبِ وابنِهِ عَبْدِ اللهِ، وطَهَّرَ اللهُ هذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهلِيَّةِ شَيْءٌ مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ الإِسْلَامِ))**[2][3]. أيْ: بالْوَلِيّ والشُّهودِ والصَّدَاقِ، واعْلَمْ أَنَّ الأَنْبِئاءَ كُلّهم أَجْدَادُهُ قبْلَ إِسْمَاعِيلَ علَيْهِم السَّلامُ.

قال هشامُ بن محمّد ابن السّائب الكَلبي عَنْ أَبِيهِ: كَتَبْتُ لِلنَّبيءِ ﷺ خَمْسَمِئَة أُمّ، ومَا وجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحًا ولَا شَيْئًا مِمَّا كانَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ[4].

وعَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَ: **((خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي))**[5] لم يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ[6].

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ علَى سِفاحٍ، لَمْ يَزَل اللهُ ينْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّا مُهَذَّبًا، لا تَتَشَعَّبُ شُعبَتَانِ إِلاَّ كُنْتُ في خَيْرِهِمَا))**[7].

وعنهُ في قولِهِ تعالى: ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ** (219) ﴾[8] قال: **((مِنْ نَبِيءٍ إِلَى نَبِيءٍ حَتَّى أَخْرَجْتُكَ نَبِيئًا))**[9]. وإِنَّهُ ما زال النَّبيءُ ﷺ يتقلَّبُ في أَصْلَابِ الْأَنْبِئَاءِ حتَّى وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[10].

---

(1) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4228) ودلائل النبوة، البيهَقِي، 488/5.

(2) السنن الكبرى، البيهقِي، حدِيث (14076).

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 85/1.

(4) (م، س)، 86/1.

(5) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (4728).

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 86/1.

(7) دلائل النبوة، أبو نعِيم، حدِيث (15).

(8) سورة الشعراء: 219.

(9) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 86/1، وذكر أنه رواه البزار، ولم أجده فِي مسند البزار، ولا في كشف الأستار للهيثَمِي.

(10) دلائِل النبوة، أبو نعِيم، حدِيث (17)، والمواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1.

وعن جَعْفَر بنِ مُحَمَّد عنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[1] لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ مِنْ وِلَادَةِ الْجَاهِلِيَّة، قالَ: وقَالَ النَّبِيء ﷺ: ((**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ غَيْرِ سِفَاحٍ**))[2].

وعَنْ أَنَس: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[3] ففَتَحَ الفَاءَ وقَالَ: ((**أَنَا أَنْفَسُكُم نسَبًا وصِهْرًا وحسَبًا، لَيْسَ فِي آبَائِي**[4] **منْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ، كُلُّنَا نِكَاحٌ**))[5].

وعن عائشةَ عَنْهُ ﷺ عَنْ جبْرِيلَ: ((**قَلَبْتُ مشَارِقَ الْأَرْضِ ومَغَارِبَها فلَمْ أَرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، ولَمْ أرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**))[6].

وعن أبي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الذِي كنْتُ** [95و] **فِيهِ**))[7].

قالَ واثِلةُ بنُ الأَسْقَع قالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**))[8].

ويُروَى ((**اخْتَارَ العَرَبَ مِنْ بَنِي آدَمَ، واخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ كنانة، واخْتَارَ قُرَيْشًا مِنْ كنَانَةَ، واخْتَارَ بَنِي هاشِم مِنْ قُرَيْشٍ، واخْتَارَ مِنْ بني هاشم عَبْدَ اللهِ، واخْتَارَنِي مِنْ عَبْدِ الله**))[9].

وعَن العَبَّاسِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَتِهِمْ وخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِلَ فجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْقَبِيلَةِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فجَعَلَنِي فِي خيْرِ بُيُوتِهِمْ، فأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وخَيْرُهُمْ بَيْتًا؛ أَيْ: خَيْرُهُمْ رُوحًا وَذَاتًا، وخَيْرُهُمْ بَيْتًا**))[10] أَيْ: أَصْلًا.

وعَن ابن عمر عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ اخْتَارَ مِنْ خلْقِهِ بني آدم، واختارَ مِن بني آدمَ العربَ،**

---

(1) سورة التوبة: 128.

(2) الطبقات الكبرَى، ابن سعد، 43/1، والمواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1،

(3) سورة التوبة: 128.

(4) في الدر المنثور: ليس فِيَّ ولا فِي آبائي.

(5) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1 عن ابن مردويه. وينظر: الدر المنثور، السيوطِي، 602/7، عن ابن مردويه أيضا.

(6) دلائل النبوة، البيهقِي، 176/1، والمواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1، عن أبِي نعِيم، دلائل النبوة، لم أجده فِيه.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (3557).

(8) صحيح مسلِم، حدِيث (2276).

(9) لم أقف عليهِ بلفظِهِ.

(10) سنن الترمذِي، حدِيث (3607).

واخْتَارَنِي مِنَ الْعَرَبِ، فلَمْ أزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ، أَلَا مَنْ أَحبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أحبَّهُم، ومَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ، فَبِبُغْضِي أَبغَضَهُمْ))[1].

واعْلَمْ أَنَّهُ ﷺلَمْ يُشْرِكْهُ فِي وِلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَخٌ ولَا أُخْتٌ لِانْتِهَاءِ صَفْوَتِهِمَا إِلَيْهِ، وقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ، لِيَكُونَ مُخْتَصًّا بنَسَبٍ جَعَلَهُ تعَالَى لِلنُّبُوءَةِ غَايَةً، ولِتَمَامِ الشَّرَفِ نِهَايَةً، وأَنْتَ إِذَا اخْتَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ وعَلِمْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آباءٍ كِرَامٍ[2].

قالَ عبد الله بن عمرو بنِ العاصي: **((إِنَّ اللهَ ﷻ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))**[3].

وكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا كتبَ فِي الذِّكْرِ، وهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ، أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتِمُ النَّبِيئِين[4].

وَخَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ تَمْثِيلٌ لِأَنَّه لَا أَوَّلَ لِعِلْمِ اللهِ ﷻ، أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ كتبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وأَنَّهُ خلق قَبْلَ السَّمَاوَاتِ.

قالَ العرباض بن سارية، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((إِنِّي عَبْدُ اللهِ خَاتِمُ النَّبِيئِين، وإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ))**[5] أَيْ: قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فيهِ.

قالَ ميسرة الضّبّي[6]: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: **((وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ))**[7]، ويُروَى: **((كُنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ والطِّينِ))**[8] وهُوَ مَوْضُوعُ اللَّفْظِ صَحِيحُ الْمَعْنَى. ويُروَى: **((مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟))**[9].

قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قالُوا: مَتَى وجَبَتْ لَكَ النُّبُوءَةُ؟ قالَ: **((وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ))**[10].

وسَأَلَ سهيل بنُ صالح الهَمَدَانِي[11] أَبَا جَعْفَر محمّد بن عليّ[12]: كَيْفَ صارَ مُحَمَّدٌ ﷺ يتَقَدَّمُ

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص165 عن الطبرِي.

(2) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 89/1.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (2653).

(4) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 57/1.

(5) مسند أحمد، حدِيث (17150).

(6) في المسنَد: ميسرة الفجرِ.

(7) شرح مشكل الآثار، الطحاوِي، حدِيث (5977).

(8) سبق التنبِيه إليه، ينظر الورقة [71ظ].

(9) مسند أحمد، حدِيث (20596).

(10) سنن الترمذِي، حدِيث (3609).

(11) المواهِب اللدنية: سهل بن صالِح.

(12) أبو جعفر محمد بن علِيّ بن الحسين بن علي بن أبِي طالِب.

الْأَنْبِيَاءَ وهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِث؟ قالَ: لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: بَلَى حِينَ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1][2].

ومَعْنَى نبُوءَته قَبْلَ وُجُودِهِ الْحُكْمُ بِهَا الأَزَلِيّ، أَوْ مَعَ خَلْقِ اللهِ الأَرْوَاحَ بَعْدَ العَدَمِ وقَبْلَ وجُودِ الأَجْسَامِ أَوْ معَ خَلْقِ حقِيقَةٍ لَهُ تَقْصُرُ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِها، مُتَّصِفَةٍ بِالنُّبُوءَةِ وأَوْصَافِهِ ﷺ ولوْ كانَ الْمُرَادُ الْقَضَاء والْعِلْم لَمْ تَكُنْ لَهُ مَزِيَّةٌ بِذَلِكَ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ كَذَلِكَ.

[95ظ] وقَدْ يُقَالُ أرَادَ الإِخْبَارَ بِتَحَقُّقِ شَأْنِهِ لَا الخُصُوصِيَّة، فضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ الأَنْبِيَاءُ كَذَلِكَ.

قالَ الشَّعْبِيُّ: قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ متَى اسْتُنْبِئْتَ؟ قال: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، حِينَ أخذَ مِنِّي الْمِيثَاق**))[3]. ولعَلَّ المُرَادَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ حِينَئِذٍ بِأَنَّكَ نَبِيءٌ. ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ: "وآدَمُ بَيْنَ المَاءِ والطِّينِ" أَوْ "بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ" يَدُلُّ أَنَّ خُرُوجَ الذُّرِيَّة مِنْ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ، وأَكْثَرُ الأَحَادِيثِ أَنَّهُ قَبْلَ النَّفْخِ.

الجَوَابُ: أَنَّهُ أجَابَ قَبْلَ الخُرُوجِ وهُوَ ومَا بَعْدَ الْخُرُوج يَوْمٌ وَاحِدٌ، أَوْ خصَّ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ.

ويُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللهُ نورَ نَبيئِنا مُحَمَّدٍ ﷺ أَمَرَهُ أن يَنْظُرَ إِلَى نُورِ الأَنْبِيَاءِ علَيْهِم السَّلَامُ فغَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ فأَنْطَقَهُم اللهُ وقَالُوا: يَا رَبَّنا مَنْ غشِيَنا نُورُهُ؟ فقَالَ اللهُ تعَالَى: هذَا نُورُ مُحَمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلتُكُمْ أَنْبِيَاءً. قالُوا: آمَنَّا بِهِ وبنُبُوءَتِهِ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أشهد عَلَيْكُمْ؟ قالُوا: نَعَمْ. فذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿81﴾** ﴾[4][5].

قالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى خَلْقَ محمَّدٍ ﷺ أمَرَ جِبْرِيلَ عليه السلام أنْ يَأْتِيَهُ بِالطِّينَةِ التِي هِيَ قَلْبُ الأَرْضِ وبَهاؤُهَا ونُورُها، فهَبَطَ جِبْرِيلُ فِي مَلَائِكَةِ الفِرْدَوْسِ وملَائِكَةِ الرَّفِيعِ[6] الأعلَى فَقَبَضَ قَبْضَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وهِيَ بيْضَاءُ مُنِيرَةٌ، فعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ فِي مَعِينِ أَنْهَارِ الجَنَّةِ حَتَّى صَارَتْ كالدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ لَهَا شُعَاعٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ طَافَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ والكُرْسيّ وفِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ والْبِحَارِ فعرَفَت الْمَلَائِكَةُ والخَلْقُ فَضْلَهُ قَبْلَ أنْ تَعرِفَ آدَمَ علَيْهِمَا السَّلامُ[7].

---

(1) سورة الأعراف: 172.

(2) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 61/1 رواية في جزء من أمالي أبِي سهل القطان.

(3) الطبقات، ابن سعد، 123/1.

(4) سورة آل عمران: 81.

(5) سبقَ تخرِيجُهُ، ينظر: [65و] المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 67/1.

(6) في المواهب: الرَّقِيع.

(7) سبقَ تخرِيجُهُ، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 68/1.

وقِيلَ: لَمَّا قالَ اللهُ عزَّ وعَلَا: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا ﴾[1] أجابَ مَوْضِعُ الكعْبَةِ الشَّرِيفَةِ ومِنَ السَّمَاءِ مَا يُحَاذِيهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاس: أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُرَّةِ الأَرْضِ بِمَكَّةَ، فيَدُلُّ أَنَّه أجَابَتْ تُرْبَتُهُ ﷺ مِنْ مَوْضِعِ الكَعْبَةِ، ومِنْ مَوْضِعِ الكَعْبَةِ دُحِيَت الأَرْضُ. فرَسُولُ اللهِ ﷺ هوَ الأَصْلُ فِي التَّكْوِينِ والكَائِناتُ تَبَعٌ لهُ. قِيلَ فَسُمِّيَ أُمِّيًا؛ لِأَنَّ مَكَّةَ أُمُّ الْقُرَى، وتَمَوَّجَ الماءُ إِلَى حَيْثُ دُفِنَ ﷺ وأَلْقَى فِيهِ زُبْدَتَهُ التِي تَصِيرُ تُرْبتهُ[2].

ويُروَى لمَّا خلقَ اللهُ آدمَ أَلْهَمَهُ أنْ قَالَ: يَا رَبِّ لِمَ كنَّيتَنِي أبَا مُحَمَّدٍ؟ قالَ اللهُ تَعَالى: يَا آدَمُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، فرَفَعَ رَأْسَهُ فرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ فِي سرَادِقِ العَرْشِ، فقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا النُّورُ؟ قالَ: هذَا نُورُ نَبِيءٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّماءِ أَحْمَدُ وفِي الأَرْضِ مُحَمَّدٌ، لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ولَا خَلَقْتُ سَمَاءً ولَا أَرْضًا[3]. قالَ قَائِلٌ:

وكَانَ لَدَى الْفِرْدَوْسِ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَأَثْوَاب شَمْلِ الْأُنْسِ مُحْكَمَةُ السَّدَا
يُشَاهِدُ [96و] في عدْنٍ ضِياءً مُشَعْشَعًا ... يَزِيدُ عَلَى الْأَنْوَارِ فِي الضَّوْءِ وَالْهُدَى
فَقَالَ: إِلَهِي مَا الضِّيَاءُ الذِي أَرَى؟ ... جُنُودُ السَّمَا تَعْشُو إِلَيْهِ تَرَدُّدا
فَقَالَ: نَبِيءٌ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْخَيْرِ رَاحَ أَوِ اغْتَدَى
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكَ سَيِّدَا ... وَأَلْبَسْتُهُ قَبْلَ النَّبِيِّينَ سُودَدا[4]

وإِنْ قُلْتَ في الصَّحِيحَيْنِ: ((**كُلُّ مَوْلُودٍ يَنْخَسُهُ الشَّيْطَانُ فيَصِيحُ إِلَّا عِيسَى بن مَرْيَمَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ **وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ** ﴾[5] **إلخ**))[6] قُلْتُ: لِنَبِيئِنَا مِنَ الْمَزَايَا مَا يَنْغَمِرُ هَذَا فِي جَنْبِ أَدْنَاهَا، وقَدْ يكُونُ فِي الْمَفْضُولِ مَزِيَّةٌ أَوْ مزَايَا لَيْستْ فِي الْفَاضِلِ، لَكِنْ فِيهِ مَا يَخْلفُ ذَلِكَ ويَفُوقُهُ.

وأَفْعالُ اللهِ عنْدَنَا وعِنْدَ الأشاعرة لَا تُعَلَّلُ بالأَغْرَاضِ؛ لِأَنَّ تَعْلِيلَها بِهَا يسْتَدْعِي اسْتِكْمَالًا وهُوَ فَرْعٌ تَقَدَّم النَّقْصَ والْحَاجَة تَعالَى اللهُ عَنْهُمَا. ومَا أَوْهَمَ ذلِكَ فمَعْنَاهُ أَنَّ الْحِكْمَةَ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، وأَنَّ ذَلِكَ مصَالِحُ لِخَلْقِهِ لَا بَوَاعِث لِأَفْعَالِهِ.

ويُذْكَرُ أَنَّهُ كَانَ تُسْمَعُ تَلْبِيَةُ النَّبِيء ﷺ بالحَجِّ مِنْ صُلْبِ جَدِّهِ إلياس بنِ مُضَر. وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ

---

(1) سورة فصلت: 11.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 69/1، بتصرُّف.

(3) (م، س)، 69/1-70 بتصرُّف.

(4) الأبيات من الطويل، سبقَ تخريجها، ينظر: [74و].

(5) سورة آل عمران: 36.

(6) صحيح البخاري، حدِيث (4548)، وصحيح مسلم، حدِيث (2366).

أَنَّه ﷺ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعد بنَ عَدْنَان ويُمْسِكُ ويَقُولُ: ((**كَذَبَ النَّسَّابُونَ**))[1] مَرَّتَيْنِ أَوْ ثلَاثًا، وفِي بعْضِ الرِّوَايةِ ثَلاثًا، وذَكَرَ السّهيليّ أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَام ابْنِ مَسْعُودٍ[2][3].

وذَكَر بعضٌ أَنَّه إذَا قرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ إلى قولهِ: ﴿ **لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[4] قالَ: ((**كَذَبَ النَّسَّابُونَ**))[5]. وقَالَ عُمَر ﷺ: إنَّمَا أَنْتَسِبُ إِلَى عَدْنَانَ، ومَا فَوْقَ ذَلِكَ لَا نَدْرِي مَا هُوَ[6].

ولا يلزمُ مِنَ عَدمِ مَعْرِفةِ .....[7] عَدَمُ مَعْرِفَةِ غَيْرِه، لَكِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْمُدَّعَاةُ غَيْرُ مُحَقَّقَةٍ بَلْ مُريبَةٌ.

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: بَيْنَ عدْنَانَ وإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ[8]. وقِيلَ: أَرْبَعَةٌ وقِيلَ: سبْعَةٌ وقِيلَ: أَرْبَعَة وقِيلَ: ثَمَانِيَة وقِيلَ: تِسْعَةٌ وقِيلَ: عَشَرَةٌ وقِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ وقِيلَ: عِشْرُونَ وقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ وثَلَاثونَ وقِيلَ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ وقِيلَ: أَرْبَعُونَ وقِيلَ: أَحَدٌ وأَرْبَعُونَ وقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وقَالَ عُروة بن الزّبَير: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ بَعْدَ معد بنِ عدْنان[9].

وسُئِلَ مَالِك عنْ رَجُلٍ يَعْرِفُ نَسَبَهُ إِلَى آدمَ فكَرِهَ ذَلِكَ وقَالَ: مَنْ أَخْبَرَهُ بذلِكَ؟ وكذَا رُوِيَ عَنْهُ فِي رَفعِ نَسَبِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ[10].

فالوَاجِبُ علَيْنَا الإِعْرَاضُ عمَّا فوْقَ عدْنَانَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّخْلِيطِ والتَّغْيِير وصُعُوبَةِ تلْكَ الأَلْفَاظِ مَعَ قِلَّةِ الفَائِدَةِ[11].

وعَنْ كَعْب الأَحْبَارِ: إنَّ نُورَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لمَّا صارَ إِلَى عَبْدِ المطَّلِبِ وأَدْرَكَ نَامَ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ فانْتَبَهَ مكْحُولًا مَدْهُونًا، قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ البَهَاءِ والْجَمَالِ، فبَقِيَ مُتَحَيِّرًا لَا يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فأَخَذَ أَبُوهُ بِيَدِهِ وانْطَلَقَ بِهِ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فأَخْبَرَهُم بذَلِكَ فقَالُوا لَهُ: اعْلَمْ أَنَّ إِلَهَ السَّماءِ قَدْ أَذِنَ لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ، فزَوَّجَ لهُ قيلة فوَلَدَتْ لَهُ الحارث ثُمَّ مَاتَتْ، فزَوَّجَهُ بعْدَهَا فاطمة بنت عمْرو. وكَانَ عَبْدُ

---

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 52/3.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 34/1.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 95/1.

(4) سورة إبراهيم: 9.

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، 604/13.

(6) ينظر: الروض الأنف، 34/1.

(7) كلمة غير واضِحة، لعلَّها الجَدّ.

(8) ينظر: الروض الأنف، 42/1.

(9) ينظر: الإنباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر، ص17.

(10) ينظر: الروض الأنف، 42/1.

(11) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 96/1-97.

الْمُطَّلِبِ يَفُوحُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ الأَذْفَرِ، ونُورُ رَسُول اللهِ يُضِيءُ فِي غُرَّتِهِ، وكانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا أَصابَها قَحْطٌ تَأْخُذُ بِيَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فتَخْرُجُ بِهِ إِلَى جبل ثَبير فَيَتَقَرَّبُون بِهِ إِلَى اللهِ تعَالَى ويَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْقِيَهُم الْغَيْثَ، فيَسْقِيهم اللهُ ببَرَكَةِ نُورِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ غَيْثًا عَظِيمًا[1].

[96ظ] ولمَّا قَدِمَ أبْرهة مَلِكُ اليَمَنِ مِنْ قِبَلِ أصحمة النّجاشي لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَبَلَغَ عَبْدَ المُطَّلِبِ ذَلِكَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا يَصِلُ إِلَى هَدْمِ هذَا البَيْتِ؛ لأَنَّ لِهَذَا الْبَيْتِ رَبًّا يَحْمِيهِ ويَحْفَظُهُ، وجاءَ أَبْرَهةُ فَاسْتَاقَ إِبِلَ قُرَيْش وغنَمَهَا وكانَ لِعَبْدِ المُطَّلِبِ فيهَا أَرْبَعُ مِئَةِ نَاقَةٍ، فرَكِبَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي قُرَيش حَتَّى طَلَعَ جَبَلَ ثَبِير، فاسْتَدَارَتْ دَائِرَةُ غُرَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى جَبِينِهِ كَالْهِلَالِ، واشْتَدَّ شُعَاعُها علَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ مِثْلَ السِّرَاجِ، فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ المطَّلِبِ إِلَى ذَلِكَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ارْجِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ هَذَا الْأَمرَ، فوَاللهِ مَا استَدَارَ هَذَا النُّورُ مِنِّي إِلَّا أنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لنَا، ورَجَعَ العَدُوُّ مُتَفَرِّقًا وأَرْسَلَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ودَخَلَ مَكَّةَ، ونَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ المطَّلِبِ فخَضَعَ وتَلَجْلَجَ لِسَانُهُ وخَرَّ مَغْشِيًّا عليْهِ، فكَانَ يَحُورُ كمَا يَحُورُ الثَّوْرُ عنْدَ ذَبْحِهِ، ولَمَّا أَفَاقَ خَرَّ ساجِدًا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ حَقًّا. وَلَمَّا حَضَرَ عبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ أَبْرَهَةَ أَمَرَ بِسَائِسِ فِيلِهِ الأَعْظَمِ الذِي كانَ لا يَسْجُدُ لِلْمَلِكِ أَبْرَهَة كَمَا تَسْجُدُ سائِرُ الفِيَلَةِ لَهُ أنْ يُحْضِرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فأَحْضَرَهُ، فنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فبَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ البَعِيرُ وخَرَّ سَاجِدًا وأَنْطَقَ اللهُ تعَالَى الْفِيلَ، فقَالَ: السَّلَامُ عَلَى النُّورِ الذِي فِي ظَهْرِكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ[2].

والْمُعْجِزَةُ يَجُوزُ تقَدُّمُها علَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ تَمْهِيدًا لَهَا، كمَا أَظَلَّتْهُ الغَمَامَةُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ، وَكَمَا جَعَلَهُ اللهُ نُورًا فِي أَبِيهِ ومَنْ قَبْلَه. وقِيلَ: لا يُسَمَّى مُعْجِزَةً قَبْلَهَا، ولَمَّا تَأَكَّدَتْ نبُوءتُهُ ﷺ لمْ يُهْلِك اللهُ الحَجّاج فِي هَدْمِ الكَعْبَةِ، كَمَا أَهْلَكَ أَصْحَابَ الفِيلِ كَذَا قِيلَ.

والوَاضِحُ أَنَّهُ لَمْ يهْلكْ؛ لِأَنَّهُ تَأَوَّلَ رَدَّها علَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ولَمَّا أَهْلَكَ اللهُ أَصْحَابَ الفِيلِ نامَ عبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي الْحِجْرِ رأَى رُؤْيَا عَظِيمَةً وقَصَّها عَلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فقَالُوا: إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجنَّ مِنْ صُلبِكَ مَنْ يُومِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ولَيَكُونَنَّ فِي النَّاسِ عَلَمًا مُبِينًا، فتَزَوَّجَ امْرَأَةً تُسَمَّى فاطِمَة فحَمَلَتْ فِي الْوَقْتِ بِعَبْدِ اللهِ[3].

ويُرْوَى أَنَّ عبْدَ الْمُطَّلِبِ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ لَهَا طَرَفٌ فِي السَّماءِ وطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ وطَرَفٌ في الْمَشْرِقِ وطَرَفٌ فِي الْمَغْرِبِ ثُمَّ عادَتْ كأَنَّهَا شَجَرَةٌ علَى كُلِّ

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/97-98.

(2) (م، س)، 1/99-103.

(3) (م، س)، 1/106-107.

وَرَقَةٍ منْهَا نُورٌ، وإذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ يتَعَلَّقونَ بِهَا فقَصَّهَا، فعُبِّرَتْ لهُ بِمَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ صُلبِهِ يتَّبِعهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ويَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ولِذَلِكَ سمَّاهُ مُحَمَّد[ا]، مَعَ ما حَدَّثَتْ بِه أُمُّهُ مِنْ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: إِنَّكِ قَدْ حَملْتِ بِسَيِّدِ هذِهِ الْأُمَّةِ، فإِذَا وَضَعْتِهِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّدًا[1].

[97و] قال أبو الخيتَم[2]: سَمِعْتُ أبا طَالب يُحَدِّثُ عنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ في الحِجْرِ إِذْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي ففَزِعْتُ منْهَا فَزَعًا شَدِيدًا فأَتَيْتُ كاهِنَةَ قُرَيْشٍ فقُلْتُ لهَا: إِنِّي رأَيْتُ اللَّيْلَة كَأَنَّ شَجَرَةً نبَتَتْ. وفِي رِوَايَةِ غَيْرِه: رَأَيْتُ نُورًا ثُمَّ صَارَ شَجَرَةً، وعلَى كُلِّ حَالٍ. قَدْ نَالَ رأسُهَا السَّماءَ وضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا الْمَشْرِقَ والْمَغْرِبَ، ومَا رَأَيْتُ نُورًا أَزْهَرَ مِنْهَا، أعْظَم مِنْ نُورِ الشَّمْسِ سبْعِينَ ضِعْفًا، ورَأَيْتُ العَرَبَ والْعَجَمَ لَهَا سَاجِدِينَ، وهِيَ تَزْدَادُ كُلَّ ساعَةٍ عِظَمًا ونُورًا وارْتِفَاعًا، ساعَةً تَخْفَى وسَاعَةً تظْهرُ، ورَأَيْتُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ تعَلَّقُوا بأَغْصَانِها، ورَأَيْتُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ يرِيدُونَ قطْعَهَا، فإِذَا دَنَوْا مِنْهَا أَخَذَهُمْ شَابٌّ لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَجْهًا، ولَا أَطْيَبَ رِيحًا فيَكْسِرُ أَظْهُرَهُمْ ويقْلعُ أعْيُنهَمْ فرَفَعْتُ يَدَيَّ لِأَتَنَاوَلَ منْهَا نَصِيبًا فلَمْ أَنَلْ، فقُلْتُ لِمَن النَّصِيبُ؟ فقَالَ: النَّصِيبُ لهَؤُلَاءِ الذِينَ تَعَلَّقوا بِهَا وسبقُوكَ فَانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا فَرَأَيْتُ وَجْهَ الكَاهِنةِ قَدْ تَغَيَّرَ ثُمَّ قَالَتْ: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يَمْلِكُ الْمَشْرِقَ والْمَغْرِبَ وتَدِينُ لهُ النَّاسُ. فقَالَ عبْدُ المُطَّلِبِ لأبي طالب: لَعَلَّكَ المَوْلُودُ. فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، والنَّبِيءُ ﷺ قَدْ خَرَجَ؛ أيْ: بُعِثَ، ويَقُولُ: كَانَت الشَّجَرَةُ واللهِ أَبَا الْقَاسِمِ الأَمِينَ، فيُقَالُ لَهُ أَلَا تُؤْمِنُ بِهِ؟ فيَقُولُ: السُّبَّة والعَار[3]، أيْ: أَخْشَى السّبَّة أو تَمْنَعُنِي.

وبُرُوكُ الفِيلِ: إِمَّا خُضُوعُهُ وإِمَّا سقُوطُهُ لِلْأَرْضِ وإِمَّا لُزُومُ الأَرْضِ، وإِمَّا بُرُوكٌ حَقِيقٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الفِيلَ مِنْ نَوْعٍ مِنَ الْفِيَلَةِ يَبْرُكُ. قالَ السُّهَيْلِيّ: سَمِعْتُ أَنَّ فِي الفِيلِ نَوْعًا يَبْرُكُ[4]. وإِمَّا أَنَّ بُرُوكَهُ إِرْهَاصٌ لِلنَّبِيءِ ﷺ أَوْ مُعْجِزَةٌ.

ورُوِيَ أَنَّهُ لمَّا وُجِّه الفِيلُ إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْل فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فقَالَ: ابْرُكْ مَحْمُود أَو ارْجِعْ رَاشِدًا فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللهِ الْحَرَامِ، فبَرَكَ[5].

ومَحْمُود: اسْمٌ لِذَلِكَ الفِيلِ وكَانَ أَبْيَضَ أَعْظَمَ. وهَلَكَت الفِيَلَةُ التِي جَاءَ بِهَا كُلّهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْجِعْ إِلَّا مَحْمُودًا لِرُجُوعِهِ ومَجْمُوعُهُنَّ ثَلاثَةَ عَشَرَ أَوْ عَشَرَةٌ أَوْ أَلْفٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ أَوْ لَمْ يَجِئْ إِلَّا بِمَحْمُودٍ، أَقْوَالٌ[6].

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 11/2.

(2) أبو بكر بن عبد الله بن أبِي الجَهمِ، كما في رواية أبِي نعيم، وأبو بكر بن عبد الله بن أبِي الخيثم عند الزرقاني.

(3) دلائل النبوة، أبو نعيم، حدِيث (51).

(4) الروض الأنف، السهيلي، 156/1.

(5) سيرة ابن هشام، 52/1.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 163/1.

ويُرْوَى أنّهُ لمَّا خرَّ الْفِيلُ سَاجِدًا دَعَا بِالسَّحَرَةِ والكُهَّانِ فقَالُوا: لَمْ يَسْجُدْ لَهُ وإِنَّمَا سَجَدَ لِلنُّورِ الذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ[1].

قيلَ: إِنَّهُ ﷺ وُلِدَ بَعْدَ الفِيلِ بأَرْبَعِينَ سَنَةً أوْ بِخَمْسِينَ سَنَةً وهُوَ مَرْدُودٌ، أوْ بِثَلَاثِينَ سَنَةً أو بِسَبْعِينَ أوْ بِثَلَاثٍ وعِشْرِينَ أَوْ بِسَنَتَيْنِ[2].

وقِيلَ: كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْجُودًا، فالنُّورُ منْتَقِلٌ إِلَيْهِ وهُوَ مَبْنِيٌّ علَى أَنَّ وِلادَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ بَعْدَ الفِيلِ بِعَامَيْنِ، وأَمَّا علَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فمُشْكِلٌ؛ لِأَنَّ النُّورَ انْتَقَلَ إِلَى آمِنَة[3].

وكَذَا أَشْكَلَ إِنْ كَانَ عَبْدُ اللهِ مَوْجُود[ا] فإِنَّ النُّورَ يَكُونُ فِيهِ، فكَيْفَ يَكُونُ فِي وَجْهِ عبْدِ الْمُطَّلِبِ، فإِمَّا أنْ يَرُدَّهُ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِهِما أوْ يُحْدِثَ اللهُ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ ذَلِكَ النُّورِ وزِيَادَة؛ لِأَنَّهُ الْمَدْعُوّ [97ظ] إِلَى أبْرَهَةَ لِكِبَرِهِ وشُهْرَتِهِ، ولِيُخلِّصَ إِبِلَهُ إِذْ أخذَهَا كُلَّها. وقِيلَ أَخَذَ مِئَتَيْن. وذَكَر بَعْضٌ احْتِمَالَ أَنَّ مَنْ كانَ فِيهِ نُورُهُ ﷺ مَنْ يَظْهَرُ فِيهِ تَامًّا فيُدْرَكُ بِلَا تَأَمُّلٍ، ومَنْ يَظْهَرُ فِيهِ بِتَأَمُّلٍ وهُوَ مُنْتَقِلٌ مِنْ جَبْهَةٍ إِلَى جَبْهَةٍ نصّوا على ذلكَ.

ومَرَّ أَنَّهُ تلَأْلَأَ نُورٌ فِي جَبِينِ عَبْد المُطَّلِبِ، وإِذَا لَمْ يَظْهرْ فإِنَّه أَوْدَعَ اللهُ الْعِلْمَ بِهِ ضَرُورَةً فيُوصَى بِهِ أَنْ يُوضَعَ في مطهرة[4].

قِيلَ: ولَمْ يُوصِ عَبْدُ الْمُطِّلِبِ وَلَدَهُ .....[5] آمِنَة مَعَ عِلْمِهِ بِمَكَانِها مِنَ النَّسَب والصَّوْنِ.

ولَمْ يَظْهَرْ نُورُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.....[6] وَجْه أَحَدٍ مَا ظَهَرَ فِي وَجْهِ عبد الله أَبِيهِ.....[7] أَقْوَى ظُهُورًا لَا يَخْفَى عَنْ أَحَدٍ، ولَا يَظْهَرُ ثمَّ يَخْفَى بِخِلَافِ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ ظُهُورَهُ فِيهِ دُونَ ذَلِكَ، ويَظْهَرُ لِأَحَدٍ ولَا يَظْهَرُ لِآخَرَ فِيهِ، وتَارَةً يَظْهَرُ بِتَأَمُّلٍ. لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

58 وَآمِنَةٌ لَمْ تَلْقَ فِي حَمْلِهَا أَذًى وَقَدْ أَمِنَتْ مِن كُلِّ ضيْمٍ بِإِيذَانِ
59 وقيلَ لَهَا لِلْأُنْسِ: آمِنَةُ ابْشِرِي بِحَمْلِ رَسُولِ الله آمَن إِنْسَانِ
60 وَقَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا أَضَاءَ لَهَا بِهِ مَعَاهِدُ بُصرَى كَيْ تَنَوَّرَ عَيْنَانِ
61 وُلِدْتَ سعيدًا رافعَ الرَّأْسِ وَاضِعًا يدَيْكَ بِتَعْظِيمِ الإِلَهِ بِجُثْمَانِ
62 فَيَا لِرَبِيعٍ قَدْ بَنَى لِذَوِي التُّقَى رُبُوعًا مِنَ التَّقْوَى جَنًا رَوْضُهَا دَانِي

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 162/1.
(2) (م، س)، 166/1.
(3) (م، س)، 162/1.
(4) كلمة لم أفهمها.
(5) كلمة لم أفهمها، لعلها: لتعاطيه.
(6) كلمة لم أفهمها.
(7) كلمة لم أفهمها، لعلها: فإنَّه.

63 وَأَصْبَحَ عَامُ الْفِيلِ- مَحمُودٍ الذِي وُلِدْتَ بِهِ- الْمَحْمُودَ رَحْمَةَ رَحْمَنِ
64 وَإِيوَانُ كِسْرَى باتَ بِالصَّدْعِ ذَا فَنَا كَمَا شَمْلُ كِسْرَى اشْتَتَّ مِنْ بَعْدِ إِيوَانِ
65 وَسَاوَةُ قَدْ سِيئَتْ بِغَيْضِ بُحَيْرَةٍ وَقَدْ خَمَدَتْ لِلْفُرْسِ نَارٌ كَصُلْبَانِ
66 كَمَا صُرِفَ الشَّيْطَانُ عَنْ خَبَرِ السَّمَا وَأَوْلَادُهُ بَعْدَ اسْتِرَاقٍ لِشَيْطَانِ

وأُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ لَمْ تَلْقَ فِي حَمْلِهَا بِهِ ﷺ وَجَعًا كَمَا تَلْقَاهُ الْحُبالَى. وقَدْ أَمِنَتْ مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ بِإِعْلَامٍ مِنَ الْمَلَائكَةِ أَنْ لَا تَخَافِي مِنْ ضُرِّ إِنْسٍ ولَا جِنٍّ.

وقَالَتْ لَهَا الْمَلَائكَةُ لِلْأُنسِ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ؛ أَيْ: لِتَسْتَأْنِسَ ولَا تَسْتَوْحِشَ: يَا آمِنَةُ أَبْشِرِي بِحَمْلِ رَسُولِ اللهِ فَائِقِ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي الْأَمْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِذْ كُلُّ نَبِيءٍ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي وهُوَ يَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، وفِي الدُّنْيَا حِينَ قَالَ اللهُ ﷻ لهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

وقَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا أَضَاءَ لَهَا بِهِ حين وَلَدَتْهُ قُرَى بُصرى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وهِيَ فِي مَكَّةَ، لِتَرَاهَا عَيْنَانِ عَظِيمَتَانِ وهُمَا عَيْنَا آمِنَةَ. فمَعْنَى "تَنَوَّر" بالبِنَاءِ للفاعِلِ: تُبْصِرُ.

"وُلِدْتَ": بالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وفَتْحِ التَّاءِ يَا رَسُولَ اللهِ حَالَ كَوْنِكَ سَعِيدًا، رَافِعَ الرَّأْسِ إِلَى السَّمَاءِ، وَاضِعًا يَدَيْكَ فِي الْأَرْضِ، بِسَبَبِ أَنَّكَ عَظَّمْتَ اللهَ بِجَسَدِكَ فِي ذَلِكَ الرَّفْعِ وفِي ذَلِكَ الْوَضْعِ، فهَذَا خَيْرٌ عَظِيمٌ دِينِيٌّ شَبِيهٌ بِالْمَطَرِ النَّافِعِ حَصَلَ.

وأَثْبتَ لِمَنْ شَأْنُهُ التُّقَى عِنْدَ اللهِ، مَنَازِلَ خَيْرٍ تُشْبِهُ مَنَازِلَ الْحَرْثِ والرَّبِيعِ وهِيَ التَّقْوَى. وفِي ذِكْرِ الرَّبِيعِ تَلوِيحٌ إِلَى زَمَانِ ولَادَتِهِ، وهُوَ رَبِيع الْأَوَّلُ. ويَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ نَفْسَ رَبِيع الْأَوَّل. ثَوابُها[2] قَرِيبٌ مُصَاحِبٌ لِأَهْلِها بالتَّوفِيقِ والْإِثْبَاتِ فِي الصَّحَائِفِ. والْخَيْرُ الدُّنيَوِيّ أَيْضًا تشْبِيهُ [98و] ثِمَارِ شَجَرٍ فِي مَاءٍ، ثِمَارُهَا طَابَتْ وقَرُبَتْ لِجِهَةِ الْأَرْضِ لِمَنْ لَهُ أَخْذُهَا.

وأَصْبَحَ الْعَامُ الْمُسَمَّى عَام الْفِيلِ الْمُسَمَّى مَحْمُودٌ الذِي وُلِدْتَ فِيهِ هُوَ الْمَحْمُود وَرَحْمَة رَحْمَنٍ عَظِيمٍ، هُوَ اللهُ جَلَّ وعَلا.

وبُنْيَانُ كسْرَى الْمُصْطَفُّ الْمَعْدُودُ عِنْدَهُ لِلتَّشَاوُرِ وإِبْرَازِ الرَّأْيِ، انْشَقَّ كمَا تَشَتَّتَ شَمْلُ أَصْحَابِهِ بَعْدَ تَشَقُّقِ الإِيوَانِ.

وأَهْلُ ساوة سَاءَهَا ذَهَابُ مَاءِ بُحَيْرَتِها، وخمَدَتْ نَارُ الفُرس الْمَعْبُودَةُ لَهُمْ، وقَد اجْتَهَدُوا فِي إِيقَادِهَا، خُمُودًا شَبِيهًا بِانْتِكَاسِ الصُّلبَانِ، فِي كُلِّ مَوْضِعٍ هِيَ فِيهِ. كَمَا صُرِفُ إِبْلِيسُ وأَوْلادُهُ عَن اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بالشُّهُبِ.

---

(1) سورة المائدة: 67.

(2) الهاء تعود إلى "التقوى".

والْعَطْفُ عَطْفُ قِصَّةٍ علَى الأُخْرَى فِي الْأَبْيَاتِ، وتصحُّ في بَعْضِهَا الْحَالِيَّةُ كَقَوْلِهِ:" وقَدْ خَمَدَتْ" وصَرَفَ "آمِنَة" لِلضَّرُورةِ.

و"الأَذَى" هُنَا مَا يَلْحَقُ الْحَامِلَ مِنْ وَجَعٍ وَكَرَاهَةِ بَعْضِ الأَطْعِمَةِ. والضَّيْمُ: الضُّرُّ هُنَا سَوَاءٌ أَكَانَ مِنْ مَخْلُوقٍ كَجِنِّ أَوْ مِنْ غَيْرِ مَخْلُوقٍ. و"بِإِيذَانٍ": بِإِعْلَامٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ والْهَوَاتِفِ أَنْ لَا بَأْسَ عَلَيْكِ. و"آمِنَةٌ": مُنَادَى بِمَحْذُوفٍ، وآمَنُ: اسْمُ تَفْضِيلٍ كَمَا تَقُولُ أَفْضَلُ رَجُلٍ. و"مَعَاهِدُ": بِالرَّفْعِ فَاعِلُ "أَضَاءَ" بِمَعْنَى قَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا ظهَرَ لَهَا بِهِ بلَادٌ مَعْهُودَةٌ لِبُصرى بِوُقُوعِ النُّورِ عَلَيْهَا.

و"مَعَاهِدُ": جَمْعُ مَعْهَد، ومَعْهَد مَصْدَرٌ مِيمِيّ بِمَعْنَى مَفْعُول. والْعَهْدُ: الْعِلْمُ أَيْ: بِلَادٌ مَعْهُودَةٌ. أَوْ اسْمُ مَكَان مِيمِي؛ أَيْ: مَوْضِعُ الْعِلْمِ أَيْ: مَوْضِع تَسَلَّطَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا، أَيْ: وَقَعَ بهَا.

و"تَنَوَّرَ": تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدٍ، ونَكَّرَ قَوْلَهُ: "عينَانِ" إِعْظَامًا. ويَجُوزُ بِنَاءُ "تَنَوَّرَ" لِلْمَفْعُولِ، وَأَنْ تَكُونَ الْعَيْنَانِ عَيْنُ الْبَصَر وعَيْنُ الْبَصِيرَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَا مِنْ خُصُوصِ آمِنَةَ.

و"الْجُثْمَانُ": الْجَسَدُ، وفِي ذِكْرِ بُصْرَى إِشَارَةٌ إِلَى تَنْوِيرِ الأَبْصَارِ والْبَصَائِرِ، وَفِي ذِكْرِ جُثْمَان إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رِسَالَتَهُ بِالْأَفْعَالِ، ورِسَالَةُ عِيسَى بالْمَقَالِ، صلى الله عليْهما وسَلَّمَ.

واللَّا فِي "يا لِرَبِيع" لِلتَّعَجُّبِ والاسْتِعْظَامِ.

وثَبَتَتْ فِي الْخَطِّ يَاءُ "دَانِي"؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْكَلِمَةِ بَدَل مِنْ وَاوٍ، وكَذَا يُكْتَبُ كُلُّ يَاءٍ مِنَ الْكَلِمَةِ، أَوْ يَاء الْإِضافَةِ. و"عَام": اسْمُ "أَصْبَحَ" أَيْ: صَارَ، وخَبَرُهُ "الْمَحْمُودَ".

و"مَحْمُود": بِالْجَرِّ بَدَلٌ مِنَ الْفِيلِ، بَلْ عَطْفُ بَيَانٍ. و"بِهِ": بِمَعْنَى فِيهِ، و"رَحْمَةَ": خَبَرٌ ثَانٍ لِـ"أَصْبَحَ".

وأَصْلُ "رَحْمَن": الرَّحْمَن حَذَفَ "ال" لِلضَّرُورةِ، أو جعلَ لفْظَ "رحمان" بغيْرِ "ال" لا يختصُّ باللهِ جلَّ وعَلَا، فجاءَ بِهِ نكرَة للتَّعظِيمِ. وظاهِرُ إِسْقاطِ الألَفِ في الخَطِّ مِنْ بعدِ المِيمِ أنَّهُ المقرونُ بِـ "ال" حُذِفَتْ للضَّرورةِ؛ لِأَنَّ الذِي يُخَفَّفُ فِي الخَطِّ قِيَاسًا الْعَلَمُ الزَّائِدُ علَى أَرْبَعةٍ، ولَا بُدَّ مِنْ ثُبُوتِهِ لَفْظًا وكفَى النُّطْقُ بِهِ فِي كَوْنِهِ رِدْفًا. و"ذَا فَنَا": صَاحِبُ فَنَاءٍ، وقَصَرَ "فَنَاءٍ" لِلضَّرُورةِ.

و"مَا" زَائِدَة كَافَّة. وَ"شَمْلُ": مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ "اشْتَتَّ" أَيْ: كَمَا شَمْلُ أَصْحَابِ كِسْرَى تَفَرَّقَ بَعْدَ تَفَرُّقِ إِيوَانِهِ بِالصَّدْعِ، أَوْ "شَمْلِ" بِالْجَرِّ بِالْكَافِ عَلَى حَذْفِ مُضَاف، و"مَا" غَيْرُ كَافَّةٍ، أَيْ: كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى حَالَ كَوْنِهِ مُتَفَرِّقًا.

و"سَاوَةُ": بَلْدةٌ [98ظ] عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ: أَهْلُ سَاوَةَ سَاءَتْ بِنَضْبِ مَاءِ بَحْرٍ صَغِيرٍ فِيهَا؛ أَيْ: ذَهَابُ مَائِهِ.

وَصَغَّرَ بحْرًا لِلنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَالِحِ أَوْ نَحْو بحر النّيل، وَإِلَّا فَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ سِتَّةُ أَمْيَالٍ طُولًا وَعرْضًا، وقَدْ يُقَالُ صُغِّرَ لِلتَّعْظِيمِ.

و"كَصُلْبَانِ": أَيْ كَخُمُودِ صُلْبَانٍ؛ فَإِنَّ تَنَكُّسَهَا شَبِيهٌ بِخُمُودِ النَّارِ، والْخُمُودُ الْمَذْكُورُ لِلنَّارِ حَقِيقَةٌ، والْخُمُودُ الذِي حُذِفَ وقُدِّرَ لِلصُّلْبَانِ مَجَازٌ. أَوْ أَرَادَ تَشْبيهَ خُمُودِ النَّارِ بِتَنَكُّسِ الصُّلْبَان، أَيْ: خُمُودًا كَتَنَكُّسِ الصُّلْبَانِ.

و"الشَّيْطَانُ": إِبْلِيسُ بِدَلِيل قَوْلِهِ: وأَوْلَادِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالشَّيْطان جِنْسُ الشَّيَاطِين الكِبَارِ مُطْلَقًا، إِبْلِيسُ وغَيْرُهُ والْعِيَاذُ بِاللهِ. و"لِشَيْطَان": نَعْتٌ لِ"اسْتِرَاق".

وهُنَا فُصُولٌ: فَصْلٌ لِلْحَمْلِ، وفَصْلٌ لِلْوِلَادَةِ وفَصْلٌ لِصَدْعِ إِيوَانِ كِسْرَى وَنَحْوِهِ، وَفَصْلٌ لِمَنْع اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، وإِخْبَارِ الْجِنّ.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي حَمْلِ آمِنَةَ بِالنَّبِيءِ ﷺ

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ وقَعَ عَلَى آمِنَةَ حِينَ مَلَكَهَا مَكَانَهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ أَيَّامَ مِنىً فِي شِعبِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ(1).

وأَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ عِنْدَ حَمْلِهَا بِهِ، كمَا أَضَاءَتْ لَهَا عِنْدَ وَضْعِهِ. ولِكَوْنِ الشَّامِ دَارَ مُلْكِهِ أَضَاءَتْ لَهُ، وَلِذَلِكَ أَيْضًا هَاجَر إِلَيْهَا عِنْدَ الإِسْرَاءِ، كما هَاجَر إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق: أَنَّ آمِنَةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّها أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْهُ ﷺ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وقَالَتْ: مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حمَلْتُ بِهِ ولَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقْلًا ولَا وَحمًا كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ، إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِي وأَتَانِي آتٍ وأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ واليَقْظَانَةِ، فقَالَ: هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْأَنَامِ؟ ثُمَّ أَمْهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وِلَادَتِي أَتَانِي فقَالَ لِي: قُولِي:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِد مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد

ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّدًا(2). وَرَوَى غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاق زِيَادَةَ: وَعلِّقِي عَلَيْهِ هَذِهِ التَّمِيمَة. قَالَتْ: فانْتَبَهْتُ وعِنْدَ رَأْسِي صَحِيفَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيها مكْتُوبٌ:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِد مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد
وَكُلّ خَلْقٍ رَائِد مِنْ قَائِمٍ وَقَاعِد
عَنِ السَّبِيلِ حَائِد عَلَى الْفَسَادِ جَاهِد
مِنْ نَافِث أَوْ عَاقِد وَكُلِّ خَلْقٍ مَارِد
يَأْخُذُ بِالْمَرَاصِد فِي طُرُقِ الْمَوَارِد

(1) سبق تخريجُهُ: المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/116-117.

(2) سيرة ابن هشام، 1/158.

وهُوَ أَبْيَاتٌ مِنَ الرَّجَزِ الْمَجْزُوءِ، وجَعَلَها بَعْضُ أهل السّيَر مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ولَا أَصْلَ لَهَا[1]. إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاق:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدْ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدْ
مِنْ [كُلِّ] بِرٍّ عَاهِدْ وَكُلِّ عَبْدٍ رَائِدْ
يَرُودُ غَيْرَ رَائِدْ فَإِنَّهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْمَاجِدْ
حَتَّى أَرَاهُ قَدْ أَتَى الْمَشَاهِدْ [2]

وعَنْ شدّاد بن أوْس أنَّ رَجُلًا مِنْ بني عامِر سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا حَقِيقَةُ أَمْرِكَ؟ قَالَ: ((**بَدْءُ شَأْنِي أَنَّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَأَنِّي كُنْتُ بِكْرَ أَبِي وأُمِّي، وأَنَّهَا حَمَلَتْ بِي كأَثْقَلِ مَا تَحْمِلُ النِّسَاءُ وجَعَلَتْ تَشْتَكِي إِلَى صَوَاحِبَتِهَا ثِقْلَ مَا تَجِدُ، ثُمَّ إِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ الذِي فِي بَطْنِهَا نُورٌ**))[3]. وتَقَدَّم عَنْ بَعْضٍ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ لَيْلَةَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَب، لَيْلَةَ جُمُعَةٍ. وَأَكْثَرُ الْأَحادِيثِ أَنَّها لَمْ تَجِدْ ثِقْلًا ويُجْمَعُ بَيْنَهَا وبَيْنَ حدِيثِ وُجُودِ الثِّقْلِ بِأَنْ وَجَدَتْ ثِقْلًا عِنْدَ الْعُلُوقِ بِهِ وَخِفَّةً بَعْدُ إِلَى أَنْ وَضَعَتْهُ، وذَلِكَ خرُوجٌ [99و] عَن الْمُعْتَادِ[4].

قالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: كَانَ دَلالَةُ حَمْلِ آمِنَةَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ كَانَتْ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وقَالَتْ: حُمِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ورَبِّ الكَعْبَةِ، وهُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا وسِرَاجُ أَهْلِهَا، ولَمْ يَبْقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلَّا أصْبَحَ مَنْكُوسًا، ومَرَّت[5] وُحُوشُ الْمَشْرِقِ إِلَى وُحُوشِ الْمَغْرِبِ بِالبِشَارَاتِ، وكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِحَارِ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمْلِهِ نِدَاءٌ فِي الأَرْضِ ونِدَاءٌ فِي السَّمَاءِ: أَنْ أَبْشِروا فقَدْ آنَ لِيَظْهَرَ أبو القاسم ﷺ ميْمُونًا مُبَارَكًا الْحَدِيث. وهُوَ شَدِيدُ الضَّعْفِ[6].

وعَنْ غَيْرِهِ: لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَارٌ إِلَّا أَشْرَقَتْ، ولَا مَكَانٌ إِلَّا دَخَلَهُ النُّورُ، ولَا دَابَّةٌ إِلَّا نَطَقَتْ[7].

وعَنْ أَبِي زَكَرِيَّاءَ يحيَى بن عائذ[8]: بَقِيَ ﷺ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كملًا لَا تَشْكُو وَجَعًا ولَا مَغصًا ولَا رِيحًا ولَا مَا يَعْرِضُ لِذَوَاتِ الْحَمْلِ مِنَ النِّسَاءِ، وكَانَتْ تَقُولُ: واللهِ مَا رَأَيْتُ؛ أَيْ: عَلِمْتُ،

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 120/1-121.
(2) دلائل النبوة، البيهَقِي، 82/1.
(3) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 121/1.
(4) (م، س)، 121/1 بتصرُّف.
(5) في المواهِب اللدنية: وفَرَّتْ، وفِي دلائل النبوة: فرَّت.
(6) دلائل النبوة، أبو نعِيم، ص610.
(7) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 122/1.
(8) يحيى بن مالك بن عائِذ: أَبُو زَكَرِيَّا الأندلسي، سمع أَبَا سهل بن زِيَاد الْقطَّان، وأملى بِجَامِع قرطبة، مات فِي شعْبَان سنة 375هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضِي، 192/2، وطبقات الحفاظ، السيوطِي، 399/1.

مِنْ حَمْلٍ أَخَفَّ مِنْهُ، ولَا أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ[1].

ولـمَّا تَمَّ لَهَا مِنْ حَمْلِهَا شَهْرانِ مَاتَ أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ. وصَحَّحَهُ بَعْضٌ لِقَوْلِ قيْس بن مخرَمة: مَاتَ أَبُو النَّبِيءِ ﷺ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ[2]. وقِيلَ: مَاتَ وهُوَ فِي الْمَهْدِ، وعَن ابن أبي خَيْثمة: وهُوَ ابْنُ شَهْرَيْنِ، وقِيلَ: ابْنُ سَبْعَة، وقِيلَ: ابْنُ ثَمَانِيَةٍ وعِشْرِينَ شَهْرًا، والرَّاجِحُ الْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ[3].

وقِيلَ: مَاتَ قَبْلَ وِلَادَتِهَا بِشَهْرَيْنِ وصحح. وقِيلَ عَن الْجُمْهُورِ: أَنَّهُ مَاتَ وهُوَ فِي الْمَهْدِ لِقَوْلِ عَبْدِ المُطَّلِبِ لِأَبِي طَالِبٍ:

أُوصِـــيكَ يَـا عَبْـدَ مَنَـافٍ [بعـدِي] بِـــمُـــؤْتـــمٍ بَـــعْـــدَ أَبِـــيـــهِ فَـــرْدِ

فَـارَقَـهُ وهْـوَ ضَـــجِـيـعُ الْـمَـهْـدِ[4]

وقِيلَ: ابْنُ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ[5].

وكَانَ أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ قَدْ رَجَعَ ضَعِيفًا مَعَ قُرَيْشٍ مِنْ تجارَتِهِمْ، ومَرُّوا بِالْمَدِينَةِ فأُخْلِفَ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بني عديّ بن النّجّار، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا، ولَمَّا قَدِمَ أَصْحابُهُ مَكَّةَ سَأَلَهُمْ عبْدُ المُطَّلِبِ عَنهُ فقَالُوا: خَلَّفْنَاهُ مَرِيضًا فبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَارِثَ، وقِيلَ: الزُّبير[6]، فوَجَدَهُ قَدْ تُوُفِّيَ ودُفِنَ فِي دَارِ النّابغة[7]، وقِيلَ: دُفِنَ بِالأبْواءِ[8].

وعُمُرُهُ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ عَامًا وهُوَ الْأَثْبتُ أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ واخْتَارَهُ العلائي[9] وابْنُ حَجَر والسّيوطي، أو ثَلَاثُونَ أَوْ ثَمَانِيَةٌ وعِشْرُونَ. وَرَثَتْهُ آمِنَةُ بِقَوْلِها:

عَفَـا جَـانِـبُ الْبَطْحَـاءِ مِنْ آلِ هَـاشِـــم وَجَـاوَرَ لَحْـدًا خَـارِجًـا فِي الغَمَـاغِمِ[10]

دَعَـتْـهُ الْـمَـنَـايَـا دَعْـوَةً فَـأَجَـابَـهَـا وَمَا تَرَكَتْ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِـــمِ

عَشِـــيَّـةَ رَاحُـوا يَـحْـمِـلُـونَ سَـــرِيـرَهُ تَـعَـاوَرَهُ أَصْـــحَـابُـهُ فِـي الـتَّـزَاحُـمِ

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 122/1.

(2) عبارة: "وصَحَّحَهُ بَعْضٌ لِقَوْلِ قَيْس بنِ مَخْرَمَة: مَاتَ أَبُو النَّبِيءِ ﷺ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ " أضافها المؤلف على الهامِشِ، وليست في المواهِبِ، ينظر: المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4191).

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 123/1.

(4) الأبيات من الرَّجز. الروض الأنف، السهيلِي، 268/1.

(5) الفَقْرَةُ من "وقِيلَ عَن الْجُمْهُورِ... تسعة أشهر" أضافها المؤَلِّفُ على الهامِشِ. ليست في المواهِب، يُنظر: شرح المواهب، الزرقاني، 205/1.

(6) "وقيل الزبير" إضافة من المؤلف في الهَامِشِ، ليْسَتْ فِي المواهِبِ.

(7) في المَواهب اللدنية: دار التابعة، ودار النابغة، ودار التبابعة.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 123/1.

(9) العلائِي: خليل بن كيكلدي، ولد سنة 694هـ، وجدَّ في طلب الحدِيث، درس بدمشق، وعمل في القُدسِ في المدرسة الصلاحِيَّة. من كتبه: تنقيح الفهوم في صيغ العموم، ت:761هـ. طبقات الشافعية، السبكِي، 13/10.

(10) في المواهب اللدنية: في الغمائِمِ.

فَـإِنْ تَـكُ غَـالَتْـهُ الْمَنَـايَـا وَرَيْبُهَـا فَقَـدْ كَـانَ مِعْطَـاءً كَثِيرَ التَّرَاحُمِ[1]

ويُذكَرُ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ عبْدُ اللهِ قَالَ الْمَلَائِكَةُ: يَا إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا بَقِيَ نَبِيئُكَ يَتِيمًا. فقَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي لَهُ حَافِظٌ وَنَصِيرٌ[2].

وقِيلَ لجعفر الصّادق: لِمَ يُتِّمَ النَّبِيءُ ﷺ مِنْ أَبَوَيْهِ؟ فقَالَ: لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْهِ حَقٌّ لَمَخْلُوقٍ[3]. ومُدَّةُ حَمْلِهِ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ أَوْ عَشَرَةٌ أَوْ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ، أَقْوَالٌ.

ويُروَى أَنَّه لمَّا استقرَّت النُّطفةُ فِيهَا أَصْبَحَتْ أَصْنَامُ الدُّنْيَا مَنْكُوسَةً، واخْضَرَّت الْأَرْضُ وحملت الأَشْجَارُ وَكَانَتْ قُرَيْش فِي جَذْبٍ شَدِيدٍ وسُمِّيَتْ تِلْكَ السَّنةُ سَنَةَ الْفَتْحِ[4].

وإِنَّهُ نُودِيَ فِي الْمَلَكوتِ أنَّ النُّورَ المَكْنُونَ قَد انْتَقَلَ إِلَى بَطْنِ آمِنَةَ ذَاتِ الْعَقْلِ [99ظ] البَاهِرِ، والْفَضْلِ الظَّاهِرِ قَدْ خَصَّها اللهُ تَعَالَى بِهَذَا الْحَبِيبِ؛ لِأَنَّها أَفْضَلُ قَوْمِهَا حَسَبًا وأَزْكَاهُمْ أَصْلًا وفَرْعًا[5].

ورُوِيَ أَنَّهَا أتاهَا آتٍ لمَّا مَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ مِنْ حَمْلِهَا وقَالَ: يا آمِنَةُ أَنْتِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْعَالَمِينَ فإِذَا وَضَعْتِهِ فسَمِّيهِ مُحَمَّدًا واكْتُمِي شَأْنَهُ[6]. ويُرْوَى ضَعِيفًا: أَنَّهُ لَمْ تَحْمِلْ أُنْثَى لَيْلَةَ حُمِلَ بِهِ ﷺ إِلَّا بِذَكَرٍ[7].

الفصل الثَّانِي: في ولادته

قِيلَ: لمَّا وُلِدَ قالَ: اللهُ أَكْبَر، وقِيلَ: قَالَ اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا والْحَمْدُ للهِ كثِيرًا وسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا[8]. وقِيلَ: جَلَالُ رَبِّي الرَّفِيعِ[9]. وقِيلَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وإِنِّي رَسُولُ اللهِ، ويُجْمَعُ بِأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ كُلَّهُ[10].

قالَ عمرو بن قتيبة: سَمِعْتُ أَبِي، وكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، يقُولُ: لَمَّا حَضَرَتْ آمِنَةَ الوِلَادَةُ قَالَ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ: افْتَحُوا أَبْوَابَ السَّمَاءِ كُلَّها وأَبْوَابَ الْجِنَانِ كُلَّهَا وهُنَّ ثَمَانٌ وقِيلَ: أَرْبَعٌ، واحْتُجَّ لَهُ بِمَا فِي سُورَةِ

(1) الأبيات من الطويل، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 123/1- 124.
(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 124/1.
(3) البحر المحيط، أبو حيان، 481/8.
(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 119/1، بتصرُّف عن كعب الأحبارِ.
(5) (م، س)، 118/1.
(6) (م، س)، 124/1، بتصرُّف.
(7) (م، س)، 124/1. عبارة أضافها المؤلِّفُ على الهامِش.
(8) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 277/1، نقلا عن ابن عائذ.
(9) (م، س)، 277/1، نقلا عن السهيلي في الرَّوض عن الواقِدِي، ولم أجده في الروض.
(10) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 277/1، نقلا عن شواهد النبوة.
العبارات الثلاث السابقة أضافها المؤلِّفُ على الهامِشِ.

الرَّحْمَن، وقِيلَ: وَاحِدَةٌ سُمِّيَتْ بِأَسْمَاء وأُلْبِسَتْ الشَّمسُ نُورًا عَظِيمًا[1].

قالَتْ آمِنَةُ: أخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاء، مِنَ الطَّلق[2]، ولَمْ يَعْلَمْ بِي ذَكَرٌ ولَا أُنْثَى، وإِنِّي لَوَحِيدةٌ فِي الْمَنْزِل وعَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي طَوَافِهِ، فسَمِعْتُ وجبَةً عَظِيمَةً، أَيْ: هَدَّة[3]، وأَمْرًا عَظِيمًا هَالَنِي ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ جنَاحَ طَائِرٍ أبْيَض قَدْ مَسَحَ علَى فُؤَادِي، فذَهَبَ عنِّي الرّوعُ[4] وكلُّ وَجَعٍ أجِدُهُ ثُمَّ الْتَفتُّ فإِذَا أَنَا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ ظَنَنْتُهَا لَبَنًا، وكُنْتُ عطْشَى فشَرِبْتُها فإِذَا هِيَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[5] فأَصَابَنِي نُورٌ عَالٍ ثمَّ رأَيْتُ نِسْوَةً كالنَّخِيلِ، طِوَالًا كأَنَّهنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ منَاف، في الطُّولِ والْجَمَالِ[6] يُحدِّقنَ، فبَيْنَما أنَا أَتَعَجَّبُ وأَقُولُ: واغوْثَاهُ[7] فقُلْنَ لِي: نَحْنُ آسية امْرَأَةُ فِرْعَون ومرْيم بنت عمْرَان وهَؤُلاءِ مِنَ الحُورِ الْعينِ، ولَعلَّهُنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِ ﷺ فِي الْجَنَّة كمَا في الْحَدِيثِ أنَّ آسِيَةَ ومريم زَوْجَانِ لَهُ فِي الْجَنَّة[8]، واشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ وإِنِّي أَسْمَعُ الْوَجْبَةَ في كُلِّ ساعَةٍ أَعْظَم وأهول فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جِيءَ بدِيبَاجٍ أَبْيَضَ قَدْ مُدَّ بَيْنَ السَّماءِ والْأَرْضِ وإِذَا بقَائِلٍ يقُولُ: خُذاهُ عنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، ورَأَيتُ رِجَالًا وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ، أَيْ: وَهُمْ ملائِكَة[9]، بِأَيْدِيهِم أبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإِذَا أنَا بِقِطْعةٍ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ أَقْبَلَتْ حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتِي، أيْ: لِكَثْرَتِها[10]، منَاقِيرُها مِنَ الزُّمرُّد وأجْنِحَتُها مِنَ الْيَاقوتِ، فكَشَفَ اللهُ عنْ بَصَرِي فرَأَيْتُ مشَارِقَ الْأَرْضِ ومَغَارِبَها، ورَأَيْتُ ثلاثَةَ أعْلَامٍ مضْرُوباتٍ عَلَمًا بالْمَشْرِقِ وعَلَمًا بالْمَغْرِبِ وعلَمًا عَلى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ. ونقُولُ: إِشَارَةً إِلَى أنَّ شَرْعَهُ يَعُمُّ الْمَشَارِقَ والْمَغَارِبَ ويَعْلُو علَى مَكَّةَ ويَصِيرُ بَيِّنًا وَاضِحًا[11]، فأَخَذَنِي الْمَخَاضُ فوَضَعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ فنَظَرْتُ إلَيْهِ فإِذَا هُوَ ساجِدٌ قَدْ رَفَعَ إِصبعَيْهِ، أَيْ: السَّبَّابَتَيْن[12]، إِلَى السَّماءِ كالْمُتَضرِّعِ الْمُبْتَهلِ، ثُمَّ رَأَيْتُ سحَابَةً بَيْضاءَ قَدْ أَقْبلَتْ مِنَ السَّماءِ، حتَّى غَشِيَتْهُ فَغَيَّبْتْهُ عَنِّي، ثمَّ سَمِعْتُ منَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِهِ مشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَها وأَدْخِلُوهُ البِحَارَ، أَيْ: السَّبعةَ[13]،

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 124/1، نقلا عن أبِي نعِيم، دون ذكر المصدرِ.

(2) من الطلق، ليست في المواهِبِ.

(3) أي: هدة، ليست في المواهِبِ.

(4) في المواهِب: الرعب.

(5) عبارة: "ظننتها لبنا وكنت عطشَى فشربتُها فإذا هيَ أحلَى مِن العسَلِ" ليست فِي المواهِبِ.

(6) في الطولِ والجمالِ، ليست في المواهِبِ.

(7) في المواهِب إضافة: واغوثاه من أين علمن بِي، قال في غيرِ هذه الرِّوايَةِ: فقلن...

(8) ولعلَّهُنَّ مِنْ أزواجِهِ ﷺ في الجنَّة كما في الحديثِ أنَّ آسية ومريم زوجان لهُ في الجنة، ليست في المواهِبِ.

(9) وهم ملائكة، ليست في المواهِبِ.

(10) أي: لكثرتها، ليسَت فِي المواهِبِ.

(11) عبارة: "ونقول: إشارةً إِلَى أنَّ شرعهُ يعمُّ المشارقَ والمغاربَ ويعلو على مكَّة ويصيرُ بيِّنا واضِحاً" ليست في المواهِبِ.

(12) أي: السبابتين. ليست في المواهِبِ.

(13) أي: السَّبعةَ. ليست في المواهِبِ.

ليعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ [100و] ويقالُ: اسمه الماحِي[1]، وبنعتِهِ وصورتِهِ، فهُمْ يعلمُون أَنَّهُ يُسَمَّى في البحارِ الماحِي، لَا يبقَى شيءٌ مِنَ الشِّركِ إِلَّا مُحِيَ في زمنِهِ. ولعلَّ وجهَ ذلكَ أنَّ البَحْرَ تمحو الأدرانَ[2]، ثمَّ انْجلَتْ عنهُ فِي أَسْرعِ وقتٍ[3].

ورُوِيَ أنَّ آمنةَ قالتْ لمَّا وَضَعَتْهُ: رأَيْتُ سَحابةً عظيمةً لها نورٌ، أسمعُ فيَها صَهِيلَ الخيلِ، وخَفْقَانَ الأجنِحَةِ، وكلامَ الرِّجالِ، حتَّى غشيتهُ وغُيِّبَ عَنِّي، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ مَشَارِقَ[4] الْأَرْضِ ومَغَارِبَها، وأَدْخِلُوهُ البِحَارَ ليعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ ونَعْتِهِ وصُورَتِهِ في جَمِيعِ الْأَرْضِ[5]. واعْرِضوهُ على كلِّ روحانِي مِنَ الْجِنِّ والإنسِ والْمَلَائكَةِ، والطُّيُورِ والوُحوشِ، وأعطوهُ خلق آدمَ ومَعْرِفَةَ شيت، وشجاعةَ نوحٍ وخلَّةَ إبْرَاهِيمَ ولسان إسماعيل ورضا إسحاق وَفَصاحةَ صالِح وحِكْمَةَ لوط[6] وشدَّةَ موسَى وصَبْرَ أيّوب وطاعةَ يُونُس وجِهَادَ يوشع وَصَوْتَ داود وحُبَّ دانيال ووَقَارَ إلْيَاسَ وعِصْمَةَ يَحْيَى وزُهْدَ عِيسَى[7]. قالَتْ: ثمَّ انْجلَى عَنِّي فإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ علَى حَرِيرةٍ خَضْراءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَديدًا، يَنْبُعُ منْهَا ماءٌ، وإِذَا بِقائِلٍ يقُولُ: بخ بخ قَبَضَ مُحَمَّد علَى الدُّنْيَا كُلِّها، لمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أهلها إِلَّا دَخَلَ طائعًا في قَبْضَتِهِ. قالَتْ: ثُمَّ نظَرْتُ إِلَيْهِ ﷺ فإِذَا هُوَ كالْقَمَرِ لَيْلَةَ البدْرِ، ريحُهُ يسطعُ كالْمِسْكِ الأَذْفر، وإذا بثَلاثَةِ نفَرٍ، فِي يَدِ أَحدِهِم إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ، وفِي يَدِ الآخَرِ طستٌ مِنْ زمرد، وَفِي يَدِ الثَّالِثِ حَرِيرةٌ بيْضَاء فَنشَرَهَا، فأَخْرَجَ منْهَا خَاتَما تَحَارُ أبصَارُ النَّاظِرِين دُونهُ، فغَسَلَه مِنْ ذلِكَ الإِبْرِيقِ سَبْعَ مرَّاتٍ، ثمَّ خَتَمَ بَيْن كتِفَيْهِ بالخاتمِ ولَفَّهُ فِي الْحَرِيرةِ ثُمَّ احْتَمَلهُ فأَدْخَله بَيْن أجْنِحَتِه ساعةً[8].

ومَعنَى أَعْطُوهُ خَلْقَ آدمَ: شبه صُورتِهِ بفَتْحِ الخَاءِ وإِسْكَان اللَّامِ، قالَ ﷺ: ((**أَنَا أَشْبَهُ النَّاسِ بِأَبِي آدَمَ، وَكَانَ أَبِي خَلِيلُ الرَّحْمَنِ أَشْبَهَ النَّاسِ لِي خَلْقًا وَخُلُقًا**))[9].

ولسانُ إِسْماعِيلَ: لُغتُهُ، قالَ عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ: ((أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ اللهُ لسانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ البيِّنَةِ إِسْماعِيلُ))[10] وكان رَسُولُ اللهِ ﷺ أفصَحَ الخلْقِ على الإطْلَاقِ[11].

---

(1) "ويقالُ: اسمه الماحِي" ليست فِي المواهِبِ.

(2) عبارة: "ولعلَّ وجهَ ذلكَ أنَّ البحرَ تمحو الأدرانَ" ليست فِي المواهِبِ.

(3) دلائل النبوة، أبو نعِيم، ص610، وغيرِهِ.

(4) في المَوَاهِبِ: جمِيع.

(5) عبارة: "ومَغَارِبَها وأَدْخَلُوهُ البِحَارَ ليعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ ونَعْتِهِ وصُورَتِهِ في جَمِيعِ الْأَرْضِ" ليست في المواهِبِ.

(6) في المواهِب زيادة: وبشرى يعقوب.

(7) في المواهِب زيادة: واغمسوه في أخلاق النَّبِيين.

(8) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 1/125-126، نقلا من كتاب السعادة والبشرَى عن الخطِيبِ البغدادِي.

(9) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 3/363.

(10) فتح الباري، ابن حجَر، 6/403، نقلا عن الزبير بن بكَّار في النَّسَبِ ولم أقفْ عليهِ.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/213.

وقالَ ابْنُ عمَر قال عُمَر: يا نَبِيءَ اللهِ ما لَكَ أفْصَحُنَا، ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال ﷺ: ((**كَانَتْ لغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دَرسَتْ فجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فحَفِظْتُهَا**))[1] بلْ زَادَ علَى ذَلِك فكَانَ يُخاطِبُ كُلَّ ذِي لُغَةٍ بِلُغَتِهِ اتِّسَاعًا فِي الْفَصَاحَة[2]. ومَعْنَى رِضا إسحاقَ: أَنَّه صَبَر علَى الذَّبْحِ.

روِيَ أنَّ ((داوُدَ سَألَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ كإِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ فأَوْحَى إِلَيْهِ إِنِّي ابتَلَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ [100ظ] فصَبَرَ، وابْتَلَيْتُ إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ فَصَبَر، وابْتَلَيْتُ يَعْقُوبَ فَصَبَرَ))[3].

ومَعْنَى بُشْرَى يعْقُوبَ، أَنَّه بُشِّرَ بسَلَامةِ يوسف ومَجِيئِهِ أَوْ بدَعْوَةِ أَبِيهِ دُونَ أَخِيهِ عيص[4].

ومِنْ طاعَةِ يُونس أَنَّهُ بلَغَ سبْعَ سِنِينَ، فَقَالَ لِأُمِّهِ: أُرِيدُ جُبَّةَ صُوفٍ فَأَلْحَقَ بالْعُبَّادِ، ولَمْ يَزَلْ بِها حَتَّى كَسَتْهُ، وكانَ مَعَهُم حَتَّى تَمَّ لهُ خمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً[5].

وَمِنْ عِصْمَةِ يَحْيَى أَنَّهُ تَعَلَّمَ التَّورَاةَ فِي صِغَرِهِ، ودعَاهُ الصِّبْيَانُ لِلَّعِبِ فقالَ: أَوَ لِلَّعِبِ خُلِقْنا[6].

ومَعنَى دُخُولِ النَّاسِ جميعًا فِي قَبْضَتِهِ أَنَّهُ آمَنَ مَنْ آمَنَ، وتبَيَّنَ لِمَنْ امْتَنَعَ أَنَّ الحَقَّ معَهُ فيمَا مَعَهُم مِن الكتُبِ والأَخْبَارِ، فلَمْ يَبْقَ إِلَّا العِنَادُ.

ويُرْوَى أنَّ ورَقَةَ بن نوفل وزيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعبْد الله بن جحش وعثمان بن الحوَيْرث كانُوا عنْدَ صنَمٍ يُعَظِّمونَهُ وينْحرُون لهُ الجزُورَ، ويَأْكُلونَ ويَشْرَبُون الْخَمْرَ ويعكُفُون فكَبَّ علَى وَجْهِه فأَقَاموهُ، فكَبَّ بِعُنْفٍ فأَقَاموهُ، فكَبَّ ثَالِثَةً فقَالَ عثمان بن الحوَيْرث:

أَيَا صَنَمَ الْعِيدِ الذِي صُفَّ حَوْلَهُ ... صَنَادِيدُ قَوْمٍ[7] مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قُرْبِ
تَنَكَّسْتَ[8] مَغْلُوبًا فَمَا ذَاكَ؟ قُلْ لَنَا ... بَعَاكَ سَفِيهٌ أَوْ[9] تَكَوَّسْتَ لِلْعتبِ
فَإِنْ كَانَ عَنْ ذَنْبٍ أَتَيْنَا فَإِنَّنَا ... نَبُوءُ بِإِقْرَارٍ وَنَلْوِي عَنِ الذَّنْبِ[10]
وَإِنْ كُنْتَ مَغْلُوبًا تَكَوَّسْتَ صَاغِرًا ... فَمَا أَنْتَ فِي الْأَوْثَانِ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ[11]

---

(1) نقلهُ الزرقاني من تاريخ أصبهان، أبو نعِيم، 153/1، بلفظ مغايِر، والخبَرُ فِي تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 3/4.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 213/1.

(3) الدر المنثور، السيوطي، 437/12، نقلا من الديلمِي، عن أبِي سعيد الخدرِي عن رسول اللهِ ﷺ.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 213/1، وفيه: عبصو.

(5) (م، س)، 213/1-214، نقلا عن الثَّعلبِي، دون تحدِيد المصدرِ.

(6) شرح المواهب اللَّدنيَّة، الزَّرقاني، 214/1-215، نقلا عن الثَّعلبِي، دون تحدِيد المصدرِ.

(7) في تاريخ دمشق: صناديد وفدٍ.

(8) في تاريخ دمشق: توكَّسْت، والبداية والنهاية: تَكوَّسْتَ.

(9)في تاريخ دمشق: أذاكَ سفِيه لم، وفي البداية والنهاية: أذاكَ سفِيهٌ أمْ.

(10) في تاريخ دمشق: الرَّتبِ.

(11) الأبيات من الطوِيل، رويت في كتب كثِيرة، ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 424/3، والبداية والنهاية، ابن كثِير، 579/3،

فأَقَامُوهُ فأُجيبَ مِنْ جَوْفِهِ:

تَـرَدَّى لِـمَـوْلُـودٍ أَضَـــاءَتْ لِـنُـورِهِ جَمِيعُ فِجَاجِ الْأَرْضِ بـالشَّـــرْقِ والْغَرْبِ
وَخَـرَّت لَـهُ الأَوْثَـانُ طُـرًّا وَأَرْعـدَتْ قُـلُوبُ مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرًّا مِنَ الرُّعْـبِ
وَنَارُ جَمِيعِ الْأَرْضِ[1] بَاخَتْ وَأَظْلَمَتْ وَقَدْ بَاتَ شَـــاهُ الْفُرْسِ فِي أَعْظَمِ الْكَرْبِ
وَطَارَتْ عَنِ الْأَوْثَانِ بِالْغَيْبِ[2] جِنُّهَا فَلَا مُخْبِرٌ مِنْهُمْ بِحَقٍّ وَلَا كَـذْبِ
فَيَـا لقُصَـــيّ ارْجِعُوا عَنْ ضَـــلَالِكُمْ وَهُبُّوا إِلَى الْإِسْـــلَامِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْـبِ[3]

ولَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: تصَادَقُوا مَا حَجَرٌ نَطُوفُ بِهِ لَا يَضُرُّ ولا يَشْفَعُ، فخَرَجُوا يَطْلُبُونَ دِينَ إبرَاهِيمَ. فاتَّصَلَ زَيْدٌ بِرَاهِبٍ فِي الحِيرة، وقَالَ لَهُ: لَا تَجِدُ مَنْ يَحْمِلُكَ علَى دِينِ إِبْرَاهيمَ إِلَّا نَبِيءٌ يَخْرُجُ مِنْ بَلَدِكَ مكَّة، فَرَجَعَ إِلَيْهَا وقَتَلَتْهُ لَخْمٌ فِي طَرِيقِهِ[4].

وعَن ابْنِ عَبَّاس: لَمَّا وُلِدَ ﷺ قالَ فِي أُذُنِهِ رضوان خَازِنُ الجِنَان: أَبْشِرْ يَا مُحَمَّد فَمَا بَقِيَ لِنَبِيءٍ عِلْمٌ إِلَّا وقَدْ أُعْطِيتَهُ فأَنْتَ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا وأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا[5].

وعَنْ عطَاء وابْنِ عَبَّاس أَنَّ آمِنَةَ قالَتْ: لَمَّا فَصَلَ عَنِّي؛ تَعْنِي النَّبِيءَ ﷺ، خرَجَ مَعَهُ نورٌ أضاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ثُمَّ وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا علَى يَدَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ قبْضَةً مِن التُّرَابِ فقَبَضَها ورَفَعَ رأسَهُ إِلَى السَّماءِ[6].

ورُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَعَ مقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدِهِ مُشِيرًا بِالسَّبَّابَةِ كَالْمُسَبِّحِ بِهَا[7].

وعنْ عثمان بن أبي العاصي عَنْ أُمِّهِ أُمّ عثْمان الثّقفيّة، واسْمُها فَاطمة بنت عبد الله: لَمَّا حَضَرَتْ وِلَادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَيْتُ بَيْتَ آمِنَةَ حِينَ وَقَعَ قَد امْتَلَأَ نُورًا، ورَأَيْتُ النُّجومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّها سَتَقَعُ عَلَيَّ[8].

قالَ الْعِرْباضُ بنُ سَارِيَةَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**إِنِّي عَبْدُ اللهِ وخَاتمُ النَّبِيئِينَ، وإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وسأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيم وبِشَارَةُ عِيسَى ورُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ،**

(1) في البداية والنهاية: الفرسِ.

(2) في تاريخ دمشق والبداية والنهاية: وصدَّت عن الكُهَّانِ بالغيبِ.

(3) الأبيات من الطويل، رويت في كتب كثيرة، ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 425/3، والبداية والنهاية، ابن كثِير، 579/3،

(4) كتب المؤلِّفُ القِصَّة كاملةً على الهامِشِ. والقصة في تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 424/3-425، والخصائِص الكبرَى، السيوطِي، 129/1.

(5) المواهِب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 126/1-127، نقلا عن بدر الدين الزركَشِي في شرح بردة المدِيح.

(6) الطبقات الكبير، ابن سعد 82/1.

(7) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 127/1، نقلا عن الطبرِي دون ذكر المصدرِ.

(8) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 127/1، نقلا عن البيهقِي دون ذكر المصدر.

وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ الأَنْبِيَاءِ يَرَيْنَ؛ أَيْ: يَرَيْنَ حِينَ الْحَمْلِ والوَضْعِ مَا يَدُلُّ عَلَى النَّجَابَةِ[1]، وإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَ لَهُ قُصُور الشَّامِ))[2].

قالَتْ أمّ سلمة: قَالَتْ آمِنَةُ: لَقَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ وَضْعِهِ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُور الشَّامِ حَتَّى رَأَيْتُهَا[3].

وعَنْ حليمة أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ: لَمَّا ولَدْتُهُ خَرَجَ مِنْ فَرْجِي نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قصُور الشَّام، فوَلَدْتُهُ نَظِيفًا[4] مَا بِهِ قَذَرٌ[5]. وفِي ذَلِكَ قَالَ العبّاس رضي الله عنه:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ ... الْأَرْضُ وَضَاقَ[6] بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ[7] وَفِي النُّو ... رِ وَسُبل الرَّشَادِ تَخْتَرِقُ[8]

وخُرُوجُ هذَا النُّورِ عِنْدَ وضْعِهِ إِشَارَةٌ إِلَى ما يَجِيءُ بِهِ مِنَ النُّورِ الذي اهْتَدَى بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ، وزَالَ بِهِ ظُلْمَة الشِّرْكِ، كما قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾[9] وأَمَّا إِضَاءَةُ قُصورِ بُصْرَى بِالنُّورِ الذِي خَرَجَ مَعَهُ، فهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوءَتِهِ [101و] فإِنَّهَا دَارُ مُلْكِهِ، كمَا ذَكَرَ كَعْب أَنَّ فِي الْكُتُبِ السَّالفَةِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ مَولِدُهُ بِمَكَّةَ ومُهَاجَرُهُ بِيَثْرِبَ ومُلْكُهُ بِالشَّام، فمِنْ مَكَّة بدَأَتْ نبُوءَتُهُ وإِلَى الشَّامِ انْتَهَى مُلْكهُ، ولِهَذَا أُسْرِيَ بِهِ ﷺ إِلَى الشَّامِ، وبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى بنُ مَرْيَم، وهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ والْمَنْشَرِ[10].

قالَ عبْدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوْفٍ عَنْ أُمِّهِ الشّفاء: لَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رسُولَ اللهِ ﷺ وَقَعَ علَى يَدِي فَاسْتَهَلَّ؛ أَيْ: عَطِسَ، فسَمعت قائِلًا يَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ. وأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ حَتَّى نظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ؛ أَيْ: بِالشَّامِ، إِذْ كانَ يَوْمَئِذٍ مَمْلَكَةً لِلرُّومِ[11]، قالَتْ: ثُمَّ أَلْبَنْتُهُ؛ أَيْ:

---

(1) أي: يرين حين الحمل والوضع ما يدلُّ على النجابة: من كلام المؤلِّفِ.

(2) مسند أحمد، حدِيث (17150) والمستدرك، حدِيث (4175) مع تغيير فِيهما، ودلائل النبوة، البيهقِي، 80/1.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 128/1، نقلا عن أبِي نعِيم دون ذكر المصدرِ.

(4) في الأصلِ: نضيفا.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 128/1، عن همام بن يحيَ عن إسحاق بن عبد الله، وليس فيهِ عن حليمة. روايةً عن ابن سعد، الطبقات الكبير، 82/1.

(6) في المواهب اللدنية وغرِيب الحدِيث: وضاءت، وهو أسلم للوزنِ.

(7) في الأصل كتبها المؤلف دون همزة.

(8) البيتان من المنسَرِح في غرِيب الحدِيث، ابن قتيبة، 359/1، والمواهب اللدنية، القسطلَّاني، 128/1.

(9) سورة المائدة: 16.

(10) لطائف المعارِف، عبد الرحمن بن رجب، ص88.

(11) عبارة: "أي بالشَّامِ، إذ كان يومئذٍ مملكة للروم" من كلام المؤلِّفِ.

سَقَيْتُهُ اللَّبَنَ، فتُضَمُّ إِلَى مُرْضِعَاتِهِ آمِنَةَ وحَلِيمَةَ وثويْبَة[1] وأمّ أيْمن، والحافظ حجة وامرأة كضرة[2]، وثلاث أبكار وأمّ فروة وخولة[3]. وأَضْجَعْتُهُ فلَمْ أَنْشَبْ أنْ غَشِيتْني ظُلْمَةٌ ورُعْبٌ وقشْعَرِيرَةٌ ثُمَّ غيب عَنِّي، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يقُولُ: أَيْنَ ذَهَبَ بِهِ؟ قالَ: إِلَى الْمَشْرِقِ. قالَتْ: فلَمْ يَزَل الْحَدِيثُ مِنِّي علَى بَالٍ حتَّى بَعَثَهُ اللهُ، فكُنْتُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا[4].

وهذَا يُنَافِي مَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ عِنْدَ وِلَادَتِها أَحَدٌ، ولَعَلَّ المُرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ ثُمَّ حَضَرَتْ عِنْدَ الوَضْعِ.

قالَ حسّان بن ثابت: إِنِّي لَغُلَامٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَعْقِلُ ما رَأَيْتُ وسَمِعْتُ، إِذَا يَهُودِيٌّ يَصْرُخُ ذاتَ غَداةٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُود فاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وأَنَا أَسْمَعُ، قالُوا: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قالَ: طلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الذِي وُلِدَ بِهِ اللَّيْلَةَ[5].

وعَنْ عائِشَةَ: كانَ يهُودِيّ قَدْ سَكَنَ مَكَّةَ، أَيْ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَتَحَسَّسُ خَبَرَهُ ﷺ[6]. قال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُم اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قالُوا: لَا نَعْلَم. قَالَ: انْظُرُوا فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلامَةٌ. فانْصَرَفُوا فقِيلَ لَهُمْ: قَدْ وُلِدَ لعبد الله بن عَبد المطّلِب غلامٌ. فذَهَبَ اليَهُودِيُّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ فأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ، فلَمَّا رأَى الْيَهُودِيُّ العَلَامةَ؛ أي: الْخَاتم[7]، خَرَّ مَغْشِيًّا علَيْهِ، وقَالَ: ذَهَبَت النُّبُوءَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائيلَ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا واللهِ ليَسْطُوَنَّ بِكُمْ سطْوَةً يَخْرُجُ خبَرُهَا إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ[8]. ونَقُول هِيَ وَقْعَةُ بَدْرٍ، واللهُ أَعْلَمُ.

قال قائلٌ:

ضَـــاءَتْ لِمَوْلِـدِهِ الآفَـاقُ وَاتَّصَـــلَـتْ ... بُشْـــرَى الهَوَاتِفِ فِي الإِشْـــرَاقِ وَالطّفلِ
وَصَـــرْحُ كِسْـــرَى تَـدَاعَى مِنْ قَوَاعِـدِهِ ... وَانْقَضَّ مُنْكَسِـــرَ الْأَرْجَـاءِ ذَا ميَـل
وَنَـارُ فَـارِسَ لَمْ تُوقَـدْ وَمَـا خَمـدَتْ ... مُـذْ أَلْفِ عَـامٍ وَلَهْوُ الْقَوْمِ لَمْ يَسِـــلِ

(1) في الأصلِ: توبية.

(2) عبارة لم أفهم معناها.

(3) عبارة: "أي: سقيتُهُ اللَّبَنَ... وأم فروة وخولة" من كلام المؤلف، أضافها على الهامِشِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/129-130، نقلا عن أبِي نعِيم دون ذكر المصدرِ.

(5) (م، س)، 1/130 عن البيهقِي وأبِي نعِيم دون ذكر المصدرِ.

(6) عبارة: "أي: أربعين سنةً، يتحسَّسُ خبرَهُ ﷺ" ليست في المواهب.

(7) أي: الخاتم، ليست في المواهِب.

(8) المواهب اللدنيّة، القسطلَّاني، 1/130.

خَرَّتْ لِـمَبْـعَثِـهِ الْأَوْثَـانُ وَانْـبَـعَثَـتْ ثَوَاقِبُ الشُّـهْبِ تَرْمِي الْجِنَّ بِالشُّـعلِ[1]

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: وُلِدَ ﷺ مَعْذُورًا؛ أيْ: مَخْتُونًا، مَسْرُورًا؛ أيْ: مَقْطُوعَ السُّرَّةِ[2].

وعَنْ أَنَس أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ: ((**مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُونًا، لَمْ يَرَ أَحَدٌ سَوْأَتِي**))[3]. قالَ [101ظ] ابْنُ عُمَر: وُلِدَ النَّبِيءُ ﷺ مسْرُورًا مَخْتُونًا[4].

ويُقالُ: تَوَاتَرَت الأَخْبَارُ أَنَّهُ وُلِدَ مَخْتُونًا ﷺ[5] واعْترضَ ادِّعَاء التَّواتُرِ، ولَعَلَّ مرَاد مَنْ قَالَ بِهِ اشْتِهارُ الأَخْبَارِ وكَثْرَتُهَا لَا التَّواتُرُ الْمُصْطَلَح علَيْهِ[6]. وضَعَّفَ بَعْضُهُم أحَادِيثَ كَوْنِهِ وُلِدَ مَخْتُونًا[7]. ولَيْسَ ذلِكَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ فإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وُلِدَ مَخْتُونًا[8].

والْعَرَبُ تَزْعمُ أنَّ الغُلَامَ إِذَا وُلِدَ فِي القَمَرِ فسخت قُلْفَتُهُ؛ أي اتَّسَعَتْ، وصَارَ كالمخْتُونِ[9].

قال ابنُ الكلبي: بَلَغَنَا أَنَّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا آدَمَ وشِيتَ وإِدْرِيسَ ونُوحا وساما ولُوطًا ويُوسُف ومُوسَى وسُلَيْمَان وشُعَيْبًا ويَحْيَى وهُودا وصَالِحا وسيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ علَيْهِ وعلَيْهِمْ وُلِدُوا مَخْتُونِينَ[10].

ومَعْنَى الْخَتْنِ فِي ذَلِكَ، خَلْقُهُ علَى صُورَةِ الْمَخْتُونِ، ولَيْسَ سَامُ نَبِيًّا خِلَافًا لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ وللسّمرقندي.

وقِيلَ خَتَنَهُ جدُّهُ عبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ؛ أيْ: أَمَرَ بِهِ فخُتِنَ، وصَنَعَ لهُ مَأْدُبَةً وسمَّاهُ مُحَمَّدا. وهُوَ مَرْوِيٌّ عن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا[11].

وعنْ أَبِي بَكْر: ختَنَهُ جِبْرِيلُ عِنْدَ حَلِيمَةَ، بِفَتْحِ الحَاءِ وكَسْرِ اللَّامِ، حينَ طَهَّرَ قَلْبَهُ[12]. قالَ الذَّهَبِيّ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ[13].

والختْنُ: قَطْعُ القُلْفَةِ التِي تُغَطِّي الْحَشَفَةَ مِنَ الرَّجُلِ، أَوْ بَعْض الْجِلْدَةِ التِي فِي أَعْلَى فَرْجِ الْمَرْأَةِ.

---

(1) المواهب اللدنيّة، القسطلَّاني ، 132/1، الأبيات من البسيط، من الشُّقراطسِيَّة. ينظر: مقال: من أروع الشعر أنجم السياسية وقصائد أخرى، عبد الله كنون، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع53، 92/1، صفر 1399 – يناير 1979م. الشقراطسِي: أبو محمد عبد الله بن أبِي زَكريا يحيى بن علِي، ت:415هـ. سبقت ترجمته.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 133/1، عن ابن عساكر دون ذكرِ المصدرِ.

(3) المعجم الأوسَط، حدِيث (6148) وغيرِهِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 133/1، عن ابن عساكر دون ذكر المصدرِ.

(5) المستدرك، حدِيث (4177).

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 133/1–134، بتصرُّف عن الحافظ الذهبِي دون ذكر المصدرِ.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، حكاية عن الحافظ زين الدين العراقِي، عن الكمال بن العدِيم.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، عن ابن القيم دون ذكر المصدرِ.

(9) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، حكاية عن ابن حجر، فتح البارِي، 340/10.

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، نقلا من الوشاح لابن دريد عن ابن الكلبِي.

(11) التمهِيد، ابن عبد البر، 140/23، وغيرِهِ.

(12) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 135/1–136، عن ابن القيم وغيره، دون ذكر المصدرِ.

(13) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 136/1.

وهُوَ واجِبٌ في حَقِّ الرِّجَالِ مُسْتَحَبٌّ فِي حَقِّ النِّسَاءِ[1].

وأَمَّا حديثُ أسامَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ**))[2] فمعناهُ سُنَّةُ الوُجُوبِ، أَلَا تَرَى أَنَّ خِتَانَ النِّسَاءِ أَيْضًا سُنَّةٌ؛ أَيْ: غَيْرُ وَاجِبَةٍ، فلَوْلَا وجُوبُهُ فِي الرَّجُلِ لَمْ يَخُصَّهُ فيهِ بِالسُّنَّةِ، ويَدُلُّ علَى الْوُجُوبِ قوْلُهُ تعالَى: ﴿**أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾[3] والأَمْرُ لِلْوُجُوبِ. ومَنْ يَقُلْ إِنَّ الخِتَانَ غَيْرُ وَاجِبٍ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهيمَ طُولِبَ بِالدَّلِيلِ.

وقَوْلُه ﷺ لِرَجُلٍ أَسْلَمَ: ((**أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الكُفْرِ وَاخْتَتِنْ**))[4] وإِلقَاءُ الشَّعْرِ قَامَ الدَّليلُ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِهِ، ولَمْ يَقُمْ عَلَى الْخِتَانِ مَعَ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ شَعْرَ الْكُفْرِ مَا يُوجِبُ الإِسْلَامُ قطْعَهُ كالشَّارِبِ والإِبِطِ والْعَوْرَةِ. وأَمَّا كوْنُ القُلْفَةِ تَحْبِسُ النَّجَسَ وتَمْنَعُ الصَّلاةَ فكذَلِكَ يدُلُّ، لَكِنْ يَقُولُ الْخَصْمُ هَذِهِ دَعْوَاكُمْ. وقَالَ مَالِك وأبُو حَنِيفَةَ وبَعْضُ الشَّافِعِيَّة بِعَدَمِ وجُوبِهِ. وبالوُجُوبِ قُلْنَا نَحْنُ وسحنون وجُمْهُورُ الشَّافِعِيَّةِ.

وحِكْمَةُ الخِتَانِ أَنَّ الإِسْلَامَ وَسَطٌ لَا إِفْرَاطَ ولَا تَفْرِيطَ فَإِنَّ الْحَشَفَةَ قَوِيَّةُ الْحِسِّ، فمَا دامَتْ مَسْتُورَةً بالْقلفَة تَقْوَى اللَّذَّةُ عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ، فإِذَا قُطِعَت القلفَةُ تَصَلَّبَت الحَشَفَةُ فضَعُفَت اللَّذَّةُ، فهِيَ لذَّةٌ بَيْنَ عَدَمِهَا أَلْبَتَّة، كما يَقْطَعُ بَعْضُ النَّاسِ قضِيبَهُمْ أو يَعْمَلُونَ الأَدْوِيَةَ حَتَّى تَكُون الْمَرْأَةُ عنْدَهُمْ كالْحَجَرِ كمَا تَفْعَلُ الْمَانَوِيَّة[5][6]، وبَيْنَ لَذَّةٍ قَوِيَّة جِدًّا بإِبْقَاءِ الْقُلْفَة. والْمَذْهَبُ أَنَّهُ يَجِبُ علَى الْوَلِيِّ وقائِمِ الْيَتِيمِ خَتْنُ الصَّبِيِّ قَبْلَ البُلُوغِ، وبِهِ قالَ بَعْضُ الشّافعيّة. وقال جُمْهُورُهُم: إِنَّهُ لا يَجِبُ إِلَّا بعْدَ الْبُلُوغِ، كما رَوَى البُخَارِي: ((**أَنّه سُئِلَ ابْنُ عَبَّاس مِثْلُ** [102و] **مَنْ أنْتَ حِينَ قُبِضَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ فقَالَ: أَنَا يوْمَئِذٍ مَخْتُونٌ، وكَانُوا لَا يَخْتِنُونَ الرَّجُلَ حَتَّى يُدْرِكَ**))[7]. قُلْنَا: لَعَلَّ الْمُرَادَ بالْإِدرَاكِ الْقُوَّةَ، أو الْمُرَاهَقَة لَا نَفْسُ الْبُلُوغِ.

واخْتُلِفَ في عامِ ولَادَتِهِ ﷺ الأَكْثَرُ أَنَّه عام الفِيلِ، وبِهِ قالَ ابْنُ عَبَّاس، ومِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَكَى الاتِّفَاقَ علَيْهِ، وقالَ: كُلُّ قَوْلٍ يُخَالِفُهُ وَهمٌ والْمَشْهُورُ أَنَّه وُلِدَ بَعْدَ الفِيلِ بِخَمْسينَ يَوْمًا، وإِلَيْهِ ذَهَبَ

---

(1) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 136/1، بتصرُّف.

(2) مسند أحمد حدِيث (20719).

(3) سورة النحل: 123.

(4) سنن أبي داود، حدِيث (356).

(5) المانوية: أشهر العقائد وأكثرها اتباعا في بلاد فارِس بعد عقيدة زرادشت، نسبة إلى ماني بن فاتك، الفيلسوف الفارسي الذي ولد عام 215م. ظهر في زمان سابور بن أردَشِير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. الملل والنحل، الشهرستاني، 49/2، وموسوعة الأديان، سعدون محمد الساموك، 1/ 94.

(6) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 261/20.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (6299).

السُّهَيْلِيّ وجماعَةٌ، وقِيلَ بَعْدَهُ بِخَمْسٍ وخَمْسِينَ يَوْمًا، وقِيلَ: بِشَهْرٍ، وقِيلَ بأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وقِيلَ: بَعْدَ الفِيلِ بِعَشْرِ سِنِينَ، وقِيلَ: قَبْل بِخَمْسَ عشْرَةَ سَنَة، والْمَشْهُورُ أَنَّهُ بعْدَ الْفِيلِ؛ لِأَنَّ قِصَّةَ الفِيلِ تَوْطِئَةٌ لنُبُوءتِهِ وتقدمه لظُهُورِهِ وبَعْثِهِ، وإِلَّا فأَصْحَابُ الفِيلِ كانُوا نَصَارَى أَهْلَ كِتَابٍ، وكانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كانُوا عُبَّاد أَوْثَانٍ، فنَصَرَهُمْ اللهُ علَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لا صُنْعَ فِيهِ لِلْبَشَرِ، إِرْهَاصًا لِلنَّبيءِ ﷺ الذِي خَرَجَ مِنْ مَكّةَ، وتعْظيمًا لِلبلَدِ الْحَرَامِ[1].

واخْتُلِفَ أَيْضًا فِي الشَّهْرِ الذِي وُلِدَ فيهِ والْمَشْهُورُ أَنَّهُ وُلِدَ فِي شهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّل، وهُوَ قَوْلُ جمَاهِيرِ العُلَمَاءِ. ونَقَلَ ابنُ الْجَوْزِي الاتِّفَاقَ علَيْهِ. ولَيْسَ كذَلِكَ، فقَدْ قِيلَ: فِي صَفَر، وقِيلَ: فِي رَبِيع الثَّانِي، وقِيلَ: فِي رَجَب، ولَا يَصِحُّ، وقِيلَ: فِي رَمَضَانَ، وهُوَ مَرْوِيٌّ عَن ابْنِ عُمَر بِسَنَدٍ لَا يَصِحُّ، وهُوَ مُوَافِقٌ لِمَنْ قَالَ: حَمَلَتْ بِه أُمُّهُ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وأَغْرَبَ مَنْ قَالَ: فِي عَاشوراءَ[2].

وكَذَلِكَ اخْتُلِفَ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، فَقِيلَ: غَيْرُ مُعَيَّنٍ، إِنَّما وُلِدَ يَوْمَ الاثْنَيْن مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ، والْجمْهُورُ علَى التَّعْيِينِ، فقِيلَ: لِلَيْلَتَيْنِ مضَتَا مِنْهُ، وقِيلَ: لِثَمَانٍ مَضِينَ منْهُ، وهُوَ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ونُقِلَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ وجبيْر بن مطْعم، وهُوَ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِهَذا الشَّأْنِ، واخْتَارَهُ الحميدي[3] وشَيْخُهُ ابْنُ حَزْم. ويقَالُ: أَجْمَعَ علَيْهِ أَهْلُ الزِّيج[4]. ورَوَاهُ الزّهريّ عَنْ محمّد بن جبير بنِ مطعم، وكَانَ عَارِفًا بِالنَّسَبِ وأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَخَذ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ جبير[5].

وأَهْلُ الزِّيجِ: أَهْلُ الْمِيقَاتِ. والزِّيجُ لُغَةً: خَيْطُ البَنَّاءِ، وجُعِلَ عَلَمًا لِعِلْمِ الْمِيقَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ يُعَوِّلُونَ علَى الْخَيْطِ فِي أَخْذِ اسْتِوَاءِ النُّجُومِ.

وقِيلَ: لِعَشْرٍ، وقِيلَ: لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وعَلَيْهِ يُحْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ مَكّةَ فِي زِيَارَتِهِم مَوْضِعَ مَولِدِهِ فيه. وَقِيلَ: لِسَبْعَ عَشْرَةَ، وقِيلَ: لِثَمَانَ عَشْرَةَ، وقِيلَ: لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْهُ، وقِيلَ: هَذَانِ القَوْلانِ غَيْرُ صَحِيحَيْنِ عمَّنْ حُكِيَا عَنْهُ، والْمَشْهُورُ أَنَّه وُلِدَ ثَانِي عشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاق وغَيْرِهِ. وإِنَّمَا كانَ فِي شَهْرِ رَبِيع الْأَوَّلِ علَى الصَّحيحِ، ولَمْ يَكُنْ فِي رَمَضَانَ ولَا فِي الْمُحَرَّمِ ولَا فِي رَجَب، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهورِ ذَوَاتِ الشَّرَفِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَا يتَشَرَّفُ بِالزَّمَانِ، وإِنَّمَا الزَّمَانُ يَتَشَرَّفُ بِهِ كَالأَمَاكِنِ، فلَوْ وُلِدَ

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/139-140 بتصرف.

(2) (م، س)، 1/140 بتصرف.

(3) محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدِي الحميدِي الميورقِي، محدث أصُولِي مؤرِّخ، سمع من ابن عبد البَرِّ وابن حزم الظاهِرِي ورحل إلى المشرِق، توفي ببغداد سنة 488هـ، من تصانِيفِهِ: جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلُسِ، تسهِيل السَّبِيلِ إلى علم التَّرْسِيل. سِير أعلام النبلاء، الذهَبِي، 19/120، ومعجم المؤلِفِين، رضا كحالة، 3/583.

(4) الزيج: خيْطُ البَنَّاءِ وهو المِطْمَر، فارِسِي معرَّب. لسان العرب (زيج).

(5) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/140-141.

فِي شَهْرٍ مَشْهُورٍ بِالشَّرَفِ لَتُوهِّمَ أَنَّهُ تَشَرَّفَ [102ظ][1] بِهِ. فجَعَلَ اللهُ مَوْلِدَهُ فِي غَيْرِهَا لتَظْهَرَ عنَايَتُهُ بِهِ وكَرَامَتُهُ عَلَيْهِ، وإِذَا كانَ يَوْمُ الجُمعَةِ الذِي خُلِقَ فيهِ آدَمُ عليه السلام خصَّ بسَاعَةٍ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يسْأَلُ اللهَ فيهَا خَيْرًا إِلَّا أعطَاهُ إيَّاهُ، فمَا بَالُكَ بِالسَّاعةِ التِي وُلِدَ فيهَا سَيِّدُ المرْسَلِينَ، ولَمْ يَجْعَل اللهُ تعَالَى فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ، يوْم مولِدِهِ عليه السلام مِنَ التَّكْلِيفِ بالعِبادَاتِ مَا جَعَلَ فِي يَوْمِ الجمُعَةِ المخْلُوقُ فيهِ آدَمُ مِن الْجُمُعَةِ والْخُطْبَة وغَيْرِ ذلِكَ إِكْرَامًا لِنبِيئِهِ ﷺ بالتَّخْفِيفِ عن أُمَّتِهِ بِسَبَبِ عنايَةِ[2] وجُودِهِ. قال اللهُ تعالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[3] ومِنْ جُمْلَةِ الرَّحْمَة بِهِ عَدَمُ التَّكلِيفِ بِأَمْرٍ زَائِدٍ علَى سائِرِ الأيَّامِ. فعَنْ قتادة الأنصاريّ أَنَّه سُئِلَ رسُولُ اللهِ ﷺ عنْ صِيَامِ يوْمِ الاثْنَيْنِ فقالَ: ((**ذَلِكَ يَوْم وُلِدْتُ فِيهِ وأُنْزِلَتْ علَيَّ فِيهِ النُّبُوءَةُ**))[4] وهذَا يَدُلُّ علَى أَنَّهُ وُلِدَ نَهَارًا[5].

وعَن ابْنِ عبَّاس: وُلِدَ ﷺ يوْمَ الاثْنَيْنِ واسْتُنْبِئَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الاثْنَيْن، ودَخَلَ الْمَدِينَةَ يوْمَ الاثْنَيْنِ، ووَضَعَ الْحَجَرَ يوْمَ الاثْنَيْنِ[6]. رَفَعَهُ إِلَى موْضِعِهِ ﷺ ووَضَعَهُ فِي مَحَلِّهِ مِنَ الرُّكنِ حِينَ بَنَتْهُ قُرَيْشٌ[7]. وكذَا قِيل حمل يَوْمَ الاثْنَيْنِ. وفَتَحَ مَكَّةَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، ونَزَلَتْ سورَةُ الْمَائدَةِ يَوْمَ الاثْنَيْن[8].

ورُوِيَ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ عِنْدَ طلُوعِ الْفَجْرِ. فعِنْدَ[9] عبْد الله بن عمْرو بن العاصي كانَ بِمرّ الظهران رَاهِبٌ يُسَمَّى عيصى، مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. وكانَ يقُولُ: يُوشِكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ موْلُود تَدِينُ لهُ الْعَرَبُ، أَيْ: تَخْضَعُ[10]، ويمْلِك الْعَجَم هذَا زَمَانُهُ، وكَانَ لَا يُولَدُ بِمَكَّةَ موْلُودٌ إِلَّا سألَ عَنْهُ. فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَة الْيَوْمِ الذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حتَّى أَتَى عيصى، فنَادَاهُ فأَشْرَفَ عَلَيْهِ فقَالَ لهُ عيصى: كُنْ أَبَاهُ، أَي: اعْتَقِدْ أَنَّكَ أَبُوهُ، فَقَدْ ولِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُم عنْهُ يَوْمَ الاثْنَيْن، ويُبْعَثُ يوْمَ الاثْنَيْنِ وَيمُوتُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ. قَالَ: وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ مَعَ الصُّبحِ مَوْلُودٌ، قالَ: فَمَا سَمَّيْتَهُ؟ قالَ: مُحَمَّد، قالَ: واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أنْ يكُونَ هَذَا الْمَوْلُودُ فيكُمْ أَهْلَ

---

(1) على الهامش: من أوله إلى هنا عشر كراريس عارية عند عمِّنا الحاج أحمد بن صالح بن عمر يرجعون لمالكِهِ محمد بن إبراهيم كله.

(2) في المواهب اللدنية: غاية.

(3) سورة الأنبياء: 107.

(4) ورد بمعناهُ فِي صحيح مسلِم، حدِيث (1162).

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/142-143.

(6) (م، س)، 1/143.

(7) عبارة "رفعه...قريش" أضافَها المؤلِّف على الهامِشِ.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/143.

(9) خطأ صواب: فعنْ.

(10) أي: تخضَعُ، من كلام المؤلِّفِ.

هَذَا الْبَيْتِ بثلَاثِ خِصَالٍ، فقَدْ أَتَى عَلَيْهِنَّ منْهَا أَنَّه طلَعَ نَجْمُهُ البَارِحَةَ وأَنَّهُ وُلِدَ الْيَوْمَ وأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّد)) روَاهُ [ابْنُ شَيْبَةَ][1] وخَرَّجَهُ أبُو نُعَيْمٍ فِي "الدَّلَائِلِ" بِسَنَدٍ فِيهِ ضُعفٌ[2]. ومَعْنَى مُلْكِهِ الْعَجَمَ، ادِّعَاؤُهُمْ لدِينِهِ رِضًا أَوْ بِقِتَالٍ، فلَا يُنَافِي أَنَّهُ خُيِّرَ فاخْتَارَ النُّبوءَةَ لَا الْمُلْكَ.

ويُقَالُ: كانَ مَوْلِدُهُ ﷺ عِنْدَ طُلوعِ الْغَفْر، بِفَتْحٍ وإسْكَانٍ، وهِيَ ثَلَاثَةُ أنْجُمٍ صِغَارٍ ينزلها الْقَمَر، وهُوَ مَوْلِدُ النَّبِيئِينَ، ووَافَقَ ذلِكَ مِنَ الشُّهورِ الشَّمْسِيَّة نَيْسَان، بِفَتْحِ النُّونِ، وهُوَ بُرْجُ الْحَمَل لعِشْرِينَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْهُ[3].

وَنيسانُ هُوَ سابعُ الْأَشْهُرِ الرُّومِيَّة، والبَدْأ مِنْ أُكْتُوبَر فَنيسَان هُوَ أَبْرِيل. وفِي بَعْضِ الكُتُبِ وُلِدَ فِي بُرْجِ الْحَمَل، وهُو يحتملُ أَنْ يَكُونَ فِي نيسَان وأَنْ يكُونَ فِي آذَارَ، كذَا قِيلَ، ويُشْكِلُ فإنَّ الْحَمَلَ مِنْ بُرُوجِ الرَّبِيعِ، والغَفْر مِنْ [103و] منَازِلِ الْخَرِيفِ.

وذكَرَ أبو معشر البلخي[4] أنّه قال: استَخْرَجْتُ طالِعَ النَّبِيءِ ﷺ عشْرِينَ دَرَجَةً مِنَ الْجَدْيِ وزحَل والْمُشتَرِي فِي ثَلَاثِ درج مِنَ الْمَغْرِبِ، مقْتَرِنَانِ فِي درَجَة وَسَط السَّماءِ والمريخ فِي بَيْتِه فِي الحمل والشَّمْس في الحمل في الشرف والزهرة في الحوتِ في الشرف وعطارد في الحوتِ والقَمَرُ فِي أَوَّلِ الْمِيزَانِ والرَّأس فِي الْجَوْزَاءِ فِي الشرف والذنب فِي الْقَوْسِ فِي الشرف فِي بَيْتِ الإعداد[5].

وذكَرَ القيرواني[6] في "تَنْبِيهِ الْأَنَامِ"[7] أَنَّهُ وُلِدَ فِي عشْرِينَ مِنْ أَبْرِيلَ والشَّمْسُ بِأَوَّلِ الثّور، والزهرة في أبسطِه.....[8] والقَمَرُ بالأَسَدِ، وأَنَّهُ وُلِدَ فِي السَّاعَةِ العَاشِرَةِ مِنْ لَيْلَةِ الاثنَيْن، وأَنَّهُ وُلِدَ بِأَوَّلِ الحُوتِ فِي السَّاعَةِ العَاشِرَةِ مِنْ لَيْلَةِ الاثنَيْنِ، وأنَّ تِلْكَ الطَّوَالِعَ طوَالِعُ النَّبِيئِينَ، وأَنَّهُ وُلِدَ فِي أَبْرِيلَ فِي عِشْرِينَ مِنْهُ مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وثَمَانِينَ وثَمَانِي مئة من تاريخ الإسكندر، وأَنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بثَلَاثٍ وخَمْسِينَ

---

(1) يعني: ابن أبي شيبة.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 143/1-144، لم أقف على الأثَرِ فِي المطبوع من دلائل النبوة لأبِي نعيم. وقد ورد فِي البداية والنهاية، 405/3، ولطائف المعارِف، ابن رجب، ص182.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 144/1.

(4) جعفر بن محمَّد بن عمر البلخِي، المنجِّم البغدادِي ت:272هـ، من مصنفاتِهِ: إثباتُ علم النُّجوم، الاختبارات، أسرار النُّجوم. هدية العارفين، البابانِي، 251/1.

(5) الفقرة أضافها المؤلف على الهامِشِ. لم أقف على من نقل النص، ووقفت على كتاب لأبي معشر البلخي، طبعة قديمة، يصعب البحث فيها.

(6) عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عظوم المرادي القيرواني، صوفي، من تصانيفه: تذكرة أهل الإسلام في الصلاة على خير الأنام، تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد ﷺ، ت: 960هـ. معجم المؤلفين، 49/2.

(7) تنبيه الأنام، في بيان علو مقام نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – لعبد الجليل بن محمد بن أحمد بن حطوم المرادي، القيرواني ت:960هـ، جمع فيه: الصلاة على النبي ﷺ المروية، أو المأثورة واستوعب، ثم لخصه. كشف الظنون، 486/1. الكتاب مطبوع في دار الكتب العلمية 2009، لم أقف عليهِ.

(8) كلمة لم أتبيّنها.

سَنَةً بالْهِلَالِ، وأَنَّهُ وُلِدَ سنَةَ ثلاثٍ وسِتّينَ وأَرْبَعِ مئَةٍ وأَرْبَعَةِ آلافِ سَنَةٍ مِنْ مَهْبِطِ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ.

وقِيلَ: وُلِدَ لَيْلًا فَعَنْ عائِشَةَ: كانَ بِمَكَّةَ يهُودِيٌّ يَتَّجِرُ فيهَا فَلَمَّا كانَت اللَّيلةُ التِي وُلِدَ فيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش هلْ وُلِدَ فيكُم اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قالُوا: لا نَعْلَمُهُ، قالَ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيءُ هَذِهِ الأُمَّةِ الأَخِيرَةِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ علَامَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عَرْفُ فَرَسٍ. فَخَرجُوا بالْيَهُودِيّ حَتَّى أَدْخَلُوهُ علَى أُمِّهِ فقالُوا: أَخْرِجِي لنَا ابْنَكِ، فأَخْرَجَتْهُ وكشَفُوا عَنْ ظَهْرِهِ فرأَى تِلْكَ الشَّامَةَ، فوَقَعَ مَغْشِيًّا عليْهِ. فلَمَّا أَفَاقَ قالُوا: مَالَكَ وَيْلَكَ؟ قالَ: ذَهَبَتْ واللهِ النُّبُوءَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1].

والصَّحِيحُ أَنَّهُ وُلِدَ نَهَارًا، وَعُورِضَ بمَا مَرَّ مِنْ تَدَلِّي النُّجُومِ، وأُجيبَ بِصُلُوحِ ظهُورِهَا وتَدَلِّيهَا نَهارًا؛ لأَنَّ زَمَانَ النُّبُوءَةِ صَالِحٌ لِلْخَوَارِقِ[2].

وأَيْضًا يُقالُ: وُلِدَ بَعْدَ الْفَجْرِ، والوَقْتُ فَجْرٌ إِلَى طلُوعِ الشَّمْسِ، وفِيهِ بَقِيَّةُ النُّجُومِ. أوْ سُمِّيَ لَيْلًا لِجِوَارِ اللَّيْلِ علَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ مِنَ النَّهَارِ، وعَلَى أَنَّهُ وُلِدَ لَيْلًا فلَيْلَةُ الْمَوْلِدِ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّها لَيْلَةُ ظُهُورِهِ ﷺ. ولَيْلَةُ القَدْرِ مُعْطَاةٌ لهُ ومَا شَرفَ بِظُهُورِ ذاتِ الْمُشَرَّفِ مِنْ أَجْلِهِ أَشْرَفُ مِمَّا تَشَرَّفَ بِسَبَبِ مَا أُعْطِيَهُ، ولا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ. ولأَنَّ ليْلَةَ القَدْرِ شَرُفَتْ بِنُزُولِ الْمَلَائكَةِ فِيهَا، ولَيْلَةُ الْمَوْلِدِ شَرُفَتْ بِظُهُورِهِ ﷺ فيهَا والنَّبِيءُ ﷺ أَفْضَلُ منَ المَلَائكَةِ علَى الْأَصَحّ، ولِأَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وقَعَ التَّفَضُّلُ فِيهَا على أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ولَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وَقَعَ التَّفَضُّلُ فِيهَا عَلَى سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ فَهِيَ أَعَمُّ نَفْعًا[3].

قلْنَا: لَيْلَةُ القَدْرِ متجَدِّدَةٌ كُلَّ سَنةٍ، وجَاءَ تَفْضِيلُهَا علَى اللَّيَالِي بَعْدَ حصُولِ لَيْلَةِ الْمَوْلِدِ، فَلَيْلَتُهُ دَاخِلَةٌ فِيمَا فضلَتْ عَلَيْهِ لَيْلةُ الْقَدْرِ.

ومَوْلِدُهُ رِبِيعٌ لِلْقُلُوبِ، كمَا أَشَارَ إِلَيْهِ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: "فَيَا لِرَبِيعِ" قال قَائِلٌ:

يَـقُـولُ لَـنَـا لِسَـــانُ الْـحَـالِ مِـنْـهُ ... وَقَـوْلُ الْـحَـقِّ يَـعْـذُبُ لِـلسَّـــمِـيعِ

فَـوَجْـهِي وَالـزَّمَـانُ وَشَـــهْرُ وَضْـــعِي ... رَبِـيـعٌ فِـي رَبِـيـعٍ فِـي رَبِـيـعِ[4]

ووُلِدَ ﷺ في الدَّارِ التِي كَانَتْ لِمحمّد بنِ يوسف، أَخِي الْحَجَّاج. وقِيلَ: فِي شِعْبِ أَبِي طَالِب، وقِيل: بِالرّدم، وقِيلَ: بعسفان[5]. وصَوَّبَ بعضٌ أَنَّهُ وُلِدَ في الشِّعبِ، والمشْهُورُ أَنَّهُ بالْمَسْجِدِ الْمَشْهُورِ الآنَ بالْمولِدِ، وهُوَ الدَّارُ المذكورةُ.

والقَوْلُ بِأَنَّهُ وُلِدَ بعسفان شاذٌّ لا مُعَوَّل علَيْهِ؛ فَمِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّهُ وُلِدَ بمكَّةَ ودُفِنَ بِالْمَدِينَةِ.

---

(1) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4177).

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 145/1، عن بدر الدين الزركشِي بتصرُّف.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 145/1، بتصرُّف.

(4) البيتان من الوافر. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 146/1، لم يذكر أنها لشاعر، وكأنه هو القائل.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 146/1.

قال بَعْضُ شُرَّاحِ الْهَمْزِيَّة: صَرَّحَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا، يعْنِي الشَّافِعِيَّة، إِنَّ أَوَّلَ واجِبٍ علَى الأَوْلِيَاءِ أن يُعلِّموا صِبْيَانَهُم أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وُلِدَ بمَكَّةَ ودُفِنَ بِالْمَدِينةِ[1]. بلْ إِنْكارُ ذَلِكَ كُفْرٌ لاستِلْزَامِهِ إِنْكَارَ وُجودِ النَّبِيءِ ﷺ.

وَلـمَّا وُلِدَ النَّبِيءُ ﷺ هتَفَ هَاتِفٌ علَى الحجون[2]:

فَـأُقْسِـــمُ مَـا أُنْثى مِنَ النَّـاسِ أَنْجَبَـتْ وَلَا وَلَـدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّـاسِ وَاحِـدَه

كَمَـا وَلَـدَتْ [103ظ] زهْرِيَّـةٌ ذَاتُ مَفْخَر مُـجنِّبَـة لَـوْمَ الْقَـبَـائِـلِ مَـاجِـدَه[3]

يَعْنِي آمِنَة بِنْتَ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَةَ بنِ كلاب بنِ مُرَّة. وهِيَ تَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ جِهَةِ آبائِهَا فِي كلاب. وكانَ وَهْبٌ سَيِّدَ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا. وأُمُّ آمِنَةَ مرّة بنْت عبد العزَّى بنِ قُصَيّ بنِ عَبْدِ الدَّارِ بنِ قُصَيّ بنِ كلَاب.

ووُلِدَ ﷺ فِي رَبِيع لِأَنَّهُ أعْدَلُ الفُصُولِ، لَيْلُهُ ونَهَارُهُ مُعْتَدِلَانِ بَيْنَ الْحَرّ والْبَرْدِ، ونسِيمُهُ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ الرُّطُوبَةِ والْيُبُوسَةِ وشَمْسُهُ مُعْتَدِلَةٌ فِي الْعُلُوّ والْهُبُوطِ، وهُوَ زَمَانُ انْشِقَاقِ الأَرْض بالنَّبَاتِ، والشَّجَرِ بالنّوارِ، كمَا أَنَّهُ مَنْبَعُ أَنْوَارِ الدِّين.

وإِذَا قُلْنَا: وُلِدَ ﷺ نهَارًا فالظَّاهِرُ أنَّ وَقْتَ ولادَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ وَقْتِ بَعْثِهِ؛ لِأَنَّ وِلَادَتَهُ نِعْمَةٌ على الْعَالَمِينَ، وبَعْثُهُ مُتَرَتِّبٌ علَيْهِ، فالْوُجُودُ أَصْلٌ والبِعْثَةُ طارِئَةٌ علَيْهِ، وقَدْ يُقَالُ: وَقْتُ بِعْثَتِهِ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بالذَّاتِ إِثْبَاتُ شَرِيعَةِ التَّوْحِيدِ ومَا يَتْبَعُهُ.

وهَلْ مَوْضِعُ ولادَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ مَدْفَنِهِ؟ الجوَابُ أَنَّ مدْفنَهُ أفْضَلُ لِتَبَيُّنِهِ بلَا خِلافٍ فيهِ، ولِلْاتِّفَاقِ علَى تأْكيدِ زِيَارَتِهِ، ولَا اتِّفاقَ علَى تأْكِيدِ زِيَارَةِ موْضِعِ وِلَادَتِهِ، ولَا حيفَ فِيمَنْ لَمْ يَزُرْهُ بِخِلَافِ مَنْ حَجَّ ولَمْ يَزُرْ قَبْرَهُ ﷺ بَلْ هُوَ فِيهِ حَيٌّ، ولَا اتِّفَاقَ علَى تَعْيِينِ مَوْضعٍ وُلِدَ فِيه وَقَدْ مَرَّ الْخِلَافُ فيهِ.

ومِنَ الأَقْوالِ فيهِ: أَنَّهُ وُلِدَ بِدَارِ محمّد بن يوسُف، أخِي الْحَجَّاجِ، بزقاق المدكك، وكانت قَبْلُ فِي يَدِ عقيل بنِ أَبِي طَالِب[4].

قِيلَ: إِنَّ النَّبيءَ ﷺ وَهَبَهَا لَهُ، فلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حتَّى تُوُفِّيَ، فبَاعَهَا وَلَدُهُ مِنْ محمّد بن يوسف، وقِيلَ: إِنَّ عقيلا باعَهَا بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيءِ ﷺ وهِجْرَةِ عَلِيٍّ تَبَعًا لِقُرَيْش حينَ بَاعُوا دُورَ الْمُهَاجِرِينَ[5].

---

(1) ربما هو "المنح المكية في شرح الهمزية" المسمى أفضل القرى لقراء أم القرى. لم أقف على المطبوع.

(2) الحجون: الحجن الاعوجاج، ومنه غزوة حجون التي يظهر الغازي الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره، وقيل: هي البعيدة. والحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. وقيل غير ذلك. معجم البلدان، 225/2.

(3) البيتان من الطويل، هواتف الجنان، ابن أبي الدُّنيا، ص60.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 257/1.

(5) (م، س)، 257/1، نقلا عن ابن الأثير دون ذكر المصدرِ.

فأَدْخَلَ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ ذَلِكَ الْبَيْتَ الذِي وُلِدَ فيهِ ﷺ فِي دَارِهِ التِي يقَالُ لَهَا الْبَيْضَاء، ولَمْ تزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى حَجَّتْ خيزران، جَارِيَةُ الْمَهْدِي، أمُّ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فأَفْرَدَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ وجَعَلَتْهُ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ[1].

وقِيلَ: بَنَتْها زبيدة زوجةُ[2] هَارُون الرَّشِيد مَسْجِدًا حِينَ حَجَّتْ، وهِيَ عِنْدَ الصَّفَا[3]. وقِيلَ: فِي شِعْبِ أَبِي طالِب. وقِيلَ: شِعْبِ بَنِي هَاشِم[4]؛ وَهُمَا وَاحِدٌ، وهُوَ مِنَ الطَّرَفِ الشَّرْقِيِّ لِمَكَّةَ. ويُبْحَثُ فِي ذَلِكَ بِأَنَّ بيْنَ الشِّعْبِ والصَّفَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ. وقِيلَ: فِي الرَّدْمِ، ردم بني جمح، ويُقَالُ: بعسفان عَلَى سِتَّةٍ وثلاثِينَ ميلًا مِنْ مَكَّةَ[5].

وعَلَى كُلِّ قَوْلٍ قَدْ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ مَوْضع وُلِدَ فِيهِ، ولا يَتَنَافَى قَبْضَاته، بَلْ تَجْتَمِعُ فتَارَةً قَبَضَ بِيَدِهِ التُّرَابَ وتَارَةً رَفَعَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ، وتَارَةً رَفَعَ إِحْدَاهُما، وتَارَةً قَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا، وتَارَةً قَبَضَ عَلَى حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، وتَارَةً عَلَى خَضْرَاءَ وتَارَةً رُئِيَ ساجِدًا، وتَارَةً رَافِعًا رَأْسَهُ لِجِهَةِ السَّماءِ. وقَبْضُ التُّرابِ: غَلَبَتُهُ [104و] لِأَهْلِ الْأَرْضِ، والرَّفعُ إِلَى السَّمَاءِ: عُلُوُّ مَقَامِهِ، وسُجُودُهُ: قُرْبُهُ مِنْ رَبِّهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**))[6].

الْفَصْلُ الثَّالِث: فِي صَدْعِ إِيوَانِ كِسْرَى ونَحْوِه:

الإِيوَانُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ بَعْدَها يَاءٌ، ويُقَالُ أَيْضًا: إِوَانٌ بِإِسْقاطِ الْيَاءِ ككِتَاب، وهُوَ الصُّفَّةُ العَظِيمَةُ، وهُوَ بَيْتٌ مَبْنِيٌّ طُولًا غَيْرُ مَسْدُودِ الْوَجْهِ. فهُوَ صُفَّةٌ طَوِيلَةٌ واسِعَةٌ وقِيلَ: بَيْتٌ عَالٍ، وقِيلَ: بَيْتٌ كَبِيرٌ مُسْتَطِيلٌ ذُو شُرُفَاتٍ، وقِيلَ: بَيْتُ الْمَلِكِ الْمُعَدُّ لجُلُوسِهِ معَ أَرْبَابِ مَمْلَكَتِهِ لِتَدْبِيرِ مُلْكِهِ.

وكِسْرى بِفَتْحِ الْكَافِ وكَسْرِهَا وَهُوَ مُعَرَّبُ قسر[7]، ومَعْنَاهُ: وَاسِعُ الْمُلْكِ وهُوَ أنو شروان. لَمَّا وُلِدَ رسُولُ اللهِ ﷺ انْشَقَّ إِيوانُهُ شَقًّا بَيِّنًا آلَ بِهِ إِلَى خَرَابِهِ مَعَ ما هُوَ عَلَيْه مِنَ الإِتْقَانِ الذِي يُظَنُّ أَنَّهُ لا يَهْدِمُهُ إِلَّا نَفْخُ الصُّورِ، فإِذْ قَدْ تَحَرَّكَ وسَقَطَ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً عُلِمَ بِالْقَطْعِ الْبُرْهَانِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا مَحْض آيَةٍ لَهُ ﷺ لِلْوُجودِ علَى نُبُوءَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا مُلْكَ وَلَا عِزَّ يَبْقَى لِأَحَدٍ مَعَ مُلْكِهِ وَعِزِّهِ.

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 257/1-258، نقلا من تاريخ الخمِيس، الدِّيار بكرِي، 198/1.

(2) في الأصلِ: بنت، والتصحيح من المواهب اللدنية وشرحه.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 258/1، نقلا عن النُّور السَّافِر، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس، ولم أجده في المطبوع منه، وينظر: الرَّوض الأنف، السهيلي، 99/2.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 258/1.

(5) (م، س)، 258/1، بتصرُّف.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (215).

(7) فِي لسان العرب: معرّب هو بالفارسية خُسْرَوْ. مادة (كسر).

وَسِرُّ الْأَرْبَعَ عَشْرَةَ الإِشَارَةُ إِلَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِهِمْ يتَمَلَّكُونَ فيَنْقَطِعُ الْمُلْكُ عنْهُمْ. فَمَلَكَ عَشَرَةٌ فِي أَرْبَعِ سنِينَ وأَرْبَعَةٌ إِلَى زَمَانِ عُثْمَانَ، فُتِحَ فِي زَمَانِ عُمَر ﷺ إِقْلِيمُ فارس، وكسِرَ كِسْرَى وأُهِينَ غايَةَ الْإِهانَةِ وتَقَهْقَرَ إِلى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ ثُمَّ قُتِلَ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ وزَالَ مُلْكُهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

قالَ ﷺ: ((**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَأَمْوَالُهُ وَكُنُوزُهُ تُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللهِ**))[1] فَانْقَطَعَ مُلْكُهُ وزالَ مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، وتَمَزَّقَ مُلْكُهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ؛ لِأَنَّهُ ﷺ دعَا عَلَيْهِ بِذَلِكَ لَمَّا جاءَهُ كتابهُ فمَزَّقَهُ.

وقد بَشَّرَ ﷺ أُمَّتَهُ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ بِمُلْك بلادِهِ، وقَالَ ﷺ لسراقة، وكَانَ مِنْ فُقَرَاءِ أَصْحَابِهِ: ((**كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَي كِسْرَى**))[2] فلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهما إِيَّاهُ إِظْهَارًا لِلْمُعْجِزَةِ، وذَلِكَ عُذْرٌ مُبِيحٌ، وقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أَلْبَسَهُمَا كِسْرَى وأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَة[3].

ولَمَّا رَأَى كِسْرَى ما وَقَعَ بإِيوانِهِ ورَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ الموبذان طَلَبَ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا، فقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ حَدَثٌ يكُونُ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَرَبِ، فآلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ عبرَهَا سطيح وشقّ عَلَى حَدِّ مَا مَرَّ.

وَرُوِي أَنَّ كِسْرَى أَرْسَلَ إِلَى النُّعمَانِ بنِ الْمُنْذِرِ مَلِكِ الْعَرَبِ، أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ أَعْلَمَ مَنْ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْعَرَبِ، فبَعَثَ إِلَيْهِ عبْدَ الْمَسِيحِ بنَ عَمْرو الغَسَّانِي، فدَلَّهُمْ علَى خَالِهِ سطيح بالشَّامِ، فأَمَرَهُ كِسْرَى بِالذَّهَابِ إِلَيْهِ.

وخَمدَتْ فِي تِلْكَ اللَّيلَةِ كُلُّ نَارٍ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْفُرْسِ، وكانُوا يَعْبُدُون النَّارَ ويَشْتَدُّ إِيقادُهُمْ، حَتَّى إِنَّ لَهَا أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ تَخْمُدْ. والفُرْسُ بِضَمِّ الْفَاءِ وإِسْكَانِ الرَّاءِ أُمَّةٌ عظِيمَةٌ، شَمَالَ العراق، مِنَ الْفِرَاسةِ بالْفَتْحِ؛ وهِيَ الشَّجَاعةُ. لمَّا وُلِدَ رَسُولُ اللهِ غَارَتْ عُيُونٌ لَهُمْ.

ومَعْنَى أَنُو شِرْوَانَ: مُجَدِّدُ الْمُلْكِ. وقِيلَ فِيهِ: إِنَّ كِسْرَى مُعَرَّب خسر، وقِيلَ فِي سطيح إِنَّهُ عاشَ سَبْعَ مِئَةِ عامٍ وأَدْرَكَ الإِسْلَامَ ولَمْ يُسْلِمْ، ورُوِيَ أَنَّهُ هَلَكَ عندَمَا وُلِدَ النَّبِيءُ ﷺ.

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ [104ظ] أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ سطيحا لَحْمًا عَلَى وَضَم[4]، يُحْمَلُ فَيُؤْتَى بِهِ حَيْثُ شاءَ ولَا عَصَبَ فِيهِ ولَا عَظْمَ إِلَّا الْجُمجُمَة والعُنُق والكَفَّيْن، وكَانَ يُطْوَى مِنْ تَرْقُوَتِهِ كمَا يُطْوَى الثَّوْبُ، ولَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ يَتَحَرَّكُ إِلَّا لِسَانُهُ[5] ولَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالسَّجْعِ.

ويُقَالُ عَيْنُ ساوَةَ، وبُحَيْرَةُ طبريّة، وسَاوَةُ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ، وطُولُ تِلْكَ الْعَيْنِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ وعُرْضُها

---

(1) ورد بلفظ: ((**إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) صحيح البخارِي، حدِيث (6629).

(2) لم أقف عليه، ينظر: جامع الأصول، 435/12.

(3) القصة في المواهب اللدنية، القسطلَّانِي، 561/3، وغيره.

(4) الوَضَم كلُّ شيء يوضع عليه اللحمُ. لسان العرب (وضم).

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1.

كَذَلِكَ كانَتْ تُحِيلُ العَادَةُ أَنْ يَغيضَ ماؤُهَا لِكَثْرَتِهِ.

وَذَكَرَ بَعْضٌ أنَّ أعْظَمَ الْحَوَادِثِ عِنْدَ مَوْلِدِ النَّبِيء ﷺ انشِقَاقُ إيوَانِ كسْرَى، ثُمَّ بَقَاؤُهُ كذَلِكَ إِلَى زمَانِنا، يَعْنِي عَامَ سِتٍّ وأَرْبَعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ[1]، ثمَّ اللهُ أعْلَمُ إِلَى أَيِّ زَمَانٍ يَبْقَى[2].

قالَ مَخْزُومُ بنُ هَانِئ الْمَخْزُومِيُّ عَنْ أَبِيهِ، وكانَتْ لَهُ مِئَةٌ وخَمْسُونَ سنَةً: لَمَّا وُلِدَ رسُولُ اللهِ ﷺ ارْتَجسَ إِيوانُ كِسْرَى أنُو شِرْوَانَ، فسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وكَانتْ لَهُ اثْنَتَان وعِشْرُونَ شُرفَةً، وانْشَقَّ بِحَيْثُ سُمِع صَوْتُهُ، وبقيَ كذلكَ آيةً. وخمدَتْ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تَخْمدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْف سَنَةٍ، وغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ، وهِيَ بَيْنَ هَمَدَانَ وقُم. وكانَتْ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ فَرَاسِخَ فِي الطُّولِ والْعرْضِ. وكَانَ يُعْبرُ عَنْهَا بِالسَّفِينَةِ، وبَقِيَتْ كَذَلِكَ نَاشِفَةً يابِسَةً علَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى بُنِيَتْ موْضِعهَا مَدِينَةُ سَاوَة الْبَاقيَةُ الْيَوْمَ[3]، يَعْنِي عامَ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ورأَى الْمُوبِذَان كَأَنَّ إِبِلًا صِعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عرابًا، حَتَّى عَبَرَتْ دجْلَة وانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فارِسَ، فلَمَّا أَصْبَحَ تجلد[4] كسرَى وجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، ولَبِسَ تَاجَهُ وأَرْسَلَ إِلَى مُوبذان فقَالَ: يَا موبذان إِنَّهُ سَقَطَ مِنْ إِيوانِي أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً وخَمدَتْ نارُ فارِسَ، ولَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ الْيَوْمِ بِأَلْفِ سَنَةٍ. قالَ الْموبذان: وأَنَا أيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ رَأَيْتُ كأَنَّ إِبِلًا صعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عرَابًا حَتَّى عَبَرَتْ دَجْلَة وانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فَارِسَ. قالَ: فمَا تَرَى ذَلِكَ يَا موبذان؟ وكانَ موبذان أَعْلَمَهُمْ، قال: حَدَثٌ يكونُ مِنْ جانِبِ الْعَرَبِ، فَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى النُّعْمَانِ أَن ابْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا مِنَ العَرَبِ يُخْبِرُنِي عَمَّا أَسْأَلُهُ عَنْهُ، فبَعَثَ إِلَيْهِ عبد المسيح بن حيّان بن عمْرو الغسّانِي، قِيلَ: كانَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِ مِئَةٍ، فقَالَ لَهُ كِسْرَى: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ هَلْ عِنْدكَ عِلْمٌ بِمَا أَسْأَلُكَ عنْهُ؟ فقَالَ: يَسْأَلُنِي الْمَلِكُ فإِنْ كانَ عِنْدِي عِلْمٌ أَعْلَمْتُهُ، وَإِلَّا أَعْلَمْتُهُ بِمَنْ عنْدَهُ عِلْمٌ بِهِ فأَخْبَرَهُ فقَالَ: عِلْمُهُ عِندَ خَالٍ لِي، يسْكُنُ مشَارِفَ الشَّامِ، يُقَالُ لَهُ سَطِيح[5].

واسْمُهُ رَبِيعُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ مَازِن بنِ مَسْعُود بنِ ذِئْب بنِ عَدِيّ بنِ مَازِن بنِ غَسَّانَ[6]. ويُقَالُ: سَطِيح الْغَسَّانِي كَاهِنُ بني ذئْب، لَمْ يَكُنْ كَاهِنٌ مِثْلُه مِنْ بَنِي آدمَ[7].

قِيلَ: لَا عَظْمَ فِيهِ ولَا عَصَبَ. قِيلَ: لِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ مَاءِ امْرَأَتَيْنِ، ووَجْهُهُ فِي [105و] صَدْرِهِ،

---

(1) ينقلُ صاحِبُ تاريخ الخمِيس عن الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندِي في كتاب الأعلام ت:747هـ. ينظر ترجمته: معجم المؤلّفينَ، 781/3.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 200/1.

(3) (م، س)، 200/1-201.

(4) في الأصلِ تحلد، والتصحيح من تاريخ الخمِيس، ومعناه: أَظهر الجَلَد.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 201/1.

(6) سيرة ابن هشام، 15/1.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 201/1.

لَا رَأْسَ لَهُ ولَا عُنُقَ، عُمِلَ لَهُ سَرِيرٌ مِنْ سَعفٍ وَجَرِيدٍ، إِذَا أُرِيدَ نَقْلُهُ طُوِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ إِلَى تَرْقُوَتِه كمَا يُطوَى الثَّوبُ، فيُوضَعُ علَى ذَلِكَ السَّرِيرِ، فيُذْهَبُ بِهِ إِلَى حَيْثُ يَشاءُ، وإِذَا أُرِيدَ تَكهّنه وإِخْبَارهُ، يُحَرّكُ كَمَا يُحَرَّكُ وطب المخيضِ[1]، فيَنْتَفِخُ ويَمْتَلِئُ ويَعْلُوهُ النَّفسُ فيُخْبِر. وكَذَلِكَ ينْتَفِخُ إِذَا غَضِبَ، وَيَمْتَلِئُ مِنَ الرِّيحِ فيَقْعُدُ، وكَانَ يَسْكُنُ الجابية[2] مِنْ مَشَارِفِ الشَّامِ[3].

ويُقَالُ: وُلِدَ فِي يَوْمِ مَاتَتْ طريفة الكاهنة امْرَأَةُ عمرو بن عامر، دَعَتْ بِسَطِيح قبْلَ أَنْ تَمُوتَ، فتَفَلَتْ فِي فِيهِ، وأَخْبَرَتْ أَنَّهُ يَخْلُفُها فِي عِلْمِهَا وكَهَانَتِها، ودَعَتْ بِشقّ ففَعَلَتْ بِهِ مِثْل ذَلِكَ ثُمَّ ماتَتْ، قِيلَ: قَبْرُهَا بِالْجُحَفَةِ[4].

قِيلَ: شقُّ بنُ صَعْبِ بنِ يَشْكُر بنِ رُهْم بنِ أَفْرَكَ بنِ قَسْر بنِ عَبْقَر بنِ أَنْمَار بنِ نِزَار. وأَنْمَار أَبُو بَجِيلَة وخَثْعَم[5].

وكَان شقّ إِنْسَانٌ لَهُ يَدٌ وَاحِدَةٌ ورِجْلٌ وَاحِدَةٌ وأُذُنٌ وَاحِدَةٌ وعَيْنٌ وَاحِدَةٌ، [ويُقَالُ إِنَّ أَبَا الْفَرَجِ بنَ خالِد بنِ عَبْدِ اللهِ القشيري][6] كَانَ مِنْ وَلَدِ شِقّ، ويُقَالُ كَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي زَمَنِ سَيْلِ الْعَرِمِ، خَرَجَ مِنَ الْمَأْرَبِ مَعَ رَهْطٍ مِنَ الْأَزْدِ فِي أَيَّامِ تَفَرُّقِ النَّاسِ مِنْهَا، وعَاشَ إِلَى زَمَانِ وِلَادَةِ النَّبِيءِ ﷺ وكَانَ لَهُ قَرِيبٌ مِنْ سِتِّ مِئَةِ عُمرا. وفِيهِ نَظَرٌ[7].

وعَنْ وَهْبِ بن مُنَبِّه: سُئل سَطِيح مِنْ أَيْنَ لَكَ عِلْمُ الْكَهَانَةِ؟ قالَ: إِنَّ لِي قَرِينًا مِنَ الْجِنِّ قَد اسْتَمَعَ أَخْبَارَ السَّماءِ فِي زَمَان كَلَّمَ اللهُ مُوسَى فِي الطُّورِ، فيَقُولُ لِي مِنْ ذَلِكَ أَشْيَاءً وأَنَا أَقُولُها لِلنَّاسِ[8].

قالَ كِسْرَى لِعَبْدِ الْمَسِيحِ: اذْهَبْ إِلَيْهِ وَسَلْهُ وأَخْبِرْنِي بِمَا يُخْبِرُكَ بِهِ، ولَمَّا أَنْشَدَ عَبْدُ الْمَسِيحِ أَبْيَاتًا قَدْ تَقَدَّمَتْ[9] قَالَ سَطِيحٌ: عَبْد الْمَسِيح مِنْ بَلَدٍ نَزِيح، عَلَى جَمَلٍ مشيح إلخ مَا مَرَّ[10]. وفِيهِ: نزيح كمَا رَأَيْتَ.

---

(1) الوَطْبُ سِقاءُ اللبنِ، وفي الصحاح سِقَاءُ اللَّبنِ خاصَّة وهو جِلْدُ الجَذَعِ فما فوقه. لسان العرب (وطب). والمَخِيضُ والمَمْخُوض اللَّبن الذي قد مُخِضَ وأُخذ زُبده. لسان العرب (مخض).

(2) الجابية بكسر الباء وياء مخففة وأصله في اللغة الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق. معجم البلدان، 91/2.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1، بتصرُّف.

(4) حياة الحيوان، الدميرِي، 73/2.

(5) سيرة ابن هشام، 15/1.

(6) في العبارة خطأ، صوابه: ذكر أبو الفرج الأصبهانِي أن خالد بن عبد الله القسرِي. ينظر: وفيات الأعيان، 230/2، والأغانِي، 271/22.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1.

(8) (م، س)، 201/1.

(9) ينظر الورقة [92و].

(10) ينظر الورقة [92و].

وفِيهِ: لَمْ يَكُنْ بَابِل لِلْفُرْسِ مقَامًا، ولَا الشَّام لسَطِيح شَامًا. وفِيهِ: وغَاضَتْ بُحَيْرَةُ ساوَة، وفَاضَ وادي سماوة[1].

والسَّمَاوَةَ بِالْفَتْحِ مَفَازَة بَيْنَ الْكُوفَةِ والشَّامِ، وقِيلَ: بَيْنَ الموصل والشَّام، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ كلب[2].

وعَن الأصمعيّ: السَّماوةُ قَلِيلَةُ العُرْضِ طَوِيلَةٌ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِعُلُوِّها وَارْتِفَاعِهَا[3].

ولَمَّا رَجَعَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى كِسرَى وأَخْبَرَهُ بتَمَلُّكِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا، قالَ: هذَا زَمَانٌ طَوِيلٌ. ولَمْ يَدْرِ أَنَّ عَشَرَةً مِنْهُمْ يَجْمَعُهُمْ أَرْبَعُ سِنِينَ، وأَرْبَعةٌ إِلَى زَمَانِ عُثْمَانَ[4].

ويُروَى أنَّ عَبْدَ الْمَسِيحِ هذَا هُوَ الذِي صَالحَ خالد بن الوليد علَى الْحِيرَةِ. وكَانَ ذَلِكَ الْمَالُ أَوَّلَ مَالٍ ورَدَ علَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق[5]. ومُدَّةُ مُلْكِ كِسْرَى سَبْعٌ وأَرْبَعُونَ سَنَةً وأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ.

وَرُوِيَ أنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ قالَ: كُنْتُ لَيْلَة مِيلَادِ مُحَمَّد فِي الطَّوَافِ، فَلَمَّا مضَى نِصْفُ اللَّيلِ رَأَيْتُ الْكَعْبَةَ سَجَدَتْ نحْوَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وسَمِعْتُ صَوْتَ التَّكْبِيرِ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكبَرُ، الآن طهرت مِنْ أَنْجَاسِ الْمُشْرِكِينَ وأَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ [105ظ] ثُمَّ تَسَاقَطَت الأَصْنَامُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى هُبَل الذِي هوَ أَكْبَرُ الْأَصْنَامِ فرَأَيْتُهُ سَقَطَ مُتَنَكِّسًا عَلَى الْحَجَرِ، ونادَى مُنَادٍ أَلَا إِنَّ آمِنَةَ قَدْ وَلَدَتْ مُحَمَّدًا[6].

ومِنْ بابِ الشق ما رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ علَى الْأَرْضِ رَفَعَ رَأْسَهُ وقَالَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وإِنّي رَسُولُ اللهِ[7].

وأَنَّه سَجَدَ حِينَئِذٍ وغطَّت عليهِ أُمُّهُ بإناءٍ فَوَجَدَتْه قَدْ تَفَلَّقَ الإناءُ عنْهُ، وهُوَ يمُصُّ إبهامَهُ تَشْخَبُ[8] لبنًا[9].

ويُقالُ: إِنَّهُ غطَّتهُ حتَّى جاءَ عبد المطَّلبِ فانْشَقَّ لهُ، وإِنَّهُ انْشَقَّ لها الْجَوُّ وانْشَقَّتْ لهَا الْجِبَالُ، أو خَفَضَها اللهُ، أَوْ رفَعَ الشَّامَ لهَا، ولَوْ لَمْ يَظْهَرْ ذَلِك لِغَيْرِها، واللهُ علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[10]، حَتَّى رَأَتْ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ ببُصْرَى وأَسْوَاقَ بُصْرَى.

وَمِنْ عادَتِهِم إِذَا وُلِدَ إِنْسَانٌ لَيْلًا كَفَؤوا علَيْهِ قِدْرًا حَتَّى يُصْبِحَ، ففَعَلُوا ذَلِكَ بِالنَّبِيءِ ﷺ فأصبَحُوا

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1، بتصرُّف.

(2) معجم ما استعجم، البكرِي، 88/5.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1-202، عن أبِي حاتِم، دون ذكر المصدرِ. وينظر: معجم ما استعجم، 754/3.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 202/1.

(5) (م، س)، 202/1.

(6) (م، س)، 202/1.

(7) (م، س)، 203/1.

(8) الشَّخْبُ والشُّخْبُ ما خَرَجَ مِن الضَّرْعِ مِن اللَّبن، قيل الشَّخْبُ صوتُ اللَّبنِ عند الحَلبِ شَخَبَ اللبنُ يَشْخُبُ ويَشْخَب. لسان العرب (شخب).

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 204/1 بتصرف.

(10) عبارة " أو خَفَضَها...قدير" أضافَها المؤلف على الهامِشِ.

وقَد انْشَقَّ عَنْهُ الْقِدْرُ، وهُوَ شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ[1].

ورُوِيَ أَنَّها لَمَّا وَلَدَتْهُ أَرْسَلَتْ إِلَى عَبدِ الْمُطَّلِبِ، وجَاءَهُ الْبَشِيرُ وهُوَ جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ معهُ وَلَدُهُ ورِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ، فأَخْبَرَهُ أَنَّ آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلامًا فَسُرَّ بذَلِكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فأَدْخَلَهُ جَوْفَ الْكَعْبَةِ، وقَامَ عِندَهَا يَدْعُو اللهَ ويَشْكُرُهُ بِمَا أَعْطَاهُ فقَالَ:

الْحَمْدُ للهِ الذِي أَعْطَانِي ... هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ... أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبَيَانِ ... أُعِيذُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَنَآنِ[2]

وإِنَّهُ لمَّا جاءهُ عبدُ المطَّلِبِ انْشَقَّتْ لهُ القِدْرُ، وسَمَّاهُ مُحَمَّدا، رَجَاءَ أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الأَرْضِ والسَّماءِ. وكَذَلِكَ قَالَ الْهَاتِفُ لِآمِنَةَ سَمِّيهِ مُحَمَّدا كَمَا مَرَّ.

وَمِمَّا يُشْبِهُ الْهَدْمَ بِسَبَبِ وِلَادَتِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام غَمَسَ عَرْشَ إِبْلِيسَ أَسْفَلَ الْبَحْرِ فِي رُكْنٍ مِنْهُ ضَيِّقٍ سَيِّءٍ حَتَّى اسْوَدَّ، وانْقِلَابُ سُرُرِ السَّلاطِينِ وكَرَاسِيِّهِمْ، وانْتِكَاسُ الأَصْنَامِ.

ومَا رُوِيَ فِي وِلَادَةِ أَبِيهِ عبد الله بنِ عبد المطّلب، وذَلِكَ أَنَّهُ وُلِدَ عَبْدُ اللهِ أَبُوهُ لِأَرْبَعٍ وعِشْرِينَ سَنةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِ كِسْرَى أَنُو شِرْوَانَ، وكانَ يَوْمَ وُلِدَ عَبْدُ اللهِ علْمٌ بِمَوْلِدِه لجَمِيعِ أَحْبَارِ الشَّامِ. كَانَتْ عِنْدَهُم جُبَّةُ صُوفٍ بيْضَاءُ مَعْمُوسَةٌ فِي دَمِ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّاءَ، وكَانُوا قَدْ وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ: إِذَا رَأَيْتُم الْجُبَّةَ البَيْضَاءَ والدَّمُ يَقْطُرُ منْهَا، فَاعْلَمُوا أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ المصْطَفَى قَدْ وُلِدَ تِلْكَ اللَّيْلَة. ونَهَضُوا بأَجْمَعِهِمْ إِلَى الْحَرَمِ، وأَرَادُوا أَنْ يَغْتَالُوا بعَبْدِ اللهِ فصَرَفَ اللهُ شَرَّهُم عَنْهُ، ورَجَعُوا إِلَى بِلادِهِمْ. ولَمْ يَكُنْ يَقْدُمُ علَيْهِمْ أَحدٌ مِنَ الحَرَمِ إِلَّا سَأَلُوهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ، فيَقُولُونَ: تَرَكْنَا نُورًا يتَلأْلأُ فِي قُرَيْشٍ، فتَقُولُ الأَحْبَارُ: لَيْسَ ذَلِكَ النُّورُ لعَبْد اللهِ، إِنَّما ذَلِكَ النُّورُ لِمُحَمَّدٍ عليه السلام. فخَرَجَ عبْدُ اللهِ أَجْمَلَ قُرَيْشٍ، فشَغَفَتْ بهِ كُلُّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وكِدْنَ تدْهَلُ[3] عُقُولُهُنَّ. فلَقِيَ عَبْدُ اللهِ، فِي زَمَنِهِ مِنَ النِّساءِ، ما لَقِيَ يُوسُفُ فِي زَمَانهِ مِن امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَكانَ عَبْدُ اللهِ يُخْبِرُ أَبَاهُ بِمَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ [106و] يقُولُ: يا أَبَتِ إِنِّي إِذَا خَرَجْتُ إِلَى بَطْحَاء مَكَّةَ، وصِرْتُ علَى جَبَل ثبير، خرَجَ مِنْ ظَهْرِي نُورَانِ أَخَذَ أَحَدُهُمَا شَرْقَ الْأَرْضِ، والآخَرُ غَرْبَها، ثُمَّ إِنَّ ذَيْنِكَ النُّورَيْنِ يسْتَدِيرَانِ حَتَّى صارَا كَالسَّحابَةِ، ثُمَّ تَنْفَرِجُ لَهُمَا السَّماءُ، فيَدْخُلَانِ فِيهَا، ثمَّ يَخْرُجَانِ ويَرْجِعَانِ إِلَيَّ فِي لَمْحَةٍ واحِدَةٍ. وإِنِّي لَأَجْلِسُ فِي الْمَوْضِعِ الْيَابِسِ، أَوْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، الْيَابِسَةِ فَتَخْضَرُّ وتُلْقِي عَلَيَّ أَغْصَانَها، فإِذَا قُمْتُ وتَرَكْتُها عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ. فقَالَ لهُ: عَبْدَ اللهِ أَبْشِرْ يا بُنَيَّ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ ظَهْرِكَ الْمُسْتَوْدَعَ الْمُكَرَّمَ، فإِنَّا قَدْ وُعِدْنَا

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 204/1.

(2) الأبيات من الرجز، تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 204/1، مع تغيير، وفيه زيادة شطر: من حاسد مضطرب العينان.

(3) دهل: قال ابن الأَعرابي: الدّاهِل المُتَحيِّر. قال الأَزهري: أَصله دالٌ ولا دَهْل أَي لا تَخَفْ نَبَطِيَّة معرَّبة. لسان العرب (دهل).

ذَلِكَ، وإِنِّي رأَيْتُ قبلَكَ رُؤْيَا كُلُّها تَدُلُّ علَى أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِكَ أَكْرَمُ العَالَمِينَ. وكَانَ عَبْدُ اللهِ أَبُو النَّبِيءِ ﷺ كُلَّمَا أَصْبَحَ، وَدَخَلَ علَى الصَّنمِ، اللَّاتِ أو العزَّى، صَاحَ الصَّنَمُ كالْهِرَّةِ ونَطَقَ: مَا لَنَا وَلَكَ أيُّها المسْتَوْدَعُ ظَهْرَه نُورُ مُحَمَّدٍ، الذِي يَكُونُ هَلاكنَا وهَلَاك أَصْنَامِ الدُّنْيَا عَلَى يَدَيْهِ[1].

الفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي مَنْعِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ وفِي أَخْبارِ الجِنّ

لمَّا دَنَا مَبْعثُهُ ﷺ حُجِبَت الشَّيَاطِينُ عَنِ السَّمعِ بِالشُّهُبِ، كانُوا يَسْتَرِقُونَ السَّمع فيَخْطِفُ أحدُهُم الْكَلِمَةَ فيَضُمُّ إِلَيْهَا مِئَةً أَوْ تِسْعَةً وتِسْعِينَ كِذْبَةً ثُمَّ يُلْقِيهَا لِلْكَاهِنِ.

والشِّهابُ: شعْلَةُ نَارٍ تَخْرِقُ الشَّيْطَانَ الْمُسْتَرِقَ لِلسَّمْعِ أوْ تخبله، وذلِكَ أنَّ الْمَلائِكَةَ يتَكَلَّمُونَ بِمَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ؛ لِكَوْنِ رَئِيسِهِمْ يُلْقِيهِ عَلَيْهِمْ لِيَكْتُبوهُ فيَتَلَقَّوْنَهُ منْهُ، أَوْ أَنَّ بعْضَهُمْ يَنْسَخُهُ مِنْ كُتُبِ الْبَعْضِ الآخَرِ زِيَادَةً للْاعْتِنَاءِ، أَوْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَجْرِي وُقُوعُهُ فِي الْأَرْضِ عَلَى أَيْدِيهِم، فيَدْرُسُونَهُ أَوْ يَكْتُبُونَهُ. وأَصْلُ ذَلِكَ قَوْلُه تعَالَى: ﴿قُلْ اوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ إلى ﴿رَّصَدًا﴾[2] ولَمَّا سَمِعَ الْجِنُّ ذَلِكَ عَرَفُوا الْحَقَّ فآمَنُوا ثمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قائِلِينَ مَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي "الْأَحْقَافِ".

ويُوَافِقُ هذَا مَا يُروَى: أَنَّهُ لَمَّا حِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّماءِ قالُوا: إِنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَها فَانْظُرُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّماءِ، فخَرَجَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مِنْ جِنِّ نصيبين باليَمَنِ قِبَلَ تهامَةَ، فوَجَدُوا النَّبِيءَ ﷺ بِنَخْلَةٍ قَرِيبَةٍ علَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ، مَعَ أَصْحَابِهِ يُصَلِّي الصُّبح وهُو يَقْرَأُ القرآنَ فاسْتَمَعُوا لهُ، ثُمَّ قَالُوا: هَذَا الذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّماءِ، فأَسْلَمُوا ووَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. وفي ذَلِكَ نَزَلَ: ﴿قُلْ اوحِيَ﴾[3] الآيَاتِ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾[4] الآية[5].

ورُوي أَنَّهُ ﷺ خرَجَ إلى الطَّائفِ يدْعُوهُم إِلَى الإِسْلامِ، وانْصَرَفَ عنْهُمْ فَباتَ بنَخْلَةٍ يَقْرَأُ فَاسْتَمَعَ جِنُّ نَصِيبين[6]. وفِيهِ نَظَرٌ، فإِنَّ اسْتَمَاعَهُم لَمْ يَكُنْ تلْكَ اللَّيْلَة بلْ فِي ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ، كمَا يَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: كانَ الْجِنُّ يسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فيَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فيَزِيدُونَ معَهَا عَشْرًا؛ أَيْ: بَعْضٌ يزِيدُ عشْرًا، وبَعْضٌ مِئَةً مثَلًا، وتَارَةً تَكُونُ الزِّيَادَةُ عشْرًا وتارةً أَكْثَرُ، بَلْ ذَلِكَ تَمْثِيلٌ، فقَدْ يَزِيدُون أَقَلَّ مِنْ عَشَرَةٍ أَوْ

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بكرِي، 182/1، بتصرُّف.

(2) سورة الجن: 1-9.

(3) سورة الجن: 1-9.

(4) سورة الأحقاف: 29.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (773)، وينظر: الدر المنثور، السيوطِي، 5/15-6.

(6) تفسير ابن كثِير، 31/13.

مِنْ مِئَةٍ، أَوْ أَقَلَّ مِنْ مِئَةٍ[1]. فيَكُونُ ما يَسْمَعُونَهُ [106ظ] حقًّا ومَا زَادُوهُ بَاطِلًا.

وكانت النُّجومُ لَا يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، ولَمَّا بُعِثَ ﷺ كانَ أَحَدُهُمْ لَا يَأْتِي مقْعَدَهُ إِلَّا رُمِيَ بشِهَابٍ يَحْرِقُ ما أَصابَ مِنْهُ. فشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فقَالَ: مَا هذَا إِلَّا أَمْرٌ عظِيمٌ قَدْ حَدَثَ، فبَعَثَ جُنُودَهُ فإِذَا بِالنَّبِيءِ ﷺ يُصَلِّي بَيْنَ جبلي نخلة، فأَخْبَرُوهُ فقَالَ: هَذَا الْحَدَثُ الذِي حَدَثَ في الْأَرْضِ[2]. ونَخلَة: مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ.

وأَمَّا خُروجُهُ إلى الطَّائِفِ فبَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ أبي طالب. وعَن ابْنِ مَسْعُودٍ: هبَطُوا عَلَيْهِ ﷺ وهُوَ بِبَطْنِ مَكَّةَ يقْرَأُ الْقُرْآنَ ولَمَّا سَمِعُوهُ قالُوا: أَنْصِتُوا فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾[3]الآيَةَ فهَذَا مَعَ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَقْتَضِي أَنَّهُ ﷺ يشْعُرُ بِحُضُورِهِمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَإِنَّمَا اسْتَمَعُوا قِرَاءَتَهُ ﷺ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وبعْدَ ذَلِكَ وَفَدُوا إِلَيْهِ أَرْسَالًا قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ[4].

ومِمَّا يُروَى: أَنَّهُ ذَهَبَ بِابْنِ مَسْعُودٍ وخَطَّ علَيْهِ خَطًّا، فجَعَلَ يَعِظُ الْجِنَّ عَالِمًا بِهِمْ[5].

وذَهَابُهُ إِلَى الطَّائفِ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّه أَبِي طَالِبٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْبِعْثَةِ، ثُمَّ مَوْت خَدِيجَةَ بَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ خَمْسَةٍ، ثُمَّ تَزَوُّجهُ بِسَوْدَةَ بَعْدَ أَيَّامٍ.

وكَانَ خُرُوجُهُ ﷺ إلى الطَّائِفِ بَعْدَ مَوتِ خديجة بثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فِي شَوَّالَ لِمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْش، وكَان مَعَهُ مَوْلاهُ زيد بن حارِثة، فأَقَامَ بِهِ شَهْرًا يدْعُو أَشْرافَ ثقيف، فَلَمْ يُجِيبُوهُ وأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ[6].

قَالَ موسى بن عقبة: ورَمَوْا عَقِبَيْهِ بالْحِجَارةِ، حَتَّى اخْتَضَبَ نَعْلَاهُ بِالدَّمِ. قالَ غَيْرُهُ: إِذَا أَذْلَقَتْهُ[7] الحِجَارَةُ؛ أيْ: أَضْعَفَتْهُ[8] قَعَدَ إِلَى الأَرضِ، فَيَأْخُذُونَه بِعَضُدَيْهِ فيُقِيمُونَهُ، فإِذَا مَشَى رَجَمُوهُ وهُمْ يَضْحَكونَ، وزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بنَفْسِهِ، حَتَّى لَقَدْ شجَّ فِي رَأْسِهِ شجّا[9][10].

وفي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّهُ لَقِيَ مِنْهُمْ أَشَدَّ مِمَّا لَقِيَ يَوْمَ أُحُد. وأَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ علَيْهِ حِينَئِذٍ، ومَعَهُ مَلَكُ الِجبَالِ؛ لِيَأْمُرهُ فِي قَوْمِهِ بِمَا شَاءَ، جَزَاءً لِضَرْبِهِمْ إِيَّاهُ بِالْحِجَارةِ، إِذ الْجِبَالُ حِجَارَةٌ، فقَالَ ﷺ:

---

(1) في العبارة تكرار.

(2) تفسير ابن كثِير، 30/13، والحدِيث في مسند أحمد (2482)، وفقرةُ " أي: بعضٌ يزيدُ عشرا... أقلَّ من مئة" من كلام المؤلِّف.

(3) سورة الأحقاف: 29.

(4) تفسير ابن كثِير، 31/13.

(5) (م، س)، 41/13.

(6) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 267/1.

(7) فِي المواهب اللدنية: أزلقته.

وذَلَق السَّمُومُ، أَو الصَّومُ فُلاناً أَي: أَضْعَفَه وأَهزلَه وأَقلَقَه. تاج العروس (ذلق).

(8) "أي: أضعفته" من كلام المؤلِّفِ.

(9) فِي المواهب اللدنية: شجاجا.

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 267/1، مع تغيِير.

((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[1].

وعَن ابْنِ عبَّاسٍ: إنَّ الشَّيَاطِينَ كانُوا لَا يُحْجَبُونَ عنِ السَّمَاوَاتِ وكانُوا يدْخُلُونَهَا ويأْتُونَ بِأَخْبَارِها، فيُلْقُونَ علَى الْكَهَنَةِ. فلمَّا وُلِدَ عيسَى مُنِعُوا مِنْ ثلَاثِ سَمَاوَاتٍ، ولمَّا وُلِدَ سيِّدُنا محمَّدٌ ﷺ مُنِعوا مِنَ السَّماواتِ كلِّهَا، فمَا مِنْهُمْ مِن أَحَدٍ يُرِيدُ اسْتِراقَ السَّمعِ إِلَّا رُمِيَ بشِهَابٍ، وهُوَ الشُّعلةُ مِنَ النَّارِ، فلَا تُخطِئُ أَبدًا. فمِنْهُمْ مَنْ تَقْتُلُهُ ومِنْهُمْ مَنْ تَحْرِقُ وَجْهَهُ، ومِنْهُم مَنْ تخبلهُ فيصيرُ غولًا يُضلُّ النَّاسَ فِي الْبَرَارِي[2].

قالَ الْأَئِمَّةُ: لَمْ يكُنْ هذَا ظَاهِرًا قَبْلَ مبْعَثِهِ ﷺ ولَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ قَبْل زَمَانِهِ، وَإِنَّما ظَهَرَ فِي بَدْأِ أَمْرِهِ تَأْسِيسًا لِنُبُوءَتِهِ [107و] ﷺ[3].

نَعَمْ، جَاءَ عَنْ معْمَر[4] تِلْمِيذِ الزُّهرِيّ، أَنَّهُ قالَ لِلزُّهْرِي: أَكَانَ يُرْمَى بِالنُّجُومِ فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾[5]. قالَ: غُلِّظَتْ وشُدِّدَ أَمْرُهَا، حِينَ بُعِثَ ﷺ[6].

وكَذَا قَالَ ابن قتيبة: إِنَّه كانَ الرَّجْمُ قَبْلَهُ ﷺ ولَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي شِدَّةِ الحِرَاسَةِ مِثْلهُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ[7].

وأفادَ حديثُ ابْنِ عبَّاسٍ أَنَّ الرَّجمَ بالشُّهُبِ لَا بنَفْسِ الْكَوْكَبِ، وأنَّ الكَوْكَبَ لَا يْنَفِصلُ مِنْ مَحَلِّهِ. وقِيلَ: يَنْفَصِلُ ثُمَّ يَرْجِعُ، ووَجْهُ دخُولِ السَّماواتِ أَنَّ اللهَ أَقْدَرَ بَعْضَهُم علَى سُرْعَةِ الطَّيَرانِ كالْمَلَائكَةِ، وبَعْدَ المَنْعِ مِن الدُّخُولِ يسْتَمِعُونَ مِنْ ملَائِكَةٍ تَحْتَ السَّماءِ أَوْ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ مِنْ داخِلِ السَّماءِ بِلَا نُفُوذٍ، ويرْجمُونَ داخِلَهَا كذَلِكَ، والسَّماءُ شفَّافَةٌ فترَى الشِّهَاب، وقَبْلَ الْمَنْع يسْتَمِعُونَ بِمَا وَجَدُوا مِنْ ذلِكَ وبالدُّخولِ والنُّفُوذ، واللهُ أَعْطَاهُمْ شَيْئًا يقولُونَهُ أو يَفْعَلونَهُ؛ فيَتَشَكَّلونَ بهِ علَى أَيِّ صُورَةٍ، فهُوَ قَلْبٌ وتصْوِيرٌ مِنَ اللهِ لَا مِنْهُمْ.

وكانَتِ الأَحْبَارُ مِنَ اليَهُودِ والرُّهبانُ مِنَ النَّصارَى والكُهَّانُ، قَدْ تحَدَّثوا بِأَمْرِ رسولِ اللهِ ﷺ قبْلَ بِعْثَتِهِ، أَمَّا الأَحْبارُ والرُّهبانُ فعَمَّا وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وزَمَانهِ ﷺ ومَا كَانَ مِنْ عَهْدِ أنبِيَائِهِم، وأَمَّا الكُهَّانُ مِنَ الْعَرَبِ فأَخْبَرَتْهُم الشَّياطِينُ بِمَا تَسْتَرِقُ إِذْ كانَتْ لَا تُحْجَبُ.

---

(1) الحدِيث في صحيح البخارِي (3231) وصحيح مسلم (1795).

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 633/2.

(3) (م، س)، 633/2-634.

(4) معمر بن راشد، الأزدِي البصرِي نزِيلُ اليَمَن، شهد جنازة الحسن البصرِي، حدَّثَ عن قتادة والزهرِي، وعمرو بن دينار، ت: 152هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 5/7.

(5) سورة الجن: 9.

(6) تفسير البغوِي، 374/4.

(7) تفسير البغوِي، 374/4، وينظر تأوِيل مشكل القرآن، ابن قتيبة ص430.

وكان الكُهَّانُ والكَوَاهِنُ يذْكُرُونَ بعْضَ أمُورِهِ ولَا تُلْقِي الْعَرَبُ لِذَلِكَ فِيهِ بَالًا، حَتَّى بعَثُه اللهُ تعَالَى، فَتَذاكَرُوا مَا سَبَقَ مِنْ ذَلِكَ ومَا حَضَرَ فَعَرَفُوا. فلَمَّا تقَارَبَ بَعْثُهُ حُجِبَت الشَّياطِينُ عَن السَّمْعِ بالرَّجْمِ، لِئَلَّا يلبِسُوا علَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

فقِيلَ: يشعل مِنَ النُّجومِ وهِيَ فِي الْفلكِ الثَّامِنِ، وقِيلَ: يُرمَى بِهَا فتَرْجِعُ، وعلَى هذَا فَهِيَ صِغارٌ لا كِبَارٌ....[1] قِيلَ: كُلُّ نَجْمٍ أكْبَرُ مِن الدُّنْيا، وعَلَى الأوَّلِ سُمِّيَ مَا شعل مِنَ النَّجْمِ نَجْمًا، أوْ كانَت النُّجُومُ تَحْتَ السَّماءِ، بَعْضُها فوْقَ بَعْضٍ معَ الدراري فيكون الكسوفُ؛ لأنَّ بَعضًا فَوْقَ بعْضٍ، والْقَمَر بِمَجِيد الشَّمْسِ عنْ مَجْرَاها.

وشهرَ أَنَّ الدّرَارِي كُلُّ واحِدٍ فِي سَمَاءٍ، ولَعَلَّ اللهَ سبْحَانه يَخْلُقُ النُّجومَ الصِّغارَ لِلرَّمْيِ، فتَرجِع أو تَزْدَادُ.

ولَمَّا سَمِعَت الجنُّ الْقُرْآنَ عرَفُوا الْحَقَّ ورَجَعُوا مُنْذِرِينَ إِلَى قوْمِهم، وكَانُوا يَهُودًا لأَنَّهُمْ قالُوا: ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[2] ذَكَرَ ذَلِكَ عبد الله بن سلَّام وكانُوا سَبْعَةً[3].

وذَكَرَ أبو بكر بن طاهر الإشبيليّ القَيْسِي فِي فَضائِلِ عُمَر بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: بَيْنَمَا عُمَرُ بنُ عبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي فَلَاةٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فكَفَّنَهَا بِفضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ ودَفَنَهَا، فإِذَا قَائلٌ يَقُولُ: يَا سُرّق أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ لَكَ: ((**سَتَمُوتُ بِأَرْض فَلَاةٍ فَيُكَفِّنُكَ ويَدْفِنُكَ رَجُلٌ صالِحٌ**)) فقَالَ: مَنْ أنْتَ يَرْحَمكَ اللهُ؟ فقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ الذِينَ سَمِعُوا الْقُرآنَ مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أنَا وسُرَّق، وهَذَا سُرَّق قَدْ مَاتَ[4].

وَرُوِيَ أَنَّهُ كانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَمْشِي فِي نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِ رسُولِ اللهِ ﷺ يَمْشُونَ فرُفِعَ لهُم [107ظ] إِعْصارٌ ثُمَّ إِعْصَارٌ أعْظَمُ فانْقَشَعَ عَنْ حَيَّةٍ قتِيلٍ، فكَفَّنَهَا بعْضُنا بِفضْلَةٍ مِنْ ردَائِهِ ودَفنَهَا، فلَمَّا جَاءَ اللَّيلُ إذَا بِامْرأَتَيْنِ تَسْأَلَانِ أيُّكُمْ كَفن ودَفَنَ عمرو بنَ جابر؟ فقُلْنا: ما نَدْرِي مَنْ عمرو بن جابر. فقَالَتَا: إنْ كُنْتُم ابْتَغَيْتُم الْأَجْرَ فقَدْ وجَدْتُموهُ، إِنَّ فَسَقةَ الْجِنِّ اقْتَتَلُوا معَ المُؤْمِنينَ مِنْهُم، فقُتِلَ عَمرو وهُوَ الْحَيَّةُ التِي رَأَيْتُم، وهُوَ مِنَ النَّفَرِ الذِينَ استَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّد ﷺ ثمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم منْذِرِينَ[5]. وذَلِكَ مِنْ عمر بن عبد العزيز والصَّحابيِّ فِرَاسَةُ الْمُؤْمِنِ.

قالَ لهيبُ بن مالك: حَضَرْتُ معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فذَكَرْتُ عنْدَهُ الكَهَانَةَ، فقُلْتُ: بأَبِي أنْت وأُمِّي نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ حِراسَةَ السَّماءِ وزجْرَ الشَّياطِينِ، ومَنْعَهُمْ مِن اسْتِراقِ السَّمْعِ عِنْدَ قَذْفِ النُّجُومِ،

(1) كلمة غير مفهومة كأنها: كما.

(2) سورة الأحقاف: 30.

(3) الروض الأنف، السهيلي، 197/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطُبِي، 213/16.

(4) الروض الأنف، السهيلي، 198/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطُبِي، 214/16.

(5) الروض الأنف، السهيلي، 198/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطُبِي، 214/16.

اجْتَمَعْنا إِلَى أَعْلَمِ كُهَّانِنا خطر بن مالك، لهُ مِئَةٌ وثَمانُونَ سَنَةً[1]، فقُلْنا: مَا هَذِهِ النُّجومُ التِي يُرمَى بِهَا؟ فإِنَّا خِفْنَا عاقِبَتَها، فقَالَ: ايتُونِي بِسَحَر فجَاؤُوهُ قائِمًا شاخِصًا إِلَى السَّمَاءِ فنَادَيْنَاهُ: يَا خَطر فأَوْمَى إِلَيْنَا أَنْ أمْسِكوا، فانْقَضَّ نَجْمٌ عظِيمٌ وَصَرَخَ خَطَر: أَصَابَهُ إصَابه، خامَرَهُ عقابُه، عَاجَلَهُ عَذَابُه، أَحْرَقَهُ شهَابُه، زايَلَهُ جَوابُه، يَا وَيْلَهُ مَا حالُه، بَلْبَلَهُ بَلْبَالُه[2] عَاوَدَهُ خَبَالُه، تَقَطَّعَتْ حبَالُه، وغُيِّرَتْ أَحْوَالُه.

وأَمْسَكَ طَوِيلًا فقالَ: يا مَعْشَرَ بني قحطان أُخْبِرُكُمْ بالْحَقِّ والْبَيَان، أَقْسَمْتُ بِالْكَعبَةِ والأَرْكَان، والْبَلَدِ الْمُؤتمنِ السّدان، قَدْ مُنِعَ السَّمْعَ عتَاةُ الْجَانّ، بثَاقِبٍ بِكَفٍّ ذِي سُلْطَان، مِنْ أَجْلِ مبْعُوثٍ عَظِيمِ الشَّان، يُبْعَثُ بِالتَّنْزِيلِ والْقُرْآن، بالْهُدَى وفَاصِلِ الفُرْقان، تَبْطُلُ بِهِ عِبَادةُ الأَوْثَان. فقُلْنَا: هذَا أَمْرٌ عظِيمٌ، فمَا لِقَوْمِكَ؟ فقَالَ: أَرَى لَهُمْ مَا أَرَى لِنَفْسِي أَنْ يتَّبِعوا خَيْرَ أَنْبِيَاء الإِنْس، برْهَانُهُ مِثْلُ شعَاعِ الشَّمس، يُبْعَثُ مِنْ مَكَّةَ دَارِ الْحُمْس[3]، بِمُحْكَم التَّنْزِيلِ غَيْرِ اللَّبْس. فقُلْنا: مِمَّنْ هوَ؟ فقَالَ: والْحَياةِ والْعَيْش إِنَّهُ لَمِنْ قُرَيْش، مِنْ آلِ قحطانَ وآلِ أَيْش. فقُلْنَا: مِنْ أيِّ قُرَيْش؟ فقالَ: مِنْ نَجْلِ هَاشِم، مِنْ مَعْشَر أَكَارِم، يُبْعَثُ بِقَتْلِ كُلِّ ظَالِم، هذَا الْبَيَانُ عَنْ رَئِيسِ الْجَانّ، اللهُ أَكْبَرُ جاءَ الْحَقُّ وظَهَرَ وانْقَطَعَ عَن الْجِنِّ الخَبرُ وأُغْمِيَ علَيْهِ، فمَا أفَاقَ إِلَّا بَعْدَ ثلَاثِ لَيَالٍ، فقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لَقَدْ نَطَقَ عَنْ مِثْلِ نُبُوءَةٍ، وإِنَّه يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**))[4].

و"إصابه" الثَّانِي: مكسُورُ الْهَمْزةِ عنْ واوٍ، أصْلُهُ وصَابَه جَمْعُ وَصَب. و"آلُ قَحْطَانَ" الأَنْصَارُ. و"آلُ أيش": قَبِيلةٌ مِنَ الْجِنِّ أَقْسَمَ بِهَا، أَو تَعْظِيمٌ، يُقالُ فِي التَّعظيمِ: فُلانٌ أَيُّ شَيْءٍ أيْ: عَظِيمٌ[5].

وكَانَ لفاطمة بنت النعمان النّجاريّة تَابِعٌ مِنَ الجِنِّ يَزْنِي بهَا فِيمَا قِيلَ، فقَعَدَ يَومًا عَلَى حائِطِ الدَّارِ فقَالَتْ: لِمَ لا تدْخُل؟ فقَالَ: بُعِثَ نَبِيءٌ يُحَرِّمُ الزِّنَا، فذَلِكَ أَوَّل ما ذُكِرَ النَّبيءُ ﷺ بالمَدِينَةِ[6].

قالَ سواد بنُ قَارب، وكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّة كَاهِنًا ثُمَّ أَسْلَمَ [108و] جَاءَني رِئْيٌ مِنَ الْجِنِّ؛ أَيْ: تابِعٌ، قُبَيْلَ الإِسْلَامِ وشَيْعِهِ، أيْ: قَرِيبًا مِنْهُ، فقال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْجِنِّ وإِبْلَاسها، ولُحُوقِهَا بالقِلَاص[7] وأَحْلَاسهَا[8]. قالَ عُمَر: واللهِ إِنِّي لعِنْدَ وَثَنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْش قَدْ ذَبَحَ لهُ رَجُلٌ

(1) في عيون الأثَر والروض الأنف: مئتا وثمانون سنة.

(2) قال ابن عاشور: أَيْ بلْبالٌ مُتَمَكِّنٌ مِنْهُ. التحرير والتنوير، 491/30.

(3) الحُمْسُ قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون. لسان العرب (حمس).

(4) الروض الأنف، السهيلي،204/2-206 وعيون الأثر، ابن سيِّد النَّاس، 157/1-158، بتصرُّف.

(5) الروض الأنف، السهيلي، 206/2، وعيون الأثر، ابن سيِّد النَّاس، 159/1، بتصرف.

(6) الروض الأنف، السهيلي، 203/2.

(7) جمع القَلُوص وهِي الفَتِيَّة من الإبل. لسان العرب (قلص).

(8) الأَحْلاس هو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القَتَب شبهها بها للزومها ودوامها. لسان العرب (حلس).

مِنَ العَرَبِ عِجْلًا، فنَحْنُ نَنْتَظِرُ قسْمَهُ لِيَقْسِمَ لنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعِجْلِ صَوْتًا، مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَنْفَذَ مِنْهُ يقُولُ: يا دُرِيح أَمْرٌ نَجِيح، رَجُلٌ يَصِيح، بِلِسَانٍ فَصِيح، يقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[1].

ورُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ مازحَ سواد بن قارب وقَالَ: مَا فَعَلَتْ كَهَانَتُكَ يَا سَوَاد؟ فغَضِبَ وقَالَ: كُنْتُ أنَا وَأَنْتَ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا مِنْ عبَادةِ الْأَوْثَانِ، وأَكْلِ الْمَيْتَةِ، أفَتُعَيِّرُنِي بِأَمْرٍ قَدْ تُبْتُ منْهُ، وما رَأَيْتُكَ قُلْتَ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مَا قُلْتَ لِي، فقَالَ عُمَرُ ﷺ: اللَّهُمَّ غُفْرًا[2]،

قد كُنَّا في الجاهِلِيَّةِ على شَرٍّ مِنْ هَذَا نَعْتَنِقُ الأَوْثَانَ ونَعْبُدُهَا حتَّى أَكْرَمَنَا اللهُ ﷻ برَسُولِهِ ﷺ وبِالْإِسْلَامِ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي يا سَوادُ بِأَمْرٍ مِنْ ذَلِكَ فقَال لَهُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ، جَاءَنِي رِئْيٌ قُبَيْلَ الإِسْلَامِ[3] إِلَخ ما مَرَّ آنِفًا.

ويُروَى أَنَّه كَانَ سَوَادُ بنُ قَارِب نائِمًا علَى جَبَلٍ مِنْ جبَالِ السّرات[4] لَيْلَةً مِنَ اللَّيالِي[5]، فأَتَاهُ آتٍ فضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقَالَ: قُمْ يَا سَوَاد بن قَارِب، أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لؤيّ بن غالب، فرَفَعْتُ رَأْسِي وجَلَسْتُ فَأَدْبَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتِطْلَابِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ الْمُقَدم[6] كَأَذْنَابِهَا[7]

وأتاهُ اللَّيلةَ الثَّانِيَةَ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقَالَ: قُمْ يا سَوَاد بن قارِب، أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِب، فرَفَعْتُ رَأْسِي وجَلَسْتُ فأَدْبَرَ وهُوَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا[8] ... وَمُنُوقِهَا[9] الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... مُؤْمِنُهَا لَيْسَ كَكُفَّارِهَا[10]

---

(1) سيرة ابن هشام، 211/1، مع تَغيير.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 210/2 مع تغيير، يبدو أنَّ المؤلِّفَ جمع بين روايَةٍ ذكرت في الروض الأنف وروايةِ سيرة ابن هشام.

(3) سيرة ابن هشام، 210/1، مع تغيير.

(4) السَّراة: جبل مشرِف على عرَفَة، ينقادُ إلى صنعاءَ، سمِّيَ بذلِكَ لعلُوِّهِ، وسراةُ كلِّ شَيْءٍ: ظهرُهُ. الأمكنة والمياه والجبال، الزمخْشَرِي، ص119.

(5) لم أجِدْ من قال ذلكَ غير الكلاعِي في الاكتفاء.

(6) في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والاكتفاء: قداماها.

(7) الأبيات من السَّرِيع، وفي الخصائص والمعجم الكبِير كانت هذه الأبيات في اللية الثانية، وفي عيون الأثَرِ والروض: كانت في اللية الأولَى.

(8) في الخصائِص: وتجسارها، وفي الاكتفاء: وأخبارها.

9 في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والخصائِص: وشَدِّها، وفي الاكتفاء: ورَحْلها.

(10) في الخصائص: ليسَ ذوو الشَّرِّ كأخْيارِها.

فَـارْحَـلْ إِلَى الصَّـــفْوَةِ مِنْ هَـاشِـــم لَـيْـسَ الْـمُـقَـدَّمُ كَـأَدْبَـارِهَـا[1][2]

وأتاهُ في اللَّيلَةِ الثَّالِثَة فضَرَبهُ بِرِجْلِهِ وقَالَ: قُمْ يا سَوَاد بن قَارِب، أَتَى رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِب، فرَفَعْتُ رَأْسِي وجَلَسْتُ، فأَدْبرَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا [3] وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا

تَهْوِي إِلَى مكَّة تبغِي الهُدَى مَا طَاهِرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا [4]

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ ذنابا الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهَا [5]

قَالَ: فلَمَّا أَصْبَحْتُ رَكِبْتُ بَعِيرِي، فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ ظَهَرَ فأَخْبَرْتُهُ الْخَبرَ وبَايَعْتُهُ[6]. وفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ أَنْشَدَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:

أَتَـانِـي رِئِـيٌّ[7] بَـعْـدَ هَـدْءٍ وَرَقْـدَةٍ وَلَـمْ يَـكُ فِـيـمَـا قَـدْ بَـلَـوْتُ بِـكَـاذِبِ

ثَـلَاثَ لَـيَـالٍ قَـوْلُـهُ كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ: أَتَـاكَ رَسُـــولٌ مِـنْ لُـؤَيِّ بْـنِ غَـالِـبِ

فَـرَفَّـعَـتُ أَذْيَـالَ[8] الْإِزَارِ وَشَـــمَّـرَتْ بِيَ [108ظ] العِرْمِسُ الْوَجْنَا هجُولُ السَّبَاسِبِ

فـأَشْـــهَـدُ أَنَّ الـلـهَ لَا رَبَّ[9] غَـيْـرُهُ وَأَنَّـكَ مَـأْمُـونٌ عَـلَـى كُـلِّ غَـائِـبِ

وَأَنَّـكَ أَدْنَـى الْـمُـرْسَـلِـيـنَ وَسِـيـلَـةً إِلَـى الـلـهِ يَـا ابْـنَ الْأَكْـرَمِـيـنَ الْأَطَـائِـبِ

فَـمُـرْنَـا بِـمَـا يَـأْتِـيـكَ مِـنْ وَحْـيِ رَبِّـنَـا وَإِنَّكَ فِيمَا[10] جِئْتَ شِـيـبُ الذَّوَائِبِ[11]

وَكُنْ لِي شَـــفِيعًـا يَوْمَ لَا ذُو شَـــفَـاعَـةٍ بِـمُـغْـنٍ فَـتِـيـلًا عَـنْ سَـــوَادِ بـنِ قَـارِبِ[12]

ولـمَّا ماتَ النَّبيءُ ﷺ اضْطَرَبَ قَوْمُهُ فثَبَّتَهُمْ وأَطَاعُوهُ[13].

---

(1) لم أجد رواية هذا العجز في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والخصائِص.

(2) في الخصائص كانت هذه الأبيات في الليلة الثالثة، وفي عيون الأثَرِ والروض: كانت في الليلة الثَّانِيَة.

(3) في الروض: وتنفارها، وفي المعجم الكبِير: وأخبارها، وفي عيون الأثَر: وتجساسها، وفي الخصائص: وأنجاسها.

(4) في الاكتفاء: ما مؤمنها مثلُ أرجاسِها.

(5) الأبيات من السَّرِيع، روَى السُّهيلِي هذا العجز في الليلة الثانِيَة، ولم أجده في غيرِهِ.

(6) القصَّة في الروض الأنف، السهيْلِي، 210/2، والخصائص، السيوطِي، 253/1، وعيون الأثر، ابن سيد الناس، 151/1، والمعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (6475) و(6476) والاكتفاء، الكلاعِي، 173/1.

(7) في الروض وعيون الأثَر والمعجم الكبِير: نجِيٌّ.

(8) في الأصلِ: أديال.

(9) في الروض: لا شَيْءَ.

(10) في الروض وعيون الأثَر والمعجم الكبِير والخصائِص: وإن كانَ فِيما.

(11) في الأصل: الدّوائب.

(12) الأبيات من الطويل، لم أجد رواية متطابقة مع روايَة المؤلّف، فقارنتها مع رواية الروض الأنف، وأثبتُّ الاختلافات بينهما، وهذا توثِيق الأبيات: في الروض الأنف، السهْيلِي، 211/2، والخصائص، السيوطِي، 256/1، وعيون الأثَرِ، 152/1، والمعجم الكبِير، الطبرانِي (6476)، الاكتفاء، الكلاعِي، 173/1.

(13) ذكر تفصِيلَ ذلك السهيلِي بعد ذكر الأبْيَاتِ، الروض، 211/2.

ويُروَى: أَنَّهُ قدِمَ وائل بن حجر مِنَ الْيَمنِ إِلَى النَّبِيء ﷺ مُسْلِمًا وَافِدًا، فأَصْعَدَهُ النَّبِيءُ ﷺ إِلَيْهِ علَى الْمِنْبَرِ وأقْطَعَهُ وكَتَبَ لهُ عَهْدًا وقَالَ: ((**هذَا سَيِّدُ الْأَقْيَالِ**[1])) ثُمَّ نَزَلَ الكُوفَةَ، وكانَ لَهُ قَبْلَ ذلِكَ صَنَمٌ مِنْ عَقِيقٍ يَعْبُدُهُ ويَسْجُدُ لَهُ فنامَ عِنْدَهُ فِي الظَّهيرةِ فَسَمِعَ صَوْتًا هَائِلًا فأَتَاهُ فسَجَدَ لَهُ، فسَمِعَ هَاتِفًا:

وَاعَـجَـبًـا لِـوَائِـلِ بـنِ حُـجْـرِ ... يَـخَـالُ يَـدْرِي وَهْـوَ لَـيْـسَ يَـدْرِي

مَـاذَا تُـرَجِّـي مِـنْ نَـحِـيـتِ صَـخْـرٍ ... لَـيْـسَ بِـذِي عُـرْفٍ وَلَا ذِي نُـكْـرِ

وَلَا بِـذِي نَـفْـعٍ وَلَا ذِي ضُـرِّ ... لَـوْ كَـانَ ذَا حِـجْـرٍ أَطَـاعَ أَمْـرِي[2]

فرَفَعَ رأْسَهُ فقَالَ: بِمَاذَا تَأْمُرُنِي؟ فقَالَ:

ارْحَـلْ إِلَـى يَـثْـرِبَ ذَاتِ الـنَّـخْـلِ ... وَسِـرْ إِلَـيْـهَـا سَـيْـرَ مُسْـتَـقِـلِّ

فَـدِنْ بِـدِينِ الصَّـائِـمِ الْـمُصَـلِّي ... مُـحَـمَّـدٍ خَـيْـرِ جَـمِـيعِ الـرُّسْـلِ[3]

ثمَّ خرَّ الصَّنَمُ لِوَجْهِهِ، فقامَ إِلَيْهِ فجَعَلَهُ رُفَاتًا. ثُمَّ سارَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينةَ، ودَخلَ الْمَسْجِدَ فأَدْناهُ النَّبِيءُ ﷺ وبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ وأَجْلَسَهُ معهُ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ وقَالَ: يَا أَيُّها النَّاسُ، هذَا وَائِلُ بنُ حُجْر، أَتَاكُم مِنْ أَرْضٍ بَعِيدةٍ راغِبًا فِي الإِسْلَامِ، فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ بلَغَنِي ظُهُورُكَ وأَنَا فِي مُلْكٍ عَظِيمٍ، فتَرَكْتُهُ واخْتَرْتُ دِينَ اللهِ فقَالَ: صدَقْتَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ في وَائِل ووَلَدِهِ ووَلَدِ وَلَدِهِ[4].

ويُروَى: أَنَّهُ كانَ لجنْب[5]، وهُوَ بطْنٌ مِنَ الْيَمَنِ، كاهِنٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ولَمَّا ذُكِرَ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وانْتَشرَ فِي الْعَرَبِ، قالَتْ لَهُ جَنْب: انْظُرْ لنَا فِي أَمْرِ هذَا الرَّجُلِ فَاجْتَمَعُوا لهُ أَسْفلَ جبَلِهِ، فنَزَلَ حِينَ طَلَعت الشَّمسُ، فوَقَفَ لهُمْ قائِمًا مُتَّكِئًا علَى قَوْسٍ لَهُ، فرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ طَوِيلًا يَتَزوَّى[6] ثُمَّ قالَ: أَيُّها النَّاسُ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَ مُحَمَّدًا واصْطَفَاه، وطهَّرَ قَلْبَهُ وحشَاه، ومُكْثُهُ فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَلِيلٌ، ورَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ[7].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ قَوْمًا مِنْ خثعم كَانُوا عِنْدَ صَنَمٍ لَهُمْ، وكَانُوا يتَحَاكَمُونَ إِلَى أصْنَامِهِمْ، فَيُقَالُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: هلْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ فيَقُولُ: قَدْ واللهِ فَعَلْتُ فأَكْثَرْتُ، فالْحَمْدُ للهِ الذِي أَنْقَذَنِي بِمُحَمَّد

---

(1) قال أبو عبيدة: المقاول ملوك اليمن. قال: ويروى ومقاول الأقيال. فمن رواه الأقيال فجمعه على قيل، ومن رواه الأقوال رده إلى الأصل، كذا فسره أبو عبيدة والأصمعي. شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة، 452/2.

(2) الأبيات من الرجز.

(3) البيتان من الرجز، في شرح المواهب: محمد الرسول خير الرسل.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 435/5.

(5) ولَدُ يزِيد بن حَرْب بن عُلة: صُدَاء، بطن ضخم، ومُنَبه، والحارِث، والغلى، وسِنْحان، وهِفَّان، وشِمْران، تحالفَ هؤلاء السِّتة على ولَدِ أخِيهِم صُداء، فسموا جَنْب. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص413.

(6) في سيرة ابن هشام: يَنزُو. وتَزَوَّى: صار في زاويَةٍ. لسَان العرب (زوي)

(7) سيرة ابن هشام، 209/1.

ﷺ. قالَ: بَيْنَمَا الْخَثْعَمِيُّونَ عِنْدَ صَنَمٍ لَهُمْ إِذْ سَمِعوا هَاتِفًا:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَوِي الْأَجْسَامِ ... وَمُسْنِدِي الْحُكْمِ إِلَى الأَصْنَامِ
أَكُلُّكُمْ أَوْرَهُ كَالْكَهامِ ... أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى أَمَامِي
مِنْ سَاطِعٍ يَجْلُو دُجَا الظَّلَامِ ... ذَاكَ نَبِيءٌ سَيِّدُ الْأَنَامِ
مِنْ هَاشِمٍ فِي ذرْوَةِ السَّنَامِ ... مُسْتَعْلِنٌ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
يُجَاهِدُ الْكُفَّارَ[1] بِالْإِسْلَامِ ... أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامِ[2]

قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فأَمْسَكُوا ساعَةً حَتَّى حفِظُوا ذَلِكَ ثُمَّ تَفرَّقُوا، فَلَمْ تَمْضِ بِهِمْ ثَالِثَةٌ حَتَّى فَجأَهُمْ خَبَرُ رسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ظَهَرَ بِمَكَّةَ، فَأَسْلَمَ الْخَثْعَمِيُّونَ[3].

والْأَوْرَهُ: الأَخْرَقُ فِي الْعَمَلِ، والْحُمْقُ. والشَّيْءُ الكَهَامُ: الْبَطِيءُ.

قال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لِعُمَرَ ﷺ: انْطَلَقْتُ أَنَا وصَاحِبَانِ لِي نُرِيدُ الشَّامَ، حتَّى إِذَا كُنَّا بِقفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ نَزَلْنَا بِهَا، فبَيْنَمَا نَحْنُ كذَلِكَ إِذْ لَحِقَنَا راكِبٌ فكُنَّا أَرْبَعَةً، وقَدْ أَصَابَنَا سَغَبٌ[4] شَدِيدٌ، فَالْتَفَتُّ فإِذَا أَنَا بِظَبْيَةٍ عَضْبَاءَ[5]، تَرْعَى قَرِيبًا مِنَّا، فوَثَبْتُ إِلَيْها، فقَالَ الرَّجلُ الذِي لَحِقَنَا: خَلِّ سَبِيلَهَا لَا أَبَا لَكَ، واللهِ لَقَدْ رَأَيْتُها ونَحْنُ نَسْلُكُ هذَا الطَّرِيقَ، ونَحْنُ عشَرَةٌ وأَكْثَرُ، فمَا يُهَيِّجُهَا أَحَدٌ، فقُلْتُ: واللهِ لَا أُخَلِّيها، فَارْتَحَلْنَا وقَدْ شَدَدْتُها معِي، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ سُدَفٌ مِنَ اللَّيْلِ إِذَا هَاتِفٌ يقُولُ:

يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ السِّرَاعُ الْأَرْبَعَةْ ... خَلُّوا سَبِيلَ النَّاقَةِ الْمُفَزَّعَة
خَلُّوا عَنِ الْعَضْبَا فِي الْوَادِي سَعَة ... لَا تَذْبَحُنَّ الظَّبْيَةَ الْمُرَوَّعَة
فِيهَا لِأَيْتَامٍ صِغَارٍ مَنْفَعَة[6]

فَخَلَّيْتُ سبِيلَهَا، ثُمَّ انْطَلَقْنَا [109و]حَتَّى أَتَيْنَا الشَّامَ فقَضَيْنا حَوَائِجَنا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بالْمَكَانِ الذِي كُنَّا فِيهِ هَتَفَ هاتِفٌ مِنْ خَلْفِنَا:

إِيَّاكَ لَا تَعْجَلْ وَخُذْهَا مِنْ ثِقَةْ ... فَإِنَّ شَرَّ السَّيْرِ سَيْرُ الحَقْحَقَةْ[7]
قَدْ لَاحَ نَجْمٌ فَأَضَاءَ مشْرِق ... يُخْرِجُ مِنْ ظَلْمَا عَسُوفٍ[8] مُوبقه
ذَاكَ رَسُولٌ مُفْلِحٌ مَنْ صَدَّقَهْ ... اللهُ أَعْلَى أَمْرَهُ مُحَقِّق

(1) في عيون الأثرِ: جاءَ يَهُدُّ الكفرَ.

(2) الأبيات من السريع.

(3) عيون الأثر، ابن سيد الناس، 161/1 والاكتفاء، الكلاعي، 174/1، عن الواقِدِي.

(4) السغب: الجوع، وقيل الجوع مع التعبِ. لسان العرب (سغب).

(5) عضباءَ: العضْبُ هو القطْع، وناقة عَضْباءُ مَشْقُوقة الأُذُن، وشاة عَضْباءُ مكسورة القَرْن. لسان العرب (عضب).

(6) الأبيات من مشطور الرجز.

(7) الحقحقة: شِدَّة السَّيْر، لسان العرب (حقق).

(8) العَسْفُ: السَّير بغير هداية، منه قيل رجل عَسوفٌ إذا لم يَقْصِد الحق، ورجل عَسُوف إذا كان ظلوماً. لسان العرب (عسف).

فأَتَيْنا مَكَّةَ فإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يدْعُو إِلَى الْإِسلامِ، فقَالَ عُمَر ﷺ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أكرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ[1].

قالَ الْكَلبِي[2]: لَقِيتُ شُيُوخًا مِنْ شُيُوخِ طيء فسَأَلْتُهُمْ عَنْ قِصَّةِ مازن وسَبَبِ إِسْلَامِهِ، ووُفُودِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وكَانَ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى: سنابل، مِنْ قُرَى عمان، فأَخْبَرُوهُ عَنْ مَازِن أَنَّهُ قالَ: عَتَرْتُ ذاتَ يَوْمٍ عَتِيرَةً؛ وهِيَ الذَّبِيحَةُ، فسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ الصَّنَمِ يَقُولُ: يَا مَازِن أَقْبِلْ أَقْبِلْ، فَاسْمَعْ ما لَا تَجْهَلْ، هذَا نَبِيءٌ مُرْسَل، جَاءَ بِحَقٍّ مُنْزَل فآمِنْ بِهِ كَيْ تُعْزَلْ، عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْعَلْ، وقُودُهَا بِالْجَنْدَلْ، قَالَ: فقُلْتُ: واللهِ إِنَّ هذَا لَعَجَبٌ.

ثُمَّ عَتَرْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ عَتِيرَةً أُخْرَى، فَسَمِعْتُ صَوْتًا أَبْيَنَ مِنَ الْأَوَّلِ: يَا مَازِن اسْمَعْ تُسَرْ، ظَهَرَ خَيْرٌ وبَطَنَ شَرّ، بُعِث نَبِيءٌ مِنْ مُضَر، يَدِينُ للهِ الْكُبَر، فَدَع نَحِيتًا مِنْ حَجَر، تَسْلَمْ مِنْ حَرِّ سَقَرْ. قالَ مَازِن: فقُلْتُ: هَذَا واللهِ لَعَجَب وَإِنَّهُ لَخَيْرٌ يُرادُ بِي.

وقَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الحجاز، فقُلْنَا مَا الْخَبَرُ وَرَاءَكَ؟ قالَ: خَرَجَ بتِهَامَةَ رَجُلٌ، يَقُولُ لِمَنْ أَتَاهُ: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ. فقُلْتُ لَهُ: هذَا واللهِ نَبَأٌ مَا سَمِعْتُ، فثُرْتُ إِلَى الصَّنَمِ فكَسرْتُهُ جُذَاذًا، وشَدَدْتُ رَاحِلَتِي ورَحَلْتُ، حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فشَرَحَ لِي الإِسْلَامَ فأَسْلَمْتُ[3].

وكَانَ خنافر بن التّوأم كاهِنًا، وقَدْ أُتِيَ بَسْطَةً فِي الْجِسْمِ والْمَالِ، وكَانَ عَاتِيًا، فَلَمَّا وَفِدَتْ وفُودُ الْيَمَنِ علَى النَّبِيءِ ﷺ وظَهَرَ الْإِسْلامُ، أَغَارَ عَلَى إِبِل [مِنْ مراد[4]][5] وَخَرجَ بِأَهْلِهِ ومَالِهِ ولَحِقَ بِالشّحر[6]، فحالَفَ جودان بن يحيى[7]، وكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا، ونَزَلَ بِوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشِّحْرِ[8] مُخْصِبٍ كَثِيرِ الشَّجَرِ.

قالَ خُنَافِر: وكَانَ لِي رِئْيٌ اسْمُهُ شصار[9] لَا يَغِيبُ عَنِّي، فلَمَّا شَاعَ الْإِسْلامُ فقَدْتُهُ مُدَّةً طَوِيلةً، فَسَاءَنِي ذَلِكَ. فبَيْنَما أَنَا فِي ذَلِكَ الْوَادِي لَيْلَةً قَائِمًا، إِذْ أَهْوَى إِلَيَّ هَوِيّ الْعُقَابِ، فقَالَ: خُنَافِر، فقُلْتُ: شصار، فقالَ: اسْمَعْ أَقُلْ، قُلْتُ: أَسْمَع، فقَالَ: عِه تَغْنَمْ، لِكُلِّ مُدَّةٍ نِهَايَة، وكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى

---

(1) القصة كلها مع الرَّجز، الاكتفاء، الكلاعِي، 175/1.

(2) ابْنُ الكَلْبِيِّ أَبُو المُنْذِرِ هِشَامُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السَّائِبِ.

(3) الاكتفاء، الكلاعِي، 176/1-177. والقصة في دلائل النبوة، البيهقِي، 256/2، وغيرِه، مع تغيير.

(4) مراد: من قبائل اليمن، تقع مساكنها إلى الغرب الجنوبِي من مأرب، ويبلغ عدد رجالها القاتلِينَ أربعة آلافٍ. واسم مراد يحابر بن مالك بن أدَد بن زيد. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم ص406، ومعجم قبائل العرب، رضا كحالة، 1066/3.

(5) في الاكتفاء: لمرادَ.

(6) في الأصْلِ: بالشحن. الشِّحْرُ: الشَّطُّ، وهو صقع (ناحِيَة) على ساحِلِ بحرِ الهند من ناحِيَة اليَمَنِ، قال الأصْمَعِي: هو بينَ عَدَن وعُمان. معجم البلدان، الحموِي، 327/3.

(7) جَوْدَانَ بنَ يَحْيَى الفرضمِي، كما في الأمالِي، لم أقف على ترجمة له.

(8) في الأصْلِ: الشحن.

(9) إضافة على الهامِشِ.

غَايَة. قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: كُلُّ دولَةٍ إِلَى أجَل، ثُمَّ يتاحُ لهُمْ حِوَل، قَدْ تنسَّخَتِ النِّحَل، وَرَجَعَتْ إِلَى حقَائِقِها الْمِلَل، إِنَّكَ شَجِيرٌ[1] مَوْصُول، والنُّصْحُ لَكَ مَبْذُول، إِنِّي آنَسْتُ بِأَرْضِ الشَّامِ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْقوام[2] [109ظ] حُكَّامًا علَى الْحُكَّام، [يزْبرُونَ[3] دُررًا][4] مِنَ الْكَلامِ لَيْسَ بِالشِّعْرِ الْمُؤَلَّف، ولَا السَّجْعِ الْمُتَكَلّف، فَأَصْغَيْتُ فزُجِرْت، فعَاوَدْتُ فطلبت[5]، فقُلْتُ: بِمَ تهينمونَ[6] وَإِلَى مَنْ تَعْتَزُونَ؟ فقَالُوا: خِطَابُ كُبار، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّار، فَاسْمَعْ يَا شصار عَنْ أصْدَقِ الْأَخْبَار، واسْلُكْ أَوْضَحَ الْآثار تَنْجُ مِنْ أُوَارِ النَّارِ، فقُلْتُ: ومَا هَذَا الْكَلَامُ؟ فقالُوا: فُرْقَانٌ بَيْنَ الْكُفْرِ والْإِيمَانِ، رَسُولٌ مِنْ مضر، ابْتُعِثَ فظَهَر، فجَاءَ بِقَوْلٍ قَدْ بَهَر، وأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ أثر، فِيهِ مَوَاعِظُ لِمَن اعْتَبَر، ومَعَاذٌ لِمَن ازْدَجَر، أُلِّفَ بِالْآيِ الْكُبَر. فقُلْتُ: ومَنْ هذَا الْمَبْعُوثُ مِنْ مُضَر؟ قالُوا: أَحْمَدُ خَيْرُ الْبَشَر، فإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّبَر[7]، وإِنْ خَالَفْتَ أُصْلِيتَ سَقَر، فآمَنْتُ يا خُنَافِر، وأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أُبَادِر، فجَانِبْ كُلَّ رِجْسٍ كَافِر، وشَايِعْ كُلَّ مُؤْمِنٍ طَاهِر، وإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ولَا مِنْ تَلَاق. فَقُلْتُ: مِنْ أَينَ أَبْغِي هَذَا الدِّين؟ قال: مِنَ النَّفَرِ اليَمَانِين، أَهْلِ الْمَاءِ وَالطِّين. قُلْتُ: أَوْضِحْ، قالَ: الْحقْ بِيَثْرِبَ ذَاتِ النَّخْل، فهُنَالِكَ أَهْلُ الْفَضْلِ والطَّوْل، والْمُوَاسَاةِ والنَّوْل، ثمَّ انملَسَ عَنِّي، فَبِتُّ مذْعُورًا أُرَاعِي الصَّباحَ، فلَمَّا بَرَقَ لِي النَّورُ امْتَطَيْتُ رَاحِلَتِي، وآذَنْتُ أَعْبُدِي، واحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي حَتَّى وَردْتُ الجرفَ[8][9]، فرَدَدْتُ الْإِبِلَ على أَرْبابِها وأَقْبَلْتُ أُرِيدُ صَنْعَاءَ فأَصَبْتُ فِيهَا معاذ بن جبل أَمِيرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فبَايَعْتُهُ علَى الإِسْلَامِ وعَلَّمَنِي مِنَ الْقُرْآنِ فَمَنَّ اللهُ عَلَيَّ بِالْهُدَى بَعدَ الضَّلالةِ والْعِلْمِ بَعْدَ الْجَهالَةِ وقُلْتُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللـهَ عَـادَ بِـفَضْـــلِـهِ فَأَنْقَدَ مِنْ حَرِّ[10] الزَّخيخِ[11] خُنَافِرَا

(1) في الاكتفاء وأمالي القالي: سجِير. شَجِير: الغريبُ والصاحبُ. لسان العرب (شجر).

(2) فِي الاكتفاء: العزام، وفِي أمالي القالي: العُذَام.

(3) الزَّبْرُ: الكتابة، وزَبَرَ الكتابَ يَزْبُرُه ويَزبِرُه زَبْراً كتبه، وقيل: النَّقْشُ في الحجارة. لسان العرب (زبر).

(4) في أمالي القالي: يَذْبُرونَ ذا رَوْنَق، وفي الاكتفاء: يذكرون ذا رونَق.

(5) في أمالي القالي والاكتفاء: فظُلِفْت. وظَلَفه عن الأمر يَظْلِفُه ظَلْفاً منعه. لسان العرب (ظلف).

(6) الهَيْنَمة: الصوت وهو شِبْه قراءة غير بيِّنة. لسان العرب (هنم).

(7) في الأصْلِ: الشَّيَر، وسيشرحهُ المؤلف بالخيرِ، ولم أجد ضبْطَهُ بالياءِ، بل هو بالباءِ.

الشَّبَر: الخير والفضل والعطاء. مقاييس اللغة (شبر).

(8) في الاكتفاء وأمالي القالي: الجوف.

(9) في معجم البلدان مواضِع كثِيرة باسم الجوفِ، ومما اخترته مناسباً للمقامِ قولُهُ: "والجوف أيضا: من أرض مراد، رواه الحميدي الجرف ورواه النّسفي الحول، وهو فاسد، وهو في أرض سبأ". معجم البلدان، الحموِي، 188/2.

(10) في أمالي القالي والاكتفاء: لفح.

(11) في أمالي القالي والاكتفاء: لفح. الزَّخيخُ: النار، يمانية، وقيلَ: هي شدَّة بريق الجمر. لسان العرب (زخخ).

وَكَشَّـــفَ لِي عَن حَجْمَتَيَّ[1] عَمَاهُمَا وَأَوْضَـــحَ لِي نَهْجًا وَقَدْ كَانَ دَاثِرًا[2]
دَعَانِي شِـــصَـــارٌ لِلتِي لَوْ رَفَضْـــتُهَا لَأُصْـــلِيتُ جَمْرًا مِنْ لَظَى الْهَوْبِ وَاهِرَا[3]
فَأَصْبَحْتُ وَالْإِسْـلَامُ حَشْـوُ جَوَانِحِي وَجَـانَبْـتُ مَنْ أَمْسَـــى عَنِ الْحَقِّ نَـائِرَا
وَكَانَ مُضِـــلِّي مَنْ هُدِيتُ بِرُشْـــدِهِ فَلِلـهِ مُغْوٍ عَـادَ بِـالرُّشْـــدِ آمِرا
نَجَوْتُ بِحَمْـدِ اللهِ مِنْ كُـلِّ فَجْعَةٍ[4] تُوَرِّثُ هلْكًا يَوْمَ[5] شَـايَعْتُ شَـاصِـرَا[6]

والشَّجِيرُ: الصَّدِيقُ، والشِّيَرُ: الْخَيْرُ، حُرِّكت ياءُهُ لِلسَّجْعِ، والأُوَارُ: شِدَّةُ الْحَرِّ، والزَّخِيخُ: النَّارُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ، والْحَجْمَتَانِ: العَيْنَانِ بِلُغتِهِم أيْضًا، والْهَوْبُ: النَّارُ بِهَا، ونَائِرا: نَافِرا.

وكانَ لِمرداس السّلميّ صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ: ضمَار، وهُوَ حَجَرٌ، فلَمَّا احْتَضَرَ مِرْدَاسُ قالَ لِابْنِهِ عبَّاسٍ: أَيْ بُنيَّ اعْبُدْ ضمَارًا فَإِنَّهُ يَنْفعُكَ ويَضُرُّكَ، فبيْنَمَا عَبَّاسٌ عِنْدَ ضِمَار إِذْ سَمِعَ مِنْ جَوْفِ ضمَار مُنَادِيًا يقولُ:

قُـلْ لِلْقَبَـائِـلِ مِـنْ سُـــلَيمٍ كُـلِّهَـا أَوْدَى[7] ضـــمَار وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْـــجِدِ
إِنَّ الـذِي وَرِثَ الـنُّـبُـوءَةَ وَالْـهُـدَى بَعْـدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَـدِي
أَوْدَى ضِـــمَـار وَكَـانَ يُـعْـبَـدُ مَـرَّةً قَبْـلَ الْكِتَـابِ إِلَى النَّبِيءِ مُحَمَّـدِ[8]

فَأَحْرَق العبَّاسُ ضمارًا، فلَحِقَ بِالنَّبيءِ ﷺ فأَسْلَمَ[9].

وكَانَ العبّاس بن مِرداس فِي لِقَاحٍ[10] لَهُ نِصْف [110و] النَّهارِ، فاطَّلَعَتْ عَلَيْهِ نَعَامَةٌ بَيْضَاءُ عليْهَا رَاكِبٌ علَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ، فقَالَ لِي: يا عبَّاس بن مِرْدَاس، أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّماءَ كَفَّتْ أَحْرَاسَها، وأَنَّ الْحَرْبَ جَرَعَتْ أَنْفَاسَها، وأَنَّ الْخَيْلَ وَضَعَتْ أَحْلَاسَها، وأَنَّ الذِي أُنْزِلَ علَيْهِ البِرُّ والتَّقْوَى يَوْمَ الاثْنَيْن لَيْلَة الثُّلَاثَاء صَاحِب الْقصْوَى. قالَ: فخَرَجْتُ مَرْعُوبًا قَدْ رَاعَنِي مَا رَأَيْتُ وَسَعَيْتُ حَتَّى جِئْتُ وَثَنًا يُقَالُ لهُ الضّمار، وكُنَّا نَعْبُدُهُ ونُكَلِّمُ مِنْ جَوْفِهِ، فكَنَسْتُ مَا حَوْلَهُ ثُمَّ تَمَسَّحْتُ بِهِ، فإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِهِ:

---

(1) يقصِد العيْنيْن.

(2) الدُّثور: الدروس. قيده بالتاء وهو بالثاءِ.

(3) الهوب: اسم النار، واشتعال النار ووهجها يمانيَّة. لسان العرب (هوب).

واهر: لَهَبٌ واهِرٌ ساطِعٌ. لسان العرب (وهر).

(4) في الاكتفاء وأمالي القالي: قحْمَة.

(5) في الأصْلِ: يوماً، وينكسر الوزن به.

(6) الأبيات من الطويل، والقصة في أمالي القالي، 169/1، والاكتفاء، الكلاعِي، 178/1-179،

(7) أَوْدَى الرجلُ هَلَكَ فهو مُودٍ. لسان العرب (وِدِي).

(8) الأبيات من الكامل.

(9) الاكتفاء، الكلاعِي، 179/1-180.

(10) لقاح: جمعُ لِقْحَة وهِي: الناقة حِينَ يَسمنُ ولدها، حتى يمضِي له سبعة أشهُرٍ.

قُلْ لِلْقَبَائِلِ الْأَبْيَاتِ.

فخرَجْتُ مذْعُورًا حَتَّى جِئْتُ قَوْمِي، فقَصَصْتُ عَلَيْهِم الْقِصَّةَ وأَخْبَرْتُهُم الْخَبَرَ، فخَرَجْتُ في ثَلَاثِ مِئَةٍ مِنْ قَوْمِي مِن بَنِي حَارِثَةَ[1]، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينةِ، فدَخَلْنَا الْمَسْجدَ فلَمَّا رآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبَسَّمَ وقَالَ لِي: يَا عبَّاسُ كيْفَ إِسْلَامُكَ؟ فقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، قَالَ: صدَقْتَ، فَأَسْلَمْتُ أنَا وَقَوْمِي[2].

وكانَ لبَنِي عُذْرَةَ[3] صَنَمٌ يُقالُ لَهُ: طارق[4]، فلمَّا بَعَثَ اللهُ رسُولَهُ ﷺ سُمِعَ مِنْ جَوْفِهِ صَوْتٌ: يا طَارِق، بُعِثَ النَّبِيءُ الصَّادِق، جَاءَ بِوَحْيٍ نَاطِق، ثُمَّ وَقَعَ الصَّنَمُ لِوَجْهِهِ فتَكَسَّرَ، فأَتَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ قالَ: ذَلِكَ مِنْ مُؤْمِنِ الْجِنِّ[5].

وكانَ العوام بنُ جُهَيل[6] مِنْ همَدَانَ يَسْدنُ يَغُوثَ. قالَ: كُنْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَاتِ رِيحٍ وبَرْدٍ ورَعْدٍ وبَرْقٍ، فِي بَيْتِ الصَّنَمِ، فسَمِعْتُ هاتِفًا مِنَ الصَّنَمِ: يَا ابْنَ جُهَيْل[7]، حَلَّ الْوَيْلُ بالأَصْنَام، هذَا نُورٌ ساطِعٌ مِنْ أَرْضِ الْحَرَام [قَارَبَ الأَطَام، ثُمَّ انْتَشَرَ فِي يَمَن وشَام][8]، فَوَدِّعْ يَغُوثَ بِالسَّلام. فكَتَمْتُ ما سَمِعْتُ، [حَتَّى كُنْتُ فِي مِثْلِ تِلْكَ اللَّيْلةِ مِنَ الْعَامِ الثَّانِي][9] إِذِ الْهَاتِفُ يقُولُ:

هَـلْ تَسْـمَعنَّ الْقَوْلَ يَـا عَوَامِي[10]
أَوْ قَـدْ صَـمِمْـتَ عَنْ نَبَـا[11] الْكَلَام
قَـدْ كُشِـفَـتْ حَنَـادِسُ[12] الظَّلَام
وَأَصْـفَقَ[13] النَّـاسُ عَلَى الْإِسْـلَام

فقُلْت:

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ بِالنُّوام

(1) في الروض: بني جارِيَة، وفي هواتف الجنان: بني الحارِث.

(2) القصة في الروض الأنف، السهيلي، 261/7، وهواتف الجنان، ابن أبي الدنيا، ص74.

(3) بنو عُذْرَة بن سعد وهم: عامر، بطن وكبير بن عُذْرة، بطنٌ، ورفاعة بن عُذرة. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص448.

(4) في عيون الأثَر: خُمَام.

(5) أورد المؤلّف القِصَّة مختصرة، ينظر: عيون الأثَر، ابن سيد الناس، 156/1، وبحار الأنوار، 598/6.

(6) في الأصل: جميل، والتصحيح من أسد الغابة.

(7) في الأصل: جميل، والتصحيح من أسد الغابة.

(8) العبارة ليست في أسد الغابة ولا الإصابة.

(9) العبارة ليست في أسد الغابة ولا الإصابة.

(10) على الهامِشِ دون إشارة إلى موضِعِهِ: وعوامِي إضافة للعلم إلى الياءِ. وفي الإصابة وأسد الغابة: عوام.

(11) في الإصابة وأسد الغابة: مَدَى.

(12) في الإصابة وأسد الغابة: دياجِرُ.

(13) من الصفقة وهوَ الاجتماع، أيْ اجتمعوا عليهِ.

لَسْتُ بِذِي وَقْرٍ عَنِ الْأَنَام[1]

فقَالَ:

ارْحَلْ عَلَى اسْمِ اللهِ وَالتَّوْفِيق
إِلَى فَرِيقٍ خَيْرِ مَا فَرِيق
إِلَى النَّبِيءِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوق
تَفُزْ بِدِينٍ غَيْرِ مَا مَمْدُوق [2]

فَجِئْتُ فِي وَفْدِ هَمَدَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَسْلَمْتُ وأمرْتُ بِكَسْرِ الصّنَمِ[3].

والمدق: الخلط[4].

وكَانَ إِيَاس فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَأْتِي إِلَى صَنَمٍ يَعْبُدُهُ، ودَعَاهُ يَوْمًا فكلَّمه فلَمْ يُكَلِّمْهُ. فقَالَ: لَا أَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى تُكلِّمنِي. فَجَلَسَ طَوِيلًا فقَالَ لهُ هَاتِفٌ: أَيُّها الْجَالِسُ قَدْ تَفَرَّقَ الْأَبْلَاس، ولَحِقَتْ بأرضِ الأقتابِ والأحلاس. وكانَ عندَ خروجِ النَّبيءِ ﷺ[5].

ورُوِيَ عن عمر الهدَلي أَنَّهُ قال: حَضَرْتُ مَعَ رَجُلٍ مِن قَوْمِي صَنَمًا سواغًا[6]، وقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ الذَّبائِح، فكُنْت أَوَّلَ مَن قرَّبَ إِلَيْهِ بَقَرَةً سَمِينَةً، فذبَحْتُها لِلصَّنَمِ. فسمِعْتُ مِنْ جَوْفِهِ: الْعَجَب كُلّ العُجَابِ: نَبِيءٌ بَيْنَ [110ظ] الأخاشِب، يُحَرِّمُ الزِّنا والذَّبْحَ لِلْأَصْنَامِ [وحُرِسَتِ السَّماءُ، ورُمِينَا بِالشُّهُب][7] ففَرَّقَنا فقَدِمْنَا مَكَّةَ، فلَقِينَا أَبَا بَكْر الصِّدِّيقَ ﷺ فقُلنَا: أَخَرَجَ أَحَدٌ بِمَكَّةَ يدْعُو إِلَى اللهِ تعَالَى؟ فقَالَ: ومَا ذَلكَ؟ فأَخْبَرْناهُ الْخَبَرَ، قالَ: نَعَمْ، هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ دعانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فقُلْتُ: حَتَّى أَرَى مَا يَفْعَلُ قَوْمُنا، ويَا لَيْتَنَا أَسْلَمْنَا[8].

قالَ أبو رياب[9]: كنتُ مولَعًا بالصَّيْدِ مستَهْتِرًا فِي أَمرِهِ، وابْتُلِيتُ بأَن لا تعِيشَ لِي جارِحَةٌ مِنْ جَوَارِحِهِ، فشَكَوْتُ ذلكَ إِلَى صَنَمٍ لَنَا، يقَالُ لَهُ: قراض[10]، بعْدَ أَنْ ذَبَحْتُ لَهُ ذَبِيحَةً وأطَفْتُ بِهِ،

(1) في الإصابة وأسد الغابة: الكلام.

(2) هذا الشطْرُ من الرَّجزِ ليسَ فِي أسد الغابة ولا في الإصابة، وفيهما شطر لم يَذكره المؤلِّفُ.

(3) ينظر القصة فِي: أسد الغابة، ابن الأثِير، ص969، والإصابة، ابن حجر، 547/7.

(4) لم أقف على اللفظ في المعاجِمِ.

(5) لم أقف على الخبر.

(6) في الإصابة: سواع، وليس في كتاب الأصنام ذكر لسواغ.

(7) العبارة لم تذكر في الإصابَة، وقد ذكرها أبو نعيم، في قصة تتداخل مع هذه القِصَّة، دلائل النبوة، ص121.

(8) القصة في الإصابة، ابن حجَر، 391/7، ولم يرِو نهاية القِصَّة كما رواها المؤلِّف هنا، ولم أشر إلى الاختلاف مخافة التَّطوِيلِ.

(9) في فنون العجائِب: عن عبد الله بن أبي ذُباب عن أبِيهِ. وذكر في أسد الغابة القصة مختصرة، فقال كما في فنون العجائِبِ. أسد الغابة، ابن الأثِير، ص1316.

(10) في فنون العجائِب: فراض.

وقُلْتُ:

قِـرَاضُ أَشْـــكُـو هـلْـكَ الْـجَـوَارِحْ مِـنْ طَـائِـرٍ ذِي مَـخْـلَـبٍ وَنَـابِـح
وَأَنْـتَ لِـلْأَمْـرِ الشَّـــدِيـدِ الْـفَـادِح فَـافْـتَـحْ فَـقَـدْ أُهِّـلْـتَ لِـلْـمَـفَـاتِـح

فأجابَنِي من الصَّنَمِ مجيبٌ:

دُونَـكَ كَـلْـبًـا سَـــادِكًـا مُـبَـارَكَـا يَصِـــيـــدُكَ الْأَوَابِـدَ الْـبَـوَارِكَـا
تَـرَاهُ فِـي أَنْـحَـارِهِـنَّ سَـــالِـكَـا[1]

ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَحْلِي فوَجَدْتُ كلْبًا هَائِلًا، واسْمُ الْكَلْبِ: حياض، فصارَ يُرْغِدُ عيْشَهُ بالصَّيْدِ الكثِيرِ كلَّ يومٍ، إِلَى أَنْ شَاعَ ظُهُورُ النَّبيءِ ﷺ وأَقْبَلَ إِلَى الْحَيِّ إِنْسانٌ، فحَدَّثَ أَبَا رِيابٍ بِحَدِيثِ النَّبيءِ ﷺ، وحِيَاض هذَا مُصِيخ ثُمَّ صارَ لَا يَصيدُ شَيْئًا، وكُلَّما أشلاهُ[2] أبو رياب على شيءٍ لَمْ يَمْتَثِلْ وسَالَمَ الصَّيْدَ.

فبيْنَمَا أَبُو رِيابٍ يسِيرُ يَوْمًا فِي الظَّهيرةِ وهُوَ يُفَكِّرُ فيمَا دَهَاهُ مِنْ كَلْبِهِ حياض، إِذْ رَأَى رَجُلَيْنِ عظِيمَيْنِ خَلْقًا، أَحَدُهُمَا رَاكِبٌ عِير وحش والآخَرُ راكِبٌ قرهبا[3]، وَوَرَاءَهُما عَبْدٌ أَسْوَد يقُودُ كلْبًا عَظِيمًا شَنِيعَ الْمَنْظَرِ فصَاحَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بِحِياض:

وَيْلَـكَ يَـا حِيَـاضُ لَا تَصِـــدْ شَـــيْ ئًـا إلا مـا حـوتْـهُ الْـبِـيـدُ
الـلـهُ أَعْـلَـى وَلَـهُ الـتَّـوْحِـيـدُ وعـبـدُهُ مـحـمَّـدٌ ســـديـدٌ
يَـا وَيْـلَ قِـرَاضٍ لَـهُ الـتَّـنْـكِـيـدُ قَـدْ ضَـــلَّ لَا يُبْـدِي وَلَا يُعِيـدُ[4]

فَانْصَرَفا وَقَد ذلَّ الكلبُ حياض ذُلًّا شَدِيدًا.

قال أَبُو رياب: فلَمَّا جنَّ اللَّيلُ اسْتَلْقَيْتُ علَى فِراشِي مُتَفَكِّرًا، فسَمِعْتُ حِسَّ الْكَلْبِ الذِي كان يقُودُهُ الغُلَامُ قَدْ دَخَلَ فَوَثَبَ إِلَيْهِ حياض فقَالَ: أَخْفِ أَمْرَكَ حَتَّى أَنْظُرَ أَنَائِمٌ هُو، أَمْ يقْظَانُ. ثُمَّ تطَاوَلَ يَنْظُرُ فتَنَاوَمْتُ لَهُ، فقَالَ: هُوَ نَائِمٌ. فقَالَ لهُ الْكَلْبُ الدَّاخِلُ إِنَّ الرَّجُلَيْنِ الذَيْنِ كُنْتُ خلفَهُمَا هُمَا مِنْ عُظَمَاءِ الزَّواجِرِ مِن الجِنِّ، وقَدْ أَسْلَمَا وآمَنا بِالنَّبيءِ ﷺ وأَمَرَهُما بقَتْلِ شيَاطِينِ الْأَوْثَانِ، وقَالَا: مَا تَرَكْنَا حيَاضًا أمْسِ إلاَّ لِضُعْفِهِ وعِلْمِهما أَنَّهُ يَهْرُبُ إِذَا سَمِعَ بهِما. ثُمَّ ذَكَرَ هذَا الكَلْبُ المُتَحَدِّثُ أَنَّهُما نَكَّلَا بِهِ؛ لِأَنَّهُ شَيْطانُ وَثَنٍ يارِق وأَرَادَا قَتْلَهُ إِلَى أن اسْتَوْثَقا منْهُ أَنَّهُ يَفِرُّ عنْ وَثَنِهِ ولَا يَقْرَبُهُ أَبَدًا. فقَالَ له حياضٌ: فمَا تَرَى لِي قالَ: الذِي أَرَى لِنَفْسِي، وهُوَ الفِرَارُ إِلَى الهِنْدِ، فهَرَبَا مَعًا، فأَوْقَعَ اللهُ في قَلْبِهِ الإِسْلامَ والْهِجْرَةَ إِلَى النَّبيءِ ﷺ [111و] فعَرَضَ ذلِكَ علَى قَوْمِهِ، فَسَفَّهوهُ وعنَّتوهُ علَى تَرْكِ دِينِهِ ودِين

(1) من الرَّجزِ.

(2) أَشْلَيْت الكَلْبَ بمعنى أَغْرَيْته. لسان العرب (شلي).

(3) القَرْهَب من الثيران المُسِنُّ الضَّخْمُ. لسان العرب (قرهب).

(4) تختلف عن رواية فنون العجائِبِ. لم أقفْ على الأبيات في المصادِر.

آبائِهِ فَأَظْهَرَ موَافَقَتَهُمْ، وإنْ ذلِكَ علَى وَجْهِ الاسْتِشَارَةِ لَهُمْ، وهُوَ على مَا عَزَمَ علَيْهِ، حَتَّى اسْتَغْفَلَهُم.

قالَ: فقَصَمْتُ الصَّنَمَ حُطَامًا، ووَفِدْتُ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَتَيْتُهُ يَوْمَ الجُمُعةِ، فكُنتُ أَسْفَلَ مِنْبَرِهِ فَصَعِدَ فخَطَبَ، فقالَ بعْدَ أنْ حَمِدَ اللهَ تعالَى وأثنَى عَلَيْهِ: إنِّي لَرَسُول اللهِ إلَيْكُمْ، نَبِيءٌ بالآياتِ والعَجَائِبِ والبَيِّناتِ، وإنَّ أَسفَلَ مِنْبَرِي هَذَا الرَّجُلُ مِن سَعْدِ الْعَشِيرةِ قَدِمَ يُرِيدُ الإِسْلامَ، ولَمْ أرَهُ قَطُّ ولَمْ يرَنِي إلاَّ في ساعَتِي هَذِهِ، ولَمْ أُكَلِّمْهُ ولَمْ يُكَلِّمْنِي وسيُخْبِرُكم بَعْدَ أنْ أُصَلِّيَ عَجَبًا.

قَالَ: فَصَلَّى النَّبِيءُ ﷺ وقَد امْتَلأْتُ رُعْبًا، فلَمَّا صَلَّى قَالَ: ادْنُ لِي يا أخَا سَعْد العَشِيرة، حدِّثْنا خَبَرَكَ وخبرَ حياض وقراض وما سَمِعْتَ وما رأَيْتَ، فقُمْتُ على قَدَمِي وحَدَّثْتُهُ والمسْلِمُون يسْمَعُونَ، حتَّى أَتَيْتُ علَى آخِر حَدِيثِي فرَأَيْتُ وَجْهَ رسُولِ اللهِ ﷺ كأَنَّهُ لِلسُّرورِ مذهْبٌ، فدَعَانِي للْإِسْلامِ وتَلَا عَليَّ الْقُرْآنَ، فأَقَمْتُ عِنْدَهُ حِينًا ثُمَّ استَأْذَنْتُهُ فِي القُدوم عَلَى قوْمِي فأَتَيْتُهُمْ وَرَغَّبْتُهُمْ في الإِسْلَام فأسْلَمُوا، وأَتَيْتُ بِهِم النَّبِيءَ ﷺ وفِي ذَلِكَ أقُولُ:

تَبِعْتُ رَسُــولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... وَخَلَّفْتُ قِرَاضًــا بِدَارِ هَــوانِ
شَــدَدْتُ عَلَيْهِ شِــدَّةً فَتَرَكْتُهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ. وَالدَّهرُ ذُو حَدَثَانِ
رَأَيْتُ لَهُ كَلْبًا يَقُومُ بِأَمْرِهِ ... يُهَدِّدُ بِالتَّنْكِيلِ وَالرَّجَفَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللهَ يُظْهِرُ دِينَهُ ... أَجَبْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ دَعَانِي
وَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلامِ -مَا عِشْتُ- نَاصِرًا ... وَأَلْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ أَنَّنِي ... شَرَيْتُ الذِي يَبْقَى بِمَا هُوَ فَانِي؟[1]

والعِير: الحِمَار، والْقَرْهَب: الثَّورُ الضَّخْمُ، والكَلْكَلُ: صَدْر كُلِّ شَيْء، وكَذَا الْجِرَان.

واللهُ أعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

67 وَفَازَ بَنُو [2] سَعْدٍ بِسَعْدٍ وَإِنَّمَا ... أَضَاعَ لَهُمْ عَرْفًا رَضَاعُكَ عَدْنَانِي
68 فَدَرَّتْ لَهُمْ شَاةٌ وَأَرْبَدَ شَارِفٌ ... وَكَانَتْ قَدِيمًا لاَ تَبِضُّ لِعَطْشَانِ
69 وَكَانَ لَهَا الأغنامُ إذ ذاكَ جُفَّلًا ... بِشَأْنٍ وَأَغْنَامُ الْمَرَاضِعِ فِي شَأْنِ
70 وجاءَتْكَ أملاكُ السَّمَاءِ بِأَرْضِهَا ... فَأَخْرَجَ ذَا الْقَلْبَ الْكَرِيمَ الْكَرِيمَانِ
71 وعنْهُ أَزَاحَتْ مَا أَزَاحَتْ وَأَثْبَتَتْ ... وَقَدْ مَلَأَتْهُ كُلَّ عِلْمٍ وَإِيمَانِ

وفَازَ بنُو سَعْدٍ بسَعْدٍ، أيْ: سَعَادَة أو رَسُول الله ﷺ، وإنَّما أَثْبَتَ لَهُمْ شَيْئًا عَظِيمًا دِينِيًّا ودُنْيَوِيًّا شَبِيهًا بالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ، رَضَاعُكَ فِيهِمْ إذْ أرضعَتْهُ حَلِيمَةُ، بِفَتْحِ الحَاءِ وكَسْرِ اللَّامِ، وهِيَ منْهُمْ يا نَبِيءَ عَدْنَانِي.

(1) الأبيات من الطويل. القصة في فنون العجائِبِ، النقاش، ص223.

(2) في الأصلِ: بنوا، والألف يضيفها المؤلف في مثل هذه المواضِعِ.

و"دَرَّتْ لَهُمْ" بِسَبِبكَ؛ [111ظ] أيْ: أخْرَجَت الدَّرَّ، وهُوَ اللَّبَنُ، شَاةٌ حقِيرَةٌ قَبْلُ وعَظِيمةٌ بعْدَ كَوْنِ النَّبِيءِ فيهِمْ ﷺ، وشَاةٌ كَبِيرَةُ السِّنِّ حَتَّى كانَ لِلَبَنِهَا زَبَدٌ أو زُبْدٌ، ومِنْ قَبْلِكَ لا تُخْرِجُ قَلِيلًا مِنَ اللَّبَنِ لمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ، كمَا يَحْتَاجُ العَطْشانُ لِلْمَاءِ.

سَقَتْكَ حلِيمَةُ لَبنَها فَسَقَتْهَا وقَبِيلَهَا الشّاةُ اللَّبَنَ. و"تَبضُّ": بالضَّادِ المعْجَمَة تسْمَحُ وبالْمُهْمَلَة تَلْمَع.

وكان لِلْقَبيلَةِ بني سعدٍ الأَغْنَامُ مُمْتَلِئَة الضّرُوعِ لَبَنًا، حِينَ ذَلِكَ المذْكُورِ مِنْ رَضَاعِ النَّبِيءِ ﷺ فيهِمْ مَوْجُودٌ. بِسَبَبِ شَأْنٍ عَظِيمٍ هُوَ كَوْنُهُ ﷺ فِيهِمْ وَرَضِيعًا، وذَلِكَ بَعْدَ مَا اخْتَصَّ الْخَيْرُ بِهَا؛ لِيَعْلَموا أنَّ مَا أصَابَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ. وأَغْنَامُ السِّخالِ[1] الرَّضِيعَاتِ فِي شَأْنٍ آخَر هُوَ الهُزَالُ وعَدَمُ اللَّبَنِ.

وجاءَكَ أَمْلاكٌ مِن أَمْلاكِ السَّماءِ، حَالَ كَوْنِكَ فِي أَرْضِ بَنِي سعْدٍ، فأَخْرَجَ هذَا الْقَلْبَ الكَرِيمَ، قلْبَ النَّبِيءِ ﷺ، القَرِيب مِنَّا بِالْحُبِّ لَهُ والشُّعُورِ بِهِ، الْمُتَأَهِّل لِلْحُضُورِ فِي مَقامِ الْخَيْرِ، الملَكَانِ الكَرِيمَانِ.

وأَبْعَدَتِ الملَائِكَةُ مَا فِيهِ مِمّا يُطبَعُ عَلَيْهِ الْبَشَرُ مِنْ مَسَاوِئِ الْقَلْبِ، فِي ضِمْنِ إِخْرَاجِ الْعَلَقَةِ، ومَلَأَتْهُ بِكُلِّ علْمٍ كَتَبَهُ اللهُ لهُ وإِيمَانٍ.

وثُلَاثِيُّ "أضَاعَ": ضَاعَ يضُوعُ؛ أيْ: ظَهَرَتْ رائِحَتُهُ. و"عَرْفًا": مَفْعُول بِهِ، أيْ: أرَاحَهُمْ رَائِحَةً. وإِسْنَادُ الإِضَاعَةِ للرّضاعِ تَجَوُّزٌ فِي الإِسْنَادِ وَحَقِيقَتُهُ أظْهَرَ اللهُ. و"عَدْنَانِيّ": بيَاءِ النَّسَبِ مُنَادَى لِمَحْذُوف.

و"شَاة" و"شَارِف": بِالْإِفْرَادِ والتَّنْكِيرِ تَمْثِيلٌ بِالوَاحِدَة، أو اسْتَعْمَلَ النَّكِرَةَ فِي الْعُمومِ الشُّمُولِيّ معَ الإِثْبَاتِ علَى القِلَّةِ.

و"أَمْلَاك": لِلْحَقِيقَةِ أو تَقْدِير مُضَافٍ؛ أيْ: بَعْضُ أَمْلَاك السَّمَاءِ. وإِسْنَادُ الإِخْرَاجِ لِلْأَمْلَاكِ، وكَذَا الإِزَاحَةِ؛ أيْ: الإِبْعَاد كل لَا كُلِّيَّة. وأَصْلُ مَلَكٍ "مَلْأَك"، بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ لَامٍ سَاكِنَةٍ كَقَوْلِهِ:

وَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[2]

وقيلَ: أَصْلُهُ "مَأْلَك" بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ ولامٍ مَفْتُوحَةٍ، مِنَ الأُلُوكَة وهِيَ الرِّسالَة، والْمِيمُ زَائِدٌ عَلَى القَوْلَيْن. وقِيلَ: المِيمُ أَصْلٌ، ولَا هَمْزَة مُقَدَّرة، ويُنَاسِبُهُ الْجَمْعُ علَى أَمْلَاك، وَأَمَّا الجَمْعُ علَى ملَائِكَة فيُنَاسِبُ الأَوّل.

ولَمّا وُلِدَ رسُولُ اللهِ ﷺ نادَى مَلَكٌ بَيْنَ السَّماءِ والأرض، كمَا رُوِيَ أوْ لِسَانُ الحَالِ: مَنْ يكْفُلُ هذِهِ الدُّرَّةَ التِي لَا نَظِيرَ لَهَا؟ قالَت الطُّيُورُ: نَحْنُ، والوُحُوشُ نَحْنُ، والأَنْعَام نَحْنُ، فنُودِيَ: قَضَى اللهُ

(1) السَّخْلَةُ ولد الشاة من المَعَز والضَّأْن ذكراً أَو أُنثى والجمع سَخْلٌ وسِخَالٌ. لسان العرب (سخل).

(2) البيت من الطويل في مجاز القرآن لأبِي عبيدة، 33/1، وقد ذكر المحقق مضان البيتِ والاختلافات في عزوه.

بِهِ لِحَلِيمَةَ الحلِيمَةِ[1]؛ أيْ: لِأَنَّها أَعْقَلُ نِسَاءِ بَنِي سَعْد.

ويُرْوَى أنَّ عبْدَ المطَّلِبِ سَمِعَ عِنْدَ دُخُولِ حَلِيمَةَ هاتِفًا يقُولُ:

إِنَّ ابْـنَ آمِـنَـةَ الْأَمِـيـنَ مُـحَـمَّـدًا خَـيْـرُ الْأَنَـامِ وَخِـيـرَةُ الْأَخْـيَـار
مَـا أن لَـهُ غَيْر الْحَلِيمَـةِ مُرْضِـعَـهْ نِـعْـمَ الْأَمِـيـنَـةُ ذِي عَـلَـى الْأَبْـرَار
مَـأْمُـونَـةٌ مِـنْ كُـلِّ عَـيْـبٍ فَـاحِـشٍ وَنَـقِـيَّـةُ الْأَثْـوَابِ وَالْأَزْرَار
لَا تُسْـلِـمَـنْـهُ إِلَـى سِـوَاهَـا إِنَّـهُ أَمْـرٌ وَحُـكْـمٌ جَـا مِـنَ الْـجبَّـار[2][3]

وهِيَ حَلِيمَةُ بنْتُ أَبِي ذُؤَيْب عبْدِ اللهِ بنِ الْحَارِث، وقِيلَ: بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْب الحَارِثِ بنِ عَبْدِ اللهِ[4].

قالَ عطَاء بنُ يَسَار: جَاءَتْ حَلِيمَةُ بنْتُ أَبِي ذُؤَيْب إِلَى النَّبِيء ﷺ يَوْمَ حُنَيْن، فقَامَ إِلَيْهَا وبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ[5].

قالَتْ: قَدِمْتُ مَكّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكر، نلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ فِي سَنِة شَهْبَاءَ؛ أيْ: مُجْدِبَةٍ عَلَى أَتَان لي؛ أيْ: حِمارٍ أُنْثَى، ومَعِي صَبِيٌّ لنَا وشَارِفٌ لَنَا، واللهِ مَا تَبِضُّ لَنَا بِقَطْرَةٍ؛ أيْ: مَا تَسْمَحُ بِهَا أوْ مَا تَلْمَعُ بِها، ومَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَع، وصَبِيُّنَا لَا يَجِدُ فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، ولَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ. والشَّارِفُ: النَّاقَةُ الكَبِيرَةُ السِّنِّ، أشْرَفَتْ عَلَى الْهَلَاكِ لِكِبَرِهَا. ومَا عَلِمْتُ امْرَأَةً إلاّ عُرِضَ علَيْهَا رَسُولُ [112و] اللهِ ﷺ فتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ: يَتِيمٌ. وأَخَذَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ رَضِيعًا غَيْرِي فلَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، فقُلْتُ لِزَوْجِي: إِنِّي واللهِ لَأَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ صَوَاحِبِي بِرُضَّعٍ غَيْرِي، فَوَاللهِ لآخُذَنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ، فأَتَيْتُهُ فإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِي ثَوْبِ صُوفٍ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ، وتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ، رَاقِدٌ عَلَى قَفَاهُ، يَغُطُّ؛ أيْ: يَنْفُخُ، فأَشْفَقْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وجَمَالِه، فدَنَوْتُ مِنْهُ رُوَيْدًا فوَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ فتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، ففَتَحَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ، فخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْه نُورٌ حَتَّى دَخَلَ خِلَالَ السَّماءِ، وأَنَا أَنْظُرُ فقَبَّلْتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وأَعْطَيْتُهُ ثَدْيِي الأَيْمَنَ فأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَحَوَّلْتُهُ إِلَى الْأَيْسَرِ فَأَبَى، وكَانَتْ تِلْكَ حَالُهُ بَعْدُ؛ أيْ: أَلْهَمَهُ اللهُ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، وأَلْهَمَهُ الْعَدْلَ. قالتْ: فَرَوَى وَرَوَى أخُوهُ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جِئْتُ بِهِ رَحْلِي فقَامَ صَاحِبِي؛ تعْنِي زَوْجَهَا، إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّها لَحَافِلٌ، فَحَلَبَ ما شَرِب، وَشَرِبْتُ حتَّى رَوِينَا، وبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ. فقَالَ صَاحِبِي: يَا حَلِيمَةُ واللهِ إِنِّي لَأَرَاكِ قَدْ أَخَذْتِ نسمةً

(1) ينظَر: المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 150/1.

(2) الأبيات من الكامل، والقصة فِي شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 264/1.

(3) أضاف المؤلِّف هذِهِ القصة والنقلينِ الموالِيَيْنِ على هامِشٍ طوِيلٍ، وكأنَّه اطّلع عليها بعد أن كتب هذه الورقةَ، بدلِيلِ أنَّ نقلَهُ متواصِلٌ من كتابِ المواهِبِ، وهذه القِصة والنقلانِ كله من شرْحِ المواهِبِ.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1، والاستيعاب، ابن عبد البر، 1813/4.

مبَارَكَةً، أَلَمْ تَرَيْ مَا بِتْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ والبَرَكَةِ حِينَ أَخَذْنَاهُ، فلَمْ يَزَل اللهُ يَزِيدُنَا خَيْرًا[1].

وفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا نَظَرَ صَاحِبِي إِلَى هَذَا قالَ لِي: اسْكُتِي واكْتُمِي أَمْرَكِ، فَمِنْ لَيْلَةِ وُلِدَ هَذَا الغُلَامُ أَصْبَحَت الأَحْبَارُ قُوَّامًا عَلَى أَقْدَامِهَا، لَا يَهْنَؤُهَا عَيْشُ النَّهارِ ولَا نَوْمُ اللَّيْلِ[2].

فوَدَّعَت النِّساءُ بَعْضَهُنَّ بَعْضًا. ووَدَّعَتُ أُمَّ النَّبِيءِ ﷺ ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وَأَخذْتُ مُحَمَّدًا بَيْنَ يدَيَّ فنَظَرْتُ إِلَى الأَتَانِ وقَدْ سَجَدَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ ثَلاثَ سَجْدَاتٍ، ورَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ مَشَتْ حَتَّى سَبَقَتْ دَوَابَّ النَّاسِ، وصَارَ النّاسُ يَتَعَجّبونَ مِنِّي، وتَقُولُ النِّساءُ وهُنَّ ورَائِي: يَا بنْتَ أَبِي ذؤيب، هَذهِ أَتَانُكِ التِي كُنْتِ علَيْهَا وأَنْتِ جَائِيَةٌ مَعَنَا تخْفِضُكِ مَرّةً وتَرْفَعُكِ أخْرَى؟ فأَقُولُ: تَاللهِ إِنّهَا هِيَ. فيَتَعَجَّبْن مِنْهَا[3] ويَقُلْنَ: إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا عَظِيمًا. وكُنْتُ أَسْمَعُ أَتَانِي تَقُولُ: وَاللهِ إِنَّ لِي لَشَأْنًا ثُمّ شَأْنًا، بَعَثَنِي اللهُ بَعْدَ مَوْتِي، وَردَّ لِي سِمَنِي بَعْدَ هُزَالِي، ويْحَكُنَّ يَا نِسَاءَ بَنِي سعْدٍ، إِنَّكُنَّ لَفِي غَفْلَةٍ، وهَلْ تَدْرِينَ مَنْ عَلَى ظَهْرِي؟ خَيارُ النَّبِيئِينَ وسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وخَيْرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ[4].

والنَّسْمَةُ: الشَّخْصُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. وسَجَدَت الأَتَانُ شُكْرًا بِإِلْهامٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَ ﷻ. وفِي كَوْنِ السُّجودِ ثَلاثًا إِشَارَةٌ إِلَى الْوَحْدَانِيَّةِ للهِ تعَالَى، وإِلاّ فالشُّكْرُ حَصَلَ بوَاحِدَةٍ، وزَادَتْ مَا يكُونُ السُّجودُ بِهِ وتْرًا لِلتَّوْحِيدِ، ورَفَعَتْ رَأْسَهَا لِلسّماءِ دُعَاءَ أَنْ يُوصِلَ اللهُ نَبِيئَهُ ﷺ [112ظ] بلادَهَا مُسْتَرِيحًا عَلَيْهَا. واللهُ أَعْلمُ.

ورَقَدَ عَلَى قَفَاهُ: لِلْمُشَاهَدَةِ لِمَا يَنْزِلُ ولِلْوَحْيِ بَعْدُ، وكَذَا الصَّالِحُونَ لِلْمُشَاهَدَةِ، ورُقَادُ الأَوْلِيَاءِ عَلَى الْيَمِينِ لِيَتَعَلّقَ القَلْبُ فَلَا يسْتَغْرِقَ فِي النَّوْمِ، ورُقَادُ الْحُكَماءِ علَى الْأَيْسَرِ لِلْاِسْتِرَاحَةِ، والرُّقادُ عَلَى الْوَجْهِ رُقُودُ الشَّيَاطِينِ.

قالَتْ: وقَدِمْنَا منَازِلَ بَنِي سَعْدٍ ولَا نَعْلَمُ أَرْضًا أَجْدَب مِنْهَا، وكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَى حِينِ قَدِمْنَا بِهِ شُبَّاعًا لُبَّنًا، فنَحْلِبُ ونَشْرَبُ وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ ولَا يَجِدُهَا فِي ضِرْعٍ. حتَّى كَان الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يقُولُونَ لِرُعيَانِهِمْ: اسْرحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِ بنت أبي ذؤيب. فتَرُوحُ أغنَامُهُمْ جِياعًا مَا تَبِضُّ بقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ أَغْنَامِي شُبَّاعًا لُبَّنًا[5].

قالَتْ حَلِيمةُ: لَقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمُسُّ ضرْعَ شَاةٍ لَنَا، يُقَال لها ضلال، فَمَا يطلب مِنْهَا

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 151/1.

(2) (م، س)، 152/1.

(3) في الأصل: منه.

(4) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 152/1-153.

(5) (م، س)، 153/1.

لَبَنَ سَاعَةٍ منَ السَّاعَاتِ إلاَّ حَلَبَتْ صَبوحًا وعَبُوقًا، ومَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ تَأْكُلُهُ دَابَّةٌ[1].

وَهذَا أَوَّلَ الْأَمْرِ، ثُمّ عمَّ الْخَيْرُ بَنِي سَعْدٍ لِيَعْلَمَ العَاقِلُ أَنّ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ومَا زَالَتْ مَوَاشِي حَلِيمَةَ تَنْمُو ثُمّ كانَ ذَلِكَ لِبَنِي سَعْدٍ.

لَقَدْ بَلَغَتْ بِالْهَاشِمِيّ حَلِيمَةٌ ... مَقَامًا عَلَا فِي ذِرْوَةِ الْعِزّ وَالْمَجْدِ

وَزَادَتْ مَوَاشِيهَا وَأَخْصَبَ رَبْعُهَا ... وَقَدْ عَمَّ هَذَا السَّعْدُ كُلَّ بَنِي سَعْدِ[2]

وكانت تَقُولُ فِي تَرْقِيصِهِ ﷺ:

يَا رَبّ إِذْ أُعْطِيتُهُ فَأَبْقِهِ ... وَأَعْلِهِ إِلَى الْعُلَا وَأَرْقِهِ

وَادْحِضْ أَبَاطِيلَ الْعِدَا بِحَقِّهِ[3]

وكانَت الشَّيْمَاءُ أُخْتُهُ مِنَ الرَّضَاعِ تَحْضُنُه وتُرَقِّصُهُ وتقُولُ:

هَذَا [أَخٌ لِي][4] لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي ... وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي

فُدِيتُهُ مِنْ مُخْوِلٍ مُعِمّي ... فَأَنْمِهِ اللَّهُمَّ فِيمَا يُنمي[5]

والمُخوِل والْمُعِمّ: بِضَمِّ الْمِيمِ وكَسْرِ الوَاوِ والعَيْنِ، الْجَيِّدُ الخَالِ والجَيِّدُ الْعَمِّ.

وقالَتْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ كانَ عِنْدَهَا:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ لَنَا مُحَمَّدَا ... حَتَّى أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمْرَدَا

ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّدًا مُسَوَّدَا ... وَاكْبِتْ أَعَادِيهِ مَعًا وَالْحَسَدَا

وَأَعْطِهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَدا [6]

قالَ العبّاس بن عبد المطّلب: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: دعَانِي إِلَى الدُّخُولِ فِي دينِكَ أَمَارَةٌ لِنُبُوءَتِكَ، رأَيْتُكَ فِي مَهْدِكَ تُنَاغِي القَمَرَ وتُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبِعِكَ، فَحَيْثُ أَشَرْتَ إِلَيْهِ مَالَ. قَالَ: ((**إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ ويُحَدِّثُنِي ويُلْهِينِي عَن الْبُكَاءِ، أَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ**))[7]. والتَّنَاغِي: مَا يُشْبِهُ مِنَ الصَّبِيِّ الكَلَام قَبْلَ أَنْ يتَكَلَّمَ، ونَاغَتْهُ أُمُّهُ: لاطَفَتْهُ بالمحَادَثَةِ والملَاعَبَةِ.

---

(1) ينظر: تاريخ ابن الوردِي، 99/1.

(2) البيتان من الطَّوِيل، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 153/1 دون نسبة كأنّهما من نظمِهِ.

(3) الأبيات من مشطور الرَّجز. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 153/1. نقلا مِن كتاب "التَّرقِيص" لأبِي عبد الله محمد بن المعلَّى الأزدِي.

(4) المواهب اللدنية: أخَيّ.

(5) الأبيات من الرَّجَز. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 154/1.

(6) الأبيات من مشطور الرَّجز. الإصابة، ابن حجر، 733/7. وشرح المَواهِب، الزرقاني، 275/1،

(7) البيهقِي وغيره، دلائل النبوة، 41/2.

وفِي سَنَد الْحَدِيثِ إبراهيم الجيلي[1]، وهُوَ مَجْهُولٌ[2]. والحدِيثُ غَرِيبُ الإِسْنَاد والْمَتْنِ، وهُوَ فِي الْمُعْجِزَاتِ حَسَنٌ[3].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ تكَلَّمَ فِي أَوَّلِ مَا وُلِد وقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ[4]. ويُرْوَى أنَّ مَهْدَهُ يَتَحرَّكُ بتَحْرِيكِ الملائِكَةِ[5].

قالَ ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((**كَانَتْ حَلِيمَةُ تُحَدِّثُ أَنّ رسُولَ اللهِ ﷺ تكلَّم أَوَّلَ مَا فَطِمَتْهُ فقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرا، والْحَمْدُ للهِ كثِيرًا، وسُبْحانَ اللهِ بُكرَةً وأصِيلا، وَلَمَّا تَرَعْرَع كانَ يَخْرُجُ فيَنْظُر إِلَى الصِّبْيَانِ يلْعَبُونَ فيَجْتَنِبُهُمْ**))[6].

قال ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: كانَتْ حَلِيمَةُ لَا تَدَعهُ يَذْهَبُ بَعِيدًا فغَفَلَتْ عَنْهُ، فخَرَجَ معَ أُخْتِهِ الشّيماء [113و] فِي الظَّهِيرَةِ إِلَى الْبَهْمِ، وهِيَ أَوْلَادُ الْغَنَمِ الصِّغَار، فخَرَجَتْ حَلِيمَةُ تَطْلُبُهُ، حَتَّى وَجَدَتْهُ مَعَ أُخْتِهِ، فقَالَتْ: فِي هَذَا الْحَرِّ؟ فقَالَتْ أُخْتُهُ: مَا وَجَدَ أَخِي حَرًّا، رأَيْتُ غمَامَةً تُظِلُّ عَلَيْهِ، إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ، وإِذَا سَارَ سَارَتْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ[7].

وكَانَ ﷺ يَشِبُّ شَبَابًا لا يَشِبُّهُ الغِلْمَانُ. قالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمَّا فَصلتهُ قَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، ونَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ علَى مُكْثِهِ فِينَا، لِمَا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ [أَيْ: أَحْرَصَ علَى مكثِهِ حِرْصًا أَعْظَمَ مِنْ حرصِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُحِبُّهُ، فهَذَا أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِن أَنْ تَقُولَ أَحْرَص النَّاسِ][8]، فقُلْنَا لِأُمِّهِ: اتْرُكِيهِ فينَا حَتَّى يَغْلُظَ، فإِنَّا نَخْشَى علَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ، فلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ ﷺ معَنَا فرَجَعْنَا بِهِ، فوَاللهِ إِنَّهُ لَبَعْدَ مَقْدَمِنَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرَّضاعِ، لَفِي بَهْمٍ لَنَا، خَلْفَ بُيُوتِنا جَاءَ أخُوهُ يَشْتَدُّ، فقالَ: ذَاكَ أَخِي القُرَيْشِيُّ قَدْ جاءَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِما ثِيَابٌ بِيضٌ، فأَضْجَعَاهُ وشَقَّا بطْنَهُ، فخَرَجْتُ أَنَا وأَبُوهُ نَشْتَدُّ نَحوَهُ، فنَجِدُهُ قَائِمًا مُنتقِعًا لَوْنُهُ فاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ، وقَالَ لهُ أبوهُ: أَيْ بُنَيَّ مَا شَأْنُكَ؟ قالَ: جَاءَنِي رَجُلانِ علَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فأَضْجَعَانِي، فشَقَّا بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئًا فطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ فرَجَعْنَا بِهِ مَعَنَا. فقَالَ أَبُوهُ: يا حَلِيمةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يكُونَ ابْنِي قَدْ أُصِيبَ فانْطَلِقِي نَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ

---

(1) أحمد بن إبراهِيم الجِيلِي، هكذا ذكرهُ في المواهِبِ، وفي دلائل النبوة: أحمد بن إبراهِيم الحلبِي، ترجم له الرازِي في الجرح والتعدِيلِ، قال: سألت أبِي عنهُ، وعرضت عليهِ حدِيثه فقال: لا أعرفه وأحادِيثه باطلة موضوعةٌ كلُّها، ليسَ لها أصولٌ يدلُّ حدِيثه على أنَّه كذَّابٌ. 40/2.

(2) البيهقِي، دلائل النبوة، 41/2.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 154/1، عن الصابوني، في المئتين.

(4)فِي فتح البارِي، ابن حجر، 480/6، عن سيرة الواقدِي، ولم يذكر فيه "الله أكبر". المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 155/1.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 155/1، عن ابن سبع في الخصائِص.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 474/3، ودلائل النبوة، البيهقي، 140/1.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 155/1، عن ابن عساكر، تاريخ دمشق،360/4، وغيره.

(8) العبارة من كلام المؤلِّفِ.

مَا نتَخَوَّفُ علَيْهِ. قالَتْ حلِيمَةُ: فاحْتَمَلْنَاهُ حَتَّى قَدِمْنَا بِهِ إِلَى أُمِّهِ فقَالتْ: مَا ردَّكُما بهِ وقَدْ كُنْتُما حَرِيصَيْنِ علَيْهِ؟ قُلْنَا: نَخْشَى علَيْهِ الإِتْلَافَ والأَحْدَاثَ، فقَالَتْ: ما ذَاكَ بِكُما؟ فاصْدُقَانِي شَأْنَكُما، فلَمْ تَدَعْنا حَتَّى أخْبَرْنَاها خَبَرَهُ. قالَتْ: أَخَشِيتُما علَيْهِ الشَّيطانَ، كلَّا واللهِ ما لِلشَّيطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لابْنِي هذَا شأْنٌ، فدَعَاهُ عَنْكُمَا[1].

وعن شَدَّاد بنِ أَوْس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((**كُنْتُ مُسْتَرْضِعًا فِي بني ليث[2] بنِ بَكْر فبَيْنَما أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَطْنِ وَادٍ، مَعَ أَتْرابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ، إِذَا أَنَا بِرَهْطٍ ثَلَاثَةٍ، مَعَهُمْ طسْتٌ منْ ذَهَبٍ، مَلِيءٍ ثَلْجًا فأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، وانْطَلَقَ الصِّبْيَانُ هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ فعَمدَ أَحَدُهُم فأَضْجَعَنِي علَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مِفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عانَتِي، وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، لمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غسَلَها بِذَلِكَ الثَّلْجِ، فأَنْعَمَ غَسْلَها، ثُمَّ أعادَهَا مكَانَها، ثُمَّ قامَ الثَّانِي فقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، وأَخْرَجَ قَلْبِي وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فصدعهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ، فرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمنَةً ويسْرَةً؛ [أيْ: أَخَذَ الْخَاتَمَ مِنْ جِهَةِ اليَمِينِ، وكَانَ فِي حريرَةٍ، فجَعَلَهَا عَنْ يَسَارِهِ بَعْدَ أَخْذِ [113ظ] الْخَاتَمِ مِنْهَا][3] فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورِهِ يَحَارُ النَّاظِرُ دُونَهُ، فخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ نُورًا، وذَلِكَ نورُ النُّبُوءَةِ والْحِكْمَةِ، ثُمَّ أعَادَهُ مَكَانَهُ فوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قالَ الثَّالِثُ لصَاحِبِهِ: تَنَحَّ فأَمَرَّ يَدَهُ بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى منْتَهَى عَانَتِي، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللهِ تعالَى، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فأَنْهَضَنِي مِن مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قالَ لِلْأَوَّلِ زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ، فَرَجَحْتُهُم ثُمَّ قالَ: زِنْهُ بِمئةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ، فرَجحْتُهُم فقَالَ: دَعُوهُ فلَوْ وَزِنْتُموهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّها لرَجَحَهُم، ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِم وقَبَّلوا رَأْسِي وما بَيْنَ عَيْنيَّ ثُمَّ قالُوا: يَا حَبِيبُ لمْ تُرَعْ، لَوْ تَدْرِي مَا يُرادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ**))[4].

قالَ ابن دريد: الْحِكْمَة: الْعِلْمُ المقْرُونُ بالْعَمَلِ، والإِرَاعَةُ: التَّخْوِيفُ، والرَّوعُ: الخَوْفُ.

والثَّلاثةُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ وإِسْرَافِيلُ، وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّه غُسِلَ قَلْبُهُ فِي الطُّفُولِيَّةِ قَبْلَ الْمُرَاهَقَةِ لِيُقَدَّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَمِيمٍ، ويُنَقَّى مِنْ مَظْهَرِ الشَّيْطَانِ، وعِنْدَ رَفْعِهِ لَيْلَةَ الإِسْراءِ و.....[5] ذَلِكَ لِيَتَحَمَّلَ ما هنَالِكَ منَ الْعَجَائِبِ والْفَرَائِضِ، وذَلِكَ فِي أَوائِلِ النُّبوءَةِ، وغُسِلَ أَيْضًا قَرِيبًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ عِنْدَ مُرَاهَقَتِهِ وقُرْبِ تَكْلِيفِهِ.

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/155-156.

(2) في المواهب: بني سعدٍ، وهو المشهورُ.

(3) العبارة من كلام المؤلِّفِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/156-157.

(5) كلمة غير واضِحة.

قالَ ثابت البناني عَنْ أَنَس عَنْهُ ﷺ: ((**أُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي إِلَى زَمْزَمَ، فشرحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أعادَهُ كَمَا كَانَ**))[1].

وعَنْ أَبِي ذَرّ عَنْهُ ﷺ: ((**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام ففَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ جَاءَ بِطسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإِيمَانًا، فأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي فأَطْبَقَهُ وأَخَذَ بِيَدِي وعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ**))[2] وهذَا الشَّقُّ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وَفِي روَايَةٍ: ((**انْطُلِقَ بِي إِلَى زَمْزَم، فشُرِحَ عَنْ صَدْرِي ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَم**))[3] وهَذَا فِي صِغَرِ سنِّهِ عِنْدَ المُرَاهَقَةِ فيمَا أَظُنُّ. وعَنْ أَبِي ذَرّ: ذَلِكَ بِبَطْحاء مَكَّةَ، وعَنْ أَنَس: كانَ ذَلِكَ وهُو نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ، وعَنْ أَنَس: بَيْنَ النَّائِمِ واليَقْظَانِ[4].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**جَاءَنِي ابْنِي ضمرة يَعْدُو فَزِعًا وجَبِينُهُ يَرْشحُ بَاكِيًا يُنَادِي: يَا أَبَاهُ يا أُمَّاهُ الْحَقَا مُحَمَّدًا فمَا تَلْحَقَانِه إِلَّا مَيِّتًا، أَتَاهُ رَجُلٌ فَاخْتَطَفَهُ مِنْ أَوْسَاطِنا وعَلَا بِهِ ذرْوَةَ الْجَبَلِ حَتَّى شَقَّ صَدْرَهُ إِلَى عَانَتِهِ**))[5].

وفِي روَايَةٍ: ((**قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ؛ أيْ: شَدِيدٌ، فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرانِ، وأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، ثُمَّ قالَ: زِناهُ بِعَشْرَةٍ** إلخ))[6].

وفي هَذِهِ الرِّوايةِ[7] أَنَّهُ ﷺ قال: ((**أَتَانِي رَهْطٌ ثَلَاثَةٌ بِيَدِ أَحَدِهِم إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ وفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زمردَةٍ خَضْرَاءَ**)) الحديث[8].

ووَرَدَ فِي خَبَرِ التَّابوتِ والسَّكينةِ أَنَّهُ كانَ فيهِ الطّسْتُ الذِي غسلَت فِيهِ قُلُوبُ الأَنْبِئاءِ، كما رُوِي عنْ أَبِي مَالِك عن ابْنِ عَبَّاس[9]، فقِيلَ: لَيْسَ ذلِكَ مِنْ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ.

الجوابُ: أَنَّهُ ﷺ خُصَّ بتَكْرِيرِ الشَّقِّ بلْ بالشّقِّ أيْضًا، وقُلُوبُ الأَنْبِئَاءِ غُسِلَتْ بِلَا شَقٍّ، وخُتِمَ قَلبُهُ ﷺ إِشَارَةً إِلى خَتْمِ النُّبوءَةِ والرِّسالَةِ. وفيهِ أَنَّهُ قيلَ: ليسَ الخَاتَمُ خَاصًّا به، وعلَيْهِ فخَاتَمُهُ يُمَيِّزُهُ عنْ

---

(1) الحدِيث أضافه المؤلِّف على الهامِشِ، ورد بمعناه فِي صحيح مسلم، حدِيث (162).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (3342).

(3) صحيح مسلم، حدِيث (162) ودلائل النبوة، البيهقِي، 147/1.

(4) الفقرة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 140/1، والمواهب اللدنية، 157/1.

(6) الرواية أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، وقد ورد بمعناه في سنن الدَّارمِي، حدِيث (54).

(7) رواية ابن عباس فِي دلائل النبوة، البيهقِي، 140/1.

(8) دلائل النبوة، البيهقِي، 140/1، والمواهب اللدنية، 157/1.

(9) ينظر: المواهب اللدنية، القسطلانِي، 158/1، وفي تفسِير الطبرِي الذي نقل منه القسطلانِي: عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 248] قَالَ: طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ". جامع البيان، الطبرِي، 470/4.

أَهْلِ زَمَانِهِ وخَاتَمُهُ أعْظَمُ وأَبْيَنُ لَهُ مِن خَواتِمِ الأنبيَاءِ، وأَعْظَمُ مِنْهَا وأَبْهَى شَكْلًا وأَفْخَمُ، والمُرادُ بوَزْنِهِ إِظْهَارُ رُجْحَانِهِ في الْفَضْلِ، وإِنَّما يُوزَنُ بعُظَمَاءِ الْمُسْلِمينَ مِنْ أُمَّتِهِ، والمرادُ أنْ يُخْبِرَ الرَّسولُ ﷺ بذلِكَ أمَّتَهُ ويُعتقَدُ ذلكَ. وشُقَّ صدْرُهُ الشَّريف أيضًا ﷺ مَرَّةً أُخرَى عِنْدَ مَجِيءِ جِبْرِيلَ لهُ بِالْوَحْيِ فِي غار حراء، ومرَّةً أُخْرَى عندَ الإِسْرَاءِ بهِ، ويَأْتِي كُلٌّ في مَوْضِعِهِ إنْ شَاءَ اللهُ عِندَ ذِكْرِ النَّاظِمِ.

ورُوِي الشَّقّ أيضًا وهُوَ ابنُ عَشْرٍ أو نَحْوهَا مَعَ قِصَّةٍ لهُ مع عَبْدِ المطَّلِبِ، ورُوِي شقٌّ خامِسٌ لا يَثْبُتُ[1].

والْحِكمَةُ فِي شَقِّ صَدْرِهِ الشَّريفِ ﷺ في حَالِ صِبَاهُ واسْتِخْرَاجِ العَلَقَةِ مِنْهُ، تَطْهِيرُهُ عنْ حالَاتِ الصِّبا، حَتَّى يتَّصِفَ فِي سِنِّ الصّبَا بأَوْصَافِ الرُّجُولِيَّةِ، ولِذَلِكَ نَشَأَ علَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ[2].

ورُوِيَ أَنَّهُ خُتِمَ بِخَاتَم [114و] النُّبوءَةِ بَيْنَ كتِفَيْهِ، وكانَ يشمُّ[3] مِسْكًا وإِنَّهُ مثْل زِرِّ الحَجْلَة، وجمع فيه خِيلَان[4] كَأَنَّها التَّآلِيلُ[5] السُّودُ عنْدَ نَغْضِ[6] كَتِفِهِ[7]، ويُرْوَى غُضْرُوف كَتِفِهِ اليُسْرَى، ويُرْوَى الأَيْمَنِ، ويُرْوَى كبَيْضَةِ الحمَامَةِ[8].

وزِرُّ الْحَجَلة: بيْضَتُهَا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ التِّرْمِذِيّ[9]، وقِيلَ الزِّرّ: بَيْتٌ كالْقُبَّة، والخِيلَانُ: النّقط، والتّولولة: قُرْحَةٌ قَدْرَ الحمّصةِ، ونَغْضُ الْكَتِفِ: أعلَاهُ، والغُضْرُوفُ: عَظْمٌ يَلِي العَضُدَ والمُرَادُ عِنْدَ قُرْبِ نَغْضِ الْكَتِفِ؛ وَسُمِّيَ نَغْضًا لِتَحَرُّكِهِ.

ويُرْوَى: شَعْرٌ مُجْتَمِعٌ، ورُوِيَ: مِثْلُ السّلعة[10]، وَهِيَ مَاءٌ أَصْفَر يَنْصَبُّ فِي مَحلٍّ مِنَ الْبَدَنِ ثُمَّ يَصِيرُ لَحْمًا أَصْفَر، وهُوَ مَرَضٌ.

ورُوِيَ بضْعةٌ نَاشِزَةٌ، ورُوِيَ مثْلُ شَيْءٍ يُخْتَمُ بِه، ويُرْوَى مِثل البَنْدَقَة، ويُرْوَى كالتُّفّاحَةِ[11].

ويُرْوَى كالْجُمعِ، وَهُوَ الكَفُّ والأَصَابِعُ معَ اجْتِمَاعٍ لهَا إِلَى الْكَفِّ.

ويُرْوَى: كَأَثَرِ الْمِحْجَمَة القَابِضَةِ علَى اللَّحْمِ، ويُرْوَى شَامَةٌ خَضْراءُ غائِرَةٌ فِي اللَّحْمِ، ويُرْوَى:

---

(1) روايات الشق نقلها المؤلف من المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/158-159.

(2) المواهب اللدنية، 1/159.

(3) في المواهِبِ: ينمُّ.

(4) خِيلان: جمع خال وهي الشامَة في الجسد. لسان العرب (خيل).

(5) الثآليل: جمع ثؤلُل، وهو الحَبَّة تظهر في الجِلد كالحِمَّصة فما دونها. لسان العرب (ثأل).

(6) النُّغْضُ والنَّغْضُ والنّاغِضُ أعلى الكتِف وقيل هو العَظْمُ الرَّقِيقُ الذي على طرَفِه. لسان العرب (نغض).

(7) صحيح مسلم، حدِيث، (2346).

(8) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/160.

(9) سنن الترمذِي، حدِيث (3643).

(10) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/160.

(11) (م، س)، 1/161.

شَامَةٌ سَوْدَاء تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ حَوْلَهَا شَعَراتٌ مُتَّصِلَةٌ كعَرْفِ الْفَرَسِ، ويُرْوَى ثَلاثُ شَعراتٍ مُجْتَمِعَات، ويُرْوَى: كبَيْضَةِ الْحَمَامِ مَكْتُوب فِي باطِنِها: اللهُ وحْدَهُ لاَ شرِيكَ لهُ. وفِي ظَاهِرِهَا: تَوَجَّهْ حَيْثُ شِئْتَ، فإِنَّكَ مَنْصُورٌ[1].

ورُوِي: نُورٌ يتَلأْلأ، ورُوِيَ: عدْرَة كعُدْرَة الْحَمَامِ[2]، وهُو دمل صَغِيرٌ يَخْرُجُ فِي دَاخِلِ حَلْقِ الصّغير.

وعِبَارَةُ بَعْضٍ: قرطمَة الْحمامَة[3]، وهِيَ نُقْطتَان عَلَى أَصْلِ مِنْقَارِهِ. ورُوِيَ: مِثْلُ الْبُنْدُقَة مِنْ لَحْم مكتُوبٌ فيهِ باللَّحْمِ: مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ. وعنْ عائِشَةَ: كَتنيةٍ[4] صَغِيرةٍ، تضْرِبُ إِلَى الدّهْمَةِ وكانَ مِمَّا يَلِي الفِقَارَ، فلَمَسْتُه حِينَ ماتَ فوَجَدْتُهُ قَدْ رُفِعَ[5].

وفي بَعْضِ شرُوحِ البُخَارِي كفتح الباري: لَا يثْبِتُ مَا رُوِيَ مِنْ أنَّ الخاتَمَ كانَ كَأَثَرِ محجمٍ أوْ كالشَّامَةِ السَّوْدَاء أو الخَضْرَاء، مكْتُوبٌ عليْهَا مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ، ولَوْ صَحَّحهُ ابن حبّان غَفْلَةً. وَفِي شَرْحِ صَحِيحِ ابْنِ حِبَّان[6] فِي حَدِيث: ((**أَنَّهُ مثلُ البُنْدُقَة مَكْتُوبٌ علَيْهِ مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ**)) أنَّهُ اخْتلطَ علَى بعْضِ الرُّواةِ خَاتَمُ النُّبُوءَةِ بالْخَاتَمِ الذِي كانَ يَخْتِمُ بِهِ[7].

وجَمَعَ بعْضُ العُلَمَاءِ تِلْكَ الرِّوَاياتِ بأَنَّ الخاتَمَ لَحْمٌ مُتَشَخِّصٌ فيهِ شعرَاتٌ هُوَ علَى قَدْرِ الكَفِّ الْمُجْتَمِعَةِ شَكْلًا لاَ كِبَرًا، أو عَلَى قَدْرِ البَيْضَةِ والزّرّة صِغَرًا، أوْ قِيلَ يَصْغُرُ ويكْبُرُ ويكُونُ إلى حُمْرَةٍ وسَوَادٍ وصُفْرَةٍ.

قِيلَ: وهذَا الْخَاتَمُ أَثَرُ شَقِّ الملَكيْنِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. ويُبْحَثُ بأنّ الشّقَّ فِي أَسْفَلِ صَدْرِهِ وفِي بطْنِهِ كمَا قالَ أَنَس: فلَقَدْ رأَيْتُ أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صدْرِهِ[8].

ويُجَابُ بأَنَّ في حَدِيثِ [عقبة بن عبد السلميّ][9]: أنَّ الْمَلَكَيْنِ لَمَّا شَقَّا صَدْرَهُ قالَ أحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: [خِطْهُ فخَاطَهُ][10]، وخَتَمَ علَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوءَةِ[11].

فلَمَّا ثَبَتَ أنّ خَاتَمَ النُّبُوءَةِ كانَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، حَمَلَ عياض ذلِكَ الخاتَمَ علَى أنَّ الشَّقَّ لَمَّا وَقَعَ

---

(1) (م، س)، 161/1.

(2) (م، س)، 162/1.

(3) (م، س)، 162/1.

(4) في المواهب: كتينة.

(5) المواهب اللدنية، 162/1.

(6) هو موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبَّان، لأبِي الحسن الهيثمِي، كما في المواهب اللدنية.

(7) فتح البارِي، ابن حجر، 563/6، وينظر: موارد الظمآن، الهيثمِي، 445/6.

(8) صحيح مسلم، حدِيث، 162.

(9) في فتح البارِي: عتبة، وكذا فِي مسند أحمَد.

(10) فِي مسنَد أحمد: حصه فحاصَهُ.

(11) مسند أحمد، حديث (17648)، وفتح البارِي، ابن حجر، 561/6.

فِي صَدْرِهِ ثُمَّ خِيطَ حَتَّى الْتَأَمَ كمَا كانَ، ووَقَعَ الْخَتْمُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كانَ ذَلِكَ أثَر الْخَتْمِ.

ويُجَابُ أَيْضًا بأَنَّ قَوْلَهُ: بَيْنَ كَتِفَيْهِ مُتعلِّقٌ بِقَوْلِهِ: بِأَثَرِ الخَتْمِ لَا بِالشَّقِّ كما قِيلَ. ويُجَابُ أَيْضًا بِأَنَّهُ لَمَّا شقَّ وظَهَرَ ومُلِئَ حِكْمَةً [114ظ] وإيمانًا احْتَاجَ لِلْخَتْمِ، فكَانَ إِثْر الشَّقِّ؛ أَيْ: كانَ بَعْدَهُ بنَاءً علَى أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ بِالْخَاتَمِ. وصَحَّحَ السُّهَيْلِيّ أَنَّهُ عِنْدَ نغْضِ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ[1].

واختُلِفَ هلْ أُولِدَ بِهِ أَوْ وُضِعَ بَعْدَ وِلَادَتِهِ قَوْلَانِ، ويَدُلُّ لِلثَّانِي حدِيثُ أبي ذرّ قُلْتُ: يَا رسُولَ اللهِ كَيْفَ علِمْتَ أنَّكَ نَبِيءٌ، وبِمَ عَلِمْتَ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ قالَ: ((**أَتَانِي آتِيَانِ**، وَفِي رِوَايَةٍ: **ملَكَانِ، فوَقَعَ أحدُهُمَا بالْأَرْضِ، وكانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّماءِ والْأَرْضِ، فقالَ أحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أهُوَ هُوَ؟ قالَ: هُوَ هُوَ، قالَ: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فوَزَنَهُ فَرَجَحَ فقَالَ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ... الْحَدِيث. ثُمَّ قَالَ أحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: شُقَّ بَطْنَه، فشَقَّ بطْنِي فأَخْرَجَ قلْبِي، فأخرج مِنْهُ مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ، وعَلَقَ الدَّمِ فطَرَحَهُمَا. فقَالَ أحدُهُمَا لصَاحِبِهِ: اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الإِنَاءِ واغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْملَاءِ.** وفِي رِوَايَةٍ: **وامْسَحْ قَلْبَهُ مَسْحَ الْمُلَاءِ**[2]. **ثُمَّ قَالَ أحَدُهُما لِصَاحِبِهِ: خط بَطْنَهُ فخَاطَ بَطنِي وجَعَلَ الخاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيَّ كمَا هُوَ الآنَ ووَلِيَا عَنِّي وكَأَنِّي أَرَى الأَمْرَ مُعَايَنَةً**))[3].

وَأَنَّهُ ﷺ لَمَّا وُلِدَ ذَكَرَتْ أُمُّهُ أنَّ الْمَلَكَ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ الذِي أنْبَعَهُ ثَلَاثَ غَمْسَاتٍ، ثُمَّ أخْرَجَ سَرَقَةً[4] مِنْ حَرِيرٍ بيْضَاء فإِذَا فِيهَا خَاتَمٌ، فضربَ على كَتِفِهِ كالْبَيْضَةِ الْمَكْنُونَةِ تُضِيءُ كالزّهْرَة، وقِيلَ وُلِدَ بِهِ[5]. قِيلَ: هَذِهِ الْحَرِيرَةُ مِنَ الْحَرِيرَةِ التِي قَبَضَ علَيْهَا بِيَدِهِ حِينَ وُلِدَ.

عن وَهْب بنِ مُنَبِّه: لَمْ يَبْعَث اللهُ نَبِيًّا إِلَّا وَقَدْ كانَ علَيْهِ شَامَاتُ النُّبُوءَةِ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى إِلاَّ أَنْ يكُونَ نَبِيئنَا ﷺ فإِنَّ شامَةَ النُّبُوءَةِ كانَتْ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. فيَكُونُ وَضْعُ الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِإِزَاءِ قَلْبِهِ مِمَّا اخْتَصَّ بِهِ عَنْ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ[6].

ولمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ ﷺ أَربَعَ سِنِينَ أَوْ خَمْسًا أو سِتًّا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا أو اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وشَهْرًا أو عَشَرَةَ أَيَّامٍ أَقْوَالٌ، ماتَتْ أُمُّه بالأبواء، وقِيلَ: بِشعب أبي ذؤيب بالحَجُونِ، وقِيلَ: بِدَارِ رَائعَةَ بِمَكَّةَ، ودُفِنَتْ فِيهَا[7].

---

(1) الروض الأنف، 115/2.

(2) العبارة ليست في المواهِبِ، أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(3) مسند البزار، حدِيث (4048).

(4) سَرَقَةٍ مِنْ حَرِير أي قِطْعة من جَيِّد الحرير. لسان العرب (سرق).

(5) المواهب اللدنية، القسطَّلاني، 167/1.

(6) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4105).

(7) المواهب اللدنية، القسطَّلاني، 168/1.

ورُوِيَ: أَنَّهُ لـمَّا بَلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ سِتَّ سِنِينَ خرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيّ بنِ النَّجَّارِ بالمدينة تَزُورُهُمْ ومَعَهَا أمّ أيمن فنَزَلَتْ بِهِ دار التّابعة، فأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْرًا، فَكَانَ ﷺ يذكُرُ أُمُورًا كانَتْ فِي مقامِهِ ذلكَ ﷺ. وَنَظَرَ إِلَى الدَّارِ وَقالَ: هَاهُنا نَزَلَتْ بِي أُمِّي وَأَحْسَنَت العَوْمَ فِي بِئْرِ بَنِي عَدِيّ بنِ النَّجَّارِ وكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفونَ ويَنْظُرُونَ إِلَيّ. قالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: فسَمِعْتُ أحَدَهُمْ يقُولُ: هُوَ نَبِيءُ هذِهِ الأُمَّةِ، وهَذِهِ دارُ هِجْرَتِهِ. فوَعَيْتُ ذلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ، فلَمَّا كَانتْ بِالأَبْوَاءِ تُوُفِّيَتْ[1].

قالَتْ بنت رهم[2] عن أمِّهَا[3]: شَهِدْتُ آمِنَةَ أُمَّ النَّبِيءِ ﷺ فِي عِلَّتِها التِي مَاتَتْ بِهَا وَمُحَمَّدٌ ﷺ غلامٌ يَفِعٌ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ فنَظرَتْ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ:

[115و] بَـارَكَ رَبِّي فِيـكَ مِنْ غُلَام ... يَـا ابْنَ الـذِي مِنْ حوْمَـةِ الْحمَـام
نَـجَـا بِـعَـوْنِ الْـمَـلِـكِ الْـمِـنْـعَـام ... فُـودِي غَـدَاةَ الضَّـرْبِ بِـالسِّـهَـام
بِـمِـئَـةٍ مِـنْ إِبِـلٍ سَـوَام ... إِنْ صَـحَّ مَـا أَبْصَـرْتُ فِي الْمَنَـام
فَـأَنْـتَ مَـبْـعُـوثٌ إِلَـى الْأَنَـام ... مِـنْ عِـنْـدِ ذِي الْـجَـلَالِ وَالْإِكْـرَام
تُـبْـعَـثُ فِـي الْـحِـلِّ وَفِـي الْـحَـرَام ... تُـبْـعَـثُ فِـي الْـحَـقِّ وَفِـي الْإِسْـلَام
دِيـنُ أَبِـيـكَ الْـبَـرِّ إِبْـرَاهَـام ... فَـالـلـه أَنْـهَـاكَ عَـنِ الْأَصْـنَـام
أَن لَا تُـوَالِـيـهَـا مَـعَ الْأَقْـوَام[4]

أيْ: فاتَّقِ اللهَ أنْهَاكَ أنَا عَنِ الأَصْنَامِ، ثُمَّ قالَتْ: كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ وكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ، وكُلُّ كَثِيرٍ يَفْنَى، وأنَا مَيِّتَةٌ وذِكرِي بَاقٍ، وقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا ووَلَدْتُ طهرًا. ثمَّ ماتَتْ فكُنَّا نَسْمَعُ نوحَ الجِنّ عَلَيْها فحَفِظْنَا مِنْ ذَلِكَ:

تَـبْـكِـي الْـفَـتَـاة الْـبَـرَّة الْأَمِـيـنَـة ... ذَات الْـجَـمَـالِ الْـعَـفَّـة الـرَّزِيـنَـة
زَوْجَـة عَـبْـدِ الـلـهِ وَالْـقَـرِيـنَـة ... أُمّ نَـبِـيءِ الـلـهِ ذِي السَّـكِـيـنَـة
وَصَـاحِـب الْـمِـنْـبَـرِ بِـالْـمَـدِيـنَـة ... صَـارَتْ لَـدَى حُـفْـرَتِـهَـا رَهِـيـنَـة[5]
[لَـوْ فُـودِيَـتْ لَـفُـودِيَـتْ ثَـمِـيـنَـة ... وَلِـلْـمَـنَـايَـا شَـفْـرَةٌ سَـنِـيـنَـة
لَـمْ تُـبْـقِ ظِـعَـانًـا وَلَا ظَـعِـيـنَـة ... إِلَّا أَتَـتْ وَقَـطَـعَـتْ وَتِـيـنَـه
أَمَـا حَـلَـلْـتِ أَيُّـهَـا الْـحَـزِيـنَـة ... عَـنِ الـذِي ذُو الْـعَـرْشِ أَعْـلَـى دِيـنَـه

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 1/94-95.

(2) أم سماعة بنت أبِي رهم، لم أقف على ترجمتها.

(3) الخبرُ ورد فِي الحاوِي للفتاوى الحديثِيَّة، السّيوطِي، 222/2 عن أبي نعيم بسندٍ ضعِيفٍ فِي دلائل النُّبوَّة.

(4) الأبيات من مشطور الرَّجَز، في المواهِبِ اللدنية، القسطلَّاني، 169/1 وغيره.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 169/1-170، عن أبو نعِيم، دون ذكر المصدرِ.

فَكُلُّنَا وَالِهَةٌ حَزِينَةٌ تَبْكِيكِ لِلعُطْلَةِ أَوْ لِلزِّينَةِ
وَلِلضَّعِيفَةِ وَلِمِسْكِينَةِ][1]

وتلكَ الألفاظُ ألْفَاظُ إيمَانٍ مِنْ أُمِّهِ ﷺ لكِنَّ المشهُورَ مَا يُخَالِفُ.

وقد رُوِيَ أنَّ آمنةَ آمَنَتْ بهِ ﷺ بعد موتِها، وفي الحديثِ الصَّحيحِ: ((**زارَ قَبْرَ أُمِّهِ فِي الأَبْوَاءِ فِي أَلْفِ مُقَنَّعٍ**[2]، **فَبَكَى وَأَبْكَى**))[3].

وعنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيءَ ﷺ نزَلَ الحجُونَ كَئِيبًا حَزِينًا، فأَقَامَ بِهِ مَا شاءَ اللهُ ﷻ، ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قالَ: ((**سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ فأَحْيَا لِي أُمِّي فآمَنَتْ بِي ثُمَّ رَدَّهَا**))[4].

وَفِي رِوَايةٍ قالَتْ عائِشَةُ: حَجَّ بِنَا رسُولُ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الوَدَاعِ فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الحجُونِ وَهُوَ بَاكٍ حَزِينٌ مُغْتَمٌّ فبَكَيْتُ لِبُكَائِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ فقَالَ: ((**يَا حُمَيْرَاءَ اسْتَمْسِكِي، فَاسْتَنَدْتُ إِلَى جَنْبِ الْبَعِيرِ فَمَكَثَ مَلِيًّا، ثُمَّ عاد إِلَيَّ وهُوَ فَرِحٌ مُتَبَسِّمٌ فقَالَ: ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي فسَأَلْتُ رَبِّي أنْ يُحْيِيهَا، فأَحْيَاهَا فَآمَنَتْ بِي**))[5].

وأَوْرَدَ السُّهَيْلِيّ[6] والخطِيبُ حدِيثَ عَائِشَةَ: أَنَّ اللهَ ﷻ أَحْيَى لَهُ ﷺ أَبَوَيْهِ فَآمنَا بِهِ ﷺ. قالَ السُّهَيْلِيّ: وفِي إِسْنَادِهِ مَجَاهِيل. وقالَ ابْنُ كَثِير: حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا وسَنَدُهُ مَجْهُولٌ. وقَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ. وقَالَ غَيْرُهُ: الصَّحيحُ أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَا مَوْضُوعٌ[7]. وهُوَ حَدِيثٌ يَرُدُّهُ القُرْآنُ والإِجْمَاعُ[8].

وزَعَمَ بَعْضُ العُلَمَاءِ أَنَّ أَبَوَيْهِ نَاجِيانِ ولَيْسا فِي النَّارِ مُتَمَسِّكًا بنحْوِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، وتَعَقَّبَهُ آخَرٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا صَرَّحَ بِأَنَّ الإِيمَانَ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْعَمَلِ بالْمَوْتِ يَنْفَعُ صاحِبَهُ، فَإِن ادَّعَى أَحَدٌ الخصُوصِيَّةَ فعَلَيْهِ الدَّلِيلُ.

وكذَلِكَ قالَ ابن دحية أبُو الْخَطَّابِ، إِذْ قَالَ: مَنْ مَاتَ كَافِرًا لَمْ يَنْفَعْهُ إِيمَانُهُ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، بل لَوْ آمنَ عِنْدَ المعَايَنَةِ لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بَعْدَ الإِعَادَةِ[9].

وتعقَّبَهُ القُرْطُبِيُّ: بأَنَّ فضَائِلَهُ ﷺ وخَصَائِصَهُ لَمْ تَزَلْ تتَوَالَى حَتَّى مَاتَ [115ظ] فيَكُونُ هذَا

---

(1) الوزن منكسر وصوابه: وللضعيفات وللمسكينة. الأبيات من مشطور الرَّجز. الأبيات الأربعة الأخِيرة أضافها المؤلِّف من شرح الزرقاني، 313/1.

(2) رجل مُقنَّع: إذا كان غائصا في السلاح.

(3) الروض الأنف، السهيلي، 262/5، وجامع الأصُول، ابن الأثِير، حدِيث (8667). أضاف المؤلِّف هذا الحدِيث في الهامِشِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 171/1، عن الطبرِي دون ذكر المصدرِ.

(5) اللآلئ المصنوعة، السيوطِي، 244/1.

(6) الروض الأنف، 121/2، عن أبي بكر الخطيب البغدادِي فِي "السابق واللّاحق"، لم أقف عليه في المطبوع منه.

(7) العبارة ليست في المواهِب.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 172/1.

(9) (م، س)، 172/1-173، دون ذكر المصدرِ.

مِمَّا فضَّلَهُ اللهُ بهِ وأَكْرَمَهُ، قالَ: ولَيْسَ إِحْيَاؤهُما وإِيمَانُهُما مُمْتَنِعًا عقْلًا ولَا شرعًا، ولَقَدْ وَرَدَ فِي الكتابِ العَزِيزِ إِحْيَاءُ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وإِخْبارُهُ[1] بقَاتِلِهِ. وكان عِيسَى عليه السلام يُحيِي المَوتَى، وكَذَلِكَ نَبِيُّنَا علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَحْيَى اللهُ عَلى يَدِهِ جمَاعَةً مِنَ الْمَوْتَى، وإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَمَا يَمْنَعُ إِيمانهما بَعْدَ إِحْيَائِهِما ويكُونُ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وفَضِيلَتِهِ[2].

قُلْتُ: ينَاسِبُهُ قولُهُ تعَالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾[3]؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ أنَّ الْمَوْتَى بَعْدَ رُجوعِهِم إِلَى الدُّنيَا لَوْ رَجَعُوا يكُونُونَ كحَالِهِمْ فيهَا قَبْلَ المَوْتِ فِي الخُرُوجِ عَنْ حَدِّ الآخِرَةِ وأَحْوالِها. وأبَوَاهُ إِنْ أَحْيَاهُما اللهُ فَقَدْ آمَنَا وقَبِلَ إِيمَانَهما؛ لِأَنَّهُما وَلَوْ بقِيَا فِي الْقَبْرِ لكنَّهُمَا كالخَارِجِ فقَدْ عادَا إِلى الحيَاةِ، وخَرَقَ اللهُ المعْتَادَ بِقبُولِ إِيمانِهِما، وإِنَّما الإِيمَانُ الذِي لَا يُقْبَلُ مَا كَانَ بِلَا إِحْيَاءٍ لِلْإِيمانِ، بَلْ كانَ بِمجَرَّدِ العيَانِ لِلْآخِرَةِ، فهُما بَعْدَ مَا عَايَنا آمَنَا اضْطِرَارًا، وَلَمْ يَنْفَعْهُما كما يَصْدُرُ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ بَعْدَ الْمَوْتِ ولَا يَنْفَعُ. ولمَّا أَحْيَاهُما اللهُ لِلْإِيمانِ فآمنَا أجْزَاهُما. وهَذَا بَيِّنٌ وَلَمْ يظْهَرْ لِقَوْمِنا ولَا عَرَجُوا عَلَيْهِ ولَكِنْ فَرْضُ مَسْأَلَةٍ، ولَمْ يتَحَقَّقْ عِنْدَنَا إِحْيَاءُهُما وإِيمَانُهُما واللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

قال القُرْطُبِيّ: وقَوْلُهُ: ومَنْ مَاتَ كافِرًا إلخ، مَرْدُودٌ بِمَا رُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ردَّ الشَّمسَ علَى نَبِيئِهِ ﷺ بَعْدَ مَغِيبِهَا ذَكَرَهُ الطّحاوي[4]، وقَالَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ ثَابِتٌ[5].

قالَ ابْنُ حَجَر: مَا ذَكَرَهُ الطَّحَاوِيّ صَحِيحٌ لَا مُضْطَرِبٌ[6].

قالَ القُرْطُبِيّ: فلَوْ لَمْ يَكُنْ رُجُوعُ الشَّمْسِ نَافِعًا، ولَمْ يكُنْ يتَجَدَّدُ بِهِ الْوَقْتُ لَمَّا رَدَّهَا[7].

واللهُ تَعالَى أَعادَ مَعَهُما الزَّمانَ الأَوَّلَ الذِي كانَا كَافِرَيْنِ فِيهِ، وعَلَى هَذَا يَنْفَعُهُما الإِيمَانُ بِخِلَافِ مَنْ أُحْيِيَ، ولَمْ يَعُدْ مَعَهُ الزَّمَانُ الذِي كَانَ فِيهِ كَافِرًا، فنَفَعَهُما إِيمانُهُمَا.

واحْتَجَّ بَعْضٌ علَى نَجَاتِهِمَا بِأَنَّهُمَا مَاتَا قَبْلَ الْبِعْثَةِ فِي زَمن الْفَتْرَةِ، ولَا تَعْذِيبَ قَبْلَها لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[8][9].

---

(1) في الأصلِ: وإحيَائِهِ والتصحيح من المواهِبِ.

(2) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 173/1، عن القرطُبِي في التذكرة، ص140.

(3) سورة الأنعام: 28.

(4) أبو جعفر الطحاوِي: سبقت ترجمته.

(5) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 173/1، وشرح مشكل الآثار، الطحاوِي، 142/1.

(6) لم أجد النقل في فتح البارِي.

(7) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 173/1، وشرح مشكل الآثار، 142/1.

(8) سورة الإسراء: 15.

(9) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 174/1.

قُلْنا: أَهْلُ الفَتْرَةِ غَيْرُ مَعْذُورِينَ وَقَدْ أَرْسلَ رَسُولًا قَبْلَهُمْ.

وزَعَمَت الأَشعريَّةُ أنَّ أَهْلَ الفَتْرةِ معْذورُونَ، وزَعَمَ بَعْضٌ[1] أَنَّ آباءَ الأَنْبِيَاءِ مَا كَانوا كُفَّارًا، فآزرُ عَمُّ إِبْرَاهِيمَ لَا أبُوهُ، كذَا قِيلَ. وقَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿219﴾ ﴾[2] أيْ: يَنْتَقِلُ مِنْ صُلْبِ مُصَلٍّ للهِ، إِلَى صُلْبِ مُصَلٍّ فآبَاؤهُ ﷺ كُلُّهُم مُسْلِمونَ[3].

قلْنَا: يَتَقَلَّبُ فِي أَصْحَابِهِ السَّاجدينَ بِالصَّلاةِ فِي جُمْلَتِهِمْ، أوْ يَتَصَفَّحُ أحْوَالَهُم. ومِنْهُ أَنَّهُ يتَقَلَّبُ مِنْ دَارِ صَحَابيٍّ إِلَى دَارِ آخَر لِيَنْظُرَ هَلْ حرِصُوا عَلَى العِبَادَةِ لَيْلَةَ نَسْخِ فَرْضِ قِيَامِ اللَّيلِ، ففَعَلَ ذَلِكَ فوَجَدَهُمْ يُقِيمُونَ اللَّيْلَ وبيُوتُهُم كبيُوتِ النَّحْلِ دَوِيًّا[4].

وأبُو إِبْرَاهيمَ مُشْرِكٌ، قالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[5]إلخ مَعَ مَا تَقَدَّمَ قَبْلُ منْ هَذِه الآيَةِ والْقَوْلُ بِأَنَّ آزَرَ عَمُّهُ عدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ بِلَا دَلِيلٍ[6].

وأمَّا قولُهُ ﷺ: ((**لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحامِ الطَّاهِرَاتِ**))[7] فاسْتُدِلَّ بِهِ علَى إِسْلَامِ آبَائِهِ لِوَصْفِهِمْ بِالطُّهْرِ، والمُشْرِكُ [116و] هُوَ النَّجِسُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[8].

قُلْنَا: الطَّاهِرِينَ والطَّاهِرَاتِ مِنَ الزِّنَى.

قال بريدة: إِنَّ النَّبيءَ ﷺ لمَّا قدِمَ مَكَّةَ أَتَى رَسْمَ قَبْرٍ فجَلَسَ إِلَيْهِ فجَعَلَ يخَاطِبُ ثُمَّ قامَ مسْتَعْبِرًا، فقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّا رأَيْنَا مَا صَنَعْتَ قَالَ: ((**إِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي فأَذِنَ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفَارِ لَهَا فلَمْ يَأْذَنْ لِي**))[9] فمَا رُئِيَ بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَئِذٍ[10].

وهَذَا عامَ الْفَتْحِ، ومَا تَقَدَّمَ عَنْ عائِشَةَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فالإِذْنُ فِي الاسْتِغْفَارِ لها مُتَأَخِّرٌ.

قال ابن مسعود: أوى[11] رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَقَابِرِ فَاتَّبَعْنَاهُ، فجَلَسَ إِلَى قَبْرٍ مِنْها فنَاجَى طَوِيلًا ثُمَّ بَكَى فَبَكَيْنا لبُكَائِهِ، ثُمَّ قامَ فقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ ﷺ فدَعَاهُ ثُمَّ دعانَا فَقَالَ: ((**مَا أَبْكَاكُم؟**

---

(1) هو فخر الدين الرازي في "أسرار التنزيل" كما في المواهِبِ.

(2) سورة الشعراء: 219.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 174/1.

(4) (م، س)، 175/1، بتصرُّف.

(5) سورة التوبة: 114.

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 175/1، عن البيضاوي في تفسِيرِهِ.

(7) لم أجد تخريجا للحدِيث في مصادر الحدِيثِ. ذكره الفخر الرازِي، مفاتيح الغيب، 33/13، وأبو حيان، البحر المحِيط، 199/8.

(8) سورة التوبة: 28.

(9) صحيح مسلم، حدِيث (105).

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 175/1-176، عن ابن جرِير، جامع البيان، 22/12.

(11) في المواهِبِ: أومأ.

قلْنَا: بَكينَا لبُكَائِكَ، فقَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ الذِي جلَسْتُ إِلَيْهِ قَبْرُ آمِنَةَ، وإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ ربِّي فِي زِيَارَتِها، فأَذِنَ لِي وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الدُّعاءِ لَهَا فلَمْ يَأْذَنْ لِي. وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنْ يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾[1] **فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الوَلَد لِلْوَالِدِ))**[2]. وكَذَا عَن ابْنِ عَبَّاسٍ[3].

وفِي رِوَايَةٍ: **((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَها فأَذِنَ لِي، فزُورُوا القُبُورَ فَإِنَّها تُذَكِّرُ الآخِرَةَ))**[4].

قال عِيَاض: بُكَاؤُهُ ﷺ علَى مَا فَاتَها مِنْ إِدْرَاكِ أَيَّامِهِ وَالإِيمانِ بِهِ[5].

ورُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قالَ: يا رَسُولَ اللهِ أيْنَ أَبِي؟ قالَ: **((فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفا دَعَاهُ قَالَ: إِنَّ أَبِي وأَبَاكَ فِي النَّارِ))**[6].

وصحَّحوا أَنَّ الرِّوايةَ أَنَّهُ دعاهُ فعادَ إليهِ فقالَ: **((إِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ))**[7]. قال النّوويّ: مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُو فِي النَّارِ ولَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ[8].

قالَ الْفَخْرُ: مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فهُوَ فِي النَّارِ ولَوْ قَبْلَ الْبِعْثَةِ، ولَمْ يَزَلْ قُبْحُ الشِّرْكِ مَعْلُومًا مِنْ دِينِ الرُّسُلِ، والعِقَابُ علَيْهِ مَعْلُومًا، فَللَّهِ الْحُجَّةُ البَالِغَةُ علَى الْمُشْرِكِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ما فَطَرَ اللهُ علَيْهِ عِبَادَهُ مِنْ تَوْحِيدِ رُبُوبِيَّتِهِ[9].

وهَذَا مَبْنِيٌّ علَى أَنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ عقْلِيَّةٌ، وفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عُذْرِ أَهْلِ الفَتْرَةِ فِي تَفصِيلِ الشَّرْعِ إِذَا لَمْ يَجِدُوا مَنْ يُعَلِّمُهُم، وقَطْعِ عذرِهِمْ فِي جَهْلِ التَّوْحِيدِ. والرَّاجحُ عِنْدَ الجُمهُورِ أَنَّها نَظَرِيَّةٌ ومَن بلَغَتْهُم الدَّعْوَةُ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ، وَهِيَ مَا بَيْنَ اضْمِحْلَالِ عِلْمِ نَبِيءٍ إِلَى مُجَدِّدٍ مِنْ نَبِيءٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالْمَشْهُورُ مَا بَيْنَ الرَّسولَيْنِ بَعْدَ الاضْمِحْلَالِ، كالْفَتْرَةِ بَيْنَ نُوحٍ وهُودٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وبَيْنَ عِيسَى ونَبِيئِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ علَيْهِمَا.

قالَ سلمان ﷺ: الْفَتْرَةُ بَيْنَهُما سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ[10].

---

(1) سورة التوبة: 113.

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظِيم، 1893/6.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 176/1، عن الطبراني دون ذكر المصدرِ.

(4) صحيح مسلم، حدِيث (976)، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 176/1.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 176/1.

(6) صحيح مسلِم حدِيث (203).

(7) الروض الأنف، السهيلي، 121/2، والمعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (326).

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 177/1. المنهاج، النَّوِوي، ص241.

(9) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 177/1.

(10) (م، س)، 178/1، عن البخارِي، حديث (3948).

ودَلَّتِ القَوَاطِعُ علَى أَنَّهُ لَا تعْذِيبَ حَتَّى تقُومَ الْحُجَّةُ. فقُلْنَا: قامَتْ علَى أَهْلِ الفَتْرَةِ لِتَقَدُّمِ الكِتَابِ والرَّسُولِ، فَإِمَّا بحُصُولِ مُنَبِّهٍ مِنْ مَلَكٍ أوْ مَا شَاءَ اللهُ، فيَقُولُ الخَصْمُ مَا ذَاكَ؟ يَفْتَرِي لِلْوُصولِ وإِمَّا تقْلِيدًا لِقَوْلِهِ تعَالَى [116ظ] ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1] فيقولُ الخَصْمُ: المَعْنَى بَعْدَ إِخْبَارِ الرُّسُلِ، وأَهْلُ الْفَتْرَةِ لَمْ يَبْلُغهُمْ خَبَرُ الرَّسولِ.

وإِمَّا بِتَعْذِيبِ أَهْلِ الفَتْرَةِ الوَارِدِ فِي الآثارِ، فإِذا ثَبَتَ هَذَا التَّعْذِيبُ رجَعْنَا بِهِ إِلَى تَفْسِيرِ الآيَةِ بأَنَّ الرُّسُلَ حُجَّةٌ عليْهِمْ ولَوْ لَمْ تَبْلُغْهُمْ أخبَارُهُم، ومِنْ ذَلِكَ قوْلُهُ ﷺ: ((**رَأَيْتُ عَمْرو بنَ لُحَيّ فِي النَّارِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ**))[2] و((**رَأَيْتُ صَاحِبَ الْمِحْجَنِ فِي النَّارِ، وهُوَ الذِي يَسْرِقُ الْحُجَّاجَ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا بُصِر بِهِ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي**))[3] والقُصْبُ: الْمَصَارِين. وَفِي رِوَايَةٍ: ((**رَأَيْتُ عمْرو بنَ لُحَيّ يَجُرُّ مَصَارِينَهُ فِي النَّارِ كُلُّ مصْرَانٍ كَجَبَلٍ عَظِيمٍ، والْمَلَائِكَةُ تَضْرِبُهُ، فَإِذَا قَامَ وَقَعَ علَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ**))[4].

وإِنْ قِيلَ: هَذِهِ أَخْبَارُ آحَادٍ لَا تُعارِضُ الْقَطْعَ. قُلْنَا: أخبَارُ آحَادٍ تُفَسِّرُهُ ولَا تُعَارِضُهُ. وَإِنْ قِيلَ: يَقْصُر التَّعْذِيبُ علَى مَنْ وَرَدَ فِيهِ. قُلْنا: الأَصْلُ عَدَمُ الخُصُوصِيَّةِ. وإِنْ قِيلَ: يقْصرُ عَلَى مَنْ عَبَدَ الأَوْثَانَ وغَيَّرَ الشَّرائِعَ. قُلْنَا: لَا دَلِيلَ عَلَى هَذَا الْحَصْرِ.

وقَسَّمَ بَعْضُ قَوْمِنَا[5] أَهْلَ الْفَتْرَةِ علَى ثَلاثَةٍ: الأَوَّل مَنْ أَدْرَكَ التَّوحِيدَ ببَصِيرتِهِ ولَمْ يَدْخُلْ في شرِيعَةٍ كقسّ بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، أَوْ دَخَلَ فِي شَرِيعَةِ حَقٍّ قائِمَةِ الرَّسْمِ كتُبَّع وقَوْمِهِ مِنْ حِمْيَر، وأَهْلِ نَجْرانَ ووَرَقَةَ بنِ نَوْفَل وعَمِّهِ عثْمَانَ بنِ الْحُوَيْرِث.

والثَّانِي: مَنْ بَدَّلَ ولَمْ يُوَحِّدْ وأَشْرَكَ، شَرعَ لِنَفْسِه فَحَلَّلَ وحَرَّمَ وهُم الأَكْثَرُ كعَمْرو بنُ لُحَيّ أَوَّل مَنْ سَنَّ لِلْعَرَبِ عبَادَةَ الأَصْنَامِ وشَرَّعَ الأَحْكَامَ، فبَحَرَ الْبَحِيرَةَ وسَيَّب السَّائبةَ ووَصَلَ الوَصِيلَةَ وحَمَى الْحَامِي.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُوَحِّدْ ولَمْ يجعَلْ غَيْرَ اللهِ إِلَهًا، ولَمْ يَدْخُلْ فِي دينِ نَبِيءٍ وَلَمْ يَعْبُدْ صَنَمًا أَوْ غَيْرَهُ، ولَمْ يَخْتَرِعْ دِينًا بَلْ بَقِيَ عُمُرَهُ علَى حَالِ غَفْلَةٍ.

---

(1) سورة النساء: 165.

(2) البخاري، حديث (3521).

(3) مسلم، حديث (904).

(4) لم أقفْ على الرواية في مصادر الحدِيثِ.

(5) ذكر هذه التقْسِيماتِ القسطلَّاني في المواهب اللدنية، 1/179-180.

فحَمَلُوا مَنْ صَحَّ تَعْذيبُهُ علَى الْقِسْمِ الثَّانِي، فَإِنَّهُ كُلَّمَا ذكرَ حَال أَحَدٍ سجّل عَلَيْهِمْ بالكُفْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1]. والثَّالِثُ: هُمْ أَهْلُ الْفَتْرَةِ حَقِيقَةً، وهُمْ غَيْرُ مُعَذَّبِينَ. قلْنَا: مُعَذَّبُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا فَهُم كَفَرُوا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝3﴾[2] والكُفْرُ يكُونُ بالإِشْرَاكِ والفِسْقِ، وهُمْ أَهْلُ الْفَتْرَةِ، وبِالْفِسْقِ دُونَ الإِشْرَاكِ.

وأَمَّا القِسْمُ الأَوَّلُ فَقَدْ قالَ ﷺ فِي قسّ وزيد بن عمرو: ((**أَنَّهُمَا يُبْعَثَانِ أُمَّةً وَحْدَهُما**))[3].

وأَمَّا عُثْمَانُ بنُ الْحُوَيْرِث وتُبَّع وقَوْمُهُ، وأَهْلُ نَجْرَانَ فحُكْمُهُم حُكْمُ أَهْلِ دِينٍ دَخَلُوا فِيهِ مَا لَمْ يَلحَقْهُمْ نَاسِخٌ عَرَفوا بِهِ.

فجَعَلَ بَعْضُهُم أبَوَيّ النَّبِيءِ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ الْمَعْذُورِينَ. قالَ بعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَا، ولَكِنْ آمَنَا.

قَالَ محمّد بن ناصر الدّمشقيّ[4]:

حَبَا اللهُ الرَّسُولَ مَزِيدَ فَضْلٍ ... عَلَى فَضْلٍ، وَكَانَ بِهِ رَؤُوفًا

فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ ... لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلًا لَطِيفًا

فَسَلِّمْ فَالْإِلَهُ بِذَا قَدِيرُ ... وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا[5]

[117و] ثُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ أُمُّ أَيْمَن حاضِنَتَهُ بَعْدَ مَوْتِ آمِنَةَ ﷺ. وكَانَ ﷺ يقُولُ لَهَا: أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي. ويُقالُ لَهَا: أُمُّ إِبْرَاهِيمَ وأُمُّ أنَس وأُمُّ القَاسِمِ.

وماتَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كافِلُهُ ولَهُ ثَمَانُ سِنِينَ، وقِيلَ: وَشَهْرٌ وعشْرَةُ أَيَّام، وقِيلَ: تِسْعُ سِنِينَ، وَقِيلَ: عَشْرٌ، وقِيلَ: سِتٌّ. وقِيلَ: ثَلَاثٌ وفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ آمنَةَ، وقَد اتَّفَقُوا أَنَّهُ ماتَ بَعْدَها بثَمَانِ سِنِينَ وعُمُرُهُ ﷺ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَة، إِذَا مَاتَ وعُمُرُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَشْرٌ ومِئَةُ سَنَةٍ. وقِيلَ: مِئَةٌ وأَرْبَعُونَ سَنَة. وقِيلَ: مِئَةٌ وعِشْرُونَ، قالَ الوَاقِدِي: وَلَيْسَ يَثْبُتُ، وقِيلَ: خَمْسٌ وتِسْعُونَ، وقِيلَ: خَمْسٌ وَثَمَانُونَ، وقِيلَ: اثْنَتَانِ وثَمَانُونَ، وعَمِيَ عِنْدَ مَوْتِهِ ودُفِنَ بِالْحَجُون[6]. وكَفَلَهُ أبو طالب شَقِيقُ عَبْدِ اللهِ، ولِذَلِكَ أَوْصَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بهِ ﷺ إِلَيْهِ[7].

---

(1) سورة المائدة: 103.

(2) سورة الإنسان: 3.

(3) الطيالِسِي، حديث (231)، وذكر فيه زيد بن عمرو فقط، وذكر البيهقي حديث: ((رحِم الله قسا، إنِّي لأرجو أنْ يبعثه اللهُ أُمَّةً وحدَهُ)) دلائل النبوة، 113/2.

(4) محمَّد بنُ ناصِر الدِّمَشْقِيّ: ت: 842هـ، محدث، حافظ ناظم، من تصانيفه: المولد النبوي في ثلاث مجلدات، منظومة بديعة البيان عن موت الأعيان وشرحها وسماه التبيان. معجم المؤلِّفين، كحالة، 112/9.

(5) الأبيات من الوافِر. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 182/1. والمقاصد الحسنة، ص25.

(6) العبارة: "وقِيل...بالحجونِ" ليست في المواهِبِ، أضافها المؤلِّف في الهامِشِ، ونقلها من شرحِ المواهِبِ، الزرقاني، 354/1.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 184/1، بتصرُّف.

وعَنْ جُلهُمة بن عُرفُطة: قَدِمْتُ مَكَّةَ وهُمْ فِي قَحْطٍ. فقَالَ قَائِلٌ: اعْمِدُوا اللَّات والعُزّى. وقَالَ قَائِلٌ: اعْمِدُوا مَنَاة. وقَالَ شَيْخٌ وَسِيمٌ حَسَنُ الْوَجْهِ جَيِّدُ الزِّيِّ: أَنَّى تُوفَكُونَ وَفِيكُمْ بَقِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وسُلَالَةُ إِسْمَاعِيلَ. قالُوا: عَنِيتَ أبَا طَالِبٍ قَالَ: نَعَمْ، فذهَبُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا فدَقُّوا عَلَيْهِ الْبَابَ[1]. فقَالَتْ قرَيْش: يَا أَبَا طَالِب أَقْحَطَ الْوَادِي وأجْدَبَ الْعِيَالُ فَهَلُمَّ فَاسْتَسْقِ. فَخَرَجَ أبُو طَالِبٍ ومَعَهُ غُلَامٌ كَأَنَّهُ شَمْسُ دَجْنٍ[2] تَجَلَّتْ عَنْهُ سَحَابَةٌ وَحَوْلَهُ أُغَيْلِمَةٌ[3]، فأَخَذَهُ أبُو طَالِبٍ فأَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ، ولَاذَ الْغُلَامُ بِإِصْبَعِهِ وَمَا فِي السَّمَاء قَزَعَةٌ، فأَقْبَلَ السَّحابُ مِنْ هَا هُنَا وهَا هُنَا، وأَغْدَقَ واغْدَوْدَقَ وانْفَجَرَ لَهُ الْوَادِي وأَخْصَبَ النَّادِي والبَادِي. وفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِب:

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

مِنْ قَصِيدَةٍ هِيَ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِينَ بَيْتًا اطَّلَعْتُ مِنْهَا عَلَى جُلِّها وَلَمْ أُتِمَّهَا.

قالَ ابن إسحاق: هِيَ ثَلَاثَةٌ وثَمَانُونَ بَيْتًا، وقَالَ غَيْرُهُ: مِئَةٌ وَعَشَرَة، وقِيلَ: زَادَ فِيهَا النَّاسُ حتَّى إنَّ الأَصْمَعِيّ سَأَلَ محمّد بن سلّام: أَتَدْرِي مُنْتَهَاهَا؟ قَالَ: لَا[4].

وَقِيلَ: هذَا الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ عَنْ جُلْهُمَةَ بَاطِلٌ.

وفِي شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ دَلَالةٌ علَى مَعْرِفتِهِ بنُبُوءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْبِعْثَةِ لِخَبَرِ بحيرى وغَيْرِهِ[5].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاق: هَذَا الشِّعْرُ بَعْدَ بَعْثِهِ ﷺ، وجَاءَتْ مَعْرِفَةُ أَبِي طالِب بِنُبُوءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَتَمَسَّك بِهَا الشِّيعَةُ فِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ[6].

والزُّبَيْر أَيْضًا شَقِيقُ عَبْدِ اللهِ، ولَكِنْ خَصَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أبَا طَالِبٍ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ سِنًّا. وَقِيلَ شارَكَهُ الزُّبَيْرُ أَيْضًا فِي كَفَالَتِهِ ﷺ بلَا إِيصَاءٍ، ولَكِنْ خَصُّوا أَبَا طَالِبٍ بِالذِّكرِ لِطُولِ حَيَاتِهِ.

وأَمَّا أَنْ يُقالَ كفَلَهُ الزُّبيرُ حَتَّى ماتَ ثُمَّ كفَلَهُ أبُو طَالِبٍ فَلَا يَصِحُّ لِمُنَافَاتِهِ الوَصِيَّةَ لِأَبِي طَالِبٍ، ولِأَنَّ الزُّبيرَ شَهِدَ حِلْفَ الفُضُولِ وَلِلنَّبيءِ ﷺ نَيِّفٌ وعِشْرُونَ سَنَةً، وأَجْمَعَ العُلَمَاءُ أَنَّهُ شَخَصَ مَعَ أَبِي طالِبٍ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَقَلّ مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، فَأَبُو طَالِبٍ هُوَ الذِي كَفَلَهُ[7].

---

(1) العبارة: "فقال قائل...الباب" أضافها المؤلف على الهَامِش، وقد نقلها من شرح المواهِب.

(2) الدَّجْنُ ظلُّ الغيم في اليوم المَطير. لسان العرب (دجن).

(3) قيل: [الغلامُ] هو من حين يولد إلى أَن يشيب والجمع أَغْلِمَةٌ وغِلْمَةٌ وغِلْمانٌ ومنهم من استغنى بِغِلْمَةٍ عن أَغْلِمَةٍ وتصغير الغِلْمة أُغَيْلِمَةٌ. لسان العرب (غلم).

المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/184-185، نقلا عن ابن عساكر دون ذكر المصدرِ، ولم أجده فِي تاريخ دمشقَ لهُ.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/358. أضاف المؤلِّفُ هذه العبارة على الهامِشِ. ينظر: طبقات فحول الشعراء، 1/244.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/186.

(6) (م، س)، 1/186. فتح الباري، 2/496. لم أقفْ على قولِ ابن إسحاق فِي السِّيرة.

(7) شرح المواهب، الزرقاني، 1/354، وتاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 1/253.

وكانَ عِيَالُ أبي طَالِب إِذَا أَكَلُوا لَمْ يَشْبَعُوا، وَإِذَا أَكَلَ ﷺ مَعَهُم شَبِعُوا. وكَانَ أَبُو طالِبٍ إِذَا حَضَرَ الطَّعامُ قال: اثبُتُوا حَتَّى يَجِيءَ وَلَدِي، وَكَانَ [117ظ] إِذَا شَرِبَ أَوَّلًا مِنْ قَعْبٍ وَشَرِبُوا مِنْهُ كَفَاهُمْ، فيَقُولُ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ، وإِنْ كانَ أَحَدُهُم لَيَشْرَبُ قَعْبًا وَحْدَهُ[1].

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا لا يُحِبُّهُ أَوْلَادَهُ، ولَا يَنَامُ إِلَّا إِلَى جَنْبِهِ ويَخْرُجُ بِهِ متَى خَرَجَ، وإِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ تَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ أَيْدِي الصِّبْيَانِ ويَقْصرُ يَدَهُ تَكَرُّمًا واستِحْيَاءً ونزَاهَةً وقنَاعَةً ويُصْبِحُونَ غُمْصا[2] رُمْصًا، مُصْفَرَّةَ الوُجُوهِ مِنْهُمْ، ويُصْبِحُ صقِيلًا دَهِينًا، كَأَنَّهُ في أَنْعَمِ عَيْشٍ وَأَعَزِّ كِفَايَةٍ لُطْفًا مِنَ اللهِ بِهِ[3].

وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ مَنَاف، وَشَذَّ قَوْلٌ بِأَنَّهُ عِمْرَان، بَلْ هُوَ قَوْلُ الرّافضة، وأَوَّلُوا بِهِ قَوْلَهُ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ** ﴾[4] وَهُوَ بَاطِلٌ، وتَوَاتر الأَخْبَار أَنَّ اسْمَهُ كُنْيَتُهُ[5].

وأُمُّ أَيْمَنَ المذْكُورِ حَبَشِيَّةٌ وَاسْمُها بَرَكَة، وأَيْمَنُ وَلَدُهَا، وهُوَ ابْنُ عبيْد الخزرجي، مَاتَ يَوْمَ حُنَيْن شَهِيدًا، وكَانَ لَهَا إِدْلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وكَانَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يَزُورَانِها بَعْدَهُ ﷺ. وكَانَتْ تَبْكِي وَتَقُولُ: أَنَا أَبْكِي لِخَبَرِ السَّماءِ كَيْفَ انْقَطَعَ عَنَّا[6].

وَلَمَّا هَاجَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ مِنْ مَكَّةَ أَمْسَتْ بِالْمنصرف، دُونَ الرَّوْحَاءِ، فعَطِشَت فَدُلِّيَ عَلَيْها مِنَ السَّماءِ دَلْوٌ بِحَبْلٍ أَبْيَضَ، فأَخَذَتْهُ فشَرِبَتْ حَتَّى رَوِيَتْ. قَالَتْ: كانَ لا يُصِيبُنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَطَشٌ وأَنَا أَصُومُ مِنَ الْهَوَاجِرِ[7].

ورُوِيَ أَنَّ عبدَ المطَّلِبِ قَالَ لِأُمِّ أَيْمَنَ: لَا تَغْفَلِي عَن ابْنِي، وإِنِّي وَجَدْتُهُ مَعَ غِلْمَانٍ قَرِيبًا مِنَ السّدْرَةِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ إِنَّهُ نَبِيءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ[8].

---

(1) شرح المواهب، الزرقاني، 354/1 بتصرُّف.

(2) في الأصل: عمصا، وهكذا ذكرها الزرقاني، وقد نقلها من غريب الحدِيثِ لابن قتيبَةَ، وفِيه: "غمصاً، والغُمص والرمص واحِدٌ، وهو الغَمَص في العيْنِ". غريب الحدِيث، 381/1. ومنه يظهر خطأ النَّقلِ.

وفي لسان العرب: قيل الغَمَصُ ما سالَ والرَّمَصُ ما جَمَدَ، وقيل هو شيء تَرْمِي به العينُ مثل الزَّبَد. (غمص).

(3) شرح المواهب، الزرقاني، 355/1 بتصرُّف.

(4) سورة آل عمران: 33.

(5) فتح الباري، ابنُ حَجَر، 194/7.

(6) حلية الأولياء، أبو نعيم، 68/2.

(7) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 497/2.

(8) طبقات ابن سعد، 97/1.

وأَمَّا قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإيَادِي فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالْبِعْثَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وأَوَّلُ مَن اتَّكَأَ على عَصَا فِي الْخُطْبَةِ، وأَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فِي قَوْلٍ، وأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ مِن فُلَان إِلَى فُلَان، وعَاشَ ثَلَاثَ مِئَةٍ وثَمَانِينَ سَنَةً، وقِيلَ: سِتُّ مِئَةٍ، وكَانَ خَطِيبًا حَكِيمًا عَاقِلًا لهُ نَبَاهَةٌ وفَضْلٌ[1].

وكانَ يَخْطُبُ فِي عكاظ وقَالَ: سَيعلَمُ حَقّ مَنْ هَذَا الوَجْهِ، وأَشَارَ إِلَى جِهَةِ مَكَّةَ، وقَالُوا: مَا هَذَا الْحَقُّ؟ قالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ لؤيّ بن غالب، يدْعُوكُمْ إِلَى الْإِخْلَاصِ وعَيْشِ الْأَبَد ونَعِيمٍ لَا يَنْفَد، فَإِنْ دَعَاكُمْ فأَجِيبُوه، ولَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أَعِيشُ إِلَى بَعْثِهِ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**رَحِمَ اللهُ قُسًّا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَق تَكَلَّم بِكَلَامٍ لهُ حَلَاوَةٌ لَا أَحْفَظُهُ، فقَالَ بَعْضُ قَوْمِهِ: نَحْنُ نَحْفَظُهُ، فقَالَ: هَاتُوا، فَذَكَرُوا حِكْمَتَهُ الْمَشْحُونَةَ بِالْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ**))[3].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَق، تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا أَحْفَظُهُ، فقَالَ أبُو بَكْر أَنَا أَحْفَظُهُ، قَالَ: أُذْكُرْهُ، فذَكَرَهُ**))[4].

وَرَوَى أَنَّهُ لمَّا قَدِمَ بكر بن وائل علَى النَّبِيءِ ﷺ قالَ لَهُمْ: ((**مَا فَعَلَ قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإيَادِي؟ قالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ [118و] قالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي سُوقِ عُكَاظ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَر**))[5].

قالَ الجاحظ: [لِقُسٍّ وقَوْمِهِ فَضِيلَةٌ][6] لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَوَى كَلَامَهُ ومَوْقِفَهُ علَى جَمَلِهِ بِعُكَاظ ومَوْعِظَتَهُ، وعجبَ مِنْ حُسْنِ كَلَامِهِ، وأَظْهَرَ تَصْوِيبَهُ، وهَذَا شَرَفٌ[7] تَعْجزُ عَنْهُ الْأَمَانِي وتَنْقَطِعُ دُونَهُ الْآمَالُ، وإِنَّما وَفَّقَ اللهُ لِذَلِكَ قُسًّا لِتَوْحِيدِهِ وإِظْهَارِهِ الإِخْلَاص، وإِيمَانِهِ بِالْبَعْثِ، ومِنْ ثَمَّ كانَ قُسّ خَطِيبَ الْعَرَبِ قَاطِبَةً[8].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ سأَلَ جَمَاعَةً مِنْ عَبْدِ القَيْسِ فَقَالَ: ((**هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قُسًّا؟** فقَالُوا: كلُّنَا يَعْرِفُهُ يا رَسُولَ اللهِ، فقَامُوا واحِدًا بعْدَ وَاحِدٍ يَذْكُرُ مَا رَأَى مِنْهُ، أَوْ سَمِعَ.

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 342/1، عن المرزباني دون ذكر المصدرِ.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 342/1، عن أبِي نعيم في الدلائل، ولم أجده في المطبوعِ منهُ.

(3) الموضوعات، ابن الجوزِي، 214/1.

(4) الإصابة، ابن حجر، 218/9.

(5) ابن حجر، الإصابة، 218/9، أخرجه عن عبد الله بن أحمد في زيادات الزُّهد، وشرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 343/1.

(6) في البيان والتبيين: لإيادٍ وتمِيمٍ في الخُطبِ خَصلةٌ.

(7) في البيان والتبيين: إسنادٌ.

(8) الإصابة، ابن حجر، 218/9، وينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، 51/1.

ثُمَّ قامَ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِن قُسٍّ عَجَبًا، خَرَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَطْلُبُ بَعِيرًا [نَدَّ لِي][1]، أَقْفُو أَثَرَهُ فِي نَفَانِفَ[2] لَيْسَ فِيهَا لِرَاكِبٍ مَقِيلٌ، ولَا لِغَيْرِ الْجِنِّ سَبِيلٌ، وَإِذَا أَنَا بموبلٍ مَهُولٍ فِي طَوْدٍ عَظِيمٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْبُومُ، فأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ فَوَلَجْتُهُ مَدْعُورًا لآمنَ[3] فِيهِ حَتْفِي، وَلَا أَرْكَنُ إِلَى غَيْرِ سَيْفِي، فَبِتُّ فِيهِ حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ عَسْعَسَ، وكَادَ الصُّبْحُ أَنْ يَتَنَفَّسَ، هَتَفَ بِي هَاتِفٌ يَقُولُ:

يَـا أَيُّهَـا الرَّاقِـدُ فِي اللَّيْـلِ الْأَحَمّ[4] قَـدْ بَعَـثَ اللـهُ نَبِيئًـا فِـي الْحَرَمْ
مِـنْ هَـاشِـــمٍ أَهْـلِ الرَّجَـاءِ وَالْكَرَمْ يَنْفِي دُجُنَّـاتِ[5] الـدَّيَـاجِي وَالْبُهَمْ[6]

فَأَدَرْتُ طَرْفِي فَمَا رَأَيْتُ شَخْصًا، فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

يَـا أَيُّهَـا الْهَـاتِفُ فِي دُجَـا الظُّلَمْ أَهْلًا وَسَـــهْلًا بِـكَ مِن طَيْفٍ أَلَم
بَيِّنْ هَـدَاكَ اللـهُ فِي لَحْنِ الْكَلِمْ هَـذَا الـذِي تَـدْعُو إِلَيْـهِ يُغْتَنَمْ[7]

فَإِذَا بِنَحْنَحَةٍ وَقَائِلٍ يَقُولُ:

ظَهَرَ النُّور وبَطلَ الزُّور وبُعِثَ النَّبِيءُ ﷺ بالْحُبُور، صَاحِبُ النَّجِيبِ[8] الْأَحْمَر، والتَّاجِ وَالْمِغْفَر[9]، والوَجْهِ الْأَزْهَر، صَاحِبُ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فذَلِكَ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَر، أَهْلِ الْوَبَرِ وَالْمَدَر، ثُمَّ قَالَ:

الْحَمْدُ للهِ الذِي لَمْ يَخْلُق الْخَلْقَ عَبَثْ
أَرْسَلَ فِينَا أَحْمَدَ خَيْرُ نَبِيءٍ قَدْ بُعِثْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا حَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحَث[10]

---

(1) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: شرد منِّي.

(2) في دلائل النبوة: حقائف، وفِي تاريخ دمشق: تنائف.

(3) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: لا آمنُ.

(4) الأحمُّ الأسْود من كلِّ شَيْءٍ. لسان العرب (حمم).

(5) دُجُنّات: جمع دُجنّة وهي الظلمة. لسان العرب (دجن).

(6) بُهَم جمع بُهمة، وهِيَ مشكلات الأمورِ. لسان العرب (بهم). البيتان من الرَّجَزِ.

(7) البيتان من الرَّجَزِ.

(8) النَّجِيبِ من الإبل مفرداً ومجموعاً وهو القويُّ منها الخفيف السريع. لسان العرب (نجب).

(9) المِغْفَرُ والمِغْفرةُ والغِفارةُ زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأْس يلبس تحت القلنسوة وقيل هو زَفَرُفُ البيضة وقيل هو حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ به المُتَسَلِّحُ. لسان العرب (غفر).

(10) الرجز فِي دلائل النبوة، البيهقي، 110/2، وتاريخ دمشق، ابن عساكِر، 434/3. وكلاهما بزيادة شَطرٍ:

لم يُخْلِنا حِيناً سُـدى من بعدِ عِيسَـى واكترثْ

قالَ: فَذَهلْتُ عَن الْبَعِير واكْتَنَفَنِي السُّرُور ولَاحَ الصَّبَاحُ فتَرَكْتُ الْغورَ[1] وأَخَذْتُ فِي الْجَبَلِ فَإِذَا بالْبَعِيرِ، فمَلَكْتُ خِطَامَهُ وعَلَوْتُ سنَامَهُ، فمرح طَاعَةً وهَدَرَ[2] سَاعَةً، حَتَّى إِذَا تَعِبَ وَذَلَّ مِنْهُ مَا صَعُبَ، وحَمِيَت الوِسَادَةُ، وتَبَرَّدَت الْمَزَادَةُ لِلزَّادِ، فَبَرَكتُهُ فَبرَكَ وأَذِنْتُ لَهُ فِي رَوْضَةٍ خَضِرَةٍ نَظِرَةٍ، فجَعَلَ يَرْتَعِي أَبًّا وأَصِيدُ ضَبًّا، حتَّى إِذَا أَكَلْتُ وَأَكَلَ، ونَهَلْتُ وَنهَلَ، وعَلَلْتُ وعَلَّ، حَلَلْتُ عِقَالَهُ وَعَلَوْتُ جُلَالَهُ، وأَوْسَعْتُ مَجَالَهُ، يسْتَبِقُ الرِّيحَ، ويَقْطَعُ [عَرْشَ الشِّيحِ][3]، حَتَّى أَشْرَفْتُ علَى وَادٍ وَشَجَرٍ، مِنْ شَجَرِ عَادٍ بِرَوْضَةٍ مُونِقَةٍ، فَدَنَوْتُ فإِذَا أَنَا بِقُسّ بنِ سَاعِدَةَ فِي ظِلّ شجَرَةٍ، بِيَدِهِ قضِيبٌ مِن أَرَاكٍ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، ويَتَرَنَّمُ بِشِعْرٍ:

يَـا نَـاعِي الْمَوْتِ وَالْمَلْحُودُ فِي جَـدَثِ ... عَـلَـيْـهِـمُ مِـنْ بَـقَـايَـا بِـرِّهِـمْ خِـرَقُ
دَعْهُمْ فَـإِنَّ لَهُمْ يَوْمًـا يُصـــاحُ بِهِمْ ... فَـهُـمْ إِذَا نُـبِّـهُـوا مِـنْ نَـوْمِـهِـمْ فَـرَقُـوا
حَـتَّـى يَـعُـودُوا لِـحَـالٍ غَـيْـرِ حَـالِـهِـمُ ... خَلْقًـا جَـدِيـدًا كَـمَـا مَنْ قَبْلَهُمْ خُلِقُوا
مِـنْـهُـمْ عَـرَاةٌ وَمِـنْـهُـمْ فِـي ثِـيَـابِـهِـمُ ... مِنْهَا الْجَدِيدُ [118ظ] وَمِنْهَا الْمَنْهَجُ الْخَلَقُ[4]

قالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَإِذَا عَيْنٌ خَرَّارَةٌ، فِي أَرْضٍ خَوَّارَة، ومَسْجِدٌ بَيْنَ قَبْرَيْنِ، وأَسدان عَظِيمَانِ يَلُوذَانِ بِه، ويَتَمَسَّحانِ بِأَثْوَابِهِ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْبِقُ صَاحِبَهُ إِلَى الْمَاءِ، فَتَبِعَهُ الآخَرُ يَطْلُبُ الْمَاءَ، فضَرَبَهُ بِالْقَضِيبِ الذِي فِي يَدِهِ، وقَالَ: ارْجِعْ حَتَّى يَشْرَبَ الذِي قَبْلَكَ. فَرَجَعَ ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ. فقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ؟ فقالَ: هَذَانِ قَبْرَا أَخَوَيْنِ لي كَانَا يَعْبُدَانِ اللهَ تَعَالَى مَعِي فِي هَذَا الْمَكَانِ، لَا يُشْرِكَانِ بِاللهِ شَيْئًا، فَأَدْرَكَهُمَا الْمَوْتُ، وهَا أَنَا بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِاللهِ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فتَغَرْغَرَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوع، وقَالَ:

خَلِيلَيَّ هُبَّـا طَـالَ مَـا قَـدْ رَقَـدْتُمَـا ... أَجِـدّكُـمَـا مَـا تَـقْـضِـيَـانِ كَـرَاكُـمَـا
أَلَـمْ تَـعْـلَـمَـا أَنِّـي بِسَـمْـعَـانَ مُـفْـرِدُ ... وَمَـالِـيَ فِيهَـا مِنْ خَلِيـلٍ سِـوَاكُمَـا؟
[وَ] أَبْكِيكُمَـا طُولَ الْحَيَـاةِ وَمَـا الـذِي ... يَـرُدُّ عَـلَـى ذِي لَـوْعَـةٍ أَنْ بَـكَـاكُـمَـا؟
أَمِـنْ طُـولِ نَـوْمٍ لَا تُـجِـيـبَـانِ دَاعِـيًـا ... كَـأَنَّ الذِي يَسْـقِي الْمُدَامَ[5] سَـقَـاكُمَا
كَـأَنَّكُمَـا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَـائِـبٍ[6] ... بِـرُوحِـيَ فِـي قَـبْـرَيْكُـمَـا قَـدْ أَتَـاكُـمَـا

(1) في دلائل النبوة: المواراء، وفِي تاريخ دمشق: المور.
(2) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: فهززته.
(3) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: عرض الفسِيح.
(4) الأبيات من البسِيط فِي دلائل النبوة، البيهقِي، 111/2، وتاريخ دمشق، ابن عساكِر، 435/3.
(5) فِي دلائل النبوة وتاريخ دمشق: العُقارَ.
(6) فِي دلائل النبوة: غايَةٍ. والبيتُ ليْسَ فِي تاريخ دمشق.

فَـلَـوْ جُـعِـلَـتْ نَـفْـسٌ لِـنَـفْـسٍ وِقَـايَـةً لَجُدْتُ بِنَفْسِـــي أَنْ تَكُونَ وَقَاكُمَا[1][2]

فقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**رَحِمَ اللهُ قُسًّا، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ**[3] **أُمَّةً وَحْدَهُ**))[4].

ويُروَى أَنَّهُ كَانَ يَعِظُ النَّاسَ فِي عُكَاظ عَلَى بَعِيرٍ كَكَبْشٍ، ورُبَّما طَالَ وَيَغِيبُ. وَمِنْ وَعْظِهِ: إِنَّ للهِ دينًا غَيْرَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

ويُروَى أَنَّ حَلِيمَةَ لَمَّا رَجَعَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أُمِّهِ، حَضَرَتْ بِهِ سوق ذي المجاز، وفِيهِ عَرَّافٌ مِنْ هوازن يُؤتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِلَى الْحُمْرَةِ فِي عَيْنَيْهِ، وإِلَى خَاتَمِ النُّبُوءَةِ فَصَاحَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَوْسِمِ فقَالَ: اقْتُلُوا هَذَا الصَّبِيَّ، وانْسَلَّتْ بِهِ حَلِيمَةُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: أَيُّ صَبِيّ؟ وَهُو يَقُولُ: هذَا الصَّبِيُّ، فلَا يَرَوْنَ شَيْئًا، قَد انْطلَقَتْ بِهِ أُمُّهُ. فَقِيلَ لَهُ مَا هُوَ؟ فقَالَ: رَأَيْتُ غُلامًا لَيَغْلِبَنَّ أَهْلَ دِينِكُمْ، ولَيَكْسِرَنَّ أَصْنامَكُمْ، ولَيَظْهَرَنَّ أَمْرُهُ علَيْكُمْ، فَطُلِبَ بِعُكَاظ فَلَمْ يُوجَدْ، ورَجَعَتْ بِهِ حَلِيمَةُ إِلَى مَنْزِلِهَا، فكَانَتْ بَعْدُ لَا تعرضُهُ لأَحَدٍ[5].

ورُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ بِهِمْ عَرّافٌ، فأُخْرِجَ إِلَيْهِ صِبْيَانُ أَهْلِ الْحَضَرِ، فأَبَتْ حَلِيمَةُ أَنْ تُخْرِجَهُ، إِلَى أَنْ غَفَلَتْ عَنْهُ ﷺ فخَرَجَ مِنْ المِظَلَّةِ[6][7] فَرَآهُ العَرَّافُ فَدَعَاهُ ﷺ فَأَبَى، ودَخَلَ الْخَيْمَةَ، فجَهِدَهُم الْعَرَّافُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ فَأَبَتْ، فَقَالَ: هَذَا نَبِيءٌ[8].

وقَدْ عَرَضَهُ أَبُو طَالِبٍ عَلَى عَائِف[9] مِنْ لهبٍ[10] كانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ، أَتَاهُ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِغِلْمَانِهِمْ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ويَعْتَافُ لَهُمْ، فَأَتَاهُ بِهِ أَبُو طَالِبٍ وهُوَ غُلَامٌ مَعَ مَنْ يَأْتِيهِ، فنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ شغَلَهُ عَنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ: [أَيْنَ الْغُلَامُ عَلَيَّ بِهِ][11]، فَلَمَّا رَأَى أبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيَّبَهُ عَنْهُ، فجَعَلَ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ رُدُّوا عَلَيَّ الغُلَامَ الذِي رأَيْتُ آنِفًا، فَوَاللهِ لَيَكُونَنَّ لَهُ شَأْنٌ، وَانْطَلَقَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ[12].

---

(1) فِي دلائل النبوة وتاريخ دمشق: فِداكُما.

(2) الأبيات من الطويل في تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 436/3، ودلائل النبوة، البيْهَقِي، 112/2.

(3) فِي دلائل النبوة وتاريخ دمشق: أن يبعثَهُ.

(4) الحدِيث في تاريخ دمشق، ابن عساكر، 433/3 وما بعدها، وفِي دلائل النبوة، البيْهَقِي، 109/2 وما بَعدهَا.

(5) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1، والخصائص الكبْرَى، السيوطِي، 145/1.

(6) في الأصلِ: مضلة، والتصوِيب من الاكتفاء. مَضِلَّةٌ ومَضَلَّةٌ: يُضَلّ فيها ولا يُهْتَدى فيها للطريق. لسان العرب (ضلل) وهذا لا يناسِبُ السِّياقَ.

(7) والمِظَلَّة والمَظَلَّة بيوت الأَخبية وقيل المِظَلَّة لا تكون إلا من الثياب وهي كبيرة ذات رُواقٍ وربما كانت شُقَّة وشُقَّتين وثلاثاً وربما كان لها كِفَاءٌ وهو مؤخَّرها. لسان العرب (ظلل).

(8) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1.

(9) من العيافة، وهِيَ زجْرُ الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها ومَمَرِّها وهو من عادة العرب كثيراً. لسان العرب (عيف).

(10) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَهَبٌ: مِنْ أَزْدشَنُوءَةَ. السيرة، 179/1.

(11) في الاكتفاء: "الغلامَ عليَّ به" بإسقاط أين.

(12) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1.

وكَانَتْ حَلِيمَةُ بَعْدَ رُجُوعِها بِهِ مِنْ مَكَّةَ [119و] لَا تَدَعُهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، فغَفَلَتْ عَنْهُ يَوْمًا فِي الظَّهِيرَةِ، فأَدْرَكَتْهُ معَ أُخْتِهِ كَمَا مَرَّ، وقَدْ أَخْبَرَتْها أَنَّهُ تَقِيهِ السَّحابَةُ، فقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا: أَحَقًّا يَا بِنْتِي؟ قَالَتْ: إِي وَاللهِ، فقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ مَا يُحْذَرُ عَلَى ابْنِي[1].

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاس يَقُولُ: رَجَع إِلَى أُمِّهِ وهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ، وقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ[2]. وشَهُرَ.

ولَمْ تَرَهُ حَلِيمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، إِحْدَاهُما بَعْدَ تَزَوُّجِهِ خَدِيجَةَ، رَضِي الله عَنْهَا، جاءَتْهُ تشْكُو السَّنَةَ، وأَنَّ قَوْمَها قَدْ أَسْنَتُوا[3]، فَكَلَّمَ لَهَا خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فأَعْطَتْهَا عِشْرِينَ شَاةً وَبَكَرَاتٍ[4]، والْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ يوْمَ حُنَيْن[5]. واخْتَارَ السُّهَيْلِيّ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى أُمِّهِ، وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَشهر[6].

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق: أَنَّ مِمَّا هَاجَ أُمَّهُ السَّعْدِيَّة عَلَى رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ، مَعَ مَا ذَكَرَتْ لِأُمِّهِ أَنَّ نفَرًا مِنَ الْحَبَشَةِ نَصَارَى رَأَوْهُ معَهَا، حِينَ رَجَعَتْ بِهِ بَعْدَ فِطامِهِ فنَظَرُوا إِلَيْهِ، وسَأَلُوها عَنْهُ، وَقَبَّلُوهُ[7] ثُمَّ قَالُوا لَهَا: لَنَأْخُذَنَّ هذَا الْغُلَامَ، فَلَنَذْهَبَنَّ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وبِلَادِنَا، فَإِنَّ هَذَا الْغُلَامَ كائِنٌ لهُ شَأْنٌ، نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ، فَانْفَلَتَتْ بِهِ مِنْهُمْ بِشِدَّةٍ[8].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ[9]: لمَّا ظهرَ سيف ابن ذي يزن عَلَى الْحَبَشَةِ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَتَتْهُ وُفُودٌ مِنَ الْعَرَبِ وأَشْرَافِهَا وشُعَرَائِهَا تُهنِّئُهُ وتَمْدَحُهُ، وتَذْكُرُ ما كَانَ مِنْ بَلَاءِهِ، وطَلَبِهِ بِثَأْرِ قَوْمِهِ، فأَتَاهُ وَفْدُ قُرَيْشٍ، وفِيهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ابنُ هَاشِم، وغَيْرُهُ مِنْ وُجُوهِ قُرَيش وأَهْلِ مَكَّةَ، فأَتَوْهُ بصَنْعاءَ وهُوَ فِي قَصْرٍ لَهُ يُقَالُ لهُ عمدان[10]، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لهُم، فإِذَا هُوَ مُتَضَمّخ بالْعَبِيرِ[11]، يَبِصُّ[12] وَبِيصُ الْمِسْكِ مِنْ مَفْرِقِهِ وسَيْفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَن يَمِينِهِ ويسَارِهِ الْمُلُوكُ والْمقَاوِلُ، فدَنَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فاسْتَأْذَنَ فِي الْكَلَامِ، فقَالَ لَهُ سيف بن ذي يزن: إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَي المُلُوكِ فقَدْ أَذِنَّا لَكَ.

---

(1) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1.

(2) (م، س)، 139/1.

(3) في الأصْل: استنوا، والتصويب من الروض الأنف.

(4) البَكْر: الفتيّ من الإبل، والأنثى بَكْرَة، والجمع بَكْرات وبِكار وبِكارة، وقد يُجمع البَكْرة من الإبل: بَكَرات. جمهرة اللغة، ابن دريد (برك).

(5) الروض الأنف، السهيْلِي، 115/2.

(6) (م، س)، 115/2.

(7) فِي سيرة ابن هشام: وقلَّبوهُ.

(8) سيرة ابنِ هِشام، 167/1.

(9) سأوثِّقُ هذا الخبرَ وأقابله على روايتَيْ دلائل النبوة للبيهقِي، وأخبار مكة للأزرقِي، فقد ذكر الخبرَ غيرُهُما، لكن رواية هذين المصدرَيْن هي الأقربُ إلى روايةِ المؤلِّف، وسأثبتُ ما أراهُ ضرورِيّاً من الاختلافاتِ.

(10) في أخبار مكة ودلائل النبوة: غمدان.

(11) العَبِير أَخْلاطٌ من الطيب تُجْمَع بالزعفران وقيل هو الزعفران وحده وقيل هو الزعفران عند أَهل الجاهلية. لسان العرب (عبر).

(12) يَبِصّ بَصّاً وبَصيصاً بَرَقَ وتلأْلأَ. لسان العرب (بصص).

فقَالَ لهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّكَ أيُّها الْمَلِكُ مَحَلًّا رَفِيعًا، صَعْبًا مَنِيعًا شَامِخًا باذِخًا، وأَنْبَتَكَ مَنْبَتًا طَابَتْ رَوْضَتُهُ وعَزَّتْ جُرْثُومَتُهُ، وثَبَتَ أَصْلُهُ وبَسَقَ فَرْعُهُ فِي أَكْرَمِ مَعْدَنٍ وأَطْيَبِ مَوْطِنٍ، وأَنْتَ، أَبَيْتَ اللَّعنَ، رَأْسُ الْعَرَبِ الذِي إِلَيْهِ تَنْقَادُ، وعَمُودُها الذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ، ومعلقها[1] الذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، سَلَفُكَ خَيْرُ سَلَفٍ، وأَنْتَ لنَا مِنْهُمْ خَيْرُ خَلَفٍ، فلَنْ يَحْمُلَ[2] ذِكْرُ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ، ولَنْ يَهْلِكَ مَنْ أنْتَ خلَفُهُ.

أيُّهَا الْمَلِكُ نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللهِ، وسَدَنَةُ بَيْتِهِ، أشْخَصَنَا إِلَيْكَ الذِي أَبْهَجَنَا بِكَشْفِ الْكَرْبِ الذِي فَدَحَنا، فنَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفْدُ الرَّزِيَّة[3].

قَالَ: وأَيُّهُمْ أَنْتَ أَيُّها الْمُتَكَلِّمُ؟ قالَ: أَنَا عَبْدُ المطَّلِبِ بنُ هَاشِم بنِ عَبْدِ مَنَاف. قالَ: ابْنُ أُخْتِنَا. قالَ: نَعَمْ، فَادْنُ فأَدْنَاهُ، ثمَّ أَقْبَلَ علَيْهِ وعَلَى الْقَوْمِ، فقَالَ: مَرْحَبًا وأَهْلًا [119ظ] ونَاقَةً ورَحْلًا، ومُسْتَنَاخًا سَهْلًا، وَمَلِكًا رِبَحْلًا، يُعْطِي عَطَاءً جَزِيلًا، قَدْ سَمِعَ الْمَلِكُ مقَالَتَكُمْ، وعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ، وقَبِلَ وَسِيلَتَكُمْ، فأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، لَكُم الكَرَامَةُ مَا أَقَمْتُمْ، والْحِبَاءُ إِذَا ظَعنْتُمْ، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى دَارِ الضِّيافَةِ والوُفُودِ، فأَقَامُوا شَهْرًا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ، ولَا يَأْذَنُ لهُمْ فِي الانْصِرَافِ، وأُجْرِيَتْ عَلَيْهِم الإِنْزَالَاتُ.

ثُمَّ انْتَبَهَ لَهُم انْتِبَاهَةً، فأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فأَدْنَاهُ وأَحْلَى مَجْلِسَهُ ثُمَّ قَالَ: يا عَبْدَ المطَّلِبِ إِنّي مُفْضٍ إِلَيْكَ مِنْ سِرِّ عِلْمِي أَمْرًا، لَوْ غَيْرُكَ كَانَ لَمْ أَبُحْ لَهُ بِهِ، ولَكِنْ وَجَدْتُكَ مَعْدِنَهُ فأَطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ، فلْيَكُنْ عِنْدَكَ مَكْتُومًا حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، فَإِنَّ اللهَ بَالِغٌ فِيهِ أَمْرَهُ.

إِنّي أَجِدُ فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ والْعِلْمِ الْمَخْزُونِ الذِي اخْتَرْنَاهُ لِأَنْفُسِنَا وَاحْتَجَبْنَاهُ دُونَ غَيْرِنَا خَبَرًا جَسِيمًا وخَطَرًا عَظِيمًا، فيهِ شَرَفُ الْحَيَاةِ وفَضِيلةُ الْوَفَاةِ لِلنَّاسِ عَامَّةً ولِرَهْطِكَ كَافَّةً ولَكَ خَاصَّةً.

قال: أيُّها المَلِكُ مِثْلُكَ مَنْ سرّ وبرّ، فَمَا هُوَ فِدَاؤُكَ أَهْلُ المدَرِ وَالْوبَرِ، زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرٍ؟

قالَ: إِذَا وُلِدَ بتِهَامَةَ غُلَامٌ بِهِ عَلَامَة، كانَتْ لَهُ الْإِمَامَة، ولَكُمْ بِهِ الزَّعَامَة إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة. فقالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: أَبَيْت اللَّعْنَ، لقَدْ أُبْتُ بِخَيْرِ مَا آبَ بِهِ وَلِيدُ قَوْمٍ، ولَوْلَا هَيْبَةُ الْمُلْكِ وإِعْظَامُهُ وإِجْلَالُهُ لَسَأَلْتُهُ [من بِشَارَتِهِ إِيَّايَ][4] مَا أَزْدَادُ بِهِ سُرُورًا، فإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يُخْبِرَنِي بإِفْصَاحٍ فقَدْ أَوْضَحَ لِي بَعْضَ الْإِيضَاحِ.

(1) في أخبار مكة ودلائل النبوة: معقلها.

(2) في أخبار مكة ودلائل النبوة: يخمد.

(3) في أخبار مكة ودلائل النبوة: المرزأة.

(4) في أخبار مكة: من سارة آبائي، وفي دلائل النبوة: من سراره إيايَ.

فقَالَ لَهُ ابن ذي يزن: هَذَا حِينُهُ الذِي يُولَدُ فِيهِ، أَوْ قَدْ وُلِدَ، اسْمُهُ مُحَمَّد، بَيْنَ كَتِفَيْهِ شامَةٌ، يَمُوتُ أَبُوهُ وأُمُّهُ، ويَكْفلُهُ جَدُّهُ وعمُّهُ، وقَدْ وجَدْنَاهُ[1] مِرَارًا، واللهُ بَاعِثُهُ جِهَارًا، وجاعِلٌ لَهُ مِنَّا أَنْصَارًا، يُعِزُّ بِهِم أَوْلِياءَهُ، ويُذِلُّ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ، ويَضْرِبُ بِهِم النَّاسَ عَنْ عرض، ويَسْتَبِيحُ بِهِم كرَائِمَ الْأَرْضِ، يَعْبُدُ الرَّحْمَنَ ويَدْحضُ الشَّيْطانَ، ويَكْسِرُ الأَوْثَانَ ويُحْمِدُ النِّيرَانَ، قَوْلُهُ فَصْلٌ وحُكْمُهُ عَدْلٌ، يَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ ويَفْعَلُهُ، ويَنْهَى عَن الْمُنكَرِ ويُبْطِلُهُ. قالَ: فَخَرَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ساجِدًا فقَالَ: ارْفَعْ رأْسَكَ، ثلج صَدْرُكَ، وعَلَا كَعْبُكَ، فهَلْ أَحْسَسْتَ مِنْ عِلْمِهِ شَيْئًا؟

قالَ: نَعَمْ أَيُّها الْمَلِكُ، كانَ لِي ابْنٌ وَكُنْتُ بِهِ مُعْجَبًا وعَلَيْهِ رَفِيقًا، فزَوَّجْتُه كَرِيمَةً مِنْ كرَائِمِ قَوْمِهِ، آمِنَةَ بِنْت وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَةَ، فجَاءَتْ بِغُلَامٍ سَمَّيتُهُ مُحَمَّدًا، مَاتَ أَبُوهُ وأُمُّهُ وكفَلْتُهُ أنَا وعَمُّهُ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ شَامَةٌ، وفِيهِ كُلُّ مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَلَامَةٍ.

قالَ: والْبَيْتِ ذِي الْحُجُب، والْعَلَامَاتِ ذِي النّصب، إِنَّكَ يا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَجَدُّهُ غَيْر الكَذِب، وإِنَّهُ الذِي قُلْتُ لَكَ فِيهِ مَا قُلْتُ، فَاحْفَظْ بِابْنِكَ واحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَهُ أَعْدَاءٌ، ولَنْ يَجْعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، وَاطْوِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ دُونَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الذِينَ مَعَكَ، فإِنِّي لَسْتُ آمَنُ أَنْ تَدْخُلَهُم النَّفَاسَةُ، مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُم الرِّيَاسَةُ فيَبْغُون لَهُ الْغَوَائِلَ، ويَنْصِبُون لهُ الْحَبَائِلَ، وهُمْ فَاعِلُونَ أَوْ أَبْنَاؤُهُمْ، وَلَوْلَا أَنَّ الْمَوْتَ مُجْتَاحِي قَبْلَ مَبْعَثِهِ لَسِرْتُ بِخَيْلِي ورَحْلِي [120و] حَتَّى أَصِيرَ بِيَثْرِبَ دَارِ مَمْلَكَتِهِ، فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْكِتَابِ النَّاطِق والْعِلْمِ السَّابِق، أَنَّ بِيَثْرِبَ اسْتِحْكَامَ أَمْرِهِ وأَهْلَ نَصْرِهِ ومَوْضِعَ قَبْرِهِ، ولَوْلَا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ الْعَاهَاتِ، وأَحْذَرُ عليْهِ الآفَاتِ لأَوْطَأْتُ أَسْنَانَ الْعَرَبِ كَعْبَهُ، ولَأَعْلَيْتُ علَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ ذِكْرَهُ، وَلَكِنِّي صَارِفٌ ذَلِكَ إِلَيْكَ، مِن غَيْرِ تَقْصِيرِ مَنْ مَعَكَ.

ثمَّ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِمِئَةِ بَعِيرٍ وعَشرَةِ أَعْبُدٍ وعَشْرِ إِمَاءٍ، وعَشْرَةِ أَرْطَالِ ذَهَبٍ، وعَشرةِ أَرْطَالِ فِضَّة، وكَرشَةٍ مَمْلُوءَةٍ عِنْبَرًا، وأَمَرَ لِعَبْد المطَلِّبِ بِعَشرَةِ أَضْعَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ايتِني بِخَبَرِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ عِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ، وَمَاتَ سيف بن ذي يزن قَبْلَ الْحَوْلِ[2].

وكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغْبِطُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ بِجَزِيلِ عَطَاءِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ، ولَكِنْ لِيَغْبِطْنِي بِمَا يَبْقَى لِي وَلِعَقِبِي شَرَفُهُ وذِكْرُهُ وفَخْرُهُ، فإِذَا قِيلَ لَهُ: مَا ذَاكَ؟ يَقُولُ: سَيُعْلَمُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ[3].

---

(1) في أخبار مكة ودلائل النبوة: ولدناهُ.

(2) الخبر في دلائل النبوة، البيهقي، 9/2 وما بعدها، وأخبار مكة، الأزرَقي، 149/1 وما بعدها.

(3) الخبر في دلائل النبوة، البيهقي، 14/2، وأخبار مكة، الأزرَقي، 154/1.

وجَلَسَ عبدُ الْمُطَّلِبِ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، وَعِنْدَهُ أَسْقُفُ نَجْرَانَ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وهُوَ يُحَادِثُهُ ويقُولُ: إِنَّا نَجِدُ صِفَةَ نَبِيءٍ تَقِيٍّ[1]، مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ هَذِهِ[2] مَوْلِدُهُ [يَعْنِي مَكَّةَ][3] ومِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا، فَنَظَرَ إِلَى عَيْنَيّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِلَى كَتِفَيْهِ، وهُوَ حَاضِرٌ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فقَالَ لَهُ: مَا هَذَا مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ الْأَسْقُفُ: لَا، مَا نَجِدُ أَبَاهُ حَيًّا. قالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: هُوْ ابْنُ ابْنِي، مَاتَ أَبُوهُ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لبَنِيهِ: تَحَفَّظُوا بِابْنِ أَخِيكُمْ، أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ فِيهِ[4].

وفِي رِوَايَةٍ: هَذَا مَوْلِدُهُ[5]؛ أَي: الزَّمَانُ.

وَإِنَّما عَلِمَ سيف بن ذي يزن ذلِكَ مِنْ جِهةِ تُبَّع؛ لِأَنَّهُ أَلْقَى خَبَرَهُ إِلَى الْمُلُوكِ يتَعَاقَبُونَهُ واللهُ أَعْلَمُ.

وأَمَّا زيد بن عمرو بن نفيل وَهُوَ عَمُّ عُمَر بنِ الْخَطَّابِ فوَحَّدَ اللهَ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، وانْتَظَرَ النَّبِيءَ ﷺ وآمَنَ بهِ، وجانَبَ الْأَوْثَانَ، وقالَ لعامر بن ربيعة: إِنْ أَدْرَكْتَ النَّبِيءَ مِنْ بنِي إِسْمَاعِيلَ فأَقْرِهِ مِنِّي السَّلامَ، فأَدْرَكَهُ عَامِر وبَلَّغَهُ سَلَامَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وترَحَّمَ عَلَيْهِ، وقَالَ ﷺ: ((**رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذُيُولًا**))[6].

ورُوِيَ أَنَّ زيدًاكانَ بالشَّامِ، فبَلَغَهُ خَبَرُ النَّبِيءِ ﷺ فأَقْبلَ إِلَيْهِ، فقُتِلَ بِأَرْضِ البَلقاء، وقِيلَ تَوَسَّطَ بِلَادَ لخم فَقَتَلُوهُ، وقِيلَ: مَاتَ قَبْلَ الْبَعْثِ بِخَمْسِ سِنِينَ.

وأَمَّا عَمْرو بنُ لُحَيّ فَأَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَرُوِيَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ وبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِقَةُ يَعْبُدونَ الْأَصْنَامَ، فاسْتَوْهَبَ مِنْهُمْ وَاحداً[1] وهُوَ هُبَل، فنَصَبَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ[7].

وَقِيلَ: كانَ لَهُ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ يُقالُ لهُ أبو تمامة فأَتَاهُ لَيْلَةً فقَالَ لَهُ: [120ظ] أَجِبْ أَبَا تُمَامَةَ، فقَالَ: لَبَّيْكَ مِنْ تِهَامَة، ادْخُلْ بِلَا مَلَامَة، فَقَالَ: ايتِ سَيْفَ جُدَّة تَجِدْ آلِهَةً مُعَدَّة، فَخُذْهَا وَلَا تَهَبْ، وَادْعُ إِلَى عِبادَتِها تُجَبْ. فَتَوَجَّهَ إِلَى جُدَّة، فَوَجَدَ الْأَصْنَامَ التِي تُعْبَدُ زَمَنَ نُوحٍ عليه السلام فحمَلَهَا إِلَى مَكَّةَ، وُدّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا[8] والْعِيَاذُ بِاللهِ مِنَ الْكُفْرِ.

---

(1) في الاكتفاء: بقِيَ.

(2) فِي دلائل النبوة لأبِي نعيم: "هذا" وأضاف المحقق كلمة البلد لتتمة المعنَى، وسيذكر المؤلف الرواية ويعلِّقُ عليها.

(3) من كلام المؤلِّفِ لتوضِيحِ المعنَى.

(4) الاكتفاء، الكلاعِي، 140/1، ودلائل النبوة، أبو نعيم، ص165.

(5) في دلائل النبوة، أبو نعِيم، ص165.

(6) الطبقات الكبِير، ابن سَعْد، 135/1.

(7) فتح البارِي، ابن حجر، 549/6، وتارِيخ اليعقوبِي، 307/1.

(8) فتح البارِي، ابن حجر، 549/6.

وكانَ التَّلْبِيَةُ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِلَى كان[1] يُلبّي بِهَا فَتَمَثَّلَ لَهُ الشَّيطانُ شَيْخًا فقَالَ: لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا تَمْلِكُهُ ومَا مَلَك. فأَنْكَرَ عَلَيْهِ فقَالَ لَهُ: قُلْ ولَا بَأْسَ عَلَيْكَ.

وَلُحَيّ هُو بِضَمِّ اللَّامِ وفَتْحِ الْحَاءِ وشَدِّ اليَاءِ.

وحَلِيمَةُ أَسْلَمَتْ ورَوَتْ عَن النَّبِيءِ ﷺ، ورَوَى عَنْهَا عبدُ الله بن جعفر. وقَدْ ذَكَرَ ابنُ حبَّان وأَبُو يعلَى حَدِيثَ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر بِقِصَّة إِرْضَاعِها، وَصَرَّحَ ابْنُ حبَّان بِالتَّحْدِيثِ بَيْنَ عبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر وحَلِيمَةَ. وقالَ ابن كثير: لَمْ تُدْرِك الْبِعْثَةَ. ورُدَّ بِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَر حَدَّثَ عَنْهَا عِنْدَ أبي يعلى والطَّبرانِيّ وابْن حِبَّان، وهُوَ إِنَّما وُلِدَ بعْدَ الْبِعْثَةِ[2].

وقَالَ الدّمياطيّ[3] وأبو حيّان[4]: إِنَّهَا لَمْ تُسْلِمْ وهُوَ مَرْدُودٌ بذَلِكَ، وَبِأَنَّ ابن أبي خيتمة وابن عبد البرّ وابن الجوزيّ عَدُّوهَا فِي الصَّحَابَةِ، والْحَافِظُ حُجَّةٌ والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ علَى النَّافِي، وكَذا قَالَ ابْنُ حَجَر: هِيَ أَسْلَمَتْ[5].

قِيلَ: أَرْضَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرُ نِسْوَةٍ، الْأُولَى: أُمُّهُ أَرْضَعَتْهُ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وقِيلَ: ثَلَاثَة، وقِيلَ: سَبْعَة، وقِيلَ: سبْعَة أَشْهُرٍ، وهُوَ غَلَطٌ مِنَ الْقَائِلِ عَنْ أَيَّام إِلَى أَشْهُر أَوْ مِنْ نَاسِخٍ[6].

الثَّانيَةُ: ثُوَيبة أَيَّامًا قَلَائِل قَبْل قُدُومِ حَلِيمَةَ، وأَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةَ وبَعْدَهُ أبا سلمة المخزوميّ[7]، بِضَمِّ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ، مَاتَتْ بِمَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، واخْتَلَفُوا فِي إِسْلَامِها فَقَال بِهِ ابن مندة. قَالَ الذَّهَبِيّ: يُقَالُ إِنَّهَا أَسْلَمَتْ وهُوَ لَفْظٌ يُفِيدُ ترْجِيحَ عَدَمِ إِسْلَامِها. وقَالَ ابن العربيّ: إِنَّهُ لَمْ تُرْضِعْهُ مُرْضِعَةٌ إِلاَّ أَسْلَمَتْ، ونَقَلَهُ السّيوطي عَنْ بَعْضِهِمْ، ولَعَلَّهُ أَرَادَ ابْنَ الْعَرَبِيّ. وقِيلَ: هِيَ أَوَّلُ مُرْضِعاتِهِ؛ أَيْ: بَعْدَ أُمِّهِ وأَعْتَقَها أبو جهل، ولَعَلَّهُ قَبْلَ إِرْضَاعِها وَاللهُ أَعْلَمُ، وَإِنَّمَا أَعْتَقَتْهُ بِلبَنِ ابْنِهَا مسروح.

---

(1) عبارة غير مفهومة.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1

(3) عبد المؤمن بن خلف التوني الحافظ، من أهل تونة قرية من عمل دمياط، رحل إلى الحجاز ودمشق وحلب وحماة والجزيرة وبغداد، وأخذ عن كثير من الشيوخ، توفي بالقاهرة سنة705هـ. من تصانيفه: فضل الخيل على طريقة المحدثين، معجم شيوخه في مجلدين كبيرين. طبقات الشافعية، السبكي، 49/10، ومعجم المؤلفين، 326/2.

(4) النحوي.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1.

(6) (م، س)، 258/1.

(7) (م، س)، 259/1، عن ابن سعد.

الثَّالِثَةُ: حَلِيمَةُ، والرَّابِعَةُ: خولة بنت المنذر بنِ زَيْدٍ أُمُّ بردة الأنصاريّة، قِيلَ: وَهُوَ وَهمٌ وإنَّمَا أَرْضَعَت ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ[1].

وأَرْضَعَتْهُ أَيْضًا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ حِينَ كَانَ عِنْدَ حَلِيمَةَ[2].

وأُمُّ أَيْمَن بَرَكَة الْحَبَشِيَّة، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا مِنَ الْحَوَاضِنِ لَا مِنَ المَرَاضِعِ. وأُمُّ فَرْوَةَ[3]. وثَلَاثُ نِسْوَةٍ مِنْ بني سليم، أبكارٌ مَرَّ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجْنَ ثَدْيَهُنَّ إِلَى فِيهِ، فدَرَّتْ فِيهِ كُلُّ وَاحِدَةٍ اسمُها عَاتِكَة، فَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ** [121و] **مِنْ سليم**))[4].

والْمَشْهُورُ أَنّهُ قَالَ: ((**أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ**)) فِي جَدَّاتٍ لَهُ يُسَمَّيْنَ عَوَاتِكَ، وَيُجمع ذَلِكَ كُلُّهُ.

واعْلَمْ أَنَّ بَيْنَ حَلِيمَةَ وَرَسُولِ اللهِ ﷺ مُنَاسَبَةً، وذَلِكَ أَنَّهُ أَبَتْهُ الْمُرْضِعَاتُ لِيُتْمِهِ وَقِلَّةِ الْمَالِ، وأَبَتْهَا أَصْحَابُ الرُّضَعَاءِ لِفَقْرِهَا وفِيهَا فَأْلٌ حسَنٌ: الْحِلْمُ والسَّعَادَةُ وكَانَ ﷺ يُحِبُّ الفَأْلَ الْحَسَنَ.

قَالَ المسور بن مخرمة[5]: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ إِذَا وَرَدَ الْيَمَنَ، نَزَلَ عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ حِمْيَرَ، فنَزَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً، فَوَجَدَ رَجُلًا قَدْ أُمْهِلَ عَلَيْهِ فِي الْعُمُرِ وقَدْ قَرَأَ الْكُتُبَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَتَأْذَنُ أَنْ أُفَتِّشَ مَكَانًا مِنْكَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ كُلّ مِنّي آذَنُ لَكَ فِي تَفْتِيشِهِ، فقَالَ: إِنَّمَا هُمَا مِنْخَرَاكَ قَالَ: فَدُونَكَ، قَالَ: أَرَى نُبُوءَةً ومُلْكًا وأَرَى أَحَدَهُمَا فِي بَنِي زُهْرَةَ. فَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَتَزَوَّجَ هالة بنت وهب بن عبد مناف، وزَوَّجَ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فوَلَدَتْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ[6].

ورُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ مِنْ شَاغِرَةٍ[7]؟ أَيْ: زَوْجَةٍ، فَقَالَ: لَا، فقَالَ: إِذَا رَجَعْتَ فتزَوَّجْ فِيهِمْ ففَعَل فوَلَدَتْ لهُ حَمْزَة وصَفِيَّة[8].

وَفِي رِوَايَةٍ: أَرَى أَحَدَهُما فِي عَبْدِ مناف بنِ قصيّ، والْآخَرَ فِي عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَةَ.

قالَ كعْب بن مالِك عَنْ أَبِيهِ: حَدَّثَنِي أَشْيَاخُ قَوْمِي إِنَّهُمْ خَرَجُوا عُمّارًا، وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَوْمَئِذٍ حَيٌّ بِمَكّةَ، ومَعَهُمْ يَهُودِيٌّ يَقْصِدُ مَكَّةَ والْيَمَنَ لِلتِّجْرِ، فنَظَرَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فقالَ: إِنَّا نَجِدُ فِي كتَابِنَا الذِي لَمْ يُبَدَّلْ، إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا نَبِيءٌ يَقْتُلُنَا وقَوْمَنا قَتْلَ عاد[9].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 259/1، عن ابن الأمِين في ذيل الاستيعاب.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 259/1.

(3) (م، س)، 259/1.

(4) الاستيعاب، 692/2.

(5) ينظر ترجمته في الإصابة، ابن حجر، 176/10.

(6) الطبقات الكبِير، ابنُ سَعد 67/1.

(7) فِي دلائل النبوة: شاعة.

(8) دَلائل النبوة، أبو نعِيم، ص130.

(9) (م، س)، ص165.

وَكَانَ بمَكَّةَ حَبْرٌ لَيْلَةَ الْمَوْلِد وَقَالَ: يُولَدُ اللَّيْلَةَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا النَّبِيءُ الذِي يُوصَفُ بأَنْ يُعَظِّمَ مُوسَى وهَارُونَ ويَقْتُلَ أُمَّتَهُمَا، فَإِنْ أَخْطَأَكُمْ فبَشِّرُوا بِهِ أَهْلَ الطَّائِفِ وأَهْلَ أَيْلة. فوُلِدَ فِي آخِرِ تِلْكَ اللَّيْلَة، فخَرَجَ الْيَهُودِيُّ فدَخَلَ الْحِجْرَ، وقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُوسَى حَقٌّ وأَنَّ مُحَمَّدًا قَافٍ لِمُوسَى حَقٌّ مُؤْمِنٌ بِهِ، ثُمَّ فُقِدَ ولَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ.

وكَذَلِكَ كَانَ يَهُودِيٌّ يَتَّجِرُ بِمَكَّةَ، وقَالَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ: هَلْ وُلِدَ فِيكُم اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قَالُوا: لا نَدْرِي. قَالَ: اللهُ أَكْبَر، أَمَّا إِذَا أَخْطَأَكُمْ فَلَا بَأْسَ؛ أَيْ: لَا كَذِب. احْفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ: وُلِدَ فِيكُم اللَّيْلَة مَوْلُودٌ هُوَ نَبِيءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ، فِيهَا شَعرَاتٌ مُتَوَاتِرَةٌ، كَأَنَّهَا عَرْفُ فَرَسٍ. فَأَخْبَرَهُمْ أَهْلُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ لِعبد الله بن عبد المطّلب وسَمَّوْهُ مُحَمَّدًا. فَالْتَقَوْا فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامَ الْيَهُودِيِّ؟ ولَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ الْيَهُودِيَّ حَرَّ مَغْشِيًّا وقَالَ: ذَهَبَت وَاللهِ النُّبُوءَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1].

واللهُ أَعْلَمُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ، واللهُ الْمُستَعَانُ.

72 [121ظ][2]**وأَبْصَرَ في بصْرَى بَحِيرَى غَمَامَةً عَلَيْكَ اسْتَوَتْ حَتَّى بَدَا ظِلُّهَا الدَّانِي**

73 **وَشَاهَدَ أَغْصَانًا عَلَيْكَ تهصَّرَتْ فَسُرَّ بِأَوْصَافٍ لَدَيْهِ بِأَزْمَانِ**

74 **وَمَيْسَرَةٌ قَدْ عَايَنَ الملَكَيْنِ إِذْ أَظَلَّاكَ لَمَّا عُدْتَ فِي سَيْرِكَ الثَّانِي**

وأَبْصَرَ الرَّاهِبُ بحيرى فِي بُصْرَى، وهِيَ بَلْدَة بالشَّامِ، غَمَامَةً مُسْتَوِيَةً علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ حتَّى ظَهَرَ ظِلُّها القَرِيبُ علَيْكَ.

وشاهَدَ فِي بُصْرَى بَحِيرَى الرّاهِبُ أَيْضًا أَغْصَانًا متَمَايِلَةً عَلَيْكَ مِنْ شَجَرَةٍ قعَدْتَ عنْدَهَا، فأَفْرَحَ اللهُ بَحِيرَى بأَوْصَافٍ متَقَدِّمَةٍ عنْدَهُ بأَزْمَان تَقَوَّتْ بالْغَمامَةِ والأَغْصانِ المذْكُورةِ.

وكَذَلِكَ ميسرة عايَنَ الملَكَيْنِ المعْهُودَيْنِ عنْدَ عُلَماءِ السِّيَرِ، إِذْ صارَا مُظِلَّانِ علَيْكَ حِينَ رَجَعْتَ مِنَ الشَّامِ في عَاقِبَةِ سَيْرِكَ الثَّاني إِلَى الشَّامِ.

وهُنا فُصولٌ: اثْنَانِ في قِصَّتَيْ بَحِيرَى ومَيْسَرَة، والآخَرُ في بَعْضِ ما تَقَدَّمَ فِي الأَزْمانِ السَّابِقةِ علَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ ﷺ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ:

في هَذَا قالَ هشام بن العاصي الأُمَوِيّ: بعَثَنِي أبو بكرﷺ إِيَّايَ ورَجُلًا مِنْ قُرَيْشَ إِلَى هرقل ندْعوهُ إِلَى الإِسْلامِ فقَدِمْنا الغوطة، يعْنِي دمشق، فنَزَلْنَا علَى جبلة بن الأيهم الغسّاني وأَرْسَلَ إِلَيْنَا بِرَسُولٍ نُكَلِّمهُ

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكِم، حدِيث (4177).

(2) في الهامش عبارتان: قف في شرح الأبيات هذه إن شاء الله أذكر مسائل أيدرة قف وفيه إن شاء الله أذكر صور الأنبياء.

فقُلْنَا: واللهِ لَا نُكَلِّمُ رَسُولًا إِنَّما بُعِثْنَا إلى الملِكِ فإِنْ أَذِنَ لنَا كَلَّمْنَاهُ وإِلَّا لَمْ نُكَلِّم الرَّسول، فرَجَعَ الرَّسولُ إِلَيْهِ فأَخْبَرَهُ بذَلِكَ فأذِنَ لَنَا، قالَ هِشامُ: فكَلَّمْتهُ ودَعَوْتُهُ إِلَى الإِسْلامِ فإِذَا علَيْهِ ثيَابٌ سودٌ، فقُلْت لَهُ: ما هَذِهِ الثِّيَابُ التِي عليْكَ؟ قال: لَبِسْتُها وحَلَفْتُ أَلَاّ أَنْزَعَهَا حَتَّى أُخْرِجَكُمْ مِنَ الشَّامِ، قُلنَا: ومَجْلِسُكَ هَذَا واللهِ لنَأْخُذَنّهُ ولَنَأْخُذَنّ مُلْكَ الملِكِ الأَعْظَمِ إِنْ شاءَ اللهُ، أَخْبَرَنَا بذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ فقالَ: لسْتُمْ بِهُمْ، فقَالَ: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَصُومونَ النَّهارَ ويفْطرُونَ باللَّيلِ فكَيْفَ صَوْمُكُمْ؟ فأَخْبَرْنَاهُ، فامْتَلأَ وجْهُهُ سوادًا ثُمَّ قالَ: قُومُوا وبَعَثَ معَنَا رسُولًا إِلَى الملِكِ، فخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ مدِينَةِ الملِكِ قالَ لَنَا الذِي مَعَنَا: إِنَّ دَوَابَّكُمْ هذِهِ لَا تَدْخُلُ مدِينَةِ الملِكِ، فإِنْ شِئْتُمْ جعلْنَاكُمْ علَى بَرَادِينَ قُلْنَا: لَا نَدْخُلُ إِلَّا عَلَيْهَا، فأَرْسَلَ إِلَى الملِكِ إِنَّهُمْ يأْبَوْنَ، فَأَذِنَ لَنَا فدَخَلْنَا علَى رَوَاحِلِنَا متقَلّدِينَ سيوفَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى غُرْفَتِهِ، فأَنَخْنَا فِي أَصْلِهَا وهُوَ ينْظُرُ إِلَيْنَا فقُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، واللهُ يعْلَمُ لَقَدْ تَنَقَّضَت الغُرْفَةُ [122و] حَتَّى صَارَتْ كأَنَّهَا عِدْقٌ تَصْفِقُهُ الرِّياحُ. فأَرْسَلَ إِلَيْنَا لَيْسَ لَكُمْ أنْ تجْهَرُوا[1] علَيْنَا بِدِينِكُمْ، وأَرْسَلَ إِلَيْنَا أن ادْخُلُوا فدَخَلْنَا عَلَيْهِ وهُوَ علَى فِرَاشٍ لَهُ وعِنْدَهُ بطَارِقَتُهُ مِنَ الرُّومِ، وكُلُّ شَيْءٍ فِي مَجْلِسِهِ أَحْمَر، ومَا حَوْلَهُ أَحْمَر وعَلَيْهِ ثِيَابٌ حُمْرٌ، فدَنَوْنَا مِنْهُ فَضَحِكَ وقَالَ: ما عَلَيْكُم لَوْ حَيَّيْتُمُونِي بتَحِيَّتِكُمْ فيمَا بيْنَكُمْ، وإِذَا عِنْدَه رجُلٌ فَصيحٌ بالعَرَبِيَّةِ كثِيرُ الكَلامِ فقُلْنَا: إِنّ تَحِيَّتَنَا فِيمَا بَيْنَنَا لَا تَحِلُّ لَكَ، وتَحِيَّتُكَ التِي تُحَيَّى بِهَا لَا يَحِلُّ لنَا أَنْ نُحَيِّيكَ بِهَا، فقَالَ: كَيْفَ تَحِيَّتُكُمْ بَيْنَكُم؟ فقُلْنَا: السَّلامُ علَيْكُمْ قالَ: كَيْف تُحَيُّونَ مَلِكَكُمْ؟ قلْنَا: بِهَا قالَ: كيْفَ يَرُدُّ عَلَيْكُم؟ قلْنَا: بِهَا، قالَ: فَمَا أَعْظَمُ كلَامِكُمْ؟ قلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، واللهُ يَعْلَمُ لَقَدْ تَنَقَّضَت الغُرْفَةُ حَتَّى رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا. قالَ: فَهَذِهِ الكَلِمَة التِي قُلْتُموهَا فَتنَقَّضَت الغُرْفَةُ كلَّمَا قُلْتُمُوهَا فِي بُيُوتِكُمْ تَنقض بيوتكُمْ علَيْكُمْ؟ قلْنَا: مَا رَأَيْنَا هذَا قَطُّ إِلَّا عنْدَكَ، قالَ: لَوَدِدْتُ أَنَّكمْ كُلَّمَا قُلْتُمُوهَا تَنَقَّضَ كُلُّ شيْءٍ علَيْكُم، وإِنّي خَرَجْتُ مِنْ نِصْفِ مُلْكِي قُلْنَا: لِمَ؟ قال: لأَنَّهُ أَيْسَرُ لشَأْنِهَا وَأَجْدَرُ أنْ تَكُونَ مِنْ أَمْرِ النُّبُوءَةِ وأَن لا تَكُونَ مِنْ حِيَلِ النَّاسِ. ثُمَّ سَأَلَنا عَمَّا أَرَادَ فأَخْبَرْنَاه ثُمّ قَالَ: كَيْفَ صلاتُكُمْ وصَوْمُكُمْ؟ فأَخْبَرْنَاهُ قالَ: قُومُوا فقُمْنَا فأَمَرَ لنَا بِمَنْزِلٍ ونزلٍ كَثِيرٍ، فأَقَمْنَا ثَلاثًا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا فدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فاسْتَعَادَ قَوْلَنَا فأَعَدْنَاهُ فدَعَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرَّبْعَةِ العظِيمَةِ مذَهَّبَةٍ فِيهَا بُيوتٌ صِغارٌ وعَلَيْهَا أَبْوَابٌ ففَتَحَ قُفْلًا فاسْتَخْرَجَ حرِيرَةً سوْدَاءَ فنَشَرَهَا فإِذَا فِيهَا صُورَةٌ حمْرَاء فِيهَا رَجُلٌ ضَخْمُ العَيْنَيْنِ، عَظِيمُ الإِلْيَتَيْنِ لَمْ أَرَ مِثْلَ طولِ عُنُقِهِ، وإِذَا لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ وإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللهُ فقالَ: هلْ تعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هُوَ آدَمُ عليه السلام فإِذَا هُوَ أَكْثرُ النّاسِ شَعْرًا. ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً سَوْداءَ [فإِذَا فِيهَا][2] صُورَةٌ بيْضَاء وإِذَا رَجلٌ لهُ شَعْرٌ قَطَط،

(1) في الأصْل: تهجر.

(2) زيادة من دلائل النبوة.

أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ، ضَخْمُ الهَامَةِ حَسَنُ اللِّحْيَةِ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا نُوحٌ عليه السلام. ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ وأَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ[1] وإِذَا فِيهَا رَجُلٌ شَدِيدُ البيَاضِ حسَنُ العَيْنَيْنِ صِلْتُ الجَبِينِ طَوِيلُ الخَدِّ أَبْيَضُ اللِّحْيَةِ كأَنَّهُ يتَبَسَّمُ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوداءَ فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ وإِذَا واللهِ رسُولُ اللهِ ﷺ فقالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ قُلْنَا: نَعَمْ مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ ﷺ فبَكَيْنَا واللهُ أَعْلَمُ أَنَّه قَامَ قائِمًا ثُمَّ جلَسَ فقَالَ: آللهِ هوَ؟ قلْنَا: نَعَمْ إِنَّهُ لَهُوَ واللهِ كَأَنَّا نَنْظُر إِلَيْهِ فأَمْسَكَ سَاعَةً ينْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قالَ: أَمَا وَاللهِ إِنّهُ آخِر البُيُوتِ ولَكِنّي عَجَّلْتُهُ لَكُمْ لِأَنْظُرَ مَا عِنْدَكُم، ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ [122ظ] فاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً سوْدَاء فإِذَا فِيهَا صُورَةٌ أَدْمَاءُ سَمْحاءُ، وإِذَا رَجُلٌ جَعْدٌ قَطَطٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، حَدِيدُ النَّظَرِ متَرَاكِبُ الأَسْنانِ مُقَلّص الشَّفَةِ كَأَنَّهُ غضْبَانُ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُون هَذَا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: هذَا مُوسَى عليه السلام وإِلَى جَنْبِهِ صُورَةٌ تُشْبِهُهُ مُدْهَامُّ الرّأس عرِيضُ الجَبِينِ قالَ: هَلْ تَعْرِفونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا هارون بن عمران عليه السلام. ثُمّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرةً بيْضَاءَ فِيها صُورَةُ رَجُلٍ آدَمَ سِبْطِ رَبْعَةٍ كَأَنَّهُ غَضْبَان فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا لُوطُ عليه السلام. ثمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ مِنْه حَرِيرَةً بيْضَاءَ فيهَا رَجُلٌ أَبْيَض مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ، خَفِيفُ العَارِضَيْنِ حَسَنُ الوَجْهِ فقَالَ: هَلْ تعْرِفونَ هذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هذَا إِسْحاقُ عليه السلام ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخرَ فَاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً بيْضَاء، فإِذا فِيهَا صُورَةٌ تُشْبِهُ صُورَةَ إسحَاق إِلَّا أنَّ عَلَى شَافَتِهِ السُّفلَى خَالًا فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ قلْنَا: لَا قالَ: هَذَا يعْقُوبُ عليه السلام. ثمَّ فتَحَ بابًا آخرَ فاسْتَخْرَج مِنْه حَرِيرةً بيْضَاءَ فِيهَا صورَةُ رَجُلٍ أَبْيَضَ حَسَنِ الوَجْهِ أَقْنَى الأَنْفِ، حسَن القَامَةِ يعْلُو وجْهَهُ النُّورُ، يُعْرَف فِي وَجْهِهِ الخُشُوعُ، يضْرِبُ إِلَى الحُمْرَةِ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هذَا إِسْماعِيلُ عليه السلام جَدُّ نَبِيئِكُمْ عليه السلام. ثمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاستَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً بيْضَاءَ فِيهَا صُورةٌ بيْضَاء كَصُورَةِ آدَمَ عليه السلام كأَنَّ وَجْهَهُ الشّمْسُ فَقَالَ: هلْ تَعْرِفون هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قالَ: هذَا يُوسُفُ عليه السلام. ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ منْهُ حرِيرَةً بيْضَاءَ، فِيهَا رَجُلٌ أَحْمَرُ حَمْشُ السَّاقَيْنِ أَخْفَشُ العَيْنَيْنِ ضخْمُ البَطْنِ رَبْعَةٌ متَقَلّدٌ سَيْفًا قالَ: هلْ تَعْرفونَ هذَا؟ قُلْنَا: لَا، قالَ: هذَا داوود عليه السلام. ثُمّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةً بَيْضاءَ فِيهَا رَجُلٌ ضَخْمُ الإِلْيَتَيْنِ طوِيلُ الرِّجْلَيْنِ راكِبٌ فَرَسَهُ قالَ: هَلْ تعرِفُونَ هذا؟ قُلْنَا: لَا قالَ: هَذَا سليمان عليه السلام. ثُمّ فَتَحَ بابًا آخرَ فاسْتَخْرَجَ مِنْه حَرِيرَةً سوْدَاء فِيهَا صُورَةٌ بَيْضاءُ وإِذَا رَجُلٌ شَدِيدُ سوَادِ اللِّحْيَةِ كَثِيرُ الشَّعْرِ حَسَنُ العَيْنَيْنِ، حَسَنُ الوَجْهِ قالَ: هَلْ تعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لا قالَ: هذَا عيسى بن مريم عليه السلام قلْنَا لَهُ: مِنْ أَيْنَ لكَ هَذِهِ الصُّوَرُ؟ لأَنَّا نَعْلَمُ أَنّها علَى صُورَةِ مَا صُوِّرَتْ عليْهِ الأَنْبِئَاءُ عليهم السلام ورَأَيْنَا فِيهَا صُورَةَ نَبِيئِنَا ﷺ مِثْلَهُ، فقَالَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام سأَلَ رَبَّهُ أَنْ يرِيَهُ الأَنْبِئَاءَ مِنْ وَلَدِهِ فأَنْزَلَ اللهُ سبْحَانَهُ صُوَرَهُمْ [123و] علَيْهِ فكانَتْ في خِزَانَةِ

(1) العبارة "صورة بيضاء...سوداء" أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

آدَمَ عليه السلام فاستَخْرَجَهَا ذو القرنين مِنْ مَغْرِبِ الشّمسِ فدَفَعَهَا إِلَى دَانْيَالَ فصَوَّرَهَا دَانيالُ فِي خِرَقٍ مِنْ حَرِيرٍ هِيَ هذِهِ بأَعْيَانِهَا ثمّ قالَ: أَنَا واللهِ إنَّ نفْسِي طابَتْ بالخُرُوجِ مِنْ مُلْكِي ثُمّ أجازنَا وأَحْسَنَ إجَازَتَنَا وَسَرَّحَنَا.

فلَمَّا أَتَيْنَا أبَا بَكْرٍ الصِّدّيقَ رضي الله عنه حَدَّثْنَاهُ بِمَا رَأَيْنَا ومَا أَخْبَرَنَا بِهِ فبَكَى أبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ واليَهُود يجِدُونَ نَعْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَهُمْ[1].

وكذَا قَالَ أبو سفيان: دَخَلْتُ الشّام فقَالَ مَلِكُ الرُّومِ: أتَعْرِفُ صُورَةَ صاحِبِكَ إذَا رَأَيْتَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فأَدْخَلَنِي بَيْتًا فِيهِ صُوَرُ الأَنْبِيَاءِ فرَأَيْتُ صُورَةَ النَّبِيءِ ﷺ وإِذَا عَنْ يَمِينِهِ رَجُلٌ وَعَنْ يسَارِهِ رَجُلٌ قَدْ صوّرَ فَسَأَلْتُهُ عنْهُمَا فقَال: هُمَا صَاحِبَاهُ دُونَ النَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وعُمَر رضي الله عنهما.

وفِي رِوَايَةٍ: أَدْخَلَهُ رَجُلٌ بَيْتا فِيهِ صُوَرُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيهِمُ السّلَامُ ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ فقالَ: فِيمَ أنتُمَا؟ قَالَا: نَنْظُرُ صُورةَ مُحَمَّدٍ ﷺ في الأَنْبِيَاءِ، وقالَ: تَعَالَ فَاتَّبَعَهُ فأَدْخَلَهُ بَيْتًا فِيهِ صُورَتُهُ ﷺ وأَنّه رَأَى صُورَتَيْنِ بعَقِبِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنّهُمَا خَلِيفَتَان بَعْدَهُ والحَمْدُ للهِ.

وذَكَرَ دحية الكلبيّ: إنَّ قيصرا بَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ غَدِ يَوْم أَعْطَاهُ كِتابَ النَّبِيءِ ﷺ سِرّا فأَدْخَلَهُ بيْتًا عَظِيمًا فِيهِ ثَلاثُ مِئةٍ وثَلاثُ عَشْرَةَ صُورَةٍ، فإِذَا هِيَ صُوَرُ الأَنْبِيَاءِ المرْسَلِينَ، فقَالَ: انْظُرْ أَيْنَ صاحِبُكَ مِنْ هؤُلاءِ؟ فرَأَيْتُ صُورةَ النَّبِيءِ ﷺ كأَنّهُ ينْطِقُ قُلْتُ: هذَا قَالَ: صَدَقْتَ، رَوَاهُ أبو نعيم.

وذَكَرَ الشّيخ أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشّيخ الحجريّ الأندلسيّ[2]: وجَدْتُ[3] نُسْخَةً مِنَ الكُتُبِ التِي وُجِدَتْ تَحْتَ الأَرْضِ فِي خندق الجنّة بِغَرْبِ غرناطة مَكْتُوبَةً فِي وَرَقِ الرّصَاصِ مِنْ عَهْدِ الصَّالِحَةِ مريم عليها السّلام المسَمَّى بِكِتَابِ: مَوَاهِبِ الثَّوَابِ لِعِبَادِ اللهِ المؤمِنِينَ فِي حَقِيقَةِ الإِنْجِيلِ والأَمْرِ بِهَا فِي التّارِيخِ فِي آخرِ الزّمَانِ واللّعْنَةِ بعَكْسِهَا بالمُعَاكِسِينَ إِلَيْهَا، فِيهَا ثَمَانُ مَسَائِلَ لِيدره مَعَ جمْهُورِ الحَوَارِيّينَ لِلصّالِحَةِ العَذْرَاءِ مَرْيَمَ وجَوَابُهَا إِلَيْهِ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ علَى فَهْمِ مَعَانِي تَوَارِيخِ الحَقِيقَةِ تَمَا[4] دُونَهُ لِيعقوب بن شامخ الحواريّ عَاقِبَةِ الدّينِ، مَكْتُوبٌ علَى يَدِ تِلْمِيذِهِ وكَاتِبِهِ تصفي[5] بنِ العَطَّارِ الأَعْرَابِيّ.

قالَ يعقوب الحواريّ: جمَاعَةُ جُمْهُورِنَا الحَوَارِيّين الاثْنَيْ عَشَرَ مَعَ الصَّالِحَةِ مَرْيَمَ فِي بَيْتِهَا بَعْدَ نُزُولِ حَقِيقَةِ الإِنْجيلِ عَلَيْهَا ووَصْفِهَا لِلْأَمْرِ فِيهِ إِلَيْنَا [123ظ] فخَاطَبْتُنَا بِقَوْلٍ قد سَحَرَتْ بِهِ عقولَنَا،

---

(1) القصّة في دلائل النبوة، البيهقي، 386/1، وتاريخ الخميس، الديابكري، 21/1.

(2) أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجري (نسبةً إلى الحجر، إحدَى قُرَى غرناطَة) أصله من إشبيلية ثمَّ انتقل إلى المغرِبِ، باحِث ومترجِم من الإسبانية، عمل لدى السُّلطانِ زيدان بن أحمَد المنصُور السَّعْدِي، من مصَنَّفَاتِهِ: ناصر الدين على القوم الكافِرِينَ، ورحلة الشهاب إلى لقاء الأحبابِ، ولم يعرَف مصِيرُهُ إلى سنة 1048هـ. الأعلام، الزركلي، 148/1.

(3) هذا النقلُ وهو قوله: وجدت نسخة ....غَفَرَ اللهُ لهُ جميع ذنوبه. نقله المؤلِّف من: رحلة أفوقاي الأندلسِي، مختصر رحلة الشِّهَاب إلى لقاء الأحبابِ، أحمد بن قاسم الحجرِي، ص154-159.

(4) هكذا في الأصل وفِي رحلة أفوقاي، وقال المحقِّق: ربما هي كما.

(5) كلمة غير واضحة، وفي رحلة أفوقاي: تصفون.

وطَابَتْ بهِ نفُوسُنَا وسكَنَتْ قلوبُنَا وخَشَعَتْ لِمَا يَجِبُ الخشُوعُ إلَيْهِ مِنْ أَحْسَنِ الذِّكْرِ والعَمَلِ الصّالِحِ والطّاعَةِ للهِ ثُمَّ خطَبَتْنَا بِأَسْرار عَظِيمَةٍ.

وقالَتْ: وقَفَ الملَائكَةُ في السَّماءِ، والإنسُ في الثَّرَى تَعْظِيما للهِ ووَعْظا ومَا رَأَيْتُ أطْيَبَ نفْسا منْهَا ولَا أَفْصَحَ منْهَا ولَا أَكْبَرَ عِلْما بِهَا بَعْدَ سَيِّدِنَا يسُوع. وذَلِكَ الوَصْفُ كُلُّهُ كانَ في خَوَاصِّ حقِيقَةِ الإِنْجِيلِ العزِيزِ شكْرا للهِ تعالَى علَى تِلْكَ النِّعَمِ، وأَطْلُبُ منْكَ أنْ تَقُصَّ علَيْنَا ثَمَانِي مَسَائِلَ في مَوَاهِبِ ثَوَابِهَا، وعَن المتَوَكِّلِينَ لِلْأَمْرِ بهَا، والتّابِعينَ لَهَا بالإِيمَانِ، وعَنْ ثوَابِهِم الموْصُوفِينَ فِي وَصْفك بالتّاريخ للعِبادِ فِي آخِرِ الزّمَانِ، وما ينْبَغِي بالعَكْسِ للمُعَاكِسِينَ إِلَيْهَا، مِن اللَّعْنَةِ والعَذَابِ[1]، ليكتسب[2] جمهورنا والعباد مِنْ بَعْدِنا فِي آخرِ الزَّمانِ، فقَالَتْ: يا يدره صِفْ أَوَّلًا منْهُنَّ قالَ: أَخْبِرِينِي عنْ حقِيقَةِ الإِنْجِيلِ، قالَ[تْ]: هِيَ رُوحُ الإِنْجيلِ، وهِيَ كَنْزٌ مِنْ كنُوزِ العَرْشِ، فلَاحٌ لْلمُؤْمِنينَ مَا مِنْ[3] عَبْدٍ يؤْمِنُ حَقَّ الإيمانِ؛ بإِخْلَاصٍ ونِيَّةٍ لمْ يُخالِطْهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّكِّ، وماتَ علَى ذلِكَ، إِلَّا يَكْتُبُ اللهُ لهُ برَاءَةً مِنَ النَّارِ، ويَغْفِر لهُ جَمِيعَ ذنُوبِهِ، ولَوْ كَانَتْ لَمْ تُحْصَ في الْعَدَدِ، ومَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يأْتِي لَهَا علَى عِلْمٍ بَعْدَ شَرْحِهَا للْعِبَادِ، يَرْفَعُهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ دَرَجةً عالِيَةً، والعَامِلُ بالعَكْسِ لَا شفَاعَةَ فِيهِ، يَلْعَنُهُ اللهُ ومَلائِكَتُهُ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وهُوَ تَحْتَ سَخَطِ اللهِ ويُخَلِّدُهُ في نَارِ جَهَنَّمَ، إِلَّا أَن يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ حَقَّ الرُّجُوعِ للهِ.

ثمّ قَالَ[تْ]: يا يَدْرُه صِفْ لِي الثَّانِيَةَ، قالَ: أَخْبِرينَا عَنْ فَضْلِ العَرَبِ أَنْصَارِ الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وعَنْ ثوَابِهِمْ وعَنْ فَضْلِ لِسَانِهِمْ علَى الأَلْسُنِ يا مَوْلَاتنَا. فقَالَت: العَرَبُ أَنْصَارُ الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمانِ وفَضْلُ لِسانِهِمْ علَى الأَلْسُنِ مِثْل فَضْلِ الشَّمْسِ علَى دَرَارِي السَّمَاءِ، اخْتَارَهُم اللهُ لِذَلِكَ الأَمْرِ، وأَيَّدَهُم بنَصْرِه. وفَضْلُ المؤمِنِينَ عنْدَ اللهِ كَبِيرٌ، وثَوابُهُم جَسِيمٌ، ما مِنْ عَبْدٍ مؤْمِنٍ يَدْعُو لَهُمْ بالنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ بَعْدَ أنْ يُشْهِرَ اللهُ حَقِيقةَ الإِنْجيلِ فِي الموْضِعِ المقَدَّسِ الذِي يرَى فِيهِ إِلَّا ويَنْصُرُهُ اللهُ النّصْرَ المبِينَ، ويَكْتُبُهُ اللهُ حَقًّا عَبْدَهُ تَابِعًا [124و] لِمَرْضِيَّتِهِ ومُنِيبًا لنُصْرَتِهِ[4] دينِهِ الرَّشِيدِ، ومَنْ يُرِدْهُم بِسُوءٍ يلْعَنْهُ اللهُ وملائِكَتُهُ أَلْفَ مرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وهُوَ تَحْتَ سَخَطِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عنْ ذَلِكَ كلِّهِ حَقَّ الرّجُوع للهِ.

ثمّ قَالتْ: صِف الثَّالِثَةَ يا يَدْرُه، قالَ: أَخْبِرِينَا عنْ صَالِحُو الفِقْهِ الذِي يُشْهِرُ اللهُ الحَقِيقةَ علَى يَدَيْهِ، معَ ثوابِهِ يَا مَوْلَاتَنَا. فقَالَتْ: إِنَّمَا صالِحُو الفِقْهِ حَقًّا المؤْمِنُونَ بِمَا وَضَعَ اللهُ فِي الوُجودِ مِنْ كلِمَاتِهِ التّامَّةِ، بالإِنْجِيلِ العَزِيزِ علَى فِيهِ رُوحِ يَسُوعَ بالحَقِيقةِ روحة مِنْ بَعْدِه ما دُونَ الشُّكُوكِ والظَّنِّ،

(1) فِي رحلة أفوقاي: العقاب.

(2) في رحلة أفوقاي: ليكتب.

(3) في رحلة أفوقاي: آمين.

(4) صوابه: لنصرةِ.

وذَلِكَ المؤْمِنُ الصَّالِحُ العَالِمُ المنَوَّرُ بنُورِ الإيمانِ والرَّحْمَةِ، والخَلِيفَةُ اليَسُوعِيَّة الموكَلَةُ عَلَيْهِ بقُدْرَةِ النِّهايَةِ والأَمرِ والحَلِّ والرّبْطِ، وتلْكَ الحقِيقَةُ بَرْنَامَجُ حَقِّها ونورُهَا فلاحُ المؤمِنِينَ، لَا نُورَ لَهُمْ دُونَهَا ولَا لِأَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ، فمَا مِنْ عَبْدٍ يُؤْمِنُ بذَلِكَ كلِّهِ حَقَّ الإيمانِ لِطاعَةِ اللهِ لمْ يَخْلِطْهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّكِّ، ويَحُثُّ نفْسَهُ علَى تَسْهِيلِ الأَمْرِ بالْحَقِيقَةِ لِلْمُجْتَمَعِ الأَكْبَرِ بجزيرة السّبر، بمشارق البندقيّة، وشَرْحُهَا يدْخُلُ بِهَا فِي دِينِ اللهِ إلَّا ويُكْتَبُ عَبْدهُ صَالِحُ الفِقْهِ حَقًّا، وعُصْبَة منْ ذَلِكَ الجُمْهُورِ وصُلُوحِيَّتِهِ، ويَصِلُ سِلْسِلَةَ رفقَتِهِ فِي عُنُقِهِ، ويَنْظُرُهَا بِعَيْنِ عنَايَتِهَا، وكَفَلَهُ بِكَنَفِ رَحْمَتِهِ.

وإِنْ أَنْفَقَ لِذَلكَ الأَمْرِ دِرْهَمًا طَيِّبًا مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ، ويَحْشُرُهُ تَحْتَ رِضاهُ ويُعْطِيهِ فِي الجَنَّةِ أَجْرَ المصَدِّقَةِ التِي بَنَتْ مَسْجِدَ نَبِيءِ اللهِ سلَيْمانَ بنِ دَاوُودَ؛ لأَنَّهُ اسْتَبْنَى المسْجِدَ لِلْمُؤمِنِينَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ صَدَقَةً مقْبُولَةً مِنْهُ.

وبالْعَكْسِ ما مِنْ عَبْدٍ يَصِلُ توريخَهَا بِيَدَيْهِ، وخَواصّ الأَمْرِ بِهَا في عِلْمِهَا ويَشُكُّ فِيهَا ويرِيدُ طولَ الأَمَلِ بِهَا ويَرْضَى بِكِتْمَانِهَا وكِتْمَانِ تَارِيخِهَا، وكِتَابُ هذَا أَدْنَى حِينًا مِنَ الدَّهْرِ مِنْ ذلِكَ الجُمْهُورِ ومِنَ الخَلِيفَةِ اليَسُوعِيّ ومِن العرَبِ الأَنْصارِ، ومِنَ النّاصِرِ السَّاكنِ فِي المشْرِقِ، وَمِنْ ملُوكِ الأَرْضِ ومِنْ عِبادِ اللهِ، ليَتَّبِعُوا مَوَدَّتَهُ وليَنَالُوا مِنْ ثَوابِ الحَقِيقةِ الموْهوبَةِ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، إِلَّا ويَرْفُضُهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الجمْهُورِ وصُلُوحِيَّتِهِ، ويَقْطَعُ مِنْه عِصَابَتَهُ، ويَخْلَعُ سِلْسِلَةَ رِبْقَتِهِ مِنْ عُنُقِهِ، ويُكْتَب فِي غَيْبِهِ عَدُوًّا لَهُ معَاكِسًا لِمَرْضِيَّتِهِ، ويَلْعَنُهُ [124ظ] اللهُ وملائِكَتُهُ أَلْفَ لَعْنَةٍ، تَلْزَمُ في الحِينِ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يُبَلِّغْ قَوْلِي هَذَا وتَارِيخ الأَمْرِ عِنْدهُ كَانَ مَنْ كانَ، ويَجْعَلُهُ كَمِشْكَاةٍ دُونَ مِصْباحٍ، ويُقْعِدهُ في نَارِ جهَنَّمَ ملُومًا مَدْحُورًا خَالِدًا في عَذَابِهَا مَا دَامَ مُلْكُهُ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ حَقَّ الرُّجوعِ إِلَى اللهِ ويَعْفُو.

ثُمَّ قالَتْ: صِفْ لِي الرَّابعَةَ أَيْدَرُه، قالَ: أَخْبِرينَا عن النَّاصِرِ السَّاكنِ فِي المشْرِقِ وعَنْ ثَوابِهِ يَا مولَاتنَا. قالَت: النَّاصرُ مَلِكٌ مِنْ ملُوكِ العَرَبِ ولَيْسَ أَعْرَابِيّا سَاكِنًا بأَرْضِ الأَنَانِيّينَ، عَدُوٌّ بَالِغٌ للْأَجْنَاسِ العَجَمِيّةِ وَلِمِلَّتِهِمْ ومَذَاهِبِهِمْ واختِلَافِهِمْ فِي الدِّينِ، يكُونُ لَهُ نماية جَمِيلَةٌ فِي الدِّينِ وطاعَة اللهِ ولِنَصْرِ دينِهِ الرّشِيدِ، أَيّدَهُ اللهُ بنَصْرِهِ وأَلْقَى نَصْرَ حَقِيقةِ الإِنْجيلِ العَزِيزِ فِي حُكْمِهِ، ويُوقِفُ لِواءَ الدِّينِ فِي يَدِهِ، وأَيَّدَهُ بالنَّصْرِ والتَّمْكِين في الوُجُودِ علَى سَائرِ الأَدْيَان والأَجْنَاسِ فِي ذلكَ الزَّمان، ولَهُ نُورٌ وعِلْمٌ لطَاعَتِهِ ذلِكَ الأَمْر، وهُوَ في غَفْلَةٍ مِنْ قَوْلِي هذَا إِلَى وَقتٍ يَبْلُغُ الأَمْر بالحَقيقَةِ المكْفُولَةِ عندَهُ. وذَلِكَ كلُّهُ سابِقٌ فِي سابِقِ عِلْمِ اللهِ سبْحَانَه، لِيَهَبَ فَضْلَه مَنْ يشَاءُ، حاشَا أَنْ يكُونَ فِي مُلْكِهِ ما لَا يُرِيدُ، والمستَرْضِي لِأَمْرِهِ لَهُ عنْدَ اللهِ ثَوابٌ كبِيرٌ ودَرَجَةٌ عالِيَةٌ، فمَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ باللهِ بالنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ، ويُعِينُهُ بنَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ لِذلكَ الأَمرِ، ومَاتَ علَى ذَلِكَ، إِلَّا يَغْفِر اللهُ جمِيعَ ذنُوبِهِ ويُعْطِيهِ فِي الجَنَّةِ أَجْرَ الشُّهَداءِ، الذِينَ يَسْتَشْهِدُونَ علَى الدِّينِ.

وَمَنْ يأْتِهِ بالعَكْسِ يلْعَنُهُ اللهُ وملائِكَتُهُ أَلْفَ مرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، ويَرْفُضُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا أنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

ثُمَّ قَالتْ: صِفْ لِي الخَامِسَة أَيْدُرَة، قَالَ: أَخْبِرِينَا عن المتَأَلِّفِينَ قُلُوبَهُم لِلْمُجْتَمَعِ الأَكْبَرِ وعَنْ ثَوَابِهِمْ يَا مَوْلَاتِنَا. فقَالَتْ: إِنَّما المتَأَلِّفُونَ لِلْمُجْتَمَعِ الأَكْبَرِ الذِينَ تَمِيلُ وتَخْشَعُ قلُوبُهُمْ للهِ واستِيذَانُهُمْ إِلَى الإِنْجِيلِ العَزِيزِ ولِحَقِيقَتِهِ ولِلْمُؤْمِنينَ بمَا تَجْمَعُ إِلَيْهِ الحَقِيقةُ كَانُوا مَنْ كانُوا مِنْ جَمِيعِ الأَجْنَاسِ، وأَيْضًا الذِينَ يَهَبُونَ الصّدَقَةَ ويَحُثُّونَ نفُوسَهُمْ والعِبَادَ إِلَى الحُضُورِ فِيهِ بِقَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ وبِالنِّيَّةِ، ومَا مِنْ عَبْدٍ مِنْ عبادِ اللهِ يَفْعَلُ بِهِ ويَهَب نِيَّتَهُ وصَدَقَتَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَيْهَا بِنِيَّةٍ وإِخْلَاصٍ فِي سَبيلِ اللهِ لذَلِكَ الأَمْرِ، وماتَ علَى الإِيمانِ، إِلَّا يَغْفِرُ اللهُ لَهُ جمِيعَ ذنُوبِهِ، ولَوْ كانَتْ لَمْ تُحْصَ فِي العَدَدِ فيَكْتُبَهُ مِنَ المتَأَلِّفِينَ قُلُوبَهُم [125و] إِلَيْهِ وإِنْ حَضَرَ فِيهِ ويُؤْمِنُ بالمَجْمُوعِ إِلَّا ويَكْتُبُ اللهُ لهُ برَاءَةً مِنَ النَّارِ، ويُعْطِيهِ أَجْرَ الشُّهداءِ المسْتَشْهِدِينَ علَى الدِّينِ، والمُعَاكِسُ لِذَلكَ والمَانِعُ لِلْعِبادِ مِنَ الحُضُورِ فِيهِ لا شَكَّ فِي حُلُودِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ وعَذَابِهِ الأَكْبَرِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ حَقَّ الرُّجوعِ للهِ.

ثُمَّ قالَتْ: صِفْ لِي السّادِسَةَ أيدرة. قالَ: أَخْبِرِينَا عنِ المتَرْجِمِينَ المفَسِّرِينَ، ومَا ثَوَابُهُمْ يَا مولَاتنَا. قَالتْ: إِنَّمَا المتَرْجِمُونَ حَقًّا متَرْجِمُون لِلْكُتُبِ التِي بِحَقِيقَةِ الإِنْجِيلِ بَعْدَ شَرْحِهَا لِلْعِبادِ فِي المجْتَمَعِ الأَكْبَرِ، يَبْعَثُهُم اللهُ مصَابِيحَ بَيْنَ أَجْنَاسِ الوُجودِ، يتَلَأْلَؤُون نُورًا بنورِ العِلْمِ والفِقْهِ المؤْهُوبِ، ويدْخُلونَ فِي أَرْضِ السّبر، يَزِيدُهُم قُوَّةً مِنْ فَضْلِهِ في العِلْمِ ولُغَةِ الأَلْسُنِ للتَّرْجَمَة المذْكُورَةِ والتَّفْسِيرِ لِيَسْتَقِيمَ[1] بعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وقَوْلهمْ في القَوْمِ لِشَرحِ دِينِهِ الرَّشيدِ والاسْتِقامَةِ[2] فِيهِ لِسَعَتِهِ، ولَكِنْ يكُونُ عِندَهُمْ قَلِيلٌ ثُمَّ قَلِيلٌ بَيْن الأجْناسِ لبُرْهانِ مُعْجِزةِ اللهِ فِي العَالَمِينَ، ورَأْسُهُمْ أَضْعَفُ خِلْقَةً شَارِح الحَقِيقَةِ طَائعًا للهِ ولِخَلِيفَتِهِ، المؤْمِن بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ومُؤْمِنًا بذَلِكَ الإِيمانِ، وعِصَابَةٌ متَّصِلَةٌ مِنْ جُمْهورِهِ يبْعَثُهُ اللهُ فِي ذلِكَ الزّمَانِ بنُورِ العِلْمِ والفِقْهِ والرّحْمَة لذَلِكَ الأَمْرِ، كَمَا وَصَفْتُ لَكُمْ وكُلُّهمْ أَلْقَاهُم اللهُ فِي كَفَالَةِ المـلُوكِ والمتَرَبِّينَ، واللهُ يُحِبُّ أَهْلَ العِلْمِ الصَّالِحِينَ، ويَكْرَهُ أَهْلَ الفِسْقِ الجَاهِلِينَ، وجَزَاءُ المؤْمِنينَ مِنْهم عِنْدَ اللهِ كَبِيرٌ، وثوابُهُمْ جَسِيمٌ ولَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ عالِيَةٌ فِي الجَنَّةِ.

ومَا مِنْ مَلِكٍ أو مُتْرَفٍ أو عَبْدٍ مِنْ عبادِ اللهِ الصَّالحينَ يُحسِنُ إِلَيْهِم ويُهَيِّئُ أمُورَهُمْ لِلْمجْمُوعِ الأَكْبَرِ المذْكُورِ وشَرْحِ الحَقِيقةِ، إِلَّا ويَغْفِرُ اللهُ لهُ جَمِيعَ ذُنوبِهِ ويَكْتُبُهُ عِنْدهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ الذِينَ يسْتَشْهِدونَ علَى الدِّينِ، ويَرْفَعُ لَهُمْ بِكُلِّ دِرْهَمٍ طَيِّبٍ يُنْفَقُ لذَلِكَ الأَمْرِ مِنْ مالِهِ دَرَجةً في الْجَنّةِ، ومَنْ يرِدْهُمْ بِسوءٍ أو مُعَاكَسَةٍ يلْعَنُهُ اللهُ ومَلائِكَتُهُ أَلْفَ مَرّةٍ في كُلِّ يَوْمٍ، ويَرْفُضُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا أَنْ يرْجِعَ مِنْ ذلِك كُلِّهِ حَقَّ الرُّجُوع إِلَيْهِ.

(1) في رحلة أفوقاي: ليستفهموا. والمعنى غير واضِح.

(2) في رحلة أفوقاي: الاستفهام. والمعنى غير واضِح.

ثمّ قالَتْ: صِفْ لِي السّابِعَةَ أَيْدُرَة. قالَ: أَخْبِرينَا عنْ أضْعَفِ خلْقِ اللهِ شارِحِ حَقِيقَةِ الإنْجِيلِ في المجْتَمَع الأَكبَرِ وعَنْ ثَوابِهِ يا مَوْلَاتِنَا.

فقالَتْ: اللهُ يَخْتَصُّ برَحْمتِهِ تأْويلَ العِلْمِ مَنْ يشَاءُ مِنْ عبَادِهِ، وذَلِكَ العَبْدُ مِنَ المخْصُوصِينَ في عِلْمِ [125ظ] غَيْبِهِ، ومَوَاهِبُه ومِنَنُهُ عَلَيْهِ كَبِيرَةٌ، ورَحْمَتُهُ ومُعْجِزَتُهُ ظاهِرَةٌ فيهِ لِلْعبَادِ المخْلِصِينَ الذِينَ يشَاءُ اللهُ، يُطْلِعُهُمْ عليْهِ مِنْ فضْلِهِ ولَكِنْ يكُونُ عَددُهُمْ في العَالَمِين قَلِيلًا. عُنْصُرُهُ طَيّبٌ زَكِيٌّ عَرَبِيّ؛ لِأَنّ النّصْرَ لَا يَنْبَغِي لِغَيْرِ العَرَبِ، والنّاصِرُ في ذَلِكَ الزّمَانِ هُوَ مظهر مِنْ جَميعِ العُلومِ كما كَانَ ابْنِي يَسُوعُ، ولَا يعْدَمُ فَهْمَ جَوَابِ السّائِلِينَ، مُنَوّرٌ بنُورِ الإحسانِ والرّحْمَةِ، خَالِصٌ بِالنّيّةِ ولَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ مِنَ اللهِ، لَيْسَ يُوصَفُ بِهِ بَيْنَ العِبادِ لَهُ نَشْأَةٌ معْتَدِلَةٌ وبَشَاشَةٌ فِي وَجْهِهِ مُشْتَمِلَةٌ، وفَصَاحَةٌ في اللّسانِ بلَفْظٍ قَصِيرٍ وعِلْمٍ كَثِيرٍ وإتْقَانٍ يَبْعَثُهُ اللهُ، ويُعَلّمُهُ اللهُ الذّكْرَ ويَضَعُ الضّالّينَ والفَاسقِينَ مِنْ جَمِيعِ الأَجْناسِ، صَبورًا علَى أَذَى الفَقْرِ والآفَاتِ، يَجْتَنِبُ المحارِمَ والعُيُوبَ، صَادِق القَوْلِ والوَعْدِ حَافِظ الأَمَانَةِ، لَا يَغْفَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ والْخَشْيَةِ بالْقَلْبِ، وإنْ تَلْحَقهُ مَعْصِيَةٌ يَسْبِقُهَا بالنّدَمِ ويَرْتَجِي مِنَ اللهِ العَفْوَ والغُفْرانَ، وثَوَابُهُ عنْدَ اللهِ كبِيرٌ وأجْرُهُ جَسيمٌ علَى قَدْرِ نِيّتِهِ وإيمَانِهِ وعِلْمِهِ وطاعَتِهِ ويَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ، إنّ اللهَ لَا يُضيعُ أَجْرَ المحْسِنينَ. يَهَبُ اللهُ لَهُ شَرْحَ حقِيقَةِ الإنْجيلِ العَزيزِ المقْبُولَةِ وأَلْقَى عِلْمَهَا فِي قَلْبِهِ وفَهْمِهِ وشَرْحَهَا فِي مَحْفُوظِهِ، ونَوّرَ قَلْبَهُ بإيمَانِهِ وذَلِكَ سَابِقَةٌ في عِلْمِ غيْبِهِ شَارِحِ الحَقِيقَةِ إذَا يشَاءُ اللهُ بشرحها[1] لذَلِكَ المجْتَمَعِ لطَاعَتِهِ يُنْبِئُهُ اللهُ بالحَقِيقَةِ، وما مِنْ عَبْدٍ مُؤمِنٍ يدْعُو إِلَيْهِ ويقُولُ: اللّهُمَّ رَبّ احْرُسْ بعِنَايَتِكَ أضْعَفَ خلْقِكَ شَارِحَ حقِيقَةِ الإنْجيلِ العَزيزِ فِي المجتَمَع الأَكْبَرِ وهَيّئْ أَمْرَهُ إِلَيْكَ، واجعَلْنِي بِمَا شَرَحَ فِيهَا مِنَ الحَقّ مُؤْمِنًا، ويَسّرْ علَيّ حفْظَهَا وعَامِلًا بمَا أَمَرْتَ فِيهَا، إنّكَ علَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَّا نَظَرَ اللهُ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ وحَرَسَهُ مِنْ جَميعِ الآفَاتِ، ومَنْ يُرِدْهُ بالْعَكْسِ يلْعَنُهُ اللهُ ومَلائِكَتُهُ أَلْفَ مَرّةٍ فِي كُلّ يَوْمٍ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلّهِ حَقَّ الرّجُوعِ للهِ. والمُرَادُ بِشَرْحِ حَقِيقَةِ الإنْجِيلِ: القُرْآنُ والسُّنَّة.

ثم قَالَتْ: صِف الثَّامِنَةَ أيْدُرة قالَ: أخْبِرينَا عنْ بَرَكَةِ الموْضِعِ الذِي يُرَامُ بالْحَقِيقَةِ في ثَوابِ زيَارَةِ العِبَادِ يا موْلَاتنَا. قالَتْ: الموْضِعُ المقَدَّسُ الذِي يَجْمَعُ أَسْمَاءَ الحَقِيقَةِ مَا مِنْ عَبْدٍ مُخْلِصٍ بِنِيَّةٍ بلَا شَكٍّ في الإنْجِيلِ ولَا فِي الحَقِيقَةِ ويقُولُ: اللّهُمَّ رَبّ آمَنتُ حَقَّ الإيمَانِ بِكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ التِي أَرْسَلْتَ بِهَا سَيّدَنَا يَسُوعَ رُوحكَ وبِحَقِيقَةِ إنْجِيلِكَ الذِي شَرَحْتَ نُسْختَهَا فِي ذَلِكَ الموْضِعِ المقَدَّسِ، والكِتَابِ الثَّابِتِ الصَّحيحِ الذِي معهَا، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ [126و] العَظِيمِ الأَعْظَمِ وفَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ على عِبَادِكَ

(1) في رحلة أفوقاي: يشرحها.

أنْ تَرْفَعَ بِهَا وبِهِ لِوَاءَ دِينِكَ الرَّشِيدِ علَى الأَدْيانِ كلِّها، وأَنْ تُؤَيِّدَ بِهَا وبِهِ مَسْجِدَكَ المقَدَّسَ، وأَنْ تدْخلَ بِهَا وبِهِ عبَادَكَ المؤْمِنينَ فِي كَنَفِ رَحْمَتِكَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ[1] واللهُ الموَفِّقُ.

قالَ أَبُو مُحَمَّد عبد الحقّ ناصر الدّين بن المؤيّد الإسلاميّ[2]، وكَان يَهُودِيًّا ثُمّ أسْلَمَ: أَطْلَعَنِي اللهُ علَى الحَقِّ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وآمَنْتُ بسَيّدِنَا مُحَمّدٍ ﷺ وكَتَمْتُ وأَخْفَيْتُ وأَلْهَمَنِي اللهُ بإفْشَائِهِ، وإِنّهُ لا يُخَلِّصُنِي إِلَّا إفْشاؤُهُ، فبادَرْتُ إِلَى مَا يُجِيرُني مِنَ العَذابِ الأَلِيمِ ويُقرّبُنِي منَ الجَنَّةِ، فقُلْتُ ظاهِرًا بِمَا فِي قَلْبِي: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمّدًا عبْدُهُ ورسُولُهُ البَشِيرُ النّذِيرُ، ثُمَّ أسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ أَهْلِي وولَدِي، ومَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعادَةُ مِمَّنْ كانَ يلْتَزِمُنِي، ولَمّا مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بالإِسْلامِ أشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ طلَبَةِ سبتة أَنْ أُؤَلِّفَ جُزْءًا في الرَّدِّ علَى اليَهودِ، ففَعَلْتُ مُسْتَعينًا باللهِ الواحِدِ القَهَّارِ، مُؤْمنًا برَسولِهِ مُحَمَّد بنِ عبْدِ اللهِ، وإِنّما أرْمِيهِمْ بأَحْجَارِهِمْ مسْتَخْرِجًا لهَا مِنْ كُتُبِهِم المنَزّلَةِ[3].

ففِي الكتَابِ المسَمَّى: ملاخيم[4] الذِي ينْسبُونَهُ لليسع عليه السلام في قِصَّةِ بنِي إسْرَائيلَ المسَمَّى عنْدَهُم: أحأب وكانَ مِنْ كِبارِ ملُوكِ بَنِي إسْرَائيلَ وكَانَ يعْتَقِدُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وكانَت اليَهُودُ يكَفِّرونَهُ لِذَلِكَ إِلَى الآنَ، ويَعْتَقِدُون أَنّهُ مِنْ أَعْظَمِ الكُفّارِ لِذَلكَ. يُرْوَى أَنّهُ جاءَهُ مَلِكٌ مِنْ ملُوكِ الرّوم اسمُهُ: برهادد[5] بِجُيُوشٍ لَا يَعْلمُ بعِدَّتِها إِلَّا اللهُ الذِي خلَقَهَا، ومَعَهُ اثْنَانِ وثَلاثُونَ سلْطَانًا، وحَصَرَهُ بمَدينَةِ همرون[6] وبَعَثَ إِلَيْهِ أرسَالًا، وطَلَبَ منهُ أنْ يُعْطِيَهُ جمِيعَ ما لَدَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضّةِ وأَوْلَادِهِ ونسَائِهِ رَهْنًا، وطَلَبَ منْهُ العَلَمَ الذِي كانَ يُقاتِلُ بِهِ [126ظ] وكانَ فِيهِ مكْتوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحمَّدٌ رسُولُ اللهِ، وكَانَ يغْلِبُ بِهِ في الحرُوبِ كُلِّها، فأَجابَهُ إِلَى ذَلِكَ إِلاَّ العَلَمَ. ونَصُّ ذَلِك فِي "ملاخيم": "كِي إِمْ كَفِّتْ مَحَرْ أَشْلَحْ إِتْ عَبَدَيْ إِلِيخَ وَ حِبَّسُوا إِتْ بِثِيخَ وَ إِتْ بَتِي عَبَدِيخَ وَهَيَا محمّد عَينِيخَ يَسيموا بَيَرَمْ وَ لَغَاصوا"[7] وشرْحُهُ: إذا كَان غَدٌ أُرْسِلُ إِلَيكَ عبِيدِي يفَتّشونَ بيْتَكَ وبيُوتَ عبِيدِكَ وحَيْثُما كانَ مُحَمَّدٌ عنَايَتُكَ يَجْعلُونَهُ فِي أَيْدِيهِمْ ويأْخُذُونَهُ، يَعْلم[8] العَلَم الذِي فِيهِ سَيّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ يأْخُذُه عَبيدِي

(1) نهاية النَّقلِ من كتاب رحلة أفوقاي الأندلسِي، ص159.

(2) عبد الحقّ بن سعِيد بن محمد المغرِبِي المالِكِي، كان حيا 761هـ، ولِي قضاء مكناس، أخذ عنه لسان الدين بن الخطِيب، من تآليفه: الجازمة على الرسالة الحاكمة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 57/2.

(3) الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامِي، ص25-26.

(4) في الحسام الممدود: ملاخم.

(5) في الحسام الممدود: ابْنُ هَدَدْ.

(6) في الحسام الممدود: سمرون.

(7) النص في الحسام الممدود مع تغيِير.

(8) ربما يعْنِي، كما في الحسام الممدود.

مِنْ أَيْديهِمْ، ويُزِيلُونَ انتِصَارَكُمْ. ولَمّا قَرَأَ أَحْأَب الرِّسالَةَ اجْتَمَعَ معَ أَشْيَاخِ اليهود وأَحْبَارِهِمْ وقَرَأَ عَلَيْهِم الرّسَالَةَ واسْتَشَارَهُمْ فوَافَقُوا إلّا العَلَمَ فأَبوا مِن إعْطائِهِ فَبَعَثَ إلَى مَلِكِ الرُّومِ بذلِكَ. فحَلفَ ليَخْرِبَنَّ ديَارَهُمْ ويَسْبِي أَمْوالَهُمْ، ويقْتُلَهُم جَميعًا فتَشَفَّعَ لَهُمْ أَحْأَب بالنَّبِيءِ ﷺ فلَمْ يَقْبَلْ الشَّفاعَةَ، فجَاءَهُ نَبِيءٌ فقَالَ: لَا تَخَفْ يُنَجِّيكَ اللهُ بتَوَكُّلِكَ علَى اللهِ، وبإيمانِكَ بِنَبِيئِهِ مُحَمَّد ﷺ ويَنْصُرُكَ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فخرَجَ إلَيْه أحْأَبْ ففَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ ونَجَا أَحْأَب ومَنْ مَعَه. وهَذَا المِلِكُ أَحْأَب ماتَ مُسْلِمًا شَهِدَتْ نُصُوصهُمْ بِذَلكَ[1].

"وهَميلَخْ هَيَإِ محمد بَمْرَكبا نونَحْ أَرَمْ" ومعنَاهُ: والمَلِكُ كانَ يذْكُرُ مُحَمَّدًا، ويقَابِلُ الرُّومَ، فانْظُرْ كَيْفَ هو صَرِيحٌ في كُتُبِهِمْ، ويَتَحَقَّقُ هؤلَاءِ أنَّ نَصْرَ أَحْأَب علَى مَلِكِ الرُّومِ بِسببِ إيمَانِهِ بِمُحَمَّد ﷺ وكَانَ سَيِّدَهُم، ولَمَّا آمَنَ سَبُّوهُ[2].

"ما تعسوا ليوم موعِدْ وليوم مضيْ أُذْنَيْكي هْنى هَلْخو مِشودْ مِصرايم موق تِقبَّرَمْ محمّد لَحْسَبَمْ كِمّوسْ بير شيمْ جُوَحْ باهليهم" معناه: أَيُّ شَيْءٍ تفْعَلونَ؟ أَمْ كَيْفَ يكُونُ حالُكُمْ فِي اليَوْمِ المَوْعُودِ وفِي اليَوْمِ المشْهُودِ، ما زِلْتُمْ تسْلُكُونَ وتَنْتَقِلونَ مِنْ نَحْسٍ إلَى نَحْسٍ، المصريّون أَسَرُوكُمْ والرُّومُ قتَلُوكُم، مُحَمَّد يَسْبِي أَمْوالَكُمْ [127و] والكموس[3] يطرُدُونَكُم، والشِّرْكُ في أَخْبِيَتِكمْ ومُحَمَّد لخسيم[4] معْناهُ: النَّبِيء ﷺ يأمُرُ بتَغْرِيمِ المالِ، وَالكموس قَبِيلٌ مِنَ العَرَبِ، وَجَوَحْ معْناهُ: الشّرْك، مُحَمَّد ﷺ يَمْحُو أثرَهُم ولَا مَنْفَعَة فِيهِمْ[5].

"بِأويُمي هَبَّقُّدَهْ هَشِلّومْ إويلْ هَبّي مُشْجَعْ إيشَرْ هَروحُ عَلْ روبْ عَوُنَخْ و رَبّهْ مَسْطيمَهْ" معناه: وصَلَتْ أيَّامُ المطالَبَةِ وصَفَتْ أيَّامُ الانْتِصافِ، بِسَبَبِ وقُوعِكُم بالنَّبِيء ﷺ قُلْتُم: إنّهُ جَاهِلٌ، وقُلْتُم إنَّه أَحْمَقٌ مرياح، وهَذَا أَعْظَم ذنُوبِكُمْ، وبِهِ كَثُرَ الحِقْدُ ووَجَبَ بغضُكُم وعُدْوانُكُم، وأَخَذَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِمّا لَا يُبَدِّلونَهُ، ولَوْ بَدَّلُوا غَيْرَه وهُوَ شيع المذْكُورُ قَبْلَ النَّبِيءِ ﷺ وعَلَى آلِهِ بأَلْفِ سَنَةٍ، وصَرَّحَ بِهِ ﷺ[6].

"وَيّا عَسَرْ إلوهيمْ إثْ شِنِي هَمُّقُ روثْ تمجَّدُ وِلِيمْ" معناه: خلَقَ الله النُّورَيْنِ العَظِيمَيْنِ، وتَمَجّدُ وِليمْ: عدَدُهُ ثمانِيَة وتِسْعونَ، يَخْتَصُّ منْهَا مُحَمَّدٌ باثْنَيْنِ وتِسْعِينَ والسِّتَّة البَاقِيَةُ لِيَوْمِ الجُمُعَة سَادِسِ

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي، ص30-31.

(2) (م، س)، ص31-32.

(3) في الحسام الممدود: والكؤس.

(4) في الحسام الممدود: محمد كَخْسِيم.

(5) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص32-33 مع تغيير.

(6) (م، س) ص33 مع تغيير.

الأَيّامِ، ولَمْ يَخْلُق اللهُ النُّورَيْنِ الشّمْسَ والقَمَرَ إِلَّا مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُوَ ينْسَخُ السّبْتَ بِيَوْمِ الجُمُعَة وفَسَّروهُ لَعَنَهُم اللهُ أَنَّ مُحَمَّدًا يكُونُ مِنْهُمْ[1].

وفي الحِزْبِ الأَوَّل مِنَ التَّوراةِ: إنّ اللهَ أَخْبَرَ مُحَمَّدًا يَدْخُلُ الجنَّة قَبْلَ الخَلْقِ، والنَّصُّ هَذَا: "وَيَطَّعْ أُذُنَيْ إلوهيم جَنْ بعيدنْ مِقّيدّمْ" معنَاهُ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ قبْلَ الخَلْقِ وعَدَدُهُ ثلَاثَةٌ وخَمْسُونَ كَمَا هُوَ أَحْمَدُ[2].

"وَلِيَشْمعيل شَمَعتيخُ بيني بِرُحْتي أُوثُوَهي بِشَيْء أَرِثُوا بِمَأَدْمَأدَشيمْ عَسَرْ نسيم يُوليدْ وُنْثَنينْ لَجولَيْ جَدول" معْناهُ: دَعْوتُكَ لإسماعيل مقْبُولَةٌ سأُبارِكُ فِيهِ، وأُكثرُهُ وأُنَمّيهِ وأُخْرِجُ منْهُ مُحَمَّد. و"مَادْمادْ" مُحَمَّد، وعَدَدُهُ اثنَانِ وتِسْعُونَ مُحَمَّد كَذَلِكَ[3].

"وَيُومِرْ أُذنَيْ ألوهيم هِنْ هأْدَمْ هَيَهْ كأحدِ مِمّنو" معنَاهُ: قالَ السَّيِّدُ اللهُ إنّي أَخْلُقُ آدَمَ لنُخْرِجَ مِنْ ظهْرِهِ أَحْمَدَ ويكُونُ كَأَحَدِكُمْ، قال عُلَماؤُهُمْ: يعْنِي في الرُّتْبَة وأعْلَى ويَدُلُّ علَى أَحْمَدَ "هِيَهْ كأحدِ" إذْ عَدَدُهُ [127ظ] ثلاثَةٌ وخَمْسُونَ وأَحْمَدُ كذَلِكَ، وإنْ تَرَكُوا هذَا العَدَدَ لَزِمَهُمْ نقْضُهُ فِي سَائِرِ ما يَبْنُونَ علَيْهِ دِينَهُم مِنْ ذَلِكَ الحِسَابِ[4].

"وَبَرْ إلوهيم إِثْ كُلْ أَشِرْ عسا وهَنِّهْ طوبْ مَأْذُنْ" وعَلِمَ اللهُ كُلَّ ما خَلَقَ وأَنَّ خَيْرَهُم مُحَمَّدٌ ﷺ والخَمْسُ الصَّلَوَاتُ والجُمُعَةُ والعِيدان وعَدَدُ قَوْلِهِ " وهَنِّهْ " سِتَّة وسِتُّونَ منْهَا لِأَحْمَدَ ثلاثَةٌ وخَمْسُونَ ولِلْجُمُعَةِ سِتَّةٌ؛ لِأَنّهَا سَادِسُ الأَيّامِ، وخَمْسَةٌ لِخَمْسِ صَلَوَاتٍ واثْنَانِ للْعِيدَيْنِ، قالَ: ومَا زِلْتُ أَتَكَلَّمُ مَعَهُم قَبْلَ إسْلَامِي وخَرَسُوا، والنَّصُّ أَنَّ أَحْمَدَ خَيْرُهُم وهَذَا يُناسِبُ النسخ لبَعْضِ التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ[5].

"وَيُومِرْ أَذَنَيْ أَلْ أَبْرَمْ لَخَ مِنْيَ صُخْ شِرَإِ رابيدا يَعَسَخْ لَجولَيْ يَدْوِلْ وأباصَخْ ومِمّوا أَلْرَنَخُ وَ ميبْتِ أَتيخَ أل هارِصْ وأعَذَ لأَ شَميخَ وهَبْ بَرَ براضَهْ وأَرْضَهْ مُبارَ خيخَ ومُقَلَلَخْ أُوُورْ ونما رِضَخَ كلْ مشْلَحوتِ هأَدَمَّا" قالَ اللهُ لإبراهيم: امْضِ مِنْ بلَادِكَ إلَى الأَرْضِ التِي أُرِيكَ وأَخْلِفُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مُحَمَّدًا، أُبارِكُ فِيهِ وأُعَظِّمُهُ وسيَكُونُ برَكَةً وأبَارِكُ فِيمَنْ تَبَرَّكَ بِهِ وأَلْعَنُ مَنْ يَسُبُّهُ، ويُعَظِّمُهُ الأَكْثَرُ مِنْ مخلُوقَاتِ العَالَمِ، ولَا يُمْكِنُ لَفْظٌ يَفِي بِعدَدِ "لَجوليْ جَدْوَلْ" إِلَّا مُحَمَّد ﷺ[6].

---

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص34-35 مع تغيير.

(2) (م، س)، ص35، مع تغيير.

(3) (م، س) ص35، مع تغيير.

(4) (م، س) ص36، مع تغيير.

(5) (م، س) ص37-38، مع تغيير.

(6) (م، س) ص37-38، مع تغيير.

"هِياكَ بَرْ أُذَنَيْ إِذْ أَلْبَرَمْ با مَجْزي لِيُومْ أُلْ تِيرَ أَبْرَمْ أَلِخ مَجِنْ لُخْ مَخَارْ هاخَرْ في مَيِّدْ" معنَاهُ: لا تَخَفْ يا إِبْراهِيمُ أنَا ومُحمَّد تِرْسٌ لَكَ، ويَدُلُّ لِذَلِكَ لَفْظُ: مَجِنْ الذِي فِي النَّصِّ؛ لِأَنَّ عدَدَهُ ثَلَاثَةٌ وتِسْعونَ، لِاسْمِ مُحَمَّد مِنْهَا اثْنَانِ وتِسْعُونَ والوَاحِدُ البَاقِي مِنَ العَدَدِ لِلْوَاحِدِ البَاقِي سبْحَانَهُ[1].

"قُوِّمِ سَإِراتْ هَنْعَرِدِ لجوليْ جَدول إِشِمينُقْ" معنَاهُ: قُومِي أَرْفَعُ الغُلامَ إِنّ مُحَمَّدًا يَخْرُجُ مِنْهُ، وذَلِكَ حِين عَطِشَ فِي مَكَّةَ إِسْمَاعِيلُ وأَخْرَجَ اللهُ لَهَا زمزم[2].

"ويَشَعْ أَبْرَمْ هَلوخ ونَسَوَعْ هَنِّجْبَهْ" معْناهُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كانَ كَثيرَ الرّحِيلِ إِلَى مَكّةَ بعْدَ ذَلِكَ ويُصَلِّي فِيهَا[3].

"بني أَقيمْ لَهِمْ مِقيرِبْ أخيهم كَمُوخِ وبَتَتِي دَبْرَكْ يَفيقْ وَدَبِرَ إليهم أَتْ كُلْ أَشِرْ أَصَوّيَنُ" [128و] معنَاهُ سيَقومُ نَبِيء مِنْ قَرابةِ بنِي إِسْرَائيلَ وهُوَ نَبِيءٌ مِثْلُكَ، وأَجْعَلُ خطابِي فِيهِ، ويتَكَلَّمُ بِجَمِيعِ ما آمُرُهُ بِهِ، وعَدَدُ "يَفيقْ" ثَمَانِيَةٌ وتسْعُونَ مُحَمَّدٌ باثْنَيْنِ وتِسْعِينَ وسِتَّةٌ لِلْجُمُعَة وهُوَ ﷺ نَبِيءٌ كمَا أَنَّ موسَى نَبِيءٌ وزَاد فضْلًا علَى مُوسَى[4].

"نَبِي مِقِرّ وبيخَ ميئا حيقَ كَموشِي يَقيمْ لَخْ أذنَيْ ألوهيخَ إِلُو تستمعون" معناه: أَحْضِرُوا بالكُمْ يا بَنِي إِسْرَائيلَ سيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ مِنْ قَرَابَةِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيءٌ مِثْلِي، اسْمُهُ مقَارِن اسْمَ رَبِّهِ، فاتّبِعوهُ واسْتَمِعُوا لَهُ[5].

"وأَروعَمْ عنني شِمْيَكَبَرْ أَنيشْ أتي هو أَوْعَدْ عتيق يُومِيَا مطافْ فرْموهي هَقْرَبوهي" معناه: رأَيْتُ عِنْدَ سحَائِبِ السَّماءِ كابْنِ آدَمَ طالِع مُحَمَّد هُوَ وَصَلَ إِلَى الرَّبِّ الأَزَلِيّ وبيْنَ يَدَيْهِ تقَرَّبَ[6].

"وَليهْ يَهيبْ شُلْطان ويَقْرو ملْخُوَّ وضلّ عميمِيّا أُمِّيّا وَلِشابِيَاليه يفتحون شلطانية شلطان علم دي لا يعدِي وَمَلْخوتِيه دي لا تَتحبّلْ" معناه: ولِمُحَمَّد تُعْطى العِزَّةُ والمَمْلَكَةُ، وكَثْرَةُ الأُمَمِ والشَّعْب، والإِنْسُ لِدِينِهِ يرْجعُونَ، دِينُهُ ثَابتٌ لا يَزُولُ ورِيَاضُة آمِنَةٌ لَا تَحُولُ ولَا تَفْسُدُ[7].

"هيَتِ شَلَحْ ملأخِ أو فنا آشِلَرْ أتمْ مُبَقْتِسِيمْ وملْأَدْ هبَّرْ أشِرْ أنِمْ حَقِصيمْ يبني بلامرْ أذني صباؤُتْ" معْناهُ: أنَا باعِثُ رَسُولِي، ينَقِّي الطَّرِيقَ بَيْنَ يَدَيّ، وفِي غَفْلَة يأْتِي إِلَى مَكّةَ السَّيِّدُ الذِي أنْتُم

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص39-40، مع تغيِير.
(2) (م، س) ص40-41، مع تغيِير.
(3) (م، س) ص41، مع تغيِير.
(4) (م، س) ص42-43، مع تغيِير.
(5) (م، س) ص44، مع تغيِير.
(6) (م، س) ص61، مع تغيِير.
(7) (م، س) ص61، مع تغيِير.

طالِبُونَ، محَمَّد الذِي يأْمُرُ بِخَمْسِ صلَوَاتٍ، الذِي أَنْتُم لَهُ مُحِبّونَ، هاهُوَ ذَا يأْتِي ويُنَقِّي الطَّرِيقَ وينَقِّي الكُفْرَ، وملأد هَبُرَيْث: عدَدُ سَيِّدِنا مُحَمَّد وخَمْسِ الصَّلَوَاتِ[1].

"إِلْ أدونْ علْ كَلْ هَمْعسيم وبروخ وميورخ يفي ضد هَنَشَمية" معناهُ: السَّيِّدُ علَى جَمِيعِ العَالَمِ هُوَ مُحَمَّدٌ، قدْ بارَكَ فِي كُلِّ مخْلوقٍ، ويَدُلُّ علَى مُحَمّدٍ "وإل أدون" عَدَدُ مُحَمَّد[2].

ومِمَّا يذْكُرُونَ فِي صَلاتِهِمْ أَنَّ الشَّمسَ والقَمَرَ يَمْدَحانِ أَحْمَدَ والنَّصُّ فِي ذَلِكَ: "طَوَبيم مأورثُ شبر الُّوهينوا مُليم ويوْ وَمَفِيقِم نَجَهْ" معْناه: أَجْوَدُ الأَنوارِ التِي خَلَقَ اللهُ رَبُّنَا يَمْدَحُ أَحْمَدَ، وهَذَا فِي صَلاتِهِم المفْرُوضَةِ [128ظ] علَيْهِمْ ونَجِدُ عدَدَ ثَمانِيَة وخَمْسِينَ ثلاثٌ وخَمْسُونَ لِأَحْمَدَ والخَمْسُ لِلصَّلَواتِ الخَمْسِ[3].

وفي كِتَابِ إشَعْيَاء: البَرَكَةُ بَرَكَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ والحَالِفُ بالْحَقِّ إِنَّما يَحْلِفُ باسْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، والنَّصُّ في ذَلِكَ: "أَشِرْ هَمَّتبرَخْ بأرض يتبرخ بالوهي امن وهنشبع بأرض يشبع بالوهي أأمن"[4]

ومِن ذَلِكَ الكِتَابِ في كُفْرِ اليَهُودِ: "نبِي آدم بَضلْمِينوا كرمو ثينو" ومَعْنَاهُ: أَصْنَعُ ابْنَ آدَمَ كصُورَتِنَا، وهَذَا تَجْسِيمٌ لَعَنَهُم اللهُ[5].

"ونيناحم أَدَنَي كي عسا إث لهادم بأرص وينعصب إل لبو" ومعناهُ: نَدِمَ اللهُ الذِي خلَقَ الآدمِيّينَ في الأَرْضِ، وتَغَيَّرَ في قَلْبِهِ" وهَذَا كُفْرٌ وتَجْسِيمٌ[6].

"ويارَحْ أَذَنَيْ إِثْ ريح هنيجوخ" معناه: شَمَّ اللهُ الرَّائِحَةَ وهذَا كُفْرٌ[7].

"إيرَدَن وإزاي هكضعفته هباه إلى عسوكلا وإم لو إداعه" معناه: نهبِطُ إلى الأرضِ فأُفْنِيهِمْ، وإِلَّا فاعْلَم الحَقَّ، وهذَا وصْفٌ للهِ بالجَهْلِ، جَلَّ اللهُ وعَزَّ[8]. " بَني أثم لاذ ندي إلوهيخِمْ" ومعناهُ: أَنْتُم للهِ رَبِّكُمْ[9].

" وأمرت إل بَرعو كو أمَرْ أَذَنَي بنِي بخوري إسرائيل" معناهُ تقُولُونَ لِفِرْعَونَ هَكَذَا قَالَ اللهُ "ابني بكري إسرائيل" يعنونَ أَنَّ للهِ بنينَ أَكْبَرُهُم إسْرَائِيلُ، وهذَا كُفْرٌ[10].

---

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص62-63، مع تغيير.

(2) (م، س) ص63، مع تغيير.

(3) (م، س) ص63-64، مع تغيير.

(4) (م، س) ص64، مع تغيير.

(5) (م، س) ص48، مع تغيير.

(6) (م، س) ص48، مع تغيير.

(7) (م، س) ص49، مع تغيير.

(8) (م، س) ص49-50، مع تغيير.

(9) (م، س) ص50، مع تغيير.

(10) (م، س) ص50، مع تغيير.

"كو أمَرْ أذَنَيْ أزي سِيفرْ كَرِتثوثْ أَمّخِمْ أَشِرْ شْلخِثِيها" معناه: أيْن عقْدُ طلَاقِ أُمّكُمْ التِي طلَّقتُهَا، وهَذَا كُفْرٌ[1]. ورَدَّ علَيْهِم في قَوْلِهِم لَهُ بَنُونَ:" سَنِيتها واثّن إثْ سيفر كرّيثوثيها" معناهُ: بغَضْتُهَا وطَلَّقْتُهَا[2].

" ويّيرابت ألوهي إسرائيل وتاحث رغلو كمَعَسِي ليتَتْ هَسَبيرْ وضعوهم هشَمايِمْ لطوهر" معناه: رأَوا الإِلَهَ إسرَائِيلَ وتَحْتَ ساقِه مفْرُوشًا بآجُورٍ مِن ذَهَبٍ أو يَاقُوتٍ، وكَنَقَاءِ السَّماءِ للظهر، وهذَا أفْحَشُ مِنَ الذِي قبْلَهُ لَعَنَهُم اللهُ[3].

"وغَسولِي مَفْرَش وشاخَنْتي بتوخم" معناه: اِصنعْ لِي قبَّةً لِأَسْكُنَ مَعَكُم فِيهَا[4]، فاليهُودُ لعَنَهُم اللهُ مُجَسِّمَةٌ مُشَبِّهَةٌ.

"ونوعرتي لخْشم ودبرتي إتخ ميعل هكيوريثي مبين شني هكروبيم كل أشر أصولي أولتخ آل [129و] بني إسرائيل" معناه: سأحْضُرُ معَكَ يا مُوسَى فِي القُبَّةِ وأُخاطِبُكَ منْ أَعْلَى الغشَاءِ مِنْ بَيْنِ الصُّورَتَيْن اللَّتَيْنِ أَمَرْتُكَ أنْ تَعْمَلَهُمَا فِي القُبَّةِ مِنْ ذهَبٍ، علَى صُورَةِ ولَدَيْنِ صغِيرَيْنِ[5].

" لو تعسى لخ يبصل وخذثمونا أشر بشمائم مما عل وأشر بأرض متامث" معناه: لا تَصْنَعْ شكْلًا ولا شَبَهًا مِمَّا فِي السَّماءِ وما فِي الأَرْضِ، فانْظُرْ هذَا النَّصَّ مَعَ الذِي قَبْلَهُ ما بَيْنَهُما مِنَ التَّناقُضِ والحَقُّ واضِحٌ[6]. "جَوْرَل ءاحَر لأذنَيْ رجورل أخر لعزازيل" معناهُ سهم لله وسهمٌ لعزرائِيلَ[7].

" باينْ اِلتيسخْ ريبعتْ هعّين تقريبْ ريح يتجوجْ لاذَني" معناه: إنَّ اللهَ أمَدَّهُم بالْخَمْرِ، وإنَّهُ يُحِبُّ رائِحتَها. تعالى اللهُ عن ذلكَ عُلُوًّا كَبِيرًا[8].

" كي أَذَنَيْ أَلوهِيخ إشِرْ أوخلاص" معنَاهُ: إنَّ للهِ ربّكمْ نارًا مُحْرِقَةً، قَد اختَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ عبادَةَ النَّارِ، فكَانَ مَصِيرُهُم إِلَيْها، ونَحْنُ المسْلِمينَ اخْتَرْنَا عبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وآمَنَّا بِجَمِيعِ الرُّسُل ومَصِيرُنا إنْ شَاءَ اللهُ إلَى الْجَنَّةِ[9].

---

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص50، مع تغيِير.

(2) (م، س) ص51، مع تغيِير.

(3) (م، س) ص51-52، مع تغيِير.

(4) (م، س) ص52، مع تغيِير.

(5) (م، س) ص53، مع تغيِير.

(6) (م، س) ص53، مع تغيِير.

(7) (م، س) ص54، مع تغيِير.

(8) (م، س) ص54، مع تغيِير.

(9) (م، س) ص54-55، مع تغيِير.

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي قِصَّةِ بَحِيرَى:

لَمَّا بلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثمانِيَ سِنينَ ماتَ جدُّهُ عبد المطَّلِبِ وأَوْصَى بهِ إلَى عمِّهِ أَبِي طالِبٍ، وكانَ أبُو طَالِبٍ هُوَ الذِي يَلِي أَمْرَ رسولِ اللهِ ﷺ بعدَ جدِّهِ فكانَ إليهِ ومعهُ. وكان عيالُ أبِي طالِبٍ إذا أكلوا وحدَهُم لَمْ يشْبَعُوا، وإذا أكَلَ مَعَهُم النَّبيءُ ﷺ شبِعوا. وكانَ أبو طالِبٍ إذا أرادَ أن يُعشِّيهم أو يغذِّيهِم يقول: كما أنتُم حتَّى يأتِيَ ابنِي فيأتِي نَبيءُ اللهِ ﷺ فيأكلُ معهُم، فيُفْضِلُون مِنْ طعَامِهِم، وكذَلِكَ في شُربِ اللَّبَنِ[1].

ثمَّ إنَّ أبا طالِبٍ خرجَ في رَكْب تاجرًا إلى الشَّامِ فلمَّا تهيَّأ للرَّحِيلِ صبَّ به رَسُولُ اللهِ ﷺ فرقَّ لهُ أبو طالِبٍ فخرجَ بهِ معهُ. ولمَّا نزلَ الرَّكبُ بصرى مِن أرضِ الشَّامِ وبها راهِبٌ يقالُ لهُ بحيرَى في صومعةٍ لهُ، وكان ينتَهِي إليهِ علمُ النَّصرانيّة، وكانوا كثيرًا ما يمرُّون به قَبْلَ ذلكَ فلَا يكَلِّمُهُم ولا يعْرِضُ لَهُمْ، حتَّى كانَ ذلك العامُ. فلمَّا نزلوا بهِ قريبًا [129ظ] مِنْ صَوْمَعِتِهِ صَنعَ لهُم طعَامًا كثِيرًا، أو ذلكَ فيما ذَكَرُوا لِشيءٍ رآه في صوْمَعَتِهِ. ويذكرُون أنَّهُ رأَى رسولَ اللهِ ﷺ وهو في صومَعَتِهِ في الرَّكبِ حينَ أَقْبَلُوا وغمَامَةٌ تُظِلُّهُ، ثمَّ إنَّهُ نَزَلَ في ظِلِّ شجَرَةٍ قرِيبًا منهُ، فنَظَرَ إلى الغَمَامَةِ حينَ أَظَلَّت الشَّجرةَ وتَهَصَّرَتْ أغْصَانُ الشَّجَرَةِ على النَّبيءِ ﷺ حتَّى اسْتَظلَّتْ علَيْهِ[2].

وفي رِوايَةٍ أنَّهُ رَأَى علَيْهِ غَمَامَةً تُظلُّهُ، فلمَّا دنَا مِنَ القَوْمِ وجَدَهُم قدْ سَبَقوه إلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فلَمَّا جَاءَ هُوَ ﷺ مالَ علَيْهِ فَيْءُ الشَّجرةِ[3].

فلَمَّا رأَى ذلِكَ بحِيرَى نَزَلَ مِنْ صومعتِهِ وقدْ أمرَ بذلِكَ الطَّعامِ فيُصْنَع، ثُمَّ أَرْسَلَ إلَيْهِم وقال: إنِّي قدْ صَنَعْتُ لكُم طعامًا يا مَعْشَرَ قريش، وإنِّي أريدُ أن تحضُرُوا كلُّكُم كبيرُكُم وصغيرُكُم حرُّكُم وعبيدُكُم، فاجتمعوا إليه فلمَّا نظَرَ بحِيرَى في القَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ التي يعْرِف فقَالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ لا يتخَلَّفَنَّ أحَدٌ منْكُمْ عن طعَامِي، قالوا: ما تَخَلَّفَ أحدٌ إلَّا غلامٌ أَحْدَثُ القَوْمِ سِنًّا، تخلَّفَ في رحَالِهِمْ، قال: لا تفْعَلُوا، فأتَوْا بِهِ فأجلسوهُ معهُم، فلَمَّا رآهُ بحِيرَى جعَلَ ينْظُرُ إلى أشيَاءَ مِن جَسَدِهِ، قدْ كانَ يَجِدُها عندَهُ مِن صفتِهِ حتَّى إذا فَرَغَ القَوْمُ مِن طعَامِهِم، قالَ بَحِيرَى: يا غلامُ باللهِ أَخْبِرْنِي عمَّا أسْأَلكَ عَنْهُ فقال: سلْ عَمَّا بَدَا لكَ، فجعَلَ يسْأَلُهُ عن أشْيَاءَ مِن حالِهِ فِي نَومِهِ وهَيْئاتِه وأمُورِهِ، وَجعلَ رسُولُ اللهِ

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 354/1، عن الواقدِي، بتصرُّف.

(2) سيرة ابن هشام، 181/1.

(3) الروض الأنف، السهيلي، 144/2.

ﷺ يُخْبِرُهُ، فوافَقَ ذلِكَ ما عِندَ بَحِيرَى مِن صِفَتِه، ثمَّ نَظَرَ إلى ظَهْرِهِ فرَأَى خاتَمَ النُّبوءَةِ بيْنَ كتِفَيْهِ علَى موْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ التِي عنْدَهُ. قالَ ابنُ هِشامٍ: كانَ مِثْلَ أثَرِ المحْجَم[1].

قال السُّهيْلِيّ: يعْنِي أَثَرَ المحْجَمَةِ القابِضَةِ على اللَّحمِ حتَّى يكُونَ نَاتِيًا[2].

ثمَّ أقْبَلَ بحِيرَا على عَمِّهِ أبي طالب فقالَ: ما هذا الغُلامُ مِنكَ؟ قال: ابْنِي، فقالَ لَهُ بَحِيرَى: ما هُو بِابْنِكَ وما ينْبَغِي لهذَا الغُلامِ أنْ يكُونَ أبُوهُ حَيًّا. قال: فَإِنَّهُ ابنُ أَخِي. قالَ: فمَا فَعَلَ أبُوهُ؟ قالَ: مَاتَ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قال: صَدَقْتَ ارجِعْ بابنِ أخِيكَ إلَى بلَدِهِ واحذَرْ علَيْهِ يَهُودَ، فوَاللهِ لئِنْ رَأَوْهُ وعرَفُوا منْهُ ما عَرَفْتُ ليَبْغُنَّهُ شَرًّا، فإنَّهُ كائِنٌ لابْنِ أخِيكَ هذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فأَسْرِعْ بِهِ إلَى بلادِهِ. فخَرَجَ به عَمُّهُ سرِيعًا حتَّى قَدِمَ مَكَّةَ حينَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بالشَّامِ[3]. روَى الحَدِيثَ ابن إسحاق.

وقَدْ رَوَى حدِيثَ بَحِيرَى التِّرْمِذِي وغَيْرُهُ، وقالَ فِيهِ التِّرْمِذِيّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وزادَ التِّرمِذِي أنَّهُم: ((لمَّا [130و] أشْرَفُوا على الرَّاهِبِ حَطُّوا رِحالَهُمْ، فخرَجَ إلَيْهِم الرَّاهِبُ، فجَعَلَ يتَخَلَّلُهُم حتَّى أَخَذَ بِيَدِ رسولِ الله ﷺ فَقال: هذا سَيِّدُ العالَمِينَ هذا رسُولُ رَبِّ العالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ، فَقَالَ لهُ أشيَاخٌ مِن قرَيْشٍ: ما عِلْمُكَ بهَذَا؟ فقال: إنَّكُم حِينَ أشْرَفْتُم مِنَ العَقَبَة لَمْ يبْقَ حَجَرٌ ولا شَجَرٌ إلاَّ خَرَّ ساجِدًا ولا تَسْجُدُ إلَّا لِنَبِيءٍ، وإنِّي أَعْرِفُهُ بخَاتَمِ النُّبوءَةِ أسفَلَ مِن غضْرُوفِ كتِفَيْهِ مثْل التُّفَّاحَة. ثُمَّ رَجَعَ فصَنَعَ لَهُم طعامًا، فلمَّا أتَاهُمْ بهِ وكَانَ هُوَ ﷺ في رِعْيَةِ الإبِلِ، قالَ: أرْسِلوا إلَيْهِ، فأقْبَلَ وعلَيْهِ غَمامَةٌ تُظِلُّهُ فلمَّا دَنَا إلى القَوْمِ وجَدَهُمْ قَدْ سبَقُوهُ إلَى فَيْءِ الشَّجرة فَمالَ عَلَيْهِ فقَالَ: انْظُرُوا إلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ))[4] علَيْهِ الحَدِيث.

وفِي هذِهِ القِصَّةِ قال أبو طَالِبٍ:

أَلَم تَرَنِي مِنْ بَعْدَ هَمٍّ هَمَمْتُهُ ... بِفُرْقَةِ [خَيْرِ الْوَالِدَيْنِ][5] كِرَامِ
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتِي ... لِتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامِ
بَكَى حزنًا وَالْعِيسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا ... [وَقَدْ شَذَّ][6] بِالْكَفَّيْنِ فَضْلَ زِمَامِ
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَقْرَقْتُ عَبْرَةً ... تَجُودُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَات سِجَامِ
فَقُلْتُ تَرُوحُ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ ... مُوَاسِينَ فِي الْبَأْسَاءِ غَيْرِ لِئَامِ

(1) سيرة ابن هشام، 182/1.
(2) الروض الأنف، السهيلي، 142/2.
(3) سيرة ابن هشام، 183/1.
(4) سنن التّرمذِي، حدِيث (3620)، وفِيه: غضروف كتفه، وقد يكون المؤلِّفُ نقل الرِّواية مِن: هداية الحيارَى، ابن القيم، ص228.
(5) في الروض: حر الوالدين.
(6) في الروض: وأمسكت.

فَرُحْنَا مَعَ الْعِيرِ التِي رَاحَ أَهْلُهَا ... شَآمِيّ الْهَوَى وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَآمِي
فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا ... لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامِ
فَجَاءَ بَحِيرَا عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِدًا ... لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامِ
فَقَالَ: اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لِطَعَامِنَا ... فَقُلْنَا: جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غُلَامِ[1]
يَتِيمٍ فَقَالَ: ادْعُوهُ إِنَّ طَعَامَنَا ... كَثِيرٌ عَلَيْهِ الْيَوْمَ غَيْرُ حَرَامِ
فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلًا فَوْقَ رَأْسِهِ ... يُوَقِّيهِ حَرَّ الشَّمْسِ ظِلُّ غَمَامِ
حَنَا ظَهْرَهُ شِبْهَ السُّجُودِ وَضَمَّهُ ... إِلَى نَحْرِهِ وَالصَّدْرِ أَيَّ ضِمَامِ[2]

وبَعْدَ هذِهِ الأَبْيَاتِ قال ابنُ قُتَيْبَةَ: سَمِعوا قبْلَ الإِسلامِ بقلِيلٍ هاتِفًا يَهْتِفُ: إنَّ خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ ثلَاثَةٌ: بَحِيرَى ورئاب بن البراء الشّنّي والثَّالِث المنْتَظَر[3]. فكَانَ الثَّالثُ رسولُ اللَّهِ ﷺ قالَ ابنُ قتيبة: وكانَ قَبْرُ رِئَاب الشّنّي وقَبْرُ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَا يزَالُ يُرَى علَيْهِمَا طَشّ[4]. والطَّشُّ: المطَرُ الضَّعِيفُ[5].

ومعنَى قولِهِ "صَبَّ النَّبِيءُ ﷺ بعمّهِ": رقَّ شوقُهُ. وفِي رِوَايةٍ: ضَبَثَ بِهِ ﷺ؛ أيْ: لَزِمَهُ[6].

والنَّبِيءُ ﷺ في هَذِهِ السَّفْرَةِ ابنُ تِسعِ سِنينَ فيمَا رَوَى السُّهيلِيّ [130ظ] عن بعْضٍ، وذَكَرَ الطَّبرِيّ أنَّهُ ابنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة[7]، وعَلَيْه الأَكْثرُ.

وقِيل عن الطَّبرِي: ابْنُ تِسعٍ.

وقِيل: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وشَهْرانِ وعَشَرَة أيَّامٍ، وقِيل: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وشَهْرًا، قِيلَ: لِعَشْرٍ مَضِينَ مِن رَبِيعِ الأَوَّل سَنَةَ ثَلَاثَ عشْرَةَ منَ الفِيلِ، خرجَ أبو طالِبٍ إلى الشَّامِ، فيكون قَدْ خَرَجَ في السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عشَر. ولمْ يُرِدْ أبُو طالِبٍ أن يذهبَ معهُ لكنْ لمَّا تهَيَّأَ للرَّحِيلِ، وأجْمَعَ لِلسَّيْرِ هَبَّ لهُ رسُولُ اللهِ ﷺ فأخَذَ بِزِمامِ ناقتِهِ وقال: يا عمُّ إلى مَنْ تَكِلُنِي، لا أبَ لِي ولا أُمَّ، فرَقَّ لهُ أبو طالب فَقالَ: واللّهِ لأَخْرُجَنَّ بِهِ مَعِي ولا يفَارِقُنِي ولا أُفارقه أبدًا. فَخَرَجَ به مَعَهُ، وذلك في المرَّةِ الأولَى. قال بَعْضٌ: فسارَ الرَّكبُ حتَّى نزلُوا قريَةً مِن قُرَى الشَّام يقالُ لها: كفر، ومِنها إلى بصرَى ستَّةُ أميال أو ثمانِيَة، وكانَ يسكُنُها راهِبٌ يقال له بحِيرَى، بفتح الباءِ الموحَّدَةِ وكسرِ الحاءِ المهملةِ وإسكان المثنَّاة التَّحتِيَّةِ، آخرُهُ راءٌ مقصورة،

(1) الشعر في الروض الأنف، السهيلي، 145/2. وليسَ فِيه الأبيات الثلاثة الأخِيرة.
(2) الأبيات من الطوِيلِ.
(3) المعارِف، ابن قتيبَة، ص58.
(4) (م، س)، ص58.
(5) الروض الأنف، السهيلي، 140/2.
(6) (م، س) ، 141/2.
(7) (م، س) ، 141/2-142.

[ومدّهُ مغلَطاي[1] وابن الهايم[2] وابن المرحّل[3]][4] رأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ قبْلَ البَعثِ وآمَنَ بهِ، ذكرَهُ أبو نعيم[5] وابنُ مَنْدَة[6]، بِفَتْح الميمِ، في الصَّحابَةِ[7].

وفِي هذا تَصْرِيحٌ بأَنَّهُ مَن آمَنَ برَسُولِ اللهِ ﷺ قبْلَ البِعثَةِ، ورآهُ عارِفًا لهُ بعَلامتِهِ وماتَ عَلَى الحَنِيفِيَّةِ يُعَدُّ مِن الصَّحابةِ. وهُوَ مَحَلُّ بَحْثٍ، وجَزَمَ صاحِبُ "الإصابة" بأَنَّهُ لَا يُعَدُّ فِي الصَّحابَةِ[8].

وفِي "سِيرَةِ الزُّهرِي" كانَ حَبْرًا مِنْ يهُودِ تيمى[9]. وفِي "المسعودي" إنَّه كانَ مِنْ عبد القيس، واسمُهُ جرجيس[10].

واشْتَهَرَتْ تِلكَ القَرْيَةُ بدير بَحِيرَى، وكان ذَا عِلْمٍ فِي النَّصرَانيَّة، ولَمْ يَزَلْ في تِلْكَ الصَّومعَةِ راهِبٌ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصارَى يَصِيرُ إلَيْهِ عِلْمُهُم عنِ كتَابٍ يدْرُسونَهُ فِيمَا يزْعُمُونَ يتَوَارَثُونَها كَابِرًا عنْ كابِر، فلَمَّا نزَلُوا ببَحِيرَى نَزَلُوا مَنْزِلا قَرِيبًا مِنْ صوْمَعَتِهِ كانوا ينْزِلُونَهُ قَبْلَ ذلِكَ كُلَّما مَرُّوا بهِ ولَا يُكَلِّمُهُم بَحِيرَى. حَتَّى إذا كَانَ ذلِكَ العَامُ ونزَلُوا صَنَعَ لَهُم طعَامًا ثمَّ دعاهُمْ، وإنَّما حَمَلَهُ على دُعائِهِم أنَّهُ رأَى حِين طلَعُوا علَى تِلكَ الأماكِنِ غَمَامَةً تُظِلُّ رسُولَ اللهِ ﷺ مِن بَيْنِ القَوْمِ، حَتَّى نزَلُوا تَحْتَ الشَّجَرةِ، ثُمَّ نظَرَ إلى الغمامةِ أظَلَّتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، وأخْصَبَتْ[11] أغصَانُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ علَى النَّبِيءِ ﷺ حتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَها [وهذَا يَدُلُّ على أَنَّ أغصَانَهَا قَبْلَ ذَلِكَ كانَتْ رَثَّةً][12]، فلَمَّا رَأَى بَحِيرَى ذلكَ نَزَلَ مِنْ صوْمَعَتِهِ، وأَمَرَ بالطَّعَامِ فأَرْسَلَ إلَيْهِم فقَالَ: صنَعْتُ لَكُم طعَامًا يا مَعْشَرَ قُرَيْش وأنَا أُحِبُّ أن تَحْضُرُوهُ كُلُّكُم، ولا يَتَخَلَّف منْكُمْ صَغِيرٌ ولا كَبِيرٌ، ولَا حُرٌّ ولا عَبْدٌ، فإِنَّ هذَا شَيْءٌ تكْرِمُونَنِي بهِ. فقَال رَجُلٌ: إنَّ لَكَ لَشَأْنًا يا بَحِيرَى ما كُنتَ تَصْنَعُ بنَا هذَا قَبْلُ، فمَا شأْنُكَ اليَوْمَ؟ فقالَ: إنِّي أحْبَبْتُ أن أكْرِمَكُم فلَكُم علَيَّ حَقٌّ، فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ وتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن بَيْنِ القَوْمِ، فِي رِحالِهِم تَحْتَ الشَّجرَةِ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ؛ إذْ لَيْسَ في القَوْمِ أصْغَرُ منْهُ سِنًّا، فلَمَّا نَظَرَ بَحِيرَى إلى القَوْمِ ولَمْ يَرَ الصِّفَةَ التِي يعرِفُها ويَجِدُهَا عِنْدَهُ، وجَعَلَ ينْظُرُ فلَا يَرَى الغَمَامَةَ علَى أحَدٍ مِنَ القَوْمِ، وَيَرَاهَا مُتَخَلِّفَةً

(1) الإشارة إلى سيرة المصطفى، مغلطاي، ص76.

(2) محمد بن أحمد بن محمد بن عماد، محب الدين ابن الهائم، صنف "الغرر المضية في شرح نظم الدرر السنية" شرح لألفية العراقي في السيرة، ت: 798، شذرات الذهب، 605/8.

(3) عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف، شهاب الدين بن المرحل ت: 744هـ، شيخ جمال الدين ابن هشام النّحوِي. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 36/3.

(4) العبارة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، ليْسَتْ فِي تاريخ الخمِيسِ. ينظر: شرح المواهب، 364/1.

(5) ينظر: معرفة الصّحابة، أبو نعَيم، 445/1.

(6) ينظر: معرفة الصحابة، ابن منده، 314.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 257/1.

(8) الفقرةُ أضافها المؤلِّف على الهامِشِ. ينظر: الإصابة، ابن حجر، 643/1.

(9) تَيما: بليدة في بادِيَة تبوك على نصف طريق الشامِ من خيبَرَ. النسبة إلى المواضع والبلدان، الحميرِي، ص173.

(10) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 257/1، عن السهيلِي، الروض الأنف، 140/2، وفيه: سرجس. وينظر: مروج الذهب، المسعودِي، 75/1.

(11) فِي تاريخ الخمِيس: أخصت، وفِي المواهِب: تهصَّرت.

(12) العبارة ليْسَتْ في تارِيخ الخمِيسِ.

فَوْقَ الشَّجَرَةِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [131و] فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي. فقَالُوا: مَا تَخَلَّفَ أَحَدٌ إِلَّا غُلامٌ هُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ سِنًّا فِي الرِّحَالِ فَقَالَ: ادْعُوهُ فَلْيَحْضُرْ طَعَامِي، فَمَا أَقْبَحَ أَنْ تَحْضُرُوا وَيَتَخَلَّفَ رَجُلٌ وَاحِدٌ منكُم، مَعَ أَنِّي أَرَاهُ مِنْ أَنْفسِكُمْ. فَقَالَ الْقَوْمُ: هُوَ وَاللَّهِ مِن أَوْسَطِنَا نَسَبًا، وَهُوَ ابْنُ أَخِي هَذَا الرَّجُلِ، يَعْنُونَ أَبَا طَالِبٍ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ المطَّلِبِ مِنْ بَيْنِنا، ثمَّ احتَضَنَهُ الْحَارِثُ وأَقبَلَ بِهِ حتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى الطَّعَامِ، وَالْغَمَامَةُ تَسِيرُ عَلَى رَأْسِهِ، وَجَعَلَ بَحِيرَى يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ فِي جَسَدِهِ، قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ فِي صِفَتِهِ. فَلَمَّا تَفَرَّقُوا عَنِ الطَّعَامِ قَامَ إِلَيْهِ الرَّاهِبُ، فَقَالَ: يَا غُلامُ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى أَلا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا بُغْضَهُمَا" قَالَ: بِاللَّهِ أَلا خبَّرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: "سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ" فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاء مِنْ حَالِهِ حَتَّى نَوْمِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، وَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَهُ. ثُمَّ جَعَلَ يَنْظُرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى الصِّفَةِ التِي عِنْدَهُ، فَقَبَّلَ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ. قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ لِمُحَمَّدٍ عِنْدَ هَذَا الرَّاهِبِ لَقَدْرًا، وَجَعَلَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ لِمَا يَرَى مِنَ الرَّاهِبِ. قَالَ الرَّاهِبُ لأَبِي طَالِبٍ: مَا هَذَا الْغُلامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي، قَالَ: مَا هُوَ بابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا. قَالَ: ابْنُ أَخِي، قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ: ماتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ أُمُّهُ؟ قَالَ: تُوُفِّيَتْ قَرِيبًا. قَالَ: صَدَقْتَ، ارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفتُ لَيَقْصُدُنَّ قَتْلَهُ، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا وَمَا رُوِّينَا عَنْ آبَائِنَا، وَأَعْلَم أَنِّي قَدْ أَدَّيْتُ إِلَيْكَ النَّصِيحَةَ. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ تِجَارَتِهِمْ خَرَجُوا بِهِ سَرِيعًا، وَكَانَ رِجَالٌ مِنْ اليَهُودِ قَدْ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفُوا صِفَتَهُ، وَأَرَادُوا أَنْ يَغْتَالُوهُ فَذَهَبُوا إِلَى بَحِيرَى فَذَاكَرُوهُ أَمْرَهُ فَنَهَاهُمْ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَتَجِدُونَ صِفَتَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا لَكُمْ إِلَيْهِ سَبِيلٌ فَصَدَّقُوهُ وَتَرَكُوهُ. وَرَجَعَ أَبُو طَالِبٍ إلى مَكَّةَ سالِمًا فَمَا خَرَجَ بِهِ سَفَرًا بَعْدَ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَيْهِ[1].

وفِي "المشْكَاةِ" عن أَبِي موسَى ما تقدَّمَ إِلَّا أنَّ فِيهِ: خرَجَ بهِ ﷺ أبو طَالِبٍ في أَشْيَاخ مِنْ قُرَيْش. وأنَّهُ قال: أنْشدُكُمْ باللهِ أيُّكُمْ وَلِيُّه؟ قالوا: أبُو طَالِب، فلَمْ يَزَلْ يُناشِدُهُ حتَّى رَدَّهُ أبو طالِب، وبَعَثَ مَعَهُ أبو بَكْر بِلَالًا [131ظ] وزوَّدهُ الرَّاهِبُ كعكًا وزيْتًا[2] رواهُ التِّرمِذِي[3].

قلْتُ: كَيْفَ يكونُ أبُو بكْرٍ في ذلِكَ الوَقْتِ كَبِيرًا مالِكًا لِبلال مُسَافِرًا في تَجْرٍ؟، ولَعَلَّ بلالًا ﷺ يومئِذٍ في بلادِهِ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 257/1- 258، وهداية الحيارَى، ابن القيم، ص231-232.

(2) مشكاة المصابِيح، التبرِيزي، 1663/3.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 258/1، سبق تخرِيج الحدِيث في سنن الترمذِي رقم (3620).

وقَدْ قِيلَ: إنَّ بلالًا يومَئِذٍ لَمْ يولَدْ، وهذَا يُنافِي ما قالَ ابنُ حبَّان: سِنُّهُ سِنُّ أبِي بَكْرٍ.

وإنْ كانَ قدْ ملَكَهُ قُرَيشٌ فلَيْسَ في ملْكِ أبِي بَكْرٍ، وإنَّما ملَكَهُ بعْدَ بِعْثَتِهِ ﷺ وإيمانِهِ باللهِ ورسولِهِ ﷺ بنَحْوِ ثلاثِينَ سَنَة تقْرِيبًا، ولَعَلَّ ذلِكَ منْ أَحَدِ الرُّواةِ أدْرَجَهُ وَهْمًا.

وفي القِصَّةِ أنّهُ ﷺ رَعَى الإبِلَ، قالَ أبُو هُريرَةَ قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا راعِيَ الغَنَم، فقَالَ أصْحَابُهُ: وأَنْتَ؟ قالَ: نَعَمْ كُنْتُ أرْعَاهَا علَى قَرَارِيطَ أرْعَاهَا لِأَهْلِ مكَّةَ**)) رواهُ البُخَارِي[1].

وفِي روايَةِ سعيد بن أبي أُحَيحة وفِيه: ((**كُنْتُ أَرعَاهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بالقَرَارِيطِ**)) أيْ: مِنَ الفِضَّةِ، قال سُوَيد بن أبي سعيد: يعْنِي كُلَّ شَاةٍ بقِيراط[2]، وقال الحربيّ[3]: القَرَارِيطُ مَوضِعٌ، ولَمْ يُرِدْ قَرَارِيط الفضَّة[4].

وذَكَرَ مغلطاي في سيرتِهِ: أنَّهُ رَعَى الغنَمَ في سَنَةِ عِشْرِين، وقال: كانَ يرْعَى غنَمَ أَهْلِهِ بأجْيادٍ عَلَى قَرَارِيطَ[5].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ أَنَّ أبَا بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا، صَحِبَ النَّبِيءَ ﷺ وهو ابنُ ثمانِي عشرةَ سنَةٍ، والنَّبِيءُ ﷺ ابنُ عشْرِين سَنَةٍ، وهُمْ يرِيدُونَ الشَّامَ في تِجَارَةٍ حتَّى نَزَلُوا مَنْزِلًا فِيه سدْرَةٌ، فجلَسَ النَّبِيءُ ﷺ في ظِلِّها ومضَى أبو بَكْرٍ إلى رَاهِبٍ يقَالُ لهُ بَحِيرَى يَسْأَلُهُ عنْ شَيْءٍ فقَالَ: مَنِ الرَّجلُ الذِي في ظِلِّ السِّدْرَة؟ قال أبو بَكْر: ذلِكَ مُحَمَّد بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ المطَّلِب. فقَالَ بحِيرَى: هُوَ واللهِ نَبِيءٌ، ما استَظَلَّ تَحْتَهَا بعْدَ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ إلَّا مُحَمَّد، فوَقَعَ في قَلْبِ أبِي بَكْرٍ اليقِينُ والتَّصديقُ قَبْلَ مَا نُبِّئَ ﷺ[6].

وفِي "المنتَقَى"[7]: هذَا السَّفَر هو الذِي كانَ معَ أَبِي طالِبٍ؛ فإنَّ أبا بَكْر حِينئِذٍ كانَ مَعَهُ[8].

الفَصْلُ الثَّالِثُ: [في بَعْضِ ما تَقَدَّمَ فِي الأَزْمانِ السَّابِقةِ علَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ]

قَالَ بَعْضُ الصَّحابةِ: كان رسُولُ اللهِ ﷺ مِن بَدْئِهِ أفْضَلَ قَوْمِهِ وأحسَنَهُم خُلُقًا، وأكْرَمَهُم حَسَبًا، وأحسَنَهُم جِوارًا، وأعْظَمَهُم حِلْمًا، وأَصْدَقَهُم حدِيثًا، وأَعْظَمَهُمْ أمَانَةً، وأبْعَدَهُم مِنَ الفُحْشِ والأَخْلاقِ

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (2262).

(2) الحدِيث وقول سويد في سنن ابن ماجه، حدِيث (2149).

(3) في الأصل: الجريري، والتصحيح من عمدة القارِي، 80/12، وفتح البارِي، 441/4. وهو صاحب غرِيب الحدِيث، ولم أقف عليه في المطبوع منه.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 259/1. لم أقف عليه في المطبوع من المناسِك للحربِي.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 259/1. والإشارة إلى سيرة المصطفى، مغلطاي، ص79.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 261/1.

(7) لم أتعرَّف الكتاب.

(8) (م، س)، 261/1.

التي تُدَنِّسُ الرِّجَالَ تنَزُّهًا وتَكَرُّمًا، حَتَّى إنَّهُ مَا كَانَ اسْمُهُ في قَوْمِه إلَّا الأَمِين، لِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الأُمُورِ الصَّالِحَةِ[1].

وَكان رَسُولُ اللهِ ﷺ فيمَا ذُكِرَ لِي يُحَدِّثُ عمَّا كانَ اللهُ يَحْفَظُه بِهِ في صِغَرِهِ وأمْرِ جَاهِلِيَّتِهِ؛ مِن ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ينْقُلُ الحجَارَةَ لِبِنَاءِ الكَعْبَةِ عَارِيًا، جاعِلًا إزارَهُ[2] علَى كَتِفِهِ يَحْمِلُ عليْهِ الحِجَارةَ، فإنِّي لَأُقْبِلُ وأُدْبِرُ إذ لَكَمَنِي لَاكِمٌ ما أَراهُ، لَكْمَةً وَجِيعةً ثُمَّ قالَ: شُدَّ علَيْكَ إزَارَكَ[3].

وفِي البُخارِي: ((**كَانَ ﷺ ينْقُلُ الحِجَارَةَ معَ قَوْمِهِ علَى عَاتِقِهِ، وإزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ، فقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: يا ابنَ أَخِي لَوْ جَعَلْتَ إزارَكَ علَى عَاتِقِكَ، ففَعَلَ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا علَيْهِ؛ أَيْ: وهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، ثمَّ قالُ: إزَارِي إزَارِي فشدَّ عَلَيْهِ إزَارهُ**))[4].

وفِي حدِيثٍ آخَرَ: ((**أنَّهُ لمَّا سقَطَ ضَمَّهُ العبَّاسُ إلى نفْسِهِ وسألَهُ عن شَأْنِهِ فأَخْبَرَ أَنَّهُ [132و] نودِيَ مِن السَّماءِ أن اشْدُدْ علَيْكَ إزارَكَ يا مُحَمَّد، وإنَّه أوَّل ما نُودِيَ**))[5] وحَدِيث ابن إسحاق إنْ صَحَّ فَحَمْلُهُ عَلَى أنَّ هذَا الأَمْرَ كانَ مَرَّتَيْنِ[6].

قالَ ابْنُ هِشَام: ولَمَّا بلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ خمْسًا وعِشْرِينَ سنةً تزوَّجَ خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها، وكانَتْ تاجِرَةً ذَات شَرَفٍ ومَالٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجالَ في مَالِها، وتُضَارِبُهُم إيَّاهُ بِشَيءٍ تجْعَلُهُ لَهُمْ، وكانَتْ قُرَيْشٌ قوْمًا تُجَّارًا. فلَمَّا بَلَغَها عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ما بَلَغَها مِن صِدْقِ حَدِيثِهِ وعَظِيمِ أمانتِهِ، وكَرَمِ أخْلَاقِهِ، بعَثَتْ إلَيْهِ فعَرَضَتْ علَيْهِ أن يَخْرُجَ في مالٍ لَهَا إلَى الشَّامِ تاجِرًا، وتُعْطِيهِ أفْضَلَ ما كانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجارِ مع غُلَامٍ لها يقالُ له ميسرة، فقَبِلَهُ رسولُ اللهِ ﷺ منْهَا وخَرَجَ في مالِها ذلكَ، وخرَجَ معهُ غلامُها ميسرةُ حتَّى قدِمَ الشَّامَ فَنَزَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ في ظِلِّ شَجَرَةٍ، قرِيبًا مِن صَوْمَعَةِ راهِبٍ. فاطَّلع الرَّاهِبُ إلى ميسَرَة فَقَالَ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ فَقَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إلا نَبِيءٌ. ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِلْعَتَهُ التِي خَرَجَ بِهَا وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلا إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ. فكَانَ مَيْسَرَةُ فِيمَا يذكرونَ يقُولُ: إِذَا كَانَتِ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ يرَى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ ﷺ مِنَ الشَّمْسِ، وَهُوَ

---

(1) سيرة ابن هِشام، 183/1.

(2) في الأصْلِ: لإزاره.

(3) في سيرة ابن هِشام:" نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ بِهِ الْغِلْمَان" وصحَّح السُّهيلي: أَنَّهُ كان ذلكَ في بناء الكعبة، وهذا ما نقله المؤلِّف هنا، ينظر: سيرة ابن هشام، 183/1. والروض الأنف، السهيلي، 145/2 وما بعدها.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (364).

(5) لم أقفْ عليه بلفظِهِ في كتب الحدِيثِ.

(6) الروض الأنف، السهيلي، 146/2.

يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ بِأَضْعَاف أَوْ قَرِيبًا، وَحَدَّثَهَا مَيْسَرَةُ عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَعَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ إِظْلالِ الملَكَيْنِ إِيَّاهُ[1]. قال السُّهيْلِيّ: ذكروا أنَّ اسمَهُ نسطور[2].

قالَتْ نفيسة بنت منبّه: لمَّا بلغَ رسولُ اللهِ ﷺ خمسًا وعِشرِينَ سنَةً، ولَيسَ لهُ بِمَكَّةَ اسْمٌ إلَّا الأَمِينُ؛ لِما تكامَلَتْ فيهِ مِنْ خصالِ الخيْرِ، قال لهُ أبو طَالِبٍ: يا ابنْ أخِي أنَا رَجُلٌ لا مَالَ لِي، وقَد اشْتَدَّ الزَّمانُ عليْنَا، وألَحَّتْ عليْنَا سنُونُ مُنْكِرَة، ولَيْسَتْ لنَا مادَّةٌ ولَا تِجَارَةٌ، وهذَا عِيرُ قَوْمِكَ قدْ حضَرَ خروجُها إلى الشَّامِ، وخديجة بنت خُويلِد تَبْعَثُ رجَالًا مِنْ قوْمِكَ فِي عِيرِها، فيتَّجِرونَ لها فِي مالِهَا، ويُصِيبُونَ منافِعَ، فلَوْ جِئْتها وعَرَضْتَ نفسَكَ عليْها لأَسْرعَتْ إليْكَ، وفَضَّلتْكَ على غَيْرِكَ، لِمَا يَبْلُغهَا عنْكَ منْ طهَارَتِكَ، وإنْ كُنتُ أكرَهُ أنْ تَأْتِي الشَّامَ، وأخَافُ علَيْكَ مِنَ اليهودِ، ولكِنْ لا نَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا. وكانتْ خدِيجَةُ ذاتَ شرَفٍ ومالٍ كثِيرٍ وتِجارَةٍ، تَبعَثُ بهَا إلَى الشَّامِ فتكُونُ عِيرُهَا كعامَّة عِيرِ قرَيْشٍ، وكانَتْ تستَأْجِرُ الرِّجالَ وتدْفَعُ إلَيْهم المالَ مضَارَبَةً، وكانَتْ قُريشٌ قوْمًا تُجّارًا ومَنْ لَمْ يكُنْ مِنْ قُرَيش تاجرًا فلَيْسَ عنْدَهُم بِشَيءٍ، فقالَ [132ظ] رسولُ اللهِ ﷺ: فلعلَّها ترْسِلُ إلَيَّ في ذَلِكَ، فقالَ أبو طَالِبٍ: أخافُ أن تُوَلِّي غَيْرَكَ فتطلُبَ أَمْرًا مُدْبِرًا كالخرقاءِ[3].

فَبلغَ خديجةَ ما كانَ مِن محَاوَرَةِ عَمِّه لَه، وقبْلَ ذلِكَ ما كانَ بلَغَهَا مِن صِدْقِ حدِيثِهِ وعِظَمِ أمانَتِه وكَرَمِ أخلَاقِهِ، فقالَتْ: ما عَلِمْت أنَّهُ يرِيدُ هذَا، ثُمَّ أرْسَلَتْ إلَيْهِ فقالَتْ: إنَّه دعَانِي إلى البِعثةِ إلَيْكَ ما بَلغَنِي مِنْ صدْقِ حدِيثِكَ وعِظَمِ أمَانتِكَ وكَرَمِ أخلَاقِكَ، وأنا أُعْطيكَ ضِعْفَ ما أُعْطِي رجُلًا مِنْ قوْمِكَ، ففَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وَلَقِيَ أبا طَالِبٍ فذَكَرَ ذلِكَ لهُ فقال: إنَّ هذا لَرِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إلَيْكَ. فخرَجَ معَ غلَامِهَا مَيْسَرَة، وجعَلَ عُمُومَتَهُ ﷺ يوصونَ بهِ أَهْلَ العِيرِ، حتَّى قَدِمَ بصرَى مِنَ الشَّام، فنزَلَ في ظِلِّ شجرَةٍ قرِيبَةٍ منْ صَوْمَعةِ رَاهِبٍ يُقَالُ لَه نسطور. فاطَّلَعَ الرَّاهبُ إلى مَيْسَرَة – وكان يَعْرِفُه – فقال: يا مَيْسَرَة مَنْ هذا الذي نَزَلَ تَحْتَ هذهِ الشَّجَرة؟ قالَ ميسرة: هُوَ رَجُلٌ مِن قُرَيش مِن أَهْلِ الحرَمِ، فقال لهُ الرَّاهِبُ: ما نَزَلَ تحتَ هذِهِ الشَّجرةِ قَطُّ أَحَدٌ بعدَ عِيسَى بنِ مَرْيَم إلَّا نَبِيءٌ، ثمَّ قال: وَفي عيْنَيْه حُمْرَةٌ؟ قال ميسرة: نعَمْ لا تُفارِقُهُ. قَال الرَّاهِبُ: هو هو، وهو آخِرُ الأنبِيَاءِ علَيهِم السَّلامُ، فَيا ليتَنِي أدْرَكْتُه حينَ يؤمَرُ بالخروجِ، فوَعَى ذلكَ ميسرةُ. ثمَّ حضَرَ رسولُ اللهِ ﷺ سوقَ بُصرَى فباع بضاعتَهُ التي خَرَجَ بها واشْتَرَى فكانَ بَيْنَه وبيْنَ رَجُلٍ اختِلافٌ في سِلْعَةٍ، فقال الرَّجُل: احْلِف باللَّات والعُزَّى فَقال رسولُ اللهِ ﷺ: ما حلَفْتُ بهِمَا قَطُّ، وإنّي لأَمُرُّ فأُعْرِضُ عنْهُمَا، فَقال الرَّجُلُ: فَالقَوْلُ قوْلُكَ. ثمَّ خَلَا

(1) سيرة ابن هشام، 1/188-189.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 2/152.

(3) دلائل النبوة، الأصبهاني، 1/172، وفيه: فافترقا، بدل كالخرقاءِ.

الرَّجُلُ بميسرة وقالَ لَه: يا ميسرةُ هذا نَبِيءٌ، والذِي نفسِي بيَدِهِ إنَّهُ لهُوَ تجدُهُ أحبَارُنَا منْعُوتًا في كتُبِهِم، فوَعَى ذلكَ ميسرة ثُمَّ انصرَفَ أهْلُ العِير جَميعًا، وَكانَ ميسرة يَرَى النَّبِيءَ ﷺ إذَا كانَت الهَاجِرَة واشْتَدَّ الحرُّ يُظِلُّهُ ملَكانِ وهو علَى بَعِيرِهِ[1].

حتَّى دَخَلَ مكَّةَ في ساعَةِ الظَّهِيرةِ، وخديجةُ معها نِساءٌ في عِلِّيَّة لهَا، معَهُنَّ نفِيسة بنت منبّه، فرأتْ رسُولَ اللهِ ﷺ حينَ دخَلَ وهُوَ راكِبٌ علَى بَعِيرِهِ ومَلَكانِ يُظِلَّانِهِ فأَرَتْهُ نسَاءَهَا فعَجِبْنَ لذَلِكَ، فلمَّا أن دَخَلَ ميْسَرةُ علَيْهَا أخْبَرَتْهُ بما رأَتْ، فقالَ لَهَا ميسرةُ: قَدْ رَأَيْتُ هَذَا مُنْذُ خرَجْنا مِنَ الشَّامِ، وأخبَرَهَا بقَوْلِ الرَّاهبِ نسطور، وبِقَوْلِ الآخَرِ الذي خالَفَ في البَيْع، وقَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ بتِجَارتِهِ، فربِحَتْ ضعْفَ ما كانَتْ تَرْبَحُ، وضَعَّفَتْ لَهُ [133و] ضِعفَ ما كانت قَدْ سَمَّتْ لهُ[2].

فلمَّا استقَرَّ عندَهَا هَذَا، وكَانت امْرَأَةً حَازِمةً شرِيفَةً لَبِيبَةً، معَ ما أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنَ الْكَرامَةِ والْخَيْرِ، وهِي يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ نسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وأَعْظَمُهُنَّ شرَفًا وأَكْثَرُهُنَّ مالًا، وكلُّ قومِها كانَ حرِيصًا على تزوُّجِها، لو قَدَرُوا علَى ذَلِكَ لبَذَلُوا الأموالَ وطلَبُوهَا. قالتْ نفيسة: فأرسَلَتْنِي إليهِ دسِيسًا فقُلت: يا مُحَمَّد ما يَمْنَعُكَ أن تَتَزَوَّجَ؟ قال: ما بِيدِي ما أَتَزَوَّجُ بِهِ، فقالت: أبَعْدَ أنْ دُعيتَ إلَى الحَلال والشَّرفِ والمالِ لَا تُجيبُ؟ قال: بلَى فَمَن هِي؟ قالتْ: خَدِيجَةُ، قالَ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟ قالَتْ: علَيَّ ذلِكَ. قالَ: فَافْعَلِي. فذَهَبَتْ نفِيسةُ فأَخْبرَتْ خَدِيجَةَ، فأَرْسَلَتْ إليهِ أن ايتِ سَاعَةَ كذَا وكَذَا، وأَرْسلَتْ إلَى عَمِّهَا عمرو بن أسد فحَضَرَ، فَدَخَل رسولُ اللهِ ﷺ فِي عمُومَتِهِ فزوَّجَهُ أحَدُهُم، قال عمرو: هذا الفَحْلُ الذِي لا يُقْرَعُ أَنْفُهُ[3].

قال ابن إسحاق: بعثَتْ خدِيجةُ رضِي اللهُ عنها: إنّي قد رغبتُ فِيكَ لِقرابتِكَ وسطَتِكَ في قوْمِكَ، وأَمَانَتِكَ وحُسْنِ خُلُقِكَ، وصِدْقِ حدِيثِكَ، ثُمَّ عرَضَتْ علَيْهِ نفسَهَا، فذكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ ذلِكَ لأَعْمامِهِ، فخَرَجَ معهُ حمزة بن عبد المطّلب حتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلد بن أسد فخَطَبَها إلَيْهِ فتَزَوَّجَهَا. قال ابن هشام: أَصْدَقَهَا عشْرِينَ بكَرَة، قال ابنُ إسحاق: وَلَدَتْ لرَسُولِ اللهِ ﷺ ولَدَهُ كلَّهُم إلَّا إبرَاهِيم، ولَدَتْ لهُ القاسِم وَبِهِ كَانَ يُكَنّى ﷺ وَالطّيّب وَالطّاهِر وَزينب وَرقيّة وَأمّ كلْثوم وَفَاطِمَة. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَكْبَرُ بَنِيهِ الْقَاسِمُ ثُمّ الطّيّب ثُمّ الطّاهِرُ، وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ رُقَيّةُ ثُمّ زَيْنَبُ ثُمّ أُمّ كلْثُومٍ ثُمّ فَاطِمَةُ. قَالَ ابْنُ إسْحَاق: ماتَ الْقَاسِمُ وَالطّيّبُ وَالطّاهِرُ فِي أيّامِ الْجَاهِلِيّةِ، وأمَّا بناتُهُ فكلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الإِسْلَامَ وأَسْلمْنَ وهاجَرْنَ معهُ ﷺ[4].

(1) دلائل النبوة، الأصبهاني، 173/1-174.

(2) الطبقات الكبير، ابن سعد، 131/1.

(3) (م، س)، 109/1.

(4) سيرة ابن هشام، 189/1.

وقال السُّهيليّ وغيرُهُ: إنَّ أولادَهُ ﷺ كلّهُم وُلِدوا بعد النُّبوءَةِ[1]، ويُجمَعُ بأنَّ الذُّكورَ الثَّلاثَةَ وُلِدُوا بعد دلائِلِ النُّبوءَةِ وماتوا قَبْل البعثَةِ.

وأمَّا إبراهِيمُ فولدتْهُ مارية، وهي سَرِيَّةٌ لهُ ﷺ أهْدَاهَا إلَيْهِ المقوقس[2].

ويُروَى أنَّ خدِيجةَ رضِيَ اللهُ عنها، ذَكَرَتْ لورقة بن نوفل بن أسد، وكَانَ ابْنَ عَمِّهَا وكانَ نَصْرَانِيًّا، قَدْ تَتَبَّعَ الكتُبَ وعلِمَ مِنْ علْمِ النَّاسِ ما ذَكَرَ لها غلامُها ميْسَرة مِنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وما كان يَرَى منهُ إذْ كانَ الملَكَانِ يُظِلَّانِهِ، فقالَ وَرَقَةُ بنُ نوفَل: لَئِنْ كانَ هذَا حَقًّا يا خدِيجَةُ إنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيءُ هَذهِ الأمَّةِ، قد عَرَفْتُ [133ظ] أنَّهُ كائِنٌ لهذه الأمَّةِ نبِيءٌ يُنتَظرُ هذا زمانُهُ[3]. قال وَرَقَةُ:

لَجِجْتُ، وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا ... لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصْفٌ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارُكِ يَا خَدِيجَا
بِبَطْنِ الـمكَّتَيْنِ[4] عَلَى رَجَائِي ... حَدِيثَكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَّرْتِنِي مِنْ قَوْلِ قِسٍّ ... مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ يَوْمًا ... فَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيئَةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فَيَا لَيْتِي إِذَا كَانَ مَا كَانَ ذَاكُم ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا
وُلُوجًا فِي الذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أُرَجِّي بِالذِي كَرِهُوا جَمِيعًا ... إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ ... لِمَنْ يَخْتَارُ منْ سَمَكِ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقوا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ ... يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى ... مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةً خُرُوجَا[5]

وقال ورَقَةُ أيْضًا:

أَتُبْكِرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةَ رَائِحُ ... وَفِي الصَّدْرِ مِنْ إضْمَارِك الْحزنَ قَادِحُ
لِفُرْقَةِ قَوْمٍ لَا أُحِبّ فِرَاقَهُمْ ... كَأَنّك عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ

(1) الروض الأنف، السهيلي، 156/2.
(2) سيرة ابن هشام، 189/1-190.
(3) (م، س)، 191/1.
(4) على الهامِش دون إحالة إلى مكانِها: والمكَّتان: مكَّة والطَّائِف.
(5) الأبيات من الوافر، سيرة ابن هشام، 191/1-192.

وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبّرَتْ عَنْ مُحَمّدٍ ... يُخَبّرُهَا عَنْهُ إذَا غَابَ نَاصِحُ
فَتَاكِ الذِي وَجّهْت يَا خَيْرَ حُرّةٍ ... بِغَوْرٍ وَبِالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الضَّحَاضِحُ[1]
إلَى سُوقِ بُصْرَى فِي الرّكَابِ الّتِي غَدَتْ ... وَهُنّ مِنَ الْأَحْمَالِ [قُمْصٌ دَوَابِحُ][2]
يُخَبّرنَا عَنْ [كُلّ حَبْرٍ][3] بِعِلْمِهِ ... وَلِلْحَقّ أَبْوابٌ لَهُنَّ مَفَاتِحُ
بِأَنّ ابْنَ عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ ... إلَى كُلّ مَنْ ضَمّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
وَظَنّي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ هَادِيًا ... كَمَا بُعِثَ الْعَبْدَانِ هُودٌ وَصَالِحُ
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتّى يُرَى لَهُ ... بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِن الذّكْرِ وَاضِحُ
وَيَتْبَعُهُ حَيًّا لُؤَيُّ بنُ غَالِبٍ ... شَبَابُهُمْ وَالْأَشْيَبُونَ الْجَحَاجِحُ
فَإِنْ أَبْقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ ... فَإِنّي بِهِ مُسْتَبْشِرُ الْوُدِّ فَارِحُ
وَإِلَّا فَإِنّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي ... عَنْ أَرْضِكِ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَائِحُ[4]

وقال ورَقَةُ أيْضًا:

يَا لِلرّجَالِ لِصَرْفِ الدّهْرِ وَالْقَدَر ... وَمَا لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ مِنْ غِيَرِ
حَتَّى خَدِيجَة تَدْعُونِي لِأُخْبِرَهَا ... وَمَالَهَا بِخَفِيّ الْغَيْبِ مِنْ خَبَرِ
جَاءَتْ لِتَسْأَلَنِي عَنْهُ لِأُخْبِرَهَا ... أَمْرًا عَظِيمًا سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ أُخرِ
فَخَبَّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ ... فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالْعُصُرِ
بِأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ ... جِبْرِيلُ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ إلَى الْبَشَرِ
فَقُلْتُ عَلَّ الذِي تَرْجِينَ يُنْجِزُهُ ... لَكِ الْإِلَهُ فَرَجّي الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي
وَأَرْسِلِيهِ إلَيْنَا كَيْ نُسَائِلَهُ ... عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى [134و] فِي النّومِ والسَّهَرِ
فَقَالَ حِينَ أَتَانَا مَنْطِقًا عَجَبًا ... يَقِفُّ مِنْهُ عَظِيمُ الْجَلْدِ وَالشَّعَر
إنّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللّهِ وَاجَهَنِي ... فِي صُورَةٍ أُكْمِلَتْ مِنْ أَهْيَبِ الصُّوَر
ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَادَ الْخَوْفُ يذْعرُنِي ... مِمَّا يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنَ الشَّجَر
فَقُلْتُ: ظَنّي وَمَا أَدْرِي أَيَصْدُقُنِي؟ ... أَن سَوْفَ تُبْعَثُ تَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ
وَسَوْفَ أَبْلِيكَ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ ... مِنَ الْجِهَادِ بِلَا مَنّ وَلَا كَدَرِ[5]

والضِّياء: هو المنتشِرُ عن النُّورِ والنُّور هو الأَصْلُ لِلضَّوءِ ومنهُ مبدؤهُ.

---

(1) في الروض: الصَّحاصِح. لم أقفْ على اللّفظِ فِي المعاجم. ذكر ابن كثِير لفظة "الضحاضح" في شعرِ لأشجع بن عمرو السلمي المري. ينظر: البداية والنهاية، 191/9.

(2) في الروض: قُعصٌ دوالِحُ. لم أقفْ على معنى اللفظينِ.

(3) في الروض: كل خيرٍ.

(4) الأبيات من الطَّوِيل، الروض الأنف، السهيلِي، 167/2-168، ودلائل النبوة، البيهقِي، 127/2.

(5) الأبيات من البسِيط، الروض الأنف، السهيلِي، 161/2-162، ودلائل النبوة، البيْهَقِي، 150/2.

ولمَّا بلغَ رسولُ اللهِ ﷺ خمسًا وثلاثِينَ سنةً اجتمعَتْ قريْشٌ لبِنَاءِ الكَعْبَةِ وتسْقِيفِها فبَنَوْها، حتَّى بَلَغُوا بالبناءِ مَوْضِعَ الحَجَرِ، فأرادتْ كلُّ قبِيلةٍ أن تضَعهُ في موضِعِهِ، حتَّى همُّوا بالقتالِ. ثمَّ إنَّهُم اجْتَمَعُوا فِي المسْجِدِ فَتَشاوَرُوا وتنَاصَفُوا، فقَالَ أبو أميّة بن المغيرة فيما رُوِيَ: يا معشَرَ قريْشٍ اجْعَلُوا بَيْنَكُم فيما تَخْتلِفُون فِيهِ أوَّلَ مَن يدْخُلُ مِن بابِ هذا المسْجِدِ يقْضِي بَيْنَكُم فِيهِ ففَعَلُوا، فكان أوَّلُ مَنْ دَخَلَ رسولُ الله ﷺ فلَمَّا رأوه قالوا: هذا الأمِينُ، رضِينَا هذا مُحَمَّد. فلَمَّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وأخبَرُوهُ الخبَرَ، قَالَ ﷺ: هَلُمّ إليَّ ثَوْبًا، فأُتِيَ بِهِ، فأَخَذَ الرُّكنَ، يعنِي الحجَرَ الأسودَ فوضَعَهُ في الثَّوبِ بيَدِهِ، ثُمَّ قالَ: لِتَأْخُذْ كُلُّ قبيلَةٍ بنَاحِيَةٍ منَ الثَّوبِ ثُمَّ ارفَعُوهُ جَمِيعًا، ففعَلُوا حَتّى إذَا بلغُوا بِهِ موْضِعَهُ، فوَضَعَه ﷺ بيَدِهِ ثُمَّ بُني علَيْهِ. وكانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمّيهِ ﷺ قبْلَ نزولِ الوَحْيِ الأمِينَ.

وذكَرَ حسيْن بن محمّد[1]: أنَّهُ خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في المرَّة الثَّانِيَةِ إلى الشَّامِ مع ميسرةَ، عبْدِ خدِيجةَ، لأَرْبَعَ عَشْرَةَ ليْلَةً بَقِيَت منْ ذِي الحجَّة، وتزوَّجَها بعدَ ذلكَ بشهْرَيْنِ وخمْسَةٍ وعِشْرِينَ يوْمًا عقِبَ صفَر سَنَةَ ستٍّ وعِشرِينَ منَ الفِيلِ[2].

وأنَّهُ لمَّا بلغَ رسولُ اللهِ ﷺ خمْسًا وعِشْرِينَ سَنَةً قال أبو طالِبٍ: أنا رجُلٌ مُعَيَّلٌ؛ أيْ: ذُو عِيَالٍ، لا مَالَ لِي وقَد اشْتَدَّ الزَّمانُ، وهذِهِ عِيرُ قَوْمِكَ حضَرَ خرُوجُها إلَى الشَّامِ وخديجة بنتُ خويْلِد تبْعَثُ رجالًا مِن قَوْمِك في تِجَارَتِها فلَوْ ذهَبْتَ إليْهَا وقُلْتَ لها في ذلِكَ لَعَلَّهَا تقْبَل. وبلغَ خَدِيجةَ ذلِكَ فأَرْسَلَتْ إلَى النَّبِيءِ ﷺ فقالَتْ: أُعطِيكَ ضِعْفَ ما أُعْطِي رَجُلًا مِن قَوْمِكَ[3].

وفي رِوايَةٍ: أتَاهَا أبُو طالِب فقَالَ لهَا: هَلْ لَكِ أن تسْتأْجِري مُحَمَّدا؟ فقدْ بلغَنا أنَّكِ استأْجَرْتِ فلانًا بِبكْرَين ولسْنَا نَرْضَى لِمُحَمَّد دونَ أرْبَعِ بَكْرَات. فقالتْ خديجة: لو سَأَلْتَ ذلِكَ لِبَعِيدٍ [134ظ] بَغِيضٍ لفَعَلْتُ، فكَيْفَ وقَدْ سأَلْتَ لِحَبِيبٍ قَرِيبٍ، فقَالَ أبو طَالِب للنَّبِيءِ ﷺ: هذا رِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إلَيْكَ[4].

وفِي رِوايَة: كانَتْ بيْنَ خزيمة بنِ حكِيم السُّلمِيّ ثمَّ البهزِي وبينَ خدِيجةَ قرابةٌ، فوجَّهتهُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ وغلَامٍ لهَا يُقَالُ له ميسَرَة في تجارَةٍ إلَى بصرَى مِنْ أرْضِ الشَّامِ، فسَارُوا حتَّى إذَا كانُوا بَيْنَ الشَّام والحجازِ أعْيَا علَى مَيسرةَ بعِيرانِ لِخَديجةَ، وكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ فِي أَوّلِ الرَّكبِ فخافَ مَيْسَرةُ على نَفْسِه وعلَى البَعِيرَيْنِ، فانْطَلَقَ يسْعَى إلَى رسول الله ﷺ فأخْبَرَهُ بذلِكَ، فأَقْبَلَ النَّبِيءُ ﷺ إلَى البَعِيرَيْنِ فوَضَعَ يَدَهُ على أخفَافِهِمَا وعَوَّذَهُمَا، فانْطَلَقَ البعِيرانِ يسْعَيَان في أَوَّلِ الرَّكْبِ ولهُمَا رُغاءٌ، فلَمَّا

(1) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرِي، القاضي المالكي، ت: 966هـ بمكَّةَ، صاحب تاريخ الخمِيس في أحوال أنفسِ نفِيسٍ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 634/1.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 261/1.

(3) (م، س)، 262/1.

(4) (م، س)، 262/1.

رأَى خزيمة ذلِكَ عَلِمَ أنّ لَهُ شأْنًا عظِيمًا، فحرِصَ علَى ملازَمَتِهِ ومحافَظَتِهِ. فلمَّا دخلوا الشَّامَ نزَلُوا بُصرَى عنْدَ صوْمَعَة بَحِيرَى، وكان فِيهَا يوْمَئِذٍ راهِبٌ منْ رُهْبَانِ الشَّامِ يقال لَهُ نسطور، ولَيْسَ بَحِيرَى في هذا القولِ، وَنَزَلَ النَّاسُ متفَرِّقِينَ ونزَل رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ شَجَرَةٍ يابِسَةٍ نُخِرَ عودُهَا، ولَمَّا اطْمَأنّ تحتَهَا اخضرَّتْ وأنْوَرَتْ واعشَوْشَبَ ما حَوْلَهَا، وأَيْنَعَ ثَمَرُهَا وتدَلَّتْ أغصانُهَا، فرفْرَفَتْ على رسُولِ الله ﷺ وذلِكَ بِعَيْنِ الرَّاهِبِ، فلَمْ يتَمالَكْ أن انْحَدَرَ مِن صومَعَتِهِ وقالَ لهُ: باللَّاتِ والعُزَّى ما اسْمُكَ؟ فقالَ: إلَيْكَ عنّي ثكِلَتْكَ أمُّكَ، ما تَكَلَّمَتِ العَرَبُ بكَلِمَةٍ أثْقَل عَلَيَّ مِن هذهِ الكَلِمَة. وكان ذلكَ مكْرًا مِنَ الرَّاهِبِ، وكان معَهُ حِين نَزَلَ مِنْ صوْمَعَتِهِ رَقٌّ أبْيَض فجَعَلَ ينْظُرُ فيهِ مَرّةً وإلَى النَّبِيءِ ﷺ أخْرَى، ثُمَّ أَكَبَّ ينْظُرُ فِيهِ مَلِيًّا فقال: هو هو ومنَزِّلِ الإنجيلِ. فلمَّا سَمِعَ ذلِكَ خزيمة ظَنَّ أنّ الرَّاهِبَ يُريدُ بالنَّبِيءِ ﷺ مكْرًا فأَخَذَ بِمِقْبَضِ سيْفِهِ فانْتَزَعَهُ وجعَلَ يَصِيحُ بأعْلَى صوْتِهِ يا آل غالب يا آل غالِب، فأَقْبَلَ النَّاسُ يُهْرَعُون إلَيْهِ مِن كلِّ ناحِيَةٍ يقولُونَ: ما الذِي أفزَعَكَ؟ فلَمَّا نظَرَ الرَّاهبُ إلى ذَلِكَ أقْبَلَ يسْعَى إلَى صوْمَعَتِهِ، فدخَلَ فيها وأغلَقَ علَيْهِ بابَهَا ثُمَّ أشرَفَ علَيْهِم فقالَ: يا قَوْمُ ما الذِي راعَكُمْ مِنّى، فَوَالذِي رَفعَ السَّموَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ ما نَزَلَ بِي رَكْبٌ هو أَحَبّ إلَيَّ منْكُمْ، وإنّي لَأَجِدُ فِي هَذِهِ الصَّحِيفةِ أنَّ النَّازِلَ تَحْتَ هذِهِ الشَّجَرَةِ، وأشارَ بِيَدِهِ إلَى الشَّجَرَةِ التِي تحتَها [135و] رسولُ الله ﷺ، وهُوَ رسولُ اللهِ ﷺ، رسُولُ رَبِّ العَالَمِين يَبْعَثُهُ اللهُ بالسَّيْفِ المسْلُولِ وبالذَّبْحِ الأَكْبَرِ وهو خاتِم النَّبِيئِينَ، فمَنْ أطَاعَهُ نجَا ومَنْ عصَاه غَوَى. ثمَّ أقْبَلَ علَى خزيمة فقال: ما تكون مِنْ هذَا الرَّجُل، أرَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ؟ قال: لا ولَكِن خادِمٌ لَهُ، وحَدَّثَهُ بِحَديث البَعِيرَيْنِ. فقالَ لهُ الرَّاهبُ: أيُّهَا الرَّجُلُ إنَّه النَّبِيءُ الذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمان وإنّي أجِدُ فِي هذه الصَّحِيفةِ أنَّهُ يَظْهَرُ علَى البِلاد وينْصَرُ على العِبادِ، ولا تُرَدُّ له رايَةٌ ولا تُدْرَكُ له غَايَةٌ، وإنّ لَهُ أعْدَاءً أكثُرُهُم اليهُودُ، أعْدَاءُ اللهِ فاحْذَرْهُمْ علَيْهِ. فأَسَرَّ خزيمة ذلِكَ فِي نفسِهِ، ثمَّ أقْبَلَ الرَّاهِبُ على رسولِ الله ﷺ فقال: يا محمَّد إنّي لأَرَى فِيكَ شيئًا ما رَأَيْتُه فِي أَحَدٍ مِن النَّاسِ، إنّي لأحسبُكَ النَّبِيءَ الذِي يَخْرُجُ مِن تِهَامَةَ وإنَّك لَصَرِيحٌ فِي مِيلادِكَ ولَأَمينٌ فِي نَفْسِكَ وقَوْمِكَ، وإنّي لأرَى علَيْكَ مَحَبَّةً مِن النَّاسِ، وإنّي مصدِّقُكَ فِي قولِكَ وناصِرُكَ على عدُوِّكَ[1].

وكان قَدْ ألْقَى اللهُ عَلَيْهِ المحبَّةَ مِن مَيْسَرَةَ، وكانَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ له، ولمَّا بلَغُوا في رُجُوعِهِم مرّ الظّهران، تَقَدَّمَ رسُولُ اللهِ ﷺ ودخَلَ مكَّةَ فِي وَقْتِ الظَّهِيرةِ، وخَدِيجة في علِّيَّة لها تنْظُرُ السَّحابَةَ علَيْهِ. ورَجعَ خزيمة إلى بلادِهِ وقالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إذا سَمِعْتُ بخُرُوجِكَ أَتَيْتُكَ، ووفَدَ علَى رسُولِ اللهِ مُسلِمًا بَعْدَ فتْحِ مَكَّة. واللهُ أعْلَمُ[2].

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 262/1.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

ويُروَى أنَّ خدِيجةَ دُكِرَتْ لورقةَ يتزوَّجُها ولمْ يقضِ اللهُ بينَهُما تزوّجا، وذلكَ أوَّل ما دُكِرَتْ لِلتَّزوُّجِ فِي صِغَرِها[1].

وذكرَ الزُّهرِي أنَّها تزوَّجَتْ قبل النَّبِيءِ ﷺ رَجُلَيْنِ، الأوَّلُ: عتيق بن عائد بن عبد اللهِ بنِ عَمْرو بنِ مَخْزُوم، فوَلَدَتْ لَه جارِيَةً اسْمُهَا هند، فأَسْلَمَتْ وتَزَوَّجَتْ[2].

وفِي رِوَايَةٍ وَلَدَتْ لهُ عَبْدَ اللهِ وقِيلَ: طِفْلًا سمَّتْهُ عبْد مَنَاف، ثُمَّ خلَفَ عَلَيْها بَعْدَهُ أبو هالة النّبّاش بن زرارة، ويُكَنَّى أبا هالةَ، ويُقالُ لَهُ: هند، وهُوَ من بني أسد بن عمرو، فولَدَتْ لهُ طِفلًا يُقالُ لَهُ هِنْد، وامرأةً يُقالُ لَهَا هَالَة[3].

ويُروَى: وَلَدَتْ لهُ هندا والحارِثَ وزيْنَبَ، وتُكَنَّى أمّ هِند، وتُدعَى الطَّاهِرَة[4].

وفِي روَايَةٍ: وَلَدَتْ لهُ هند وهالة، وهُمَا ذَكَرَانِ[5].

قال محمَّد بن إسحاق: تزوَّجَتْ وهِيَ بِكرٌ عتِيق بن عائِد، وهَلَكَ عَنها فتَزَوَّجَها أبُو هالَة النَّبَّاش بن زرارة أَحَدُ بنِي عامِر بن تميم حلِيف بنِي عبد الدَّار، فولَدَتْ لهُ رجُلًا وامرأةً ثمَّ هلَكَ عَنْهَا[6].

وقال الدّارقطنِي: أبو هالة مالك بن النَّبَّاش بن زرارة[7]، وعن قتادةَ مثله،وقال: أبو هالة هند بن زرارة بن النَّبَّاش[8]، فولَدَتْ لهُ هِند بن هند[9].

قال الزُّهرِيّ: تزوَّجَها أوَّلًا [135ظ] أبو هالة ثمّ عتيق وصَحَّحَهُ ابن عبد البرّ[10].

قال أبو عمرو ابن عبد البرّ وابن قتيبة قبله وأبو سعيد[11]: عاشَ ابنُ خَديجَةَ هند بن هند رَبيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مسْلِمًا حَتَّى قُتِلَ معَ عَلِيّ يوم الجمل ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار[12].

---

(1) (م، س)، 263/1، عن المنتقَى.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من السمط الثمين، محب الدين الطبرِي، ص23.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من سيرة مغلطاي.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من سيرة مغلطاي.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من المنتقَى.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

(7) المؤتلف والمختلف، الدارقطنِي، 1641/3.

(8) التاريخ الكبِير، ابن أبِي خيثمة، 580/1.

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، دون ذكر المصدَرِ.

(10) (م، س)، 263/1. الاستعياب، ابن عبد البرّ، 1817/4.

(11) عبد الملك بن محمد بن إبراهِيم الخركوشِي (سكة بنيسابور) محدث حافظ مفسر، رحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز، ت:407هـ، من آثاره: شرف النبوة، تهذيب الأسرارِ في طبقات الأخيارِ. سير أعلام النبلاء، 256/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 321/2.

(12) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1. والاستعياب، ابن عبد البرّ، 1545/4.

وقِيلَ: ماتَ بالبصرة فِي طاعُونٍ، فازْدَحَمَ النّاسُ على جنازَتِهِ وتَرَكُوا جنَائِزَهُم وقالُوا: رَبيبُ رسُولِ اللهِ ﷺ. وكان فَصيحًا بلِيغًا وصَّافًا، وَصَفَ رسولَ اللهِ ﷺ فأَحْسَنَ وأَتْقَنَ وكَانَ يقُولُ: أنَا أَكْرمُ النّاسِ أبًا وأُمّا وأَخًا، أَبِي رسُولُ اللهِ ﷺ يعْنِي أَنّه رَبِيبُهُ وأَنّهُ ﷺ تزوَّجَ أُمَّهُ، وأُمّي خَديجَةُ وأَخِي القَاسِم وأُخْتِي فاطِمَة رَضِي الله عَنْهَا وعَنْهُمْ[1].

وشَهِدَ بدْرًا وقِيلَ: أُحُدا، ورَوَى عنْهُ الحسن بن عليّ فقَالَ: حَدَّثَنِي خالِي؛ لِأَنّهُ أخُو فَاطمةَ لِأُمِّهَا. قَالَ التجانِي[2]: الصَّحيحُ أنَّ الذِي مَاتَ فِي الطّاعُونِ ولَدُهُ واسْمُهُ هِنْد كَأَبِيهِ[3].

وكانتْ خدِيجَةُ بنتُ خوَيْلِد بنِ أَسَد بنِ عَبْدِ العُزَّى بنِ قُصَيّ بنِ كِلَاب القُرَيْشِيَّة الأَسَدِيَّة تُدْعَى في الجاهِلِيّةِ الطّاهِرَة. وأمُّهَا فاطمة بنت زائدة بن الأَصَمّ بنِ جنْدُب بنِ هرم بنِ روَاحَةَ بنِ حِجْر بنِ مَعِيص بنِ لُؤَي[4].

تزَوَّجَ رسُولُ اللهِ ﷺ خدِيجَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وعِشْرينَ سَنَةً، وقِيلَ: ثَلاثِينَ، وقالَ ابنُ جُرَيْج: لَهُ سبْعٌ وثَلاثُونَ سنَة، وقِيلَ: تِسْعٌ وعشْرُون، وقَدْ راهَقَ الثَّلاثين وخَدِيجةُ بنتُ أرْبعِينَ وقِيلَ: خَمْسٍ وأربَعِين وقِيلَ: ثلاثُونَ وقِيلَ: ثمَانٌ وعِشرُونَ وأقَامَتْ معَهُ أرْبَعًا وعشْرِينَ سَنَة[5].

زَوَّجَهَا أبُوها خُوَيْلد بنُ أَسَد[6]، ويُقَالُ: أخُوهَا عمْرو بنُ خُوَيلِد[7] وفِي "المُنْتَقَى": زَوَّجَهَا عمُّهَا عمْرو بنُ أسَد[8]. وعن الزُّهْرِيّ: قِيلَ لخويلد بن أسد وهُوَ ثَمِلٌ مِنَ الخَمرِ: هذَا ابْنُ أخِيكَ مُحمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ يخطُبُ خَدِيجةَ وقَدْ رَضِيَتْ. فدَعاهُ فسَأَلَهُ عنْ ذلِكَ، فخَطَبَ إلَيْه فأنْكَحَهُ، فخَلَّقَتْ[9] خديجَةُ أباهَا وحَلَّتْ عليْهِ حُلَّةً، ودَخَل رسُولُ اللهِ بِهَا، فلمَّا صَحَا مِنْ سَكرَتِه قال: ما هذَا الخَلُوقُ[10] وما هَذِهِ الحُلَّةُ؟ قالَتْ ابنَتُه أخْتُ خديجَةَ: هذِهِ حُلَّةٌ كسَاكَهَا ابنُ أخِيكَ مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ أنْكَحْتَه خدِيجَةَ ودَخَلَ بهَا فأَنْكَرَ، ثُمَّ صارَ إلَى أنْ سلَّم واسْتَحْيَى[11].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

(2) التجانِي: أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أحْمَد الأدِيب، لَهُ تحفة الْعَرُوس ونزهة النفوسُ، وله الوفا فِي شَرْح الشِّفا للقاضِي عياض. هدية العارفين، البابانِي، 141/2.

(3) الفقرة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، شرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 373/1.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

(5) (م، س)، 264/1.

(6) (م، س)، 264/1، عن ابن إسحاق، ينظر: سيرة ابن هشام، 190/1.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من السمط الثَّمِين، محب الدين الطبرِي، ص27. ينظر: سيرة ابن هشام، 643/2.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1. ينظر: الروض الأنف، 154/2.

(9) تخلَّق وخلَّقتُه طليْتهُ بالخَلوقِ، وهو الطِّيبُ. لسان العرب (خلق).

(10) الخَلُوقُ والخِلاقُ ضَرب من الطِّيب وقيل الزَّعْفران. لسان العرب (خلق).

(11) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1. ينظر: دلائل النبوة، البيهقِي، 85/1.

قال الواقِدِيّ: هذَا غَلَطٌ والصَّحيحُ عنْدَ أهْلِ العِلْمِ أنَّ عمَّهَا عمرُو بنُ أَسَدٍ زَوّجَهَا، وأَنَّ أباهَا ماتَ قَبْلَ الفُجَّار[1] الأخِيرِ. وهُوَ حَرْبٌ وقَعَتْ سنَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ أوْ خَمْسَ عشْرَةَ مِنْ مولِدِه ﷺ.

وعَن [136و] ابنِ عَبَّاسٍ: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ لخَدِيجةَ، فصَنَعَتْ طعَامًا وشَرابًا، وَدَعَتْ أباهَا ونَفَرًا مِنْ قُرَيشٍ، فطَعِمُوا وشَرِبُوا فَقَالَتْ خدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إنَّ مُحَمّدَ بنَ عبْدِ اللهِ يَخْطُبُنِي فزَوَّجَهَا إيّاه، فخَلَّقَتْهُ وألْبَسَتْهُ حُلَّةً، وكذَلِكَ كانُوا يَصْنَعونَ إذَا زَوَّجُوا نِسَاءَهُمْ[2].

وعنْ جابر بن سمرة أوْ غيْرِه: كانَتْ خَدِيجَةُ تَبْعَثُ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ بالشَّيْءِ يبْعَثُ بِهِ إلَى أبِيهَا حَتَّى يَرْغَبَ فِيهِ فيُزَوّجُهُ[3].

ويُروَى: أنّه حَضَرَ أبو طَالِبٍ ورُؤَساءُ مضَر، فخَطَبَ أبو طَالِب فقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي جعَلَنَا مِنْ ذُرّيّةِ إبْرَاهيمَ وزَرْعِ إسْماعِيلَ وضِيضِئِ مَعدٍّ وعُنْصُرِ مُضَر وجَعلَنَا، حَضَنَةَ بَيْتِه وسُوّاسَ حَرَمِهِ، وجَعَلَ لنَا بَيْتًا مَحْجُوبًا، وحَرَمًا آمِنًا وجَعَلنَا الحُكَّامَ علَى النّاسِ. ثُمَّ إنَّ ابنَ أخِي هذَا مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ لا يُوزَنُ بهِ رَجُلٌ مِنْ قَرْيتِهِ إلَّا رَجَحَ، وإنْ كانَ فِي المالِ قَلَّ، فإنَّ المالَ ظِلٌّ زائِلٌ، وأَمْرٌ حائِلٌ، ومُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عرَفْتُم قرَابَتَهُ، وقَدْ خطَبَ خدِيجَةَ بنتَ خُويلِد وبَذَلَ لهَا ما آجِلُه وعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كذَا، وهُوَ بعْدَ هذَا واللهِ لَهُ نَبَأٌ عَظيمٌ وخَطَرٌ جَلِيلٌ جسِيمٌ. فتَزَوّجَهَا رسُولُ اللهِ ﷺ[4].

ثُمَّ قالَ ورَقَةُ بنُ نوْفَل: الحَمْدُ للهِ الذِي جعَلَنَا كمَا ذَكَرْتَ، وفَضَّلنَا علَى ما عَدَدْتَ، فنَحنُ سادَةُ العَرَبِ وقادَتُها، وأَنتُمْ أهْلُ ذلِكَ كُلِّهِ، لا تُنْكِرُ العَشيرَة فضْلَكُم، ولَا يَرُدُّ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَخْرَكُم وشرَفَكُم، وقَدْ رَغِبْنَا في الاتّصَالِ بحَبْلِكُم وشَرَفِكمْ، فاشْهَدُوا عَلَيّ معَاشِرَ قُرَيْشٍ بِأَنّي قَدْ زَوّجْتُ خدِيجَةَ بنتَ خوَيْلِد بِمُحَمّد بنِ عَبْدِ اللهِ علَى أرْبَعِ مِئةِ دينَارٍ، فقَالَ أبُو طالِبٍ: وقَدْ أحْبَبْتُ أن يُشْرِكَكَ عمُّهَا، فقَالَ عمُّهَا: اشْهَدُوا عَلَيَّ يا مَعْشَرَ قُرَيْش أنّي قَدْ أنْكَحْتُ مُحَمَّدَ بنَ عبْدِ اللهِ خدِيجَةَ بنتَ خوَيْلِدَ وشَهِدَ على ذَلِكَ صنَادِيدُ قُرَيش[5].

وقَدْ تقَرَّرَ أنَّهُ أصْدَقَها عشْرِينَ بكَرَةً، ويُجْمَعُ بأنّهُ أَصْدَقَها أبُو طالِبٍ وزَادَ رسُولُ اللهِ ﷺ فِي صدَاقِهَا فكَانَ الكُلُّ صَدَاقًا واحِدًا[6]. أو عُدَّت العشْرُونَ لِلدّنَانيرِ ودَخَلَتْ بإصْداقِ أَبِي طَالِبٍ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من المنتَقَى.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، عن الدولابي. ينظر: مسند أحمد، حدِيث (2849).

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من السمط الثمين للمحب الطبرِي، ص30. ينظر: أطراف الغرائب والأفراد، المقدسي، حدِيث (1896).

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، عن ابن إسحاق. ينظر الخطبة فِي الكامل، المبرد، 4/4.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من المنتقى.

(6) (م، س)، 265/1.

وكذا ذَكَرَ الدّولابيّ وغَيْرُه: إنَّمَا ﷺ أصْدَقَ خدِيجَةَ اثْنَتَيْ عشْرَةَ أُوقِيَةً ذَهَبًا[1] أو تَقَدَّمَ صدَاقُ رَسولِ اللهِ ﷺ وزَادَ أبُو طَالِبٍ، أوْ عَدَّهُ فيمَا أَصْدَقَهُ.

ولَمَّا تزَوّجها ذهَبَ ليَخْرُجَ فقَالَتْ له خَدِيجَةُ: إلى أَيْنَ يَا مُحَمّد؟ اذْهَبْ وانْحَرْ جَزورًا أوْ جزُورَيْن وأَطْعِمِ النَّاسَ ففَعَلَ ذَلكَ ﷺ [136ظ] وهِيَ أَوَّلُ وَلِيمَةٍ أَوْلَمَها رسُولُ اللهِ ﷺ[2].

وأمَرَتْ خدِيجَةُ جوَارِيها أنْ يَرْقُصْنَ ويضْرِبْنَ بالدّفُوفِ وقالَتْ: يا مُحَمَّد، مُرْ عمّكَ أبَا طالِبٍ بِنَحْرِ بَكَرة مِنْ بَكَرَاتِكَ وأطْعِمِ النَّاسَ علَى البَابِ، وهَلُمَّ وقِلْ مَعَ أَهْلِكَ، فأَطْعَمَ النّاسَ، ودَخلَ رسُولُ اللهِ ﷺ فقَالَ معَ أَهْلِهِ خدِيجَةَ، فَأَقَرَّ اللهُ عيْنَهُ، وفَرِحَ أبُو طَالِبٍ فرَحًا شَديدًا وقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي أذْهَبَ عنَّا الكُروبَ ودَفَعَ عنّا الهُمومَ، وعَاشَتْ خدِيجَةُ بعْدَ النّكاحِ أرْبَعًا وعِشْرينَ سَنَةً وخَمْسَةَ أشْهُر وثَمَانِيَة أيَّامٍ وقِيلَ: خَمْسَ عَشرَةَ سنَةً قَبْلَ الوَحْيِ والبَاقِي بَعْدَهُ[3].

وفي بَعْضِ السِّيَرِ: إنّه لَمّا بلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ اثْنَتَيْ عشْرَةَ سَنَةً عنْدَ الأَكْثرِ، أوْ تِسْعَ سِنينَ عنْدَ الطَّبَرِيّ وغَيْرِهِ، أو ثَلَاثَ عشْرَةَ وحكَاهُ ابنُ عَبْدِ البَرّ، أو اثْنَتَيْ عشْرَةَ وشَهْرَيْنِ وعَشَرَةَ أيَّامٍ أوْ وَشَهْرًا، ويُمْكِنُ حَمْلُ الأَوَّلِ علَيْهِ، بأنَّ المرادَ وما قَارَبَها، خَرَجَ معَ عَمّهِ أبِي طَالِبٍ إلَى الشَّامِ حَتَّى بلَغَ بُصرَى، بضَمّ الباءِ وهِيَ مدِينَة حوران، فُتِحَتْ صُلْحًا لِخَمْسٍ بقِينَ مِنْ رَبِيعِ الأَوّلِ سنَةَ ثلَاثَ عَشْرَةَ، وهِيَ أَوَّلُ مدِينَةٍ فتِحَتْ بالشَّامِ، ورَدَهَا رسُولُ اللهِ ﷺ مرَّتَينِ، فرَآهُ بَحِيرَى، واسْمُهُ جِرجيس بِكَسْر الجِيمَيْنِ، ويُرْوَى بإِسْقاطِ اليَاءِ، وبَحِيرى: حَبر يَهُودِ تيما، وفِي "مروج الذّهب"[4]: أَنَّه نَصْرَانيّ مِنْ عَبْدِ القَيْس[5].

وفي روايَةٍ: فلمَّا قالوا لَهُ: إنّ الغُلامَ في رِحالِنَا أو إِبِلِنَا قالَ: ادْعُوهُ أُرْسلْ مَنْ يَحْفَظُ لَكُم مالَكُمْ.

ويُجْمَع بيْنَ رِوايَةِ تَخْليفِهِ ﷺ في رِحالِهِمْ، ورِوايَةِ تخْلِيفِهِ لرِعَايَةِ الإِبِلِ عِنْدِي بِقُرْبِ مَوْضِعِ الرّعْيِ منْ رِحالِهِمْ، وهَذا أَوْلَى مِنْ تَقْديمِ بعْضِهِمْ روَايَة رِعايَةِ الإِبِلِ لِصِحّتِهَا بِخِلافِ تَخَلُّفِهِ فِي الرّحَالِ فإنّه مُعْضَل. ويحْتَملُ أنّهُ صَنَعَ لهُم الطّعامَ مَرّتَيْنِ، مَرّةً خلَّفُوهُ في رِحالِهِمْ ومَرَّةً في رَعْيِ الإِبِلِ، وهذَا دُونَ ما ذَكَرْتُ أوَّلًا، وهُما أَفْضَلُ مِنَ الوَجْهِ الثَّاني؛ لِأَنّ فِيهِمَا العَمَلَ بالرّوايَتَيْن.

---

(1) (م، س)، 265/1.

(2) (م، س)، 265/1، نقلا من المنتقى.

(3) تاريخ الخميس، الديار بكري، 264/1، نقلا من المنتقى.

(4) سَبقت ترجمته، مروج الذهب، المسعودي، 75/1.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 362/1.

وفي رِوايَة: أنّ بَحِيرَى قال لِرَسولِ اللهِ ﷺ في سَفَرِهِ في تِجَارَةِ خدِيجَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا: قَدْ عرَفْتُ العلَامَاتِ فيكَ كُلَّها إلاَّ خاتَمَ النُّبوءَةِ، فاكْشِفْ لِي عنْ ظَهْرِكَ، فكَشَفَ لَهُ عنْهُ فرآه فقَالَ: أشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأشهَدُ أنّكَ رسُولُ اللهِ، النَّبِيءُ الأمّيّ الذِي بَشّرَ بِهِ عيسَى بنُ مرْيَمَ[1].

وإنْ قُلْتَ: قَدْ رأَى الخَاتَمَ حِينَ سافَرَ رسولُ اللهِ ﷺ معَ عَمّهِ، فكَيْفَ يقُولُ فِي السَّفَرِ بَعْدَ ذَلِكَ في تِجَارَةِ خدِيجَةَ [137و] إنّه بَقِيَ لِي الخاتَمُ؟

قلْتُ: يَحْتَمِلُ أنّهُ نَسِيَ رُؤْيَتَه أوَّلًا، وأنَّهُ أرَادَ أنَّهُ رأَيْتُ العلَامَةَ كُلّهَا الآنَ، وأُرِيدُ أن أنْظُرَ الآن ما رَأَيتُ أَوَّلًا مِن الخَاتَمِ إذا كان مَسْتُورًا، أو أَرادَ أَنْ .....[2] علَيْهِ، أوْ تَرَدَّدَ فِي أنَّهُ الخَاتَمُ فأَرَادَ التَّثَبُّتَ.

وفي رِوايَةٍ: أنّ بَحِيرا بيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ علَى أبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ، ينُاشِدُهُمْ أنْ لَا يَذْهبُوا بِهِ إلَى الرّومِ، فإنَّ الرُّوم إنْ عَرَفُوهُ بالصِّفةِ قَتَلُوهُ، فَالْتَفَتَ فإذَا سَبْعَةٌ قَدْ أقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُم بَحِيرَا وقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فقَالُوا: إنَّ هذَا النَّبِيءَ الذِي بُشِّرَ بِهِ فِي كُتُبِنا خَارِجٌ فِي هذَا الشَّهرِ؛ أيْ: إلَى السَّفَرِ لا إلَى النّبُوءةِ؛ لأَنَّهُ ليْسَ فِي سِنِّ النُّبُوءةِ، فلَمْ يبْقَ طَرِيقٌ إلَّا بَعَثَ مَلِكُهُم بأُناسٍ إلَيْهِ وإنَّا مُنْذُ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بُعِثْنا إلَى طرِيقِكَ هذَا، فَقالَ: هلْ خَلْفَكُمْ أحَدٌ هُوَ خَيْرٌ منْكُمْ؟ قالُوا: إنَّما أُخْبِرْنَا خبَرَهُ بطَرِيقِكَ هَذَا. قالَ: أفَرَأَيْتُم أمْرًا أرَادَ اللهُ أنْ يَقْضِيَه هَلْ يسْتَطِيعُ أَحَدٌ رَدَّهُ؟ قالُوا: لا، فبَايعُوهُ وأقَامُوا معَهُ[3].

أيْ: بايَعُوا بَحِيرى علَى أنْ لَا يأْخُذُوا النَّبيءَ ﷺ ولَا يُؤذُوهُ علَى حَسَبِ ما أُرْسِلوا بِهِ، وإنّمَا أقَامُوا معَ بَحِيرَى خَوْفًا علَى أنْفُسِهِمْ إذَا رَجَعُوا بِدُونِهِ.

وفي حَدِيثِ البَيْهَقِيّ[4] وأَبِي نعَيْمٍ أنَّ الغَمَامَةَ التِي أظَلَّتْهُ ﷺ بيْضَاء[5].

وعن الوَاقِدِيّ: أنّهُ ﷺ لَمَّا فارَقَ تلكَ الشّجَرَة انْقَلَعتْ مِنْ أصْلِها لِفِراقِهِ[6].

والذِي عنْدِي أنّ بَحيرَى سَأَلَ رسُولَ اللهِ ﷺ باللَّاتِ والعُزَّى اخْتِبارًا لَهُ، ثُمَّ رأَيْتُه فِي "الشّفَاءِ"[7] لابن سبع[8] مِنَ المالكيّة، وهُوَ أَوْلَى مِنْ قَوْلِ ابْنِ إسْحاق: لِأَنّهُ سَمِع قَوْمَهُ ﷺ يَحْلفُون بِهِمَا، وكذَلِكَ

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، 476/1، نقلا من: شرف المصطفى لأبِي سعيد النيسابورِي.

(2) كلمة غير واضحة لعلها: يكشِفَ.

(3) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 5/3.

(4) دلائل النبوة، البيهقِي، 27/2.

(5) المواهب اللدنية، القسطلانِي، 188/1، ولم أجد لفظ "بيضاء" فِي دلائل النبوة لأبِي نعِيم الأصفهانِي.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 367/1.

(7) العنوان الكامل: شفاء الصدور في إعلام نبوة الرسول وخصائصه.

(8) أبو الربيع سليمان بن سبع السّبتِي، ينظر ترجمته فِي: أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه: أبو الربيع سليمان ابن سبع السبتي -1-، مجلة دعوة الحق، ع200. الموقع الالكتروني: http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5146.

أظَلَّتْهُ الغَمامَةُ فِي بَنِي سَعْدٍ، إذا سَارَ سَارَتْ وإذَا وَقَفَ وقَفَتْ في وَقْتِ الظّهيرَة، كمَا أَخْبَرَتْ بهِ الشَّيْماءُ بنْتُ حَليمَةَ، بفتْحِ الحَاءِ، أخْتُهُ مِن الرَّضاعِ.

وذَكَرَ الزَّرْكَشِيّ[1] عنْ بَعْضٍ: إنّه كَانَ ﷺ معْتَدِلَ الحرَارَةِ والبُرودَةِ، ولَا يُحِسّ بالحَرّ ولَا بالبَرْدِ، وإنَّهُ كانَ في ظِلّ غَمامَةٍ ناشِئَةٍ مِن اعتِدَالِه[2] كأنّها أخَذَتْ مِنْه، والقَصْدُ المبَالَغَةُ في كَمالِهِ حتَّى صَلُحَ لِأَنْ تأْخُذَ الغمَامَةُ منْهُ ثُمّ تُظِلّه، فلَا يعْترضُ علَيْهِ بأَنَّ كلامَهُ يقْتَضِي أنَّهُ تَمْثِيلٌ، فيُخَالِفُ ما شُوهِدَ مِنْ تظْلِيلِ الغمَامةِ. أوْ "مِنْ" بِمعْنَى إلَى؛ أيْ: إلى كمَالِ اعتِدالِهِ بالنُّبوءَة دونَ ما بعْدَهَا، أو المعْنَى أنَّها ظَلّلَتْهُ لكَمالِ الاعتدَالِ فيهِ إكْرامًا لَهُ لا لِاحْتِياجِهِ ﷺ إلَيْهَا[3].

[137ظ] قُلْت: كذَا قِيلَ وهُوَ بعِيدٌ معَ أَنّه ينَافِيهِ ما جَاءَ فِي الحدِيثِ أنّهُ ﷺ كانَ يُحِسّ بالحَرّ والبَردِ، كمَا رَوَى البُخارِي أنّهُ ظَلَّلَه أبُو بَكْرٍ في الْهِجْرةِ حِينَ أصابَتْه الشّمْسُ[4]، وكمَا رَوَى هُو أَنَّه ﷺ كان بالجعرانِيَّة وعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَظَلَّ بِهِ[5]، وفِي حدِيثِ ابنِ مَنْدَةَ والبَيْهَقِيّ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**لَا نَصْبِرُ علَى حَرّ ولَا بَرْدٍ**))[6] ورَوَى أَحْمَدُ ((**أَنَّهُ ﷺ وضَعَ يَدَهُ فِي طَعَامٍ حَارٍّ فاحْتَرَقَتْ أصَابِعُهُ فقَالَ: حس**))[7] وما تَقَدَّمَ مِنْ أنّ أبَا بكْرٍ دُونَ رسُولِ اللهِ بعَامَيْنِ، وهُوَ قَوْلُ الجُمهُورِ. ورَوَى حبيب بن الشّهيد عنْ ميْمون بن مهران عَنْ يزيد بن الأصمّ مُرْسَلًا: أَنَّهُ ﷺ قال لِأَبِي بَكْرٍ: ((**مَنْ أَكْبَرُ أنَا أَمْ أَنْتَ؟ فقَالَ: أنْتَ أكْرَمُ وأَكْبَرُ وخَيْرٌ مِنّي، وأنَا أَسَنُّ مِنْكَ**))[8][9].

قال أبُو عَمْرو بن عبد البرّ: لَا نَعْرِفُ هذَا إلَّا بِهَذَا الإسنَادِ، وأحْسِبُهُ وَهمًا لِقَوْلِ جُمْهُورِ أَهْلِ العِلْمِ بالأَخْبَارِ والسِّيَرِ والآثارِ: إنَّ أبَا بَكْرٍ اسْتَوْفَى بِمُدَّةِ خلَافَتِهِ سِنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ[10].

وفِي رِوايَةٍ: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ مَضَى إلَى رَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَى، يسْأَلُهُ عنْ شَيْءٍ فقالَ لَهُ: مَنْ ذَلِكَ الرَّجلُ الذِي فِي ظِلّ الشَّجَرَة؟ قال: هُوَ مُحَمّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ. قالَ بَحِيرَى: هُوَ واللهِ نَبِيءٌ، مااسْتَظَلَّ تَحْتَهَا بَعْدَ عِيسَى عليه السلام إلاَّ مُحَمّد. عَلِمَ ذلِكَ مِنْ رُؤْيتِهِمْ لهُ فِي

---

(1) بدر الدين الزركشِي.

(2) المواهب اللدنية، القسطلاني، 1/ 189.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 368.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (3906).

(5) (م، س)، حدِيث (1536).

(6) شعب الإيمان، البيْهقِي، حدِيث (5517) وفِيه: ونصبر على برد.

(7) مسند أحمد، حدِيث (27316).

(8) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ، ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، 1614/4، وفتح البارِي، ابن حجر، 251/7.

(9) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 368-369.

(10) الاستيعاب، ابن عبد البر، 1614/4. شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 369.

كُتُبِهِمْ أوْ بِقرَائِن قَوِيَّةٍ، ووَقَعَ فِي قَلْبِ أبِي بَكْرٍ التَّصْديقُ، فلَمَّا بُعثَ النّبِيءُ ﷺ اتّبَعهُ سَرِيعًا لذَلكَ ولَمَّا انضَمَّ إلَيْهِ[1]. قالَ ابنُ حَجَر: إنْ صحَّتْ هذِهِ القِصّةُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، أوْ بوُرُودِهَا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ فَهِيَ سَفْرَةٌ أخرَى بعْدَ سَفْرَةِ أبِي طالِبٍ[2]، وفِي كلامِهِ هذَا تَوهِينُ ما مَرّ عنْ بعْضٍ أنَّ هذَا السَّفَرَ هُو الذِي كانَ معَ أبِي طَالِبٍ، فإنّ أبَا بَكْرٍ حِينَئِذٍ لَمْ يكُنْ معَهُ، وذَلِكَ لِلْاتّفاقِ علَى أنَّهُ في ذَلِكَ السَّفَرِ ما بَلَغَ هذَا السِّنَّ ولَا قارَبَهُ، فإنّ غايَةَ ما قِيلَ إنّهُ كانَ فِي الثّالِثَةَ عَشَر[3].

ثُمّ إنّهُ في بَعْضِ الرّوَاياتِ يُذْكر نسطور، وفي بعْضِهَا بَحِيرَا، ولَعَلَّ أحَدَهُمَا فِي السَّفْرَةِ الأُولَى، والآخَرَ في الثَّانيَةِ.

وتقَدَّمَ الكلَامُ في ميسرةَ، غُلَامِ خَدِيجةَ أهُوَ صَحَابِيّ، وفِي بَعْضِ الكُتُبِ أنّهُ عاشَ إلَى البِعْثَةِ وأَسْلَمَ. قالَ ابن حجر: تَثْبُتُ الصُّحْبَةُ بالتّواتُرِ والاسْتِفاضَةِ، أو الشُّهْرَةِ أو بِإخْبارِ بعضِ الصَّحَابة أو بَعْضِ ثِقاتِ التَّابعِينَ، أو بِإخبَارِهِ عنْ نفْسِهِ بأنَّه صَحَابِيّ إذَا دَخَلَ [138و] تَحْتَ الإمكَانِ[4].

قُلْتُ: لَا يُقْبَلُ الأَخِيرُ، ولَعَلَّه أرَادَ أنْ يُقْبَلَ إذا شُوهِدَ منْه الوَرَعُ وصَدَقَ.

والمشْهُورُ أنَّهُ ﷺ بلَغَ سُوقَ بُصرى وكانَت القِصَّةُ.

وقِيل: سوق حباشة بتِهَامَة، وأَنّهُ نَزَلَ نسطور مِنْ صوْمَعَتِه وقالَ: ما نَزلَ تَحْتَ هذِهِ الشَّجَرَةِ إلَّا نَبِيءٌ. وفِي روَايَة: ما نَزَلَ تَحْتهَا قَطُّ إلَّا نَبِيءٌ، وفي رِوايَةٍ: بعْدَ عِيسَى[5].

ولَعَلَّ بَحِيرَى فيها فِي السّفْرَةِ الأُولَى ونسْطُورُ فِي الثَّانِيَة[6].

وتِهَامة بكسر التَّاءِ: ما نَزَل عن نَجْدٍ إلى بِلادِ الحِجازِ ومَكَّةُ مِنْ تِهَامَة[7]؛ سُمِّيَتْ مِنَ التَّهَم بفَتْحَتَيْن؛ وهُوَ شِدّةُ الحَرّ ورُكُودُ الرِّيحِ[8]، وقيلَ: لِتَغُيّر هَوائِهَا ويقَالُ: تَهِم الدّهْنُ إذَا تَغَيَّر[9]. وحُباشَة بالضَّمّ: سوقُ تِهامَةَ القَدِيمُ، ونسطور بفَتْحٍ فإسْكانٍ ولَا أَلِفَ بعدَ الرّاءِ، ويُرْوَى أيْضًا بأَلِفٍ بعْدَهَا مقْصُورَةٍ، والكَلامُ في صُحْبَتِهِ كالكَلَامِ في بَحِيرَى، ولَمْ أَطّلِعْ أنَّ أحَدًا قالَ: عاشَ إلَى البِعْثَةِ، ولَفْظُ "قَطُّ" صرِيحٌ في أَنَّه لَمْ ينْزِلْ تَحْتَ الشّجرَةِ مِنْ حِينِ صَلُحَتْ للنُّزولِ تحْتَهَا بَعدَ وُجودِهَا، إلَّا الأَنْبِئاءُ

(1) عبارة غير مفهومة.
(2) الإصابة، ابن حجر، 476/1.
(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 369.
(4) الإصابة، ابن حجر، 15/1.
(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371.
(6) العِبارة أضافها المؤلف في الهامِشِ.
(7) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371.
(8) (م، س)، 1/ 371، نقلا من ابن فارس، مقاييس اللغة (تهم).
(9) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371، نقلا من المطالع، ابن قرقول، 44/2.

قبْلَ عِيسَى إنْ كانَتْ قبْلَهُ، ونَزَلَهَا عِيسَى ورسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِمَا وسَلَّمَ ويُصَرّحُ بذَلِكَ نَصًّا رِوايَةُ: ما نَزَلَهَا بَعْدَ عِيسَى إلَّا نَبِيءٌ.

وقِيلَ: المعْنَى ما نَزَلَها فِي هذِهِ السَّاعةِ إلَّا نَبِيءٌ، بِمَعْنَى أَنَّ الذِي تَحْتَها الآنَ ما هُوَ إلَّا نَبِيءٌ.

قال السُّهيْلِيّ: يُرِيدُ ما نَزل تحتَهَا هذِهِ السَّاعَةَ، ولَمْ يُرِدْ ما نَزَلَ تَحْتَهَا قَطُّ إلَّا نَبيءٌ، لبُعدِ العهْدِ بالأنْبِئاءِ قبْلَ ذلِكَ، وإنْ كانَ فِي لفْظِهِ "قَطُّ" فقَدْ تَكَلَّمَ بِهَا علَى جِهَةِ التَّوكيدِ لِلنَّفْيِ، والشَّجَرُ لا يُعَمِّرُ في العَادةِ هذَا العُمرَ الطّويلَ، حَتّى يُدْرَى أَنَّهُ لَمْ يَنْزِل تحْتَهَا إلَّا عِيسَى أوْ غَيْرُهُ منَ الأَنبئَاءِ. ويَبْعُدُ في العادَةِ أيْضًا أنْ تَخْلُوَ شَجَرَةٌ مِنْ نُزُولِ أَحَدٍ تَحْتَهَا حَتّى يَجِيءَ نَبِيءٌ، إلَّا أنْ تَصِحَّ رِوَايَةُ مَنْ قالَ في هذَا الحَدِيثِ: أحَدٌ بَعْدَ عيسَى بنِ مرْيمَ، وهِيَ رِوايَةٌ عنْ غيْرِ ابْنِ إسْحَاق، فالشَّجرَةُ علَى هذا مَخْصُوصَةٌ بهَذِهِ الآيَة. ا.هـ كلَامُ السُّهيْلِيّ[1].

وأَقَرّهُ مغلطاي والبُرْهَانُ، وتعَقَّبَهُ العزّ بن جماعة أَنَّهُ مُجَرَّدُ استِبْعَادٍ لا دَلَالَةَ فِيهِ علَى امْتِناعٍ ولا اسْتِحالَةٍ، وبأَنّهُ استِبْعَادٌ يعارِضُهُ ظَاهِرُ الخَبَرِ، وكَوْن متَعَلّقَاتِ الأَنْبئاءِ مَظَنَّةُ خَرْقِ العَادةِ، فلَا يكُونُ ذلِكَ ما ذَكَرَ مِنْ طولِ البَقَاءِ، وصَرْفِ غيْرِ الأَنبئَاءِ مِنَ النُّزولِ تَحْتَها بَعيدًا وذَلِكَ واضِحٌ. ا.هـ[2]

وأَيّدَ هذَا بِمَا ذكَرَهُ أبو سَعيد فِي "الشَّرَفِ": أنَّ الرَّاهِبَ دنَا إِلَيْه ﷺ وقَبَّلَ رأْسَه وقَدَمَيْهِ وقَالَ: آمَنْتُ [138ظ] بِكَ، وأنا أَشْهَدُ أنّكَ الذِي ذكَرَ اللهُ في التَّورَاةِ. فلَمّا رأَى الخاتَمَ قبَّلَهُ وقال: أشْهَدُ أنّكَ رسُولُ اللهِ، النَّبيءُ الأُمّيُّ الذي بَشّر به عيسى فإنّه قال: لا ينْزِلُ بعدي تَحتَ هذه الشّجرَةِ إلّا النّبِيءُ الهاشِميّ العَرَبيّ المكّيّ، صاحِبُ الحوْض والشّفاعَة ولِواءِ الحَمْدِ[3].

ثُمّ إنّهم اختَلفُوا في اسْمِ أبي هالةَ زَوْجِ خدِيجَةَ رضِيَ الله عَنْهَا قَبْلَ النَّبِيءِ ﷺ، فقَالَ الزُّبَيْر بنُ بَكّار والدّارقطني: اسْمُهُ مالِك وبِه صدرَ ابْنُ حَجَر وقِيلَ: زرارَةُ حكَاهُ السُّهَيْلِيّ وابنُ مَنْدَة قَبْلَهُ، وقِيلَ: هنْدُ وجَزَمَ بِهِ العسكريّ[4]، واقْتَصَرَ علَيْهِ في "العُيُونِ"، وصدر بِهِ السُّهيْلِيّ، وقِيلَ: النّبّاش، وجَزَمَ بِهِ أبو عبيْد، ومَاتَ أبو هالة فِي الجَاهِلِيَّة[5].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371، الروض الأنف، السهيلي، 2/151-152.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371-372.

(3) (م، س)، 1/ 371.

(4) العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل ت: 382هـ، صاحب الزواجر والمواعِظ وغيره. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، 16/413.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 373.

ووَلَدتْ لَهُ هالَةَ وهِنْدا، أَمّا هِنْد فتَقَدّمَ أَنّه صَحَابِيّ، وأَمَّا هَالَة فقَالَ أَبُو عَمْرو ابنُ عَبْدِ البَرّ: لَه صُحْبَة[1]. قالَ المستغفريّ[2] بسَنَدِه عنْ عائِشَةَ: ((**قَدِمَ ابنٌ لِخَدِيجةَ يُقالُ لَهُ هَالة والنَّبِيءُ ﷺ قائِلٌ فسَمِعَهُ فقَالَ: هَالَة هالَة هَالَة**))[3].

وأَخْرَجَ الطَّبَرَانِي عنْ هالَة بنِ أَبِي هالَةَ: ((**أَنّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ راقِدٌ فاسْتَيْقَظَ فضَمَّ هالَةَ إِلَى صَدْرِهِ وقَالَ: هالَة هَالَة هَالَة**))[4].

هذَا مَعْنَى قَوْلِه فِي الحَدِيثِ السَّابق: "وهُوَ قَائِلٌ".

وهِندُ وهَالَة ذَكَرَانِ، خلَافًا لِمَنْ وَهِمَ، فزَعَمَ أَنَّ هَالَةَ أُنْثَى[5].

وتَقَدّم أَنَّهُ بعْدَ أنْ ماتَ أَبُو هالَةَ تَزَوَّجَهَا عَتِيقُ بنُ عَائِذ، وهُوَ بالهَمْزَةِ فِيمَا يُظَنُّ ودَالٌ مهْمَلَةٌ، وَصَرّحَ فِي "الإِكْمالِ" أَنَّه بالبَاءِ الموَحَّدَةِ والدَّالِ المهْمَلَة[6]، قالَ اليعمريّ[7]: وهُوَ الصَّوَابُ[8].

وصَرّحَ ابن الأثير أَنَّهُ بِهَمْزَةٍ ودَالٍ معْجَمَةٍ[9]، فردَّ بأَنَّهُ عَتِيقُ بنُ عَابِد بنِ عبْدِ اللهِ بنِ عُمَر بنِ مَخْزُوم، وهذَا بالموَحَّدَةِ قَطْعًا عنْدَهُ[10]، فصَرَّحَ الزُّبَيْرُ بنُ بَكّار بِأَنَّهُ مَنْ كانَ مِنْ وَلَدِ عمر بن مخزوم فهُوَ عابِد، بِموَحَّدَةٍ ودَالٍ مُهْمَلَةٍ، ومَنْ كانَ مِنْ ولَدِ أَخِيهِ عمران بن مخزوم فعَائِذ، بِهَمْزَة فذَالٌ مُعْجَمَة[11].

ووَلَدَتْ خدِيجَةُ لِعَتِيق هِنْدًا، وهِيَ امْرَأَةٌ أَسْلَمَتْ وصَحِبَتْ ولَمْ تَرْوِ شَيْئًا، قالَهُ الدَّارَقُطْنِيّ. وهِنْد هَذِهِ أُمُّ محمّد بن صفي المخزوميّ، ويُقَالُ لوَلَدِ مُحَمَّد هذَا بنُو الطَّاهِرَة لمَكَانِ خَدِيجَةَ[12].

ومَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ عَتِيقًا تزوَّجَهَا بعْدَ أَبِي هَالَةَ، هُوَ ما نَسَبَهُ ابنُ عَبْدِ البَرّ لِلْأَكْثَرِ[13].

---

(1) الاستيعاب، ابن عبد البر، 1547/4.

(2) المستغفرِي: جعفر بن محمد بن المعتز النسفي (أبو العباس) محدث، مؤرخ. رحل إلى خراسان، وتوفي بنسف سنة 432هـ. من تصانيفه: معرفة الصحابة، دلائل النبوة، فضائل القرآن تاريخ نسف، والشمائل. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 564/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 498/1.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 4/ 364.

(4) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (3794).

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 4/ 364.

(6) الإكمال، ابن ماكولا، 1/6.

(7) اليعمرِي: محمد بن محمد بن محمد الأندلسي، المصري، الشافعي المعروف بابن سيد الناس، محدث، ومؤرخ، وفقيه، أخذ الحديث على والده وابن دقيق العيد ولازمه سنين كثيرة، ت: 734هـ، من تصانيفه: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ثم اختصره وسماه نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون. طبقات الشافعية، السبكِي، 268/9، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 673/3.

(8) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 373.

(9) جامع الأصول، ابن الأثِير، 96/12.

(10) أسد الغابة، ابن الأثِير، ص1502.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 374، نقلا من الإكمال، ابن ماكولا، 1/6، وغيره.

(12) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 374.

(13) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، 4/ 1817.

وقالَ قتَادَةُ والزُّهْرِيّ وابن إسحاق فِي رِوايَةِ [139و] يونُس: تَزَوّجَهَا عَتِيقُ بنُ عَائِذ، وهِيَ بِكْرٌ لَمْ تَتَزَوَّجْ قبْلَهُ ومَاتَ وتزَوَّجهَا بعْدَهُ أبو هَالةَ، واقْتَصرَ علَيْهِ ابنُ حَجَر[1].

والصّحِيحُ أنَّ خديجَةَ بِفَتْحِ الخَاءِ عَرَضَتْ نفْسَهَا علَى النَّبِيءِ ﷺ بِواسِطَةٍ، وقالَ ابن إسحاق بنَفْسِهَا. قالَتْ: يا ابْنَ عَمّ إنّي قَدْ رَغبْتُ فِيكَ لقَرابتِكَ وسطَتِكَ فِي قَوْمكَ، وأَمانَتِكَ وحُسْنِ خُلُقِك وصِدْقِ حَدِيثِكَ[2].

ويُجْمَعُ بأَنّهَا دَسَّتْ إلَيْهِ نَفِيسةَ أَوَّلًا؛ لِتَعْلَمَ هَلْ يَرْضَى، فلَمَّا علِمَتْ برِضاهُ كَلّمَتْهُ بنَفْسِها[3].

وسَببُ عرْضِهَا نَفْسَها وطَلَبِهَا ما حدَّثَهَا بهِ ميْسَرَةُ، ومَا رَأَتْ وما سَمِعَتْ، ونَاسَبَهَا قَرابَتُهُ وخِصالُه الحَمِيدَةُ.

وكان لِنساءِ قُرَيشٍ عِيدٌ يَجْتَمعْنَ فيهِ فاجْتَمعْنَ فيهِ يوْمًا فجاءَهُنَّ يهُودِيّ فقَالَ: يا مَعشرَ نسَاءِ قُرَيْشٍ، يُوشِكُ أنْ يَظهَرَ فِيكُنَّ نَبِيءٌ، فَأَيَّتُكُنَّ استَطَاعَتْ أنْ تكُونَ فِراشًا لهُ فلْتَفعَلْ، فحَصبْنهُ[4] وقبَّحْنهُ وأغْلَظْنَ لهُ، وأغْضَتْ خدِيجَةُ ولَمْ تَفعَلْ ذلِكَ كمَا فعَلْنَ[5]، ووَقَرَ ذلكَ فِي نفْسِهَا. ولَمّا أخبرَهَا مَيسَرَةُ بمَا رَآه ومَا سَمِع مَعَ مَا عَلِمتْ هِيَ قالَتْ: إنْ كانَ مَا قالَ اليَهُودِيّ حقًّا فمَا هُوَ إلَّا مُحَمَّد[6].

واخْتُلِفَ فيمَنْ حضَرَ عقْدَ النّكَاحِ مِنْ أعمامِهِ ﷺ فقِيلَ: حَمزَةُ وعَليهِ ابنُ إسْحَاق[7]. وقَالَ السُّهَيْلِيّ عنِ المبرّد: إنَّ أبَا طَالِبٍ هوَ الذِي نَهَضَ معَ النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ الذِي خَطَبَ خُطْبَةَ النِّكاحِ[8]. ويُجْمَعُ بأَنَّهمَا خرَجَا مَعَهُ جَميعًا، والذِي خَطَبَ أبُو طالِبٍ؛ لأَنَّهُ أسَنُّ مِنْ حَمْزَةَ[9].

ويُروَى: أَنَّه دخَلَ علَى أبِيهَا خُوَيْلِد فخَطَبَهَا لِلنَّبِيءِ فتَزَوَّجَهَا[10].

ويُروَى: أَنَّها قالَتْ للنَّبِيءِ ﷺ: اذْهَبْ إلَى عَمّكَ وقُلْ لَهُ: عَجِّلْ إلَيْنَا بالغَدَاةِ ولمَّا جَاءَ قالَتْ: يا أبَا طَالِبٍ ادْخُلْ عَلَى عَمّي فقُلْ لَهُ يُزَوّجْنِي مِن ابْنِ أخِيكَ قَالَ: هَذَا صُنْعُ اللهِ[11].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 374.

(2) (م، س)، 1/ 374، وينظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق، 129/1.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375.

(4) حصبنه: رمينه بالحصباء، كما في شرح المواهب.

(5) ينظَر القصَّة فِي: الطبقات الكبِير، ابن سعد، 16/10.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375، نقلا من المبتدأ لابن إسحاق، وينظَر: الطبقات الكبِير، ابن سعد، 16/10.

(7) السيرة النبوية، ابن إسحاق، 130/1.

(8) الروض الأنف، السهيلي، 154/2.

(9) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375.

(10) أي: عمه حمزة، المواهب اللدنية، القسطلاني، 76/2.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375، نقلا من شرف المصطفَى لأبِي سعيد.

ورُوِيَ: أَنَّهُ ﷺ قالَ لِشرِيكِهِ الذِي كانَ يَتَّجِرُ معهُ في مَالِ خدِيجَةَ: هَلُمّ فلنَتَحَدَّثْ عِنْدَ خدِيجَةَ، وكانَتْ تُكْرِمهُمَا وتُتْحِفُهُمَا، ولَمّا قامَا مِنْ عنْدِهَا جاءَت امْرَأَةٌ فقالَتْ لهُ: جِئْتَ خَاطِبًا يا مُحَمَّد؟ قالَ: كَلَّا، قالت: ولِمَ يا مُحَمَّد؟ واللهِ ما فِي قُرَيْشٍ امْرَأَةٌ، وإِنْ كَانَتْ خَدِيجَةُ، إِلَّا تَرَاكَ كُفْؤًا لَها، فرَجَعَ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ فِي حِينِهَا خاطِبًا لَهَا مُسْتَحْيِيًا مِنْهَا[1].

وكانَت الخطْبَةُ [139ظ] وفيها[2]: إِنَّ اللهَ جعَلَنَا مِنْ زَرْعِ إِسْمَاعِيلَ، وعَبَّرَ بالزَّرْعِ فِيه لأَنَّهُ هُوَ الذي تزوَّجَ العَرَبِيَّة التي كَانَ ﷺ مِنْ نسْلِهَا. هذَا ما عِنْدِي وهُوَ أَوْلَى مِمَّا قِيلَ: المرادُ الذُّرِّيةُ، وعَبَّرَ بِهِ تَفَنُّنًا خُروجًا عَنِ التَّكْرِيرِ، إِذْ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ ﷻ جعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ.

وفِيهَا: ضِئْضِئ مَعَدٍّ بكَسْرِ الضَّادَيْنِ بعْدَ الأُولَى هَمْزَةٌ ساكِنَةٌ، أَوْ بِوَزْنِ "قِنْدِيل" بيَاءٍ قبْلَ الهَمْزَة الأَخيرَةِ، أو هُدْهُدْ أَوْ ضُئْضُوء كسُرْسُور ويُقَالُ أَيْضًا: بصَادَيْنِ ويُقالُ: بسِينَيْنِ والمَعْنَى فِي ذلِكَ كلِّهِ الأَصْلُ، وكَذَا العُنْصُر بِضَمّ العَيْنِ والصّادِ وقَدْ تُفْتَحُ الصَّادُ، وغَايَرَ تَفَنُّنًا وخَصَّ مَعَدًّا ومُضَرَ لشَرَفِهِمَا وشُهْرَتِهِمَا، ولِمَا وَرَدَ أَنَّهُمَا ماتَا علَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وكَانَ الخَاطِبُ عَالِمًا بذَلِكَ أعنِي أَبَا طَالِبٍ.

وفِيهَا: جَعَلَنَا حُكَّامًا علَى النَّاسِ؛ أَيْ: مُحْتَرَمِينَ فِي العَرَبِ، يُقْتَدَى بأَخْلَاقِهِمْ وحُسْنِ معامَلَتِهِمْ، وكانُوا يَحْكُمونَ بَيْن الشُّعَراءِ أَيُّهُمْ أَشْعَرُ ولَو قلَّ فِيهِم الشِّعْرُ.

وفِيها: لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَهُ، زادَ بعْضٌ: شرَفًا ونُبْلًا وفَضْلًا وعَقْلًا.

وفِي رِوايةٍ: إِنَّ أَبَا طالب قالَ: وقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُم رَاغِبًا كرِيمَتَكُمْ خَدِيجَة، وقَدْ بذَلَ لَهَا مِنَ الصَّداقِ ما حُكْمُ عاجِلِهِ وآجلِهِ اثْنَيْ عشَرَ أُوقِيَةً ذَهَبًا ونَشًّا[3]. والخَبَرُ العَظِيمُ: النُّبُوءَة وبَرَكاتُهُ فِي الأَكْلِ وغَيْرِهِ.

وذَكَرَ الطَّبَرِيّ عن الزُّهرِيّ بسَنَدِهِ عن عَمَّار بنِ يَاسِر رضِيَ اللهُ عنْهُ أَنَّهُ زَوَّجهَا أَبُوهَا خُوَيْلِد[4].

والأَكْثَرُونَ علَى أَنَّهُ زوَّجَهَا عمُّهَا، وصَحّحَهُ السُّهَيْلي[5] وغلَّطَ الوَاقِدِيّ مَنْ قَالَ بِخِلَافِهِ[6].

والأُوقِيَة: أَرْبَعُون دِرْهَمًا فجُمْلَةُ الصَّداقِ: خَمْسُمِئَةِ دِرْهَمٍ؛ أَيْ: وزْنُهَا ذَهَبًا. قالَ علَماءُ السِّيَرِ مِنْ قومِنَا: الدِّرهَمُ وَزْنُ خَمْسينَ حَبَّةٍ وخُمُسَيْ حبَّةٍ مِنْ أَوْسَطِ الشَّعيرِ. ومَا زَادَ مِنَ الصَّداقِ، علَى مَا رُوِيَ أَنَّه ﷺ ما تَزَوَّج ولَا زَوَّجَ بأَكْثَرَ مِنهُ، مَحْمُولٌ علَى مَا بَعْدَ البِعْثَةِ أَوْ علَى مَا إِذَا انْفَرَدَ بِهِ وهُنَا شارَكَهُ أَبُو طَالِبٍ. والنّشّ لُغةً: نِصْفُ الشَّيْء.

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375، نقلا من الروض الأنف، 155/2، عن الزهري.

(2) الخطبة في المواهب اللدنية، القسطلاني، 192/1.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 377.

(4) (م، س)، 1/ 378، وفيه عن البيهقي بدل الطبَري.

(5) الرَّوض الأنف، السُّهيلي، 155/2.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 378، وينظر: سبل الهدى والرشاد، الشَّامي، 224/2.

واللهُ أعْلَمُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلَّا إلَيْهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى رَسُولِ اللهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ.

75 وَمَا جُزْتَ بِالْأَحْجَارِ إِلاَّ وَسَلَّمَتْ عَلَيْكَ بِنُطْقٍ شَاهِدٍ قَبْلَ بُرْهَانِ

مَا صَحَّ أَنَّكَ مرَرْتَ بالأَحْجَارِ إلَّا وقَدْ صَحَّ أنَّها سَلَّمتْ علَيْكَ [140و] عندَ مُرُورِكَ بِهَا، بلَفْظٍ صرِيحٍ كَلَفْظِ الإنْسَانِ، شاهِدٍ لكَ بأنَّكَ رَسولُ اللهِ، قبْلَ نزُولِ الوَحْيِ علَيْكَ بلْ عنْدَ قُرْبِهِ، وكذَا في أوائِلِ الوَحْيِ، وهُوَ المرادُ بالبُرهانِ. وذَلكَ أنَّ الله ﷻ خلَقَ لهَا الحَياةَ والتَّمْيِيز والعقْلَ.

قالَ عِياض: قالَ عَلِيّ: كُنَّا بِمَكَّةَ معَ رسُولِ اللهِ ﷺ فخَرَجَ إلَى بعْضِ نوَاحِيهَا فما اسْتقبَلَهُ شَجَرٌ ولا حَجَرٌ إلَّا قالَ: السَّلامُ علَيْكَ يا رسُولَ اللهِ[1]. وكذَا نَقَلَهُ ابن القطّان[2].

وعنْ جابِر بنِ سمرةَ عنِ النَّبيءِ ﷺ: ((**إنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ**))[3] قال عيَاضُ: قِيلَ إنَّهُ الحَجرُ الأسْوَدُ[4].

قلْتُ: نُخْبَرُ الآنَ بحَجَرٍ مخْصُوصٍ مَبْنِيٍّ في حائِطٍ في مَكَّةَ إنَّهُ هُو، وهُوَ معايَنٌ مشاهَدٌ. ثُمَّ رأيْتُ ما يُقوِّي هذا ويأْتِي قَريبًا إن شاءَ اللهُ.

قال عياض: وعن عائشة رضِي الله عنها، عن النَّبِيءِ ﷺ: ((**لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جبْرِيلُ بالرِّسالةِ جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ ولَا شَجَرٍ إلَّا قالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ**))[5].

قَالَ: وعَنْ جابر بن عبد اللهِ: لَمْ يَكُنْ ﷺ يَمُرُّ بِحَجَرٍ ولَا شَجَرٍ إلَّا سَجَدَ لهُ[6]. قُلْتُ: أخْبَرَهُ النَّبيءُ ﷺ أو مَن شاهَدَ ذَلِكَ لِلنَّبيءِ ﷺ؛ لأنَّ جابِرًا لَمْ يكُنْ معَ النَّبِيءِ ﷺ حِينئِذٍ بَلْ كانَ بعدُ، وأرَادَ بالسُّجُودِ الخُضُوعَ والتَّعظِيم والاْحِنَاء إلَى جِهَتِهِ حُبًّا لَهُ، أو السُّجود للهِ سبْحَانَهُ وتعَالَى إلَى جِهَةِ رسُولِ اللهِ ﷺ كالقِبْلَةِ وذلكَ في قضَايَا مخْصُوصَةٍ لَا فِي كُلِّ الأَزْمِنةِ، ولَا بأْسَ بِذِكرِ لَفْظِ الجَمَادَاتِ معَهُ ﷺ ولَوْ بِلا تَسلِيمٍ علَيْهِ.

قال البُخارِي: عن علقمة عن عبْدِ اللهِ -يعْنِي ابنَ مسْعُودٍ: ((**كُنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً وأنْتُمْ تَعُدُّونَها تَخْوِيفًا، كُنَّا معَ النَّبِيءِ ﷺ في سَفَرٍ فقَلَّ الماءُ فقَالَ: اطلُبُوا فُضْلَةً مِنْ ماءٍ، فجَاؤُوا بِإنَاءٍ فيهِ ماءٌ قَلِيلٌ**

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص308.

(2) ابْن الْقطَّان الْحَافِظ عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الْملك بن يحيى بن إِبْرَاهِيم الْحِمْيَرِي الكتامي الفاسي، كَانَ من أبْصر النَّاس بصناعة الحَدِيث وأحفظهم لأسماء رِجَاله وأشدهم عناية فِي الرِّوَايَة مَعْرُوفا بِالْحِفْظِ والإتقان، صنف الْوَهم والإبهام على الْأَحْكَام الْكُبْرَى لعبد الْحق مَاتَ سنة 628هـ. طبقات الحفَّاظ، السيوطِي، ص498.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (2277).

(4) الشفا، القاضِي عياض، ص308.

(5) (م، س)، ص309. الحدِيث في مسند البزَّار، رقم (140).

(6) الشفا، القاضِي عياض، ص309. وأعلام النبوة، الماوردِي، ص115.

فأدْخَلَ يدَيْهِ في الإناءِ ثمَّ قالَ: حَيَّ علَى الطُّهورِ المبارَكِ والبَرَكَةِ منَ اللهِ، فلَقَدْ رَأَيْتُ الماءَ ينبُعُ مِن بَيْنِ أصَابِعِ رسُولِ اللهِ ﷺ ولَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعامِ وهُو يُوكَلُ))[1] أيْ: علَى عَهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ كما رُوِيَ صَرْفًا في بَعضِ الرِّواياتِ.

قالَ عياض: قالَ أَنَس: **((أخَذَ النَّبيءُ ﷺ كفًّا مِن حصْبَاء**[2] **فسبَّحْنَ في يَدِهِ ﷺ حتَّى سَمِعْنَا التَّسبيحَ ثمَّ صَبَّهُنَّ في يَدِ أبِي بَكْرٍ فسبَّحْنَ ثُمَّ في أَيْدِينَا فمَا سَبَّحْنَ))**[3].

ورَوَى مثْلَهُ أبو ذرّ ﷺ وذكَرَ أنَّهُنَّ سَبَّحْنَ في يَدِ[4] عُمَر وعثمان[5].

ودُفِنَ أبُو ذَرّ فِي الصّفراء[6] وقَبْرُهُ بِها مشْهُورٌ[7].

قالَ عياض وابنُ القطَّانِ[8]: وعن جعفر بن محمّد[9] عن أَبِيهِ: **((مَرضَ النَّبِيءُ ﷺ فأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فيهِ رُمَّان وعِنَبٌ فأَكَلَ [140ظ] ﷺ فسبَّحَ))**[10].

وفي حَدِيثِ العبَّاسِ ﷺ إذِ اشْتَمَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ علَيْهِ وعلَى بَنِيهِ بِملَاءَةٍ ودَعَا لَهُم بالسِّتْرِ مِن النَّارِ، كسِتْرِهِ إيَّاهُم بملَاءَتِهِ، فأمَّنتْ أسْكُفَّةُ البابِ وحَوَائِطُ البَيْتِ آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ[11]، وكَذَا ذكَرَهُ ابنُ القَطَّانِ.

ورُوِيَ: أنَّهُ ﷺ حينَ طَلَبَتْهُ قُرَيْشٌ صعِدَ ثبيرًا، فقَالَ لَهُ ثبير: اهْبِطْ يا رَسُولَ اللهِ فإنّي أخَافُ أن يَقتُلوكَ علَى ظَهْرِي فيُعذِّبنِي اللهُ. فقَالَ لهُ حِرَاء: إليَّ يا رَسُولَ اللهِ[12].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (3579).

(2) في الشفا: حصى.

(3) الشفا، القاضِي عياض، ص308. عزا السيوطِي الحدِيث إلى ابن عساكر، ينظر: مناهل الصفا، السيوطِي، ص126، ومختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 158/2.

(4) في الشفا: كفِّ.

(5) الشفا، القاضِي عياض، ص308. عزاه السيوطِي في مناهل الصَّفا إلى البزار والطبراني في الأوسَط، والبيهقِي، ص127. ينظر: البحر الزَّخار، حدِيث (4044).

(6) لم أتعرف المدينة.

(7) العبارة أضِيفت على الهامش. كتبت بحبر مغاير لحبر النص، وبها اختلاف طفيف في الخط، يرجح أنها ليسَت للمؤلف. ووفاة أبي ذرّ كانت بالرَّبَذة. الاستيعاب، 253/1.

(8) لم أقفْ على من قال: نقله ابن القطَّانِ.

(9) سبقت ترجمته.

(10) الشفا، القاضِي عياض، ص309. قال السيوطِي في مناهل الصَّفا: لم أجده، ص127. ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 592/6، وقد نقله عن عياض.

(11) الشفا، القاضِي عياض، 309، وفيه "آمين" مرَّتين. وينظر: دلائل النبوة، البيهقِي، 71/6، وإليه عزاه السيوطِي، مناهل الصَّفا، ص127.

(12) الشفا، القاضِي عياض، ص309. ذكره السيوطِي في مناهل الصَّفا، ولم يعزُهُ إلى أحدٍ، مناهل الصَّفا، ص128. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 465/1.

وعن ابن عمر: ((**أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَرَأَ عَلَى المِنبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾**[1] **ثمَّ قالَ: يُمجِّدُ الجبَّارُ نَفْسَهُ أنَا الجَبَّارُ، أنَا الجَبَّارُ، أنَا الكَبِيرُ المُتَعَالِي، فرَجَفَ المِنْبَرُ حتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ عَنْهُ**))[2].

وفي بعضِ الكُتُبِ: سَلَّمَ علَيْهِ الشَّجَرُ والحَجَرُ لَيَالِي بُعِثَ: السّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ[3].

وخَرَّجَ مُسْلِم مِنْ حدِيثِ جابِر بنِ سمُرةَ: ((**إنِّي لَأَعْرِفُ حجَرًا كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ بِمَكَّةَ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ إنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ**))[4].

قال حُسَيْنُ بنُ مُحَمَّد[5]: وقَدْ اخْتُلِفَ في هَذَا الحَجَرِ فقِيلَ: هوَ الحَجَرُ الأَسْوَد، وقِيلَ: حَجَرٌ غَيْرُهُ بزُقَاقٍ يُعْرَفُ [بزقاق الحجر وزُقَاقِ المرْفق فِي مكَّةَ][6]، والنَّاسُ يتَبَرَّكونَ بلَمْسِهِ ويقُولونَ إنَّهُ الذِي كانَ يُسلِّمُ علَى النَّبيءِ ﷺ مَتَى اجْتَازَ بِهِ[7].

وحُكِيَ عن [أبِي جعفر الميَّانِشِي][8] أنَّهُ قال: أخْبَرَنِي كُلُّ مَن لَقِيتُ بِمَكَّةَ أنَّ هذَا الحَجَرَ، يعْنِي الحَجَرَ المذْكُورَ في الزّقَاقِ، هُوَ الذِي كَلَّمَ النَّبيءَ ﷺ[9].

قال ابنُ رُشَيد[10]: هُوَ الحَجَرُ المَبْنِيّ في الجِدَارِ المُقَابِل لِدَارِ أبِي بَكْرٍ المشْهُورةِ بسوق اللّيل[11].

والرَّاجحُ عندَهُم الحجر الأسود؛ لأَنَّ هذَا ولَوْ شهرَ لكَانَ جاءَ فِي بَعْضِ المُسنَدَاتِ التَّصْرِيحُ بأَنَّهُ الحَجَرُ الأَسْوَدُ، كمَا ذَكَرَهُ في "الرَّوضِ"[12] وذَكَرَهُ فِي "العُيون"[13] وفِي "الإِكْمَالِ"[14]: كانُوا

---

(1) سورة الأنعام: 91.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص309-310. ينظر: مسند أحمد، حدِيث (5414).

(3) تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 220/1.

(4) صحيح مسلم، حدِيث (2277).

(5) الديار بكرِي صاحب تاريخ الخمِيس.

(6) العبارة: أضافها المؤلف على الهامِشِ، وليْست في تاريخ الخمِيس، وقد وردت في شرح الزرقاني على المواهب، 502/6.

(7) تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 220/1.

(8) هكذا فِي الأصل: جعفر، وهو نقل من تاريخ الخمِيس، وصوابه: حفص، كما فِي تراجم المؤلفين التونسيين، وقد ذكر فيه: أبو حفص وأبو الخطَّاب. ونقل الزرقاني نفسَ النّصّ من المواهِب اللدنية، وقال: عن أبِي حفص الميانشِي.

الميَّانشِي: عمر بن عبد المجيد القرشِي الميَّانشِي المهدوِي (نسبة إلى ميَّانِش، قرية من قرى المهدية بالساحل التونسِي) أبو حفص، نزِيل مكة، محدِّث، روى عن محمد بن علي بن ياسر الأنصارِي الجيانِي، وهو من شيوخ محيِي الدين بن العربِي، من تآليفه: المجالس المكية في الأحادِيث النبوية، ما لايسع المحدث جهله، ت:581هـ. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 4/ 424.

(9) تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 220/1، وشرح الزرقاني على المواهِب، 503/6.

(10) أبو عبد الله محمد بن رُشَيْد: الفهرِي من أهل سبتة، توفي بفاس سنة 721هـ. موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد حجّي، 602/2.

(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 503/6. العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(12) الروض الأنف، السهيلِي، 254/2.

(13) إنسان العيون، الحلبِي، 320/1.

(14) إكمال المعلم، القاضِي عياض، 236/7.

الحَجَر الأَسْوَد[1].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كانَ علَى شَطِّ مَاءٍ وقَعَدَ عكرمة بنُ أبي جهل وقالَ: إنْ كُنْتَ صادِقًا فادْعُ ذلِكَ الحَجَرَ الذِي في الجانِبِ الآخَرِ فلْيَسْبَحْ ولا يَغْرَقْ. فأشَارَ إِلَيْهِ النَّبيءُ ﷺ فانْقَلَعَ الحَجَرُ مِن مكَانِهِ وسَبَحَ حتَّى صَارَ بيْنَ يَدَيْ رسُولِ اللهِ ﷺ وشهِدَ لَهُ بالرِّسالةِ، وقَال لَهُ النَّبيءُ ﷺ: ((**يَكْفِيكَ هَذَا؟**)) فقَالَ: حتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ[2]. قال القَسْطَلَّانِي، بشَدِّ اللَّامِ، تلْمِيذُ الشّيخ خالد[3] في "المواهب": لَمْ أَرَهُ لِغَيْرِ الفخر الرّازيّ واللهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ[4].

وروَى الزّهريّ عن أبي ذرّ الغفارِيّ أَنَّهُ قال: ((**هجَّرتُ[5] يوما من الأيَّامِ، فإذا النَّبِيءُ ﷺ قد خرجَ مِن بيتِهِ فسألتُ عنهُ الخادِمَ، فأخبرني أَنَّهُ ببيْتِ عائشَةَ. فأَتَيْتُهُ وهُو جالِسٌ، ليسَ عندهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ، وكَأَنِّي حِينَئِذٍ أرَى أَنَّهُ في وَحْيٍ، فسلَّمتُ عليهِ فردَّ السَّلامَ ثُمَّ قال: ما جاءَ بكَ؟ قلتُ: اللهُ ورسُولُهُ، فأَمَرَنِي أنْ أَجْلِسَ فجلَسْتُ [141و] إلى جَنْبِهِ، لَا أَسْأَلُهُ عن شَيْءٍ ولا يذكُرُهُ لِي، فمكثْتُ غيْرَ كثيرٍ فجاءَ أبو بكْرٍ يَمْشِي مُسْرِعًا فسَلَّمَ علَيْهِ فرَدَّ علَيْهِ السَّلامَ ثمَّ قال: ما جَاءَ بكَ؟ قال جاءَ بِي اللهُ ورسُولُهُ، فأشَارَ بِيَدِهِ أن اجْلِس، فجَلَسَ إِلَى ربْوَةٍ مقَابِلَ النَّبيءِ ﷺ. ثُمَّ جاءَ عُمر ففَعَلَ مثْلَ ذلِكَ، وقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ مثْلَ ذلِكَ، وجَلَسَ إِلَى جَنْبِ أبِي بَكْرٍ. ثمَّ جاء عثمان كذلكَ وجلسَ إِلَى جنْبِ عُمَر. ثمَّ قَبَضَ رسُولُ اللهِ ﷺ علَى حَصَيَاتٍ سَبْعٍ أو تِسْعٍ أو ما قَرُبَ مِن ذلِكَ فسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، سُمِعَ لَهُنَّ حنِينٌ كَحَنِينِ النَّحْلِ فِي كَفِّ رسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وضَعَهُنَّ في الأرضِ فخَرَسْنَ. ثُمَّ أَخَذَهُنَّ وناوَلَهُنَّ أبا بَكْرٍ، وجاوَزَنِي فسبَّحْنَ فِي كفِّ أبِي بَكْرٍ حتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حنِينًا كحنِين النَّحلِ. ثمَّ أَخَذَهُنَّ منْهُ فوَضَعهُنَّ في الأرضِ، فخَرَسْنَ وصِرْنَ حَصىً. ثُمَّ ناوَلَهُنَّ عمَر فسَبَّحنَ في كَفِّهِ كما سبَّحْنَ في كَفِّ أبي بَكر، حتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حنِينًا كحَنِينِ النَّحْلِ. ثُمَّ أخذَهُنَّ منهُ فوَضَعَهُنَّ في الأَرْض فخَرَسْنَ وَصِرنَ حَصىً. ثمَّ ناوَلَهُنَّ عثْمَان فسَبَّحْنَ في كفِّهِ كَنحوِ مَا سبَّحنَ في كَفِّ أبِي بكْرٍ وعُمَر حتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحلِ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فوضعَهُنَّ في الأَرْضِ فخرسْنَ، فقَال ﷺ: هذِهِ خِلافَةُ النُّبُوءَةِ**))[6].

ومعنَى قوْلِهِمْ: جاءَ بِي اللهُ ورسولُهُ، جاءَ بِي حُبُّ اللهِ ورَسُولِهِ. ومعنَى قوْلِهِ: خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ أَنَّهُ

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 502/6.

الفقرة أضافها المؤلف على الهَامِشِ.

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 585/2، عن الفخر الرازِي، مفاتيح الغيْبِ، 125/32.

(3) خالد بن عبد الله الأزهري، ت:905هـ، يعرف بالوقادِ، لغوِي من تصانيفه: المقدمة الأزهرية في علم العربية، وتمرين الطلاب في صناعة الإعرابِ. الضوء اللامع، 171/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 668/1.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 586/2، وتاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 221/1.

(5) هجّرت: أي سرت وقت الهاجرة. شرح المواهِب، 495/6.

(6) المواهب اللدنية، القسطلاني، 531/2، وشرح الزُّرقاني على المواهب، 495/6.

خَرَجَ مِنْ بَيْت عهد جلُوسه فِيهِ أو مِنْ بَيْتٍ عَلِمَ أَنَّهُ اليَوْمَ لزَوجِهِ السَّاكِنَةِ فِيهِ.

وفي رِوايَة: كنْتُ أَتَتَبَّعُ خلَواتِهِ ﷺ فرَأَيْتُهُ يوْمًا خالِيًا فاغْتَنَمْتُ خلْوَتَهُ فأَتَيْتُهُ وهُو جالِسٌ[1] الحدِيث السَّابِقُ.

والرَّبْوَةُ: ما ارْتَفَعَ مِن الأَرْضِ. وفِي رِوايَةٍ: جَلَسَ؛ أيْ: عُمَر، إلَى يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، وكَذَا فِي رِوَايَةٍ: جَلَسَ عثمَانُ إلى يَمِينِ عمَر، وفِي روَايَةِ البَزَّارِ الجَزْمُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ[2] فالشَّكُّ مِنْ بَعْدِ أبي ذَرّ مِنَ الرُّواةِ. ومعنَى سَبَّحْنَ: قُلْنَ سبْحانَ اللهِ، خلَقَ اللهُ فيهِنَّ الكَلامَ كمَا هُنَّ أوْ خلَق لَهُنَّ العَقْلَ. ومعْنَى صِرْنَ حَصًى: صِرْنَ علَى أصْلِهِنَّ مِنْ عدَمِ الكلَامِ. وإنَّما جاوَزَ أبَا ذَرٍّ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ بخَلِيفةٍ كمَا قَالَ: هذِهِ خِلافَة النُّبوءَةِ ولَوْ حَضَرَ عَلِيّ لأَعْطَاهُ، وسبَّحْنَ في يَدِهِ [141ظ] لأَنَّهُ خلِيفةٌ بالإِجْماعِ. ولا يُعْتَدُّ بمنَافَسَةِ مُعاوِيَةَ لأَنَّها باطِلَةٌ، ولأَنَّها ثارَتْ بكَوْنِهِ أرادَ نزْعَهُ عن الشَّامِ.

وأخْرَجَ البزَّارُ[3] والطَّبرَانِيّ في "الأَوْسَطِ"[4] والبَيْهَقِيّ فِي "الدَّلائِل"[5] وابن عساكر فِي "التَّارِيخِ"[6] عنْ أَبِي ذَرّ: تنَاوَلَ سبْعَ حصَيات فسبَّحنَ في يدِهِ حتَّى سمِعْتُ لهُنَّ حَنِينًا ثمَّ وضَعَهُنَّ في يَدِ أَبِي بَكْرٍ فسَبَّحْنَ ثمَّ وضَعَهُنَّ في يدِ عُمَر فسَبَّحْنَ ثمَّ وضَعَهُنَّ فِي يَدِ عثْمَانَ فسَبَّحْنَ[7]. وفي سَماع الصَّحَابةِ لِذلِكَ فَضْلٌ لَهُمْ.

وقالَ بَعْضٌ: لَمْ يُعْطِ عَلِيًّا إنْ كانَ حَاضِرًا؛ لأنَّ خلَافَتَهُ أدْرَكَت الفِتْنَةَ. واسْتَظْهَرَ بعْضُهُمْ تعَدُّدَ الواقِعَةِ؛ لأَنَّ الرِّوايَةَ الأُولَى تَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ غَيْرُ أَبِي ذَرّ والثَّانِيَة تقْتَضِي أَنَّهُ حَضَرَ جماعَةٌ مِنَ الصَّحابةِ، لرِوَايَةِ ابنِ عسَاكِر مِنْ حَدِيثِ أنَس بَعْدَ عثْمَان: ((**ثُمَّ وضَعَهُنَّ فِي أيْدِينا رَجُلًا رَجُلًا فمَا سَبَّحَتْ حصَاةٌ مِنْهُنَّ**)) وعلَى كِلْتَيْهِما لَمْ يَحْضُرْ عليّ، ففِيهِ إشَارَةٌ إلَى عَدَمِ امتِدادِ خلافَتِهِ استِقْلالًا، بِخِلَافِ عثمَانَ فإِنَّهُ نُزِعَ وقُتِلَ في أوْقَاتٍ قَرِيبَةٍ، إلَّا أنَّ الأصْلَ عَدَمُ التَّعدُّدِ، ولَا سِيَّما معَ اتِّحادِ المَخْرَجِ وهُوَ أبُو ذَرّ، ووُرُودُهُ عنْ أنَسٍ لَا يَقْتَضِي التَّعدُّدَ؛ إذْ حاصِلُ ذَلِكَ أنَّها قِصَّةٌ واحِدَةٌ روَاهَا اثْنَانِ[8] بلْ مِنْ شأْنِ الرِّوايَةِ ولَوْ عَن واحِدٍ تَخَالُفُ الرُّواةِ بالزِّيادَةِ والنَّقصِ.

وذَكَرَ بعضُ الشّيعة أنَّ انشِقاقَ القَمَرِ وتَسْبِيحَ الحصَى وحَنِينَ الجِذْع وتَسْلِيمَ الغَزَالَة ممَّا نُقِلَ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 497/6، رواية عن البيهقِي وابن عساكِر.

(2) البحر الزخار، البزار، حدِيث (4040).

(3) (م، س)، حدِيث (4040).

(4) المعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (4097).

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 64/6.

(6) تاريخ دمشق، 117/39.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 497/6.

(8) (م، س)، 498/6.

آحَادًا معَ تَوَفُّرِ الدَّواعِي على نَقْلِهِ، ومعَ ذلكَ لمْ تُكَذَّبْ رُوَاتُهَا. وأجَابَ ابن الحاجب[1] بِأَنَّهُ استُغْنِيَ عنْ نَقْلِها تَوَاتُرًا بالقُرْآنِ. وأجابَ غيْرُهُ بِمَنْعِ نقْلِها آحادًا وعلى تسْلِيمِها فمَجْمُوعُها يُفيدُ القَطْعَ. والذِي قالَ بِهِ بَعْضٌ[2]: إنَّها كُلّها مشْتَهِرَةٌ بَيْن النَّاسِ، وأمَّا مِنْ حَيْثُ الرّوَايَةُ فلَيْسَتْ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، فحَنِينُ الجِذْعِ وَانْشِقاقُ القَمَرِ نُقِلَ كُلٌّ منْهُمَا نَقْلًا مُسْتَفِيضًا يُفِيدُ القَطعَ عنْدَ مَنْ يَطَّلِعُ علَى طُرُقِ ذلكَ مِنْ أَئِمَّةِ الحَديثِ، دونَ غَيْرِهِم مِمَّن لَا مُمَارَسَةَ لهُ في ذلكَ، وأمَّا تَسْبِيحُ الحَصَى فلَيْسَ لَهُ إلَّا طَرِيقٌ واحِدٌ إلَى أَبِي ذَرٍّ وهُوَ ضَعِيفٌ[3] وطَرِيقٌ إلَى أنَسٍ.

والشُّهرةُ عند النَّاسِ تَجْبُرُ الضَّعفَ، وتسْبِيحُ الطَّعامِ وقَعَ علَى عَهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ وندَرَ وقُوعُهُ بعدَهُ ﷺ.

وذَكَرَ البَيْهَقِيّ: أنَّهُ كانَ أبو الدّرداء وسَلْمَان إذا كَتَبَ أحَدُهُما إلى الآخَرِ قالَ لَهُ: بآية الصّحْفَةِ، وذَلِكَ أَنَّهُما كانَا يأْكُلانِ في صَحْفَةٍ إذْ سَبَّحَتْ وما فِيهَا[4].

قالَ [142و] أنَس: أُتِيَ النَّبيءُ ﷺ بطعَامٍ ثريدٍ فقَالَ: إنَّ هذا الطَّعامَ يُسبّحُ قالُوا لِأَنَسٍ: أوَ تَفْقَهُ تسْبِيحَهُ؟ قال: نعَمْ، قالَ: نَعمْ[5]، ثمَّ قالَ لِرَجُلٍ: أدْنِ هذِهِ القَصْعَةَ[6] مِنْ هذا الرَّجل فأدْنَاهَا فقال: نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ هذا الطَّعامُ يسَبّحُ، ثُمَّ قال: رُدَّها، فرَدَّها فهُوَ يُسَبّحُ وهُو فِي الإناءِ[7].

وتَقَدَّمَ أيْضًا أنَّهُ يُسَبّحُ وهو يُؤْكَلُ وَهذَا يَحْتَمِلُ التَّسْبِيحَ في الصَّحْفَة ويَحْتَمِلُ التَّسبيحَ في الْفَمِ، وتَكَرَّرَ مِرَارًا تَسبِيحُ الطَّعامِ عِنْدَ رسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ آيَةٌ لَهُ ﷺ أعْظَمُ مِن تَسبِيحِ الجِبَالِ معَ داوُدَ وفَهْمِ نُطْقِ الطَّيْرِ لسُلَيْمَانَ[8].

---

(1) ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر الكُردِي المقْرِئ الفقِيه النَّحوِي، ولد بإسنا من صعِيد مِصر، توفِي بِالاسكندريَّة سنة 646هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 264/23.

(2) صاحب القول: الزُّرقاني.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 498/6-499.

(4) (م، س)، 500/6، عن البيهقِي دون ذكر المصدرِ.

(5) "قال: نعم" مكررة.

(6) في شرح المواهِب: القطعة.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 500/6.

(8) (م، س)، 500/6.

فقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] على الغَالِبِ، وحِينَ لَمْ يُرِد اللهُ أنْ يفْقَهُوا كمَا قالَ الزُّرْقَانِيّ[2] في قَوْلِهِ تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[3] أنَّهُ عَلَى الغَالِبِ، واسْتَدَلَّ بأنَّهُ ﷺ قَبَضَ على شَيْطانٍ وأرَادَ أَنْ يُرِيَهُ أصْحَابَهُ فتَذَكَّرَ كلامَ سلَيْمَانَ: ﴿لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾[4][5] فتَرَكَ.

والرُّمَّان والعِنَبُ اللَّذان أتَى بهِمَا جِبْرِيلُ عليه السلام في طَبَقٍ وسبَّحا فيهِ هُمَا مِنَ الجنَّةِ، وقِيلَ: مِنَ الدُّنيا؛ لأنَّهُما لَوْ كانَا مِن الجَنَّةِ لَمْ يُوطَقْ أَكْلُهُما في الدُّنيا لقُوَّتِهِما ولَمْ يفْنَيَا، قالَ اللهُ سبْحَانَهُ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾[6] قلْتُ: ذلِكَ كُلُّهُ ما دَامَ في الجَنَّةِ، وأمَّا ما خَرَجَ منها فيتَغَيَّرُ كمَاءِ النِّيلِ والحَجرِ الأسْوَدِ.

ومعْنَى قَوْلِهِ: "أَكَلَ مِنَ الطَّبَقِ فسَبَّحَ" أرَادَ الأكْلَ فالتَّسْبِيح قبْلَ الأَكْلِ، أو أرَادَ بالأَكْلِ الإِلْقَاءَ في الفَمِ والمضْغَ، فَهُوَ يُسَبِّحُ في فِيهِ ﷺ. وإنَّما كانَ تسْبِيحُ الطَّعامِ أعْظَمَ مِنْ تَسْبِيحِ الجِبَالِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْهَدْ مثلُهُ والجِبَالُ قَدْ وُصِفَتْ بالخُشُوعِ، ولأنَّهُ سبَّحَ في يَدِهِ ﷺ وفي يَدِ مَن أرادَ مِنْ أُمَّتِهِ. وكذا الحَصَى أعْظَمُ؛ لأَنَّهُ سَبَّحَ في يدِهِ ويدِهِمْ بِخِلَافِ الجِبَالِ فإنَّها لَمْ تُسَبِّحْ بيدِ داوُدَ عليه السلام.

وكُلٌّ مِن تَسْبِيح الطَّعامِ والحصَى أعْظَمُ مِن كلامِ النَّملِ والطَّيْرِ وفَهْمِه لسُليمانَ؛ لأنَّ مِن شَأْنِ الطَّيْرِ الكلَامَ؛ ولأنَّهُ والنَّملُ حيَوانٌ، وكذَا تَسْلِيمُ الحَجَرِ، والذِي أقولُ بهِ: إنَّ تسليمَ الحَجَرِ حَقِيقةٌ وجَزَمَ به النَّوَوِيّ.

وقالَ بَعْضٌ[7] يحْتَمل ذَلِكَ ويحْتَملُ أنَّهُ مِنْ مَلائكَةٍ يسْكُنونَ فِي الحجرِ أو عِنْدَهُ، وإذَا فَتَحْنَا هذَا الاحْتِمَالَ أمْكَنَ فِي تسْبِيحِ الحَصَى والطَّعَامِ، إلَّا أنَّ الأَصْلَ الحَمْلُ علَى الظَّاهِرِ. وذلِكَ خَرْقٌ للْعَادَةِ ولَوْ قُلْنا ذلِكَ مِنَ الملَائكَةِ إلَّا أنَّ الخَرْقَ أعْظَمُ إذا كانَ ذلِكَ مِن الحَصَى والحَجَرِ والطَّعامِ، وكُلِّ ما تَكَلَّمَ مِنَ الجمَادَاتِ فقَدْ خلَقَ اللهُ فِيهِ الحيَاةَ والتَّمْيِيزَ والعَقْلَ خَرْقًا للْعادَةِ ثُمَّ يَرُدُّهُ لِحَالِهِ.

[142ظ] ومِن ذلكَ تأْمِينُ الحَوَائطِ وأُسْكُفَّةِ البابِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ للْعبَّاسِ رضي الله عنه: ((**لَا تَرِمْ**

---

(1) سورة الإسراء: 44.

(2) الزُّرقاني: (نسبة إلى زرقاء من قرى منوف بمصر) محمد بن عبد الباقي بن يوسف المالكي، محدث، فقيه، أصولي، ولد وتوفي بالقاهرة سنة 1122هـ. من تصانيفه: شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شرح المواهب اللدنية. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 383/3.

(3) سورة الأعراف: 27.

(4) سورة ص: 35.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 99/7.

(6) سورة الرعد: 35.

(7) هو ابن سيد الناس كما في شرح المواهِبِ، 501/6.

مَنْزِلَكَ أنْتَ وبنُوكَ غدًا حَتَّى آتِيكُم فإنَّ لِي فِيكُمْ حاجَةً، فانْتَظَرُوهُ حتَّى جَاءَ بعْدَمَا أَضْحَى فدَخَلَ علَيهِم فقالَ: السَّلامُ علَيْكُمْ فقالُوا: وعلَيْكَ السَّلامُ ورحْمَةُ الله وبَرَكاتُهُ، قالَ: كَيْفَ أصْبَحْتُم؟ قالوا: أصبَحْنَا بِخَيْرٍ بحَمْدِ اللهِ تعالَى فقَال لَهُمْ: تقَارَبُوا فتَقَارَبُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُم إلى بَعْض، حَتَّى إذَا أمْكَنُوهُ اشْتَمَلَ عليْهِم بملَاءَتِهِ فقَالَ: يا رَبِّ هذَا عَمِّي وصِنْوُ أبِي، وهؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي فاسْتُرْهُم مِنَ النَّارِ كسِتْرِي إيَّاهُم بمُلَاءَتِي هذِهِ، فأَمَّنَتْ أسْكُفَّةُ البَابِ وحوَائِطُ البيْتِ قالَتْ: آمِينَ آمِينَ، آمِين))[1]، أيْ: ثلاثًا، ومثْلُهُ لابن كثير[2]، والشَّامِي[3][4]، ويُرْوَى: ((**آمين، آمينَ**)) أيْ: مرَّتَيْنِ، ومثله في "الشِّفاءِ"[5]، وذلكَ علَى التَّكريرِ مِن كُلٍّ ولَوْ في رِوايةِ مرَّتَيْنِ، فقُلْنَ أكْثَرَ، ويَحْتَمِلُ روَايَةَ المرَّتينِ أنَّ مَرَّةً للْحَوَائِطِ ومرَّةً لِلْأُسْكُفَّة؛ بضَمِّ الهَمْزَةِ والكافِ وشدِّ الفاءِ، وهِيَ العَتَبَة العُليَا فَوْقَ الدَّاخِلِ، وقَدْ تُستَعْمَلُ للتِي أَسْفَل يتَخَطَّاها القَدَمُ أو يَمْشِي علَيْها.

وأوْلَادُ العبَّاسِ: الفَضْلُ وعَبْدُ اللهِ وعُبَيدُ اللهِ وقَتمُ ومَعْبَدُ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ وهُمْ مِن أُمِّ الْفَضْلِ، وذلِكَ رأْفَةً منْهُ ﷺ أو بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ ﷻ أن ادعُ لهُمْ.

والمُلاءَةُ بالضَّمِّ والمَدِّ: الإزَارُ والمَلْحَمَة وقِيلَ: الإزَارُ لَهُ شقَّتَانِ وإنْ كانَتْ واحِدَةً فَرَيْطَةٌ.

ولا ينْكرُونَ وَصْفَ الجمَادَاتِ بالْحُبِّ كما حَنَّ الجِذْع إلَيْهِ ﷺ لمُفَارَقَتِهِ حتَّى سَمِعَ النَّاسُ حنينَهُ كحُوَارِ الثَّوْرِ، وكمَا جاءَ أنَّ أُحُدًا يُحِبُّنَا، وكمَا وضعَ التَّسْبِيح في الجِبالِ والحَشْيَة فِي الحِجارَةِ.

وتَقَدَّمَ أيْضًا قَوْلُ ثبير لرَسُولِ اللهِ ﷺ: انْزِلْ عَنِّي لِئَلَّا يقْتُلُوكَ علَيَّ فيُعذِّبَنِي اللهُ، وذَلكَ حِينَ خرَجَ مهَاجِرًا فيمَا قِيلَ. والمُرادُ بالعَذَابِ الغَضَبُ، كمَا غضِبَ علَى أَرْضِ ثَمُود وقُرَى قَوْمِ لُوط.

قِيلَ: ولِأَنَّهُ لا سِتْرَ فِيهِ فلَوْ لَمْ يُخبِرْهُ لكانَ غِشًّا فيُعَذَّبُ لأنَّهُ في تِلْكَ الحالِ عَالِمٌ بذَلِكَ بأنَّ قريشا يطْلُبونَهُ، وقَادِرٌ علَى التَّكَلُّمِ بإقْدَارِ اللهِ وضُعِّفَ.

قِيلَ: تَفسِيرُ العذابِ بالحُزنِ والتَّأسُّفِ علَيْهِ، وعلَى كُلِّ حالٍ لا يُرَدُّ علَيْهِ إنَّهُ لا تزِرُ وازِرةٌ وزرَ أخرَى، وكذلكَ تكَلّم حراء بالمَدِّ بقَوْلِهِ: إليَّ يا رسُولَ اللهِ ﷺ.

ولَمْ يذْهَبْ إلَى حِرَاء معَ هذَا لِسَبْقِ تَعَبُّدِهِ بِه، وعِلْمِهِمْ بأَنَّهُ يكُونُ فِيهِ فيَقْصِدوهُ. وحِراءُ وثبِير مقَابِلانِ [143و] بينَهُما، وذَلك قبْلَ الذَّهابِ إلَى غار ثور الذِي اخْتَفَى فيهِ. ولَكِنْ صَحَّ أنَّ النَّبِيءَ

---

(1) ورد بألفاظ قريبة في مجلسان من أمالي الجوهري، حديث (21).

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، 698/8.

(3) سبل الهدى والرشاد، الشامي، 139/10.

(4) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الصالحي الدمشقي، محدث حافظ ومؤرخ، ولد في صالحيَّة دمشْق، وسكن القاهرة، من تصانيفه: سبل الهدى والرشاد في هدْيِ خيرِ العبادِ، مطلع النور في فضل الطورِ، عقود الجمان في مناقبِ أبي حنيفَة النعمانِ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 785/3.

(5) الشفا، القاضي عياض، ص309.

ﷺ وأبَا بَكْرٍ واعَدَا الدَّليلَ غارَ ثورٍ، فهَذَا كالصَّريحِ في أنَّهُما قصَداهُ مِن أَوَّل، وإنَّما جازَ لهُ مُخَالفَةُ حرَاء إذْ قالَ لَهُ: إليَّ؛ لِأَنَّ نُطْقَهُ ليْسَ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ، لَكِنْ أقْدَرَهُ اللهُ على الكلامِ. قال السُّهيْليّ: وأحْسِبُ أنَّ ثورًا نادَاهُ أيْضًا: إليَّ يا رَسُولَ اللهِ لمَّا قالَ ثبِير: اهْبِطْ مِنّي كما نَادَاهُ حِرَاء[1] بالمَدِّ.

ورَوَى أبو نُعَيْم في "الدَّلائِلِ" عن بَرَّة: لَمَّا أرادَ اللهُ كرَامَةَ نَبِيئِهِ ﷺ كانَ يَمْضِي إلَى الشِّعابِ وبطُونِ الأَوْدِيةِ فلَا يَمرُّ بِشَجَرٍ ولا حَجَرٍ إلَّا قالَ: السَّلامُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، وكانَ يَرُدُّ علَيْهِمْ: وعَلَيْكُم السَّلَامُ[2].

قيلَ: الرَّدُّ مكافَأَةٌ لا وُجوبٌ لأَنَّها غَيْرُ مُكَلَّفَة[3]. قُلْتُ: بلْ وجُوبٌ لأَنَّ الأصْلَ وجُوبُ الرَّدِّ، ولِأَنَّها كُلِّفَتْ حِينَ القَوْلِ، ويَجِبُ رَدُّ السَّلامِ لِطِفْلٍ إذَا سَلَّمَ وهُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ لأنَّهُ عاقِلٌ مُمَيِّزٌ. لا حوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيّ العَظِيم.

76 وَمَا زِلْتَ طَوْرًا فِي حَرِّ التَّحَنُّثِ وَطَوْرًا تَبِيتُ عِنْدَ رَبَّةِ إِحْسَانِ [4]

77 وَلاَزَمَكَ النَّامُوسُ إِمَّا بِشَكْلِهِ وَإِمَّا بِنَفسِهِ أَوْ كَحِلْيَةِ عرْبَانِ

78 سَلَكْتَ طَرِيقًا لِلْهِدَايَةِ مَنْ نَحَا سِوَاهَا تَنَحَّى عَنْ شَرِيعَةِ دَيَّانِ

79 هَدَيْتَ إِلَى النَّجْدَيْنِ هَدْيَ دَلاَلَةٍ فَقَوْمٌ إِلَى رُشْدٍ وَقَوْمٌ لِخُسْرَانِ

80 وَأَوْضَحْتَ بِالنَّوْعَيْنِ شِرْعَةَ دِينِنَا فَطَوْرًا بِإِجْمَالٍ وَطَوْرًا بِتِبْيَانِ

81 وَأَسْعَدْتَ بِالْأَمْرَيْنِ فِرْقَتَي الْوَرَى فَقَوْمًا بِأَقْوَالِ وَقَوْمًا بِأَبْدَانِ

82 وَأَرْسَلْتَ لِلدَّارَيْنِ مَنْ طَاعَ أَوْ عَصَى فَذَاكَ لِنِيرَانٍ وَهَذَا لِرِضْوَانِ

83 وَبِالْقَمَرَيْنِ النَّيِّرَيْنِ هَدَيْتَنَا حَدِيث رَسُولٍ ثُمَّ مُعْجِز قُرْآنِ

لَمْ تَزَلْ تتَحَنَّثُ؛ أَيْ: تتَعبَّدُ وتجَانِبُ الإِثْمَ زمَانًا أو حَالًا وتَبِيتُ زمَانًا آخَرَ أو حَالًا عِنْدَ صاحِبَةِ الإِحسَانِ إِلَيْكَ العَظِيمِ خَدِيجةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا.

ولازَمَكَ النَّاموسُ صاحِبُ السِّرِّ جبْرِيلُ عليه السلام بالوَحْيِ إلَيْكَ مِنَ اللهِ عز وجل يأْتِيكَ إمَّا علَى شَكْلٍ يَتَشَكَّلُ علَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عز وجل أقْدَرَ الملَائِكَةَ علَى ذلِكَ، وإمَّا علَى صورَتِهِ فيُقْدِرُهُ اللهُ على مُقَابَلَتِهِ أو عَلَى صورَتِهِ مُنْطَوِيًا فتَسْهُلُ مقَابَلَتُهُ. وإمَّا كَحِلْيَةِ عِرْبَانِ أيْ: علَى هَيْئَةِ الأَعْرَابِ عرَبِ البَدْوِ. وإمَّا علَى غَيْرِ ذلِكَ كدِحْيَة الكَلْبِيّ.

وتأْتِي مرَاتِبُ الوَحْيِ إنْ شَاءَ اللهُ عز وجل، ومِنْهُ: النَّفْثُ بالثَّاءِ المثلَّثةِ كما جَاءَ: ((**نَفَثَ فِي روعِي**))[5].

والأَوْلَى أنْ يكونَ البَيْتُ عليْهِ بالثَّاءِ المثَلَّثَةِ لا بِالسِّينِ، ولعَلَّ النَّاسِخَ حرَّفَهُ، أو أَمْلَى المُملِي بالثَّاء

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 538/2، والروض الأنف، السهيلي، 256/2.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 513/6، لم أجده في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 513/6 عن الدلجي دون ذكر المصدر.

(4) في مجموع المتونِ: وطَوْرا بِبَيْتٍ فِيهِ ربَّةُ إحْسان. وسيشِيرُ الشَّارِح إلى اختلاف في رِوايَة هذا الشَّطْرِ برواية ثالِثة.

(5) مسند البزار، حدِيث (2914).

فكَتَبَ السَّامعُ بالسِّينِ تَوَهُّمًا مِنْ لَفْظِهِ لقُرْبِهِما، ولَفْظُ السُّبكِي فِي تَائِيَّتِهِ:

ولَازَمَكَ النَّامُوسُ إمَّا بِشَكْلِهِ وإمَّا بِنَفْثٍ أوْ بِحِلْيَةِ دِحْيَةِ

فكَتَبَهُ بالثَّاءِ لا بالسِّينِ، فبَيْتُ النَّاظِمِ هُو بَيْتُ السُّبكِي إلَّا أنَّهُ جَعَلَ قَوْلَهُ: "أوْ كَحِلْيَة عرْبَانِ" بَدَلَ قَوْلِ السُّبْكِيّ: أو بِحِلْيَةِ دِحْيَةِ لِأَجْلِ القَافِيَةِ، ولَعَلَّهُما اقْتَصَرا علَى الثَّلاثةِ؛ لِأَنَّهُمَا غالِبُ الوَحْيِ[1].

سَلَكْتَ يا رسُولَ اللهِ طرِيقًا لِلْهِدايَةِ التِي مَنْ زَاغَ عنْهَا، وأخَذَ نَحْوًا غَيْرَها أيْ: جِهَةً أُخْرَى، كانَ مُجَانِبًا ومُعْرِضًا عنْ شَرِيعَةِ اللهِ الدَّيَّانِ، المُجازِي علَى الأَعْمَالِ.

وهَدَيْتَ إلَى النَّجْدَيْنِ: الطَّريقين طرِيقِ دِينِ اللهِ، وطرِيقِ [143ظ] الضَّلَالِ، النَّاسَ والجِنَّ هُدَى بيَانٍ عَامًّا لِأُمَّةِ الإجابَةِ وهِيَ مَنْ قالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ومَا جاءَ بِهِ حَقٌّ، وأُمَّةِ العِنادِ وهُم مَنْ بَلَغَتهُ دعْوَتُهُ، ولَمْ يُؤمِنْ فِي زمَانِهِ بَعْدَ البِعْثَةِ، أوْ بعْدَ زمَانِهِ ﷺ.

فالمُشرِكونَ كلُّهُم اليَهُودُ والنَّصارَى وغيرُهُم مِن أمَّتِهِ، كما أنَّ مَنْ كَفَرَ مِنْ قَوْمِ نوحٍ وهُم الأَكْثَرُ يُعَدُّون أُمَّتَهُ.

فقَوْمٌ انْتَهَوا إلَى الرُّشدِ فلَهُم الثَّوابُ، وهُمْ مَن أَتَى بالقوْلِ والعَمَلِ مع الاعتِقَادِ، وقَوْمٌ انْتَهَوا إلَى خُسْرَان وهُوَ الضَّلالُ فعَلَيْهِم العِقابُ وهُم أَهْلُ الشِّركِ وَمَنْ ضَيَّعَ العَمَلَ مِن أُمَّةِ الإجَابَةِ.

أوْ قَوْمٌ انْتَهوا إلى مُقْتَضَى الرُّشدِ، وهُوَ الجَنَّةُ أو السَّعادَةُ وقَوْمٌ انتَهَوْا إلَى خسْرانِ وهُوَ الهَلَاكُ الأُخْرَوِيُّ.

وأوْضَحْتَ شِرْعَةَ دِينِنا بالنَّوعَيْنِ المعهُودَيْنِ في الأذْهَانِ، أحَدهُمَا الإجْمَالُ والآخَرُ البيَانُ وهُوَ التَّفْصِيلُ فبَعْضُ ما أنْزَلَ اللهُ مُجْمَلٌ، يَبْقَى علَى إجْمَالِهِ وبَعْضٌ بَيِّنٌ بَعْدُ، وبَعْضٌ يَنزِلُ مُفَصَّلًا مِنْ أَوَّلِ.

وأَسْعَدْتَ بالْأَمْرَيْنِ المعْهُودَيْنِ فِي الأَذْهَانِ، الفِرْقَتَيْنِ المتَبَيِّنَتَيْنِ بِهِمَا، أحَدُهُما الكَلامُ الذِي يُسْمَعُ مِنْكَ والثَّانِي رِسَالَةُ الأبدَانِ الذِين تُرْسِلُهمْ إلَى الملُوكِ والجِهَاتِ، والفِرْقَةُ الأُولَى مَنْ سَمِعَ مِنْكَ والثَّانِيَةُ: مَن يَسْمَعُ مِن رُسُلِكَ.

وأَرْسَلْتَ إلَى الجَنَّة مَنْ أطَاعَ وإلَى النَّارِ مَن عَصَى؛ فإنَّ الدَّعوَى تُوجِبُ مَصِيرَ المُجِيبِ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وعَمَلًا إلَى الجنَّةِ، وتُوجِبُ مَصِيرَ المُعانِدِ بالشِّرْكِ أو بِالفِسْقِ والإصْرارِ إلى النَّارِ.

وهدَيْتَنَا هِدَايَةَ بيَانٍ بالقَمَرَيْن المُنِيرَيْنِ، أحَدهما حدِيث رَسُولٍ عظِيمٍ هُوَ أنْتَ، والآخَر القُرآن المعْجِز العَظِيم، فالتَّنْكيرُ لِلتَّعظِيمِ.

(1) الفقرات "وتأتي مراتب... الوحي" أضافها المؤلِّف على هامِش طويل.

و"طَاعَ": بلَا هَمْزٍ قبْلَ الطَّاء ثُلَاثِي، واسْمُ فاعِلِهِ طَائِعٌ، قالَ اللهُ ﷻ:﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿11﴾ ﴾[1].

وفِي نُسْخَةٍ: "تَبِيتُ فِيهِ رَبَّةُ إِحْسَانِ" أيْ: تَارَةً يَبِيتُ وَحْدَهُ فِي حرَاء، وتَارَةً تَبِيتُ معَهُ فِيهِ خَدِيجَةُ، وهُوَ واقِعٌ ولَوْ لَمْ يشْهرْ كمَا يَأْتِي إنْ شَاءَ اللهُ ﷻ.

وفي الأبْيَاتِ فَصْلَانِ أحَدُهُما في حِراء والتَّحنُّث فِيهِ، والآخَرُ في صُورَةِ مَلَكِ الوَحْيِ مَعَهُ ﷺ .

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [حِرَاء والتَّحَنُّثُ فِيهِ]

لَمَّا بَلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ أربعين سنةً وأَتَمَّها أوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أرْسَلَهُ إِلَى الجِنّ والإِنْسِ والملَائكَةِ، بأَنْ يُؤمِنَ بهِ الملائِكةُ ولَمْ يُكَلَّفُوا بِشَرْعِهِ، إلَّا أنَّ الإِيمانَ بهِ وجَرَيَانَ الوَحْيِ والقُرآنِ ونَقْلَهُ مِنَ اللَّوحِ المحْفُوظِ علَى يَدَيْ بعْضِهِم تكْلِيفٌ. ونُبُوءَتُهُ متَقَدِّمةٌ علَى رسَالَتِهِ كمَا رَأَيْتَ في عِبَارَتِي، وهو الصَّحِيحُ عندِي.

[144و] وعلَيْهِ ابنُ عبْدِ البَرِّ وغَيْرُهُ والقَسْطَلَّانِي، وصَحَّحَ بَعضُهُم أنَّ النُّبوءَةَ والرِّسالةَ مقْتَرِنَان لَهُ[2].

قلتُ: يُعَارَضُ بأنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ أوَّلًا "اقْرَأْ" وهذا مُجَرَّدُ نبُوءَةٍ، ثمَّ ظَهرَ لِي أنَّ هذَا يُعارِضُهُ رِوايَةُ: ((**بُعِثْتُ يَوْمَ الْاثْنَيْن**))[3] وذلِكَ حِين نُزولِ "اقرأ".

وكذَلِكَ إرسَالُهُ إِلَى الملَائِكَةِ هوُ الرَّاجحُ، وقِيلَ: لَمْ يرْسَلْ إِلَيْهِم. وكَوْنُهُ مبْعُوثًا عنْدَ تمَامِ الأرْبَعينَ هوَ الصَّحيحُ وعلَيْهِ الجُمهورُ، قال النَّوَوِيّ: هُوَ الصَّوابُ، وهُوَ المَرْوِيُّ في صَحِيحِ البُخَارِيّ ومُسْلِم عن ابْنِ عَبَّاسٍ وأنَسٍ، وكذَا قالَ قبَاثُ بنُ أَشْيَم الصَّحابيّ وعطاءُ وابن المسيّب وجُبَيْر بنُ مطْعم، وقِيلَ: أُوحِيَ إِلَيْهِ لمَّا بلَغَ أرْبَعينَ سنَةً وأرْبَعِينَ يوْمًا، وقِيلَ: لمَّا بَلَغَ أرْبعينَ سنَةً وعَشْرَة أيَّامٍ، وقِيلَ: أرْبعينَ سَنَةً وشَهْرَيْنِ، وقِيلَ أرْبَعينَ سنَةً ويَوْمًا[4].

وعن مكحول[5]: بُعِثَ بعْدَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعِينَ سَنَةً. وقالَ الوَاقِدِيّ وابن أبي عاصم والدُّولَابِيّ: بُعِثَ وهُوَ ابْنُ ثلَاثٍ وأرْبَعِينَ سنَةً، وقِيلَ: ابنُ خَمْسٍ وأَرْبعِينَ. ويُجْمَعُ بأنَّ ذلِكَ حِينَ حَمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَعَ، والقَوْلانِ شَاذَّانِ، والثَّانِي أَشَذُّ.

قال ابنُ حَجَر: حديثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً**)) [6] أَصَحُّ مِنْ رِوايَةِ أَحْمَد عن

---

(1) سورة فصلت: 11.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 387/1.

(3) ورد بمعناه، صحيح مسلم، حدِيث (197).

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 385/1.

(5) أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامِي، ت: 116هـ وقيل غير ذلك، له كتاب: السُّنن في الحدِيث، كتاب المسائل في الفقهِ. سير أعلام النبلاء، 155/5.

(6) صحيح البخاري، حديث (3851).

ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وأرْبَعِينَ فمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْرًا**))[1] وأَصَحُّ ممَّا أخْرَجَهُ [مسلِم][2] عنْهُ أيْضًا بأنَّهُ أقَامَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً[3].

ويَومُ الوَحْيِ يوْمُ الاثنينِ لِسَبْعَ عشْرَةَ مضَتْ مِنْ رمَضَانَ وقِيلَ: لِسَبْعٍ منهُ وقِيلَ: لِأَرْبَعٍ وعشْرِينَ منْهُ، وكوْنُ البَعْثِ في رمضانَ قَولُ الأَكثَرِ والمشْهُورُ عِندَ الجُمهورِ وهُوَ الصَّحيحُ. قالَ ابنُ حَجَر: فعَلَى الصَّحيحِ المشْهُورِ مِنْ أنَّ مَوْلِدَهُ في رَبيعِ الأَوَّل، يكُونُ حِينَ أُنْزِلَ علَيْه سِنّ أرْبَعِينَ سنةً وسِتَّة أشهُر. ويدُلُّ كلامُ ابنُ الكَلبِيّ بأنَّهُ وُلِدَ في رمضانَ، وبِهِ جَزَمَ الزُّبيرُ بنُ بكَّار[4].

وقال ابنُ عبْدِ البَرّ والمسعوديّ: بُعِثَ يوْمَ الاثنَيْنِ لثَمَانٍ مِنْ ربيعِ الأَوَّل سنَةَ إحْدَى وأرْبَعِين مِنْ عامِ الفِيلِ، وصدر بِهِ ابن القيّم ونَسَبَهُ للْأَكثَرِينَ، ثُمَّ حَكَى أنَّهُ كانَ فِي رمَضَانَ عكْسَ النَّقلِ الأَوَّلِ، قال ابنُ حَجَر: فيكُونُ لَهُ أربَعُونَ سنَةً سوَاءً[5].

وجمعَ بما فِي حدِيثِ عائِشَةَ: ((**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**))[6] وحكَى البَيْهَقيُّ أنَّ مُدَّتَهَا سِتَّةُ أشْهُرٍ، فيكُونُ نَبيئًا بالرُّؤيا في رَبيع الأَوَّل ثُمَّ أتاهُ جبريلُ فِي رمَضَانَ، وحَمَلَ علَيْهِ بعضُهُم ((**الرُّؤيَا جُزءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ جُزْء مِنَ النُّبوءَةِ**))[7] لأنَّ مُدَّةَ الوَحْيِ كانتْ ثلاثًا وعِشْرِينَ سنَةً، سِتَّةَ أشْهُرٍ منَامٌ، وذلِكَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ. وجمعَ أيْضًا بأَنَّ نزُولَ "اقْرَأْ" فِي رَمَضَانَ، وأَوَّل "المدَثِّرِ" في رَبِيع، واعْتُرِضَ بأنَّ نزُولَ "المدَثِّرِ" بَعْدَ ثلَاثِ سنِينَ، وقِيلَ: بُعِثَ في أَوَّلِ رَبِيع[8].

ويَشْهَدُ لِبعْثِهِ يوْمَ الاثْنَيْن ما رَواهُ مُسْلِم أنَّهُ ﷺ سُئِلَ عن صَوْمِ يوْمِ الاثْنَيْنِ فقَالَ: ((**فيهِ وُلِدْتُ وفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ**))[9] وفي [144ظ] رِوَايَةٍ لَه: ((**ويَوْمَ بُعِثْتُ فِيهِ**))[10].

واحْتُجَّ لنُزولِهِ في رَمَضانَ بِقوْلِه تعَالَى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ**﴾[11] أيْ: ابْتُدِئَ فيهِ نُزُولُهُ إلَيْهِ ﷺ، وقِيلَ: المرَادُ في الآيةِ أنَّهُ أُنْزِلَ في ليْلَةِ القَدْرِ كلِّهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا وعنْ واثلة عنْهُ ﷺ:

---

(1) مسنَد أحمَد، حدِيث (2017).

(2) إضافة من فتح الباري وشرح الزرقاني.

(3) فتح البارِي، ابن حجَر، 164/7.

(4) فتح البارِي، ابن حجر، 164/7.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 386/1، والقول الأخِير لابن حجر فِي فتح البارِي، ابن حجر، 570/6.

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (3).

(7) وردَ بلفظٍ قرِيبٍ فِي جامع البيان، الطَّبَرِي، 139/15.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 386/1.

(9) صحيح مسلم، حدِيث (1162).

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 387/1، والحدِيث هو نفسه السَّابق.

(11) سورة البقرة: 185.

((**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهِيمَ** عليه السلام **فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رمضانَ، وأُنْزِلَتْ التَّوراةُ لِستٍّ مَضينَ مِنْ رَمَضانَ، وأُنْزِلَ الإنجيلُ لثَلاثَ عشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضانَ، وأُنْزِلَ الزَّبورُ لثَمانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضانَ، وأَنْزَلَ اللهُ القرآنَ لِأَرْبَعٍ وعشرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضانَ**))[1] رواهُ أحمد، وابن جرير والطَّبرانيّ والبَيْهَقيّ[2]. وهَذَا مُطابِقٌ لقَوْلِهِ تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾[3] ولِقولِهِ تعَالَى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١** ﴾[4]

فيَحتَمِلُ أن تكونَ لَيْلَةُ القَدْرِ فِي تلْكَ السَّنَةِ كانتْ تِلْكَ اللَّيْلَة، فأُنْزِلَ فِيهِ جُمْلَةً إلَى السَّماءِ الدُّنيا، ثُمَّ أُنْزِلَ فِي صَبِيحَتِها فِي اليَوْمِ الرَّابعِ والعِشرِينَ إلَى الأَرضِ أَوَّلُ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ"[5].

وعارَضَهُ السّيوطِيّ برِوَايةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عن أبي قلابة: ((**أُنْزِلَت الكُتُبُ كامِلَةً لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رمضانَ**))[6]. وأُجِيبَ بأنَّ الحَدِيثَ المقْطُوعَ[7] لَا يُعارِضُ المتَّصِلَ[8].

ثُمَّ نَزَلَ نُجُومًا بِحَسَبِ الوَقَائِعِ خَمْسَ آياتٍ وعَشْرًا وأَكْثَرَ وأقَلَّ، وصَحَّ نزُولُ عشْرِ آياتٍ فِي قِصَّةِ الإفْكِ جُمْلَةً، ونُزُولُ عَشْرِ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ المؤْمِنِينَ جُمْلَةً، وصَحَّ نزولُ ﴿ **غَيْرَ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ** ﴾[9] وحْدَهُ وصَحَّ نزُولُ ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً** ﴾[10] الآيَة نَزَلَ بعْدَ نُزولِ أوَّلِ الآيَةِ، وكِلَاهُما بَعْضُ آيَةٍ[11].

وأَخْرَجَ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ عن عكرمة: أَنْزَلَ اللهُ القرآنَ نُجُومًا ثَلاثَ آياتٍ وأَرْبَعَ آياتٍ وخَمْسَ آياتٍ[12].

وعنْ عُمَر: تَعَلَّموا القُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آياتٍ فإنَّ جِبْرِيلَ كانَ يَنْزِلُ بالقُرْآنِ علَى النَّبِيءِ ﷺ خَمْسًا خَمْسًا[13].

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (16984)، والسنن الكبرى، البيهقي، حدِيث (18649).

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 387/1-388.

(3) سورة البقرة: 185.

(4) سورة القدر: 1.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 388/1، عن ابن حجر، فتح الباري، 5/9.

(6) الإتقان في علوم القرآن، السيوطِي، ص97.

(7) الحدِيث المقطوع: هو ما أضيف إلى التابعي أو من دونه من قول أو فعل، فإذا اتَّصل بالصّحابِيّ سمِّي موقوفا، وإذا اتَّصل إلى النّبِيّ سمِّي مرفوعا. تيسير مصطلح الحدِيث، النعيمي، ص167.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 388/1، وفِيهِ: لا يعارضُ المرفوع.

(9) سورة النساء: 95.

(10) سورة التوبة: 28.

(11) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1.

(12) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1. ينظر: جامع البيان، الطبري، 147/23.

(13) ورد بلفظ قرِيبٍ فِي المصنف، ابن أَبِي شيبة، حدِيث (29930) عن أَبِي العالِيَة.

ومِنْ طريقٍ ضَعِيفٍ عن عَلِيّ: ((**أُنْزِلَ القرآنُ خَمْسًا إِلَّا سُورَةَ الأَنْعَامِ**))[1] فمعْنَاهُ إِلْقَاؤُهُ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ هذَا القَدْر حَتَّى يَحْفَظَهُ ثُمَّ يُلْقِي البَاقِي، لَا إِنْزَالُهُ بهَذَا القَدْرِ خَاصَّةً، ويُوَضِّحُ ذلِكَ مَا عندَ البَيْهَقِيّ عن أبي العَالِيَة: ((**كَانَ ﷺ يَأخُذُ القُرْآنَ مِنْ جبْرِيلَ خَمْسًا خَمْسًا**))[2][3].

قالَ الجُمهورُ: نَزَلَ في ثَلَاثٍ وعشْرِينَ سَنَةً، علَى أَنَّهُ بُعِثَ لِأَرْبَعِينَ وعاشَ ثلاثًا وستِّينَ، ولا يُنافِيهِ أَنَّ الفَتْرَةَ التِي لَمْ يَنْزِلْ فيها قرآنٌ بعْدَ نُزُولِ "اقرأ" ثَلَاثُ سِنِينَ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ قَبْلَها مُتَّصِلًا بها "اقرأ" فصَدقَ أَنَّهُ نَزَلَ في ثَلَاثٍ وعِشْرِينَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ كان يَنْزِلُ علَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ ولَا كُلَّ شَهْرٍ. وقِيلَ: نزَلَ فِي عشْرِينَ، بِنَاءً علَى أَنَّهُ عاشَ سِتِّين أوْ علَى إِلْغَاءِ الفَتْرَةِ[4].

وإِنْزَالُ القُرآنِ إِظْهارُ القِرَاءَةِ عندَ بَعْضٍ[5] وقِيلَ: أَلْهَمَ اللهُ تعَالَى القرآنَ جبْرِيلَ وهُوَ فِي السَّماءِ وعَلَّمَهُ قرَاءَتَهُ، ثمَّ جِبْرِيلُ [145و] أدَّاهُ في الأَرْضِ. وقالَ الرّازي[6]: إِنْزالُ الكتُبِ علَى الرُّسُلِ أن يتَلَقَّفَها المَلَكُ تَلَقُّفًا رُوحَانِيًّا أو يَحْفَظَها مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ، ويَنْزِلُ بِهَا فيُلْقِيها علَيْهِمْ[7]. وقِيلَ: فِي المُنَزَّلِ علَى النَّبِيءِ ﷺ ثلاثَةُ أقوالٍ أحَدُها: اللَّفظُ والمعنَى، وأنَّ جِبريلَ حفِظَ القُرآنَ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ كلُّ حَرْفٍ منْهَا بِقَدْرِ جَبَلِ قَاف، وتَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ منها مَعَانٍ لا يُحيطُ بِهَا إِلَّا اللهُ.

الثّانِي: أنَّ جبريلَ نَزَلَ بالمعانِي خَاصَّةً، وعَلِمَ النَّبيءُ ﷺ تِلْكَ المعانِي وعَبَّرَ عنْهَا بِلُغَةِ العَرَبِ؛ لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾[8].

والثَّالثُ: أنَّ جبريلَ أَلْقَى علَيْهِ المعْنَى وعَبَّرَ بِهذِهِ الأَلْفَاظِ بلُغَةِ العَرَبِ، وأنَّ أهلَ السَّماءِ يقْرَؤُونَهُ بالعَرَبِيَّةِ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ كذَلِكَ بَعْدُ، ويُؤَيِّدُ الأوَّلَ ما رواهُ الطَّبرانيّ عن النَّواسِ بنِ سَمْعَان عنهُ ﷺ: ((**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ**؛ أيْ: خلَقَ كلَامًا حَيْثُ شاءَ[9] **أَخَذَت السَّماءَ رجْفَةٌ شَديدَةٌ مِنْ خَوْفِ اللهِ، فإِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّماءِ صعِقوا وخَرُّوا سُجَّدًا، فيَكُونُ أَوَّلُهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جبْرِيلُ فيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بمَا أرَاد**، [وهَذَا

(1) تاريخ بغداد، 211/8. ولسان الميزان، 279/2. والزيادات على الموضوعات، السيوطِي، 129/1.

(2) شعب الإيمان، البيهقِي، حدِيث (1806).

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1، نقلا من الإتقان، السيوطِي، ص100.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1-389.

(5) هم أهل السنة والجماعة، كما قال الأصفهاني.

(6) القطب الرَّازِي التحتاني، محمد بن محمد، الشَّافِعِي، حكِيم منطِقِي عارف بالتفسِير والمعاني والبيان والنحو والعلوم الشرعِيَّة، توفي بدمشْق سنة 766هـ، من تصانِيفِهِ: شرح الشمسية في المنطِق، حاشية على الكشاف للزمخشَرِي. طَبقات الشافعية، السبكِي، 374/9، ومعجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 642/3.

(7) الإتقان، السيوطِي، ص100، عن القطب الرازِي في حواشِيهِ على الكَشَّافِ.

(8) سورة الشعراء: 193-194.

(9) العبارة للمؤلِّفِ.

كَمَا يَفْهمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الوَحْيَ، لا فِي حَالِ كلَامِ جِبْرِيلَ بَلْ عنْدَ تمَامِهِ[1]، **فيَنْتَهِي** جِبْرِيلُ بِمَا أَوْحَى اللهُ[2] **علَى الملَائِكَةِ، كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سَأَلَهُ أَهْلُها: ماذَا قَالَ رَبُّنا؟ قالَ: الحَقّ فيَنْتَهِي بِهِ حَيْثُ أُمِرَ))**[3].

وقِيل: كتَبَتْه الملَائكَةُ مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ وجَاءَتْ بِهِ إِلَى جبْرِيلَ عليه السلام يرَوْنَهُ ولا يعْلَمُونَ مِنْهُ حَرْفًا، وإِذَا أَرَادَ إِنْزَالَ شَيْءٍ انْكشَفَ لَهُم.

وقِيلَ: علَيْهِ سِتْرٌ إِذَا أَرَادَ إِنْزالَ شَيْءٍ أزالَ الحِجابَ عنْ ذلِكَ الشَّيْءِ، والقَولانِ لا يُناسِبانِ إِنْزَالهُ مَرَّةً إِلى سَمَاءِ الدُّنيا بَلْ هُما فِي مُطْلَقِ الوَحْيِ.

وكلَامُ اللهِ المَنزَّلُ قِسْمانِ الأَوَّلُ: قال اللهُ لِجِبْريلَ: قُل لِلنَّبيءِ الذِي أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ إِنَّ اللهَ يقولُ لَكَ: كذا وكذَا وأَمَرَ بكَذَا وكَذَا، ففَهِمَ جبريلُ ما قالهُ ربُّهُ، ثُمَّ نزَلَ علَى ذَلِكَ النَّبيءِ، وقالَ لَهُ مَا قالَهُ ربُّهُ ولَوْ بالْمَعْنَى، كمَا يقُولُ المَلِكُ لِمَنْ يَثِقُ بِهِ: قلْ لِفلَانٍ يقُولُ لكَ المَلِكُ اجْتَهِدْ في الخِدمَةِ واجْمَعْ جُنْدَكَ للْقِتَالِ، فإِنْ قالَ الرَّسولُ: يقولُ لَكَ المَلِكُ لا تتَهَاوَنْ في خِدْمَتِي ولَا تَتْرُك الجُنْدَ يتَفَرَّقُ وحثَّهُمْ على الْقِتَالِ، لا يُنْسَبُ إلى كَذِبٍ وتقْصِيرٍ في أَدَاءِ الرِّسالةِ[4].

والثَّانِي: قالَ اللهُ لجِبْريلَ: اقْرَأْ علَى النَّبيءِ هذا الكِتاب أَوْ هذا الكَلامَ، فنَزَلَ بكَلامِ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ كمَا يَكْتُبُ المَلِكُ كتابًا ويُسلِّمهُ إلى أَمِينٍ ويقُولُ: اقْرأْهُ علَى فُلانٍ، أو أَوْصِلْ هذا الكلَامَ بِعيْنِهِ، فهُو لَا يُغيّرُ منهُ كَلِمَةً ولا حَرْفًا[5].

والقُرآنُ هو القِسْمُ الثَّانِي والأَوَّلُ هو السُّنَّةُ كما رُوِيَ [145ظ] أنَّ جبريلَ ينْزِلُ بالسُّنَّة كما يَنْزِلُ بالقرآنِ[6].

قال الزُّهريّ: الوَحْيُ ما يوحِي اللهُ إلى نَبِيءٍ مِنْ أنْبِئَائِهِ فيُثَبِّتُهُ في قَلْبِهِ فيَتَكَلَّمُ بِهِ ويكْتُبُهُ وهُوَ كلامُ اللهِ يَعْنِي كتُبهُ المُنَزَّلةُ. ومِنْهُ ما لا يَتَكَلَّمُ بِهِ ولا يَكْتُبُه لِأَحَدٍ ولا يَأْمُرُ بكِتَابَتِهِ، ولكِنْ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ ويُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُ أن يُبيِّنَهُ لِلنَّاسِ ويُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ[7].

وقِيل: بُعِثَ وهو ابْنُ خَمْسٍ وأَرْبَعِينَ سنَةً لِسَبْع وعِشْرينَ مِنْ رَجَب[8].

قالتْ عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنْهَا: **((أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصَّادقةُ في النَّومِ، فكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جاءَتْ مثْلَ فلَقِ الصُّبحِ، وكانَ يَأْتِي حرَاء فيَتَحَنَّثُ فيهِ اللَّيالِي ذَوَات العَدَدِ،**

---

(1) العبارة للمؤلِّفِ.

(2) العبارة للمؤلِّفِ. في شرح المواهب، وفتح الباري: بِهِ.

(3) فتح الباري، ابن حجر، 538/8. ورد بلفظٍ قريبٍ، مجمع الزَّوائد، الهيثمِي، حدِيث (11288).

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 389/1.

(5) (م، س)، 389/1.

(6) (م، س)، 390/1.

(7) (م، س)، 390/1، عن ابن أبِي حاتم عن الزهرِي. ينظر: الإتقان، السيوطِي، 128/1.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 390/1، عن مغلطاي في سيرتِهِ، ص89.

ويتزَوَّدُ لِذلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فتُزَوِّدُهُ لِمِثلِها حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهوَ فِي غارِ حرَاء فجاءَهُ المَلَكُ فيهِ فقالَ: اقْرَأْ فقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجهْدَ فأرْسَلَنِي فقالَ: اقْرَأْ فقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بلَغَ مِنِّي الجهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي فقَالَ: اقْرَأْ فقُلْتُ: ما أَنَا بِقَارِئٍ، فأَخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّالثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي فقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ ﴾[1] **حتَّى بلَغ** ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[2] **فرَجَعَ بِها تَرْجِفُ بوَادِرُهُ حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجةَ فقَالَ: زَمِّلوني زمِّلوني فزَمَّلوهُ حتَّى ذَهَبَ منْهُ الرَّوعُ فقال: يا خَدِيجَة مَالِي؟ وأخْبَرَهَا الخَبَرَ وقالَ: قَدْ خَشِيتُ على نفسِي، فقالَتْ لَه: كَلَّا، أَبْشِرْ فوَالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ. ثُمَّ انْطَلَقتْ بِهِ حَتَّى أتَتْ بِهِ ورَقَةَ بنَ نوْفَل بنِ أسَد بنِ عبْدِ العُزَّى بنِ قُصَيّ، وهُوَ ابنُ عَمّ خدِيجَةَ أخُو أَبِيهَا، وكان امْرَءًا تنصَّرَ في الجَاهِلِيَّة، وكانَ يكْتُبُ الكتَابَ العَرَبِيَّ، فَيكتُبُ مِنَ الإنجيل بالعَرَبيَّةِ ما شاءَ اللهُ أنْ يكْتُبَ، وكانَ شيْخًا كبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فقالَتْ لَهُ خدِيجَةُ: أيْ ابْنَ عَمِّي، اسْمعْ من ابنِ أخِيكَ. فقالَ ورَقةُ: ابنَ أَخِي ماذَا تَرَى؟ فأخبَرَهُ النَّبِيءُ ﷺ ما رأَى فقال وَرَقَةُ: هذَا النَّاموسُ الذِي أُنْزِلَ علَى مُوسَى يا لَيْتَنِي فِيها جَذَعًا، ليْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُم؟ فقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يأْتِ رَجلٌ قَطُّ بمَا جِئْتَ بِه إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ انْصُرْكَ نَصرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أن تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبيءُ ﷺ حُزنًا غدَا مِنْهُ مِرارًا كيْ يتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ [146و] شَوَاهِقِ الجبَالِ فكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جبَلٍ لِكَيْ يُلْقِي نفسَهُ منْه تَبَدَّى لَهُ جبْرِيلُ فقَالَ: يَا مُحَمَّد إنَّكَ رسُولُ اللهِ حَقًّا، فيَسْكُنُ لذَلِكَ جَأْشُهُ وتقرُّ نفْسُهُ فيرْجِع، فإذَا طالَتْ علَيْهِ فتْرَةُ الوَحْيِ غدَا لِمِثْلِ ذلِكَ، فإذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لهُ جبْرِيلُ فقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ))**[3].

وعَائشةُ لَمْ تُشَاهِد ذلِكَ؛ لِأنَّها لَمْ تُدرِكْ ذلك الوَقْتَ بَلْ أخْبَرَهَا صحَابِيٌّ، فحَدِيثُها مُرْسَلٌ أو أخْبَرَهَا النَّبيءُ ﷺ واحْتَجَّ بعضٌ لهَذَا بقَوْلِها: قالَ: فأَخَذَنِي فغَطَّنِي مَهَّد لهُ لِلْوَحْيِ بِالرُّؤيَا، ثُمَّ في اليَقَظَةِ بتَسلِيمِ الشَّجَرِ والحَجَرِ.

و"حِراء" بِكَسْرِ الحاءِ والمدِّ والرَّاء مُخَفَّفة، وحُكِيَ الفتْحُ والقَصْرُ، وهوَ لُغَة، وهُوَ مصْرُوفٌ؛ لِأَنَّهُ مكانٌ وجَبَلٌ، فهُوَ مذَكَّرٌ والأَلِفُ لَيْسَتْ للتَّأْنِيثِ، وإذَا مُنِعَ الصَّرفَ فلِتَأوِيلِ البُقْعَةِ. وبَيْنَهُ وبَيْنَ مكَّةَ نَحْوُ ثلَاثَة أمْيَالٍ عنْ يسَارِ الذَّاهِبِ إلَى مِنىً. وقالَ الخطّابي: "فَتْحُهُ وقَصْرُهُ خَطَأٌ لَا لُغَةٌ"[4][5].

---

(1) سورة العلق: 1.

(2) سورة العلق: 5.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (6982).

(4) غريب الحدِيث، الخطابِي، 240/3.

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 391/1.

ويُروَى: "يتَحَنَّفُ" بالفَاءِ أَيْ: يتَّبع الحَنِيفِيَّةَ دِينَ إبرَاهِيم[1]، أوْ أبدل الثَّاء مِنَ الحِنْث فَاءً كجَدَث وجَدَف، وهُوَ يتَعَبَّدُ اللَّيالِيَ والأيَّامَ معَهَا، واقْتَصَرَ على ذِكْرِ اللَّيالي لاسْتِتْبَاعِها الأيَّامَ.

وذَكَر البُخَارِيُّ ومُسْلِم عنهُ ﷺ أنَّهُ قال: ((**جَاوَرْتُ بِحِرَاء شَهْرًا**))[2].

وذَكَرَ ابن إسحاق أنَّهُ شَهْرُ رمَضَانَ ولَمْ يَصِحَّ عنْهُ أكثَرُ مِنْ شَهْرٍ، وروَى بَعْضٌ[3] أنَّهُ جاورَ أرْبَعِينَ يَوْمًا وقالُوا: إنَّ هذا البَعْضَ مَتْرُوكُ الحَدِيثِ[4].

والجُمهورُ علَى أنَّهُ لَمْ يَتَعبَّد قبْلَ البِعْثةِ بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ، واختَارَ ابنُ الحَاجِبِ والبيْضَاوِي تَعَبُّدَهُ بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ فقِيلَ: آدم، وقِيلَ: نوحٌ، وقِيلَ: إبرَاهِيم، وقِيلَ: موسَى، وقِيلَ: عيسَى، وقِيلَ: بِشَرْعِ مَنْ قبْلَهُ دونَ تَعْيِينٍ، وقِيلَ: بِجَمِيعِ الشَّرائِعِ، ونُسِبَ للْمَالكِيَّة، وقِيلَ: بالْوَقْفِ[5].

والمذْهَبُ أنَّ شَرْعَ مَنْ قبلَنَا لَيْسَ شَرْعًا لنَا، فلَيْسَ شَرْعًا لَهُ ﷺ والأَصْلُ عدَمُ الخصُوصِيَّةِ. وأنَا أظُنُّ أنّ تَعبُّدَهُ ذِكرُ اللهِ بِحَسَبِ ما علَّمَهُ مِنَ الأَذْكارِ مِثْلَ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ والحَمْدُ للهِ وسبْحَانَ اللهِ.

وذَكَرَ بعضُ قَوْمِنَا[6] أَنَّ الخلْوَةَ فيه تعبُّدٌ؛ لأنَّ الانْعِزالَ عنِ النَّاسِ عِبَادَةٌ ولَا سِيَّما مَنْ كانُوا على باطِلٍ، وقالَ ابن المرابط[7] وغَيْرُهُ: يَتَعَبَّدُ بالفِكْرِ وهذَا على قَوْلِ الجُمْهورِ[8].

والمرادُ أنَّهُ يأْخُذُ زادًا لبَعْضِ الشَّهرِ، ثُمَّ ينْفُدُ ويأْخُذُ زادًا آخَرَ لِلَيَالٍ أُخَرَ، وذلِكَ مِقدَارُ الشَّهرِ وكانَ طَعامُهُم غيْرَ كثِيرٍ، وغَالبُ طعَامِهِم اللَّبنُ واللَّحمُ، ولا يدَّخرُ منهمَا كفَايَةَ شَهْرٍ لسُرْعَة فسَادِهِ، ولا سِيَّما أنَّهُ يُطْعِمُ مَن يَرِدُ علَيْهِ.

وإنَّما الانْقِطاعُ الدَّائمُ عن الأَهْلِ ليْسَ مِنَ السُّنَّةِ؛ لأنَّهُ ﷺ لَمْ يَنقَطِعْ بالغَارِ [146ظ] بالكُلِّيَّةِ بلْ قَدْ يرْجِعُ إلَى أهْلِهِ ليَأْنَسُوا ولِضَرُورَتِهِم.

ومعْنَى فَجِئَهُ الحَقُّ: بَغَتَهُ الوَحْيُ وهُوَ حَقٌّ مِنَ اللهِ أوْ رَسُول الحقِّ وهُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام، واتَّفقُوا أنَّهُ جاءَهُ في حرَاء ولَمْ يَعْرِفْ أنَّهُ جبْرِيلُ حِينَئِذٍ بلْ بَعدُ بإخبارِ ورَقةَ أو إخبَارِ جِبرِيلَ عليه السلام. واقْرَأْ: أَمْرٌ لِمُجرَّدِ التَّنبيهِ والتَّيقُّظِ لما سيُلقَى إلَيْهِ أو المَعْنَى تَهَيَّأْ للْقِراءَةِ. وقِيلَ: إنَّهُ علَى ظاهِرِهِ وأنَّهُ تَكْلِيفٌ لِمَا

---

(1) (م، س) 392/1، عن سيرة ابن هشام، 235/1.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4922) وصحيح مسلم، حدِيث (257)، واللفظ لمسلم.

(3) سوَّار بن مصعب كما في شرح المواهِبِ.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 392/1.

(5) (م، س)، 392/1.

(6) هو الزُّرقاني، كما في شرح المواهبِ.

(7) ابن المرابِط: القاضي أبي عبد الله محمد بن خلف بن سعيد المري، ولي قضاءَ مندة، كانَ من أهل الفِقهِ والفَضلِ والتفنُّنِ، له في شرح البخارِي كتاب كبِيرٌ، رحلَ إليه النَّاسُ وسمِعوا منهُ، توفِّيَ بالمدِينةِ بعد الثَّمانِينَ وأربعمِئة. الديباج، ابن فرحون، 240/2.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 392/1.

لَا يُطاقُ ولَوْ أطَاقَ بَعْدُ.

وهَلْ سَلَّم قَبْلَ قَوْلِهِ: "اقْرَأْ" استظهر[1] أنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ؛ لِأَنَّ المقْصُودَ تَفْخِيمُ الأَمْرِ وتَهْوِيلُهُ وابْتِدَاءُ السَّلامِ مُتَعلِّقٌ بالبَشَرِ لَا المَلائِكَةِ، وتَسْلِيمُهُم علَى إبْرَاهيمَ لِأَنَّهم كانُوا علَى صورَةِ البَشَرِ فلا يَرِدُ هُنَا، ولا سلامُهُم علَى أَهْلِ الجنَّةِ؛ لأنَّ أُمورَ الآخِرَةِ مغَايِرةٌ لأُمورِ الدُّنيا غالِبًا[2].

نَعَم روَى أبُو دَاوُد أنَّ جبرِيلَ سَلَّمَ أَوَّلًا، لَكِنْ لَمْ يَرِدْ أنَّهُ سَلَّمَ عنْدَ الأَمْرِ بالقِرَاءَةِ[3].

وفِي رِوايَةٍ ((**مَا أُحْسِنُ أَنْ أَقْرَأَ**)) بدَلَ "ما أنَا بِقَارِئٍ"[4].

ومعنَى غطَّنِي: ضَمَّنِي وعَصَرَنِي وروَى الطَّبرِي وابنُ إسحاق: "فغثَّنِي"[5] أَيْ: حَبَسَ نفَسِي، وروَى أبُو دَاوُد:" فأَخَذَ بِحَلقِي"[6].

ومَعْنَى "ما أنَا بِقَارِئ": لَسْتُ مِمَّنْ يَقْرَأُ لِأَنِّي لَمْ أتَعَلَّم القِرَاءَةَ، وإنَّما هيَ بالتَّعلُّمِ ولِذَا كَرَّرَ غَطَّهُ لِيَسْتَفْرِغَ منْهُ البَشَرِيَّة، ويُفْرِغَ فيهِ مِنْ صفاتِ المَلَكِيَّةِ[7].

والغَطُّ ثلاثٌ في الحديثِ، وفي رِوايَةٍ: غَطَّتانِ. وكَرَّرَ الأَمْرَ بالقراءَةِ ثلَاثًا إشَارةً إلى ثَلَاثَةِ القَوْلِ والعَمَل والنِّيَّة، وأَنَّ الوَحْيَ يشْتَمِلُ على ثلاثَة: التَّوحِيدُ والأَحْكَامُ والقَصَصُ[8].

وانْتَزَعَ شُرَيْح القاضي[9] التَّابعيّ، وقِيل: هُوَ صَحَابِيّ مِنَ الحَدِيثِ أن لَا يُضْرَبَ الصَّبِيُّ فوْقَ ثلَاثٍ على القُرآنِ، كمَا غَطَّ جِبريلُ عليه السلام مُحَمَّدا رسُولَ اللهِ ﷺ ثلاثًا[10].

واحْتَجَّ مَن قالَ: البَسمَلَةُ لَيْسَتْ آيَةً مِنْ كُلِّ سورَةٍ بِقوْلِ جبرِيلَ: اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ.

قُلتُ: الجَوَابُ أنَّ مَن رَوَى الحَدِيثَ اكتَفَى بذِكْرِ ما تَمْتَازُ بهِ، كمَا تقُولُ: قَرَأَ "الحَمْدُ للهِ"، وقَرَأَ "كَهَيَعص" وتُرِيدُ مَعَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فكَذَا هُنَا أَرَادَ الرَّاوِي، فالمرَادُ أنَّهُ قَالَ: مَا أنَا بِقَارِئٍ فقَالَ جبريلُ: بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ إِلَى مَا لَمْ يَعْلَمْ، ويَفْهَم رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَّهُ أمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يقُولَ: بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ إلخ، وهكذَا المَذهَبُ.

---

(1) لعلها الظاهر كما في شرح المواهِبِ.

(2) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 393/1.

(3) الطيالِسِي، المسند، حدِيث (1643).

(4) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 393/1.

(5) سيرة ابن هشام، 236/1.

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 394/1، ورواية أبِي داود الطيالِسِي فِي المسند، حدِيث (1643).

(7) (م، س)، 394/1.

(8) (م، س)، 394/1.

(9) شريح القاضِي: أَبُو أُمَيَّةَ بنُ الحَارِثِ الكِنْدِيُّ، قِيل له صحبة، ولم يَصِحَّ، حَدَّثَ عن عمر وعلِيّ وعبد الرحمن بن أَبِي بكرٍ، حَدَّثَ عنهُ قَيْسُ بن أَبِي حازِم، والشَّعبِي. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 100/4.

(10) الروض الأنف للسهيلي، 262/2. وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 394/1، وفِيه: لا يضرب الصبي إلا ثلاثا على القرآن.

زَعَمَ السُّهيليّ مِنَ المالكيّة أنَّهَا نَزَلَتْ بعدَ ذَلِكَ معَ كُلِّ سورةٍ لَا مِنْهَا[1]، إنْ أرَادَ أنَّها نَزَلَت البَسْمَلة إلَيْهَا بعْدُ، كَمَا نَزَلَتْ مَعَ كُلِّ سورَةٍ قبلَها، ويكُون الحِكمَةُ في تأخِيرِها هنا أنَّهُ أوَّل ما بَدَأَ بالقرَاءَةِ [147و] فكانَ البَدْأُ بها.

وقَدْ ثَبَتَتْ في المُصْحَفِ بإجْمَاعِ الصَّحابةِ، وما ذَكَرَهُ البُخَارِيّ عنْ مُصْحَفِ الحسَنِ البَصْرِيّ شُذُوذٌ. وقال الشّافعيّ: إنَّها آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورةٍ وهُوَ مذْهَبُنا؛ لِأَنَّها تَنْزِلُ أوَّلَ كُلِّ سورَةٍ. فدَعْوَى أنَّها آيَةٌ واحِدَةٌ في جَمِيع القُرآنِ تَنْزِل أَوَّلَ كلِّ سورَةٍ لا دَلِيلَ علَيْهَا، ولَوْ قال بِهَا دَاوُد وأبُو حَنِيفَةَ[2].

والبوادِرُ: جَمْعُ بادِرَة وهِيَ اللّحْمَةُ التِي بَيْنَ العُنُقِ والمَنْكِبَيْن. وفي روَايَةٍ: "يَرْجُفُ فؤَادُهُ". وقالَ: "زمّلونِي" تَعْظِيما لخدِيجَةَ بِخِطَابِ الذُّكورِ، كقولهِ:

وإنْ شِئتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُم[3]

وقوله:

وكَمْ ذَكَرْتُكِ لَوْ أُجْزَى بِذِكْرِكُمُ[4]

وفي رِوَايَةٍ: "خَشِيتُ علَى نَفْسِي" بَدَلَ "خَشِيتُ عَلَيَّ". وفِي رِوايَةٍ فقالَتْ: "مَعَاذَ اللهِ بدَلَ "فقالَتْ: "كَلَّا". واتّفقَ أنَّها قالَتْ: "كَلَّا" فنَزَلَتْ لفْظَةُ "كَلَّا" بعْدَ ذلكَ فِي السُّورَةِ. ومعْنَى أَبْشِرْ: أبْشِرْ بِخَيْرٍ أو بِأنَّكَ رسُولُ اللهِ. ويُرْوَى: "لَا يُحْزِنْكَ" بدَلَ "لَا يُخْزِيكَ". ومَعْنَى وَصْلُهُ الرَّحِمَ: وصْلُهَا بِالمَالِ والخِدْمَةِ والزِّيارةِ والسَّلامِ. والكَلُّ: بفَتْحِ الكَافِ مَنْ لا يَسْتَقِلُّ بأَمْرِهِ، أو المنْقَطِعُ. ويَدْخُلُ في حَمْلِ الْكَلِّ الإنْفَاقُ علَى الضَّعيفِ واليَتِيمِ والعِيالِ، مِنَ الكَلالِ وهُوَ الإعْيَاءُ[5]. ومَعْنَى تكْسِبُ المعْدُوم، بفَتْحٍ علَى الأَشْهَرِ، وقَدْ تُضمُّ، تعْطِي النَّاسَ ما لَا يَجِدُونهُ عندَ غَيْرِكَ، يُقَالُ: كَسَبْتُ الرَّجُلَ مَالًا، كمَا يُقالُ: أَكْسَبْتُهُ مَالًا، أوْ تَكْسِبُ ما يَعْجِزُ عنْهُ غَيْرُكَ؛ أيْ: فتَجُودُ بِهِ. وقَالَ الخطَّابِي: الصَّوابُ أن يقُولُوا: المُعْدِم بِضَمّ المِيمِ وكَسْرِ الدَّالِ[6]، وهُوَ مَن لَا مَالَ لَهُ. ونَوائِبُ الحَقّ: حوَادِثُ الدَّهرِ التِي هِيَ حَقٌّ، بمَعْنَى أنَّهُ لا يُعِينُ على الجُورِ.

ورُوِيَ أنَّهَا أتَتْ غلامًا لعتبة بن ربيعة، نَصْرَانِيًّا مِنْ أهْلِ نيْنوى يُقالُ لَهُ: عدّاس، بشَدِّ الدَّالِ فقَالَتْ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 394/1، نقلا من الروض، السهيلي، 260/2.

(2) هذه الأقوال في شرح المواهب، الزرقاني، 394/1، عن السهيلي، في الروض، 260/2.

(3) شطر من بيت من الطويل للعَرْجِي عجزه: وإنْ شِئْتُ لم أطْعَمْ نُقاخا ولابَرْدا

الصحاح، الجوهري (نقخ)، والحيوان، الجاحِظ، 22/5، دون نسبة.

(4) شطر من بيت من البسِيط، وجدته برواية: كم قد ذكرتك لَو أجزى بذكركم ... يَا أشبَهَ النَّاسِ كلِّ النَّاس بالقَمَرِ

لعمر بن ربيعةَ. الأمالي، القالي، 239/1.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 396/1.

(6) أعلام الحدِيث، الخطّابِي، 129/1.

لهُ: أنْشِدُكَ اللهَ أَلَا مَا أخْبَرْتَنِي هَلْ عنْدَكُم علمٌ مِنْ جبرِيلَ؟ فقال عَدَّاسُ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، يا سَيِّدةَ نساءِ قُرَيْش، ما شَأنُ جبرِيلَ يُذْكَرُ بهذِهِ الأرْضِ التي أهْلُهَا أهْلُ أوْثَانٍ؟ فقَالتْ: أَخْبِرْنِي بِعِلْمِكَ فيهِ، قال: هو أَمينُ اللهِ بيْنَهُ وبَيْنَ النَّبِيئِينَ وهُوَ صاحبُ موسَى وعِيسَى فرَجَعَتْ مِن عِندِهِ[1].

ثُمَّ انطَلَقَتْ بهِ ﷺ حتَّى أتَتْ بهِ ورَقَةَ، وكان كارِهًا لعبَادَةِ الأوْثَانِ، فخرَجَ إلَى الشَّامِ يَسْألُ عن الدِّين فأعْجَبَه النَّصرانيَّة، لَعَلَّه لقِيَ مَن بقِيَ مِنَ الرُّهبانِ على دِينِ عيسَى، وكان يكْتُبُ بالْعَرَبيَّةِ والعِبْرَانيَّة لسانًا وحُرُوفًا، ولَيْسَ الإِنْجِيلُ عِبْرَانيًّا على المشْهُورِ، وقال التَّيْمِي[2]: هُوَ عِبْرَانِي والتَّوراةُ عِبْرَانِيَّة والإِنْجِيلُ سُرْيَانِيّ. وقال ابنُ عبْدِ البَرّ: إنَّهُ تَهَوَّدَ ثمَّ تنصَّرَ، وإنَّما ذَكَرَ الكتابَةَ دونَ الحِفْظِ لأنَّ التَّوراةَ والإنجِيلَ لا يَتَيَسَّران للْحِفْظِ[3].

وإنَّما سَمَّتْ رسولَ اللهِ [147ظ] ﷺ ابنْ أخِي ورَقَةَ؛ لأنَّ الأبَ الثَّالثَ لِورَقة هُوَ عبد العزّى، وهُوَ الأَخُ لِلْأَبِ الرَّابع لِلْمُصْطَفَى ﷺ وهو عبْدُ مَنَاف، كأَنَّها قالَتْ: مِنْ ابنِ أخِي جدِّكَ، فهُو مجازٌ بالحذفِ، أو لأَنَّ والدَ رسولِ اللهِ ﷺ عبْدَ الله في عَدَدِ النَّسَبِ إلى قُصَيّ الذي يَجْتَمِعانِ فيهِ سوَاءٌ، فكانَ مِنْ هذِهِ الحَيْثِيَّة في دَرَجَةِ إخْوَتِهِ، أو قَالَتْهُ على سَبِيلِ التَّوقِيرِ لِسِنِّهِ[4].

والنَّاموسُ: صاحِبُ السِّرِّ مُطْلَقًا عنْدَ الجُمهُورِ وهُوَ الصَّحيحُ، وقِيلَ: لا يُطْلَقُ إلَّا عَلَى سِرِّ الخَيْرِ، وأمَّا صاحبُ الشَّرِّ فجَاسُوسٌ. وقال ابنُ دُرَيْد: النَّاموسُ صاحِبُ سرِّ الوَحْيِ والمرادُ جِبْرِيلُ، وأهْلُ الكتابِ يُسَمُّونه النَّامُوسُ الأَكْبَرُ[5].

وقال وَرَقَةُ: الذِي يأْتِيكَ هوَ الذِي أُنْزِلَ على موسَى، ولَمْ يَقُلْ علَى عِيسَى معَ أنَّهُ نَصْرَانِيّ تَحْقيقًا للرِّسالةِ؛ لأنَّ نزولَ جبْرِيلَ علَى موسَى متَّفَقٌ علَيْهِ عنْدَ أهْلِ التَّوراةِ والإنجِيلِ، بخِلَافِ عِيسَى فَكَثِيرٌ مِنَ اليهودِ يُنْكِرُ نبوءَتهُ. أو لاشْتِمالِ كتابِ موسَى على أَكْثَرِ الأَحْكامِ، ككِتَابِ نَبِيئِنا مُحَمَّد، بِخِلَافِ الإنجيل فأَمْثَالٌ ومواعِظُ. أو لِأَنَّ النَّصارَى يتَّبِعونَ أحكامَ التَّوراةِ ويَرْجِعُون إليها، أَوْ لِأَنَّ موسَى بُعِثَ بالنِّقْمَةِ علَى فرْعَوْنَ وأَتبَاعِهِ بِخِلافِ عيسَى، وكذلكَ وَقَعَت النِّقمَةُ علَى يَدِهِ ﷺ لفِرْعَوْنَ هذِهِ الأُمَّة أبي جهل ومَنْ مَعهُ ببدر[6].

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 397/1، رواية عن موسى بن عقبة وغيره.

(2) التيمي: سُلَيْمَانَ بنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيُّ، نُسِبَ إِلَى تَيْمٍ؛ لِنُزُولِهِ فِيْهِم، حَدَّثَ عَنْ: أنس بن مالك وطاووس، حدَّث عنه ابنه المعتمر وسفيان وشعبة، ت:143هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 195/6.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 397/1، بتصَرُّف.

(4) (م، س)، 398/1.

(5) (م، س)، 399/1.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 399/1.

وقالَ السُّهيْلِيّ: لَمْ يَذْكُرْ عِيسَى لأَنَّهُ عنْدَهُ أحَدُ الأَقَانيمِ[1] واستَبْعَد غَيْره[2] وجَعَلَهُ مُحَالًا في حَقِّ ورَقَةَ وأشبَاهِهِ وأنَّهُ لَمْ يدْخُلْ في كُفرِ النَّصارَى. وفي لَفْظِ الزّبير بن بكّار: النَّاموسُ الذِي يأْتِي عيسَى، إلَّا أنّهُ لا يَصِحُّ[3].

نَعَمْ روَى أبو نُعَيْم بسَنَدٍ حسَنٍ عِنْدَهُمْ: أَنَّ خدِيجَةَ أَتَتْ ابنَ عمّها ورَقَةَ فأخْبَرَتْهُ الخَبَرَ فقالَ: إنْ كُنْتِ صَدَقْتِنِي إنَّهُ ليَأْتِيهِ نامُوسُ عِيسَى الذِي لا يُعَلِّمُهُ بنو إسرائيل أبناءَهُم، فعَلَى هَذَا فكَانَ ورَقَةُ يقُولُ: تارَةً "نامُوسُ موسَى" وتارةً يقولُ "نَاموسُ عِيسَى" فعِنْدَ إخْبَارِ خدِيجَةَ لَهُ بالقِصَّةِ قال: ناموسُ عيسَى بِحَسَبِ ما هُوَ فيهِ مِنَ النَّصرانيَّةِ وعنْدَ إخْبَارِ النَّبيءِ ﷺ قال لَهُ: نامُوسُ مُوسَى[4].

و"الجَذَعُ" بفَتْح الجِيمِ والذَّال المعْجَمَةِ: الشَّابُّ، وقالَ ابن برّي[5]: المشْهُورُ عنْدَ أهْلِ اللُّغةِ والحَدِيثِ إسْكَانُ الذَّالِ[6].

والهَمْزَةُ في "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" داخِلَةٌ علَى جُمْلةٍ محْذُوفَةٍ معْطُوفٌ علَيْهَا بالوَاوِ أيْ: أَمُعَادِيَّ هُمْ ومُخْرِجِي هُمْ؟ عندَ الزَّمخشرِي وجَمَاعَة، وقالَ سيبويه والجُمْهُورُ: الهَمْزَةُ مِنْ جُمْلةِ مَا بَعْدَ الوَاوِ قُدِّمَتْ علَى العاطِفِ لِكَمَالِ صَدْرِيَّتِها، وعلَيْهِ فالعَطْفُ علَى كلَامٍ ورَقَةَ، وهُوَ عطْفُ إنْشَاءٍ علَى خَبَرٍ، ولا بَأْسَ لِوُرُودِهِ فَصِيحًا [148و] وأَصْلُ مُخْرِجِيَّ: مُخْرِجُويَ قُلِبَتْ واوُ الرَّفْعِ فِي جَمْعِ المذَّكَرِ السَّالِمِ يَاءً وأُدْغِمَتْ فِي ياءِ الإضَافَةِ وكُسِرَ ما قَبْلَهَا.

وذَكَرَ عبيْد بن عمَيْر[7] أَنَّهُ قَالَ ورَقَةُ لهُ ﷺ: "لتُكَذِّبنَّهْ ولَتُؤْذينَّهْ ولَتُقَاتِلنَّهْ"[8] بالبِناءِ لِلْمَفعُولِ وهَاء السَّكْتِ[9]. قُلْتُ: أقَالَ لهُ ذلِكَ ولَمْ ينْزَعِجْ، ولـمَّا أخْبَرَهُ بالإخْرَاجِ قالَ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟"؛ لأَنَّ مفَارَقَةَ الوَطَنِ على النَّفسِ شَدِيدَةٌ.

ومعنَى "لَمْ يَنْشَبْ أنْ تُوُفِيَّ": لَمْ يتَعَلَّقْ بِأَمْرٍ مِن الأُمورِ متَعَدِّيًا عن المَوْتِ؛ أيْ: لَمْ يتَأَخَّرْ مَوْتُهُ

---

(1) الروض الأنف، السهيلي، 267/2.

(2) هو الحافظ ابن حجر، كما في شرح المواهب.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 399/1، وفتح الباري، ابن حجر، 26/1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 399/1.

(5) عبد الله بن بري بن عبد الْجَبَّار النَّحْوِيّ اللّغَوِيّ، قَرَأَ كتاب سِيبَوَيْهِ على مُحَمَّد ابْن عبد الْملك الشنتريني، وتصدر للإقراء وقَرَأَ على الْجُزُوليّ، من مؤلفاته: اللّبَاب فِي الرَّد على ابْن الخشاب فِي رده على الحريري فِي درة الغواص، الرَّد على الحريري فِي درة الغواص، حواش على الصِّحَاح، ت:582هـ. بغية الوعاة، السيوطِي، 34/2.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 400/1.

(7) عبيد بن عمير: الواعظ المفسِّرُ، ولد في حياة رسول الله ﷺ حدث عن أبيه وعن عمر بن الخطابِ، وحدَّث عنهُ ابنه عبد الله وعمرو بن دينار وكان من ثقاة التابعِين بمكة، ت:74هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 156/4.

(8) البداية والنهاية، ابن كثِير، 31/4.

(9) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 401/1.

إِلَى ظهُورِ أَمْرِ النُّبوءَةِ. لكِنْ ذَكَرَ ابن إسحاق أنَّ ورقَةَ كانَ يَمُرُّ بِبِلَال يُعَذَّبُ، وهُوَ صرِيحٌ في حيَاتِهِ إِلَى ظهُورِ أَمْرِ الوَحْيِ والنُّبوءَةِ، ودُخُولِ بَعْضِ النَّاسِ في الإِسْلامِ، ويُجْمَعُ بأنَّ المرَادَ مَاتَ قَبْلَ اشْتِهَارِ الإِسْلَامِ، والأَمْرِ بالجِهَادِ.

وذَكَرَ حُسَيْنُ بنُ مُحَمَّد أنَّهُ مَاتَ فِي السَّنةِ الثَّالثةِ مِنَ النُّبوءَةِ، وقِيل الرَّابِعَة[1] وقَالَ الوَاقِدِي: مَاتَ بعْدَ الهِجْرةِ مقْتُولًا ببِلَادِ لَخْمٍ وجُذَام قِيلَ: وهُوَ غَلَطٌ؛ لأنَّ قبْرَهُ بِمَكَّةَ[2].

ولَعَلَّهُ لا يَصِحُّ أنَّهُ يَذْهَبُ إلى أعَالِي الجِبَالِ ليُلْقِيَ نفْسَهُ منْهَا حُزْنًا علَى انقِطاعِ الوَحْيِ حِينَ انْقَطَعَ إلَّا أنَّهُ ثَبَتَ فِي الكُتُبِ الصِّحاحِ.

وفي بَعْضِها وهو كِتَابُ ابن سعد: عن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: مَكَثَ أيَّامًا بَعْدَ مَجِيءِ الوَحْيِ لا يَرَى جِبرِيلَ عليه السلام، فحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا حتَّى كانَ يَغْدُو إلَى ثَبِير مَرَّةً وإلَى حِرَاء أُخرَى يرِيدُ أن يُلْقِي نفْسَهُ[3]. الجوَابُ أنَّهُ أَشْفَقَ أنْ تكُونَ فَتْرَةُ الوَحْيِ لِأَمْرٍ منْهُ فعُوقِبَ بِذَلكَ فذَهلَ عقْلُهُ لِذَلِكَ.

قِيلَ: ولَمْ يَرِدْ شَرْعٌ بالنَّهيِ عنْ قَتْلِ الإنسانِ نَفْسَهُ[4]. قلْتُ: هذَا لَا يُقْبَلُ لأنَّه مِمَّا يُعلَم بالعَقْلِ تَحْرِيمُهُ وأنَّهُ مِن مَسَاوِئِ الأخْلَاقِ. وقِيلَ: فعَلَ ذلِكَ لِضيقِ قلْبِهِ بتكذيبِ قومِهِ لَهُ حَتَّى صَارَ كالوَلهَانِ.

وقِيلَ: حَزِنَ على ما فَاتَهُ مِنْ بِشَارَةِ ورَقَةَ ولَمْ يُخَاطَبْ عنِ اللهِ بأنَّهُ رَسُولُ اللهِ ومبْعُوثٌ إلى عبَادِهِ. ويُبْحَثُ بأنَّ في مُرْسَلِ عُبَيْد بنِ عُمَيْر عن ابن إسحاق أنَّهُ نادَاهُ: أنْتَ رسُولُ اللهِ وأَنَا جبْرِيلُ، بعْدَ الغَطِّ وقَبْلَ أن يَأْتِيَ إلَى خَدِيجَةَ[5].

وفي كِتَابِ ابنِ سعْد عن ابْنِ عَبَّاس: بيْنَمَا هُو عامِدٌ لبَعْضِ تِلْكَ الجِبَالِ، إِذْ سَمِعَ صَوْتًا فوَقَفَ فَزِعًا ثُمَّ رَفَعَ رأْسَهُ، فإِذَا جِبْرِيلُ علَى كُرْسِيّ بيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ مُتَرَبِّعًا يقولُ: يا مُحَمَّدُ أنْتَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وأنَا جِبْرِيلُ[6].

وفي قَوْلِهِ: ((**خَشِيتُ علَى نَفْسِي**)) إِشْكَالٌ فقَالَ أبُو بَكْر أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيم الإِسْمَاعِيلِي الجُرْجَانِيّ[7]: هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ ولَا ضَيْرَ فِيهِ؛ لِجَوَازِ أنَّ هذِهِ الخَشْيَةَ قَبْلَ أنْ يَحْصُلَ لَهُ العِلْمُ الضَّروريُّ بِأَنَّ الذِي جَاءَهُ مَلَكٌ مِن عنْدِ اللهِ [148ظ] وأَشَقُّ شَيْءٍ علَيْهِ أنْ يُقَالَ: مَجْنُونٌ، يَكْرَهُ ذلِكَ في

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بكرِي، 287/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 402/1.

(3) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 166/1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 402/1.

(5) (م، س) 402/1.

(6) (م، س) 402/1، والطبقات الكبِير، ابن سعْد، 166/1.

(7) أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيم الجُرْجاني الإسماعيليّ الشّافِعيّ، شيخُ الشّافعيّة، أخذ عن الحسَن بن سفيان وأبِي يعلَى الموصِلِي وابن خزيمة، وحَدَّثَ عنهُ أبو سعِيد النّقّاش وغيرهُ، صنَّفَ تصانِيف منها: مسند عمر، المستخرج على الصحِيحَيْنِ، ت713هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 292/16.

نفسِهِ ولـمَّا يقُولُوهُ وسيقُولُونهُ إذا دعَاهُم إلى الإيمانِ، أو عَلِمَ بنُورٍ أوْدَعَهُ اللهُ في قلبِهِ أنَّهُ يُقالُ علَيْهِ بَعْدُ[1].

وذَكَرَ بعضٌ أنَّهُ خشِيَ الجنونَ، وأن يكونَ ما جاءَ بِهِ من جِنسِ الكهانةِ، قال ابنُ العَرَبِيّ: وهذَا القَوْلُ بَاطِلٌ[2].

قال السُّهيْلِيّ: لَمْ يَرَ الإسماعليّ أنَّ هذا مُحَالٌ في مبْدَأ الأَمرِ؛ لأنَّ العِلْمَ الضَّروريَّ لا يحصُلُ دُفْعَةً واحِدَةً وضَرَبَ مثلًا بِبيْتِ شِعْرٍ تسمَعُ أوَّلَهُ ولا تَدْرِي أَنَظْمٌ هوَ أم نثْرٌ، فإذا استَمَرَّ الإنشادُ علِمْتَ قَطْعًا أنَّهُ قصَدَ به الشِّعْر، كذلك لـمَّا استمرَّ الوَحْيُ واقْتَرَنَتْ بهِ القرائِنُ المقْتَضِيَةُ للعِلْمِ القَطْعِيّ عَلِمَ أنَّهُ مِن اللهِ، وقَدْ أثْنَى اللهُ علَيهِ بهذا العِلمِ فقال: ﴿ ـامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى قولِهِ: ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾[3] وقِيلَ: إنَّ خَشْيَتهُ مِنْ قوْمِهِ أن يقْتُلوهُ، مع أنَّهُ موقِنٌ بأنَّ ذَلِكَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ ولكنَّهُ يَخْشَى الأذَى لأنَّهُ بشَرٌ، لكن يهوّنُ علَيْهِ الصَّبرُ في ذاتِ اللهِ كُلَّ خَشيَةٍ ويَجْلبُ إلى قلْبِهِ كُلَّ شجاعةٍ[4].

وقِيلَ: خشِيَ الموتَ مِن شدَّةِ الرُّعبِ وقيلَ خشِيَ تعيِيرَهُم، واختارَهُ ابنُ حجَر وقال: هو أَسْلَمُ مِنَ الاعتِرَاضِ والارْتِيَابِ[5].

وقيلَ: خَشِيَ المرضَ، وجَزَمَ بِهِ ابن أبي جمرة وقيلَ: خَشِيَ دوامَ المرضِ وقيلَ: خافَ الْعَجْزَ عن رُؤيةِ المَلَكِ مِنَ الرُّعبِ وقِيلَ: خافَ مفَارَقَةَ الوَطَنِ وقيلَ: خافَ عدَمَ الصَّبرِ على أذَى قومِهِ، وقيلَ: خافَ تَكْذِيبَهُم وقِيلَ: خافَ مقَاوَمَةَ هذَا الأَمْرِ، وحَمْلَ أعْبَاءِ النُّبوءَةِ أن تَزْهَقَ نفسُهُ أو ينْخَلِعَ قلبُهُ؛ لشِدَّةِ ما لَقِيَهُ أوَّلًا عند لقَاءِ المَلَكِ. وقيلَ: إنَّ ذلكَ خاطِرُ خَوْفٍ زالَ فِي حِينِهِ واعْتُرِضَ بأنَّهُ استَقرَّ وحَصَلَت المرَاجَعَةُ فيهِ. وقال عياض: هذَا أَوّلَ ما رأَى التَّباشِيرَ في النَّومِ واليقَظَةِ وسَمِعَ الصَّوتَ قبْلَ لِقاءِ الملَكِ وتَحَقُّقِ رسَالَةِ رَبِّهِ، وأمَّا بعدَ أنْ جَاءَهُ بالرِّسالةِ فلا يجوزُ علَيْهِ الشَّكُّ، واعتُرِضَ بأنَّهُ خلافُ صَرِيحِ الحَدِيثِ بأَنَّ هذَا بعْدَ الغَطِّ، وقَوْلِهِ: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" وأجِيبَ بأَنَّ مُرَادَهُ إخْبَارُهَا لِمَا حَصَلَ لهُ لا أنَّهُ خافَ حالَ الإخْبَارِ[6].

قال السُّهيليّ: لـمَّا قالَ لَهُ ثلاثًا: ما أنَا بِقَارِئٍ قال: "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ" أيْ: لَا بِقُوَّتكَ ولَا بِمَعْرفَتِكَ، بلْ بِحَوْلِ ربِّكَ وإعانَتِهِ، فهُوَ يُعلِّمُكَ كما خلقَكَ، ونَزَعَ عَلَقَ الدّمِ ومَغْمزَ الشَّيطانِ مِنْكَ في الصِّغَر،

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 403/1.
(2) (م، س) 402/1، عن ابن حجر، فتح البارِي، 24/1.
(3) سورة البقرة: 285.
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 404/1، عن السهيلي، الروض الأنف، 270/2.
(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 404/1، عن ابن حجر، فتح البارِي، 24/1.
(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 404/1.

بعد ما خَلَقَهُ فِيكَ، كما خلَقَهُ في كُلِّ إِنْسَانٍ. فالآيَتَانِ المتقَدِّمتَانِ لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ والأُخْرَيَانِ لأُمَّتِهِ وهُمَا: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[1] لأنَّها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتُبُ، فصارُوا أهْلَ كِتابٍ وأصْحَابَ قَلَمٍ فتعَلَّمُوا [149و] القرآنَ بالقَلَمِ وتعَلَّمهُ نبيئُهُم تَلَقِّيًا مِنْ جبْرِيلَ علَيْهِما السَّلامُ[2].

وإِنَّما ابْتُدِئَ ﷺ بالرُّؤيَا لِئَلَّا يَفْجأَهُ المَلَكُ ويأْتِيهِ صَرِيحُ النُّبوءَةِ بَغْتةً، فلَا يَحْتَمِلُهَا قِوَى البشَرِ، فبُدِئَ بأوائِلِ خِصَالِ النُّبوءَةِ وتباشِيرِ الكَرَامَةِ[3].

وفي مُرسَلِ عُبَيْد بنِ عُمَيْر: ((**جَاءَنِي جبْرِيلُ وأنَا نَائِمٌ بِنمطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فقال: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ**، وذَكَرَ أنَّهُ فعل بهِ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ وهُوَ يقُولُ: مَا **أَقْرَأُ؟ ما أَقُولُ ذلِكَ إِلَّا افتِدَاءً مِنْهُ أنْ يعُودَ لِي بِمِثْلِ ما صَنَعَ، فقال:** ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[4] إلى قولِهِ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[5] **فقَرَأْتُها ثُمَّ انْصَرَف عَنِّي، وهَبَبْتُ مِن نَوْمِي فكأَنَّما كُتِبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا**))[6].

وذَكَرَ بعْضُ المفسِّرينَ أنَّ الإشارةَ فِي قوْلِهِ تعالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾[7] إلى ذلكَ الكتَابِ الذِي جاءَ بِهِ جِبْرِيلُ[8].

ومَعْنَى: "ما أنَا بِقَارِئٍ" في المَوَاضِعِ الثَّلاثةِ نَفْيُ القِرَاءَةِ. وقال أبو شامة[9]: الأَوَّلُ امْتِنَاعٌ والثَّانِي نَفْيٌ مَحْضٌ، والثَّالِثُ اسْتِفْهَامٌ كأَنَّهُ قال: أَيَّ شَيْءٍ أَقْرَأُ؟ ويدُلُّ لهُ رِوايَةُ: كيْفَ أَقْرَأُ؟ وماذَا أَقْرَأ؟ وفيه زِيَادَةُ البَاءِ في خَبَرِ المُبْتَدَأ المُثْبَتِ[10].

والحِكْمَةُ في الغَطِّ ثلَاثًا شُغْلُهُ عن الالْتِفَاتِ لِشيْءٍ آخَرَ، وإظهارُهُ الشِّدَّةَ والجِدَّ في الأَمْرِ وأَنْ يأْخُذَ الكتَابَ بِقُوَّةٍ تنبِيهًا علَى ثقْلِ القرآنِ الذِي سيُلقَى إِلَيْهِ فإِنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكالِيفِ ثقيلٌ علَى المُكَلَّفِينَ ولا سِيَّما النَّبِيءُ ﷺ فإِنَّهُ كان يتَحَمَّلُها ويُحَمِّلُها أُمَّتَهُ[11].

---

(1) سورة العلق: 4-5.

(2 السهيلِي، الروض الأنف، 259/2-260.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 405/1، عن القاضِي عياض.

(4) سورة العلق: 1.

(5) سورة العلق: 5.

(6) عن ابن إسحاق، سيرة ابن هشام، 236/1.

(7) سورة البقرة: 2.

(8) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 405/1، عن السهيلِي، الروض الأنف، 259/2.

(9) أبو القاسِم عبد الرحمن بن إسماعِيل، نحوِي مقرِئ ت:665هـ.

(10) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 405/1-406.

(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 406/1، عن البيْضاوِي.

وقِيلَ: حِكْمَة الْغَطِّ ثَلاثًا إبْعَادُ التَّخَيُّلِ والوَسْوَاسِ. وعن عمرو بن شُرحْبيل أَنَّهُ ﷺ قالَ لِخَدِيجَةَ: ((**إنِّي إذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سمِعْتُ نِداءً، وقَدْ خَشِيتُ واللهِ أنْ يكُونَ [لِهَذا أَمْرٌ]**[1]، **قالَتْ: مَعَاذَ اللهِ ما كَانَ اللهُ لِيَفْعَلَ بِكَ ذَلِكَ، إنَّكَ لتُؤَدِّي الأمانَةَ وتَصِلُ الرَّحِمَ وتَصْدُقُ الحَدِيثَ**))[2] ولمَّا وَقَعَ الغَطُّ ثلاثًا عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ فاطمَأَنَّ، وقيل: الغَطَّةُ الأُولَى لِلتَّخلِّي عن الدُّنيا، والثَّانيةُ لِمَا يُوحِي إِلَيْهِ والثَّالثةُ للمُؤَانَسَةِ. وقِيلَ: إشَارَة إلَى الشَّدائدِ الثَّلاثِ: الحَصْرُ في الشِّعْبِ وخُرُوجهُ للْهِجْرَة ومَا وَقَعَ لهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وفي الإِرْسَالاتِ الثَّلاثِ إشَارَةٌ إلى حصُولِ الفَرَجِ والتَّيْسِير له عَقِبَ الثَّلاثِ، أو في الدُّنيا والبَرْزَخِ والآخِرةِ. وقِيلَ: للْمُبالَغَةِ في التَّنبِيهِ، فينْبَغِي للْمُعَلِّم الاحْتِيَاطُ في تنبِيه المتعلِّمِ وأمْرِهِ بإحْضَارِ قلْبِهِ. وعَرَفَ النَّبيءُ ﷺ أنَّ جبريلَ مَلَكٌ مِنَ اللهِ لا جِنِّيّ لِوَجْهَيْن الأوَّلُ: لأنَّ اللهَ ﷻ أَظْهَرَ علَى يَدَيْ جبْرِيلَ عليه السلام مُعجِزاتٍ عُرِفَ بِهَا ولَمْ تُذْكَرْ؛ لأَنَّها مِمَّا لا تُحِيطُ بِهِ عقولُنا، أوْ لَا يتَعَلَّقُ لنَا بِهَا غَرَضٌ، كمَا أظْهَرَ اللهُ سبحَانَهُ على يَدَيْ سَيِّدِنا محمَّد ﷺ معْجِزاتٍ [149ظ] عرَفْنَاهُ بِها. الثَّانِي: أَنَّ اللهَ ﷻ خلَقَ في رَسُولِ اللهِ ﷺ عِلْمًا ضَرُوريًّا أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام من عنْدِ اللهِ مَلَكٌ لا جِنِيّ ولَا إِنْسِيّ[3].

قالَ عبدُ الملِكِ بنُ عبدِ اللهِ بن أَبِي سُفيَانَ [بن][4] العَلَاء بنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِي عنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ: ((أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أرَادَ اللهُ كَرَامَتَهُ وابْتَدَاءَهُ بِالنُّبوءَةِ، كانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلَّا سَلَّمَ علَيْهِ وسَمِعَ مِنْهُ[5] [فيَلْتَفِتُ رسولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ وعنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمالِهِ فلَا يَرَى إلَّا الشَّجَرَ وما حَوْلَهُ مِنَ الحِجَارَةِ، وهِيَ تُحَيِّيهِ بتَحِيَّةِ النُّبوءَةِ: السَّلامُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ))][6] الحَدِيث.

وذَكَرَ السَّمعَ لأَنَّهُ قَدْ يكونُ السَّلامُ مِنْ شَيْءٍ بلَا سَمَاعٍ.

وكانَ ابْتِداءُ ذلِكَ قبْلَ النُّبوءَةِ بسَنَتَيْنِ علَى ما رَوَاهُ ابنُ الجَوْزِي عن ابْنِ عبَّاس، قالَ: ((**أقامَ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عشْرَةَ سَنَةً، سبْعًا يرَى الضّوءَ والنُّورَ ويَسْمَعُ الصَّوْتَ، وثَمَان سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ**))[7][8].

قُلتُ: تَقَدَّمَ أَنَّهُ فتَرَ عَنْهُ الوَحْيُ بعْدَ بَدْئِهِ بِـ: "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ" كانَ أَوَّلُ وتَمَّتْ سَنَةٌ وسنَتَانِ بعْدَهُ، وهذَا كَمَا قِيلَ: لَعَلَّهُ أَلْحَقَ سَنَتَيْن مِن ابْتِدَاءِ العَشْرِ بِمَا قَبْلَها لِعَدَمِ ظهُورِ الدَّعْوَة فِيهِما كُلَّ الظُّهُورِ.

---

(1) في تاريخ دمشق: هذا أمرا.

(2) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 7/63.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 1/406-407.

(4) إضافة من دلائل النبوة وتاريخ الإسلام.

(5) ينتهِي الحدِيث هنا في تاريخ الإسلام، الذهبِي، 1/540.

(6) العبارة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، ينظر: دلائل النبوة، البيهقي، 2/146، والمواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 1/200، والخصائص الكبرَى، السيوطِي، 1/234.

(7) ورد بلفظ قرِيب: صحيح مسلم، حدِيث (123) والسنن الكبرى، البيهقِي، حدِيث (12166).

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 1/408.

ومثْلُهُ قوْلُ الزّرقانِيّ عن الخازن[1]: إنْ صَحَّ ذلكَ عن ابْنِ عَبَّاس يُحْمَلُ علَى سَنَتَيْنِ قبْلَ النُّبوءةِ فيمَا كانَ يَرَاهُ مِنْ تباشِيرِها، وثلَاثِ سنِينَ بعْدَها قَبلَ إظْهَارِ الدَّعْوَةِ، وعَشْرِ سِنين مُعْلِنٌ بالدَّعوَةِ بِمَكَّة[2]،وإلَّا نَافَى قَوْلَهُ: "ثَمَان سِنينَ".

واسْتَمَرَّ ذلِكَ بَعْدَ النُّبوءَةِ وما قَبْلَها أَكْثَر، قال السُّهَيْلِيّ: الأظْهَرُ أنَّهما نطَقَتَا بذلِكَ حَقِيقةً وليسَت الحَيَاةُ والعِلْمُ والإرَادَةُ شَرْطًا لهُ؛ لِأَنَّهُ صَوْتٌ وهُوَ عَرَضٌ عنْدَ الأَكْثَرِ لا جِسْمٌ كمَا زَعَمَ النَّظَّام، وإنْ قُدِّرَ الكَلامُ صِفَةً قائِمَةً بنَفْسِ الشَّجَرِ والحَجَرِ فلَا بُدَّ مِنْ شَرْطِ الحيَاةِ والعِلْمِ معَ الكَلامِ فيكونَانِ مؤمِنَيْن بهِ ﷺ ولا يُسَمَّى مُعْجِزًا إلَّا مَا تَحَدَّى بهِ الخَلْقَ فعَجزُوا[3] وتقدَّمَ لِي فِي ذلِكَ كَلامٌ.

وعنْ جابِر بنِ عبْدِ اللهِ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((**جاوَرْتُ بِحِراء شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوارِي هبطْتُ**[4]**، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فلَمْ أَثْبُتْ لهُ فأَتَيْتُ خَدِيجةَ**، بفَتْحِ الخاءِ[5] **فقُلْتُ: دَثِّرونِي دثِّرونِي وصَبُّوا علَيَّ ماءً بَارِدًا فنزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ إلى قولِهِ سبْحَانَهُ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾**[6]))[7].

وذكَرَ البَيْهَقِيّ عن عمْرو بنِ عُبَيْد[8] أنَّهُ: ((**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُجَاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا وهُوَ رَمَضَان**))[9] فلا حُجَّة فِي الحَدِيثِ علَى أنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ المُدَثِّر[10].

وفي رِوايَةٍ: ((**اسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوَادِي**))[11] بدَلَ قَوْلِهِ: "هَبَطْتُ" والمرادُ بـ: شَيْئا: جِبْرِيلُ كَمَا أنَّ في رِوايَةٍ: ((**فَرَفَعْتُ بَصَرِي فإذَا المَلَكُ الذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ** [150و] **جَالِسٌ علَى كُرسِيٍّ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ**))[12] وفي رِوايَة: ((**جالِسٌ علَى عَرْشٍ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ**))[13] وفي رِوايَةٍ:

---

(1) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، مفسر وفقيه ومحدّث ولد ببغداد وقدم دمشقَ، من تصانيفه: لباب التأوِيل في معاني التنزِيل، وعمدة الأفهام في شرح الأحكامِ، ت:741هـ. الدرر الكامنة، 97/3، وومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 492/2.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 408/1.

(3) السُّهيلي، الروض الأنف، 254/2-255.

(4) أسقط المؤلِّف عبارة: فنودِيت فنظرتُ عن يميني فلم أرَ شيئا، ونظرت عن شمالي فلمْ أرَ شيْئا، ونظرت خلفِي فلمْ أرَ شيْئا، فرفعتُ رأسِي. شرح الزرقاني، 409/1، وصحيح البخارِي، حدِيث (4922).

(5) العبارة للمؤلِّف.

(6) سورة المدثر: 1-5.

(7) ورد بلفظ قرِيب، صحيح البخارِي، حدِيث (4922).

(8) في فتح الباري، وشرح الزرقاني: مرسل عبيد بن عمير عند البيهقِي، وعند الطبرِي كذلك، وفيه: عبيد بن عمير بن قتادة اللَّيْثِي.

(9) فتح البارِي، ابن حجَر، 678/8، وينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبرِي، 300/1.

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 410/1.

(11) صحيح مسلم، حدِيث (257).

(12) صحيح البخارِي، حدِيث (4) وفي مواضع أخرَى.

(13) صحيح مسلم، حدِيث (258).

((**فرعبْتُ منهُ**))[1] بدَلَ "فلَمْ أَثْبُتْ لهُ" وهُو معْنَاهُ، بَقِيَتْ فيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الفَزَعِ الأَوَّلِ وزَالَتْ بالتَّدْرِيجِ[2].

وفِي "البُخارِي" في بَدْءِ الوحْيِ: ((**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**))[3] وذَلِكَ قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ، رَكْعَتَانِ بالغَدَاةِ ورَكْعَتَانِ بالْعَشِيِّ ثُمَّ فُرِضَتْ، وأَمَّا الخَمْسُ فلَيْلَةَ الإِسْرَاءِ. ولَمْ يَكُنْ جِوَارُهُ ﷺ لِطَلَبِ النُّبوءَةِ؛ لأَنَّهُ ولَوْ عَلِمَ بالبِشَارَةِ الحَاصِلةِ قَبْلَ ولادَتِهِ وإِخْبَارِ الكَهَنَةِ وبَحِيرَى وغَيْرِهِمْ بأَنَّهُ نَبِيءُ آخِرِ الزَّمانِ، لَكِنْ صَانَهُ اللهُ سبْحَانَهُ عن اعْتِقَادِ ما يُخالِفُ ما عِنْدَ اللهِ تعالَى مِنْ أَنَّهُ لَا تُنالُ بِطَلَبٍ، فإِنَّهُ ﷺ قبْلَ النُّبوءَةِ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ بالتَّوْحِيدِ والإِيمَانِ، وكذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ علَيْهِم السَّلامُ، وهِيَ أَجَلُّ مِنْ أنْ تُنَالَ بالطَّلَبِ والكَسْبِ، وإِنَّمَا هِيَ عَطِيَّةٌ يَخُصُّ بهَا اللهُ مَنْ يشَاءُ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَٰلَتَهُۥ ﴾[4] والوَلايَةُ أيْضًا لَا تُكْسَبُ عنْدَ بَعْضٍ، أعْنِي كونَهُ بِمَقَامِ أنَّهُ وَلِيٌّ للهِ، وشَدَّدَ بَعْضُ قومِنا علَى مُدَّعِي أنَّ النُّبُوءَةَ كسْبِيَّةٌ بأَنَّهُ يُكَفَّرُ، وأنَّ مُدَّعِي كَسْب الوَلَايَةِ مبْتَدِعٌ[5].

والوَاضِحُ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ خافَ جبْرِيلَ، كما هُوَ ظَاهِرٌ أوَّلًا. وقالَ بَعْضٌ: إِنَّهُ ﷺ أَجَلُّ مِن ذَلِكَ وأَثْبَتُ جَنَانًا، وإِنَّما ذَلِكَ فَرَحٌ بِحَالِهِ وإِقْباله علَى رَبِّهِ، خَشِيَ أنْ يَشْتَغِلَ بغَيْرِ اللهِ عَنِ اللهِ[6].

وفي روايَةٍ: قالَتْ خَديجَةُ لأَبِي بَكْرٍ رضِيَ اللهُ عنْهمَا: اذْهَبْ بهِ إِلَى ورَقَةَ ففَعَلَ فقَصَّ عليْهِ ما رَأَى[7]. فتَارَةً ذهَبَتْ بهِ إِلَى وَرَقَةَ بنَفْسِها، وتارةً أَذْهَبَتْ أبَا بَكْرٍ بِهِ ﷺ وتارَةً ذَهَبَتْ بهِ إِلَى عَدَّاسٍ بِمَكَّة وتَارَةً سافَرَتْ بهِ إِلَى بَحِيرَى، والأَخِيرُ أغْرَبُ رواهُ التّميمي[8] وذَلكَ مِن شِدَّةِ اعْتِنَائِها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ولَمَّا ذَهَبَ بهِ أبُو بَكْرٍ بأمْرِها إلى وَرَقَةَ قالَ ﷺ: ((**إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاء: يا مُحمَّد فأَنْطَلِقُ هَارِبًا**؛ أَيْ: خَوْفًا مِنَ الجِنِّ فقالَ وَرَقَةُ: لا تَفْعَلْ إذَا قَالَ فَاثبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ ثُمَّ ايتِنِي فأَخْبِرْنِي فلَمَّا خلَا نادَاهُ: **يا مُحَمَّد، فثَبَتَ، فقَالَ: قُلْ** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ **إلى آخِرِ الفاتِحَة، ثُمَّ قالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**))[9] واحْتَجَّ بذلِكَ مَنْ

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4) وفي مواضع أخرَى.

(2) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 409/1.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3238).

(4) سورة الأنعام: 124.

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 410/1.

(6) المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 201/1.

(7) (م، س)، 201/1، عن البيهقِي، دون ذكر المصدرِ.

(8) في شرح المواهب: التيمِي؛ أي سليمان بن طرخان. وهو الأصوب ينظر: عمدة القارِي، العيني، 64/1.

(9) ورد بلفظ قرِيبٍ، دلائل النبوة، البيهقِي، 158/2.

قالَ بِأَوَّلِيَّةِ نزُولِ الفَاتِحَةِ أَوَّلِيَّةً مُطْلَقَةً، والصَّحيحُ أنَّ أوَّلَ ما نَزَلَ عَلَى الإطْلَاقِ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[1] إلى ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝5 ﴾[2] [150ظ] كمَا صَحَّ ذلِكَ عَنْ عائِشَةَ مرْفُوعًا، وكذَا رُوِيَ عن أبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ وعُبَيْد بنِ عُمَيْر التَّابعِيّ وهُوَ الصَّوابُ وعَلَيْه جماهِيرُ الخَلَفِ والسَّلفِ[3].

وَرُوِيَ عن جابِر وغَيْرِه: ((**أوَّلُ ما نَزَلَ** ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝1 ﴾ إلى: ﴿ فَاهْجُرْ ۝5 ﴾[4]))[5] مُطْلَقًا، قالَ النَّوَوِي: هُوَ باطِلٌ لِحَدِيثِ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا: ((**إنَّما نَزَلَتْ "يا أيُّهَا المدَّثِّر" بعْدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ**))[6].

وبَعْدَ الفَتْرةِ حَمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَعَ. قُلتُ: فَتَرَ بعْدَ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" وحَمِي وتَتَابَعَ بَعْدَ "يا أَيُّهَا المُدَّثِّر".

قال يحْيى بن أبي كثير: ((**سَأَلْتُ أبَا سلمَةَ بنَ عبْدِ الرَّحمَنِ، أَيُّ القرآن أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فقَالَ: "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ"، فقُلْتُ: أثبتتُ أَنَّهُ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" فقَالَ أبُو سلمة: سَأَلْتُ جابر بن عبد الله: أيُّ القُرْآن أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فقَالَ: "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّر" فقُلْتُ: أُثْبِتُ أنَّهُ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" قالَ: لَا أُخْبِرُكَ إلَّا بمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: جَاوَرْتُ بِحِرَاء**)) الحَدِيثَ السَّابِقَ[7]، قلْتُ: لَمْ يَقُلْ جَابِر إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّر" كمَا قَالتْ عَائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنْهَا إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: أَوَّلُ مَا نَزَلَ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" فكَلامُ عائِشَةَ لِأَنَّه مَرْفُوعٌ مُقَدَّمٌ علَى كَلامِ جابِر لِأَنَّهُ عن اجْتِهادٍ مِن الحَدِيثِ ولَيْسَ في حَدِيثِهِ إنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ: "يَا أَيُّها المُدَّثِّر" ولَيْسَ مُرادُ جَابِر إنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بالنِّسْبَةِ لِمَا بَعْدَ الفَتْرَةِ؛ لِأَنَّ سائِلَهُ سَأَلَهُ عنْ أَوَّل بالْكُلِّيَّةِ إذْ ذَكَرَ لهُ أَنِّي أُثْبِتُ "اقْرَأْ" فَلَوْ جاءَ الحدِيثُ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ "يَا أَيُّها المُدَّثِّر" لَأَوَّلْنَاهُ بالنِّسْبَةِ لِمَا بَعْدَ "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ" أو بِالنَّظَرِ إلى مَا نَزَلَ بالإنْذَارِ أوْ بالتَّتابُعِ بعْدُ، وتَقَدَّمَ حدِيثُ أَنَّ أَوَّلَ ما نَزَلَ الفَاتِحَةُ[8]، وهُوَ ضَعِيفٌ ومُنْقَطِعٌ، فإنْ صَحَّ فهِيَ أَوَّلُ لِمَا بعْدَ "اقْرَأْ" و"يَا أَيُّها المُدَّثِّر"، وقِيلَ: نَزَلَتْ قَبْلَ أنْ يَرَى رَسول اللهِ ﷺ، وهُوَ تَأْوِيلٌ مِنْ عَالِمٍ لا مِنْ صَحَابِيٍّ ولَا مِنَ الحَدِيثِ، وهُوَ مرْدُودٌ بأَنَّهُ خِلافُ الأَصْلِ، وبأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا علَيْهِ الجُمْهُورُ معَ أَدِلَّتِهِ.

---

(1) سورة العلق: 1.

(2) سورة العلق: 5.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 1/201-202.

(4) سورة المدثر: 1-5.

(5) سبق تخريجه، صحيح البخارِي، حدِيث (4922).

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 1/412. قول النووِي في المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص198.

(7) الحدِيث في صحيح البخارِي، رقم (4924)، وفيه: أنبِئتُ، كما في شرح المواهِبِ، بدل أثبتت.

(8) أسباب النزول، الواحدِي ص19. ولم يُذكر الحدِيث من قبل.

وقِيلَ: أَوَّلُ ما نَزَلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾[1]. وقيل ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾[2] وهُمَا ضَعِيفانِ. وقَدْ رُوِيَ أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قالَ: أَوَّلُ ما نَزَلَ علَى النَّبِيءِ ﷺ أمْرُهُ بالاسْتِعَاذَةِ. قالَ مُحَمَّدُ بنُ جَرِير الطَّبَرِيّ عن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**أَوَّلُ ما نَزَلَ جبْرِيلُ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ قالَ: يا مُحَمَّد اسْتَعِذْ قالَ: أَسْتَعِيذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ، قال قُلْ: بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقَالَهَا ثُمَّ قالَ:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي[151و] خَلَقَ ١﴾[3] قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ أَنْزَلَها علَى مُحَمَّدٍ ﷺ. وفِي سَنَدِهِ ضُعْفٌ وانْقِطَاعٌ[4].

واخْتَصَّ حِرَاء وغارهُ بالتَّحنُّثِ فِيهِ؛ لأَنَّهُ منْعَطِفٌ مِنْ مرُورِ النَّاسِ، فيَتَمَكَّنُ مِنْ عَدَمِ مُخَالطَتِهِمْ، فيتَخَلَّى لِلْعِبادَةِ، ولأَنَّهُ يُبْصِرُ مِنْهُ بَيْتَ رَبِّهِ الكَعْبَة، والنَّظَرُ إلَيْهَا عبَادَةٌ ينْزِلُ للنَّاظِرِ عشْرُونَ رَحْمَةً، فهؤُلاءِ ثَلاثُ عِبادَاتٍ، الخلْوَةُ والتَّعَبُّدُ والنَّظَرُ إلَى الكَعْبَةِ، ولَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ هَؤُلَاءِ الثَّلاثُ. قالَ المرجاني[5]:

تَـأَمَّـلْ حِـرَاءَ فِـي جَـمَـالِ مُـحَـيَّـاهُ ... فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ مِنْ حُلى حُسْـنِهِ تَاهُوا
فَمِمَّـا حَوَى مَنْ جَـاءَ[6] لِعَلْيَـاهُ زَائِرًا ... يُـفَـرِّجُ عَـنْـهُ الْـهَـمّ فِـي حَـالِ مَـرْقَـاهُ
بِـهِ خُلْوَةُ الْهَـادِي الشَّـفِيعِ مُحَمَّـد ... وَفِـيـهِ لَـهُ غَـارٌ لَـهُ كَـانَ يَـرْقَـاهُ
وَقِـبْـلَـتُـهُ لِـلْـقُـدْسِ كَـانَـتْ بِـغَـارِهِ ... وَفِيهِ أَتَـاهُ الْوَحْيُ فِي حَالِ صَـبْرَاهُ[7]
وَفِـيـهِ تَجَلَّى الرُّوحُ بِـالْمَوْقِفِ الـذِي ... بِـهِ اللـهُ فِي وَقْـتِ الْبَـدَاءَةِ سَـوَّاهُ
وَتَحْتَ تُخُومِ الْأَرْضِ فِي السَّـبْعِ أَصْـلُهُ ... وَمِنْ بَعْـدِ هَـذَا اهْتَزَّ بِـالسَّـفْـلِ أَعْلَاهُ
وَلَـمَّـا تَـجَـلَّـى الـلـهُ قَـدَّسَ ذِكْـرُهُ ... لِطُورٍ تَشَـظَّى فَهْوَ إِحْدَى شَـظَايَاهُ
وَمِـنْـهَـا ثَـبِـيـر ثُـمَّ ثَـوْر بِـمَـكَّـةَ ... كَـذَا قَـدْ أَتَى فِي نَقْـلِ تَـارِيخِ مَبْـدَاهُ
وَفِـي طَـيْـبَـةَ أَيْضًـا ثَـلَاثٌ أَعُـدُّهَـا ... فَـعِـيـرًا وَوَرْقَـانًـا وَأُحْـدًا رَوَيْـنَـاهُ
وَيُقْبِـلُ فِيـهِ سَـاعَـةَ الظُّهْرِ مَنْ دَعَـا ... بِـهِ وَيُـنَـادِي مَـنْ دَعَـانَـا أَجَـبْـنَـاهُ
وَفِـي أَحَـدِ الْأَقْـوَالِ فِـي عَـقَـبَـةِ حِـرَا ... أَتَـى ثَـمَّ قَـابِـيـل لِـهَـابِـيـلَ غَشَّـاهُ
وَمِـمَّـا حَوَى سِـرًّا حَوَتْـهُ صُـخُورُهُ ... مِنَ التِّبْرِ إِكْسِـيرًا يُقَـامُ سَـمِعْنَـاهُ

---

(1) سورة المزمل: 1.

(2) سورة القلم: 1.

(3) سورة العلق:1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 414/1. ينظر: جامع البيان، الطبري، 111/1.

(5) عبد الله بن محمد القرشي التونسي، مفسر واعِظ من أكابر الصوفية، ت: 699هـ. المنهل الصافي، ابن تغري، 117/7.

(6) تحذف الهمزة من أجل الوزن.

(7) في المواهب: مبداهُ.

سَـــمِعْـتُ بِـهِ تَسْـــبِيحَهَـا غَيْرَ مَرَّةٍ وَأَسْـــمَعْتُـهُ جَمْعًـا فَقَـالُوا سَـــمِعْنَـاهُ

بِـهِ مَـرْكَـزُ الـنُّـورِ الْإِلَـهِـيِّ مُـثْـبَـتًـا فَلِلـهِ مَـا أَحْلَى مَقَـامًـا بِـأَعْلَاهُ[1]

والْمُحَيَّا: الوَجْهُ. والمَرْقَى: الصُّعود. وفي حرَاء خلَا النَّبيءُ ﷺ قبْلَ النُّبوءَةِ وبعْدَها حَالَ الفَتْرَةِ.

وكَرَّرَ "لهُ" فِي قوْلِهِ: "وفِيهِ لَهُ غارٌ لَهُ كانَ يَرْقَاهُ" لِلتَّأكِيدِ والإشارةِ أنَّهُ كَمُلْكِهِ.

وفي كَوْنِ قِبْلَتِهِ في غارِ حراءٍ القُدْس نَظَرٌ، فإنَّهُ إنَّما صَلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ إلَى القُدسِ بَعدَ الإسْرَاءِ وفَرْضِ الصَّلاةِ، وأَوَّلَ ما صَلَّى إلَى الكَعْبَةِ، وكَأَنَّهُ بَنَى كلامَهُ علَى أَنَّهُ ﷺ مُتَعَبِّدٌ قَبْلَ النُّبوءَةِ بشَرْعِ مُوسَى.

والصّبرى: حَبْسُ النَّفسِ علَى الخَلْوَةِ. والسَّبعُ: الأرْضونَ، وأرَادَ باهْتِزَازِهِ [151ظ] ما ذَكَرَهُ قوْمُنا مِنْ أنَّهُ: ((ﷺ **كَانَ هُوَ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وعَلِيٌّ وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ علَى حِرَاءٍ فتَحَرَّكَ الصَّخرَةُ فقَالَ: اسْكُنْ حِرَاء فمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيءٌ أَوْ صِدّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**))[2] ووَقَعَ ذلِكَ أيْضًا عِنْدَهُم لِأُحُدٍ وثَبِيرٍ أيْضًا.

ومَعْنَى تَجلِّي اللهِ لطُورٍ أَنَّهُ أَظْهَرَ مِنَ النُّورِ لَهُ قَدْرَ أُنْمُلَةِ الخِنْصَرِ كمَا جاءَ بِهِ حدِيثٌ[3].

ومَعْنَى تشَظَّى: تفَلَّقَ وطَارَتْ مِنْهُ قِطَعٌ صارَتْ جِبَالًا وقَدْ عَدَّها، وسَكَّنَ حَاءَ "أُحُدٍ" لِلْوَزْنِ ويَجُوزُ نَثْرًا؛ لِأَنَّهُ تَخْفِيفٌ مِنْ ضَمٍّ، وكذَا لَوْ كانَ مِن كَسْرٍ، ووَرِقان بفَتْحِ الوَاوِ وكَسْرِ الرَّاءِ وسَكَّنَهَا لِلْوَزْنِ ويَجُوزُ نَثْرًا.

قالَ الواحديّ عنْ أنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ**، وجَعَلَهُ دَكًّا **طَارَ لعَظَمَتِهِ سِتَّة أَجْبُلٍ، فوَقَعَتْ ثلَاثَةٌ بالمَدِينَةِ أُحُدٌ ووَرِقَانُ ورَضْوَى ووَقَعَ بِمَكَّةَ ثورٌ وثَبِير وحِرَاءٌ**))[4] وذَكَرَ ابنُ حجَر الحَدِيث، ولَمْ يرْفَعْهُ عن أبي حَاتِم عنْ أبي مالك، وهُوَ غَرِيبٌ ومُرْسَلٌ[5].

وفِي الحَدِيثِ: ((**رَضْوَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقدس**))[6] ومَعْنَى قُبُولُ مَنْ دَعَا فِيهِ: قُبُولُ دعَائِهِ.

ومَعْنَى كَوْنِ قابيل غَشَّى هابيل: قَتَلَهُ وذلِكَ فِي عَقَبَةِ حِرَاء، وقَالَ ابْنُ عَبَّاس: قَتَلَه عَلَى جبل ثور، وقَالَ جَعْفَر الصَّادِقُ: بالبَصْرَةِ فِي المَسْجِدِ الأَعْظَمِ[7].

والتِّبر بالكَسْرِ: الذَّهَبُ والفِضَّة، أو فُتَاتُهُما قَبْلَ أنْ يُصاغَا أو مَا اسْتُخْرِجَ مِنَ المعْدَنِ قَبْلَ أن يُصَاغَ. والإكسِيرُ بالكَسْرِ: الكِيما. ومَعْنَى سَمِعْنَاهُ الأَوَّل: رُوِّينَاهُ، والثَّانِي: سَمِعْنَاهُ بآذانِنا فلَا إيطَاءَ

(1) الأبيات من الطوِيل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 203/1.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (50) باختلاف بسِيطٍ وعبارة: ((فقَالَ: اسْكُنْ حِرَاء)) ليست فِيهِ.

(3) ينظر: سنن التمذِي، حدِيث (3074).

(4) لم أقفْ عليهِ عن الواحدِي، ينظر: تاريخ المدينة، ابن شَبَّة، 79/1.

(5) فتح البارِي، ابن حجَر، 430/6. وفِي تفسِير ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك، 1560/5.

(6) لم أقف عليه في كتب الحدِيث، ينظَر: معجم البلدان، ياقوت، 51/3، وفِيه تكملة: ((وقدس، قدَّسه الله)).

(7) ينظر: معالم التنزِيل، البغوِي، 44/3.

ولَا سِيَّمَا إنْ كانَت الرِّوايَةُ بالكِتَابِ.

رَوَى أبو نُعَيْم مِنْ حَدِيثِ عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا: ((**أنَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ شَقَّا صَدْرَهُ وغَسَلاهُ ثُمَّ قالَ جِبْرِيلُ:** ﴿ **اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾[1]))[2] وفِي بَعْضِ نُسَخِ "المَوَاهِبِ": قَالَا بأَلِفِ الاثْنَيْنِ؛ لأنَّ مِيكَائيلَ راضٍ بِقولِ جِبْرِيل مُقِرٌّ بهِ، والقَائلُ جبْرِيلُ[3].

ولَمَّا أَخْبَرَ ورَقَةَ بذلِكَ قالَ: أَبْشِرْ أشْهَدُ بأنَّكَ الذِي بشَّرَ بهِ المَسِيحُ بنُ مَرْيَم، وأنَّكَ علَى مِثْلِ نامُوسِ مُوسَى، وإنَّكَ نَبِيءٌ مُرْسَلٌ[4].

وعن عائِشَةَ رضِيَ الله عَنْها: ((**نَذَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يعتَكِفَ شهرًا هو وخَدِيجةُ فَوَافَقَ ذلكَ شَهرَ رمَضَانَ، فخرجَ ذاتَ ليْلةٍ فقيل: السَّلامُ علَيْكَ، قال: فظَنَنْتُ أنَّها فجأَةُ الجِنّ، فجِئْتُ مسْرِعًا حتَّى دَخَلْتُ على خدِيجةَ فقالَتْ: ما شَأْنُكَ؟ فأخْبَرْتُها، فقالَتْ: أَبْشِرْ فإنَّ السَّلام خَيْرٌ، ثمَّ خرَجْتُ مَرَّةً أُخْرَى [152و] فإذَا أنَا بجِبْرِيلَ علَى الشّمْسِ جَنَاحٌ لهُ بالمشرِقِ وجناحٌ لهُ بالمغْرِبِ فَهِلْتُ منهُ فَجِئتُ مسرِعًا، فإذا هُوَ بَيْنِي وبيْنَ البابِ فكلَّمَنِي حتَّى أنِسْتُ منهُ ثمَّ وَعَدَنِي مَوْعِدًا فجئتُ لهُ فأَبْطَأَ علَيَّ، فأرَدْتُ أن أرجِعَ فإذَا أنَا بهِ وبِميكَائيلَ قدْ سَدَّ الأُفُقَ فهَبطَ جِبْرِيلُ وبقِيَ ميكَائِيلُ بَيْن السَّماءِ والأَرْضِ، فأخَذَنِي جبْرِيلُ فألْقَانِي على القَفَا ثُمَّ شقَّ عنّي قلبِي فاستَخْرَجَهُ ثمَّ استَخْرَجَ منْهُ ما شاءَ اللهُ أن يسْتَخْرِجَ ثمَّ غَسَلَهُ في طِسْتٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَم، ثمَّ أعادهُ مكَانَهُ ثُمَّ لَأَمَهُ ثمَّ كَفَأَنِي كمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ، ثمَّ خَتَمَ في ظَهْرِي حتَّى وجَدْتُ مَسَّ الخَاتَمِ فِي قَلْبِي**))[5].

والحِكمَةُ في هذَا الشَّقِّ أن يَتَلَقَّى ﷺ ما يُلْقَى إلَيْهِ بقَلْبٍ قَوِيٍّ في أَكْمَلِ الأَحوالِ مِن التَّطهِيرِ، وهذَا الشَّقُّ ثالِثٌ والأَوَّلُ عندَ حلِيمَة بفَتْحِ الحَاءِ، والثَّانِي حِينَ كانَ ابنَ عَشْرِ سِنين والرَّابعُ لَيْلَةَ الإسراءِ، ولَمْ تَثْبُت الخامسةُ[6]. والله أعلمُ.

---

(1) سورة العلق:1.

(2) لم أقف عليه في حلية الأولياء ولا في دلائل النبوة لأبي نعيم، ينظر: المواهب اللدنية، القسطلاني، 204/1.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1.

(4) المواهب اللدنية، القسطلاني، 204/1، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1، ينظر: مسند الحارث، حديث (928).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1.

الفَصْلُ الثَّانِي: مَرَاتِبُ الْوَحْيِ

الأُولَى: الرُّؤيا الصَّادِقةُ قَبْلَ النُّبوءَةِ أو بعْدَها تقرّر ما بعْدَها، فكان كَمَا مرَّ لا يرَى رُؤيا إلَّا جاءَتْ مثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ، كما مَرَّ عن عائشةَ، واستَدَلَّ السُّهيليّ وغَيْرُهُ على أنَّها مِن الوَحْيِ بقَولِ إبراهيمَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[1] الآية فالوَحيُ يأتِيهِم نوْمًا كما يَأتِي يقَظَةً[2].

وروَى ابنُ إسحاق إنَّهُ أتاهُ جبريلُ لَيْلَةَ النُّبوءَةِ وغَطَّهُ ثلَاثًا وقرَأَ علَيْهِ أوَّلَ سُورةِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[3] ثُمَّ أتاهُ وفَعَل ذلِكَ معَهُ يَقَظَةً[4].

وذَكَرَ البُخَاريُّ عنْ عُبَيْد بنِ عُمَيْر: ((**رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ وقَرَأَ: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾**[5]))[6].

قال ابنُ إسحَاق عنْهُ ﷺ: ((**جَاءَنِي جِبْرِيلُ وأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ومَا أَقْرَأُ؟ فَغَطَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ**))[7] وذكرَ بقيَّةَ الحديثِ.

الثَّانيةُ: إلْقَاءُ الشَّيْءِ في قَلْبِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ أن يَرَاهُ. وحَقِيقَةُ الوَحْيِ هنا الإعْلَامُ في خَفَاءٍ أو الإعْلَامُ بسُرْعَةٍ وشَرْعًا: الإعْلَامُ بالشَّرعِ وهُو يعْلَمُ بأنَّهُ وَحْيٌ، وهو غَيْرُ الإلْهَامِ الذِي ليسَ بوَحْيٍ، قال ﷺ: ((**إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَت**[8] **في رُوعِي لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها، فاتَّقُوا اللهَ وأَجمِلُوا فِي الطَّلَبِ، ولَا يَحْمِلَنَّ أحَدَكُم استِبْطاءُ الرِّزقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فإنَّ اللهَ تعَالَى لَا يُنَالُ ما عِنْدَهُ إلَّا بِإطَاعَتِهِ**))[9] وفي الحديثِ: إنَّ الحَرَامَ رِزْقٌ[10] وإنَّ الطَّلَبَ لا يُنَافِي التَّوَكُّلَ. والرُّوع بالضَّمِّ: النَّفْسُ. ورُوحُ القُدُسِ: جِبْرِيل عليه السلام، وسُمِّيَ روحًا لأَنَّهُ يأْتِي بدِينِ اللهِ؛ لأنَّه يَحْيَى بهِ القَلْبُ كالطَّعام والشَّرابِ لِلْجسمِ، وأُضِيفَ للقُدُسِ؛ أيْ: الطُّهْر لِأَنَّه مَجْبُولٌ علَى النَّزاهةِ مِنَ العُيوبِ، والملائكةُ عليْهِمُ السَّلامُ كذلِكَ طاهِرُونَ، إلَّا أنَّهُ أَتَمُّ فَخُصَّ بذلكَ الاسْمِ، أعْنِي بِلَفْظِ القُدُس لِذلِكَ أوْ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنَ اللهِ بالدِّين

---

(1) سورة الصافات: 102.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 257/2.

(3) سورة العلق:1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 420/1، لم أقفْ عليهِ في سيرة ابن هِشام.

(5) سورة الصافات: 102.

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (138).

(7) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 12/63، وسيرة ابن هشام، 236/1.

(8) هكذا في الأصل، ولم ترِد في كتب الحدِيث، وضبطها ابن دريد في الجمهرة بالمثنّاة الفوقيَّة (رعو).

(9) حلية الأولياء، 26/10، وزاد المعاد، ابن القيم، 77/1، صححه الألباني، صحيح وضعيف الجامع، حدِيث (2085).

(10) هو قول أهل السنة، كما في عمدة القارِي، العينِي، 268/2.

الذِي[1] هُوَ طَهَارَةٌ لِأَنْفُسِنا[2].

الثّالثةُ: خِطَابُ المَلَكِ لَهُ: يتَمَثَّلُ لهُ المَلَكُ رَجُلًا [152ظ] فيُخَاطِبُهُ حتَّى يَعِي ما يَقُولُه. وقدْ كانَ يأْتِيهِ في صُورَةِ دِحْيَة الكَلْبيّ، وهُو ابنُ خلِيفَة بنِ فضالة بنِ فروة، بكَسْرِ الدَّالِ وفَتْحِها رَجَّحَ بعْضُهُم الكَسْرَ وبَعْضٌ الفتْحَ، وهو بِلِسانِ أهْلِ اليَمَنِ: رَئِيسُ الجُندِ، شَهِدَ المشاهِدَ كلَّها مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ إلَّا بدْرًا، فقِيلَ: يأْتِيهِ على صورَتِهِ بعْدَ بَدْرٍ لإِسْلَامِهِ بعْدَهَا، ولَا يَأْتِي علَى صُورَةِ مُشْرِكٍ، واخْتِيرَ جوَازُهُ لأنَّ اللهَ جلَّ وعلَا عَلِمَ أنَّهُ يُسلِمُ ويَحْسُنُ إسْلامُهُ. ولَمَّا رآهُ رسُولُ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ أنَّ جِبْرِيلَ يأْتِيه علَى صُورَتِهِ وكانَ جَمِيلًا وَسِيمًا، إذا قَدِمَ لِلتِّجارَةِ خرَجَت النِّساءُ لتَرَاهُ، ويُروَى أنَّهُ إذا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ لَمْ تَبْقَ مَنْ بَلَغَتْ سِنَّ المحيضِ إلَّا خَرَجَت تنْظُرُ إليهِ[3].

فإنْ قلْتَ: إذَا لَقِيَ جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيءَ ﷺ في صُورَةِ دِحْيَةَ مَثَلًا لَا في صُورَتِهِ التِي خُلِقَ عليْها فأَيْنَ تكونُ رُوحُهُ؟ فإنْ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الذِي لَهُ سِتُّمِئَةِ جنَاحٍ حقِيقَة مِنْ لُؤْلُؤٍ فالذِي أتَى لَا رُوحُ جبْرِيلَ؛ لِأَنَّ الفَرْضَ أَنَّها فِي جَسَدِهِ الأَصْلِيّ، ولَا جَسَدُهُ لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ، وإنْ كانَتْ في هَذَا الجَسَدِ الذِي هُو صُورَةُ دِحْيَة بَقِيَ جسَدُهُ الأَصْلِيّ بلَا رُوحٍ، فهَلْ يمُوتُ ذلِكَ الجَسَدُ العَظِيمُ أمْ لا يَمُوتُ؟ ولَكِنْ يبْقَى خَالِيًا مِنَ الرُّوحِ المنْتَقِلَةِ عنْهُ إلَى الجَسَدِ الشَّبِيهِ بِجَسَدِ دِحْيَةَ، ولَا يَلْزَمُ مِن انتِقَالِ الرُّوحِ مَوْتُ الجَسَدِ العَظِيمِ. قُلتُ: قِيلَ لَا يَبْعُدُ أن لَا يكُونَ انْتِقالُها مُوجِبًا موْتَهُ فيَبْقَى الجَسَدُ حَيًّا لا ينْقُصُ مِنْ معَارِفِهِ شَيْءٌ ويكُونُ انْتِقَالُ رُوحِهِ إلَى الجسَدِ الثَّانِي كانْتِقالِ أرواحِ الشُّهداءِ إلَى أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ معَ اتِّصالِهَا بقُبُورِها، ومَوْتُ الأجْسَادِ بمُفَارَقَةِ الأرواحِ ليسَ بوَاجِبٍ عَقْلًا، لتَجْوِيزِهِ ذهَابَ الرُّوحِ ولا يَمُوتُ الجَسَدُ بلْ بِعَادَةٍ أجْرَاها اللهُ تعَالَى فِي بَنِي آدمَ فلَا تَلْزَمُ في غَيْرِهِم[4].

وحَاصلُهُ أنَّهُ يزُولُ الزّائدُ دُونَ فَنَاءٍ، وقالَ إمامُ الحَرَمَيْنِ: معْنَاهُ أنَّ اللهَ أَفْنَى الزَّائدَ مِنْ خَلْقِهِ أو أزَالَهُ عنْهُ ثُمَّ يعيدُهُ إلَيْهِ بَعْدُ، وأجَازَ البُلْقِينِيّ أنَّ الآتِي جِبرِيل بِشَكْلِهِ الأوَّلِ إلَّا أنَّهُ انْضَمَّ فصارَ على قَدْرِ هَيْئَةِ الرَّجُلِ كالقُطْنِ إذَا جُمِعَ بَعْدَ نفْشِهِ[5].

قُلتُ: وهذَا عَيْنُ ما كُنْتُ أقُولُ قَبْلَ اطِّلاعِي علَيْهِ والحَمْدُ للهِ. واللهُ أَقْدَرَ الملائكةَ على الشَّكلِ بمَا شاؤُوا وعَلَى الانْطِواءِ، فتَمَثُّلُ المَلَكِ رَجُلًا لَيْسَ معْنَاهُ أنَّ ذاتَهُ انْقَلَبَتْ رَجُلًا، بلْ معْنَاهُ أنَّهُ ظَهَرَ بتِلْكَ الصُّورةِ تَأْنِيسًا لِمَنْ يُخَاطِبُهُ، فالقَدْرُ الزَّائدُ لا يَزُولُ ولا يَفْنَى بلْ يَخْفَى علَى الرَّائِي وهذَا مَذْهَبُنا.

---

(1) في الأصْلِ: التِي.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 420/1.

(3) شرح المواهب، الزُّرقاني، 423/1.

(4) (م، س)، 423/1.

(5) (م، س)، 425/1.

وأجَازَ بَعْضٌ أنَّ اللهَ خَصَّهُ بِقُوَّةٍ مَلَكِيَّةٍ يَتَصَرَّفَ فيها، بِحَيْثُ تكُونُ رُوحُهُ في جسَدِهِ الأَصْلِيّ مُدَبِّرَةً لَهُ، ويتَّصِلُ أَثَرُها بِجِسْمٍ آخَرَ يَصِيرُ حَيًّا بِمَا اتَّصَلَ بهِ مِنْ ذلِكَ الأثَرِ. وقدْ قِيلَ: إنَّما سُمِّيَ الأَبْدَالُ [153و] أبدالًا لأنَّهُم قدْ يرْحَلُونَ إلى مَكانٍ ويُقِيمونَ فِي مكَانِهم شَبَحًا آخَرَ شَبِيهًا بشَبَحِهِم الأَصْلِيّ بَدَلًا منْهُمْ، وأَثْبَتَ الصُّوفيَّة عَالَمًا مُتَوَسِّطًا بَيْنَ عالَمِ الأَجْسَادِ والأَرْواحِ، وسَمَّوْهُ عالَمَ المِثَالِ، وقالُوا: إنَّه أَلْطَفُ مِنْ عَالَمِ الأجْسَادِ وأَكْثَفُ منْ عَالَمِ الأرْوَاحِ، وبَنَوْا علَى ذلِكَ تَجسُّدَ الأَرْواحِ وظُهُورَهَا في صُوَرٍ مُخْتَلِفةٍ مِنْ عَالَمِ المِثَالِ. قِيلَ: يُسْتَأْنَسُ لِذَلِكَ بِقَوْلِه تَعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿17﴾﴾[1] فيَجُوزُ أنَّ جسْمَهُ الأَوَّل بِحَالِه لَمْ يتَغَيَّر، وقَدْ أقامَ شَبَحًا آخَرَ ورُوحُهُ متَصَرِّفَةٌ فيهِمَا مَعًا فِي وَقْتٍ واحِدٍ. وزَعَمَ بَعْضٌ أنَّ ما ذكرهُ الصُّوفِيَّةُ أحْسَنُ مِمَّا مَرَّ عن البُلْقِينِيّ، وأنَّ مَا ذَكَرَهُ تَكَلُّفٌ[2]. ولَيْسَ كذلكَ، وما ذَكَرَهُ هُو المذهَبُ، أعْنِي أنَّ مذْهَبَنا يقْتَضِيهِ ويتَبَادَرُ هُوَ منْهُ، فإنَّ في كتُبِ أصحابِنا أنَّ الملَكَ يَتَضَاءَلُ حتَّى يَصِيرَ كالوَضْعِ[3].

وقال أَبُو يَعْلَى الحَنْبَلِيّ[4]: لَا قُدْرَةَ لِلْمَلَكِ والجِنّ علَى تَغْيِيرِ خلْقِهِمْ والانْتِقَالِ في الصُّورةِ، وإنَّما يَجُوزُ أنْ يُعَلِّمَهُم اللهُ سبْحَانَهُ وتعَالَى كَلِمَاتٍ وضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الأَفْعالِ إنْ فَعَلُوهُ أَوْ تَكَلَّموا بِهِ نَقَلَهُم اللهُ مِنْ صُورَةٍ إلَى صُورَةٍ[5]. ولَيْسَ هذَا مُنَافِيًا لِمَذْهَبِنا لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُهُ.

الرَّابعةُ: صَوْتٌ كَصَوْتِ الجرَسِ وهو الجُلجُل الذِي يُعَلَّقُ في رُؤُوسِ الدَّوابِ، وهُوَ صَوْتُ المَلَكِ بالْوَحْيِ. قال الخَطَّابيّ: صَوْتٌ متَدَارَكٌ يَسْمَعُهُ ولَا يثبته[6] أَوَّلَ ما يَسْمَعُهُ حتَّى يفْهَمَهُ بعْدُ[7]. وقِيلَ: صَوْتُ أجْنِحةِ المَلَكِ. والحِكْمَةُ في تَقَدُّمِهِ أَنْ يَقْرَعَ سَمْعَهُ الوَحْيُ فلَا يَبْقَى فيهِ مكَانٌ لِغَيْرِهِ، والوَحْيُ كلُّهُ شدِيدٌ، وهذا أشَدُّهُ علَيْهِ؛ لأنَّهُ يرد فيهِ مِنَ الطِّباعِ البَشَرِيَّةِ إلى الأَوْضَاعِ المَلَكِيَّة، فيُوحِي إلَيْهِ كما يُوحَى إلَى المَلَائكَةِ. والفَهْمُ مِنْ صَوْتٍ كصَوْتِ الجَرَسِ أَثْقَلُ مِنَ الفَهْمِ مِن الكَلامِ، وفائِدَةُ الشِّدَّةِ ما يَتَرَتَّبُ على المَشَقَّةِ مِن زِيادَةِ الزُّلفَى ورَفْعِ الدَّرَجَاتِ.

---

(1) سورة مريم: 17.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 425/1.

(3) في الأصل: كالوصع، ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 32/27.

(4) أبو يعلَى الحنْبَلِي: محمد بن الحسين بن محمد بن خلَف، سمِع علي بن عمَر الحَرْبِي، وأملَى عدَّة مجالِسَ، حدَّثَ عنهُ خلقٌ كثِيرٌ، كان عالِمَ العِراقِ في زمانِهِ، وكان ذا عبادَةٍ وتهجُّدٍ وملازَمَة للتَّصنِيفِ مع الجلالة والمهابَةِ، من تصانِيفِهِ: أحكام القرآن، مسائِلُ الإيمانِ، عيون المسائِلِ. ت: 458هـ. طبقات الحنابِلة، ابن أبِي يعلَى، 193/2، سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 89/18.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 425/1.

(6) في أعلام الحدِيث: يتثبّتهُ.

(7) أعلام الحدِيث، الخطّابِي، 121/1.

وقِيلَ: حِكمَتُهُ أنَّ الكلامَ العَظِيمَ لَه مُقَدِّماتٌ تُوذِنَ بتَعْظِيمِهِ لِلاهتِمَام بِهِ[1].

وقيلَ: حِكمَتُهُ أنْ يَستَجْمِعَ قَلبَهُ فيكُون أَوْعَى لِمَا سَمِعَ. وقيلَ: نُزُولهُ هكَذا إذا كانَ فِي الوَعِيدِ، وفِيه نَظَرٌ[2] بَلْ يكُونُ في الوَعِيدِ والوَعْدِ، ولَا يَخْتَصُّ ذلِكَ بالقُرْآنِ. وإنْ قُلْتَ صَوْتُ الجَرسِ مذْمُومٌ لِلنَّهْيِ عنْ مُرافَقَةِ ما عَلَيْهِ جَرْسٌ صَبِيًّا أو بَهِيمَةً ولِأَنَّ المَلَائِكَةَ لا تَصْحَبُها، جاءَ الحَدِيثُ بذَلِكَ كُلِّهِ، فكَيْفَ يُشَبَّهُ بِه صَوْتُ الوَحْيِ وهُوَ مَحْمُودٌ بِهِ والتَّشْبِيهُ إلْحَاقُ نَاقِصٍ بكامِلٍ؟ قُلتُ: يَكْفِي فِي التَّشْبِيهِ الاشْتِرَاكُ فِي صِفةٍ ما هِيَ هُنَا الشِّدَّةُ والقُوَّةُ، وهُوَ المرادُ هُنَا [153ظ] وفِي الجُلجُلِ جِهَةُ طَنِين، وقَدْ قيلَ: التَّنفِيرُ والزَّجْرُ مِنْ أجْلِهِ ولَا طَنِينَ فِي الوَحْيِ، ولَكنْ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بِمَا يَفْهَمُ السَّامعونَ. وعُلِّلَ أيْضًا بِكَوْنِ الجُلْجُلِ مِزْمار الشَّيْطانِ، فالنَّهْيُ لِلْمِزْمَارِيَّة ولَا تُوجَد فِي الْوَحْيِ، وإنَّما المرادُ التَّشبيهُ بِصَوْتٍ متَدَارَكٍ، يُسْمَعُ ولا يُفْهَم مِنْهُ شَيْءٌ تنْبِيهًا علَى أنَّ إتْيَانَهُ يَرِدُ علَى القَلْبِ في هَيْئَةِ الجَلَالِ وأُبَّهَةِ الكِبْرِيَاءِ فيَأْخُذُ هَيْبَةُ الخِطَابِ بِمَجَامِعِ القَلْبِ، ولَا يُفْهَمُ حتَّى يَزُولَ الصَّوْتُ فيَجِدُ المنْقُولَ مرْسُومًا فِي قَلْبِهِ، وهَذَا كَالْوَحْيِ إلَى المَلَائكَةِ فِي السَّماءِ تَضْرِبُ بأَجْنِحَتِها كسِلْسِلَةٍ علَى صَفْوَانٍ إجْلالًا للهِ سبْحانهُ وتَعَالَى ﴿إِذَا[3] فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿23﴾﴾[4] .

وروَى التّرمذِيّ والنَّسائيّ كأَحمَد والحَاكِم عن ابْنِ عُمَر: ((**كَانَ ﷺ إذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ سُمِعَ عِندَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيّ النَّحْلِ**))[5].

فقِيلَ: إنَّ ذلكَ بالنِّسبةِ للحَاضِرِينَ، وأمَّا بالنِّسبةِ إلَيْهِ ﷺ فَكصَلْصَة الجَرَسِ. وقيلَ: إنَّ سَمَاعَهُ كدَوِيّ النَّحلِ حِينَ يتَمَثَّلُ لهُ الملَكُ رَجُلًا[6].

ومِنْ شِدَّة الوَحْيِ الذِي كالصَّلصةِ انْفِصَادُ جَبِينِهِ عَرَقًا؛ أيْ: سيَلَانُهُ والمرادُ بالجَبِينِ الجِنْسُ، فشَمِلَ جَبِينَيْهِ ﷺ، والجَبِينُ: فوقَ الصَّدغِ، والصَّدْغُ ما بَيْنَ العَيْنِ والأُذُنِ. ومِنْ شِدَّةِ هذَا الوَحْيِ أنَّ ناقَتَهُ تَبْرُكُ بِهِ كمَا رُوِيَ عن عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا: ((**وَإِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَيْهِ وهُوَ علَى ناقَتِهِ فتَضْرِبُ جِرَانَهَا مِنْ ثِقْلِ ما يُوحَى إِلَيْهِ**))[7] ورُوِيَ: أنَّهُ جاءَهُ الوَحْيُ مَرَّةً كذَلِكَ وفَخِذُهُ علَى فَخِدِ زيْد بن ثابت، فثَقُلَتْ علَيْهِ حَتَّى كادَتْ تَرُضُّهَا. وذَكَرَ البُخَارِيّ عنْ زَيْد: ((**أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِدِي**

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 426/1، عن البلقيني.

(2) (م، س) 426/1، عن البلقيني.

(3) في الأصل: فإذا.

(4) سورة سبأ: 23.

(5) سنن الترمذي، حديث (3173).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 427/1.

(7) دلائل النبوة، البيهقي، 53/7.

فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي))[1] والرَّضُّ: الكَسْرُ.

ورَوَى الطَّبرانِي عنْ زَيْدِ بنِ ثَابِت: **((كُنْتُ أَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ إِذَا نَزَلَ عليْهِ أخَذَتْه بَرُحاءُ شَدِيدَةٌ وعَرِقَ عَرَقًا شدِيدًا مِثْلَ الجُمَانِ، ثُمَّ سُرِّيَ عنْهُ، وكُنْتُ أكْتُبُ وهُوَ يُمْلِي علَيَّ وربَّما وَضَعَ فَخِذَهُ علَى فَخِذِي حالَ الكِتَابةِ، فمَا أَفْرُغ حَتَّى تَكادُ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ الوَحْيِ، حتَّى أَقولَ لَا أَمْشِي علَى رِجْلِي أبَدًا. ولَمَّا نزَلَتْ علَيْهِ سورَةُ المَائِدةِ كَادَ عضُدُ النَّاقةِ ينْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ السُّورةِ))**[2] والبَرُحَاء بِفَتْحٍ فَضَمٍّ والمَدِّ: شِدَّةُ أذَى الحُمَّى وغَيْرِها. والجُمَان: بِضَمٍّ فتَخْفِيف اللُّؤْلُؤُ الصِّغارُ أوْ خِرْزٌ يُتَّخذُ مِنَ الفِضَّة مثْلُهُ. وسُرِّيَ: بالبنَاءِ لِلْمَفعولِ وشَدِّ الرَّاءِ كُشِفَ عَنْه. والمُرادُ بسُورَةِ المائدةِ بَعْضُها، ولَعَلَّه قولُهُ تعالَى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾[3] الآية فإِنَّها نزَلَتْ بِعَرَفَة وهُوَ وَاقِفٌ بعَرَفَة علَى رَاحِلتِهِ[4].

وهَذهِ المرَاتِبُ منْهَا ثَلاثٌ مِنْ صِفَاتِ الْوَحْيِ، ومِنْها [154و] واحِدَةٌ مِنْ صِفاتِ حَاملِهِ وهِيَ تَمثُّلُهُ رَجُلًا.

الخَامسَةُ: وهِيَ مِنْ صفاتِ حامِلِهِ أنْ يَجِيئَهُ ﷺ جبْرِيلُ فِي صُورَتِهِ التِي خُلِقَ علَيْهَا لهُ سِتُّ مئَةِ جنَاحٍ، كُلُّ جنَاحٍ يَسُدُّ أُفُقَ السَّماءِ حتَّى لا يُرَى مِنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ، فيُوحِي إلَيْهِ ما شَاءَ اللهُ أنْ يُوحِيهِ، وهذا وَقَع لهُ مَرَّتيْنِ إحْداهُمَا فِي الأَرْضِ حِينَ سأَلَ رَبَّهُ أنْ يُرِيَهُ جبْرِيلَ كما هُوَ، وذلكَ بغَارِ حرَاءٍ، أوَائِلَ البِعثَةِ بعْدَ فتْرَةِ الوَحْيِ، والثَّانِيَةُ عِنْدَ سِدْرَة المُنتَهَى كمَا قَال اللهُ ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾** ﴾[5] .

قالَ أَحْمد وابن أبي حاتم وأبُو الشَّيْخ[6] عن ابْنِ مَسعُود: **((لَمْ يَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ جبْرِيلَ فِي صورتِهِ الأَصْلِيَّة إلَّا مَرَّتيْنِ، أمَّا وَاحِدَةٌ فإنَّهُ سأَلَهُ أنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ فأراهُ نفسَهُ، فسَدَّ الأُفُقَ، وأَمَّا الأُخْرَى فلَيْلَةَ الإسْراءِ عنْد السِّدْرَةِ))**[7].

وقال التِّرْمِذيّ مِنْ طرِيقِ مسروق عنْ عَائِشةَ: **((لَمْ يَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ جبْرِيلَ عليه السلام في صُورتِهِ**

---

(1) الحدِيث الأخِير في صحيح البخارِي، (370). شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 427/1.

(2) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (4889).

(3) سورة المائدة: 3.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 428/1.

(5) سورة النجم: 13- 14.

(6) العظمة، أبو الشّيخ، 791/2.

(7) ورَدَ بلفظ قريب: مسند أحمد، حدِيث (3864).

إلَّا مرَّتَيْن، مَرَّةً عنْدَ سدْرَةِ المنْتَهَى، ومَرَّةً في أجياد))[1] وهُو يناسِبُ ما رَوَى ابن لَهِيعة عنْ أبي الأسود عن عُرْوَةَ عن عَائِشةَ: **((كانَ ﷺ أَوَّلَ ما رَأَى جِبْرِيلَ بأَجْيادٍ وَصَرَخَ: يا مُحَمَّد فنَظَرَ يَمِينًا وشِمَالًا فلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ خرَجَ عنْهُم فنَادَاهُ فهَرَبَ ثُمَّ اسْتَعْلَنَ لهُ جِبْرِيلُ مِنْ قِبَلِ حِراء ورأَى حِينئِذٍ جبْرِيلَ لهُ جناحَانِ مِنْ ياقُوتٍ يَخْطِفَان البَصَرَ))**[2] قِيلَ: فتكُونُ هذِهِ المرَّةُ غَيْر المرَّتَيْنِ، ولَمْ تَضُمَّهَا عائِشةُ إِلَيْهِما لاحْتِمالِ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ فِيهَا علَى تَمَامِ صُورَتِه كَمَا قالَتْ: إنَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ[3].

وعِنْدَ أبي الشّيخ عنْ عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنها أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **((وَدِدْتُ أنّي رَأَيتُكَ في صُورَتِكَ التِي خلَقَكَ اللهُ علَيْها، قالَ: وتُحِبُّ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قال مَوْعِدُكَ كذا وكذَا مِنَ اللَّيلِ ببَقِيعِ الغَرقَدِ، فلَقِيَهُ لِمَوْعِدِهِ فنَشَرَ جنَاحًا مِنْ أجْنحَتِهِ فسَدَّ أُفُقَ السَّماءِ حتَّى ما يرَى فِي السَّماءِ شَيْءٌ))**[4].

وروَى ابن المبارك عن الزُّهريّ مُرْسَلًا: أنَّهُ سأَلَهُ أن يتَرَاءَى لهُ فِي صورَتِه التِي خُلِقَ علَيْها. قال: إنَّكَ لنْ تُطِيقَ ذلكَ. قالَ: إنّي أُحبُّ أن تَفْعلَ ذلِكَ، فخَرَجَ إلى المُصَلَّى في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فأتَاهُ جبْرِيلُ في صُورَتِه فغشِيَ علَيْهِ حينَ رَآهُ. فلَعَلَّهُ أرَاهُ بَعْضَ صُورَتِهِ الأَصْلِيَّة؛ لِأَنَّهُ أرَاهُ جَنَاحًا وَاحِدًا فلَا يُعَدُّ هَذِهِ مَرَّةً ثالِثَةً[5].

السَّادسَةُ: إيحَاءُ اللهِ ﷻ إلَيْهِ ﷺ بواسِطَةِ مَلَكٍ وهُوَ فَوْقَ السَّماوَاتِ مِنْ فَرْضِ الصَّلَوَاتِ والجِهادِ [154ظ] والهِجرَةِ والصَّدَقَةِ وصَوْمِ رمَضَانَ والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكَرِ وغَيْرِ ذَلكَ، كمَا رَوَى أبو سعيد الخُدريّ أنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَوْقَ السَّماواتِ لَيْلةَ الإِسْرَاءِ.

السَّابِعَة: وهِيَ التِي قَبْلَها مِنْ صِفاتِ الوَحْيِ: كلَامُ اللهِ تعَالَى إلَيْه بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ كمَا كلَّمَ مُوسَى؛ وذَلِك أنْ يَخْلُقَ لهُ كَلامًا في أُذُنَيْهِ أوْ فِي جَسَدِهِ كلِّهِ، أو حَيْثُ شَاءَ اللهُ. وأمَّا زِيادَةُ ثَامِنَة هِيَ أنْ يَرَى اللهَ موَاجَهَةً فمُنْكَرَةٌ باطِلَة.

وعن عامِر الشَّعبيّ: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قُرِنَ بنُبُوءتِهِ إسْرافِيل، وقالَ ابن التّين[6] عن الشَّعبيّ: قرنَ بِهِ مِيكائيلَ وصَحَّحُوا الأَوَّلَ، وابنُ التِّين مِنْ أهْلِ سفاقص، فكَانَ يَظْهَرُ لَه ﷺ ثلَاثَ سِنِينَ، وقِيلَ: يسْمَعُهُ ولَا يرَاهُ، فيَحْتَمِلُ أَنَّهُ قَبْلَ النُّبوءَةِ أو بَعْدَها، ولَا يَلْزَمُ مِنَ التَّرَائِي الرُّؤيَة، ولَفْظُ الحَدِيثِ "تَرَاءَى

---

(1) سنن الترمذِي، حدِيث (3278).

(2) جامع البيان، الطَّبرِي، 17/22، وفتح البارِي، ابنُ حَجَر، 23/1.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 429/1.

(4) المنتخب من مسند عبد بن حميد، حدِيث (1517) والعظمة، أبو الشَّيخ، 771/2، وشرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 429/1.

(5) الزهد والرقائق، ابن المبارَك، حدِيث (208) وشرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 429/1.

(6) أبو محمَّد عبد الواحد بن التين الصفاقسي: المحدث الراوية المفسر، له شرح على البخاري مشهور سماه المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح، اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري. ت: 611هـ بصفاقس. شجرة النور الزَكيَّة، ابن سالم، 242/1.

لَهُ"[1] وأَمَّا التَّعبيرُ الذِي عَبَّرْتُ عنْهُ بالظُّهور فتَفْسِيرٌ، وذَلِكَ التَّرائِي قَدْ يُطْلَقُ علَى البُرُوزِ ولَوْ بِلَا رُؤيَةٍ.

وكَانَ يأْتِيه بالكَلِمةِ يُخاطِبُهُ بها، وبفِعْلٍ وأَدَبٍ، ثُمَّ قرن بهِ جبريلُ فجاءَهُ بالقرآنِ والوَحْيِ ولَمْ ينْقَطِعْ عنهُ جبريلُ فيمَا قِيلَ بِالكُلِّيَّةِ، بلْ رُبَّما أتَاهُ بِخِلَافِ إِسْرَافِيلَ، فلا يُفَارِقُهُ في المدَّةِ. والمشْهُورُ أنَّ إسرافِيل قُرِنَ بهِ قَبْلَ النُّبوءَةِ، وأَنْكرَ الواقِديّ كونَ غَيْرِ جِبْرِيلَ قُرِنَ بهِ واخْتَارَهُ الشَّامِي[2] ولَا سِيَّما أَنَّهُ قِيلَ: حَدِيثُ الشَّعْبِيّ مُرْسَل أوْ مُعْضَلٌ[3].

ثُمَّ إنَّهُ عُدَّت المرْتَبَةُ السَّادسَةُ باعْتِبَارِ مَحَلِّ الإيحاءِ أَنَّهُ السَّماءُ لا الأَرْضُ، ولا يَلْزَمُ علَيْهِ أنْ تُعَدَّ بِقاعُ الأَرضِ لِأَنَّا عدَدْنَا الأَرْضَ كُلَّها بُقْعَةً وعَدَدْنَا السَّماوات وما فوقَها بُقْعَةً، والسَّماوَاتُ وما فَوقَها مَحَلُّ غَيْبٍ بخِلَافِ الأَرْضِ فهِيَ نَوْعٌ علَى حِدَة.

وزِيدَتْ مرْتَبَةٌ ثامِنَةٌ هِيَ العِلمُ الذِي يُلْقِيه اللهُ تعَالَى في قَلْبِهِ وعلَى لِسانِهِ عِندَ الاجْتهَادِ فِي الأحْكامِ علَى الْقَوْلِ بأَنَّهُ يَجْتهِدُ. وإِنَّما عُدَّ اجْتهَادُهُ مِن مَرَاتِبِ الوَحْيِ لِأَنَّهُ إذَا اجْتَهَدَ أصَابَ الحَقَّ عنْدَ اللهِ، فيَبْقَى بلَا بَيَانٍ لهُ مِنَ اللهِ جلَّ وعَلَا، كمَا يَقعُ لِلْمُجْتهِدِ مِن النَّاسِ يُخْطِأُ في بَعْضِ الأحْيَانِ ولا يَدْرِي ولا يُعاقَبُ.

ولا يُعدُّ مَجِيئُهُ علَى صُورَة غَيرِ دِحْيَة مِنَ النَّاسِ قِسْمًا آخَرَ، كمَا يَجِيءُ على صُورةِ أعْرَابِيّ أو غَيْرِ أَعْرَابِيّ لَا يُعْرَف، بَلْ تُعَدُّ رُؤيتُهُ على صُورَةِ دِحيةَ ورُؤيَتُهُ على صُورَةِ غَيْرِهِ مِن النَّاسِ قِسْمًا واحِدًا. كمَا جاءَ في حدِيثِ الإيمانِ أَنَّهُ لا يُرَى عليْهِ أَثَرُ السَّفرِ، وأَنَّهُ لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَّا، ودِحْيَةُ معْرُوفٌ عنْدَهُم.

واقْتَصَرَ النَّاظِمُ على [155و] مراتِبَ ثَلَاثٍ؛ لِأَنَّها الغَالِبُ كمَا مَرَّ علَى أنَّ البَيْتَ هكَذا: ولَازَمَكَ النَّامُوسُ إمَّا بِنَفْثِهِ بالثَّاء المثلَّثةِ لا بالسِّينِ.

وأشَارَ إلَى أنَّ المرَادَ الغَالِب بِقَوْلِهِ: "ولازَمَكَ" علَى أَنَّهُ يُمكِنُ أن يكُونَ المُرَادُ لازَمَكَ علَى الصُّورَةِ التِي تَعْلَمُ منْهَا حينَ المَجِيءِ أَنَّهُ وَحْيٌ، إلَّا حَدِيث تَعْليمِ أَمْرِ الدِّين ففِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ جِبْرِيلُ إلَّا بعْدَ مَا وَلَّى. وَلِي فِي "حَاشِيَةِ القَنَاطِرِ"[4] مبْحَثٌ في هذَا الحَدِيثِ.

ومنه: ((**لَمَّا أَدْبَرَ قَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا**))[5] وفي حديثِ أَبِي عَامِر: ((**والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ**

---

(1) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 431/1، ولم يقل الزُّرقانِي إنَّ ابن التين من أهل سفاقص.

(2) سبل الهدَى والرَّشَاد، الشَّامِي، 310/2.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 431/1.

(4) حاشِيَة القناطِر: مخطوط للمؤلِّفِ، حاشِيَة وضعها على كتابِ قناطِرِ الخيراتِ، لإسماعِيل بن موسَى الجيطالِي (ت:750هـ) في مكتبة القطبِ نسخة منه بالرَّمزِ:(أ–و5ج1). وله أيضا: حاشِية القنطرة الثانية، وحاشِية القنطرة الثَّالِثَة منه نسخة في مكتبة القُطبِ بالرَّمزين (أ–و5ج2) و (أو5) حاشِيتانِ على نفسِ الكتابِ.

وللمؤلف حاشية أخرى على القناطِر بالرَّمزِ:(أو5/1) لم يكمِل تأليفها، فقد اقتصر فيها على أبوابٍ من الكتابِ لم يتمَّها، وهي غير الحاشِية التي أشار إليها هنا. فهرِس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، ص143، و181.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (50).

بِيَدِهِ ما جاءَنِي قَطُّ إلَّا وأَنَا أَعْرِفُهُ إلَّا أنْ تَكُونَ هَذِهِ المَرَّةَ))[1] وفي رِوايَةِ سُلَيْمان التَّيمِي[2] وابْنِ حبَّان: ((**والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما شُبِّهَ عَلَيَّ منذُ أَتَانِي قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ، ومَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى**))[3].

وذَكَرَ السُّيُوطِيّ أنَّ المَلَكَ يأْتِيهِ في النَّومِ[4]. وهَلْ نَزَلَ عليهِ فِيهِ قُرْآنٌ؟ والأَشْبَهُ أنَّهُ نَزَلَ كلُّهُ يَقَظَةً، ولَفظُ مسْلِم وأبِي داوُد والنَّسَائِيّ: ((**عَن أَنَسٍ بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إذْ أَغْفَى إغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فقُلْنا: مَا أضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ: أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفا سُورَةٌ فقرَأَ:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿1﴾﴾[5] **إلَى آخِرِها**))[6]، ففَهِمَ بَعْضٌ أَنَّها نَزَلَتْ في الإِغْفَاءِ؛ لأَنَّ رُؤيَا الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ ووَحْيٌ. قُلْتُ: لَيْسَ المُرَادُ بالغَفْوَةِ حقِيقَةُ النَّوْمِ الخفِيفِ بَلْ شَيْءٌ يُشْبِهُهَا.

وقالَ بَعضُ قَوْمِنَا: إنَّهُ خَطَرَ له فِي النَّومِ سُورةُ الكَوْثَرِ المُنَزَّلةُ في اليَقَظَةِ، أو عُرِضَ علَيْهِ الكَوْثَرُ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ السَّورَةُ، فقَرَأَهَا عَلَيْهِم وفَسَّرَها لَهُم. ثُمَّ رَأَيْتُ هذا البَعْضَ قالَ: أَو الإِغفاءَةُ لَيْسَتْ نوْمًا، بَلْ هيَ البرُحَاءُ التي تَعْتَرِيهِ عنْدَ الوَحْيِ. ورَأَيْتُ السّيّوطِي أيْضًا قال: كَوْنُها البَرُحاء أَصَحُّ[7]. وكلامُهُمَا عَيْنُ ما قُلْتُ، والحَمْدُ للهِ.

وقَوْلُهُ ﷺ: ((**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا**)) كالنَّصِّ في أنَّها لَمْ تَنْزِلْ قَبْلُ.

ومِن مَراتِبِ الوَحْيِ قِيلَ: تَصَوُّرُهُ بصُورةِ الفَحْلِ مِنَ الإبِلِ فَاتِحًا فَاهُ لِيَلْتَقِمَ أبا جَهْلٍ لَمَّا شكاهُ الأَرَاشِي إِذْ مَنَعَهُ مِنْ ثَمَنِ إبِلِهِ، وقَدِ اشْتَرَاهَا إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ. ولَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ إِلْقاءَ الحَجَرِ عَلَيهِ ﷺ في سُجُودِهِ، وأَخْبَرَهُ ﷺ جِبْرِيلُ إنِّي جِبْرِيلُ. وذَكَرَ ابن المنيِّر[8] أنَّ الحالَ يَخْتلِفُ في الوحْيِ فإِنْ نَزَل بِخَيْرٍ وبشَارَةٍ وغَيْرِهَا مِمَّا لَيْسَ بِوَعِيدٍ، نزَلَ بصُورَةِ الآدَمِيّ وخَاطَبَهُ بلَا كَدٍّ فِي تلَقِّي الوَحْيِ، وإِنْ نَزَلَ بوَعِيدٍ كانَ كصَلْصَةِ [155ظ] الجَرَسِ[9].

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (17167).

(2) سليمان بن طرخان التيمِي، البصرِي: ت:143هـ. سير أعلام النبلاء، 196/6.

(3) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (173). شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 435/1،

(4) الإتقان، السيوطِي، /129.

(5) سورة الكوثر: 1.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (53).

(7) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 435/1. وقول السيوطِي في الإتقان، 66/1.

(8) أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن منصور القاضي، العلامة، ناصر الدّين، ابن المنير الجذامي، الإسكندراني، المالكيّ، ت:683 هـ، أخو زين الدين علي. لهُ ديوان خُطب وتفسير حديث الإسراء، وتراجم صحيح الْبُخَارِيّ، والاقتفاء في فضائل المصطفَى، وقد وليّ قضاء الإسكندرية وخطابتها مَرّتين. تاريخ الإسلام، الذّهبِي، 491/15، ومعجم المؤلفِين، رضا كحالة، 299/1.

(9) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 436/1.

ويُرْوَى أنَّ جبريلَ عليه السلام نَزَلَ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أرْبَعًا وعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، ونَزلَ علَى آدمَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، وعلَى إدْرِيسَ أرْبَعَ مرَّاتٍ وعلَى نُوحٍ خَمسِين مَرَّةً، وعلَى إبْرَاهيمَ اثْنَتَيْن وأرْبَعِينَ مَرَّة. وقالَ عُثْمانُ الدّيميّ[1]: أرْبَعينَ، وعلَى مُوسَى أرْبَعَ مِئةِ مَرَّةٍ، وعَلَى عِيسَى عَشْرَ مَرَّاتٍ، قِيلَ: ثلَاثًا في صِغَرِهِ وسَبعًا في كِبَرِهِ، وعلَى يعْقُوبَ أَربعًا، وعَلَى أَيُّوبَ ثَلاثًا[2].

وذَكَرَ بَعْضٌ: إنَّ الوَحْيَ إلَى الأَنبِيَاءِ كُلِّهِم إلَّا أُولِي العَزْمِ: المصْطَفَى ونُوحًا وإبْرَاهيمَ ومُوسَى وعِيسَى فإنَّهُ يأتِيهِمْ يَقَظَةً ومَنَامًا. وقَالَ بعْضٌ: لِلْملَكِ صورَتان حَقِيقيَّةٌ ومِثاليَّةٌ، فالحقِيقِيَّةُ لَمْ تَقَعْ إلَّا للْمُصْطَفَى، والمِثَاليَّة لِبَقيَّةِ الأَنبيَاءِ وشاركَهُم فيهَا بعْضُ الصَّحابةِ[3]. وذلكَ كلُّهُ ممَّا يَحْتاجُ لِتَوْقيفٍ وإسْنَادٍ.

ورُوِيَ أنَّ جبريلَ عليه السلام بدَا؛ أيْ: ظَهرَ لَه ﷺ بأَعْلَى مَكَّةَ عنْدَ ابْنِ إسْحَاق[4]. وعبَارَةُ حُسَيْن بنِ مُحمَّد: بِجَبَلِ حِراء، فيُجْمَعُ بأَنَّه هُوَ المرَادُ بأَعْلَى مكَّة. أتَاهُ في أَحْسَنِ صُورَةٍ وأطْيَبِ رائِحَةٍ، فقالَ: يا مُحَمَّد إنَّ اللهَ يُقرِئُكَ السَّلام[5] بضمِّ اليَاءِ والهَمْزةِ ويقُولُ لهُ: أَنتَ رَسولِي إلَى الجِنّ والإنسِ فادْعُهُم إلى قَوْلِ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وإنَّكَ رسُولُ اللهِ. ثمَّ ضرَبَ بِرِجْلِهِ الأَرْضَ؛ أيْ: بِعَقِبِهِ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ إسحَاق وغيْرُهُ، فالضَّرْبُ ببَعْضِ القَدَمِ. فنَبَعَتْ عيْنُ ماءٍ فتَوَضَّأَ منْهَا جِبْريلُ ورسولُ اللهِ ﷺ ينْظُرُ إلَيْهِ لِيُرِيَهُ كيْفَ الطُّهورُ إلَى الصَّلاةِ، ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يَتَوَضَّأَ كمَا رَآهُ يتَوَضَّأُ فأَراهُ الوُضُوءَ، ولَمَّا فرَغَ مِنَ الوضُوءِ أخَذَ غَرْفَةً مِنْ ماءٍ فنَضَحَ فرْجَهُ وقامَ جبْرِيلُ يُصَلِّي وأَمَرهُ أنْ يُصلِّي مَعهُ. قالَتْ عائِشَةُ: فصَلَّى رَكْعَتَيْنِ نَحْوَ الكَعْبَةِ فعلَّمَهُ الوُضوءَ والصَّلاةَ ثُمَّ عَرَجَ إلى السَّماءِ، ورَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يَمرُّ بِحَجَرٍ ولَا مَدَرٍ ولَا شَجَرٍ إلَّا وهُو يقُولُ: السَّلامُ علَيْكَ يَا رسولَ اللهِ، حتَّى أتَى خدِيجَةَ فأَخْبَرَهَا فغشِيَ علَيْهَا مِنَ الفَرَحِ، ثُمَّ أخَذَ بِيَدِها وأتَى بها إلَى العَيْنِ فَتَوَضَّأَ لِيُرِيَهَا الوضوءَ، ثمَّ أمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ وصلَّى بهَا كمَا صَلَّى بِهِ جبريلُ، وكانَتْ أوَّلَ مَنْ صَلَّى[6].

وفي أَمْرِهِ ﷺ خديجَةَ وكَذَا عَلِيًّا بِالْوُضوءِ والصَّلَاةِ دَلَالَةٌ علَى رسَالَتِهِ وأَنَّها مُقْتَرِنَةٌ بالنُّبوءَةِ كذا قِيل؛ لِأَنَّ ذلكَ عقِبَ نزُولِ "اقْرَأْ" ولَا يَضُرُّ بعْضُ تَأْخيرٍ. قُلْتُ: لا دَلِيلَ علَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيءَ لَمْ يُحْجَر علَيْه الدُّعاءُ إلَى الخَيْرِ ولَمْ يَخْتَصّ الدُّعاءُ إلَى الخَيْرِ بالرَّسُولِ[7].

---

(1) عثمان الديمِي: عثمان بن محمد الدِّيَمي الأزهري الشافعي، كان من مشافِهِ تلامِذة ابن حجَر، أخذ منه جماعة كثِيرةٌ منهم البرهان ابن عون، والشيخ شمس الدِّين الداوودِي، ت: 908هـ. الضوء اللامع، السخاوِي، 140/5، والكواكِب السَّائِرة، محمد الغزّي، 260/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 437/1.

(3) (م، س)، 437/1.

(4) ينظر: سيرة ابن هِشام، 244/1.

(5) على الهامش: لا إله إلا الله. من دون إحالة على موضِعها من النَّصّ.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 438/1.

(7) الفقرة أضافها المؤلف على الهامِش.

وفِي روايةِ أبي نعيْم: ((**فقالَتْ: أَرِنِي كَيْفَ أَرَاكَ، فأَرَاها فتَوَضَّأَتْ ثُمَّ صَلَّتْ معهُ، وقالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ**))[1]. وكانَ ذلِكَ أَوَّلَ فرْضِ الصَّلاةِ رَكْعتَيْنِ، وأمَّا الخَمْسُ فتَأَخَّرْن إلَى صبْحِ الإِسْرَاءِ، وأَقَرَّها فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْن وزَادَ في الحَضَرِ أَرْبعًا، وكانَت الصَّلاةُ أَوَّلَ فرْضِها رَكْعتَيْنِ بالغَدَاةِ؛ أيْ: قَبْلَ طلُوعِ الشَّمسِ، ورَكْعَتَيْنِ بالعَشِيِّ أَيْ آخِرَ وقْتِ العَصْرِ، والظَّاهرُ أنَّهُ يَقْرَأُ فيهِمَا ﴿ اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[2] حتَّى نَزَلَت الفَاتِحَةُ[3].

ورُوِيَ أنَّ [156و] تاجِرًا قَدِمَ لِلحَجِّ في الجاهِلِيَّة فأتَى العبَّاسَ ليَشْتَرِيَ منهُ، فرأَى النَّبِيءَ ﷺ وخدِيجَةَ وعَلِيًّا خرجوا مِنَ الخِبَاءِ وَصَلَّى بِهِم حينَ زَالت الشَّمسُ، وسأَلَ التَّاجرُ العبَّاسَ فأخبَرَهُ بهِمْ وأنَّ هذَا الفِعلَ صلَاةٌ مشْرُوعَةٌ لَهُم[4]. ورُدَّ بهذَا علَى ما ذَكَرْتُ من وَقتِ الرَّكعَتَيْنِ.

قُلتُ: لا رَدَّ؛ لأنَّهُ لعَلَّ هذَا بعْدَ نُزولِ الصَّلاةِ الخَمْسِ، فإنْ صَلَّى أرْبَعًا فالظُّهرُ مثَلًا، أو رَكْعَتَيْن فظُهْرُ السَّفَرِ بأن يكُونَا في السَّفَرِ إلَى قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ أو رَكْعَتَيْن نَفْلًا، وأمَّا علَى إطْلاق عنْ تفسِيرِي السَّابِقِ فيُجابُ أيْضًا بأنَّهُ قِيلَ: العَشِيُّ ما بَيْنَ الزَّوالِ إلى الغُرُوبِ، ومِنْ ذلكَ قِيلَ لِلظُّهْرِ [والعصرِ] صلَاتَا العَشِيِّ، وقِيلَ: آخِرُ النَّهارِ، وقِيلَ: مِنَ الزَّوالِ إلَى الصَّباحِ، وقِيلَ: مِنَ المغْرِبِ إلَى العَتَمَةِ.

قال ابنُ حَجَر: كانَ ﷺ قبْلَ الإسْراءِ يُصَلِّي قَطْعًا وكَذلِكَ أصْحَابُهُ، فقِيلَ: فُرِضَتْ صَلَاةٌ قبْلَ طلُوعِ الشَّمسِ وقَبْلَ غُرُوبِها قبْلَ فَرْضِ الخَمْسِ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ اَلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[5][6].

قال النَّوَوِيّ: أَوَّل ما وَجَبَ الإنْذَارُ والدُّعاءُ إلى التَّوحِيدِ لقَوْلِه تعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾[7] ثمَّ فَرَضَ اللهُ جلَّ وعَلَا مِنْ قِيامِ اللَّيلِ علَيْهِ وعلَى أُمَّتِهِ في أَوَّلِ المزّمّل إلى قَولِهِ: ﴿ اَوْزِدْ عَلَيْهِ ﴾[8] ثُمَّ

(1) دلائل النبوة، أبو نعيم، ص219.

(2) سورة العلق:1.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 438/1-439.

(4) (م، س)، 439/1.

(5) سورة طه: 130.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 439/1، وفتح الباري، ابن حجر، 671/8.

(7) المدثر: 1-2.

(8) سورة المزمل: 4.

نَسَخَهُ بقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[1] أيْ: صَلُّوا ما تَيسَّرَ لَكُمْ، ثُمَّ نسَخَهُ بإيجابِ الخَمْسِ ليْلَةَ الإسْرَاءِ. والذِي عَلَيْهِ الجُمهُورُ أنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ عنهُ ﷺ لقَولِهِ تَعالَى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[2].

وأُجِيبَ بأنَّ النَّسْخَ بعْدَ الآيَةِ ولكِن الصَّحيح عدَمُ النَّسخِ عنْهُ، وهُوَ مذْهَبُنا ومذْهَبُ أكْثَرِ أصْحَابِ الشَّافِعِيّ، وإنَّما نُسِخَ الوجُوبُ عن أُمَّتِهِ.

وذِكْرُ الوضُوءِ في ذَلكَ يدُلُّ على أَنَّهُ فُرِضَ قَبْلَ الإسرَاءِ لِأَنَّهُ قالَ: أَمَرهُ بالوُضُوءِ. قال السُّهيليّ: فالوضُوءُ مَكِّيُّ الفَرْضِ مَدَنيُّ بالتِّلاوةِ؛ لأنَّ آيةَ الوضُوءِ مَدَنِيَّةٌ، ولِتَقَدُّمِ فَرْضِهِ في مَكَّةَ قالتْ عائِشَةُ في قِصَّةِ عِقْدِها: فأَنزَلَ اللهُ آيةَ التَّيَمُّمِ، ولَمْ تَقُلْ آيةَ الوُضوءِ وَهِيَ هِيَ[3].

وتَقَدَّمَ أنّهُ فتَرَ الوَحْيُ عَقِبَ بَدْئِه ثلَاثَ سِنينَ فقِيلَ: ليَذْهَبَ عنْهُ ما وَجَدَ مِنَ الرُّوعِ ويَحْصُلَ التَّشَوُّقُ إلى العَوْدِ. وجاءَ في حَدِيثٍ مُسْنَدٍ أنَّ الفَتْرَة سَنَتَيْن ونِصْفًا وعن ابْنِ عبَّاسٍ: فتْرَةُ الوَحْيِ كانَتْ أيَّامًا وفِي "تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ" كانتْ أرْبَعِينَ. وقَالَ الزَّجَّاج وابنُ الجَوْزِيّ: خَمْسَةَ عَشَر يَوْمًا. وفي "تَفْسِيرِ مُقَاتِل" ثلاثَةَ أيَّام، ويُجْمَعُ بأنَّها كانَتْ سنَتَيْن ونِصْفًا، فمَنْ قالَ: ثلَاثَة جَبَرَ الكسْرَ، وَمَنْ قالَ: سنَتَانِ ألْغَاهُ والمُرادُ بأَرْبَعينَ فمَا دُونَهَا مُدَّةَ الانْقِطاعِ بِحَيْثُ لَا يَأْتِيهِ فِيهَا إسرافِيلُ ولَا جِبْرِيلُ اخْتُلِف فأَقَلُّها ثلاثَةُ أيَّامٍ وأكثَرُها أرْبعُونَ، وفي بعضِها خَمْسَةَ عشَرَ وبَعضُها اثْنَيْ عشَرَ[4].

ورَوَى أحْمَد ويعقُوبُ بنُ يوسُف[5] عن الشَّعْبِيّ وهُوَ مِنَ التَّابعِينَ: أُنزِلَتْ علَيهِ ﷺ النُّبُوءَةُ وهو ابْنُ أرْبعِينَ سَنَةً، فقُرِنَ بنُبوءَتِهِ إسرَافِيلُ ثَلَاثَ سنِينَ، ولَمْ يَنْزِل القرآنُ علَى لِسانِهِ [156ظ] لأنَّ إنزَالَ الكُتبِ الإلَهِيَّةِ مِنْ خصَائِصِ جِبْرِيلَ[6].

وقالَ مسْلِمُ والنَّسائِيّ والحاكِمُ عن ابنِ عَبَّاس: ((**بيْنَمَا رسُولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ وعنْدَهُ جبْرِيلُ إذْ سَمِعَ نَقِيضًا مِنَ السَّماءِ مِنْ فَوْق فرَفَعَ جبْرِيلُ طَرَفَهُ إلَى السَّماءِ فقَالَ: يا مُحَمَّدُ هذَا مَلَكٌ قَدْ نَزَلَ لَمْ يَنْزِل إلَى الأَرْضِ قَطُّ فجَاءَ إلَى النَّبيءِ ﷺ فسَلَّمَ علَيْهِ فقَالَ: أبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتَهُما نَبِيءٌ قبْلَكَ، فاتِحَةِ الكِتَابِ وخَوَاتِمِ سورَةِ البَقَرَة**))[7] قالَ جَماعَةٌ: هذَا المَلَكُ إسْرَافِيل[8].

---

(1) سورة المزمل: 20

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 440/1.

(3) (م، س)، 440/1، وينظر: الروض الأنف، السهيلي، 287/2.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 440/1-441.

(5) في شرح المواهب: يعقوب بن سفيان. وهو الفسوِي، محدث إقليم فارس، له "تاريخ" كبير، ومشيخته في مجلد، ت:772هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 180/13.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 441/1، وفتح البارِي، ابن حجر، 27/1، ورواية أحمد في العلل ومعرفة الرجال، 337/2.

(7) صحيح مسلم، حدِيث (254).

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 442/1.

قُلْتُ: لَمْ ينْزِلْ بهِمَا إسْرَافِيلُ بَلْ أَخْبَرَ أَنَّهُمَا سيَنْزِلَانِ فنَقُولُ: ينْزِلَانِ بتَوَسُّط جِبْرِيلَ أَوْ أَخْبَرَ بِعِظَمِ شأْنِهِما، وقَدْ نزَلا قَبْلَ جِبْرِيلَ، وقَد اسْتُدِلَّ بالحَدِيثِ علَى أَنَّهُ لَمْ يُقْرَنْ بهِ إسْرافِيلُ ثلَاثًا. قُلْتُ: لعلَّ هذَا فِي مَبْدَأِ الوَحْيِ فالقَرْنُ مِنْهُ لِمَا بَعْدُ إلَى مُدَّة.

وكَذَا فِيمَا ذَكَرَ الطَّبرانيّ عن ابْنِ عمَر سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((**لقَدْ هَبطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّماءِ ما هَبطَ علَى نَبِيءٍ قَبْلِي ولَا يَهْبِطُ على أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي وهُوَ إسْرَافيلُ وعِندَهُ جِبرِيلُ فقَالَ: أنَا رسُولُ رَبِّي إلَيْكَ أمَرَنِي أنْ أُخْبِرَكَ: إنْ شِئْتَ نبِيًّا عَبْدًا وإنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فنَظَرْتُ إلى جِبرِيلَ مستَشِيرًا فأَوْمَأَ إلَيَّ أنْ تواضَعْ فقُلْتُ: نَبِيًّا عبْدًا فَلَوْ قُلْتُ: نَبِيًّا مَلِكًا سارَت الجِبَالُ مَعِي ذَهَبًا**))[1].

ثُمَّ اطَّلَعْتُ أَنَّ القَضِيَّتَيْنِ بعدَ ابْتِدَاءِ الوَحْيِ بسَنَتَيْنِ كمَا يُعْرَفُ مِنْ سَائِرِ طُرُقِ الحَدِيثِ. فهذَا صَرِيحٌ فِي أنَّ إِسْرَافِيلَ لَمْ يَنْزِلْ علَيْهِ قبْلَ الْوَحْيِ ولَا بَعْدَهُ فِي المُدَّةِ المذْكُورَةِ، فكَيْفَ يُقالُ: قُرِنَ بِه ثَلاثَ سِنينَ قَبل أوْ بَعْد.

وقَوْلُ الشَّعبِيّ مُرْسَلٌ فيُقَدَّمُ علَيْهِ غَيْرُهُ ولَا سِيَّمَا قَدْ عُورِضَ، لكِنّ قَوْلَ جَمَاعَةٍ أنَّ المَلَكَ فِي قِصَّةِ الفَاتِحَةِ وخَوَاتِم البَقَرَةِ، المذْكُورِ آنِفًا هُو إسْرَافِيلُ لَا يَكُونُ حُجَّةً، والحَدِيثُ الذِي بعْدَهُ لَعَلَّ المرَادَ أنّي لَمْ أعْرِفْهُ نَازِلًا قَبْلُ بِعَيْنِهِ، فإِنْ كانَ إسْرَافِيلُ فلم يعْلَم الذِي قُرِنَ بهِ قَبْلَ النُّبُوءَةِ إسْرَافِيل؛ إِذْ لَمْ يَرَهُ قَبْلَها، وهذَا علَى مَا ذَكَرْتُ أَنَّه اقْتَرَنَ بِهِ إسْرَافيلُ قَبْلَ نُزُولِ "اقرأ باسمِ ربّك".

ثُمَّ إنَّه ذكَرَ ابْنُ حَجَرٍ: أَنَّهُ لَيْسَ المرادُ بفَتْرَةِ الوَحْيِ المقَدَّرَةِ بثَلَاثِ سِنِينَ، بَيْنَ نُزُولِ "اقْرَأْ" وَ "يَا أَيُّهَا المُدّثِّر"، عَدَمُ مَجِيءِ جِبْرِيلَ إلَيْهِ، بَلْ تأَخُّرُ نزُولِ القُرآنِ فقَطْ[2]. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

84 وَصَلَّيْتَ نَحْوَ الْقِبْلَتَيْنِ تَفَرُّدًا وَكُلُّ نَبِيءٍ مَا لِقِبْلَتِهِ ثَانِي

وصَلَّيْتَ يا رسُولَ اللهِ إلَى الكَعْبَةِ وإلَى بيت المقدس حالَ كَوْنِكَ مُتَفَرِّدًا وذَا تَفَرُّدٍ؛ أَيْ: اخْتِصَاصٍ بذلِكَ، وهُنا فَصْلَانِ.

[الفصل] الْأَوَّلُ:

كُلُّ نَبِيءٍ لهُ قِبْلةٌ واحِدَةٌ لَا مُستَقْبَل ثَانِيًا لَه. ومسْتَقْبَلُ بفَتْحِ البَاءِ: موْضِعُ اسْتِقْبَالٍ. كانَ ﷺ يسْتقْبِلُ الكعْبَةَ وحْدَها حَضَرًا وسَفَرًا تارَةً، ومَعَ بَيْتِ المَقْدِسِ تارَةً بأَنْ يَجْعلَ الكَعْبةَ بيْنَهُ وبَيْنَ بيْتِ المقدِسِ، وتارةً بيْتَ المقْدِسِ وَحْدَهُ [157و] ثُمَّ فَرَضَ اللهُ علَيْهِ اسْتِقْبالَ الكَعْبَةِ.

---

(1) المعجم الكبير، حدِيث (13309).

(2) فتح البارِي، ابن حجر، 27/1.

ذَكَرُوا أنَّ القِبْلةَ حُوِّلَتْ بالمَدِينَةِ عن بَيْتِ المقْدِسِ إلَى الكَعْبَةِ فِي نِصْفِ شعْبَانَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، وكَانَ فِي رَجَب[1]. وكَانَ ﷺ يُصَلِّي بالمَدِينَةِ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شهْرًا، وقِيلَ: سبْعَةَ عشَرَ وقِيلَ ثَمانِيَة عَشَرَ[2]. وقِيلَ: قَدِمَ ﷺ المدِينَةَ في رَبِيعِ الأَوَّل فصَلَّى إلَى بَيْتِ المقْدِسِ إلَى تمَامِ السَّنَةِ، وصَلَّى مِنْ سَنَةِ اثنَتيْن سِتَّة أَشهُرٍ ثمَّ حُوِّلتْ القِبْلَةُ[3].

ثُمَّ فُرِضَ صوْمُ رمَضَانَ بعْدَمَا حُوِّلَت القِبْلَةُ إلى الكَعبةِ بنِصْفِ شهْرٍ[4].

ورُوِيَ أنَّهُ ﷺ كان يُصَلِّي بمكَّةَ إلَى الكَعْبَةِ رَكْعَتَيْن بالغَدَاةِ، ورَكْعَتَيْنِ بالْعَشِيّ، فلَمَّا عُرِجَ بهِ إلَى السَّماءِ أُمِرَ بالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، فصَارَتْ رَكْعَتَيْن فِي الأَوْقاتِ غيْرِ المغْرِبِ للْمُسافِرِ والمُقِيمِ، وفِي المَغْرِبِ ثلاثٌ لَهُمَا؛ لأَنَّهُ وِتْرُ النَّهارِ، وبعْدَمَا هَاجَرَ إلَى المدِينَةِ زِيدَ في الحَضَرِ، وأُمِرَ بالصَّلاةِ لِبَيْتِ المقْدِسِ لِئَلَّا تُكذِّبَهُ اليَهُودُ؛ لِأَنَّ نَعتَهُ في التَّوراة أنَّهُ صاحِبُ قِبْلَتَيْن، وكانَت الكَعْبَةُ أَحَبَّ القِبْلَتَيْن إلَيْهِ فأَمَرَهُ اللهُ أن يُصَلِّيَ إلَى الكَعْبَةِ[5]. قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ** ﴾ الآية[6] كذَا عَن ابْنِ عبَّاس[7].

وذَكَرُوا أنَّهُ ﷺ صلَّى بمكَّة إلى الكَعْبَةِ ثُمَّ أُمِرَ بالصَّلاةِ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ بعْدَ الهِجْرَة تَأَلُّفًا لِلْيَهُودِ[8].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: ((**كانَتْ قِبْلَتُهُ بِمَكَّة بَيْتَ المَقْدِسِ إلَّا أنَّهُ كان يَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ بيْتِ المَقْدِسِ**))[9].

وفي بَعْضِ الكُتُبِ أقَامَ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ نزُولِ جِبْرِيلَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وقِيلَ: خَمْسَ عَشْرَةَ وقِيلَ: عَشْرًا والصَّحِيحُ الأَوَّلُ، وكانَ يُصَلِّي إلى بَيْتِ المَقْدِس مُدَّةَ إقَامَتِهِ وَلَا يَسْتَدْبِرُ الكَعْبَةَ ويَجْعَلُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ[10].

قال ابْنُ حَجَر: ظاهِرُ حدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ[11] يَدُلُّ أنَّ اسْتِقبَالَ بيْتِ المَقْدِسِ إنَّمَا وَقَعَ بَعْدَ الهِجْرةِ إلى الْمَدِينَةِ. لكِنْ أَخْرَجَ أحْمَد مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عن ابْنِ عَبَّاس: كانَ النَّبيءُ ﷺ يُصَلِّي بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ

---

(1) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، 45/5.

(2) ينظر: صحيح البخارِي، حدِيث (399).

(3) لم أقفْ عليه.

(4) ينظر: الطبقات الكبير، ابن سعد، 208/1. وقِيل بشهرٍ. ينظر: إرواء الغليل، الألبانِي، 334/3.

(5) ينظر: تفسير مقاتل، 143/1.

(6) سورة البقرة: 144.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1. ينظر: جامع البيان، 450/2.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1، عن الكشاف، الزمخشرِي، ص101.

(9) مسند أحمد، حدِيث (2991).

(10) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1.

(11) يقصد حدِيث نزول الآية:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: 144]. ينظر: جامع البيان، 450/2.

المقْدِسِ والكَعْبةُ بَيْنَ يدَيْهِ[1]. والجَمْعُ بيْنَهُما مُمْكِنٌ بأنْ يكُونَ أُمِرَ لَمَّا هاجَرَ أنْ يَسْتَمِرَّ علَى الصَّلاةِ لِبَيْتِ المقْدِسِ. وأَخْرَجَ الطَّبَرِي مِنْ طرِيقِ ابن جرِيْج: ((**أَنَّهُ أَوَّلَ مَا صَلَّى النَّبِيءُ ﷺ إِلَى الكَعْبَةِ ثُمَّ صُرِفَ إِلَى بيْتِ المَقْدِسِ، وهُوَ بِمَكَّةَ فصَلَّى ثَلَاثَ حِجَجٍ ثُمَّ هَاجَرَ، وصَلَّى بَعدَ قُدُومِهِ المدينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شهْرًا** [157ظ] **ثُمَّ وَجَّهَهُ اللهُ إلى الكَعْبَةِ**))[2]. وقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ ابنِ عبَّاسٍ الأَوَّلِ: ((**أَمَرَهُ اللهُ**)) يَرُدُّ علَى مَنْ قالَ: إنَّه صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ باجْتِهادٍ. وما رُوِيَ عَنْ أبي العالِية: أنَّهُ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ يَتَأَلَّفُ أَهْلَ الكِتَابِ، لَا يُنَافِي أنْ يكُونَ بِأَمْرِ اللهِ[3]. بَلْ أَمَرَهُ اللهُ بِهِ تَأْلِيفًا.

قالَ مُحَمَّدُ بنُ شهَاب الزُّهْرِيّ: لَمْ يُهْبِط اللهُ نَبيًّا مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ إِلَى الدُّنيا نَبِيًّا، إِلَّا جَعَلَ قِبْلَتَهُ صَخْرَةَ بيْتِ المَقْدِسِ، ولَقَدْ صَلَّى إِلَيْهَا نَبِيُّنا علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا[4].

قالَ الغَزَّالي: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يسْتَقْبِلُ الصَّخْرَةَ مِنْ بَيْتِ المَقدِسِ مدَّة مُقَامِهِ بِمَكَّةَ وهِيَ قِبْلَةُ الأَنْبِيَاءِ وإِيَّاها كانَت اليَهُودُ تَسْتَقْبِلُ. وكان ﷺ لا يُوثِرُهُ بأَنْ يسْتَدْبِرَ الكَعْبَةَ، فلَا يَقِفُ إِلَّا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ اليَمَانِيَّيْنِ، ويَسْتَقْبِلُ جَنُوبَ الصَّخْرَةِ. فلَمَّا هَاجَرَ إلى المدِينَةِ لَمْ يُمْكِنْهُ اسْتِقْبَالُها إِلَّا بِاسْتِدْبَارِ الكَعْبةِ، فشَقَّ علَيْهِ ذَلكَ فنَزَلَتْ: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ**﴾[5] فيكُونُ بَعْدَ التَّحوِيلِ وجهُهُ إِلَى الحِجْرِ؛ لِأَنَّهُ في مُقابِلِ الجِدَارِ الذِي فِيهِ الرُّكْنَانِ اليَمَانِيَّانِ[6].

وذُكِرَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زارَ بشر بن البَراء بن معْرور فِي بَنِي سَلمَة فتَغَدَّى هُوَ وأَصْحَابُهُ. وجاءَت الظُّهرُ فصَلَّى بأَصْحَابِهِ في مَسْجِدِ القِبْلَتَيْنِ رَكْعَتَيْن مِنَ الظُّهرِ نَحْوَ الشَّامِ، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ وهُوَ رَاكِعٌ في الرَّكعة الثَّانية، فاسْتَدَارَ إِلَى الكَعْبَةِ ودَارَت الصُّفوفُ خَلْفَهُ، ثمَّ أَتَمَّ الصَّلاةَ، وسُمِّيَ مَسْجِد القِبْلَتَيْنِ[7]، وفِي "النَّسَائِي" أَنَّهَا الظُّهرُ، وقَالَ غَيْرُهُ: العَصْرُ وهُو ظَاهِر حَدِيثِ البَرَاءِ فِي "صَحِيحِ البُخَارِي"[8]. وأَمَّا أَهْلُ قُبَاء فلَمْ يَبْلُغهُم الخَبَرُ إِلَى صلَاةِ الفَجْرِ مِنَ اليَوْمِ الثَّانِي، كمَا فِي "صَحِيحِ

(1) سبق تخريجه: مسند أحمد، حدِيث (2991).

(2) جامع البيان، الطبرِي، 623/2.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 244/1-245، فتح البارِي، ابن حجر، 502/1.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1. ينظر: إنسان العيون، 180/2.

(5) سورة البقرة: 144.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1-368، عن البيضاوِي في حواشِي أنوار التنزِيل.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 368/1. ينظر الحدِيث فِي: كشف المشكل من حدِيث الصحيحين، ابن الجوزِي، 247/2. وفِيه: ((أم بشير بن البراء)).

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (40).

مُسْلِم"[1] و"البُخَارِي"[2]. ولا يَلْزَمُ حُكْمُ النَّاسِخِ إلَّا مَنْ علِمَ بهِ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ ﷺ، وذلكَ أنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بإعادَةِ العَصْرِ والمغْرِبِ والْعِشاءِ. قالَ الوَاقِدِيّ: كانَ هذَا يَوْمَ الاثْنَيْن للنِّصْفِ مِنْ رَجَب علَى رَأْسِ سبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا[3]. وعَن البَرَاءِ علَى سِتَّةَ عشَرَ شَهْرًا أوْ سبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا أو ثَمَانِيَةَ عشَرَ شَهْرًا علَى اخْتِلَافِ الأَقْوَالِ[4].

قال ابنُ عَبْدِ البَرّ: إنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَدِمَ المَدِينَةَ فصَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شهْرًا، ثُمَّ وُجِّهَ إلَى الكَعْبَةِ في رَجَب بعْدَ الزَّوالِ، قبْلَ قِتَالِ بَدْرٍ بِشَهْرٍ، وقَدْ صَلَّى بأَصْحَابِهِ في مَسْجِدِ بَنِي سلمَة رَكْعَتَيْن مِنَ الظُّهرِ، فتَحَوَّلَ فِي الصَّلاةِ واسْتَقْبَلَ المِيزَابَ وتبَادَرَ الرِّجالُ والنِّساءُ صُفُوفَهُم فَسُمِّيَ المَسْجِدُ مَسْجِدَ القِبْلَتَيْنِ[5].

وذكَرَ بَعْضٌ: أنَّها نزَلَت –الفَاتِحَة– بِمَكَّةَ حِينَ فُرِضَت الصَّلاةُ وبالمَدِينَةِ[158و]حينَ حُوِّلَت القِبْلَةُ[6].

الفَصْلُ الثَّانِي:

كانَ ﷺ يُصَلّي إلَى صخْرَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ التِي كانَ مُوسَى يُصَلِّي إلَيْهَا بِحذاءِ الكَعْبَةِ، وهيَ قِبْلَةُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ نقَلَهُ القُرْطُبيّ عنْ بَعْض[7]. وأَخْرَجَ ابنُ سَعْد عن مُحَمَّد بنِ كَعْب القُرَظِيّ: ما خَالَفَ نَبِيءٌ نَبِيًّا فِي قِبْلَةٍ ولَا سُنَّةٍ إلَّا أَنَّهُ ﷺ اسْتَقْبَلَ بَيْتَ المَقْدِسِ[8] ثُمَّ تَحَوَّلَ إلَى الكَعْبَةِ. وروَى أبُو دَاوُد عن الحَسَنِ في قولِهِ تعالى﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ** ﴾[9] أُعلِمَ قِبْلَتَهُ فلَمْ يُبْعَثْ نَبِيءٌ إلَّا وقِبْلَتُهُ البَيْتُ[10]. قِيلَ: وهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ أنَّ الكَعبَةَ قِبْلَةُ الأَنبِيَاءِ كُلِّهِمْ، كما دَلَّتْ علَيْهِ الآثارُ. واخْتَارَ ابنُ العَرَبِيّ وتِلْمِيذُهُ السُّهيْليّ إنَّ قِبْلَةَ الأَنْبِيَاءِ بَيْتُ المَقْدِسِ[11]. قالَ بَعْضٌ: وهُوَ الصَّحيحُ المعْرُوفُ، وعلَيْهِ فاستِقْبَالُ الكَعْبَةِ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيءِ ﷺ[12].

---

(1) حدِيث (526).

(2) حدِيث (403) وغيره.

(3) فتح البارِي، ابن رجب، 166/1، وفي تاريخ الطبرِي عن الواقدي: للنصف من شعبانَ. تاريخ الرسل والملوك، 416/2.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 368/1.

(5) (م، س)، 368/1، والاستيعاب، ابن عبد البر، 503/1.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 368/1، عن تبصير الرحمن. ينظر مدارك التنزِيل، 25/1.

(7) الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 151/2.

(8) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 209/1.

(9) سورة آل عمران: 96.

(10) رواية أبِي داود في الناسخ والمنسوخ. لم أقفْ عليهِ.

(11) ينظر: الروض الأنف، 69/4.

(12) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 242/2.

ومِنْ خَصَائصِهِ ﷺ: أنَّ اللهَ جَمَعَ لهُ بَيْنَ القِبْلَتَيْنِ، صَلَّى إلَيْهِمَا معًا فِي مكَّةَ بِجَعلِهِ الكَعْبَة بَيْنَهُ وبيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ وإلَى بَيْتِ المَقْدِسِ خَاصَّةً؛ إذْ هَاجَرَ مِنْ حِينِ هَاجَرَ إلَى الوُصُولِ ومَا بَعْدَه، ثمَّ إلى الكَعْبَةِ خَاصَّة.

روَى مُسلِم عَنْ أبي الأحوَص[1]، والنَّسَائِيّ عنْ زكريّاء بن أبي زائدة[2] وشَرِيك[3]، وأبو عوانة عَنْ عمّار بن رُزيق[4]، بِتقْدِيمِ الرَّاءِ، كُلّهُمْ عَنْ أَبِي إِسْحَاق عن البراء بن عازب: ((**أَنَّهُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا**)). ورَواهُ أحْمَد بِسَنَدٍ صحِيحٍ عنْدَهُم[5] ورَجَّحَهُ النَّوَوِيّ في "شَرْحِ مُسْلِم"[6]. وفي رِوايَةٍ زُهير عنْدَ البُخَارِيّ: ((**وإِسْرَائِيلُ عِنْدَهُ**))[7]. وعندَ التِّرْمِذِيّ عنْ أبي إسحاق عنِ البَرَاءِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أو سَبْعَة عشَرَ شَهْرًا بِالشَّكِّ[8]. ورَوَى البَزَّارُ والطَّبرانِيّ؛ والبزَّارُ مِنْ حَدِيثِ عمْرو بن عوْف[9]. والطَّبرانِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابن عبَّاسٍ سَبْعَةَ عَشَر شَهْرًا[10]. وهُوَ قَوْلُ ابن المسيّب ومَالِك وابْنِ إسْحاق، وقالَ القُرْطُبِيّ: وهُوَ الصَّحِيحُ[11].

ويُجْمَعُ بأَنَّ مَنْ جَزَمَ بِسِتَّةَ عشَرَ لَفَّقَ مِنْ شَهْرِ القُدُومِ وشَهْرِ التَّحْوِيلِ شَهْرًا وأَلْغَى الأيَّامَ الزَّائدةَ، ومَنْ جَزَمَ بِسَبْعَةَ عَشَرَ عَدَّهُما مَعًا، ومَنْ شَكَّ تَرَدَّدَ فِي ذلِكَ، والقُدُومُ كانَ فِي شَهْرِ رَبِيع الأَوَّل إجْمَاعًا. والتَّحْوِيلُ في نِصْفِ رَجَب مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ على الصَّحيحِ، وبِهِ جَزَمَ الجُمْهورُ، ورواهُ الْحَاكِمُ بسَنَدٍ صحِيحٍ عن ابْنِ عبَّاسٍ. وقَالَ ابْنُ حِبَّان: سبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وثلَاثةَ أيَّامٍ، وهُوَ مَبْنِيٌّ على أنَّ القُدُومَ كانَ فِي ثَانِي رَبِيع الأوَّلِ، ولَعَلَّهُ قَوْلُ مَنْ قالَ: سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ويكُونُ قَدْ أَلْغَى الكَسْرَ. وروَى ابنُ مَاجَةَ مِنْ طَرِيقِ أبي بكر بن عيّاش عنْ أبي إسحاق عنِ البَرَاءِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا[12] وهُو شَاذٌّ، وفي سَنَدِهِ مَنْ هُوَ سَيِّئُ الحِفْظِ [158ظ] فعَنْهُ عنْدَ ابن جرير: سَبْعَةَ عشَر فِي رِوَايَةٍ[13]، وفِي أُخْرَى عنْهُ عنْدَ ابْنِ جَرِير أَيْضًا: سِتَّةَ عَشَر. ومِنَ الشُّذوذِ روَايَةُ ثَلاثَةَ عَشَر شهْرًا أو رِوايَةُ تِسْعَة أشْهُرٍ وعَشْرَة أشْهُرٍ، ورِوايَة شَهْرَيْنِ ورِوايَة سنَتَيْن، ويُمكِنُ حَمْلُ الأَخِيرَةِ

(1) صحيح مسلم حدِيث (525).
(2) السنن الصغرى، النسائي، حدِيث (489).
(3) (م، س)، حدِيث (10936).
(4) مستخرج أبِي عوانة، حدِيث (1163).
(5) مسند أحمد حدِيث (2252) ومواضع أخرى.
(6) المنهاج، النووِي، ص404.
(7) لم أجد العبارة في رواية زهير عند البخارِي.
(8) سنن الترمذِي، حدِيث (340).
(9) البحر الزخار، حدِيث (3399).
(10) المعجم الكبِير، حدِيث (12498).
(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 242/2.
(12) سنن ابن ماجه، حدِيث (1010).
(13) جامع البيان، 619/2.

علَى الصَّوابِ. وأسانِيدُ الجَمِيعِ ضعِيفَةٌ والاعْتِمَادُ علَى الثَّلاثَةِ فتِلْكَ تِسْعَةُ أَقْوَالٍ. ولَوْ عُدَّ الشَّكُّ لكَانَتْ عشَرَة أَقْوَالٍ. وأَمّا القَوْلُ بِبِضْع عشْرَةَ فغَيْرُ خَارِجٍ عن أَقْوَالِ مَا زادَ علَى العَشَرَةِ ولَمْ يُتِمَّ العِشْرِينَ[1].

وقالَ إبراهِيمُ الْحَرْبِيّ[2]: قَدِمَ النَّبِيءُ ﷺ المدِينَةَ فِي رَبِيع الأَوَّلِ، فصَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ تَمَامَ السَّنةِ وصَلَّى مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ حُوِّلَت القِبْلةُ. والمُرَادُ أَنّ مُدّةَ الصَّلاةِ لِبَيْتِ المَقْدِسِ دونَ سِتَّةِ أشْهُرٍ أو سِتَّة عشَرَ بِشَهْرِ القُدُومِ. وجزَمَ ابن عقبة بأنَّ تَحْوِيلَها في جُمَادَى[3]. وقِيلَ: يَوْمَ الثّلاثَاءِ في نِصْفِ شَعْبانَ، قالَهُ محمّد بن حبيب[4]، وجَزمَ بِهِ في "الرَّوْضَةِ"[5] معَ تَرْجِيحِهِ في "شَرْحِ مُسْلِم" رِوَايَةَ سِتّة عشَرَ شهْرًا للْجَزْمِ بِهَا فِي "مُسْلِم"[6]. ولَا يَسْتَقِيمُ أَنَّهُ فِي شعْبَانَ إلَّا بِإِلْغَاءِ شَهْرَي القُدُومِ والتَّحْوِيلِ. نَعَم هُوَ يُوافِقُ روَايَةَ سَبْعَةَ عَشَر بتَلْفِيقِ وَاحِدٍ مِنْ شَهْرَي القُدومِ والتَّحْوِيلِ، والقَوْل الشَّاذّ بِإلْغَاءِ الكَسْرِ واعْتِبَار شَهْرَي التَّحوِيلِ والقُدُومِ. وقِيلَ يوم الاثْنَيْن نِصْف رَجَب رَوَاهُ أَحْمَد عن ابْنِ عبَّاس بِإسْنادٍ صحِيحٍ. قال الواقديّ: وهَذَا أَثبَتُ. قال ابْنُ حَجَر: وهُوَ الصَّحيحُ وبِهِ جَزَمَ الجمهورُ، وهو صالِحٌ لِرِوَايَتَي ستَّة عشَر وسبعةَ عشَر والشَّكّ. فالحاصلُ في الشَّهرِ ثلاثةُ أقوالٍ وفي الْيَومِ قوْلَانِ. وظاهِرُ حَدِيثِ البراءِ في البُخَارِيّ أنَّ الصَّلاةَ التِي وَقَعَ فِيها التَّحويلُ كانت صلاةُ العَصْرِ لقولِهِ: وإنَّه، أَيْ: النَّبِيءُ ﷺ صلَّى أوَّلَ صلاةٍ صلَّاها صلَاةَ العصرِ أَيْ: متَوَجِّهًا إلَى الكَعْبَةِ. ووَقَعَ عندَ النّسائي مِنْ رِوايَةِ أبي سعيد بن المعلّى بِالشَّدّ واسْمُهُ سَعِيد علَى الصَّحِيحِ لَا رَافِع، إنَّها الظُّهرُ، وكذا عِنْدَ الطَّبرانِي والبزَّارِ مِنْ حَديثِ أنَسٍ. وعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: حُوِّلَتْ في صَلاةِ الظُّهرِ أو العَصْرِ. وقالَ ابْنُ حَجَر: التَّحْقِيقُ أنَّ أَوَّلَ صلَاةٍ صَلَّاها فِي بَنِي سلمَةَ لَمَّا مَاتَ بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ الظُّهْرُ، وأَوَّلُ صلاةٍ صَلَّاها بالمَسْجِدِ النَّبَوِيّ العَصْرُ. وأمَّا أَهْلُ قُبَاءَ فلَمْ يبْلُغْهُم الخَبَرُ إلى صلَاةِ الفَجْرِ مِنَ اليَوْمِ الثَّانِي. ولَا منَافاةَ بَيْنَ الخَبَرَيْنِ؛ لِأَنَّ الخبرَ وصَلَ وَقْتَ العَصْرِ إلى مَنْ هُوَ داخِلَ المدينةِ، وهُمْ بنُو حارثَةَ، ووَصَلَ وقْتَ الصُّبحِ إلى مَن هو خارِجَها، وهُمْ أَهْلُ قُباء[7].

قالَ البُخارِي ومُسْلِم عن ابْنِ عُمَر: ((**بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءَ**)) أيْ: في مسْجِدِ قُباءَ، ولَفْظُ مُسْلِم: ((

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 243/2.

(2) إبراهيم الحربي: أبو إسحاق بن إسحاق البغدادي، سمِع مِن أحمد بن حنبل والقاسم بن سلام وغيرهم، له كتاب غرِيب الحدِيث. ت: 285هـ. سير أعلام النبلاء، 356/13.

(3) في المغازِي: في شهرِ رجب. المغازِي، موسى بن عقبة، ص116.

(4) محمد بن حبيب الهاشمِي، صاحبُ مؤتلف القبائل ومختلفها، والمنمق من أخبار قريش، من علماء بغداد باللغة والشّعر والأخبار، ت:245هـ. معجم الأدباء، 2480/6.

(5) روضة الطالبين، النووِي، 409/8.

(6) المنهاج، ص404.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 244/2.

[159و] **فِي صَلَاةِ الغَدَاةِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فاسْتَقْبِلُوهَا، وكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ))**[1] وكَرِهَ بعْضُهُمْ تَسْمِيَةَ صلَاةِ الفَجْرِ صَلَاةَ الغَدَاةِ. "فاسْتَقْبَلُوهَا" بِفَتْحِ البَاءِ إِخْبارًا، وبِكَسْرِ البَاءِ أَمْرًا، وواوُ "استَقْبَلُوا" وَهَاءُ "وُجُوهَهُمْ": لِأَهْلِ قُبَاءَ أَوْ لِلنَّبِيءِ ﷺ ومَنْ مَعَهُ.

ورَوِيَ الأَصِيلِي[2] لِلْبُخَارِي، والعُذرِي[3] لِمُسلِم الضَّبطَ بكَسْرِ البَاءِ. وفِي ضَمِيرِ "وُجُوهَهُمْ" الوَجْهَان، وعَوْدُهُ إِلَى أَهْلِ قبَاءَ أظْهَرُ، ويُرَجَّحُ الكَسْرُ رِوَايَةً لِلْبُخَارِي ((**وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ أَلَا فاسْتَقْبِلُوهَا**))[4][5].

ولَمْ يذكُرُوا اسْمَ الآتِي بِخبَرِ التَّحوِيلِ في الصَّلاةِ لِأَهْلِ قُبَاءَ. وقِيلَ: عباد بن بشر، ورُدَّ بأنَّ ذلكَ إنَّما وَرَدَ فِي حَقِّ بَنِي حَارِثَةَ أَوَّلًا وَقْتَ العَصْرِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى أَهْلِ قُبَاءَ فأَعْلَمَهُم بذَلِكَ فِي الصُّبحِ. ومِمَّا يَدُلُّ علَى تعَدُّدِهَا رِوايَةُ مُسْلِم عنْ أَنَس: ((أَنَّ رَجُلًا مِنْ بني سلمَةَ مَرَّ وَهُمْ رُكُوعٌ في صَلَاةِ الفَجْرِ))[6] فهَذَا مُوَافِقٌ لرِوَايةِ ابن عمر فِي تَعْيِينِ الصَّلاةِ، وبنُو سَلمَةَ غَيْرُ بَنِي حارِثَةَ. وكَوْنُ مُخْبِرِ بنِي حارِثَةَ عبَّادُ بنُ بِشْرٍ رَوَاهُ ابنُ مَنْدَةَ وابن أبي خيثمة. وقِيلَ عبّاد بنُ نَهِيك، بفَتْحِ النُّون وكَسْرِ الهَاءِ، ورَجَّحَ أبُو عمر الأوَّلَ[7]. وقِيلَ: عبَّاد بنُ نَصْر الأَنْصَارِي. قالَ ابْنُ حَجَر: والمَحْفوظُ عبَّاد بنُ بِشر. أ.هـ[8]. وقِيلَ: عَبَّاد بنُ وَهْب[9].

وفِي حَديثِ إِخْبَارِ أنَّ القِبْلَةَ حُوِّلَت أنَّ النَّاسِخَ لا يَلْزَمُ حكْمُهُ إِلَّا بَعْدَ العِلْمِ بِهِ، وإِنْ تقَدَّمَ نزُولُهُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بإِعَادَةِ العَصْرِ والمَغْرِبِ والعِشاءِ. قُلْتُ: وهَذَا علَى عَهْدِهِ ﷺ لا بعْدَهُ.

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (403)، وصحيح مسلم، حدِيث (526).

(2) الأصيلي: أبو محمد عبد الله بن إبراهِيم، نشأ بأصِيلا وتفقه بقرطبة سمع ابن المشَّاط وابن سليم القاضِي، وكتب عن أبِي زيد الفقيه صحيح البخارِي، له كتاب الدلائل في اختلاف مالك وأبِي حنِيفة والشافعِي، ت:392هـ. الديباج المذهب، ابن فرحون، 433/1، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 560/16.

(3) العُذْرِي: أحمد بن عمر بن أنس، يعرف: بابن الدلائي من أهل المرية، يكنى: أبا العباس، سمع بالحجاز سماعا كثيرا من أبي العباس الرازي، وأبي الحسن بن جهضم وأبي بكر محمد بن نوح الأصبهاني، وسمع من جماعة غيرهم من المحدثين من أهل العراق وخرسان. وكتب بالأندلس عن أبي علي البجاني، وأبي عمر، وأبي محمد بن حزم وغيرهم. وكان معتنيا بالحديث ونقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلو إسناده، ت: 478هـ. الصلة، ابن بشكوال، 88/1.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (4490).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 245/2.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (15).

(7) الاستذكار، 187/7.

(8) فتح البارِي، ابن حجر، 97/1.

(9) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 245/2.

واستَنْبَطَ منهُ الطَّحَاوِيّ أَنَّهُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ ولَمْ يُمْكِنْهُ اسْتِعْلَامٌ فالفَرْضُ غَيْرُ لَازِمٍ لَهُ[1].

وفيهِ جوَازُ الاجْتِهادِ فِي زَمانِهِ ﷺ إذْ رَجَّحُوا التَّمَادِي فِيهَا علَى قَطْعِهَا. قُلْتُ: وفِيه نَظَرٌ لعَدَمِ وَقْتٍ يَقْبَلُ الاجْتِهَادَ؛ لِأَنَّهُم تَحوَّلُوا بَغْتَةً، ولَعَلَّهُم تَحَوَّلوا لِظاهِرِ وجُوبِ الامْتِثالِ علَى أَنَّهُ إِنْ قالَ لَهُم النَّبِيءُ ﷺ أعِيدُوا، أَعَادُوا، أَوْ لِأَنَّ لَهُمْ عِلْمًا بالبَقَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ بِتَعْلِيمِهِ ﷺ لِأَنَّهُ مُرْتَقِبٌ لِلتَّحوِيلِ.

وفِيهِ قُبُولُ خَبَرِ الوَاحِدِ، ووُجُوبُ العَمَلِ بِهِ، ونَسْخُ ما تَقَرَّرَ مِنَ العِلْمِ بِهِ، إذْ ثَبَتَ عنْدَهُم الصَّلاةُ لِبَيْتِ المقْدِسِ. وأُجِيبَ بأَنَّ الخَبَرَ المذْكُورَ احْتَفَتْ بِهِ قَرَائِن أَفَادَت العِلْمَ بصِدْقِ الخَبَرِ، فالنَّسخُ بمَا أَفَادَ عِلْمًا. وقِيلَ: النَّسْخُ بِخَبَرِ الوَاحِدِ جائِزٌ في زَمَانِهِ ﷺ وإِنَّما يُمْنَعُ بَعْدَهُ. ولَا دَلِيلَ لِهَذَا القَوْلِ.

وذكرَ الطَّبَرِي مِنْ طرِيقِ عليّ بن أبي طلْحة عن ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيءُ ﷺ إلى المدينةِ، واليَهُودُ أَكْثَرُ أَهْلِها، وهُمْ يَسْتَقْبِلونَ بَيْتَ المَقْدِسِ، أَمَرَهُ اللهُ تعَالَى أنْ يَسْتَقْبِلَ بيْتَ المَقْدِسِ لِيَجْمَعَ لهُ بَيْنَ القِبْلَتَيْنِ وتَأْلِيفًا لِلْيَهودِ ففَرِحُوا ظَنًّا أَنَّهُ اقْتَدَى بِهِمْ، فَاسْتَقْبَلَها سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا[2].

وكَذَا ذَكَرَ الرّبيع بن حبيب عنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عنْ جابر بن زيْد عن ابْنِ عبَّاسٍ: إنَّمَا اسْتَقْبَلَهُ سَبْعةَ عَشَرَ شَهْرًا[3] [159ظ] وكَانَ ﷺ يُحِبُّ أنْ يَسْتَقْبِلَ قِبْلَةَ إِبْرَاهيمَ.

وعِنْد الطَّبَرِي مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِد عن ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ أنْ يَتَحَوَّلَ لِلْكَعْبَةِ لِأَنَّ اليَهُودَ قَالُوا: يُخَالِفُنَا مُحَمَّد ويتَّبِعُ قبْلَتَنا[4].

وعِندَ ابْنِ سَعْدٍ: ((**أَنَّهُ ﷺ قالَ يَا جِبْرِيلُ وَدِدْتُ أنَّ اللهَ صَرَفَ وجْهِي عنْ قِبْلَةِ يَهُود، فقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّمَا أنَا عَبْدٌ فادْعُ رَبَّكَ وَسَلْهُ**))[5].

وقالَ السَّدِّي فِي "النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ"[6] عن ابْنِ عَبَّاس: ((**كَانَ ﷺ يُعجِبُهُ أَنْ يُصَلِّي قِبَلَ الكَعْبَةِ لِأَنَّها قِبْلَةُ آبائِهِ إبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ. فقَالَ لجِبريلَ: ودِدْتُ أَنَّكَ سَأَلْتَ اللهَ أنْ يَصْرِفَنِي إِلَى الكَعْبَةِ. فقَالَ جبريل: لسْتُ أَسْتَطِيعُ أنْ أَبْتَدِئَ اللهَ ﷻ بالمَسْأَلةِ ولَكِنْ إِنْ سَأَلَنِي أَخْبَرْتُهُ**)) فكَانَ يدْعُو، أَيْ: دُعاءَ مَحَبَّةٍ وتَمَنٍّ لا بِاللِّسانِ ويَنْظرُ إِلَى السَّماءِ ينْتَظِرُ جِبْرِيلَ عليه السلام فنَزَلَ: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ**

(1) شرح مشكل الآثار، الطحاوِي، 159/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 246/2، عن الطَّبَرِي، جامع البيان، 623/2، وفِيه: بضعة عشر شهرا. و658/2، وفِيه: ستة عشر شهرا.

(3) مسند الربيع، حديث (189).

(4) جامع البيان، الطبرِي، 657/2، وليس فيه:" عنْ ابْنِ عَبَّاس: كَانَ يُعْجِبُهُ أنْ يَتَحَوَّلَ لِلْكَعْبَةِ لِأَنَّ".

(5) الطبقات الكبِير، ابن سَعْد، 208/1.

(6) لم أقف على الكتابِ، وليسَ للسدّي إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير أبو محمد (ت:128هـ) سوى التّفسِير، ولم أجد فيه الأثَر.

﴿ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ الآيَة[1] فارْتَابَ اليهُودُ وقَالُوا: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾[2] إلخ. فأَنْزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾[3] إلخ[4].

قالَ ابنُ حَجَر فِي "فَتْحِ البَارِي": ظاهِرُ حدِيثِ ابْنِ عبَّاس هذَا أنَّ اسْتِقْبَالَ بيْتِ المَقْدِسِ وقَعَ بعْد الهِجرةِ. لَكِنْ أَخْرَجَ أحْمَد مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عن ابْنِ عبَّاسٍ: ((**كانَ النَّبِيءُ ﷺ يُصلِّي بمكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ المقْدِسِ والكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ**))[5] فيُجْمَعُ بأنَّهُ أُمِرَ باستِقْبَالِهِ فِي مَكَّةَ واستمرَّ حُكمُ الأَمرِ بعْدَ الهِجرَةِ حَتَّى نُسِخَ باستِقْبَالِ الكَعْبةِ[6].

قلتُ: فإِمَّا أن يكُونَ فِي مَكَّة مأْمُورًا باسْتِقْبالِها حتَّى هَاجَرَ اخْتَصَّ ببَيْتِ المقْدِسِ، وكذا إِذَا خَرَجَ إِلَى مَوْضِعٍ وكانَت الكَعْبَةُ خلْفَهُ، أوْ كانَ يَجْعَلُ الكعْبَةَ بَيْن يَدَيْهِ تبَرُّكًا وإِكْرَاهًا لاسْتِدْبارِهَا، لا زِيَادَةً فِي القِبْلةِ، والقِبْلَةُ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ المَقْدِسِ فَقَطْ.

وجاءَ مِنْ طرِيقِ ابنِ جُرَيْج: ((**أنَّهُ ﷺ أوَّلَ ما صَلَّى إِلَى الكَعْبَةِ ثُمَّ صُرِفَ إلى بيتِ المقدِسِ ثلاثَ حِجَجٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ هاجَرَ فصَلَّى إِلَيْهِ بعْدَ قدُومِهِ المدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ وَجَّهَهُ اللهُ إِلَى الكعْبَةِ**))[7] وذَلِكَ علَى أنَّ الإِسراءَ قَبْلَ الهِجرةِ بِخَمْسِ سنِينَ، وأَمَّا علَى أَنَّها قَبْلَها بِسَنَةٍ أوْ نَحْوِها فالمُرادُ ما كانَ يُصَلِّيهِ قَبْلَ فَرْضِ الخَمْسِ[8].

قالَ ابن ماجه عنِ البَرَاءِ: ((**صَلَّيْنَا مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ نَحْوَ بيْتِ المقْدِسِ ثَمَانِيَةَ عشَرَ شَهْرًا وصُرِفَت القِبْلَةُ إِلَى الكَعْبَةِ بَعْدَ دُخولِ المَدِينَةِ**))[9] وظاهِرُهُ أَنَّهُ كانَ يُصَلِّي بِمَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ مَحْضًا.

وذَكَرَ الزُّهريّ خلافًا في أَنَّهُ كانَ فِي مَكَّةَ يَجْعَلُ الكَعبةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ أوْ يَجْعلُها بَيْنَهُ وبَيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ. فعَلَى الأَوَّلِ كانَ يَجْعَلُ الميزابَ خَلْفَهُ، وعلَى الثَّانِي كانَ يُصَلِّي بَيْنَ رُكْنِ اليَمَن ورُكْنِ الحِجْرِ. وزَعمَ ناسٌ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يسْتَقْبِلُ الكعْبَةَ بِمَكَّةَ، فلَمَّا قَدِمَ المدينةَ استَقْبَلَ بيتَ المقْدِسِ ثُمَّ نُسِخَ، وحَملَ ابنُ عبْدِ البرِّ هذَا علَى القَوْلِ الثَّانِي، ويُؤَيِّدُ حَمْلَهُ علَى ظاهِرِهِ إمامَةُ [160و] جِبْرِيلَ عندَ البَيْتِ[10].

---

(1) سورة البقرة: 144.

(2) سورة البقرة: 142.

(3) سورة البقرة: 142.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2. ينظر: عيون الأثر، 366/1.

(5) مسند أحمد، حدِيث (2991).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 502/1.

(7) جامع البيان، الطبرِي، 623/2.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2.

(9) سنن ابن ماجة، حدِيث (1010).

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2-248، وينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 97/1.

قالَ ابنُ حَجَر فِي "الفَتْحِ": قالَ ابنُ عبَّاسٍ وغيْرُهُ: ((**كَانَ ﷺ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ، ويَجْعَلُ الكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبيْنَ بيْتِ المَقْدِسِ**)) وأَطلَقَ آخرونَ أَنَّهُ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، وقَالَ آخرُونَ: يُصَلِّي إِلَى الكَعْبَةِ، ولَمَّا هاجَرَ استَقْبَلَ المقْدِسَ. وهذَا ضَعِيفٌ ويَلْزَمُ منْهُ دَعوَى النَّسْخِ مرَّتيْنِ، والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنَّهُ يجْمعُ بِهِ بَيْنَ القَوْلَيْنِ، وقَدْ صَحَّحَهُ الحاكِمُ وغَيْرُهُ مِن حدِيثِ ابْنِ عبَّاسٍ[1]. ولَا يُخَالِفُهُ قوْلُ ابنُ العَرَبِيّ: نَسَخَ اللهُ القِبْلةَ ونكاحَ المتْعَةِ ولحُومَ الحُمُرِ الأَهْلِيَّة مَرَّتيْنِ، ولَا أحْفَظُ رابِعًا[2]، وزادَ أبُو العَبَّاس العَزَفِي[3] الوُضُوءَ مِمَّا مسَّتْهُ النَّارُ؛ لِأَنَّ مرَادَ الحافظِ ابنِ حَجَرٍ أنَّ خُصُوصَ نَسْخِ بَيْتِ المقْدِسِ لَمْ يَتَكَرَّرْ، ومَا أَثْبَتَهُ ابنُ العَرَبِيّ النَّسخُ لِلْقِبْلةِ فِي الجُمْلةِ، بِمَعْنَى أنَّهُ أُمِرَ باسْتقبَالِ الكَعْبَةِ، ثُمَّ نُسِخَ باسْتِقْبالِ بيْتِ المقْدِسِ ثُمَّ نُسِخَ بالكَعْبَةِ[4]. وقوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ: "أمَرَهُ اللهُ" يَرِدُّ قَوْلَ الحَسَن البَصْرِيّ أنَّهُ صَلَّى إِلَى بيْتِ المقْدِسِ باجتِهَادٍ. وكَذَا قَوْلَ الطَّبرِي: كان مُخَيَّرًا بينَهُ وبَيْنَ الكَعْبَةِ فاخْتَارَهُ طمَعًا فِي إِيمانِ اليَهُودِ[5]. ويرُدُّهُ أيْضًا سؤَالُهُ لجِبْرِيلَ إذْ لو كَانَ مُخيَّرًا لَاخْتَارَ الكَعْبَةَ لَمَّا أحَبَّها مِنْ غَيْرِ سؤالٍ، إلَّا أنْ يُقالَ بَعْدَ اختِيَارِهِ وَجَبَ علَيْهِ، وهُوَ ضَعِيفٌ. والذِي علَيْهِ الجمْهُورُ أنَّهُ كانَ بِأَمْرِ اللهِ وَوَحْيِهِ[6].

وعن أبي العالية: صلَّى رسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَيْتِ المقْدِسِ يتَأَلَّفُ اليَهُودَ. وعنِ الزَّجَّاج امْتِحَانًا لِلْمُشْرِكِينَ؛ لأَنَّهُم أَلِفُوا الكَعْبَةَ[7]. وهَذا لَا ينْفِي أنْ يكُونَ بِتَوْقِيفٍ فقَدْ يكُونُ الأَمْرُ بِهِ لِتَأْلِيفِهِم[8].

ثمَّ إِنَّهُ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي "الطَّبقاتِ": ((**أنَّهُ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مِنَ الظُّهرِ في مَسْجِدِه بالمُسْلِمِينَ في المَدِينَةِ، ثُمَّ أُمِرَ أن يتَوَجَّهَ إِلَى الكَعْبةِ، فاسْتَدَارَ إِلَيْهِ والمُسْلِمُون، فصَلَّى الرَّكعَتَيْنِ البَاقِيَتَيْنِ مِنَ الظُّهرِ إِلَى الكَعْبَةِ**))[9] والنَّصُّ أنَّهُ وقَعَ التَّحْوِيلُ فِي رُكُوعِ الثَّالِثَةِ فجُعِلَتْ كلُّهَا رَكْعَةً لِلْكَعْبَةِ مَعَ أنَّ قيَامَها وقِرَاءَتَها وابتِداءَ رُكُوعِهَا لِلْقُدسِ. قِيلَ: لأنَّه لَا اعْتِدادَ بالرَّكعَةِ إلَّا بَعْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكوعِ، ولِهَذَا يُدْرِكُها المَسْبُوقُ قبْلَهُ هذَا قَوْلُ قَوْمِنَا. ويُقالُ: إنَّهُ ﷺ زارَ أُمَّ بِشْرِ بنِ البَرَاءِ بنِ مَعْرُور واسْمُها خليدة، فِي بني سلِمة بكَسْرِ اللَّامِ، فصَنَعَتْ لهُ طعَامًا وحَانَ وَقْتُ الظُّهرِ فصَلَّى بأَصْحَابِهِ رَكْعَتيْنِ ﷺ ثمَّ أُمِرَ باسْتِقْبالِ الكَعْبَةِ في رُكُوعِ الثَّالِثَةِ، فاسْتَدارُوا إِلَى الكَعْبَةِ بأَنْ تَحَوَّلَ الإِمَامُ إِلَى مُؤَخِّرِ المسْجِدِ، فتَحَوَّلَت الرِّجالُ

---

(1) فتح الباري، ابن حجَر، 96/1.

(2) المسالك في شرح موطأ مالِك، 348/3.

(3) أبو العباس العزفي: أحمد بن محمد بن أحمد اللخمِي السبتِي، فقيه، أخذ عن أبِيه، وأخذ عنه أبو الحسن الرعينِي الإشبِيلي، وابن الأبَّارِ، ت:633هـ، من آثاره برنامجه فيه شيوخه ومروياته عنهم وكتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظَّمِ. برنامج شيوخ الرُّعيني، الرعيني، ص42.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 248/2.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 150/2.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 248/2.

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 150/2.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 248/2.

(9) الطبقات الكبير، ابن سعد، 208/1.

خَلفَهُ وتَحوَّلت النِّساءُ حَتَّى صِرْنَ خلْفَ الرِّجال [160ظ] ولَا يُشْكِلُ هذَا بأنَّهُ عَمَلٌ كثِيرٌ، لاحْتِمالِ أنَّهُ قَبْلَ تَحْرِيمِ العَمَلِ في الصَّلاةِ كالكلَامِ، أَو اغْتُفِرَ هذَا العَمَلُ للْمَصْلَحَةِ أو عُلِمَ مِنْ ذلِكَ أنَّهُ يَتَحَوَّلُ ويَبْنِي فسُمِّيَ مسْجِد القِبْلتَيْنِ لنُزولِ النَّسخِ وتَحويلِهِ فِيهِ ابْتِدَاءً، فلَا يرد أنَّ التَّحويلَ كانَ في مسجدي قباء وبَنِي حارِثَةَ ولَمْ يُسَمَّيَا بذَلِكَ. وأيْضًا حِكْمَةُ التَّسْمِيَةِ لا يلْزمُ اطِّرادهَا، قالَ الوَاقِدِي: هذَا عنْدَنَا أَثْبَتُ مِن القَوْلِ الأَوَّلِ أنَّ التَحويلَ وَقَعَ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيّ[1].

قُلتُ: يُجْمَعُ بأنَّهُ وقَعَ فِيهِمَا ولَمَّا حُوِّلَت القِبْلَةُ ارتَابَ المنافِقُونَ وكفَّارُ قُرَيشٍ واليَهُودُ وقالوا: مَا وَلَّاهُمْ عنْ قِبْلَتِهِمْ التِي كانُوا علَيْهَا، فأَنْزلَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿ **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[2] إلخ، نَحْنُ خُدَّامُهُ نَنْصَرِفُ حَيْثُ صَرَفَنَا ولَو مِرارًا في اليَوْمِ، والشَّأْنُ فِي اتِّباعِ قَوْلِهِ.

وعن ابْنِ عبَّاسٍ سبَبُ نزُولِ الآيةِ إنْكَارُ اليَهودِ. قالَ السّيُوطِي: وإسنَادُهُ قَوِيٌّ فلْيُعْتَمَدْ[3].

رَوَى أحْمَدُ عن عَائشةَ عنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**إنَّ اليَهُودَ لا يَحْسُدونَنَا علَى شَيْءٍ كمَا يَحْسُدونَنَا على يَوْمِ الجُمُعَةِ التِي هدَانَا اللهُ إلَيْهَا، وضلُّوا عنْهَا، وعَن القِبْلَةِ التِي هدانَا اللهُ إلَيْهَا وضَلُّوا عنهَا، وعَلَى قَوْلِنَا خلْفَ الإمامِ آمِين**))[4] قالَ أنَسٌ: فإنَّها لَمْ يُعْطَها أحَدٌ مِن قَبْلِكُم إلَّا هارون فإنَّهُ كانَ يُؤَمِّنُ علَى دُعاءِ مُوسَى[5]. ولَا يَصِحُّ عنْدَ أصحَابِنا التَّأْمِينُ فِي الصَّلاةِ إلَّا قَبْلَ نَسْخِ الكَلامِ في الصَّلاةِ.

ومعْنَى قَوْلِهِ:"هدَانَا اللهُ إلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ" الوَحْيُ بهَا، أو الاتِّصالُ إلَيْها بالاجْتِهَادِ كَمَا أُوتِيهَا أَهْلُ المَدِينَةِ بِهِ قبْلَ الهِجْرةِ، وقبْلَ العَقَبَة الأُولَى.

ومَعْنَى ضلَالَةِ اليَهُودِ عنْهَا: أنَّهُ فُرِضَ علَيْهِم يَوْمٌ مِنَ الجُمُعَة[6]، وُكِّلَ إلَى اخْتِيَارِهِمْ لِيُقِيمُوا فِيهِ شَرِيعتَهُمْ فاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ الأَيَّامِ هُو ولَمْ يَهْتَدُوا إلَيْهَا[7]، قالَهُ ابنُ بَطَّالٍ ومَالَ إلَيْهِ عِيَاض وقوَّاهُ[8]. وقَالَ النَّووِيّ: يُمْكِنُ أنَّهُم أُمِروا بِهِ صَرِيحًا فاخْتَلَفُوا هَلْ يَلْزَمُ بِعَيْنِهِ أمْ يَسُوغُ إبْدَالُهُ بيَوْمٍ آخَرَ، فأَخْطؤُوا[9]. قالَ الطَّبَرِي عن مُجَاهِد فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ **إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ** ﴾[10] أرَادُوا الجمُعة

(1) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 249/2-250.

(2) سورة البقرة: 142.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 250/2. لم أقفْ عليهِ فِي الدر المنثور للسيوطِي.

(4) مسند أحمد، حديث (25029).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 252/2.

(6) أي: الأسبوع.

(7) شرح صحيح البخارِي، ابن بطَّال، 476/2.

(8) إكمال المعلم، عياض، 250/3.

(9) المنهاج، النووِي، ص561.

(10) سورة النحل: 124.

فأَخْطَؤوا وأَخذُوا السَّبتَ مكَانَهُ[1]. ورَوَى ابن أبي حاتم عن السّدِّي التَّصْرِيحَ بأَنَّهُ فُرِضُ علَيْهِمْ يَوْمُ الجُمُعَةِ بعَيْنِهِ ولَفْظُهُ: إنَّ اللهَ فَرَضَ علَيْهِم يَوْمَ الجُمُعَةِ فأَبَوا، وقَالُوا: يا مُوسَى إنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ يوْمَ السَّبتِ شَيْئًا فاجْعَلْهُ لَنا، فجُعِلَ علَيْهِم[2]. وذلِكَ مِنْ جُمْلَةِ مُخَالَفَتِهِمْ، كمَا وَقَعَ لَهُمْ في قَوْلِهِ تعالَى: ﴿وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[3] وغَيْرِ ذَلِكَ، وقَوْلِهِمْ: "سَمِعْنَا وعَصَيْنَا"[4].

ومَعْنَى ضَلالَتِهِم عَن القِبْلَةِ: أَنَّهُمْ لَمْ يُصَلُّوا إِلَى الصَّخرَةِ ولَا إِلَى الكَعْبَةِ. وروَى أبو داود عنْ خالد بن يزيد بن معاوية: "لَمْ تَجِد اليهُودُ في التَّورَاةِ القِبْلةَ، ولكِن تابُوت السَّكِينةِ كانَ علَى الصَّخرَةِ، ولَمَّا غَضِبَ اللهُ علَى بنِي إسْرَائيلَ رَفَعَهُ، وكَانتْ [161و] صلاتُهُمْ إلى الصَّخرةِ عن مشُورَةٍ منْهُمْ[5].

وَرَوَى أبو داود أيْضًا: خاصَمَ يَهُودِيٌّ أبا العالية في القِبْلَةِ. فقال أبُو العَالِيَةِ: كان موسَى يُصَلِّي عنْدَ الصَّخرةِ، ويسْتَقْبِلُ البَيْتَ الحرامَ، فكانت الكعبةُ قبلتَهُ، وكانت الصَّخرةُ بين يديْهِ. وقال اليَهُوديُّ: بَيْنِي وبَيْنَكَ مسجد صالح النَّبِيء عليه السلام فقال أبو العَالِيَةِ: قَدْ صَلَّيْتُ فِي مسجِدِ صَالِح، وقِبْلَتُه إلَى الكَعْبَةِ، وفي مسجد ذي القرنين وقِبْلَتُهُ إلَيْهَا[6].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ فِي قولِهِ تَعَالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[7]: كانَت الكَعْبَةُ قِبْلَةَ موسَى. وكذا قَال الزَّمخشَرِيّ والبَيْضَاوِيّ[8].

قالَ البرَاءُ: لَمَّا حُوِّلَت القِبْلةُ قالَ بعْضُ المُؤمِنينَ: فمَا صَلاتُنا التِي صَلَّيْنَا إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ؟ وما حَالُ مَنْ ماتَ علَى ذلِكَ مِنْ إخْوَانِنا؟ وهُمْ عبد الله بن شهاب، والمطّلب بن أزهر الزّهْرِيَان، والسّكران بن عمرو العامريّ في مَكَّة، وحطاب بن الحارث الجمحِي، وعمرو بن أميّة الأسدِي، وعبد الله بن الحارِث السَّهمِيّ، وعروة بن عبد الله العربيّ، وعديّ بن نضلة العدويان، في الحبشَةِ بالهِجرة، وهُمْ قُرَشِيُّونَ، والبراء بن معْرور بنِ زرارة بالمدينةِ مِنَ الأَنْصَارِ، وهَؤُلاءِ عَشَرَة. وماتَ فِي المُدَّةِ أيْضًا إياس بن معاذ الأشهليّ، لكِنَّهُ مُخْتَلَفٌ في إسْلَامِهِ، فأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وعلَا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[9] أيْ: صلاتكُمْ إلَى

(1) جامع البيان، الطبرِي، 399/14، وفيه: عن قتادة، وليس عن مجاهِد.
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن أبِي حاتم، 2307/7.
(3) سورة البقرة: 58.
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 251/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 355/2.
(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 251/2، عن أبي داود في الناسخ والمنسوخ، لم أقف عليهِ.
(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 251/2، عن أبي داود في الناسخ والمنسوخ، لم أقف عليهِ.
(7) سورة يونس: 87.
(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 252/2 عن البغوِي في تفسِيره، 146/4.
(9) سورة البقرة: 143.

بَيْتِ المقْدِسِ[1] بلْ يُثِيبُكُم علَيْهَا. وليْسَ المُرادُ ما قِيلَ إِيمَانَكُمْ بالقِبْلَةِ المَنْسُوخَةِ. ورَوَى البُخَارِيّ عنِ البَرَاءِ: ((ماتَ على القِبْلَةِ قبْلَ أنْ تُحَوَّل رِجَالٌ وقُتِلُوا فلَمْ نَدْرِ ما نَقُولُ فِيهِمْ فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[2]))[3][4].

وفي ذِكْرِ القَتْلِ زِيَادَةٌ علَى العَشَرَةِ، فلَعَلَّ بَعْضًا قُتِلَ في غَيْرِ جهَادٍ إذْ لَمْ يُفْرَض إِلَّا بَعْدُ ولَيسَ مشْهُورًا فَلَمْ يُعْرَفْ. وذَكَرَ ابن إسحاق أنَّ سوَيد بن الصّامت لَقِيَ النَّبِيء ﷺ قبْلَ أَنْ يلْقَاهُ الأَنْصارُ فِي الْعَقَبَةِ، فأَعْرَضَ علَيْهِ الإِسْلامَ فقَالَ: إنَّ هذَا القَوْلَ حَسَنٌ، وانْصَرَفَ إلى المَدِينَةِ فَقُتِلَ بهَا في وقعة بُعَاث قَبْلَ الهِجْرَةِ، فكَانَ قوْمُهُ يقُولُونَ: مَاتَ مُسْلِمًا[5]. وإن قِيلَ: المُرادُ مَنْ قُتِلَ بمكَّة مِنَ المسْتَضْعَفِين، كَأَبَوَيْ عَمَّار، احتِيجَ إلَى إثْبَاتِ أنَّ موْتَهُم قَبْلَ الهِجْرَةِ[6].

ويُروَى أنَّهُ لَمَّا حُوِّلَت القِبْلَةُ قال اليَهُودُ: اشْتَاقَ إلَى بلَدِ أبِيهِ، وهُوَ يُرِيدُ أن يُرضِيَ قومَهُ قُرَيْشًا، ولَوْ ثَبتَ علَى قِبْلَتِنا لرَجَوْنا أنْ يكُونَ هُو النَّبِيء الذِي نَنْتَظِرُ أنْ يَأتِيَ. وقالَ المنافِقون: "ما ولَّاهم عَنْ قِبْلَتِهِم التِي كانُوا عَلَيْهَا؟" وقالَ كُفَّارُ قُرَيْش: تَحيَّرَ مُحَمَّدٌ على دِينِهِ فاستَقْبَلَ قبْلَتَكُم، وعَلِمَ أنَّكُمْ أهْدَى منْهُ، ويُوشِكُ أنْ يَدْخُلَ في دِينِكمْ، فأنْزَلَ اللهُ ﷻ في اليَهُودِ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[7] عَلِمُوا مِن [161ظ] أنْبِئَائِهِمْ وكتُبِهِم أنَّهُ نَبِيءٌ رَسُولٌ يسْتَقْبِلُ الكَعْبَةَ بَعْدَ المقْدس. وقولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[8] وقوله تعالَى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[9] يعرِفونَهُ أنَّهُ رَسُولٌ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيلَ وقِبْلَتُهُ الكَعْبَةُ، كمَا يَعْرِفونَ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 252/2، عن ابن إسحاق.
(2) سورة البقرة: 143.
(3) صحيح البخاري، حديث (40).
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 252/2.
(5) ينظر: سيرة ابن هشام، 427/1.
(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 253/2، وفيه: قتلهما بعد الإسرار.
(7) سورة البقرة: 144.
(8) سورة البقرة: 145.
(9) سورة البقرة: 146.

أبْنَاءَهُم. وأَنْزَلَ فِي المنَافِقِينَ ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[1] وفي المُشْرِكِينَ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[2][3].

ثُمَّ فُرِضَ صِيامُ شَهْرِ رمَضَانَ، وحِكْمَةُ كوْنِهِ ثَلاثِينَ أنَّهُ لـمَّا تابَ آدمُ مِن أَكْلِ الشَّجَرَةِ تأَخَّرَ قبولُ تَوْبَتِهِ، لِمَا بَقِيَ فِي جسَدِهِ مِنْ تلْكَ الأُكْلَةِ ثلَاثِينَ يَوْمًا، فلَمَّا صَفَا جسَدُهُ منْهَا تِيبَ عليهِ ففُرِضَ على ذُرِّيَّتِهِ صِيَامُ شَهْرٍ[4].

روَى الوَاقِدِيّ عن عائشةَ وابْنِ عمر وأبي سعيد الخُدْرِيّ قالُوا[5]: أُنْزِلَ فَرْضُ شَهْرِ رَمَضَانَ بعدَما حُوِّلَت القِبْلَةُ إلى الكَعْبَةِ بِشَهْرٍ في شَعْبَانَ؛ أيْ: فِي نِصْفِهِ، بنَاءً على أنَّ التَّحويلَ في نِصفِ رَجَبٍ، أو فِي أوَّلِهِ بناءً على أنَّهُ في آخِرِ جُمادَى الآخِرَةِ.

ولَا يَأْتِي هنَا القَوْلُ بِأَنَّها حُوِّلَتْ فِي نصفِ شعْبَانَ، وإلَّا كانَ فَرْضُ الصَّومِ في نِصْفِ رمَضَانَ.

حُوِّلَتْ علَى أوَّلِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ ﷺ المدِينَةَ، ولا بُدَّ مِنَ التَّجَوُّزِ فِي شَهْرٍ أو ثَمَانِيَةَ عَشَر شَهْرًا، وفُرِضَتْ زَكَاةُ الفِطْرِ في هَذِهِ السَّنةِ، قَبْلَ العِيدِ بيَوْمَيْنِ، أنْ يُخْرَج عنِ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ والحُرِّ والعَبْدِ والذَّكَرِ والأُنْثَى صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ أو صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ أوْ صَاعٌ مِن زَبِيبٍ أوْ صَاعٌ مِنْ بُرّ.

وذكَرَ أبو داوُد أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ ﷺ جعَلَ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ مكَانَ هذهِ الأشْيَاءِ[6]. وذكَرَ البُخارِيّ ومُسْلِم أنَّ معَاوِيَةَ هُوَ الذِي قَوَّمَ ذلِكَ[7]. وعندَ الدَّارقطْنِي عنْ عُمَر ﷺ أَمَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ عمرو بن حزم بنِصْفِ صَاعٍ مِنْ حِنْطَةٍ[8]، فقالَ عَلِيّ: أمَا إذَا وَسَّعَ اللهُ فأَوْسِعُوا، اجعَلُوه صاعًا مِنْ بُرٍّ وغَيْرِهِ[9]. وذَلِكَ قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ زَكَاةُ الأَموالِ، وقِيلَ إنَّ زَكاةَ الأَمْوالِ فُرِضَتْ في السَّنَةِ الثّانِيَةِ، وقيلَ بَعْدَها، وقيلَ: سنَةَ تِسْعٍ، وقِيلَ: فُرِضَتْ زَكَاةُ الأَمْوالِ قَبْلَ الِهجْرَةِ، واعْتُرِضَ أنَّهُ لَمْ يُفْرَضْ بِمكَّةَ بعْدَ الإيمانِ إلَّا الصَّلَاةُ كُلُّ الفُرُوضِ بِالمدينةِ، وإن قِيلَ فُرِضَ الحجُّ قَبْلَ الهِجرةِ فالصَّحيحُ خلافُهُ، والأَكثَرُ

(1) سورة البقرة: 142.

(2) سورة البقرة: 150.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 2/253-254.

(4) (م، س)، 2/254.

(5) ينظَر الأثر في: الطبقات الكبير، ابن سعد، 1/214. وقد نقله المؤلّف من شرح الزرقاني على المواهب اللدنية.

(6) لم أقف على قول أبي داواد في كتبه، ينظر: زاد المعاد، ابن القيم، 2/18.

(7) لم أقفْ عليه في الصَّحيحين.

(8) سنن الدارقطني، حدِيث (2094).

(9) قول عليّ في سنن أبي داود، حدِيث (1622).

أنَّ فَرْضَ الزَّكاةِ بعدَ[1] الهِجرةِ واللهُ أَعْلَمُ[2].

ويُقالُ نزَلَت الفَاتِحَةُ بِمَكَّةَ [162و] حينَ حُوِّلَت القِبْلةُ في المدِينَةِ، لِدَلالَتِها علَى أنَّهُ رَبُّ الجِهَاتِ، وقَد اختَارَ أفْضَلَها فَلَهُ الحَمْدُ. وفي هذِهِ السَّنَةِ كان تجْدِيدُ بنَاءِ مَسْجِدِ قباء.

قالَ أبو سعيد الخدْريّ: لمَّا صُرِفَت القِبْلَةُ إلى الكَعْبَةِ أتَى رسُولُ اللهِ ﷺ مسْجِدَ قُبَاءَ فقَدَّمَ جِدارَ المَسْجِدِ إلى مَوْضِعِهِ اليَوْمَ وأَسَّهُ بِيَدِهِ، وحَوَّلَ قِبْلَتَهُ إلى جِهَةِ الكَعْبَةِ، وكانَتْ إلَى جِهَةِ بَيْتِ المقْدِسِ، ونقَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ وأصحَابُهُ الحِجَارَةَ لِبنَائِهِ[3].

واللهُ أعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

85 مَتَى مَا تُشِرْ بِالطَّرْفِ لِلْأُفْقِ لَحْظَةً تَرَامَى إِلَيْكَ النَّيِّرَانِ الْمُضِيئَانِ

86 وَإِنْ هُوَ قَدْ أَوْمَى إِلَى السُّحْبِ إِصْبَعٌ أَتَتْ بِحَمِيدِ الْقَطْرِ أَبْهَجَ إِتْيَانِ

87 وَعِنْدِي يَمِينٌ لاَ يَمِينُ بِأَنَّ فِي يَمِينِكَ وَكْفًا حَيْثُ حَاجَةُ ظَمْآنِ

إذا أَشَرْتَ بالنَّظَرِ ولَوْ نَظْرَةً قَلِيلَةً إلَى ما يُقابِلُكَ مِنْ جِهَةٍ فيهِمَا الشَّمْسُ والقَمَرُ اللَّذانِ هُمَا نورٌ وضِياءٌ، رَمَيَا إِلَيْكَ أنْفُسَهُما رَمْيًا سَرِيعًا، إمَّا بِالإِشارَةِ أوْ بالمَيْلِ إلَيْكَ أوْ بالطَّاعةِ.

وهَذا كَمَا كانَ ﷺ يناغِي القَمَرَ فِي مَهْدِهِ، وهوَ سَببُ إسلامِ العبَّاسِ رضي الله عنه إذ رآهُ كذلكَ وهُمَا طِفْلانِ؛ النَّبِيءُ ﷺ في المَهْدِ والعبَّاسُ يَجْرِي على قدَمَيْهِ.

ولَا يبْعُدُ أنْ يُنَاغِي الشَّمسَ أيْضًا، وَكمَا وَقَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ كمَا يأْتِي إنْ شاءَ اللهُ ﷻ، وكمَا أشارَ إلى القَمَرِ فانْشَقَّ.

وَإِنْ أَوْمَأَ إلَى السَّحابِ إصْبَعٌ مِنْهُ أتَتِ السّحَابُ أو الإصْبَعُ مِنَ السَّحابِ بالقَطْرِ الجَمِيلِ إتْيَانًا حَسَنًا وَضِيئًا.

وعندِي حِلْفٌ لا يَكْذِبُ ولَا يَحْنثُ، بأنَّ فِي يَدِكَ اليُمنَى مَطَرًا فِي مَوْضِعِ وجُودِ احتِيَاجِ الظَّمْآنِ.

و"هُوَ" ضَمِيرُ اسْمٍ لـ:كَانَ الشَّأْنِيَّة المحْذُوفِ؛ أيْ: وإنْ كانَ أيْ: هُو أَي: الشَّأنُ، حَذَفَ كانَ وَحْدَهُ، لَا مَعَ الضَّمِيرِ فِيهِ فَبَرَزَ وانْفَصَلَ.

وجُمْلَة: "قَدْ أَوْمَى إصْبَعٌ" خَبَرُ كانَ.

ونَعْتُ "إصْبَعٌ" محذُوفٌ أيْ: إصبَعٌ مِنْكَ.

ويَجُوزُ أن يكُونَ "هُو" عَائِدًا إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ فاعِلًا لِـ:"أَوْمَى" محْذُوفًا غَيْرَ مقْرُونٍ بِـ"قَدْ" وفَسَّرهُ المقْرُونُ بها المذكُورُ، فيُقَدَّرُ إصْبَعٌ منْهُ، فيَكُونُ الْتِفَاتًا منَ الخِطَابِ إلَى الغَيْبَةِ.

---

(1) في الأصْلِ: قبل، وهذا خطأ من المؤلِّف.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 254/2.

(3) الطبقات الكبير، ابن سعد، 210/1، وبحار الأنوار، باقر المجلسي، 78/19.

و"يَميُنُ" الثَّانِي: فعْلٌ مضَارِعٌ مرْفُوع منْفِيٌّ بـ: لَا يُقالُ: مانَ يَمِينُ؛ أيْ كَذبَ يكْذِبُ. وجملَتُهُ معَ فاعِلِهِ المسْتَتِرِ نَعْتٌ لِـ"يمين" الأَوَّل. والضّمِيرُ فِيهِ عائِدٌ إلى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّ اليَمِينَ يُذَكَّرُ ويُؤنَّثُ تقدَّمَ أو تأخَّرَ، وكذا الإصبَعُ واخْتَارَ التَّذكِيرَ ليَكُونَ الجِنَاسُ التَّامُّ.

وحَاجَة: مُبْتَدَأ خبَرُهُ محْذُوفٌ، أرادَ بِهِ الاحْتِياجَ، والخَبَرُ مَحْذُوفٌ أيْ: حَيْثُ احْتِيَاجُهُ موْجُودٌ.

قال العبَّاسُ ﷺ سَبَبُ إسلامِي أنّي رأيتُ رسُولَ الله يُناغِي في مهْدِهِ القَمَرَ كالمتكلِّمِ [162ظ] لهُ ويُشِيرُ إلى القَمَرِ. وأَخْبَرَ ﷺ بعدَ إسلَامِهِ بذلِكَ رسُولَ الله ﷺ.

روَى طغريلُ[1]: أنَّ القمَرَ كان يُحَدِّثُهُ وهُو فِي مَهْدِهِ ويمِيلُ إلَيْهِ حيْثُ مالَ؛ أيْ: في أيِّ وقتٍ أشارَ إليهِ بإصبعِهِ[2].

قال البيهقيّ والصّابونيّ[3] والخطِيبُ وابنُ عَسَاكِر: ((عن العبَّاسِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ دَعَانِي إلَى الدُّخولِ في دِينِكَ أمارَةٌ لنبُوءَتِكَ، رأَيْتُكَ في المَهْدِ تُنَاغِي القَمَرَ وتُشِيرُ إلَيْهِ بإصبعيْكَ، فحيثُ أَشَرْتَ إليهِ يمِيلُ)) وظاهرهُ أنَّ حيثُ مكانيَّةٌ وهُوَ جائِزٌ معْنىً هُنَا، لَا كما قِيل: إنَّها هنَا لِلزَّمانِ. قال لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إنّي كُنْتُ أحَدِّثُهُ ويُحدِّثُنِي ويُلْهِيني عن البُكَاءِ وأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ**))[4].

وروَى ابن سبع[5] أنَّهُ كانَ يتحرَّكُ مهدُهُ بتحرِيكِ الملائكةِ[6].

رُوِيَ أنَّهُ أقْحَطَ أَهْلُ المدينةِ فأَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ فاسْتَسْقَى، فما لبِثَ أن جاءَ مِنَ المطَرِ ما أتاهُ أهلُ الضَّواحِي يشْكُونَ منْهُ الغَرَقَ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**)) فانْجَابَ السَّحابُ عن المدِينَةِ، فصَارَ حوَالَيْها كالإِكْلِيلِ، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: ((**لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ،** فقال لهُ بعضُ أصحابِهِ: كأنَّكَ يا رسول اللهِ أَرَدْتَ قَوْلَه:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

قال: أَجَلْ))[7].

---

(1) ذكر القسطلاني أنّ هذا القولَ مأخوذٌ مِن كتاب "النطق المفهوم" لابن طغر بك. والكتاب مطبوع مرّتين؛ مرة لأحمد بن طغر بك في طبعة قديمة، وطبعة حدِيثة لعمر بن طغر بك. وقد تمت الإشارة إلى هذا الأخِير، وله كتاب "الدر النظِيم"ينظر [74و]. ونسب الكتاني الكتابين لهُ، ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، ص198.

(2) المواهب اللدنية، 627/2. وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 190/7.

(3) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، محدّث ومفسِّر، له كتاب المئتين والفاروق في الصفات، ت: 449 هـ. سير أعلام النبلاء، 40/18، ومعجم المؤلفين، 368/1.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 154/1، تاريخ دمشق، ابن عساكر، 360/4.

(5) أبو الربيع، له كتاب الخصائص، وشفاء الصدور. سبقت ترجمته ينظر: [137و].

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 155/1. النقول الثلاثة السّابقة كتبها المؤلِّفُ على الهامِشِ.

(7) سيرة ابن هشام، 281/1.

وعن أنس بن مالك: ((**أنَّ رَجُلًا دخلَ المسجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بابٍ كانَ نَحْوَ دَارِ القضَاءِ ورسُولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ يخطُبُ فاستقبلَ رسولَ اللهِ ﷺ قائِمًا، ثمَّ قال: يا رسُولَ اللهِ هلَكَت الأمْوَالُ وانْقَطَعَت السُّبُل فادْعُ اللهَ يغيثُنا فرَفعَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا. قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلاَ قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ**؛ أي: لا حائلَ مِنَ الرُّؤيَةِ، **فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبتًا**؛ أي: استمرَّ المطرُ أسبوعًا، **ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا**؛ أي: الأَمْطَار أو السَّحاب أو السَّماء، والعَرَبُ تُسَمِّي المطرَ سماءً، ويُروَى: ((**أن يمسِكَ عنَّا المَاءَ**)) ويُروَى: ((**أن يرفعها عنَّا**)) ويُروَى: ((**فادْعُ رَبَّكَ أنْ يَحْبِسَها عنَّا**)) **فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الإِكَامِ وَالضِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ**))[1].

وفي رواية: ((**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا، فمَا يُشِيرُ بيَدِهِ إلى ناحيَةٍ إلَّا زالَتْ عنها، وما جَاءَ أحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إلَّا جاءَ بجودٍ**؛ أَيْ: مَطَر)).

وفِي رواية: ((**فتَقَشَّعَتْ عن المَدِينَةِ، فجَعَلَتْ تُمْطِرُ حَوَالَيْها، وما تُمطِرُ بالمدينةِ قَطْرَةٌ، فنَظَرْتُ إلى المَدِينَةِ وإنَّها لَفِي مِثْلِ الإكْلِيلِ**))[2]، وفِي رِوَايَةٍ: ((**فرَأَيْتُ السَّحابَ يتَمَزَّقُ كَأنَّها المُلَاءُ حِينَ تُطوَى**))[3].

وفِي رِوَايَة: ((**فَانْجَابَتْ عنِ المدِينَةِ انْجِيابَ الثَّوْبِ**))[4].

وسُمِّيَت دار القضاء؛ لأنَّها بِيعَتْ فِي قَضَاءِ دَيْنِ عُمَر بنِ الخطَّابِ ﷺ اشترَاها مُعاوِيَةُ فعُرِفَتْ بِذلكَ بَعْدَ مَوْتِهِ، ويَأْتِي بسْطُهُ إن شَاءَ اللهُ. والضَّاحيةُ: الأَرْضُ التِي ليْسَ فِيها مَا يُكِنُّ مِن المَطَرِ.

وفي قوْلِهِ: ((**اللَّهُمَّ عَلَى الْإِكَامِ**)) [163و] وقوْلِهِ: ((**لَا عَلَيْنَا**)) طَلَبُ مزِيد النَّعماءِ وكَشْفِ البَلاءِ بخِلافِ ما لو قالَ: اللّهُمَّ ارفعها عنَّا. والجوبة: الفرجة، وفي رواية: ((**ما يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى ناحِيَةٍ إلَّا بجود**))؛ أي: إلَّا بمطَرٍ غزيرٍ.

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (8).

وعبارة: "أي: الأمطار أو السَّحاب أو السَّماء، والعربُ تسمِّي المطرَ سماءً، ويُروَى: ((أن يمسِكَ عنَّا المَاءَ)) ويُروَى: ((أن يرفعها عنَّا)) ويُروَى: ((فادعُ ربَّكَ أن يحبِسَها عنَّا))" نقلها المؤلِّف على الهامِشِ من شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 124/11.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (10).

(3) صحيح مسلم، حدِيث (12).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1016).

وروَى عامر بن خارجة بن سعد عن جَدِّهِ سعد: ((**أنَّ قَوْمًا شكَوْا إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ قُحُوطَ المَطَرِ، فقَالَ: اجْثُوا علَى الرُّكَبِ وقولُوا: يَارَبُّ يَارَبُّ ففَعَلُوا فسُقُوا حتَّى أَحَبُّوا أنْ يكْشفَ عنهُم**))[1].

وعن أنس بن مالك: ((**جاءَ أعرابِيٌّ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ في المَسْجِدِ فقال: أتَيْنَاكَ وما لَنا بَعِيرٌ يَئِطُّ ولَا صَبِيٌّ يَصْطَبِحُ، وَأنْشَدَ:**

أَتَـيْـنَـاكَ وَالْـعَـذْرَاءُ تَـدْرِي دُمُـوعَـهَـا ... وَقَـدْ شُـغِلَت أُمُّ الصَّـبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفَّيْـهِ الْوَلِيـدُ اسْـتِكَـانَـةً ... مِنَ الْجُوعِ ضـعفًا مَا يمرُّ وَمَا يحلِي
وَلَا شَـيْءَ مِمَّا يَـأْكُـلُ النَّاسُ عِنْـدَنَا ... سِـوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَصْـلِ
وَلَـيْـسَ لَـنَـا إلَّا إلَـيْـكَ فِـرَارُنَـا ... وَأَيْنَ فِرَارُ النَّـاسِ إلَّا إلَى الرُّسْـلِ[2]

فقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجُرُّ ردَاءَهُ حتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ، فحَمِدَ اللهَ ﷻ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ فقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا سَرِيعًا غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ وتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وتُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، فمَا واللهِ رَدَّ رسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ إلى نَحْرِهِ حتَّى أَلْقَت السَّماءُ أَرْوَاقَهَا، وجاءَ أَهْلُ البطَالة[3] يضجُّونَ: يا رَسولَ اللهِ الغَرَق، فرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يدَيْهِ إلى السَّماءِ فقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا. فانْجَابَ السَّحابُ عن المدِينَةِ حتَّى أَحْدَقَ بِهَا كالْإِكْلِيلِ، فضَحِكَ رسُولُ اللهِ ﷺ حتَّى بَدَتْ نواجذُهُ ثمَّ قَالَ: للهِ درُّ أبِي طالبٍ لو كَانَ حَيًّا قَرَّتْ عَيناهُ، مَن يُنشِدُنِي قولَه؟ فقَامَ عَلِيٌّ فقالَ: أنَا ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَأَبْيَضَ يُسْـتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ... ثِمَـالُ الْيَتَـامَى عِصْـمَـةٌ لِلْأَرَامِـلِ
يَـلُـوذُ بِـهِ الْـهُـلَّاكُ مِـنْ آلِ هَـاشِـمٍ ... فَـهُـمْ عِـنْـدَهُ فِي نِعْـمَـةٍ وَفَـوَاضِـلِ
كَـذَبْتُمْ وَبَيْـتِ اللـهْ نَبْزِي مُحَمَّـدًا ... وَلَـمَّـا نُـقَـاتِـلْ دُونَـهُ وَنُـنَـاضِـلِ
وَنُسْـلِـمُـهُ حَـتَّـى نُصَـرَّعَ حَـوْلَـهُ ... وَنَـذْهَـل عَنْ أَبْنَـائِنَـا وَالْحَلَائِـلِ[4]

فقالَ النَّبِيءُ ﷺ: أَجَلْ قال فَقامَ أعرابيٌّ مِن بَنِي كنانةَ فقالَ:

لَـكَ الْحَمْـدُ وَالْحَمْـدُ مِمَّنْ شَـكَرْ ... سُـقِـينَـا بِـوَجْـهِ الـنَّـبِـيِّ الْـمَـطَـرْ
دَعَـا الـلـهَ خَـالِـقَـهُ دَعْـوَةً ... وَأَشْـخَـصَ مَـعْـهَـا إِلَـيْـهِ الْـبَصَـرْ
فَـلَـمْ يَـكُ إِلَّا كَشَـرِّ الـرِّدَاءِ ... وَأَسْـرَعَ حَـتَّـى رَأَيْـنَـا الـدِّرَرْ

(1) مسند البزار، حدِيث (1231).

(2) الأبيات من الطوِيلِ.

(3) في الأحاديث الطوال: البطاح.

(4) الأبيات من الطويل، سبق تخريجها.

فَـكَـانَ كَـمَـا قَـالَـهُ عَـمُّـهُ فَـهَـذَا الْـعِـيَـانُ وَذَاكَ الْـخَـبَـرْ
فَـمَـنْ يَشْـكُـرِ اللـهَ يَـلْـقَ الْـمَـزِيـدَ وَمَـنْ يَـكْـفُـرِ اللـهَ يَـلْـقَ الْـغِـيَـرْ[1]

فقالَ النَّبِيءُ [163ظ] ﷺ: **إن كَانَ شاعِرٌ يُحسِنُ فَقَدْ أَحْسَنْتَ**))[2].

قال السُّهيليّ: فإن قِيلَ كيفَ قال أبو طالِب: وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ، ولَمْ يَرَهُ قَطُّ يُسْتَسْقَى بِهِ وإنَّما كان اسْتِسْقَاءُهُ ﷺ فِي المدِينةِ؟ فالجوابُ أنَّ أبا طالِبٍ قدْ شاهَدَ مِنْ ذَلِكَ أيْضًا في حيَاةِ عبدِ المطَّلِبِ ما دلَّهُ على ما قالَ[3].

ذكرَ أبو سعيد النّيسبوري بِسنَدِهِ: عنْ مخرمة بن نوفل أنَّ أمَّهُ رقيقة بنت صيفيّ قالَتْ: تَتَابَعَتْ علَى قُرَيْشٍ سِنُونَ جذْبٍ، أَنْحَلَت الجِلدَ وأَرَمَّتِ العَظْمَ، فبَيْنَمَا أنَا راقِدَة اللَّهمّ أو مهمومة إذا بهاتِفٍ صَيِّتٍ يَصرُخُ بصَوْتٍ صَحِلٍ يقُولُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنَّ هذَا النَّبيءَ المبْعُوثَ مِنكُمْ هذَا إبَّانُ نُجُومِهِ، فحَيَّهَلاَ بِالْحَيَا والخِصْبِ، أَلَا فانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طُوَّالًا أَبْيَضَ أَشَمَّ العِرْنَيْنِ، لَهُ فَخْرٌ يكْظمُ علَيْهِ، أَلَا فلْيَخْلُصْ هوَ ووَلَدُهُ ولْيُولِفْ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ بطْنٍ رَجُلًا ويَغْتَسِلُوا ويَمَسُّوا مِنَ الطِّيبِ، ولْيَطُوفُوا بالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ لِيَرْتَقُوا أبَا قُبيس، أَلَا فلْيَسْتَسْقِ الرَّجُلُ ولْيُؤَمِّن القَوْمُ، أَلَا وفِيهِم الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لِذَاتِهِ أَلَا فَسُقِيتُمْ. فأَصْبَحْتُ مذْعُورةً قَدْ قَفَّ جِلْدِي وَوَلِهَ عقْلِي، فاقْتَصَصْتُ رؤْيَايَ، فمَا بَقِيَ أَبْطحِيّ إلَّا قالَ: هذَا شَيْبَةُ الحَمْدِ، وتَتَأَمَّتْ عنْدَهُ قُرَيشٌ وانْقَضَّ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فاغْتَسَلُوا وتَطَيَّبُوا واسْتَلَمُوا وطَافُوا، ثُمَّ ارْتَقَوا أبا قبيس وطَفِقَ القَوْمُ يَدِفُّونَ حوْلَهُ مَا إنْ يُدْرِكْ سَعْيهم مهله حتَّى قَرُّوا بِذِروةِ الجَبَلِ، فَقامَ عبْدُ المطَّلِبِ معْتَضِدًا طِفْلًا وَقَالَ: اللَّهمَّ يا مُذْهِبَ الخلَّة ويا كَاشِفَ الكُرْبَةِ أنْتَ عالِمٌ غَيْرُ مُعَلَّمٍ ومَسْؤُولٌ غَيْرُ مُبخَّلٍ، وهذِهِ عبْدَاؤكَ وإمَاؤُكَ بِغدرَاتِ[4] حَرَمِكَ يشْكُونَ إلَيْكَ سنتهُمْ التِي أَنْحَلَت الضِفَّ والخِلف[5]، فَاسْمَعَن اللَّهمَّ وَأَمْطِرَنْ علَيْنَا غَيْثًا مُغِيثًا مُغْدِقًا، فَمَا رَامُوا البَيْتَ إلَّا وقَد انْفجَرَت السَّماءُ بما فِيهَا، وكَظَّ الوَادِي بِثَجِيجِهِ[6].

قالَ أبو سعيد النّيسابوري: عنْ رقيقةَ بنْتِ صَيْفِيّ سَمِعْتُ أشَياخَ قُرَيْشٍ يقُولُون لِعَبْدِ المطَّلِبِ:

---

(1) الأبيات من المتقارِب.

(2) روايات الأبيات مختلفة كثيرا، وكذا متن الحدِيث، ولم أجد أقربَ إلى رواية المؤلّف من رواية الأحادِيث الطوال، الطبراني، حدِيث (28).

(3) الروض الأنف، السهيلي، 3/39-40.

(4) في الروض الأنف: عَذِرَات حرمك، وفي معجم ابن الأعرابي: بَعِيراتُ حرَمِكَ. وفي المنتظم: غدرات كما في رواية المؤلف.

(5) في معجم ابن الأعرابِي: أَقْلَحَتِ الظِّلْفَ وَالْخُفَّ، فلينظر في تصحيفه.

(6) ينظر رواية: الروض الأنف، السهيلي، 3/40-41، ومعجم ابن الأعرابِي، 752/2، حدِيث (1527)، فهما الأقرب إلى رواية المؤلّف. وينظر المنتظم، ابن الجوزِي، 276/2.

هنِيئًا لَكَ بالبَطْحاءِ هَنِيئًا[1] بِكَ عَاشَ أَهْلُ البَطْحَاءِ. قالَتْ رُقَيْقَةُ:

بِشَـــيْبَـةَ الْحَمْـدِ أَحْيَى اللـهُ بَلْـدَتَنَـا ... وَقَـدْ فَقَـدْنَـا الْحَيَـا وَاجْلَوَّذَ الْمَطَرُ

فَجَـاءَ بِـالْمَـاءِ جَوْنِيّ لَـهُ سُـبُـلٌ ... سَـــحَا فَعَاشَـــتْ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّـــجَرُ

مَـنًّـا مِـنَ اللـهِ بِـالْـمَـيْـمُـونِ طَـائِـرُهُ ... وَخَيْرُ مَنْ بُشِّـــرَتْ بِوِصَـــابِـهِ مُضَـــرُ

مُبَـارَكُ الْأَمْرِ يُسْـــتَسْـــقَى الْغَمَـامُ بِـهِ ... مَـا فِي الْأَنَـامِ لَـهُ عَـدْلٌ وَلَا نظرُ[2]

وغَدْرَات حَرَمِكَ: أَفْنِيَةُ الْحَرَمِ، والغدرة: فِنَاءُ الدَّارِ. وكَظَّ الوادِي: ضاقَ. والثَّجِيجُ: الانْصِبابُ. والجونِي: الأَسْوَدُ المُشْرَبُ حُمْرَةً.

[164و] وفِي "المستدرَكِ على الصَّحِيحَيْنِ" صحِيحِ مسلِم والبخَارِي: ((عن ابْنِ عبَّاسٍ ﷺ عنْ عُمَر بنِ الخطَّابِ خرَجْنَا إِلَى تبوك فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فنَزَلْنَا مَنْزِلًا أصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ شَدِيدٌ حتَّى ظَنَنَّا أنَّ رِقَابَنَا ستُقْطَعُ حتَّى إنَّ الرَّجُلَ لينْحرُ بعِيرَه فيَعْصِرُ فَرْثَهُ فيَشْرَبُهُ ثمَّ يَجْعَلُ ما بَقِيَ علَى كَبِدِه. فقَال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: يا رسُولَ اللهِ قَدْ عَوَّدَكَ اللهُ في الدُّعاءِ خَيْرًا فادْعُ اللهَ، فقَالَ: أَتُحِبُّ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَم، فرَفَعَ يدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى أَظَلَّت السَّماءُ فَسَكَبَتْ فمَلَؤُوا مَا مَعَهُم، ثُمَّ ذَهَبْنَا ننْظُرُ فلَمْ نَجِدْها جَازَت العَسْكَرَ)). قالَ: هذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ علَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ[3].

وقَدْ ذَكَرْتُ قَصِيدةَ: (وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ) في بَعْضِ شُرُوحِ الشَّواهِدِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ آخِرِها لَمْ أَقْدِرْ علَيْهِ بَعْدَ البَحْثِ الشَّدِيدِ.

ورُوِيَ أنَّ المسلِمِينَ قالُوا: **((يَا رَسُولَ اللهِ قَحطَ المطرُ ويَبِسَ الشَّجَرُ وهَلَكَت المَوَاشِي وأَسْنَتَ النَّاسُ فاسْتَسْقِ لنَا ربَّكَ، فخَرَجَ رسُولُ اللهِ ﷺ والنَّاسُ معَهُ يَمْشِي ويَمْشُونَ بالسَّكِينةِ والوَقارِ حتَّى أَتَوْا المُصَلَّى فتَقَدَّمَ وصلَّى بِهِم رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ فيهِما بالقِرَاءَةِ وكانَ ﷺ يقْرَأُ في العِيدَيْنِ والاستِسْقاءِ بفاتحةِ الكتابِ وسبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى، وفي الرَّكعة الثَّانِيَةِ بفاتِحةِ الكتَابِ وهَل أتاك حدِيثُ الغاشِيَةِ، فلمَّا قضَى صلاتَهُ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بوَجْهِهِ وقَلَبَ رداءَهُ لِيَنْقَلِبَ القَحْطُ إلى الخِصبِ، ثُمَّ جثَا على رُكْبَتَيْهِ ورفَعَ يدَيْهِ وكبَّرَ تكْبِيرَةً قَبْل أنْ يَسْتَسْقِيَ ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا وَأَغِثْنَا غَيْثًا مُغِيثًا وَحيًا[4] رَبِيعًا وَجُدًّا طَبَقًا غَدَقًا مُعدِقًا[5] عَامًّا هَنِيئًا مَرِيئًا مَرْبَعًا مَرْتَعًا وابِلًا شَامِلًا مُسْبِلًا مُجَلِّلًا دائِمًا وَدُرًّا نافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عاجِلًا غيْرَ رَائِثٍ، غَيْثًا اللَّهم تُحْيِي بهِ البِلَادَ وتُغِيثُ بهِ العِبادَ**

(1) في معجم ابن الأعرابِي: هَيِّنًا لَكَ أَبَا الْبَطْحَاءِ هَيِّنًا.

(2) الأبيات من البسِيط، ينظر رواية: معجم ابن الأعرابِي، حدِيث (1527)، 752/2، والمعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (661).

(3) المستدرك على الصحيحين، الحاكِم، حدِيث (566).

(4) في الأحاديث الطوال: رحبا.

(5) في الأحاديث الطوال: مغْدِقاً.

وتَجْعَلُه بَلاغًا صالِحًا لِلْحَاضِرِ والبَادِي. اللَّهمَّ أَنْزِلْ في أرْضِنَا زِينَتَهَا وأَنْزِلْ علَيْهَا سَكَنَهَا. اللَّهمَّ أَنْزِلْ علَيْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُورًا تُحْيِي بهِ بَلْدَةً مَيْتًا. وأَسْقِهِ مِمَّا خلَقْتَ أنْعَامًا وأنَاسِيَّ كَثِيرًا. فمَا بَرِحُوا حتَّى أَقْبَلَ قَزَعٌ مِن السَّماءِ فالْتَأمَ بَعْضٌ إلى بَعْضٍ ثمَّ أَمْطَرَتْ سَبْعَةَ أيَّامٍ بلَيَالِيهِنَّ لا تُقْلِعُ عنِ المدِينةِ. فأتَاهُ المسْلِمونَ وقالوا: يا رَسُولَ اللهِ قَدْ غَرِقَت المدينةُ وتَهَدَّمَت البيُوتُ وانْقَطَعَت السُّبُلُ فادْعُ اللهَ أن يَصْرِفَها عنَّا فضَحِكَ رسُولُ اللهِ ﷺ وهُوَ علَى المِنْبَرِ حَتَّى بَدَتْ [164ظ] نواجِذُهُ تعَجُّبًا لِسُرعَةِ مَلَالَةِ بَنِي آدمَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثُمّ قالَ: حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنا، اللَّهُمَّ علَى رُؤُوسِ الظِّرابِ ومنَابِتِ الشَّجَرِ وبُطُون الأَوْدِيَةِ وظُهور الإكامِ فتَصَدَّعَت عن المَدِينَةِ حتَّى كَانَتْ مِثْلَ تُرْسٍ عليْهَا كالفسْطاطِ تُمْطِرُ مَرَاعِيهَا ولَا تُمطِرُ فِيهَا قَطْرَةٌ))[1].

وأنشَدَ بَعضُ السَّلَفِ عَقِبَ حدِيثِ الاسْتِسْقَاءِ:

سَـــأَلْنَا وَقَدْ ضَـــنَّ السَّـــحَابُ بِمَائِهِ ... نَبِيءَ الْهُـدَى فِي جُمْعَـةٍ وَهْو يَخْطُـبُ
فَقُلْنَا قَـدِ اغْبَرَّتْ مِنَ الْجَدْبِ أَرْضُـــنَا ... فَلَيْسَ لَنَـا فِيهَـا مِنَ الضّـــرِّ مَـذْهَـبُ
فَمَـا زَالَ يَدْعُو اللهَ وَالصَّـــحْبُ حَوْلَـهُ ... وَيَضْـــرَعُ مَـقْـلُـوبَ الـرِّدَاءِ وَيَـرْغَـبُ
إِلَى أَنْ بَـدَتْ مِنْ نَحْوِ سِـــلْعٍ غَمَـامَـةٌ ... فَلَمَّا تَزَلْ سَـــبْعًا عَلَى الْقَوْمِ تَسْـــكِبُ
فَقَـامَ إِلَيْـهِ بَعْضُ مَنْ كَـانَ شَـــاهِـدًا ... بِقَـوْلٍ وَأَحْلَافُ السَّـــمَواتِ تَحْلَـبُ
سَـــلِ اللـهَ يَـا خَيْرَ النَّبِيئِينَ جَسَّـــهَـا ... فَقَـدْ خِيفَ مِنْهَـا أَنْ تَهـدَّمَ يَثْرِبُ[2]

وصَلاةُ الاسْتِسْقاءِ ثابِتَةٌ سُنَّة بِإجْمَاعٍ، إلَّا أبا حنيفة زَعَمَ أنَّها بِدْعَةٌ مُحْتَجًّا بأحادِيثِ الاسْتِسقَاءِ التِي ليسَ فِيها صَلَاةٌ. ويَرُدُّهُ أحادِيثُ الاسْتِسْقَاءِ التِي فيها صَلاةٌ المذكورةُ في "صَحِيحِ البخَارِي" و"صَحِيحِ مُسْلِم" وغيْرِهِمَا الثَّابتة بأَسَانِيد وطُرُقٍ عدِيدَةٍ. والحافِظُ حجَّةٌ على مَن لَمْ يَحْفَظْ، وزيادةُ مَنْ يُوثَقُ بِهِ مقْبُولَةٌ.

وأمَّا الأحاديثُ التِي لَيْسَتْ فيها صَلَاةٌ، فيُقالُ فِيها: عَدَمُ ذِكْرِ الشَّيْءِ لا يكونُ نَصًّا في انتِفائِهِ، أو تُحْمَلُ على نِسيانِ الرَّاوِي أو بعضُ الاستسقاءاتِ تعقُبُهُ صلاةُ الجُمُعةِ فاكتفِيَ بِهَا، كمَا اكْتُفِيَ بِخُطْبَةِ الجُمُعةِ عن خُطبةِ الاستِسقاءِ. ولَوْ لَمْ يُصَلّ أَصْلًا كان بَيَانًا بِجَوَازِ الاستِسقَاءِ بِلَا صَلَاةٍ بَلْ بالدُّعاءِ فَقَطْ، ولَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وتكُونُ الأحَادِيثُ المثْبِتَةُ لِلصَّلاةِ متَقَدِّمَةً؛ لأَنَّ فِيها زِيَادَةَ علْمٍ مِنْ رَاوِيها علَى مَن لَمْ يَرْوِها.

والاستِسقاءُ أَنْوَاعٌ:

---

(1) الأحادِيث الطوال، الطبرانِي، حدِيث (27)، وفيه: كالتِّشْطاط، بدل كالفسطاط.

(2) الأبيات من الطوِيل، تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 15/2، دون نسبةٍ.